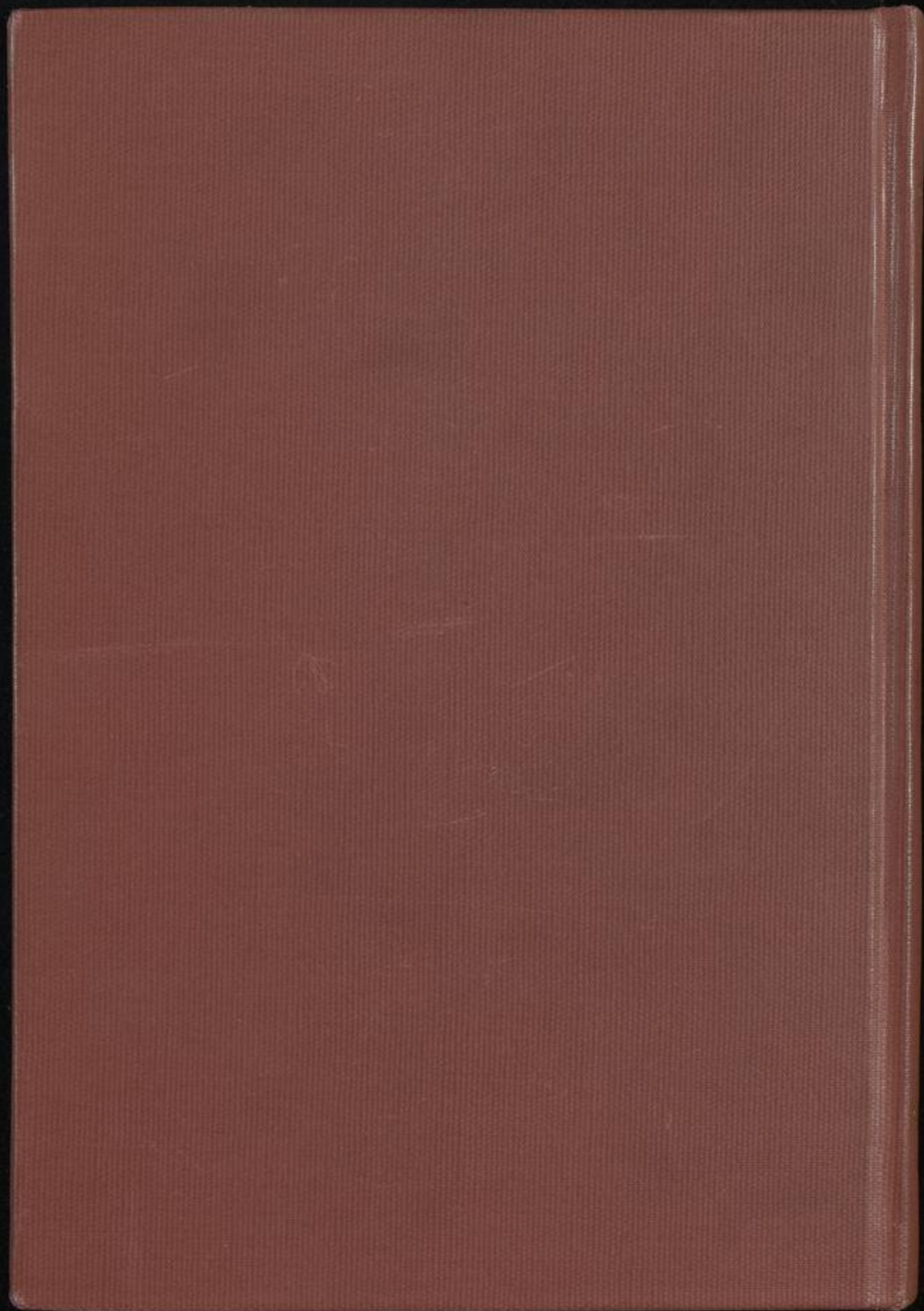
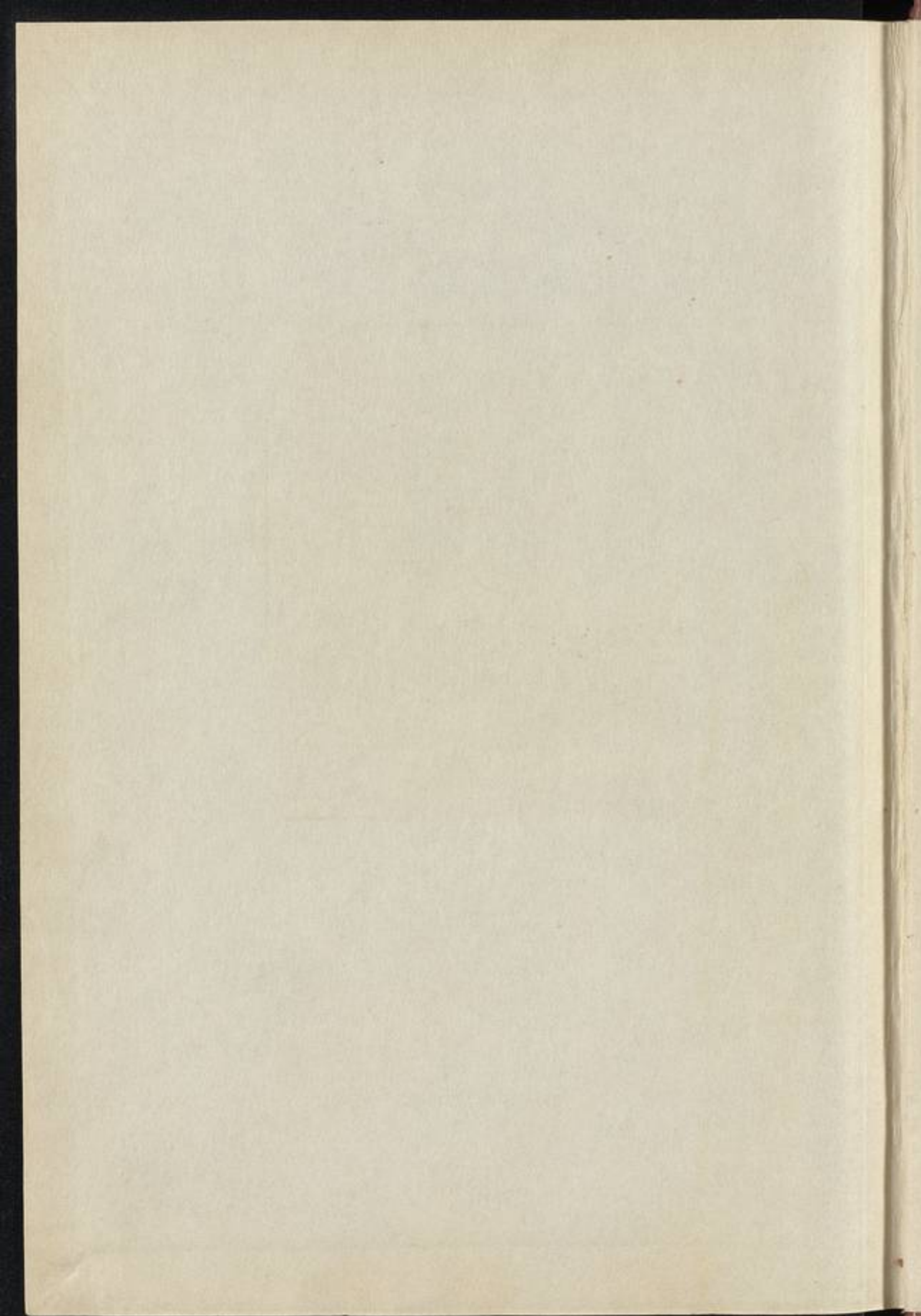


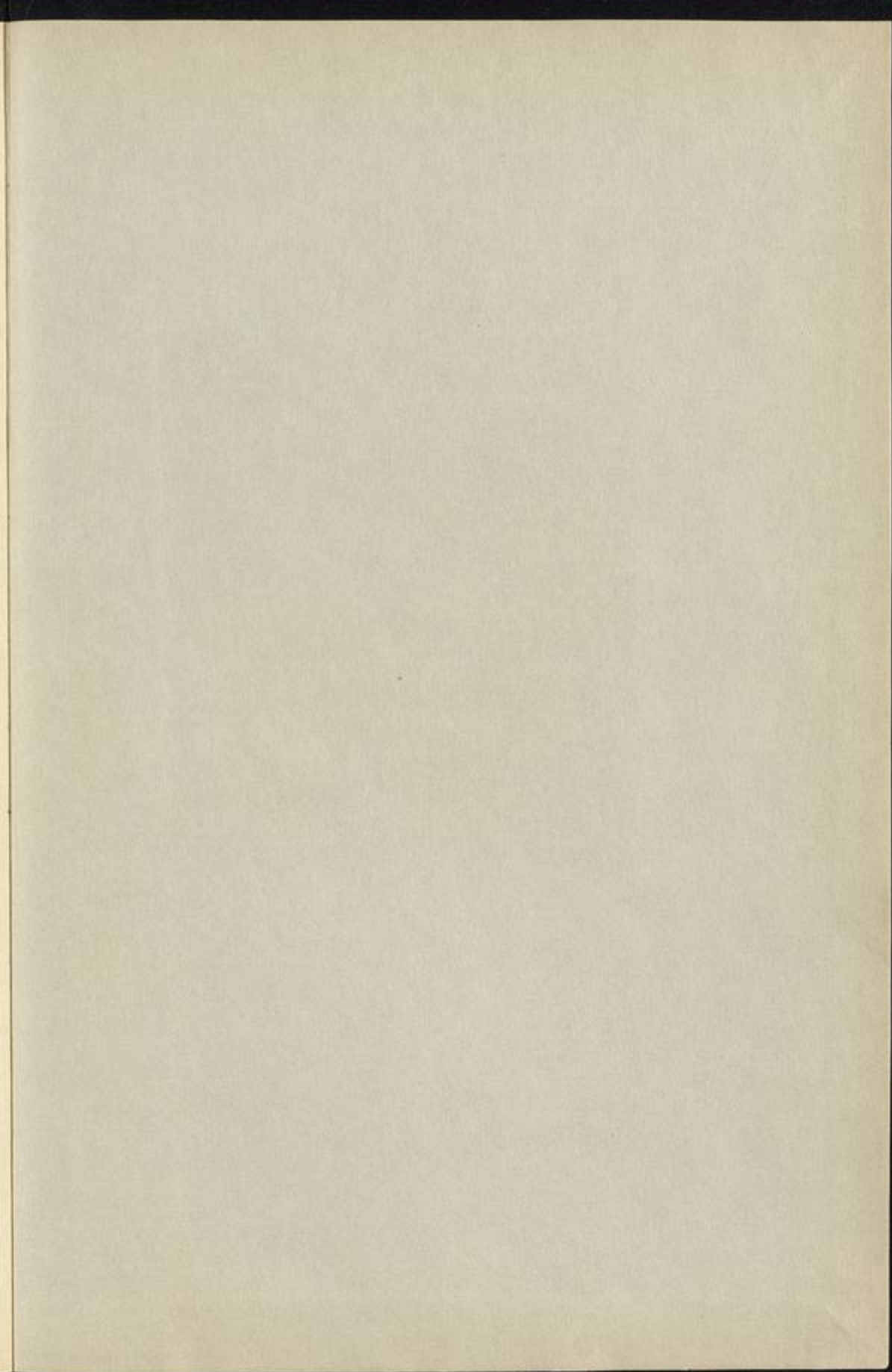


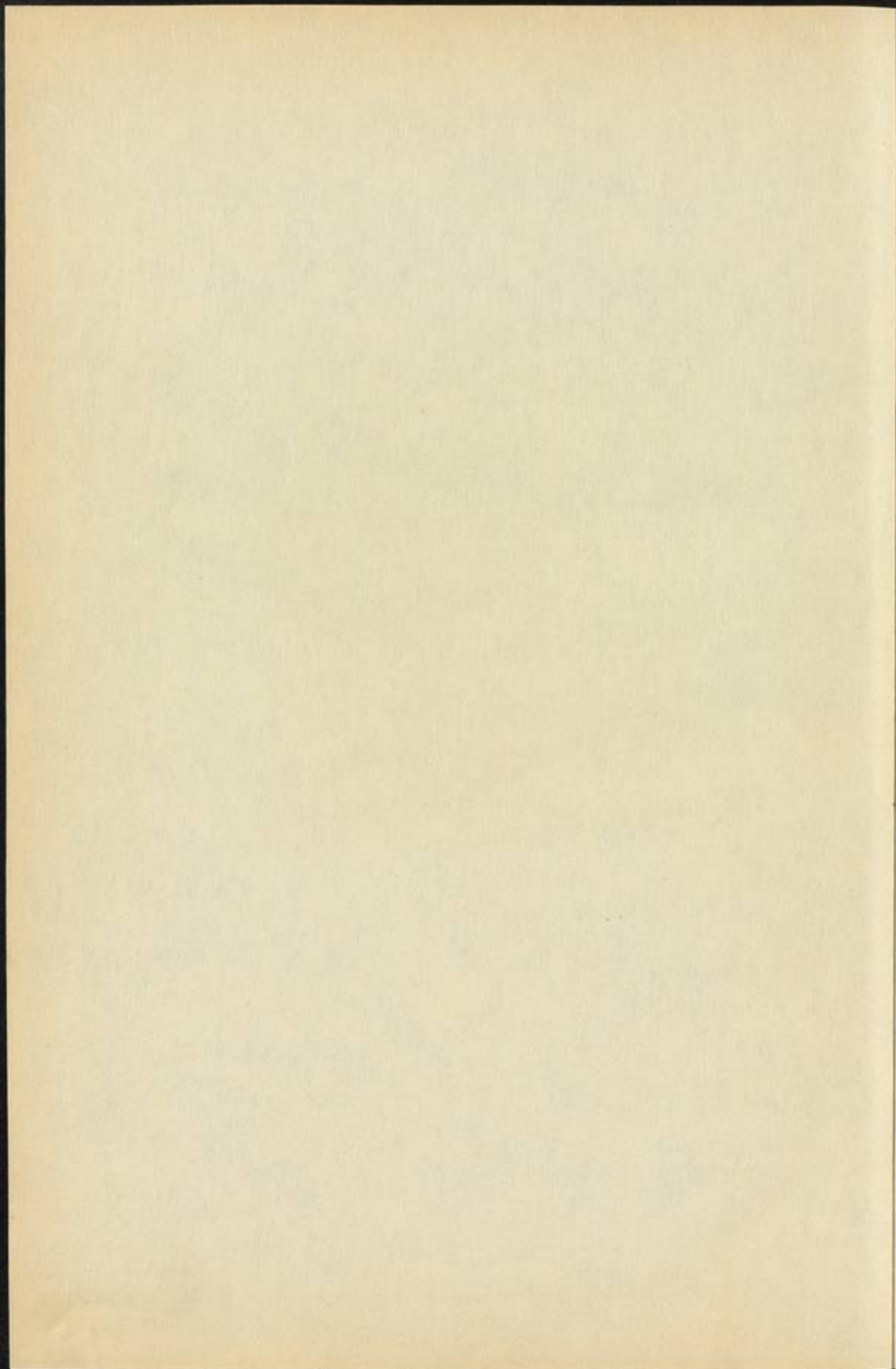
Columbia University
in the City of New York

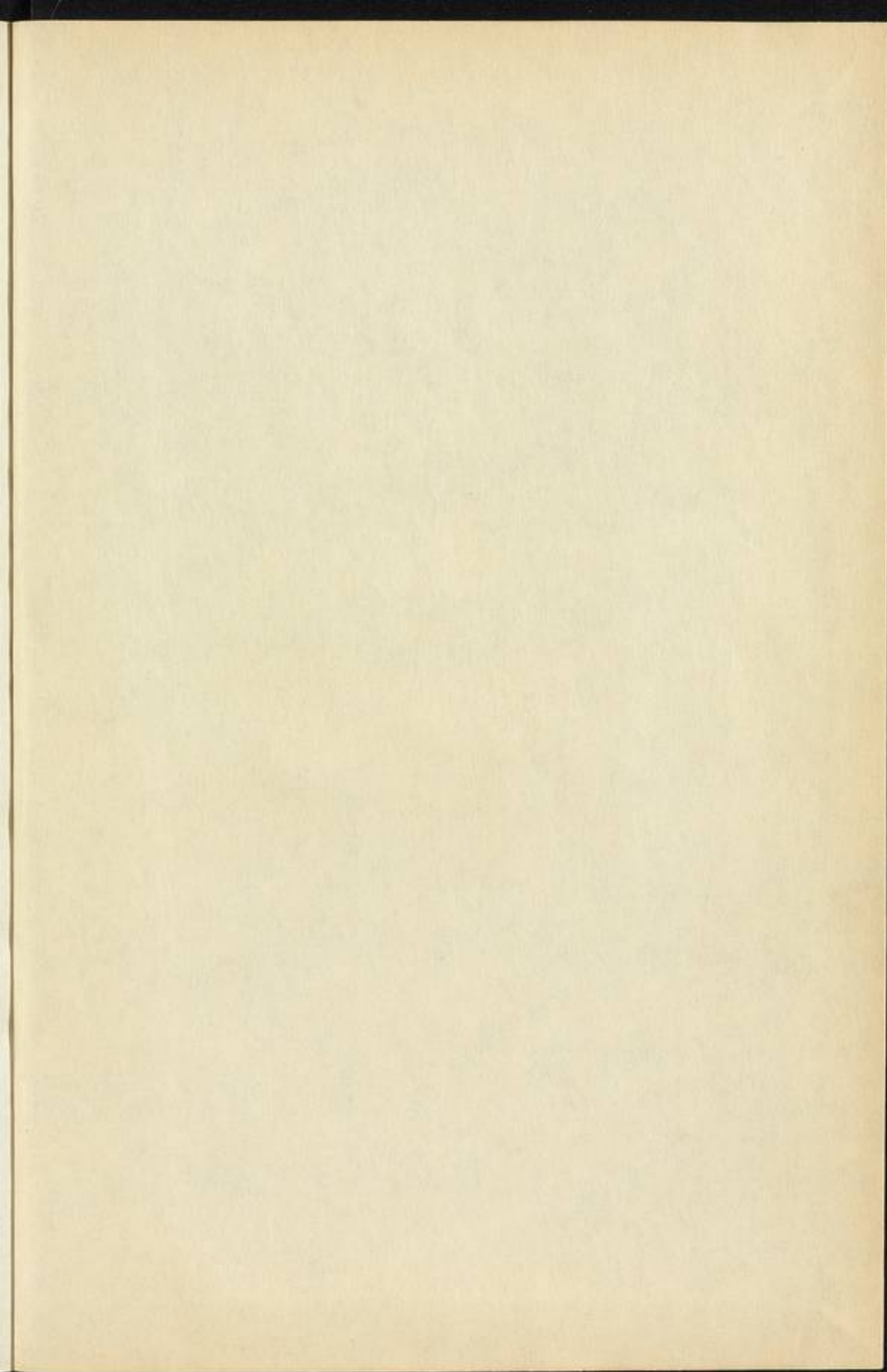
THE LIBRARIES











بجته التأليف والترجمة والنشر

شرح ديوان الجاسني

لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي

٤٢١ - ٠٠٠

نشره

عبدلسلام هارون

أحمد أمين

القسم الثالث

الطبعة الأولى

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م

تجلیات

تجلیات

تجلیات

تجلیات

تجلیات

تجلیات

تجلیات

تجلیات

تجلیات

تجلیات

الجزء الثاني

من شرح الاختيار المنسوب إلى أبي تمام الطائي
المعروف بكتاب الحماسة

صنعة

الشيخ الإمام أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن

المرزوقي الإصفهاني

٤٢١ - ٠٠٠

893.782

Ah 973

v. 4

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٥٣

وقال حرّان بن عمرو بن عبد مناة^(١) ،

يرثي زيد الفوارس^(٢) وغيره من أبناء عمومته :

١ - تَبْكِي عَلَى بَكْرِ شَرِبْتُ بِهِ سَفَهَا تَبْكِيهَا عَلَى بَكْرِ

٢ - هَلَّا عَلَى زَيْدِ الْفَوَارِسِ زَيْدِ دِ اللَّاتِ أَوْ هَلَّا عَلَى عَمْرِو

٣ - تَبْكِينَ لَارَقَاتِ دُمُوعِكَ أَوْ هَلَّا عَلَى سَلَفِي بَنِي نَصْرِ

هذه امرأة ضايقت الشاعر - وهي من بطائه^(٣) - في بكرٍ باعه

واشترى بئمنه خمرًا ، فبكّت ، فأخذ يذكر حالها ويُنكر بكاءها ، فقال : تبكي

هذه المرأة على بكرٍ شربتُ به ، أي شربتُ خمرًا سبأتُ بئمنه . ويروى

« شَرَبْتُ بِهِ » ، ويكون أظهر .

ثم قال ، بعد أن أخبر عنها بما أخبر ، كالمُتَلَفِّتِ إلى إنسانٍ بحضرته : سَفَهَا

تَبْكِيهَا عَلَى بَكْرِ . فانتصب سَفَهَا على المصدر ، وهو المفعول له . وتَبْكِيهَا في موضع

رفعٍ بالابتداء ، وَعَلَى بَكْرِ في موضع الخبر ، أي لسفهاها فَعَلَمَتْ ذَلِكَ ، لأنّه لم يبلغ

(١) كذا ورد اسمه في النسختين . وفي المصحح ٤٦ والتبريزي : « حراز بن عمرو ، أخو بني

عبد مناة » . وقال ابن جني : « حراز : جمع حرازة ، وهي هبرة الرأس ، وهو ما ينتثر منه كالنخالة إذا سرحته » . ويبدو أنه شاعر جاهلي .

(٢) سبقت ترجمته في الخامسة ١٨٠ ص ٥٥٧ .

(٣) جمع بطانة . وفي ل : « بطائنه » .

من قدر بكرٍ ما تكلفته . ولوروى : سَفَهُ تَبَكَّيْهَا عَلَى بَكْرٍ ، فَجُعِلَ التَّبَكُّى هُوَ السَّفَهُ لَمْ يَمْتَنِعْ ، وَكَانَ خَبْرًا مَقْدَمًا ، وَعَلَى بَكْرٍ يَكُونُ لَعْوًا .

وقوله « هَلَّا عَلَى زَيْدٍ الْفَوَارِسَ » إِلَى آخِرِ الْبَيْتِ ، هَلَّا حَرْفُ تَحْضِيضٍ وَهُوَ يَطْلُبُ الْفِعْلَ ، وَذَلِكَ الْفِعْلُ هُوَ تَبَكَّيْنِ . يَخَاطَبُهَا ، أَيْ هَلَّا تَبَكَّيْنِ عَلَى هَؤُلَاءِ الْجِبَالِ الَّتِي انْهَدَتْ ، وَالْبُحُورِ الَّتِي غَاضَتْ بَزِيدِ الْفَوَارِسِ أَوْ عَمْرٍو . ثُمَّ دَعَا عَلَيْهَا فَقَالَ : لَا أَرْقَا اللَّهُ دَمْعَكَ ، أَمْ هَلَّا تَبَكَّيْنِ عَلَى سَلَفِي بَنِي نَصْرٍ . وَإِنَّمَا ثَنَّى السَّلَفَ لِأَنَّهُ أَرَادَ الْعُمُومَةَ وَالْخُؤُولَةَ .

٤ - خَلَوْا عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَهُمْ فَبَقِيَتْ كَالْمَنْصُوبِ لِلدَّهْرِ

٥ - إِنَّ الرِّزِيَّةَ مَا أَوْلَاكَ إِذَا هَزَّ الْمُخَالِيعُ أَقْدَحَ الْيَسْرِ^(١)

٦ - أَهْلُ الْخُلُومِ إِذَا الْخُلُومُ هَفَّتْ وَالْعُرْفُ فِي الْأَقْوَامِ وَالنُّكْرُ

يقول : مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ ، وَانْتَقَلَوْا إِلَى جَوَارٍ مَنْ هُوَ أَمْلَكُ بِهِمْ ، وَتَرَكَوْا أَعْبَاءَ الدَّهْرِ عَلَى ظَهْرِي ، فَهِيَ تَثْقُلُ عَلَيَّ وَتَعْرِضُنِي لِنَوَائِبِهِ وَأَحْدَاثِهِ ، فَأَنَا كَالْفَرَسِ الْمَنْصُوبِ لَهُ ، لَيْسَ لِي مَنْ يَتَحَمَّلُ عَنِّي ، وَلَا مَنْ يُوَازِرُنِي أَوْ يَشُدُّ أَزْرِي . وَمَعْنَى « خَلَوْا عَلَى الدَّهْرِ » أَيْ صَرْتُ فَرِيْسَةً لِلدَّهْرِ ، فَكَأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ أَغْرَوْهُ بِي لَمَّا ذَهَبُوا عَنِّي وَأَفْرَدُونِي . وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ تُسْتَعْمَلُ فِي إِعْرَاءِ الْجَوَارِحِ عَلَى الصَّيْدِ .

وقوله « إِنَّ الرِّزِيَّةَ مَا أَوْلَاكَ » إِلَى آخِرِ الْبَيْتِ ، يَرِيدُ : الْمَصِيبَةَ كُلَّ الْمَصِيبَةِ هُمُ أَوْلَاكَ إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ وَأَسْنَتَ النَّاسُ ، وَاحْتِيجَ إِلَى جَمَاعِيعِ الْأَيَّامِ ، لِإِصْلَاحِ أَمْرِ الْفُقَرَاءِ وَالْأَيَّامِ ، فَلَمْ يُوجَدْ مَنْ يُرْجَعُ إِلَيْهِ أَوْ يُعْتَمَدُ عَلَى إِفْضَالِهِ وَتَفَقُّدِهِ . وَقَوْلُهُ « مَا أَوْلَاكَ » مَا صِلَةٌ . وَمَعْنَى هَزَّ أَجَالَ . وَالْمُخَالِيعُ : الْمُقَامِرُ .

(١) التبريزي : « هر » بالراء المهملة . وقال : « ورواية من روى هر بالراء أجود من رواية من روى : هز ، لأنها أبلغ في المدح » .

والخَالَعَةُ : القِمَار . وقِيلَ إِنَّمَا سُمِّيَ مَخَالِعًا لِأَنَّهُ هُوَ الْمَوْلَعُ بِالْيَسْرِ ، فَهُوَ الَّذِي يَخْلَعُ مَالَ غَيْرِهِ وَيَنْخَلَعُ هُوَ أَيْضًا مِنْ مَالِهِ ، مُنَافَسَةً وَحِرْصًا عَلَى الْمَيْسَرِ وَاكْتِسَابِ الْحَمْدِ فِيهِ وَلَهُ . وَقَوْلُهُ « إِذَا هَزَّ » هُوَ ظَرْفٌ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ « مَا أَوْلَاكَ » . يُرِيدُ أَنَّ الرِّزِيَّةَ افْتَقَارُ النَّاسِ إِلَى أَوْلَئِكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ فَلَا يُنَالُونَ . وَقَوْلُهُ « أَهْلُ الْحُلُومِ إِذَا الْحُلُومُ هَفَّتْ » يَصِفُهُم بِالرِّزَانَةِ فَيَقُولُ : إِذَا دَهَمَ مِنَ الْأَمْرِ مَا تَهَفُّو فِيهِ الْعُقُولُ وَتَزَلَّ فِيهِ الْأَقْدَامُ ، فَهُؤُلَاءِ لِأَصَالَةِ آرَائِهِمْ يَشْتَبُونَ عِنْدَ الْمِرَاوِلَةِ ، وَيُدَاوُونَ الْأُمُورَ بِدَوَائِهَا مِنْ غَيْرِ طِبِّيشٍ وَلَا سَفِّهِ ، وَلَا تَجَاوُزِ حَدٍّ وَعَنْتَ . وَقَوْلُهُ « وَالْعُرْفُ فِي الْأَقْوَامِ » أَرَادَ : وَهُمْ أَهْلُ الْعُرْفِ وَالثُّكْرِ فِي الْأَقْوَامِ . يَعْنِي أَنََّّهُمْ يُنْزِلُونَ الْأَقْوَامَ مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْمُوَالَاةِ وَالْمُدَاجَاةِ ، فَمَنْ دَاجَى كَانَ لَهُ الثُّكْرُ مِنْهُمْ ، وَمَنْ وَاَلَى كَانَ لَهُ الْعُرْفُ .

٣٥٤

وقال زويفر^(١) بن الحارث بن ضرار :

١ — أَلَمْ تَرَ أَنِّي يَوْمَ فَارَقْتُ مُؤَيَّرًا أَنَانِي صَرِيحُ الْمَوْتِ لَوْ أَنَّهُ قَتَلَ^(٢)
يُرْوَى « صَرِيحُ الْمَوْتِ » بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ « لَوْ أَنَّهُ قِيلَ » بِالْبَاءِ . وَمَعْنَى أَلَمْ تَرَ : أَعْلَمَ ذَلِكَ . أَلَا تَرَى قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ . وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَرَ ذَلِكَ . فَيَقُولُ : أَعْلَمَ أَنِّي يَوْمَ فَارَقْتُ هَذَا الرَّجُلَ وَرَدَّ عَلَيَّ مَا يَجْرِي تَجْرِي الْمَوْتِ الصَّرِيحُ الْخَالِصُ لَوْ أَنَّهُ قَتَلَنِي وَأَتَى عَلَيَّ ، وَلَكِنَّ الْقَدَرَ ثَبَّتَ قَدَمِي فِي الْأَحْيَاءِ ، فَلَمْ يُخَلِّئْ لِلْمَوْتِ . وَمَنْ رَوَى « صَرِيحُ » بِالْخَاءِ وَ « قِيلَ » بِالْبَاءِ فَلَمْرَاد : أَنَانِي دَاعِي الْمَوْتِ . وَالصَّرِيحُ يَكُونُ الْمُسْتَفْهِثَ

(١) التبريزي : « زويهر » .

(٢) صريح ، كُتِبَتْ فِي الْأَصْلِ لِتَقْرَأَ بِالْمُهْمَلَةِ وَالْمَعْجَمَةِ ، مَقْرُونَةٌ بِكَلِمَةِ « مَعَا » .

والمُغِيثَ جميعاً ، والمراد أثنائي داعي الموت لو أنه قَبِلَنِي لَكُنْتُ لَا أَمْتَمِعُ مِنْ
إِجَابَتِهِ لَمَّا اسْتَدْعَى ، وَإِغَائِيَّتِهِ لَمَّا اسْتَغَاثَ ، لَكِنَّهُ لَمَّا بَقَانِي وَلَمْ يَأْخُذْنِي
فَكَأَنَّهُ لَمْ يَقْبَلْنِي .

٢- وَكَانَتْ عَلَيْنَا عِرْسُهُ مِثْلَ يَوْمِهِ غَدَاةَ غَدَتٍ مِنَّا يُقَادُ بِهَا الْجَمَلُ
تَقْدِيرَ الْبَيْتِ إِذَا أُزِيلَ مَا فِيهِ مِنْ هُجْنَةٍ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ : وَكَانَتْ عَلَيْنَا
عِرْسُهُ غَدَاةَ غَدَتٍ مِنَّا يُقَادُ بِهَا الْجَمَلُ مِثْلَ يَوْمِهِ . وَالْمَعْنَى : كَانَتْ مَفَارِقَةً
عِرْسُهُ لَنَا غَدَاةَ انْتِقَالِهَا عَلَيْنَا ، وَقَدْ حُمِلَتْ الْجَمَلُ وَقِيدَ بِهَا ظَلَمَتُنَهَا مِثْلَ يَوْمٍ
فَقَدَهُ ، أَيْ كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ مِثْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ . كَأَنَّهُمْ كَانُوا أَلْفَوْا مِنْ مُقَامِهَا أَيَّامَ
عِدَّتِهَا أَنْسَأَ بِهَا ، وَبِيقَافِ دَارِهَا عَلَى مَا كَانَتْ تُفْعَدُ مِنْ قَبْلِ ، فَلَمَّا رَأَتْ مِنْ
التَّنَقُّلِ مَا رَأَتْ ، وَخَلَّتِ الدِّيَارُ مِنْهَا وَمِنْ أَسْبَابِهَا وَتَغَيَّرَتْ ، عَادَتْ الْمَصِيبَةُ عَلَى
أَحْيَائِهَا جَذَعًا ، وَالشَّرُّ مُسْتَفْجِلًا .

٣- وَكَانَ عَمِيدَنَا وَبَيْضَةَ بَيْتِنَا فَكَلُّ الَّذِي لَا قِيَتُ مِنْ بَعْدِهِ جَلَلٌ^(١)
أَيَّ كَانَ رُبِّيْسَنَا وَالْمَصْمُودَ بِالْحَاجَاتِ فِينَا ، وَأَصْلَ بَيْتِنَا وَأَسَاسَ فَخْرِنَا . وَقَدْ
تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي بَيْضَةِ الْبَلَدِ^(٢) ، وَأَنَّهُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ . فَأَمَّا بَيْضَةُ الْخِدرِ
وَبَيْضَةُ الْبَيْتِ فَلَا يَسْتَعْمَلَانِ إِلَّا فِي الْمَدْحِ . وَقَدْ صَبَغَ مِنَ الْبَيْضَةِ هَذَا فَعْلٌ ،
حَكِي ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ : يَقَالُ اجْتَاوَهُمْ وَابْتَاوَهُمْ ، إِذَا اسْتَأْصَلُوهُمْ . وَقَوْلُهُ
« فَكَلُّ الَّذِي لَا قِيَتُ مِنْ بَعْدِهِ جَلَلٌ » أَيْ صَغِيرٌ هَيْنٌ فِي جَنْبِ مَا لَا قِيَتَهُ
فِيهِ . وَالْجَمَلُ يُسْتَعْمَلُ فِي الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْمُرَادُ بِبَيْضَةِ الْبَلَدِ أَنَّهُ
الْمَعْرُوفُ الْمَوْضِعُ ، الْمَرْجُوعُ^(٣) إِلَيْهِ فِي كُلِّ مَوْجِعٍ ، كَمَا يَرْجِعُ صَاحِبُ الْأَدْحَى إِلَى

(١) فِي الْأَصْلِ : « الَّذِي حَمَلَتْ » ، صَوَابُهُ فِي لُ وَالْتَبْرِيْزِيِّ .

(٢) انْظُرْ مَا سَبَقَ فِي ص ٥٠٥ ، ٨٠٤ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « لِلرَّجُوعِ » ، صَوَابُهُ فِي لُ .

أُدْحِيَهُ^(١) كيف توجَّه في المرعى ، وأَنْتِ انتَجَعَ ورَعَى . والأجود أن يكون المراد به وقد أضيف إلى البيت ، وهو بيت الفخر والعِز ، أنه الأصلُ والجُرثومة ، كما حكى عن أبي بكر رضى الله عنه أنه قال : « نحنُ عِترَةُ رسول الله التي خرَّجَ منها ، وبَيَضَتُهُ التي تَفَقَّأت عنه » .

٣٥٥

وقال ابن عنمة الضبي^(٢)

في مَقْتَلِ بِسْطَامَ بْنِ قَيْسٍ^(٣) :

١- لَأَمَّ الْأَرْضَ وَيْلٌ مَا أَجَنَّتْ بِحَيْثُ أَضُرَّ بِالْحَسَنِ السَّبِيلُ

يعظم شأن الأرض كيف ترشَّحت لسير بِسْطَامَ فيها ، ومن أين صارت يتَّسع بطنها له مَيْتًا وهي تضيق عن أفعاله وذِكْرِهِ حَيًّا . وقال الأصمعي في تفسير وَيْلٍ إِنَّهُ قُبُوحٌ^(٤) . ولك أن تقول « لَأَمَّ » فتنبِّع حركة الهمزة حركة اللام . وارتفع وَيْلٌ بالابتداء وإن كان نكرة ، لأنه عُلِمَ أنه دعاء ، فحصل به مثلُ فائدة المعارف . ومعنى « لَأَمَّ الْأَرْضَ وَيْلٌ » ثَبَّتَ لَأَمَّ الْأَرْضَ وَيْل ، فهو في لفظ ما وقع . وقوله « مَا أَجَنَّتْ » ما استفهام ، وموضعه مفعول أَجَنَّتْ . يقول :

(١) هذا ما في ل وهو الأوفى ، وفي الأصل : « أدحيته » ، والأدحى والأدحية والأدحوة ، كلها بمعنى ، وهو مبيض النعام في الرمل .
(٢) سبقت ترجمته في الخامسة ١٨٩ ص ٥٨٢ .

(٣) هو أبو الصهباء بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني . شروح سقط الزند ١٩٧٢ .
وقال ابن دريد في الاشتقاق ٢١٥ : « وبسطام اسم فارسي ، وبسطام أحد الفرسان الثلاثة المذكورين : عامر بن الطفيل ، وعتبسة بن الحارث بن شهاب ، وبسطام هذا » . التبريزي : « قتله عاصم بن خليفة : وكان ابن عنمة مجاورا في بني شيبان ، تخاف على نفسه لما قتل بسطام ، فرثاه يستميل بذلك بني شيبان ، وهو من بني السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة » . وعاصم ابن خليفة ضبي .

(٤) يقال قبح الله فلانا قبحاً وقبوحاً ، أى أقصاه وباعده .

سَتَرْتُ رَجُلًا وَأَيَّ رَجُلٍ ، أَيْ سَتَرْتُ جَلِيلًا مِنَ الْأَمْلاكِ رَفِيعَ بِنَاءِ الْعِزِّ ، وَاسِعَ بَاعِ الْفَخْرِ . وَقَوْلُهُ « بِحَيْثُ أَضَرَّ » جَعَلَ حَيْثُ اسْمًا . وَمَعْنَى أَضَرَّ : دَنَا . وَالْحَسَنُ : جَبَلٌ^(١) . وَالْمَعْنَى بِمَكَانٍ أَضَرَّ السَّبِيلُ بِالْحَسَنِ فِيهِ ، أَوْ أَضَرَّ السَّبِيلُ بِالْحَسَنِ ، حَتَّى نَكُونَ مِثْلَهُ عَلَى الْمَذْهَبَيْنِ جَمِيعًا .

٢- نَقَسَمَ مَالَهُ فِينَا وَنَدَعُو أَبَا الصَّهْبَاءِ إِذْ جَنَحَ الْأَصِيلُ

يَقُولُ : نَقَسَمَ فَوَاضِلَ مَا عِنْدَنَا مِنْ غَنَائِمٍ غَزَاوَاتِهِ وَمَا بَقِيَ وَلَمْ يَقْسِمِ فِينَا لَوْ قَتَلَ يَخْتَارُهُ لَهُ ، فَبَقِيَ بَعْدَهُ . وَفِي اقْتِسَامِ تِلْكَ الْأَمْوَالِ مَا يَهَيِّجُ الْحَسَرَاتِ ، لِأَوْقَاتِ الْغَارَةِ فِي الْبُكْرَاتِ . ثُمَّ قَالَ « وَنَدَعُو أَبَا الصَّهْبَاءِ إِذْ جَنَحَ الْأَصِيلُ » يُشِيرُ إِلَى وَقْتِ الْأَضْيَافِ ، وَأَنَّ الْحَيَّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَصِيرُ ضَجَّةً وَاحِدَةً ، تَلْهَفًا فِي إِثْرِ الْفَائِتِ ، وَتَذَكُّرًا لَهُ ، وَتَوْجَعًا لِمَا فُقِدَ مِنَ الْمُسْتَأْنَفِ مِنْ تِلْكَ الرُّسُومِ وَاسْتِمْرَارِهَا . وَمَعْنَى نَدَعُوهُ نَدْبُهُ وَنَقُولُ : وَابْسِطَا مَاهُ ! وَإِنَّمَا قَالَ « مَالَهُ » لِأَنَّ مَا اجْتَمَعَ بِسَمِيهِ وَحَدَّهُ ، وَبِأَسِيهِ وَسَطُوتِهِ ، كَانَ لَهُ . وَمَعْنَى جَنَحَ مَالٌ . وَالْأَصِيلُ : الْعَشِيَّةُ . وَأَبُو الصَّهْبَاءِ : كُنْيَةُ بَسْطَامَ .

٣- أَجِدَّكَ لَنْ تَرَاهُ وَلَنْ تَرَاهُ تَخْبُ بِهِ عُدَاوَةٌ ذَمُولٌ^(٢)

أَلَمْ فِي هَذَا بِقَوْلِ الْفَاطِمَةِ :

* يَقُولُونَ حِصْنٌ ثُمَّ تَأْتِي نَفْسُهُمْ^(٣) *

كَأَنَّهُ لَشِدَّةُ الْأَمْرِ عَلَيْهِ يَكْذِبُ الْمَشَاهِدَةَ وَيَدْعُ التَّصْدِيقَ بِهَا فِي الْوَقْتِ

(١) يَاقُوتُ : « الْحَسَنَانِ . . . : كَثِيبَانِ مَعْرُوفَانِ فِي بِلَادِ بَنِي ضَبَّةٍ ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْحَسَنُ ، وَلِلْآخَرِ الْحَسِينُ » .

(٢) التَّبَرِيزِيُّ : « لَا تَرَاهُ وَلَنْ تَرَاهُ » ، ثُمَّ ذَكَرَ رِوَايَةَ الْمَرْزُوقِ .

(٣) يَرْتِي حِصْنَ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرٍ ، كَمَا فِي شُرُوحِ سَقَطِ الزُّنْدِ ٨١٣ . وَعَجَزَهُ فِي

بعد الوقت ، إما استعظاماً للحال ، وإما لآفة تلحق العقل ، وضعف يتخلل
النحصيل ، فكأنه بعد ما اقتصر من الحال ما اقتصر ، وشرح من الفجع ما شرح
عاودته تلك الحالة وعادته ، فأقبل على نفسه يستبثها وقال : أعلى جد منك ،
وأجد جدك ، أنك في مستقبل الأوقات لا تراه متمكناً منه قريباً ، على عادتك
في حال الأمن معه ، ولا تراه أيضاً من بعيد في الغزو وتسير به الخبب راحلة
قوية خفيفة .

وقد ظهر بما ذكرته فائدة تكرار حرف النفي في كلامه ، لأن لن نفى قول
القائل أسيفعل كذا زيد ؟ فيقول : لن يفعل . فقول له لن تراه نفى الرؤية في حال
السلم ، ولن تراه نفى لها في حال الغزو . وتنبه به في موضع الحال .

٤ - حَقِيقَةُ رَحْلِهَا بَدَنٌ وَسَرَجٌ تَعَارِضُهَا مُرِيَّةٌ دَوُولٌ^(١)

٥ - إِلَى مِيعَادِ أَرَعْنَ مُكْفَهَرٌ تَضَمَّنَ فِي جَوَانِبِهَا الْخِيُولُ^(٢)

يقول : تَنَبَّهْ به ناقة بهذه الصفة وقد شُدَّ في الحقيقة التي ارتدَّها درعٌ قَدَرُ
ما يسترُ البدن ، وسَرَجٌ لِمَا جُنِبَ معه من فرسٍ تعارض هذه الناقة في السير ؛
وهي لعزها وكرمها على رَبِّهَا^(٣) ، رُبَّتْ في البيوت ولم تُتْرَكْ هَمَلًا ، وسيرها
الذميل . ويقال رَبَّيْتُهُ ورَبَّيْتَهُ بالتشديد بمعنى . والدَّالُّانُ : ضربٌ من السير .
والاحتقاب : شَدُّ الحقيقة من خَلْفٍ ، وكذلك الاستحقاب .

وقوله : « إِلَى مِيعَادِ أَرَعْنَ » يعني به جيشاً كأنه رَعَنَّ جَبَلٌ . وقيل : جيشٌ

(١) في النسختين : « دَوُول » بنقطة فوق الدال ونقطة تحتها مقرونة بكلمة « معاً » .

لنقرأ بالإعجم والإعمال ، واقتصر التبريزي على رواية الدال المهملة .

(٢) في الأصل : « فِي جَوَانِبِ » ، وهي مطابقة لرواية التبريزي في الصلب ، لكن

التفسير هنا يقتضى ترجيح ما أثبتنا من ل وتفسير التبريزي .

(٣) في الأصل : « أَنَّهَا » صوابه في ل .

أرعن : له فُضُول . والرَّعْن : أنف يتقدَّم من الجبل ، والجميع الرَّعَان والرُّعُونَ .
مَكْفَهْرٌ ، أى مرتفعٌ عالٍ . وقوله « تُضَمَّنُ فِي جَوَانِبِهَا الْخِيُولُ » أى تُقَرَّنُ
الْخِيلُ بِالْإِبِلِ فِي جَوَانِبِهَا ، إِذْ كَانَ لِكُلِّ رَجُلٍ رَاحِلَةٌ وَفَرَسٌ يَقُودُهُ مَعَهُ .
ومثل هذا قوله :

* خَصَفَنَ بِأَثَارِ الْمَطِيِّ الْخَوَافِرَ ^(١) *

يقول : تسير به راحلةٌ معها جَنِيْبَةٌ ، إلى ميعادٍ أرعنَ ، أى جيشٍ كثيرٍ
ضَمَّنَ جَوَانِبُ رَوَاحِلِهَا الْخِيُولَ . ويروى : « تُضَمَّرُ فِي جَوَانِبِهَا » بالراء ، والمعنى
تُضَمَّنُ الْخِيُولُ وَتُعَدَّى فِي الْقَرَّتَيْنِ ^(٢) فِي جَوَانِبِهَا . والمراد أن فرسانَ هذه
الكتيبة دأبهم ذلك .

٦ - لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا وَحُكْمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ

أَقْبَلَ يَخَاطِبُ الْمُرْتَى بَعْدَ الْإِخْبَارِ ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي الْكَلَامِ .

وقال أبو عبيدة : كَانَ رَئِيسُ الْقَوْمِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا غَزَا بِهِمْ فَغَنِمَ أَخَذَ مِنْ
جَمَاعَةِ الْغَنِيمَةِ وَمِنَ الْأَسْرَى وَالسَّبْيِ عَلَى أَصْحَابِهِ الْمِرْبَاعَ ، وَهُوَ الرَّبْعُ ، فَلِذَلِكَ قَالَ
« لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا » ، فَصَارَ هَذَا الرَّبْعُ الَّذِي كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لِلرَّئِيسِ فِي الْإِسْلَامِ
خُمْسًا . وَكَانَ لَهُ الصَّفِيُّ : وَاحِدَ الصَّفَايَا مِنْ جَمَاعَةِ الْغَنَائِمِ وَالْأَسْلَابِ وَالْكُرَاعِ
قَبْلَ الْقِسْمَةِ ، وَهُوَ أَنْ يَصْطَفِيَ لِنَفْسِهِ شَيْئًا : جَارِيَةً أَوْ سَيْفًا أَوْ فَرَسًا أَوْ مَا شَاءَ ،
وَبَقِيَ الصَّفِيُّ عَلَى حَالِهِ فِي الْإِسْلَامِ : اصْطَفَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيْفَ مُنَبِّهٍ
ابْنِ الْحَجَّاجِ ذَا الْفَقَارِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَاصْطَفَى جُؤَيْرِيَّةَ بِنْتَ الْحَارِثِ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ

(١) البيت لمفاس العائذي ، كما في اللسان (خصف) . وهو أول المفصلة ٨٥ . وصدره :

* أَوَّلَى فَأَوَّلَى يَا أَمْرًا الْقَيْسَ بَعْدَ مَا *

(٢) القرطبان : الغداة والعشي .

يَوْمَ الْمُرَيْسِيعِ ، فَعَمَلَ صَدَقَتَهَا ^(١) عَتَمَهَا وَتَزَوَّجَ بِهَا ، وَاصْطَفَى صَقِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ فَعَمَلَ ذَلِكَ بِهَا .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَكَانَ لَهُ النَّقِيعَةُ أَيْضًا ، وَهُوَ بَعِيرٌ يَنْعَرُهُ قَبْلَ الْقِسْمَةِ فَيُطْعِمُهُ النَّاسَ كَذَلِكَ . قَالَ :

إِنَّا لَنَضْرِبُ بِالشَّيْئِوفِ رِمَوسَهُمْ ضَرْبَ الْقُدَارِ نَقِيعَةَ الْقُدَامِ ^(٢)
قَالَ : وَسَقَطَ فِي الْإِسْلَامِ النَّقِيعَةُ .

قَالَ : وَلَهُ حُكْمُهُ ، وَهُوَ أَنْ يَبَارِزَ الْفَارِسُ فَارِسًا قَبْلَ التَّقَاءِ الْجِيَشَيْنِ فَيَقْتُلُهُ وَيَأْخُذُ سَلْبَهُ . وَالْحُكْمُ فِيهِ إِلَى الرَّئِيسِ ، إِنْ شَاءَ نَفْلُهُ وَإِنْ شَاءَ رَدُّهُ إِلَى جُمْلَةِ الْمَغْنَمِ . وَهَذَا بَاقِي فِي الْإِسْلَامِ .

وَلَهُ أَيْضًا « النَّشِيطَةُ » وَهُوَ مَا انْتَشِطَ مِنَ الْغَنَائِمِ وَلَمْ يُوجِفُوا عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ . فَبَقِيَتْ فِي الْإِسْلَامِ . وَفَدَّكَ ^(٣) مِنْ ذَلِكَ ، لَمْ يُوجِفُوا عَلَيْهِ فَكَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً .

قَالَ : وَكَانَ لِلرَّئِيسِ الْبَسِيطَةُ ^(٤) ، وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّيهَا الْبِسْطُ ^(٥) ، وَهِيَ النَّاقَةُ

(١) كَذَا ضَبَطْتُ فِي النُّسخَتَيْنِ . وَالصَّدَقَةُ بِالْفَتْحِ ، وَالضَّمُّ ، وَبِفَتْحَتَيْنِ ، وَبِضْمَتَيْنِ ، وَبِفَتْحٍ فَضَمٍّ ، كُلُّهَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَهُوَ الْمَهْرُ ، كَالصَّدَاقِ بِفَتْحِ الصَّادِ وَكُسْرِهَا .

(٢) الْبَيْتُ لِلْمَهْلَلِ ، كَمَا فِي اللَّسَانِ (قَدَرٌ ، نَقَعٌ ، قَدَمٌ) .

(٣) كَانَ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ ، لَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَيْبَرَ قَذَفَ اللَّهُ الرَّعْبَ فِي قُلُوبِ أَهْلِ فِدْكَ حِينَ بَلَغَهُمْ مَا حَلَّ بِأَهْلِ خَيْبَرَ ، فَبَعَثُوا يَصَالِحُونَ عَلَى النِّصْفِ مِنْ فِدْكَ ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ ذَلِكَ . السِّيَرَةُ ٧٧٦ — ٧٧٧ ، وَفِدْكَ : قَرْيَةٌ بِالْحِجَازِ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ يَوْمَانِ .

(٤) الَّذِي فِي الْمَعَاجِمِ الْمُتَدَاوِلَةِ لَفْظُ « الْبَسُوطِ » ، وَلَمْ يَنْصُ فِيهَا كَذَلِكَ عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ فِيهَا وَفِي الْبِسْطِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « وَبَعْضُهُمْ قَالَ الْبَسِيطُ » ، صَوَابُهُ فِي ل ، وَقَدْ ضَبَطْتُ فِيهِ بِكُسْرِ الْبَاءِ ، وَهِيَ تَقَالُ بِالسَّكْرِ وَالضَّمِّ وَبِضْمَتَيْنِ .

أو الحِجْرُ معها ولدُها، فتجعل هي وولدها في رُبْعِ الرِّيس ولا يُعْتَدُّ عليه بالوَلَدِ .
وقال : وسَقَطَ البَسِيطَةُ في الإسلام .

وكان له « الفضول » وهو ما فَضَّلَ بعد القِسمة وَيَعْجِزُ عن عَدَدِ الغُرَاةِ ،
أو لا يتناولُه القَسَمُ ، وهذا سَقَطَ أَيْضاً في الإسلام . قال أبو عبيدة : غيرَ أَنِّي
حُدِّثْتُ عن مجاهد أَنَّهُ قال في قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ
لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ، قال : هو ما شَدَّ من الغنائم ، كالفضول . وقيل إِنَّهَا منسوخة .

٧ — أَفَاتَهُ بنو زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو ولا يُوفِي بِبِسْطَامٍ قَبِيلُ
٨ — فَخَرَّ عَلَى الْأَلَاءَةِ لم يُوسِّدْ كَانَ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ^(١)

قوله « أفاتته » فات يتعدَّى إلى مفعول . تقول : فاتني الشيء ، فإذا
أدخلت عليه حرفَ التعدية تعدَّى إلى مفعولين . فإذا كان كذلك فأحدُ
المفعولين محذوف ، كأنه قال : أفاتت الناسَ بنو زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بِبِسْطَامًا ،
أى الانتفاعَ بِبِسْطَامٍ . وقوله « ولا يُوفِي بِبِسْطَامٍ قَبِيلُ » بالباء يروى ، والمعنى
لا يُوفِي بدمه قَبِيلُ ، كَأَنَّ القَبِيلَةَ بِأَسْرِهَا مطالبون بدمه ووافون به إذا أُتِيَ
بهم كلُّهم . وهذه الرواية أقرب إلى ما يدلُّ عليه صدرُ البيت وأشبه . ويروى
« قَتِيلُ » بالتاء ، ويكون الكلامُ تحشُّراً ، والمعنى لا يُوفِي بدمِ بِبِسْطَامٍ دَمُ
قَتِيلٍ . ويقال وَفَى وَأَوْفَى بمعنى واحد .

وقوله « فَخَرَّ عَلَى الْأَلَاءَةِ » ، [معناه^(٢)] سقط . والألَاءة : شجرة . ولم
يُوسِّدْ ، يستعملونه كثيراً في القَتِيلِ ، وليس ذلك لأنَّ القَتْلَ بعضهم يُوسِّدون .
وقد يقال « وَسَّدَ فلانٌ يَمِينَهُ في ضَرْيحه » ، وهذا أيضاً مثلاً ؛ لأنَّ المَيِّتَ

(١) التبريزي : « وخر » .

(٢) هذه من ل ، وقبلها في ل كلمة مضمومة أيضاً .

لا يوسد يمينه ، وإنما يراد : تجافى المكان به في حالتي الدفن والقتل . وقوله « كأن جبينه سيفٌ صقيل » يريد وجهه وإشراق لونه .

٣٥٦

وقال الهذلول بن هبيرة^(١) :

- ١- أَلِكْنِي وَفِرْ لِبْنِ الْغُرَيْرَةِ عِرْضَهُ إِلَى خَالِدٍ مِنْ آلِ سَلَمَى بْنِ جَنْدَلٍ
 - ٢- فَمَا أَبْتَنِي فِي مَالِكٍ بَعْدَ دَارِمٍ وَلَا أَبْتَنِي فِي دَارِمٍ بَعْدَ نَهْشَلٍ
 - ٣- وَمَا أَبْتَنِي فِي نَهْشَلٍ بَعْدَ جَنْدَلٍ إِذَا مَا دَعَا الدَّاعِيَ لِأَمْرِ مُجَلَّلٍ
 - ٤- وَمَا أَبْتَنِي فِي جَنْدَلٍ بَعْدَ خَالِدٍ لِطَارِقٍ لَيْلٍ أَوْ لِعَانٍ مُكَبَّلٍ
- قوله « أَلِكْنِي » أى أعنى على أداء ألوكتي ، وهى الرسالة . وقد تقدّم القول فى هذه اللفظة ، وأن أصلها أَلِكْنِي ، فُكِبَ وَقُدِّمَ اللام على الهزمة فصار أَلِكْنِي ، ثم حذفت الهزمة استعفافاً وألقيت حركتها على اللام فصار أَلِكْنِي . وقوله « وَفِرْ لِبْنِ الْغُرَيْرَةِ عِرْضَهُ » معناه اترك عرضَه وافراً . يقال وَفَرْتُهُ أَفِرُهُ وَفَرًّا ، وهو موفور . والمراد : خُصَّ برسالتى خالداً وأترك ابن

(١) كذا ورد فى النسختين . وعند التبريزى : « الهذيل بن هبيرة أحد بنى حرقة بن ثعلبة بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب » . قال ابن دريد فى الاشتقاق ٢٠٣ : « ومن رجالهم الهذيل بن هبيرة ، قد رأسهم فى الجاهلية ، وكان جراراً للجيش » . وكان من خبر الأبيات فيما روى التبريزى ، أن الهذيل أغار على بنى كوز وهاجر من بنى ضبة فأصاب ثلاثين امرأة أطلق سراحهن ، إلا منصور بنت شقيق أخت عامر بن شقيق ، واحتمل بها حتى أتى أرض قومها ، فخرج أخوها وزوجها لاستنقاذها ، فتمكنا من ذلك بعد لئى ، ثم إن الهذيل تبعها نفسه فأغار ثانية على بنى ضبة فاستصرخ بنو ضبة ببني سعد بن زيد مناة فالتقوا وقتل من بنى تغلب ناس وهزموا أسوأ هزيمة ، ووقع ابن الهذيل — واسمه مشول — أسيراً ، أسره عبد الله وعبد الحارث ابنا ناضرة . ثم أنعم الهذيل فى ابنه وطلب من ابن الفريرة — وهو أحد جندل بن نهشل — أن يفادى ابنه أو يمن عليه ، فوعده أن يفعل ، فلما طال عليه ذلك قال هذه الأبيات ، فأتى خالداً فأشده ، فأعطى ابن ناضرة مائة من الإبل وأطلقه للهذيل .

الغريرة جانباً ، لا تذكر له قبيحاً ولا تؤله مكروهاً . والرّسالة ابتداؤها : « فما أبتغى في مالك » . والشاعر رتب أخذاً وبطوناً ، وذكر أن كل واحد منها كان له رئيسٌ يدور أمره عليه ، ويعتصم بأمره في اللّمات ، وأنه بعد افتقاد ذلك فيهم فلا طائل ولا خير عند واحدٍ منهم . ألا تراه قال : فما أبتغى في بني مالكٍ بعد خروج بني دارمٍ منهم ، وما أبتغى في بني دارمٍ بعد خروج بني نهشلٍ منهم ، وما أبتغى في بني نهشلٍ إذا صرّخ الصارخُ لأمرٍ عظيمٍ بعد خروج جندلٍ منهم ، وما أبتغى في بني جندلٍ لِسارٍ يسرى ليليلٍ يطلبُ الضيافة ، أو أسيرٍ مكبّلٍ يطلبُ مَنْ يفكُّ أسرَهُ بعد افتقادِ خالد . كأنه [كان ^(١)] يأخذ بعضهم بما يتماسك به البعض الآخر ، وذلك البعضُ يتماسكُ بآخرٍ إلى آخرِ القصة . وهذا على ما رتبّه في نهاية الحُسن . وقوله « أمرٌ مُجَلَّلٌ » أى معظم . والسكبلُ : القيد ، ورجلٌ مكبّلٌ .

٣٥٧

وقال إياس بن الأرت ^(٢) :

١ - وَلَمَّا رَأَيْتُ الصُّبْحَ أَقْبَلَ وَجْهَهُ دَعَوْتُ أَبَا أَوْسٍ فَمَا إِنْ تَكَلَّمَا

٢ - وَحَانَ فِرَاقٌ مِنْ أَخٍ لَكَ نَاصِحٍ وَكَانَ كَثِيرَ الشَّرِّ لِلْخَيْرِ تَوْءَمَا

(١) هذه من ل .

(٢) ذكره ابن دريد في الاشتقاق ٢٣٥ في رجال طي ، من بني شحج . وفي القاموس (رتت) : « وإياس بن الأرت كرم شاعر » . وأنشد له الجاحظ شعراً في الحيوان (٢٥٩:٤) . ابن جني في المبهج : « هو مصدر أسته أوؤسه أوساً ، إذا أعطيته . وظنه السكري مصدر أيست من كذا ، وليس كذلك ، ولا لأيست مصدر ، لأنه مقلوب من يئست ، ولو كان له مصدر لم يكن كذلك مقلوباً ، ولسكان أيضاً تعتل فأؤه وعينه ، فيقال إست وأس . والأرت : الذى فى لسانه عجلة ، والأثنى رثاء » . ونظير إست أس : هبت أهاب . التبريزى : « وقال أبو العلاء : الأرت : الذى فى لسانه حبة ، وهى الرمة . واسم الأرت خالد » .

لَمَّا عَلِمَ لِلظَّرَفِ ، وهو لتوقع الشيء لوقوع غيره ، ولذلك احتاج إلى الجواب ، وجوابه هنا دَعَوْتُ . فيقول : لَمَّا دَنَا الصُّبْحُ وَأَقْبَلَ وَجْهُهُ يَنْفَلِقُ وَيُقْبَل ، دعوتُ هذا الرُّجْلَ — يعني المرثى — فما أجاب . وإنما خصَّ وقتَ تَذَشُّمِ^(١) الصُّبْحِ ، لأنَّ المريض يخفّ فيه ، فكأنَّه على عادته في تمرّضه ، وتعرّف خبره ، وتحذّبه عليه في العارض له ، دَعَاهُ فوجده ثَقِيلاً ، لَا يُجِيبُ وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانُهُ ، فتيقن منه قُربَ المفارقةِ والبُعَادِ بعدَ المقاربةِ ، فلذلك قال : « وَحَانَ فِرَاقٌ مِنْ أَخٍ لَكَ نَاصِحٌ » . ومعنى حَانَ : قَرُبَ . والنَّصَاحَةُ : صَفَاءُ الْوُدِّ ، وَخُلُوصُ الْعَقِيدَةِ مِنَ الْغِلِّ . وقوله « وَكَانَ كَثِيرَ الشَّرِّ » يعني مع منابذيه ومُشَاقِيهِ . ولن يكمل الفتى حتى يكون مُسْتَصْلِحاً لِلخَيْرِ وَالشَّرِّ ، فَيُحِلَّ النَّاسَ سَحَابَهُمْ ، وَيُوقِفَهُمْ مُسْتَحَقَّاتِهِمْ ، إِنْ خيراً فَخيراً ، وَإِنْ شَرّاً فَشَرّاً .

وقد عَمِلَ لَطِيفَةً فِي الصِّمَّةِ الثَّانِيَةِ فَقَالَ « لِلخَيْرِ تَوْمًا » لِيَجْعَلَ الْخَيْرَ وَلَدَ مَعَهُ فَنَشَأَ^(٢) بَنَشْتُهُ . يقال : غَلَامٌ تَوْمٌ ، لِأَنَّهُ وَلَدٌ مَعَهُ غَيْرُهُ . وَأَتَامَتِ الْمَرْأَةُ فَهِيَ مُتَمِّمٌ . وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْوَأَمِ ، وَالتَّاءُ فِيهِ بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ ، كَالْتَّاءِ فِي تَسْكَاةٍ وَمَا شَبَّهَهَا ، وَالْجَمْعُ تَوَامٌ ، وَقُفَالُ^(٣) فِي الْجَمْعِ قَلِيلٌ . كَأَنَّ الْوَلَدَ وَادِمَ غَيْرُهُ فِي الْإِتْيَانِ ، أَيْ وَافَقَ . وَفِي الْمَثَلِ : « لَوْلَا الْوِثَامُ هَلَكَ اللَّثَامُ »^(٤) . وَقَدْ اسْتَقْصَيْتُ الْقَوْلَ فِيهِ فِي شَرْحِ كِتَابِ الْفَصِيحِ .

٣ — تَتَابَعَ قِرْوَانُ بْنُ لَيْلَى وَعَامِرٌ وَكَانَ الشَّرُّورُ يَوْمَ ذَلِكَ مُدْمَماً^(٥)

(١) كَذَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « تَبَسُّمٌ » . (٢) ل : « يَنْشَأُ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَيَقَالُ » ، صَوَابُهُ فِي ل . وَقَدْ اخْتَلَفَ اللَّغَوِيُّونَ وَالنَّحْوَةُ الْقَدَمَاءُ فِي صِيغَةِ فَعَالٍ ، هَلْ هِيَ جَمْعٌ أَوْ اسْمُ جَمْعٍ . وَقَدْ صَنَعَ الْأَدِيبُ جَبْرَانَ النَّحَاسَ بِحَثٍّ عَنْوَانُهُ « صِيغَةُ فَعَالٍ لَيْسَتْ جَمْعاً » طُبِعَ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ سَنَةَ ١٩٤٧ بِمَطْبَعَةِ الْبَصِيرِ . وَانْظُرْ لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ لِابْنِ خَالَوَيْهِ ص ٢٣ .

(٤) انْظُرْ تَحْقِيقَهُ مَسْهَباً فِي حَوَاشِي مَقَابِيسِ اللُّغَةِ (٦ : ٨٠) .

(٥) كَذَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « مَا خَصَّ لِلْبَعْضِ » .

يريدُ : أنهم قد تداعوا في الذهاب ، وتقاطروا في الموت ، فمات الواحدُ بعقبِ الواحد ، كأنهم دُعوا بلسانٍ واحد فأجابوا ، وكان السرور يوم مات مُلَقَى مُهلِكاً غير باقٍ ، لأنَّ كلَّ مَنْ سَمِعَ بموته أخذَ قسطاً من الجزع له خفيَّ سرورُ النَّاسِ وظهَرَ جزعُهم . وقوله « يوم مات » يعنى أبا أوس . هذا من باب ما خَصَّ البعضُ بشيء من دون الجلة ، فأعيد ذكره . والدَّمدمة : الإهلاك والاستئصال . وفي القرآن : ﴿ فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ ﴾ . ويروى : « وكان السُّرُورُ يومَ ذاكَ مُدَمِّمًا ^(١) » .

٤ - هَمَمْتُ بَأَنْ لَا أُطْعِمَ الدَّهْرَ بَعْدَهُمْ حَيَاةً فَكَانَ الصَّبْرُ أَبْقَى وَأَكْرَمًا
قوله : « بَأَنْ لَا أُطْعِمَ الدَّهْرَ بَعْدَهُمْ » انتصب أطمع بأن ، ولورُفَعَ لجازٍ على أن يكون أنْ مخففة من الثَّقیلة ، ويكون اسمه مضمراً ، والفعل مع ما بعده خبرٌ . كأنَّهُ قال : هَمَمْتُ بِأَنْ لَا أُطْعِمَ حَيَاةً بَعْدَهُمْ ، أَيْ كُنْتُ وَطَنْتُ نَفْسِي عَلَى الزُّهْدِ فِي الْحَيَاةِ ، وَجَعَلْتُ قَتْلَ نَفْسِي مِنْ هَمِّي ، ثُمَّ نَظَرْتُ فَكَانَ الْإِتْسَاءُ بِالنَّاسِ فِي مَصَائِبِهِمْ ، وَالصَّبْرُ عَلَى مِقَاسَةِ الْبَلَاءِ مَعَهُمْ ، أَبْقَى فِي الذِّكْرِ ، وَأَحْسَنَ فِي الْأَحْدُوثَةِ ، وَأَكْرَمَ عِنْدَ الْأَفْعَالِ وَعَرَضَهَا عَلَى الْعُقُولِ . وروى : « أَتَقَى » بِالنَّاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَالْمَعْنَى أَوْقَى ، لِأَنَّ النَّاءَ مُبْدَلَةٌ مِنَ الْوَاوِ ، أَيْ أَضَوُّونَ لِلدِّينِ وَالْعِرْضِ .

٣٥٨

وقال قبيصة بن النضراني الجرمي ^(٢) :

١ - أَلَا يَا عَيْنُ فَاحْتَفِلِي وَبِكَيِّ عَلَى قَرْمٍ لَرِيبِ الدَّهْرِ كَافٍ

(١) كذا على الصواب في ل . وفي الأصل : « مدمما » . وروى التبريزي رواية ثالثة : « مدمما » بالذال المهملة ، وقال : « مدمم من دمت الشيء ، إذا طليته وغطيته » .
(٢) سبقت ترجمته في الخامسة ١٩٩ ص ٦١٠ .

٢- وما للعَيْنِ لَا تَبْكِي لِحَوْطٍ وَزَيْدٍ وَابْنِ عَمِّهِمَا دُفَافٍ

٣- وَعَبْدُ اللَّهِ يَا لَهْفِي عَلَيْهِ وَمَا يَخْفَى بَزِيدٍ مَنَاءَ خَافٍ

٤- وَجَدْنَا أَهْوَنَ الْأَمْوَالِ هُلُكًا وَجَدَّكَ مَا نَصَبْتَ لَهُ الْأَمَانِي

يقول : يا عينِ جاء وقتُ البكاءِ فتَهَيَّئي له ، واجمعي دموعكِ ثم فرقيها ، ولا مَسَاغَ لتقصير ، ولا تَجَالٍ لتعذير . والخَافِلُ من الغنم : التي جَمَعَت اللَّبَنَ في ضَرَعِهَا . ومعنى بَكَّى : أَكْثَرَى البكاءَ أو كَرَّرَ بِهِ ^(١) . والقَرْمُ : الكريم من الرجال ، وأصله في الفحول ، وكذلك المَقْرَم ، وقد تقدَّم ذكرُهُ ^(٢) .

وقوله « لِرَيْبِ الدَّهْرِ كَافٍ » قد حذف أحدَ مفعولي كَفَى ، كأنَّه كافٍ للناسِ رَيْبَ الدَّهْرِ ، أي ما رَابَ من أحداتِهِ .

ثم عَدَّدَ مَنْ فُجِعَ بِهِ مِنْ أَعْزَتِهِ فَوَجَبَ الْبُكَاءُ لَهُ ، لِيُعْلَمَ عَظِيمُ شِقَايِهِ وَمَا أَصِيبَ بِهِ فِي أَوْدَانِهِ .

وقوله « يَا لَهْفِي عَلَيْهِ » يجوز أن يكون المُنَادَى مُحذُوفًا كأنَّه قال : وَعَبْدُ اللَّهِ لَهْفِي عَلَيْهِ يَا قَوْمَ . ويجوز أن يكون نَادَى اللَّهْفِ لِيُرَى عَظِيمَ حَسْرَتِهِ ، وَكَمَالَ شِقْوَتِهِ فِي فَجَعَتِهِ .

وقوله « وَمَا يَخْفَى بَزِيدٍ مَنَاءَ خَافٍ » ، يجوز أن يكون موضعه رفعاً على أَنَّهُ يَرْتَفِعُ بِيَخْفَى ، فَكأنَّه قال : مَا يَخْفَى خَافٍ بَزِيدٍ ، أَي زَيْدٌ مَنَاءَ لَا يَخْفَى ، لِأَنَّ الْخَافِي هُوَ زَيْدٌ ، وَهَذَا كَمَا تَقُولُ : لَقِيتُ بَزِيدَ أَسَدًا . ويجوز أن يكون قوله « بَزِيدٍ » هُوَ الْفَاعِلُ وَالْبَاءُ فِيهِ مِثْلُ الْبَاءِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ ﴾

(١) ل : « وكرريه » .

(٢) انظر ما مضى في ص ١٠٠٦ .

شَهِيدًا . والمعنى ما يخفى زَيْدُ مَنَاءَ خَفَاءَ ، وخافٍ في موضع خَفَاءَ ، لكنَّه لم ينصبه كما لم يُنْصَبْ قوله :

* كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ ^(١) *

ومثله :

* كَفَى بِالنَّائِي مِنْ أَسْمَاءٍ كَافٍ ^(٢) *

وَقَتُ قَائِمًا ، وَعُدَّتْ بِاللَّهِ عَائِذَا ^(٣) ، وقد مضى مثله .

وقوله « وَجَدْنَا أَهْوَنَ الْأَمْوَالِ هُلُكًا » كَأَنَّهُ نَبَّهَ ^(٤) به على ما كانوا يُقِيمُونَهُ مِنَ الضَّيَافَةِ ، وَيُنْفِقُونَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ فِي الْعُقَاةِ وَأَبْوَابِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ ، وَأَنْ أَهْوَنَ الْأَمْوَالِ هَلَاكًا عَلَى نُفُوسِ الْكِرَامِ وَأَخْفَهَا فِي الصُّدُورِ وَالْقُلُوبِ مَا وَقِفَ عَلَى الْأَضْيَافِ ، وَصُرِفَ إِلَى مَا كُلُّهُمْ ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَشْبَهَ الْأَضْيَافَ . وَانْتَصَبَ « هُلُكًا » عَلَى التَّمْيِيزِ . وَمَعْنَى « وَجَدَكَ » وَحَقَّ جَدُّكَ .

وقوله « مَا نَصَبْتَ لَهُ الْأَتَانِي » فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي لَوْجَدْنَا . وَالْأَتَانِي ، وَاحِدَتُهَا أَتْنِيَّةٌ . وَيُقَالُ : تَقَيَّتِ الْقِدْرُ وَأَتْنَيْتُهَا . فَأَتْنِيَّةٌ أَفْعُولَةٌ . وَمَنْ قَالَ أَتْنَتْهَا فَأَتْنِيَّةٌ عِنْدِي فُعْلِيَّةٌ ؛ لِأَنَّ الْهَمْزَةَ أَصْلِيَّةً . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

* وَإِنْ تَأْتَيْكَ الْأَعْدَاءُ بِالرِّقْدِ ^(٥) *

(١) سبق قريباً في ص ٩٧٠ كما مضى في ص ٢٩٤ .

(٢) سبق مع قرينه في ص ٩٧٠ كما مضى في ص ٢٩٤ . وهو لبشر بن أبي خازم . وعجزه :

* وَلَيْسَ لِحَبَا إِذْ طَالَ شَافٌ *

وَالشَّاهِدُ فِيهِمَا تَرَكَ إِعْرَابَ الْمَعْتَلِ الْمَنْصُوبِ .

(٣) يعني وضع اسم الفاعل موضع المصدر .

(٤) ل : « يَنْبَهُ » .

(٥) صدره في الديوان ٢٦ :

* لَا تَقْذِفْنِي بِرُكْنٍ لَا كِفَاءَ لَهُ *

٣٥٩

وقال أبو صخرة البولاني^(١) :

- ١ — زُكَيْرَة وابنا أمِّه الهمُّ والمُنَى وفي الصَّدْرِ منهم كَلَمًا غَبْتُ هاجِسُ
٢ — أَوْدُهمُ وُدًا إذا خَاصَرَ الحَشَا أضاء على الأضلاعِ والليلُ دَامِسُ
٣ — بنى رَجُلٍ لو كان حَيًّا أعانني على ضَرٍّ أعدائي الذين أمارِسُ^(٢)

يعنى بزُكَيْرَة وأخويه أولاد أخيه ، وكان تُوفِّي والدُهم فصارَ هو كافِهم .
فيقول : هم الذين أهتمُّ لهم ، وأتمنَّى خيرَهم وبقاءَهم ، وأقصرُ همِّي على ما تستقيم به
أحوالُهم ، وتستتبُّ له أمورُهم ، ومتى^(٣) غبتُ عنهم كان في صدري هاجِسٌ من
الفسكِ فيهم ، وسألتُ من التوفُّر عليهم ، يُحوِّلان بيني وبين الذَّهاب عنهم ؛ فحسبى
غائبٌ عنهم ، وهوائى حاضرُهم . فهذه التى أشار إليها نتائجُ العِناية بهم ،
ومسبِّبات الرِّعاية فى النِّبابة عن أخيه فيهم . ثم أخذَ يذكر ما غرَسه الحبُّ فى
قلبه لهم ، ووعاء صدره من التَّحنُّن والشَّقَّة فى بابهم ، فقال : أَوْدُهمُ وُدًا إذا
خالَطَ الحشا فى ظُلْمَةِ الليل أضاء على الأضلاع . وإنما قال هذا لأنَّ الشَّيء إذا
أشرقَ بالليل وعند التَّباس الظَّلام ، فهو بالنَّهار أولى بالإشراق . فكانَّ المعنى
أنَّ طلائعَ حبِّهم فى مكامِنِ صدره مضيئةُ الأرجاء ، نيرةُ الأكنافِ ، فى كلِّ
حالٍ ووقت .

وقوله « بنى رجلٍ » يعنى أخاه ، كأنَّه ذكر ما يقتضيه فى أمرهم بما يأتية ،

(١) عبارة الإنشاد مطموسة فى نسخة الأصل . وفى ل : « أبو صخرة » ، صوابه فى
التبريزى وشروح سقط الزند ١٢٤٣ حيث أنشد البيت الثانى ، والقاموس (صخرة) . وبولان ،
بالفتح : حتى من طي .

(٢) التبريزى : « بنو رجل » .

(٣) فى الأصل : « ومعنى » ، صوابه فى ل .

فأشار إلى الدَّوَاعِي القائمةِ بينه وبين أولادِ الأخ ، فقال : أذكُرُ بني رجلٍ لو كان في بُحَلَّةِ الأحياءِ لأعانني على الأعداءِ ، وأنصفني من الزَّمانِ ، ودفع عني مِن مضرَّاتهم ومُنَّا كداتهم ما يخفُّ معه ظهري ، ويقوى فيه نهوضي وجذابي .

٣٦٠

وقال الغَطَّاشُ^(١)

من بني شَقِيرَةَ بن كعب بن ثعلبة^(٢) :

١ - أَلَا رَبَّ مَنْ يَغْتَابُنِي وَدَّ أَنْتَى أَبُوهُ الَّذِي يُدْعَى إِلَيْهِ وَيُنْسَبُ
٢ - عَلَى رِشْدَةٍ مِنْ أُمِّهِ أَوْ لَفْيَةٍ فَيَغْلِبُهَا فَحُلُّ عَلَى النَّسْلِ مُنْجِبُ
قوله « مَنْ يَغْتَابُنِي » مَن نَكَرَ وَيَغْتَابُنِي فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لَهُ ، وَ « وَدَّ أَنْتَى »
جَوَابُ رَبِّ . فَيَقُولُ : رَبَّ إِنْسَانٍ يَا كُلُّ لُحَى بَظْهَرِ الْغَيْبِ وَيَتَنَقَّصُنِي ، وَمَعَ
ذَلِكَ يَتَمَنَّى أَنْ أَكُونَ أَبَاهُ الَّذِي يُسَمَّى بِهِ وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ ، وَإِنَّمَا يَبْعَثُهُ عَلَى ذَلِكَ
الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ .

وقوله « عَلَى رِشْدَةٍ مِنْ أُمِّهِ أَوْ لَفْيَةٍ » فَإِنَّ عَلَى يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ أَنْتَى أَبُوهُ ، كَأَنَّهُ
يُرِيدُ : وَدَّ أَبَوَتِي سِوَاكَ كَانَ وَلَدًا حَلَالًا أَوْ حَرَامًا . وَالرِّشْدَةُ : اسْمُ الْهَيْئَةِ فِي الرِّشَادِ .
وَالْفَيْةُ : الْفَعْلَةُ الْوَاحِدَةُ مِنَ الْفَعْيِ . وَهَكَذَا يُخْتَارُ أَنْ يَقَالَ هُوَ لِرِشْدَةٍ بِكَسْرِ
الرَّاءِ ، وَلَفْيَةٍ بَفَتْحِ الْغَيْنِ . وَقَوْلُهُ « فَيَغْلِبُهَا » نَصَبُ جَوَابِ التَّمَنَّى بِالْفَاءِ ، وَالْعَامِلُ
فِيهِ أَنْ مَضْمُومَةٌ . وَهَذَا شَرْحُ الْفَيْةِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ وَلَدِي عَلَى رِشْدَةٍ ،
أَوْ يَغْلِبُهَا فَحُلُّ مُنْجِبٌ عَلَى النَّسْلِ فَتَأْتِي بِهِ لَفْيَةٍ . وَأَرَادَ بِالْفَحْلِ الْمُنْجِبَ نَفْسَهُ ،

(١) سَبَقَتْ لَهُ الْحَاسِيَةُ ٢٩٩ ص ٨٩٣ .

(٢) التَّبْرِيزِيُّ : « بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ ضَبَّةِ » . وَقَدْ كَرَّرَ أَبُو تَمَامٍ فِي هَذِهِ الْحَاسِيَةِ
الْبَيْتَيْنِ ٤ ، ٥ وَحَا بَيْتَا الْحَاسِيَةِ ٢٩٩ . وَقَدْ سَبَقَ نَظِيرُ هَذَا التَّكَرُّارِ فِي الْحَاسِيَةِ ٣٣ حَيْثُ
كَرَّرْتُ فِي رَقْمِ ٢٠٩ .

ويعنى بيبغلبها على النسل غلبة الشبه ليبرته من هجنتها . وإذا قال القائل وددت
أننى أجيئك فتكرمتى ، فقوله فتكرمتى انتصب ولم يعطف على أجيئك ، لخالفه
آخر الكلام أوّله ، وذلك أن قوله أننى أجيئك متمى غير واجب ،
وفتكرمتى ليس من التمنى^(١) بل هو واجب ، فلما خالفه نوى بالأول الاسم ،
وأضمر بعد الفاء أن ، لتكون الفاء عاطفة لاسم على اسم ، فكأنه قال : وددت
بحيى إليك فإكرامك لى . وكذلك إذا قال ألا ماء فأشربه ، يراد : لو كان
لى ماء لشربته ، تقديره : ألا ماء فشربه .

٣ - فبالخير لا بالشرّ فازج مودتى وأى امرئ يقتال منه الترهّب
كأنه أقبل على هذا المقتاب له ، الناحية أثلته ، المداحي له بعداوة كامنّة
مستحكمة فى الصدر فقال له : هذه المودة التى تظهرها من نفسك لى ، أزعج
انتفاعك بالخير لا بالشرّ ، لأنك إن فعلت غير ذلك فإنما تحتاج إلى إصلاحه من
نفسك^(٢) ، فأما إذا كانت المودة صافية ، والعقيدة خالصة ، فإن صاحبها لا يرجو
بها إلا خيراً ، وكيف يرجو غيره من ثماره وهو يغرس الخير لا الشرّ . وقوله
« أزعج مودتى » أى أزعج مودتك لى ، والمصدر يضاف إلى المفعول كما يضاف إلى
الفاعل . وقوله « وأى امرئ يقتال منه الترهّب » فعنى يقتال بحتكم ، وهو يقتل
من القول . يريد : أى رجل يحتكم عليه ومنه الترهّب ، التخوف ، وترك
السكون والأمنّة إليه . أى كيف يطلب وده على الرّهبنة منه .

٤ - أقول وقد فاضت بعينى عبرة أرى الأرض تنبى والأخلاء تذهب

(١) ل : « من التمنى » .

(٢) كذا وردت العبارة فى النسخين .

٥ — أَخِلَاءُ لَوْ غَيْرُ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ عَتَبْتُ وَلَكِنْ مَا عَلَى الدَّهْرِ مَعْتَبُ قَوْلُهُ « وَقَدْ فَاضَتْ بَعِيْنٌ عِبْرَةٌ » اعتراض بين الفعل ومعموله . وقَوْلُهُ « أَرَى الْأَرْضَ تَبَقَى » متّصل بقوله « وَقَدْ فَاضَتْ بَعِيْنٌ عِبْرَةٌ » ، وهو من جملة الاعتراض . ومفعول أقول البيت الثاني . فيريدُ : أقول وقد اتّصل بالبكاء مَنِي ، وسالت العَبْرَاتُ مِنْ عَيْنِي ، إذ كُنْتُ أَرَى الْأَرْضَ بَاقِيَةً ، وَالْإِخْوَانَ الْخُلَصَّ ذَاهِبَةً ، وَأَنَا لَا أَمْلِكُ شَيْئًا : أَخِلَائِي إِنِّي مَغِيْظٌ مَغْلُوبٌ ، مَأْخُوذٌ عَنْ عَزَائِي لِمَا أَتَاهُ الدَّهْرُ ، وَلَكِنِّي إِذَا أَفْكَرْتُ^(١) وَكَانَ سَبَبُ اخْتِرَائِكُمُ الْمَوْتَ الَّذِي تَتَسَاوَى فِيهِ الْأَقْدَامُ فَلَا يُبْقِي عَلَى شَرِيفٍ وَلَا وَضِيعٍ ، وَلَا صَغِيرٍ وَلَا كَبِيرٍ ، صَدَّنِي ذَلِكَ عَنِ الْمَعْتَبِ ، لِأَنَّ الْمَوْتَ لَا مَعْتَبَ عَلَيْهِ ؛ وَلَوْ كَانَ الْجَنَانِي فِيكُمْ ، وَالسَّالِبُ لَكُمْ غَيْرُ الْمَوْتِ لَعَتَبْتُ عَلَى الدَّهْرِ ، وَقُلْتُ وَأَكْثَرْتُ فِي مَوْضِعِ الْقَوْلِ ، وَاتْتَصَفْتُ وَأَسْرَفْتُ فِي مَوْضِعِ الْفِعْلِ . وَيَقَالُ عَتَبْتُهُ فَأَعْتَبَ ، أَيْ لُئِمْتُهُ فَأَرْضَى . وَيُرْوَى « أَخِلَائِي » بِالْقَصْرِ وَإِثْبَاتِ يَاءِ الْإِضَافَةِ ، وَ« أَخِلَاءُ » بِالْمَدِّ وَحَذْفِ يَاءِ الْإِضَافَةِ ، وَهَذَا أَجْوَدُ .

٣٦١

وَقَالَتِ امْرَأَةٌ^(٢) :

١ — أَلَا فَاقْصِرِي مِنْ دَمْعِ عَيْنَيْكَ لَنْ تَرَى أَبَا مِثْلِهِ تَنْمِي إِلَيْهِ الْمَفَاخِرُ

(١) ل : « فَكَرْتُ » . وَالْإِنْكَارُ وَالتَّكْفِيرُ بِمَعْنَى .

(٢) قَالَ أَبُو رِيَّاسٍ : « وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لِمُحَمَّدِ بْنِ بَشِيرٍ ، أَحَدِ بَنِي الْحَارِجِيَّةِ ، يَرْتُلِي بِهَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زُعْمَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمَطْلَبِ » . وَأَبُو عُبَيْدَةَ هَذَا وَالْدَّهْنَدُ أُمُّ مُحَمَّدٍ وَإِبْرَاهِيمُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ ، وَجَدَهُ زُعْمَةُ كَانَ أَحَدَ « أَزْوَادِ الرُّكْبِ » . فَذَكَرَ أَبُو رِيَّاسٍ أَنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ حَسَنٍ دَعَاهُ فَقَالَ ! إِنَّ هَذَا قَدْ جَزَعْتَ عَلَى أَبِيهَا فَقُلْ أَبْيَاتًا تَسْلِيهَا بِهِنَ عَنْهُ . فَقَالَ : قَدْ قُلْتُ ، فَقَالَ : قُمْ فَادْخُلْ . فَدَخَلَ إِلَيْهَا وَهُوَ مَعَهُ فَقَالَ :

٢- وقد عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَّ بَنَاتِهِ صَوَادِقُ إِذْ يَنْدُبْنَهُ وَقَوَاصِرُ
تقول متسليةً ورافعةً الطَّمَعِ من أن يكون الجزعُ يَرُدُّ فائتًا ، فقالت كُفَى
من دمع عينيكَ ، وَنَهْنِهِي عِبْرَاتِكَ ، فَإِنَّكَ لَنْ تَرَى مَنْ تَعْتَاضِيَنَهُ مِنْ أَيْبِكَ
الذي كَانَ إِلَيْهِ يَنْتَمِي الْمَفَاخِرُ . ومعنى « تَنْمُو إِلَيْهِ الْمَفَاخِرُ » أنه غايةُ الْمَفَاخِرِ ،
فهو إِلَيْهِ تَنْتَمِي . وَيُرْوَى : « يَنْمُو إِلَيْهِ الْمَفَاخِرُ » بضم الميم ، والمعنى يَرْتَقِي إِلَيْهِ
الْمَفَاخِرُ إِذَا نَافَرَ خَصَمَهُ وَجَاذَبَهُ .

وقولها « وقد عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَّ بَنَاتِهِ صَوَادِقُ » استشهدتْ بطوائفِ الأَقْوَامِ
على اختلافها ، وَذَكَرَتْ أَنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا أَنَّ بَنَاتِ هَذَا الْمُتَوَفَّى فِيمَا يَنْدُبْنَ بِهِ أَبَاهُنَّ
وَيَذَكُرْنَهُ مِنْ فَضَائِلِهِ وَإِفْضَالِهِ ، آتِيَتْ بِالصَّدَقِ غَيْرِ الْكَذِبِ ، وَعَاجَزَاتٌ عَنْ
بُلُوغِ الْغَايَةِ الَّتِي يَسْتَحَقُّهَا أَبُوهُنَّ الْمُرْتَى ، فَإِنَّ الْقَوْلَ لَا يُحِيطُ بِحَدِّهِ ، وَالْوَصْفُ
لَا يَنْظُمُ كُنْهَ حَقِّهِ .

٣٦٢

وقال آخر^(١) :

١- سَقَى جَدًّا وَارَى أَرِيبَ بْنَ عَسْعَسٍ مِنْ الْعَيْنِ غَيْثٌ يَسْبِقُ الرَّعْدَ وَابِلُهُ

= إِذَا مَا ابْنُ زَادِ الرِّكْبِ لَمْ يَمْسُ بِأَنَا
فَقَوَى اضْرَبِي بِأَهْنَدِ عَيْنِكَ لَنْ تَرَى
وَكُنْتُ إِذَا مَا شِئْتُ سَنَيْتُ وَالِدَا
وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ بَنَاتَهُ
فَقَامَتْ فَصَاحَتْ هِيَ وَجَوَارِيهَا وَجَعَلَ يَصِيحُ مَعَهُنَّ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ دَعَوْتُكَ
تَعَزَّيْهَا فَهَيَّجَتْهَا عَلَى السَّكَاةِ . فَقَالَ : وَمِمَّا كُنْتُ عَسَى أَنْ أُعْزَى بِفَتْ [ابْنِ] زَادِ الرِّكْبِ ،
مَنْ يُعْزِي أَنَا عَنْهُ ، لَا وَاللهَ لَا أُعْزَى عَنْهُ وَلَكِنِّي آمُرُ بِالْحَزَنِ عَلَيْهِ وَأَحْضُ عَلَى ذَلِكَ .

(١) التبريزي : « وقال القلاخ . قال أبو هلال : في الشعراء ثلاثة يقال لهم القلاخ .
أحدهم القلاح الراجز بن حزن بن جناب بن منقر ، القائل :
= * أَنَا الْقَلَاخُ بْنُ جَنَابٍ بْنُ جَلَا *

٢ - مُلْكٌ إِذَا أَلْقَى بِأَرْضٍ بَعَاغَهُ تَعَمَّدَ سَهْلَ الْأَرْضِ مِنْهُ مَسَائِلُهُ
دَعَا لِقَبْرِ الْمَرْثَى بِالسُّقْيَا ، وَهُوَ أَرَيْبُ بْنُ عَسَمَسَ . وَمَعْنَى « مِنْ الْعَيْنِ »
مِنْ السَّحَابَاتِ الَّتِي تَنْشَأُ مِنْ عَيْنِ الْقَبْلَةِ ^(١) وَهِيَ أَغْزَرُ ، فَلِذَلِكَ خَصَّهَا . وَقَوْلُهُ
« يَسْبِقُ الرَّعْدَ وَابِلَهُ » يَطْلُبُ بِهِ الْكَثْرَةَ . وَالْوَابِلُ : الْمَطَرُ الضَّخْمُ الْقَطَرُ ، وَإِذَا
سَبَقَ الْمَطَرُ الرَّعْدَ كَانَ النَّوْءُ أَغْزَرَ .

وقوله « مُلْكٌ » لم يرض بأن يكون سُقْيَاهُ عَارِضًا ، وَلَكِنْ جَعَلَ الْغَيْثَ
مُلْكًا ، وَهُوَ [بِمَعْنَى ^(٢)] مُقِيمٌ . وَقَوْلُهُ « إِذَا أَلْقَى بِأَرْضٍ بَعَاغَهُ » يَرِيدُ إِذَا جَاءَ
مَطَرُهُ عَلَى أَرْضٍ فَوَضَعَ أَثْقَالَهَا بِهَا امْتَلَأَتْ الْوِهَادُ ، وَتَعَمَّدَتْ الْمَسَائِلُ بِطَوْنِ
الْأَبَاطِحِ السَّهْلَةِ . وَالْبِعَاغُ : الثَّقُلُ ، وَالْجَهَّازُ . يُقَالُ : بَعَّ السَّحَابُ بَعًّا وَبَعَاغًا .
إِذَا أَلْحَ بِمَكَانٍ فَأَلْقَى بَعَاغَهُ فِيهِ .

٣ - فَمَا مِنْ فِتْيَ كُنَّا مِنْ النَّاسِ وَاحِدًا بِهِ نَبْتَغِي مِنْهُمْ عَمِيدًا نُبَادِلُهُ
٤ - لِيَوْمٍ حِفَاطٍ أَوْ لِدَفْعِ كَرِيهَةٍ إِذَا عَيَّ بِالْحِمْلِ الْمَعْضَلِ حَامِلُهُ
قَوْلُهُ « فَمَا مِنْ فِتْيَ » يَتَّ فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ ، وَتَلْخِيصُهُ مُبَيِّنًا مُعَادًا كُلَّ
شَيْءٍ إِلَى مَوْضِعِهِ : مَا مِنْ فِتْيَ مِنَ النَّاسِ كُنَّا نَبْتَغِي بِهِ وَاحِدًا مِنْهُمْ عَمِيدًا نُبَادِلُهُ ^(٣) .
فَعَلِيَ هَذَا قَوْلُهُ « مِنَ النَّاسِ » مِنْ صِفَةِ الْفِتْيَ ، وَبِهِ يَعُودُ الضَّمِيرُ إِلَى الْفِتْيَ .
وَالْمَعْنَى : كُنَّا بِسَبَبِهِ نَبْتَغِي وَاحِدًا مِنْهُمْ - أَيْ مِنَ النَّاسِ - عَمِيدًا ، مِنْ صِفَةِ

= وَالْآخِرُ الْقَلَاخُ بْنُ زَيْدٍ أَحَدُ بَنِي عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ ، وَهُوَ الْفَائِلُ :

وَلَا يَسْتَوِي يَازِيدُ دَرَجَ وَيَجْرُ وَصَدَرَ سَنَانٌ فِي الْحُرُوبِ مَحْرَبُ

وَالْقَلَاخُ الْعَنْبَرِيُّ ، ذَكَرَهُ دَعْبَلُ فِي شِعْرَاءِ الْبَصْرَةِ . وَهَذَا هُوَ قَلَاخُ بْنُ حَزْنٍ . وَانْظُرْ
لِلْمَوْلُفِ ١٦٨ وَالْإِشْتِقَاقَ ١٥٣ وَاللَّأَلِيَّ ٦٤٧ وَالشِّعْرَاءَ ٦٨٨ .

(١) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « مِنَ السَّحَابِ الَّتِي تَنْشَأُ عَنِ الْقَبْلَةِ » ، وَفِيهِ تَحْرِيفٌ .

(٢) يُمَثِّلُهَا يَلْتَمِسُ الْكَلَامَ .

(٣) انْظُرْ مُعَاهِدَ التَّنْصِيصِ (١ : ١٦) . وَهُوَ فِي تَقْيِيدِهِ شَبِيهُ بِقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مَمْلُكًا أَبُو أُمِّهِ حَتَّى أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

الواحد ، لأننا جعلنا واحداً مفعولاً لنبتغي . نُبادِلُهُ ، أى نُبادِلُ به الناسَ ،
فحذف الجارَّ وقال نبادله . على هذا قول عاري الطائي :

* وليس من القوتِ الذي هو سابقه ^(١) *

أى سابقُ به . وخبر ما محذوف ، كأنه قال : ما فتى ذا صفته بموجودٍ في
الدنيا ، وما أشبهه .

وقوله « ليوم حِفاظٍ » اللام تعلق بقوله نبادله ، [أى نُبادِلُ ^(٢)] به لهذا
الشان ، وهو أن يحافظ على حسبه محافظة الكرام ، أو يدافع الكرائة
والشدائد لدى الجدَل والخِصام ، في وقتٍ من الزَّمان يعزُّ من العشرة من يكفيه
الهزيمة ، وترى الداهض بالاثقال لتضاعف المؤن والبلايا يعيا بما يحمله فيعهده
داء عضالاً . وأصل العضل : المنع والتصيق . ويقال عضلت المرأة وعضلتها ،
إذا منعته من التزويج . وعضلت بولده وأعضلت ، إذا عسرت ولادها ^(٣) .

٥ - وذى تُدرًا ما الليث في أصل غابة بأشجع منه عند قرنٍ يُنازله ^(٤)

٦ - قبضت عليه الكف حتى تُقيده وحتى يفي للحق أخضع كاهله

قوله « وذى تُدرًا » الواو عاطفة ، وانجرت ذى بإضممار رُب . وتُدرًا : تُفعل
من الدرء ، وهو الدفعُ بشدة . فيقول : رُبَّ رجلٍ هكذا ما الأسدُ في خِدره
بأقوى قلباً منه عند نظيره له في بأسه وشِدته ينازله . فقوله « ما الليث » إلى آخر
البيت ، من صفة ذى تُدرًا . والغاية : الأجمة . وإنما قال « في أصل غابة »

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « من الموت » ، من حماسية تأتي في الرابع . وصدره :

* إلى المنتذر الحير بن هند تروده *

(٢) التكملة من ل .

(٣) الولاد : الولادة . وفي الأصل : « ولدها » ، صوابه في ل .

(٤) التبريزي : « في أصل غابه » .

إشارة إلى دخوله وتمكّنه من غايتها . والمنازلة إنما تكون عند تضاييق المجال وتَدَانِي [أطراف ^(١)] موضع الالتقاء ، عن الإقدام والإحجام .

وقوله « قبضت عليه الكف » يقول : جمعت عليه قبضتك فمنعته عن الانفصال عند الخروج من إسارك ، حتى أمكنك من الاقنياد منه ، وحتى عاد كاهله خاضعاً للحق راضياً به . والخطاب بجميع هذا للمرثى . وإنما يصفه بحسن الثبات في معاركة الخصوم ومزاوتهم ، وأنه باقى الصبر في استيفاء الحقوق عليهم . وقوله « كاهله » يجوز أن يرتفع بقوله يعني ^(٢) . ويجوز أن يرتفع على البدل من المضمّر في يعني ، وحينئذ يحتمل ضميراً لذي تُدرا . وأخضع ينتصب على الحال في الوجهين جميعاً ، ويجوز أن يرتفع أخضع فيكون خبراً مقدّماً ، وكاهله يكون مبتدأ . والأخضع : الذى فى عنقه انخفاض وتطاطؤ .

٧ - فَنَّى كَانَ يَسْتَحْيِي وَيَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَلْحَقُ بِالْمَوْتِ وَيَذَكَّرُ نَائِلُهُ

[راجع الإخبار عنه ثانياً ^(٣)] فيقول : هو فَنَّى كان الحياه يملكه فلا يتعاطى ما يقبُح فى الأحداث ، ولا يسمع منكراً إلاّ ألغاه ، ولا رأى مستشنعاً إلاّ رفضه وأقصاه ، ليطيب مسمع ما يروى عنه ، ومنظره فيما يشاهد منه . وقوله « ويعلم أنه سيلحق بالموتى » يقول : تيقن أن الخلود لا مطمع فيه ، فإنّ الذى له من المال ما يقدمه لمُتُوبه ، وأدّخاراً لأُكرومة ، إذا تحدّث عنه بها كان ذِكْرُهُ حَيّاً وإن كان الشّخص فينا مغيباً .

(١) التكملة من ل .

(٢) ابن جني : « أراد ينى » ، أى يرجع ، لحذف الهزرة البتة ، كما حكى عنهم : جا يجي ،

وسا يسو .

(٣) التكملة من ل .

٣٦٣

وقال الضبي :

- ١ - أَأَبَى لَا تَبَعْدَ وَلَيْسَ بِخَالِدٍ حَتَّى وَمَنْ تُصِيبِ الْمَنُونُ بَعِيدُ
- ٢ - أَأَبَى إِنْ تُصِيبْ رَهَيْنَ قَرَارَةٍ زَلَّجَ الْجَوَانِبِ قَعْرُهَا مَلْحُودُ^(١)
- ٣ - فَلَرُبَّ مَكْرُوبٍ كَرَزَتْ وَرَاءَهُ فَمَنْعَتَهُ وَبَنُو أَبِيهِ شُهُودُ
- ٤ - أَتَفَا وَمَحْمِيَّةً وَأَنْتَكَ ذَائِدُ إِذْ لَا يَكَادُ أَخُو الْحِفَاظِ يَذُودُ
- ٥ - وَلَرُبَّ عَانَ قَدْ فَكَّكَتْ وَسَائِلِ أَعْطَيْتُهُ فَعَدَا وَأَنْتَ حَمِيدُ
- ٦ - يُبْنِي عَلَيْكَ وَأَنْتَ أَهْلُ ثَنَائِهِ وَلَدَيْكَ إِمَّا يَسْتَرِذُكَ مَزِيدُ

البيت الأول يشتمل على أنواع ثلاثة من الكلام : فقوله « لَا تَبَعْدَ » ما يُندب [به ^(٢)] الموتى على إظهار الفاقة إلى حياته ، وقد مرَّ القول فيه ^(٣) . وقوله « وَلَيْسَ بِخَالِدٍ حَتَّى » تَسْلِي ^(٤) وإيمانٌ بمَحْتَمِ القَدَر ، وأنَّ ذلك يوجب على المصاب الصَّبْرَ والانتِساءَ بفرق الخلق . وقوله « وَمَنْ يُصِيبِ الْمَنُونُ » ^(٥) بعيد

(١) التبريزي : « زلج » . والزلج ، بالفتح : الدحس المزلّة ، وهو وصف بالمصدر . ويقال مكان زلج أيضا بفتح فسكسر . وكتبت إني ل لتقرأ « زلج » و « زلج » بنقطة في الأعلى . وأخرى في وسط الجيم ، وهما بمعنى .

(٢) هذه من ل .

(٣) انظر ما مضى في ٨٩٢ ، ٩٠٥ .

(٤) في الأصل : « تشك » ، صوابه في ل .

(٥) التبريزي : « قال أبو العلاء : قوله ومن تصيب المنون جزم بمن ، ولم يأت للشرط بالجواب . وهذا على إرادة الفاء ، كأنه قال : ومن تصيب المنون فهو بعيد . ومثله : من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلاً أراد : فاقه يشكرها . ومثله قول أبي ذؤيب :

فقال تحمل فوق طوقك لأنها مطبوعة من يأتها لا يضيرها » .

تَبْرُوْهُ من الجرى على عادة الناس في المصائب واعتراف بأن الموت يبعد الالتقاء بين الأحياء والأموات ، فلا تَزَاوَرْ ولا تَراوُلْ ، ولا تَخاطُبْ ولا تَكاتُبْ . فكلُّ هذا تحسُّرٌ وتوجُّعٌ .

وقوله « أَأَبَىٰ إِنْ تُصْبِحَ رَهِيْنَ قَرَارَةٍ » جواب الشرط أوَّل البيت الذي يليه ، وهو قوله « فَرُبَّ مَكْرُوْبٍ » . والمعنى : إِنْ خَلَيْتَ مَكَانَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَصِرْتَ مَرَهُونًا فِي قَرَارَةِ قَبْرِ زَاقِي الْجَوَانِبِ ، صَرِيْعُهُ لَا يُنْعَشُ ، وَرَهِيْنُهُ لَا يُفَكُّ ، وَأَسِيْرُهُ لَا يُتَخَلَّصُ بِمَنْ وَلَا فِدَاءَ ، وَلَزِيْمُهُ لَا يَتَمَلَّسُ ^(١) لَوْ قَتِرَ وَعِدَادٍ ، فَارْبَمَا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا . وقوله « قَعْرُهَا مَلْحُودٌ » ، تصويرٌ للقبر بلعده .

وقوله « فَرُبَّ مَكْرُوْبٍ كَرَّرْتَ وِرَاءَهُ » يريد : رُبَّ مُضَيِّقٍ عَلَيْهِ أَسْلَمَهُ بَنُو أَبِيهِ لَمَّا امْتَحَنَ بِهِ حَتَّى تَمَكَّنَ الْعَدُوُّ مِنْهُ ، أَنْتَ تَعَطَّفْتَ عَلَيْهِ ، وَصَرَفْتَ عَنَّا يَتَكَ إِلَيْهِ ، فَخَفَّفْتَ ثِقْلَهُ ، وَأَلْقَيْتَ عَنْهُ وَزْرَهُ ، وَدَفَعْتَ مِنْ قُوْرَتِهِ ^(٢) دُونَهُ ، وَمَوَالِيَهُ مِنْ بَنِي الْأَعْمَامِ وَغَيْرِهِمْ حُضُورٌ لَا يَرَعَوْنَ لَهُ إِلَّا ، وَلَا يَحْفَظُونَ لَهُ عَهْدًا .

وقوله « أَنْفًا وَحَمِيَّةً » انتصب على [أَنَّهُ ^(٣)] مفعول له ، وما بعده معطوفٌ عليه وفي معناه ، كَأَنَّهُ ذَكَرَ الْعِلَّةَ الْمَوْجِبَةَ لِمَا أَتَاهُ فَقَالَ : فَعَلْتَ ذَلِكَ حَمِيَّةً وَأَنْفَةً ، وَأَنَّ عَادَتَكَ الْمَدَافَعَةَ عَنْ كُلِّ مَنْ يَتَعَلَّقُ بِجَبْلِكَ ، أَوْ يَتَمَسَّكُ بِعُرْوَةٍ مِنْ عُرَى عَنَّا يَتَكَ ، غَرِيْبًا كَانَ أَوْ نَسِيْبًا ؛ وَهَذَا نَفْعُهُ فِي وَقْتٍ يَزْهَدُ

(١) التملس : التمس والتفلت . في الأصل : « التمسك » ، صوابه في ل .

(٢) المألوف في التعبير « من فوره » أى قبل أن يسكن . لكنه أراد المرة من الفور .

(٣) التكملة من ل .

الناس في الإحسان ، لشدة الزمان ، ويُرَى المحافظ ممسكاً والمراعي مُهملاً .
 وقوله « ولربَّ عانٍ قد فككت » فالعاني : الأسير ، وأصله من عنا يعنوا ،
 إذا خضع . على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ . فيقول :
 ربَّ مأسورٍ أخرجته من ضيقِ الإِسارِ إلى سعة الأمان ، فأطلقت كِبَلَهُ ،
 ونزعت غُلَّهُ ؛ وربَّ سائلٍ اجتدك فأغنيته ، وعن التجوال أقعدته ، فانصرف
 عنك وهو يُثني عليك ويتشكَّرُ^(١) . نعمتك ؛ وقد استحققت عليه ذلك بما
 أسديته إليه ، ولو عاد إليك لوجد معاداً لا ضجر منك يلحقه ، ولا سامة فيك
 تمحقه ، وإن استزاد زِدته ، لا يَمْنَع من موجود ، ولا يُحال على مفقود .

٣٦٤

وقال عكرشة أبو الشغب^(٢)

يَرثي ابنه شغباً :

- ١ — قد كان شغبٌ لو أن الله عمَّره عزاً تَزَادُ بهِ في عزِّها مُضَرُّ
 - ٢ — فَارَقْتُ شغباً وقد قَوَّسْتُ مِنْ كِبَرٍ لِبَيْسَتِ الْخَلْقَانِ الشُّكْلُ وَالْكِبَرُ
- يعظمُ شأنَ ابنه ، وذلك أنه كان قد برع في فضله ، وورد أبوابُ الملوكِ
 فقبلته العيونُ والقلوبُ نباهةً وخلاوةً ، وتوجَّهاً وتقْدُماً . فقال : لو أنَّ القضاء
 أمهلَ ابني شغباً ولم يُعاجِلْهُ^(٣) عن استكمالهِ ، وعن الاستمتاعِ بما توحَّد به من
 فضائله ، لكان بقاءه عزاً مُستجداً لِقَبَائِلِ مُضَرِّ كُلِّهَا ، تُضَيِّفُهُ إلى عزِّها ،
 وتُتَبَجَّحُ باستقرارها .

(١) هذا ما في ل . والنشكر : الشكر . وفي الأصل : « ويشكر » .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ٣١٤ ص ٩٢٧ .

(٣) في الأصل : « يعالجه » ، صوابه في ل .

وقوله « فارقْت شَفَبًا » عاد إلى ما يخصُّ نفسه من الفَجَع بموته ، والجزع
الفراقه ، فقال : فارقته والكِبَرُ قد صالحنى ، وحنى ظهري ، وانتقصَ جَلْدِي ،
وأوهنَ قُوَايَ ، ولا أملَ في إدراكِ مثله ، ولا استقلالَ بالنَّهْوضِ بأعباءِ أهله . ثم
قال متحسِّراً : بُسَّتِ الْخَلَّتَانِ الْمُجْتَمِعَتَانِ لِي تُكَلِّمَنِي لَا يُعْتَاظُ مِنْهُ أَبَدَ
الدَّهْرِ ، والكِبَرُ المَقْصَرُّ للأمل ، المقَرَّبُ ليومِ الأَجَلِ .

٣٦٥

وقال آخر يرثى ابنه :

- ١- اللَّهُ دَرُّ الدَّافِنِيكَ عَشِيَّةً أَمَا رَاعَهُمْ فِي الْقَبْرِ مَثْوَاكَ أَمْرَدَا
٢- مُجَاوِرَ قَوْمٍ لَا تَزَاوَرُ بَيْنَهُمْ وَمَنْ زَارَهُمْ فِي دَارِهِمْ زَارَ هُمُودَا

قوله « اللَّهُ دَرُّ الدَّافِنِيكَ » ، فدَرُّ ، وإن كان في الأصل مصدراً فقد لَزِمَ
هذا الموضعَ وجرى الكلمةُ به لكثرة الاستعمال بحرى : اللَّهُ خَيْرُكَ ، فلا يعمل في
ظرفٍ ولا في حالٍ ، ولا في شيء مما يعمل فيه أمثاله من المصادر . فيقول
على وجه التعجُّب من الذين تولَّوا دَفَنَهُ في عَشِيَةِ يَوْمِهِ : اللَّهُ دَرُّهُمْ ، أَمَا أَفْرَعَهُمْ
مُقَامُكَ فِي الْقَبْرِ عَلَى اسْتِقْبَالِ شَبَابِكَ ، ونضارة غصنِكَ وقُرْبِ ميلادِكَ ، حين
لم تجتمع نفسك ، ولا تَوَجَّهَ وَجْهُكَ . وفي طريقته قول الآخر^(١) :

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالِكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ^(٢)

(١) هو الفارعة ، أو فاطمة ، أو ليلى بنت طريف ، أخت الوليد بن طريف . حساسة
البحرئى ٤٣٥ ، ووفيات الأعيان في ترجمة الوليد بن طريف .

(٢) أنشد القالى أربعة أبيات من قصيدة البيت في الأمالي (٢ : ٢٧٤) وفي العقد

(٣ : ٢٧٩) ستة أبيات منها ، على حين أنشد ابن خلكان القصيدة بأجمعها .

وأبلغ منهما قول الآخر^(١) :

أَبْعَدَ قَتِيلٍ بِالْمَدِينَةِ أَظْلَعَتْ بِهِ الْأَرْضُ تَهْتَزُّ الْعِضَاءُ بِأَسْوَاقِ
وَانْتَصَبَ «أمرد» على الحال ، وأصل التمرد التمس والأنجراد . يقال :
صخرة مرداة ، إذا لم ينبت عليها شيء .

وقوله «مجاور قوم لا تزاور بينهم» هذا حال الأموات فيما بينهم ،
يتجاورون ولا يتزاورون ، ومن زارهم من الأحياء منا انصرف عنهم بالخبيبة ،
والزيادة في الغمة والخسرة . والهمد : جمع همد ، وهو الميت ؛ وأصله من همود
النار . ويقال للثوب إذا بلى : قد همد .

٣٦٦

وقال لبید^(٢) :

١ - لعمري لئن كان المخبر صادقاً لقد رزئت في حادث الدهر جعفر^(٣)
٢ - أخا لي أمّا كل شيء سألته فيعطى وأمّا كل ذنب فيعفى
يرى بهذا أربداً أخاه . وقوله «إن كان الخبر صادقاً» فهو قد علم صدق
الحديث ، لكنه لاستعظامه للنبأ ، وخامة أمر المتوفى في النفوس وعنده ،
يرجع على الخبر بالكذب ، ويدخل الشك على المشهود والمسموع ، كما قال
الآخر^(٤) :

(١) هو الشماخ بن ضرار . وسيأتي في المحاسنة ٣٨٨ .

(٢) هو لبید بن ربيعة بن مالك بن جعفر العامري ، الشاعر المشهور ، وأحد مخضرمي
الجاهلية والإسلام . ابن سلام ٤٨ والشعراء ٢٣١-٢٤٣ والأغاني (١٤ : ٩٠ - ٩٨)
والحرانة (١ : ٣٣٤ - ٣٣٩) وطبقات ابن سعد (٦ : ٢٠) وأسد الغابة والإصابة
والاستيعاب .

(٣) الأبيات في ديوان لبید ٣ طبع ١٨٨١ .

(٤) هو النابغة يرضى حصن بن حذيفة بن بدر ، كما في شروح سقط الزند ٨١٣ .

* يقولون حصن ثم تأتي نفوسهم^(١) *

واللام من «لعمري» لام الابتداء ، ومن قوله «لئن» هي الموطئة للقسم ، ومن قوله «لقد» هي جواب القسم .

والمعنى : وبقائي لئن ورد هذا الخبر من صادق بري من الحسد والتزيد ، مؤدرا لما تحققه سماعاً أو عياناً ، لقد أصيبت قبيلة جعفر بن كلاب فيما حدث من ريب الدهر بمرزنة عظيمة فظيعة .

وقوله «أخالي» انتصب عن «رُزئت جعفر» ، أي رُزئت شقيقاً لي هذا صفته ، وهو أن سماحته وتكرمه كانا يبعثانه على بذل كل حسنة تقترح عليه ، وأن سلاسته وسهولته تدعوانه إلى التجافي عن كل سيئة تبدر إليه .

٣٦٧

وقالت زينب بنت الطثرية^(٢) ، ترثي أخاها :

١- أرى الأمل من بطن العميق مجاورى مقيماً وقد غالت يزيد غوائله^(٣)

الأمل : شجر . وإنما قالت ما قالت منكراً ومستوحشة ، إذ كان الحكم

(١) مجزؤه : * فكيف بحصن والجبال جنوح *

(٢) كلمة «بنت» ساقطة من النسخين .

(٣) الطثرية أمها ، وهي من الطثر ، بالفتح : حي من اليمن . قال ابن خلكان : «الطثرية بفتح الطاء المهملة وسكون التاء المثناة» . وضبطها صاحب الفاموس بالتحريك . وهي ترثي بهذه الأبيات أخاها يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر ، وكان يزيد جبلاً شريفاً متلاًفاً ، توفي سنة ١٢٦ . وروى أبو الفرج في الأغاني (٧ : ١١٦) أن الأبيات لأم يزيد ، وهي من الأزد . قال : ويقال لأنها لوحشية الجرمية .

(٤) الأبيات في حماسة البحتري ٤٣٣ ، والبيان للجاحظ (١ : ٢١٦) والأغاني وأمالى القالى (٢ : ٨٥) . والبيتان ٢ ، ٣ من هذه المقطوعة قد رويا فيما مضى في الحماسية ٣١١ للعجير السلولي . قال القالى : «وفيها أبيات تروى للعجير السلولي ولها» .

عندها أن تتغير الأمور عن مقارها لموت أخيها ، فتتحول الأحوال وتبدل الأبدال ، وتتخضع الجبال ، وتتقلع الأشجار ؛ فلما جرى الأمر بخلافه أخبرته متوجهة ومتحسرة ، فقالت : إن بطن العقيق ومنابت أئله بما تحويه أرى مقيا في جوارى على ما كان عليه ، وأخى يزيد قد دعاه محتوم القضاء فذهب به غوائله . ويقال : غالته الغوائل ، أى أهلكته المهلكات ، وهذا كما يقال : علقته به العلوق . وانتصب « مقيا » على أنه مفعول ثانٍ لأرى ، ومجاورى فى موضع الجر على أنه صفة لبطن العقيق .

٢ - قَتَّى قَدْ قَدَّ السِّيفُ لَامْتِضَائِلٌ وَلَا رَهِيلَ لِبَاتِهِ وَأَبَاجِلُهُ^(١)
وصفه بأنه فى خِلقة السيف تجرّداً واقتضاباً ، وعلى خُلقه مضاء ونفاذاً . وقوله « لامتضائل » يريد أنه شهيم حتى النفس والقلب ، جرى المقدم ، لا يتخاضع لشيء ولا يتماوت على حدث . والضوولة ، أصله الدقة . والرهيل : المسترخى . يصغه بقلّة اللحم على الصدر والساق . والأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق^(٢) . وذكر الأباجل وهو يريد مواضعها . وجمعه كما يقال هو ضخم العنانين ، كأنه أراد ما حوله .

٣ - إِذَا نَزَلَ الْأُضْيَافُ كَانَ عَذُورًا عَلَى الْحَيِّ حَتَّى تَسْقِلَ مَرَاجِلُهُ
العذور : السّيء الخلق ، القليل الصبر فيما يطلبه ويهم به . وإذا ظرف لقوله « كان عذورا » . وصفه بأنه يجمع الحى لأمره فيطاع ، لسيادته وجلالة محله ، وأنه إذا نزل به الأضياف قام بنفسه فى إقامة القرى لهم ، غير معتمد على أحد فيه ، وأنه يعرض له وفى خلقه عجلة يركبها ، وتشدد فى الأمر والنهى على جماعة الحى به يصرفها ، حتى تنصب المراحل ، وتهب المطامع ، فإذا ارتفع

(١) التبريزى : « وبأدله » ، وهى رواية البحرى والقالى أيضاً .

(٢) هو عرق فى باطن الذراع ، أو هو عرق غليظ فى الرجل .

ذالك على مَرَادِهِ عاد إلى خُلُقِهِ الْأَوَّل . والمراجِل : جمع مِرْجَل ، وهى القِدْر العظيمة النحاسية . واستقلَّها : انتصابها على الأثافي . وَحَتَّى تَسْتَقِلَّ ، أراد لتستقل وكى تستقل . أى كان عَذْوَرًا لذلك الشأن .

٤ — مَصَى وَوَرِثَنَاهُ دَرِيسَ مُفَاضَةٍ وَأَبْيَضَ هِنْدِيًّا طَوِيلًا حَمَالَةً
يقول : أجاب دَاعِيَهُ فَمَصَى لَوَجْهِهِ ، وَوَرِثَنَاهُ دَرِيسَ مُفَاضَةٍ . فانتصب دريس على أَنَّهُ مَفْعُول ثانٍ . ويقال : وَرِثْتُهُ كَذَا وَوَرِثْتُ مِنْهُ كَذَا . فعلى هذه اللُّغَةِ كان أَصلُهُ وَرِثْنَاهُ مِنْهُ ، فَحَذَفَ الْجَارَ ، وَوَصَلَ الْفِعْلَ فَعْمِلَ . والدَّرِيس : الْخَلْقُ مِنَ الدَّرْعِ وَغَيْرِهِ ، لِأَنَّهُ كَأَنَّهُ فَعْمِلٌ بِمَعْنَى مَفْعُول . وَالْجَمْعُ الدَّرَسَان . وَالْمُفَاضَةُ : الدَّرْعُ الْوَاسِعَةُ . وَأَبْيَضَ ، أَيْ وَسِيفًا أَبْيَضَ . وَجَعَلَهُ طَوِيلًا الْحَمَائِلَ لَطَوِيلِ قَوَائِمِهِ . وَالْمَعْنَى أَنَّهُ أَنْفَقَ مَالَهُ فِي مَا أَدَّخَرَهُ أَجْرًا ، وَنَشَرَهُ حَمْدًا وَشُكْرًا ، فَلَمْ يَكُنْ إِرْثُهُ إِلَّا مَا ذَكَرَ مِنَ السَّلَاحِ .

٥ — وَقَدْ كَانَ يُرْوَى الْمَشْرِفَى بِكَفِّهِ وَيَبْلُغُ أَقْصَى حَبْرَةِ الْحَيِّ نَائِلُهُ^(١)

وصفه بأنه كان غزاءً شديد النكاية في الأعداء ، فكان يُعْطَى السيفَ حَقَّهُ إِذَا أَعْمَلَهُ ، وَيُرْوَاهُ مِنْ دِمَاءِ مُشَاقِّهِهِ وَمُنَابِذِيهِ إِذَا جَرَّدَهُ ، وَيَبْلُغُ أَبْعَدَ نَاحِيَةِ الْحَيِّ عَطَايَاهُ . وَإِنَّمَا قَالَتْ « يُرْوَى الْمَشْرِفَى بِكَفِّهِ » لِأَنَّهُا تَرِيدُ أَنَّ نَهْضَتَهُ فِي ذَلِكَ بِنَفْسِهِ خَاصَّةً مِنْ غَيْرِ اعْتِمَادٍ عَلَى حَمِيمٍ أَوْ غَرِيبٍ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَجْرُ الْجُرَائِرَ عَلَى ذَوِيهِ ثُمَّ يَتْرَكُهُمْ لَهَا ، وَلَسَكَنَ كُلُّ مَا أَتَاهُ أَوْ تَجَسَّمَهُ بِنَفْسِهِ لَا بغيرِهِ .

٦ — كَرِيمٌ إِذَا لَاقِيَتَهُ مَتَبِّسًا وَإِمَّا تَوَلَّى أَشْعَثُ الرَّأْسِ جَافِلُهُ

قولها « كَرِيمٌ » ارتفع على أَنَّهُ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مُحْذُوفٌ . أَرَادَتْ : هُوَ كَرِيمٌ إِذَا لَاقِيَتَهُ مَتَبِّسًا . فَانْتَصَبَ « مَتَبِّسًا » عَلَى الْحَالِ . وَجَوَابُ إِذَا يَدُلُّ عَلَيْهِ كَرِيمٌ .

(١) هذا البيت وتاليه وتفسيرهما ساقط من نسخة الأصل ، وإثباتهما مع تفسيرهما من ل .

فتقول : إذا لقيته راضياً ساكناً متبسماً لا قيت منه طلقة الكرام وأفعالهم ، وإن أعرض عنك وولّى وجدته أغبر الرأس كثير الشعر ، لا يهتفه أمر نفسه في اللباس والطعام ، وإنما به الغزو والسقى في إصلاح أمر العشيرة ، وما يكسبه الجمال والشرف .

وقولها « أشعث الرأس » أى اغبر شعره وتلبّد . والفعل منه شعث شعثاً وشعوثةً ، وهو أشعث وشعث . وقولها « جافله » من قولهم : أخذت جفلةً من الصوف ، أى جزءاً منه . وفى كلام لهم عن الضائنة : « أجز جفلاً^(١) » . ويقال : جافل ، ومجفل .

٧ — إذا القوم أموا بيته فهو عامدٌ لأحسن ما ظنّوا به فهو فاعله يجوز أن يريد بالقوم رجال الحى خاصة ، ويجوز أن يريد به طوائف الرجال ، ويكون المراد به الكثرة . وإنما وصفته بأنه مدبر العشيرة عندما يدهمهم ، والمشير عليهم فيما يحزبهم ، فإذا قصدوا حضرته قائلين ما نأمر وكيف نصنع ؟ أرشدهم وهداهم ، وتحمل عنهم ما يثقل عليهم . ثم بعد ذلك تعمّد إلى أحسن ظنونهم به فيأتيه معهم لا متبرئاً ولا متكرهاً ، بل باسطاً من آمالهم ، وجامعاً الحسن^(٢) فى كل باب لهم .

٨ — ترى جازريه يزعدان وناره عليها عداميل الهشيم وصاميله

٩ — يجران ثنيا خيرها عظم جارة بصيراً بها لم تغد عنها مشاغله^(٣)

(١) هو مما وضعوه على لسانها . وفى اللسان : « أولد رخالا ، وأحلب كنباً ثغالا ، وأجز جفلاً ، ولم تر مثلى مالا » . قوله جفلاً ، أى أجز بمرة واحدة ، وذلك أن الضائنة إذا جزت فليس يسقط من صوفها إلى الأرض شئ حتى يجز كله ويسقط أجمع .

(٢) ل : « الحسنى » .

(٣) التبريزى : « عظم جاره » .

جعلت له جازرين على عادتهم في جعلهم أصحاب المهن فيهم اثنين اثنين ، كالباثن والمستغلي في الخشب ، والماتح والقابل في الاستقاء . وجعلهما يرعدان لشدة البرد ، وإنما تعني وقت الجذب وعند إحمال الناس . والعذاميل : العتيق من الخشب الغليظ ، واحدها عذمول على القياس وعذمي . والصامل : اليابس . والمعنى : إذا اشتد الزمان وشمل القحط واشتد البرد ، كان له جازران ينحران ، ونارُهُ عظيمة وقودها من الحطب الغلاظ العتيق ؛ وترى العفاة والمضرورين ^(١) بالفناء نازلين ، وذوى الحاجة من جوانب الحى يعترئون ، وهو يقتسم فيهم ما يرضيهم .

وقولها « يجران ثنيا » يعنى الجازرين . والثنى : التى ولدت بطنين ، وهى مما يضمن بها . وقولها « خيرها » تريد : خير أبدائها ومفاصلها البدء الذى يجعل لجارة له قد عرفها ، فهو بصير بها وبحالها . وليست تعنى جارة بعينها ، إنما المراد الكثرة ، فالجارات على ذلك لا تتخطاها أشغاله المزدحمة ، ولا يغض العناية بها الأسباب المتراكمة ، بل قد وصى بها وبأمثالها فيتفقذن بأوفر الأنصبا عند قسمة الجزور . وقالت « بصيراً بها » والفعل للمرئى ، فجرى على غير من هوله ، لأنه تبع الجارة ، وإذا كان كذلك فالواجب كان عليها أن تظهر ضميره فتقول بصيراً بها هو ، لأن اسم الفاعل والصفة المشبهة إذا جرى واحد منهما على ما قبله صفة أو صلة أو حالاً أو خبراً لم يحتمل الضمير كما يحتمله الفعل ، ليضعفه وانحطاط منزلته . وأكثرت أصحابنا على أنه لا بد من ذلك ، حتى أن أبا الحسن كان يلحن الكلام إذا لم يجر على هذا السنن . والكوفيون وبعض أصحابنا يجوزون ترك إظهاره . وهذه الشاعرة دعتها الضرورة إلى وضع المتصل موضع المنفصل ، فتركت التغير . وقولها « لم تعد

(١) المضروور : الذى أصابه الضر . فى الأصل : « المصرودين » صوابه فى ل .

عنها « أى لم تصريف . يقال : عدت بيننا عواد ، أى صرقت صوارف .

٣٦٨

وقال أبو حكيم المري^(١) :

- ١ - وكنت أرجى من حكيم قيامه على إذا ما النعش زال ارتدانياً
٢ - قدّم قبلى نعشه فارتديته فياويح نفسى من رداء علانياً
النعش : شبيهه بالمحفّة ، كان يُحمّل عليه الملك إذا مرض ؛ ثمّ كثر حتى
سمي النعش الذى فيه الميت نعشاً . يقول : كنت أوّل فى حكيم ابني أن يمهّل
وينفس من عمره ، فيقوم على إذا ميت ، ويرتدى نعشى إذا حلت ، ثمّ بعد
ذلك يقضى فيما أحلفه عليه ، وأعتمد على كفايته وخلافته ، فخاب أملى وكذبى
ظنّى ، وقدّم قبلى ، فارتديت أنا نعشه ، فوا بلاء نفسى من رداء علانى بنعشه . وقوله
« ارتدانياً » تفسير لقيامه عليه^(٢) . وقد وضع الماضى موقع المستقبل ؛ أى يرتدى
فى ذلك الوقت . ولو ساق الكلام على تلازم لقال : قيامه على وارتدائه إثائى
إذا ما النعش زال ارتدانياً ، أى يرتدى ، فيكون إذا ما النعش زال ظرفاً ،
وارتدانى مفعول أرجى . أى أرجوه يرتدىنى إذا ما النعش زال .

(١) قال التبريزى : وكان أبو حكيم قد قال :

يقر بعينى وهو يقصر مدتى مرور الليالى أن يشب حكيم
مخافة أن يقتلنى الموت دونه ويفشى بيوت الحمى وهو يتيم

(٢) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « على » .

٣٦٩

وقال مُنْقِذُ الْهَلَالِي^(١) :

١ - الدَّهْرُ لَا يَمَّ بَيْنَ الْفَتْنَا وَكَذَاكَ فَرَّقَ بَيْنَنَا الدَّهْرُ

٢ - وَكَذَاكَ يَفْعَلُ فِي تَصَرُّفِهِ وَالدَّهْرُ لَيْسَ يَنَالُهُ وَتَر

نَسَبَ مَا انْفَقَ عَلَيْهِ وَعَلَى مُجِبِّهِ إِلَى الدَّهْرِ ، فَقَالَ : الدَّهْرُ جَمَعَ بَيْنَنَا وَسَوَّى الْفَتْنَا ، فَلَمَّا أَرَادَ كُلُّ مَنَا أَنْ يَفْرَحَ بِصَاحِبِهِ كَمَا يَهْوَاهُ ، وَيَتَمَتَّعَ بِهِ وَيَتَمَلَّاهُ ، فَرَّقَ بَيْنَنَا وَشَتَّتْ شَمْلَنَا ، فَعَادَ مَا كُنَّا نَأْمُلُهُ مِنَ التَّمَلُّقِ وَالِاسْتِمْتَاعِ تَبَايُنًا وَتَوَجُّعًا^(٢) .

ومعنى وكذلك فَرَّقَ بَيْنَنَا : ومثلُ ذاك . وأشار إلى ما دلَّ عليه لاءٌ من التَّأْلِيفِ . يريد : وكتأليفه فَرَّقَ أَيْضًا . وكرَّرَ لفظ الدَّهْرَ تَفْخِيمًا . وموضع كذلك نصبٌ على الحال من فَرَّقَ بَيْنَنَا . وقوله « وكذلك يفعل في تَصَرُّفِهِ » يريد أن الدهر في مصارفه فَعَالٍ لِمَثَلِ مَا فَعَلَ بِنَا ، يَهَبُ وَيَرْتَجِعُ ، وَيُؤَلِّفُ وَيَفَرِّقُ وَلَا يَتْرَكُ شَيْئًا عَلَى حَالِهِ إِلَّا رَيْثًا مَا يُسَلِّطُ عَلَيْهِ التَّغْيِيرَ . وقوله « والدهر ليس يناله وتر » يريد أنه يَتَرُّ غَيْرَهُ فَلَا يُوتَرُ ، وَيَنْكِى فَلَا يُجَازَى ، فَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا الْإِسْتِسْلَامُ لِحُكْمِهِ ، وَالرِّضَا بِمَحْتَمِهِ . وهذا الذي جعله للدَّهْرِ ، الْفَاعِلُ لَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، تَعَالَى عَنِ الْأَشْبَاهِ .

٣ - كُنْتُ الضَّيْنِ بَعْنُ أَصِبتُ بِهِ فَسَلَوْتُ حِينَ تَقَادَمَ الْأَمْرُ

٤ - وَلَخَيْرُ حَظِّكَ فِي الْمَصِيبَةِ أَنْ يَلْقَاكَ عِنْدَ نُزُولِهَا الصَّبْرُ

(١) هو منقذ بن عبد الرحمن بن زياد الهلالي . قال المرزباني في المعجم ٤٠٤ : « بصرى خليع ماجن ، متهم في دينه ، برى بالزندقة ، كان في صدر الدولة العباسية » . وأنشد له هذه الأبيات ما عدا الثاني منها . وكان من أصحاب والبة ومطيع وبشار وابن المقفع وأبان . الأغاني (١٦ : ١٤٣) .

قوله « كُنْتُ الضَّيْنِ » تشكُّ^(١) من الفراق الواقع بينه وبين مَنْ يرثيه ، وإظهارُ لصنِّه كانَ به ، وتنافسُه فيه . فيقول : كنت لا أضبرُ عنه ، وأعدُّ الأوقاتَ التي لا أراه فيها كُثْلَمَةً في العيش ، ونقيصةٍ من زَاكِي الحظِّ ، إذ كنتُ لا أرى طيبَ العيش إلاَّ معه ، ولا أعرف طعمَ الحياة إلا في مُحِبَّتِهِ ، فلما افترقنا وتقدَّامَ العهدُ بيننا سلَّوتُ عنه ، حتَّى كَأَنِّي لم يَجْمَعْنِي وإيَّاهُ حَالٌ . وهذا الكلامُ منه استقصارٌ لجزعه ، واعترافٌ بأنَّه لم يَفْعَلْ كُنْهَ الواجبِ عليه عند الرِّزِيَّةِ .

وقوله : « وَخَيْرُ حَظِّكَ » يريد : خيراً أنصباؤك فيما تُصاب به وتَعَنُّوْهُ ، أن يتقلَّك الصَّبْرُ عند الصَّدْمَةِ الأولى لتصونَ به دينَكَ ونفسَكَ وعقلَكَ ، لأنَّ المرجعَ إليه ، فألَّا يَتَسَلَّى الإنسانُ تَسَلَّى البهائمِ أَحْسَنُ . وفي هذه الطريقة قول الخُرَيْمِيِّ :
وإِنِّي إِذَا أَظْهَرْتُ صَبْرًا وَحِسْبَةً وَصَانَعْتُ أَعْدَائِي عَلَيْكَ لَمُوجِعٌ
وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْكَ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ

٣٧٠

وقالت ابنة ضَرَّارِ الضَّبِّيَّةِ^(٢)

تَرَى أَخَاها قَبِيصَةَ بنِ ضَرَّارِ^(٣) :

١ — لَا تَبْعَدَنَّ وَكُلُّ شَيْءٍ ذَاهِبٌ زَيْنَ الْمَجَالِسِ وَالنَّادِي قَبِيصَا
« لا تبعدن » لفظة قد مرَّ القولُ فيها فيما تقدَّم^(٤) . وقوله « وكلُّ شيء ذاهبٌ »

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « تسل » .

(٢) التبريزي : « مية ابنة ضرار الضبية » .

(٣) كان قبيصة بن ضرار أحد فرسان ضبة . وكان قد شهد السكاب الثاني حين اجتمعت مذبح لقنال تميم ، فهزمتهم تميم وقتلوا قائدهم عبد ياقوت بن صلاة . وكان هذا السكاب قبل الإسلام بقليل . الأغاني (١٥ : ٧٠ — ٧٢) .

(٤) انظر ص ٨٩٢ ، ٩٠٥ .

تَسَلَّى . كأنَّهَا قَالَتْ مَتَوَجَّعَةً : لَا تَبْعُدْ ، ثُمَّ عَقَّبَتْهُ ^(١) بِالتَّسْلَى فَقَالَتْ : وَكُلَّ حَتَّى
مَنَا مَيْتٌ ، وَكُلُّ أَمْرٍ فِينَا مَتَغَيَّرَ يَازِينَ الْجَالِسِ وَالنَّدَى يَا قَبِيصَةَ . وَقَوْلُهَا « وَكُلُّ
شَيْءٍ ذَاهِبٌ » اعْتِرَاضٌ بَيْنَ الْمَنَادَى وَبَيْنَ الدُّعَاءِ لَهُ . وَاجْلَلِ الْمَعْتَرِضَةَ بَيْنَ أَنْوَاعِ
الْكَلِمِ تَفِيدُ فِيهَا التَّنْأَكِيدَ وَتَحْقِيقَ مَعَانِيهَا . وَقَوْلُهَا « زَيْنَ الْجَالِسِ وَالنَّدَى » ،
إِنَّمَا ذَكَرْتُهُمَا وَهِيَ وَاحِدَةٌ لِأَنَّهَا أَرَادَتْ بِالْجَالِسِ مَجَالِسَهُ خَاصَّةً إِذَا قُصِدَ لِإِزَالِ
الْحَاجَاتِ بِهِ ، وَاسْتِخْرَاجِ الْمَطَالِبِ مِنْهُ . وَأَرَادَتْ بِالنَّدَى نَادَى الْحَيِّ . وَانْتَقَصَبَ
قَبِيصَةُ عَلَى أَنَّهُ عَطَفَ الْبَيَانَ لِيَا زَيْنَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى تَكَرُّرِ النَّدَاءِ وَقَدْ
رَحَّخَهُ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : يَا زَيْنَ الْجَالِسِ يَا قَبِيصَةَ .

٣ — يَطْوِي إِذَا مَا الشَّخْ أَبْهَمَ قُفْلَهُ بَطْنًا مِنَ الزَّادِ الْخَبِيثِ خَمِيصًا
يَصِفُهُ بِقِلَّةِ الشَّرِّه ، وَأَنَّهُ لَا يَرْغَبُ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا إِلَّا فِيمَا يَزِينُ
وَلَا يَشِينُ ، وَيُسْتَطَابُ وَلَا يُسْتَحْبَثُ . وَقَوْلُهُ « إِذَا مَا الشَّخْ أَبْهَمَ قُفْلَهُ » ،
يُرِيدُ إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ فَصَارَ كُلُّ مَالِكٍ لَشَيْءٍ يَبْخُلُ بِهِ حَتَّى لَا يُمْكِنَ انْتِزَاعُهُ
مِنْهُ . وَإِذَا رَوَيْتَ « أَبْهَمَ قُفْلَهُ » عَلَى مَا لَمْ يَسْمَ فَاعِلُهُ ، فَالْمَعْنَى أَحْكَمَ أَمْرُهُ
وَجُعِلَ كَالْفَرَضِ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ التَّجَوُّزَ . وَإِذَا رَوَيْتَ « أَبْهَمَ قُفْلَهُ » جَعَلَ
الْفِعْلَ لِلشَّخْ ، كَأَنَّ لَهُ قُفْلًا يُبْهِمُهُ . وَإِبْهَامُهُ : أَنْ يَجْعَلَهُ عَلَى وَجْهِهِ لَا يُدْرَى
كَيْفَ يُفْتَحُ . فَيَقُولُ : هَذَا الرَّجُلُ يَطْوِي بَطْنًا لَهُ صَغِيرًا مُضْطَمِرًّا مِنَ الزَّادِ
السَّيِّئِ ، إِذَا تَمَلَّكَ الْبَخْلُ النَّاسَ لَشِدَّةِ الزَّمَانِ ، فَجَعَلَهُمْ كَذَلِكَ .

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « علقته » .

٣٧١

وقال عكرشة الضبي^(١) يرثي بنيته :

١ - سقى الله أجداثاً ورأى تركتها بحاضر قنسرين من سبل القطر^(٢)

٢ - مضوا لا يريدون الرّواح وغالهم من الدهر أسباب جرّين على قدر^(٣)

الأجداث : القبور ، وكذلك الأجداث بالغاء . ويعنى بالأجداث قبور بنيته . ودعا لها بالشقيا وجعل موضعها بحاضر قنسرين ، إجلالاً لها وتنبيهاً عليها . وقوله « من سبل القطر » مفعول ثان لسقى الله . والمعنى : سقى الله هذه القبور التي وصفتها من ماء السحاب ما سال على عجلة وبشدة . وخص ذلك لأنها أعذب المياه عندهم . والقصد في طلب الشقيا لها أن تبقى عهودها غصة محمية من الدروس ، طريقة لا يتسلط عليها ما يزيل جذتها ونضارتها . ألا ترى أنه لما أراد ضد ذلك قال :

* فلا سقاهاً إلا النار تضطرم^(٤) *

وقوله « مضوا لا يريدون الرّواح » يريد : ساروا لا يعرجون على شيء ، فلا يريدون لبثاً ولا مقاما ، بل استعجلوا فتمجّلوا ، وأهلكهم من أحداث

(١) النبريزي : « عكرشة العبسي » ، وهو الصواب ، وهو أبو الشغب العبسي الذي ترجم في ص ٩٢٧ .

(٢) البيت ١ ، ٢ ، ٥ في مجالس نعلب ٢٤٢ . والبيت ٥ وقبله بيت آخر لم يروه أبو تمام في اللآلي ٤٢٨ . وهذا البيت هو :

غطارفة زهر مضوا لسبيلهم ألحني على تلك الغطارفة الزهر
وروايه نعلب : « فتينا ورأى تركتهم » .

(٣) نعلب : « ثوا » .

(٤) صدره كما سبق في ص ١٠١ :

* إذا سقى الله أرضاً صوب غادية *

الدَّهْرُ أَسْبَابُ جَاءَتْ عَلَى قَدَرٍ ، فَكَأَنَّهُمْ كَمَا دُعُوا أَجَابُوا ، وَكَأَنَّهُمْ أَخَذُوا ،
لَا تَلَوُّمْ وَلَا اخْتَلَفْ ، وَلَا قُصُورٌ ^(١) وَلَا امْتِنَاعٌ .

٣ - وَلَوْ يَسْتَطِيعُونَ الرِّوَا حَ تَرَوُّوْهُوَ مَعِيَ وَغَدَوْا فِي الْمُضْبِحِينَ عَلَى ظَهْرِ

يقول : وَلَوْ قَدَرُوا فِيمَا هُمُوهَا مِنْ سَيْرِهِمْ عَلَى النَّزُولِ رَوَّاحًا لَتَرَوُّوْهُوَ مَعِيَ ،
وَلَعَدَوْا ^(٢) فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الثَّانِي عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ وَلَمْ يَصِيرُوا مَعَ الْأَمْوَاتِ فِي
بَطْنِهَا مَأْخُودِينَ عَنْ حَظْوْظِهِمْ ، لَسَكَنَهُمْ اسْتَعْمَرُوا فِي الْفَارَقَةِ فَعَلَّ مَنْ لَا يَمْلِكُ
إِلَّا ذَاكَ ، وَلَا اخْتِيَارَ لَهُ فِيمَا يَرْكَبُهُ .

وهذا الكلامُ منه تَوْجَعٌ وَتَحَسُّرٌ ، حِينَ أَتَوْا مِنْ حَيْثُ لَمْ يَشْعُرُوا ، وَطَوَّلُوا
بِمَا لَا رَجْعَةَ فِيهِ وَلَا اسْتِبْقَاءَ وَإِنْ اسْتَنْظَرُوا .

٤ - لَعَمْرِي لَقَدْ وَاَرَتْ وَضَمَّتْ قُبُورُهُمْ أَكْفًا شِدَادَ الْقَبْضِ بِالْأَسْلِ الشَّمْرِ

٥ - يُدَكِّرُنِيهِمْ كُلُّ خَيْرٍ رَأَيْتُهُ وَشَرٍّ فَمَا أَنْفَكُ مِنْهُمْ عَلَى ذِكْرِ

يقول : وَبَقَائِي ، لَقَدْ اشْتَمَلَتْ قُبُورُهُمْ عَلَى فُرْسَانِ شُجْعَانٍ ^(٣) يَمْلِكُونَ
بِالطَّعْنِ أَكْفًا شِدَادَ الْقَبْضِ عَلَى الرَّمَا حَ . وَإِنَّمَا قَالَ « وَارَتْ وَضَمَّتْ » لِأَنَّ
الْمُؤَارِيَّ هُوَ السَّائِرُ ، وَسَائِرُ الشَّيْءِ يَكُونُ ضَامِنًا وَغَيْرَ ضَامِنٍ ^(٤) . وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ
يَجْعَلَ الْقُبُورَ مُؤَارِيَّةً وَضَامِنَةً ، فَلِذَلِكَ جَمَعَ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ . ثُمَّ عَقَّبَ هَذَا بِأَنْ
قَالَ : يُدَكِّرُنِيهِمُ الْأُمُورُ الَّتِي انْتَهَى إِلَيْهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَخْلُو مِنْ
أَنْ تَكُونَ نَافِعَةً أَوْ ضَارَةً ؛ فَإِنْ كَانَتْ نَافِعَةً كَانَتْ خَيْرًا ، وَكَانَتْ عَمَلَهُ

(١) فِي الْأَصْلِ : « تَصُور » ، صَوَابُهُ فِي ل .

(٢) هَذَا الصَّوَابُ مِنْ ل . وَفِي الْأَصْلِ : « وَأَخَذُوا » .

(٣) ضَبَطْتُ فِي الْأَصْلِ بِضَمِّ الشَّيْنِ ، وَفِي لَ بِكَسْرِهَا . وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ الْأَخِيرَةُ حَكَاهَا الْأَخْيَانِيُّ .

(٤) انْفَقَتْ النِّسَخَتَانِ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ الضَّامِّ بِالضَّامِنِ ، وَمَعْنَاهُمَا مُتَقَارِبٌ .

دِيمَةً^(١) مع مَنْ يتسبَّب إليه بجرمة ، أو يُدِلَّ بِأَصْرَةٍ . وإن كانت ضارَّةً كانت شَرًّا ، وهو الذى يَشْقَى به من يُشَاقُّه ويعانده ، حتَّى لا يُخْلِيه منه أو من تَرْقِيهِ^(٢) ساعةً ، فلا أزال ذا كَرٍّ له بما أَعْتَبِرُهُ من أمور الدُّنْيَا وأحوالها ، وأَنْتَهَى إليه فَأَتَمَّلُهُ من مَسَبَّاتِهِ فى طوائف النَّاسِ بعده . ويقال : ما انفكَّ يفعل كذاً ، بمعنى ما زال . والدُّكْرُ ، بضم الدال ، يكون بالقلب ؛ والدُّكْرُ بكسر الدال ، يكون باللسان .

٣٧٢

وقال رجلٌ من بني أُسْدٍ^(٣) :

يرثى أخاه وكان مَرِيضٌ فى غُرْبَةٍ ، فسأل الخُروجَ به هَرَبًا من موضعه ،
فمات فى الطريق :

١ - أَبْعَدْتُ مِنْ يَوْمِكَ الْفِرَارَ فَمَا جَاوَزْتَ حَيْثُ انْتَهَى بِكَ الْقَدْرُ

٢ - لو كان يُنْجِي من الرَّدَى حَذَرُ نَجَّاكَ مِمَّا أَصَابَكَ الْحَذَرُ

يُروى : « أَبْعَطْتُ » ، والإبعاط والإبعاد متقاربان . فالإبعاط : الإسراع فى السَّير . ويقال : أَبْعَطْتُ من الأمر ، إذا أَيْتَه وهَرَبْتَ منه . ويُروى : « أَسْرَعْتُ من يومك الْفِرَارَ » والأوَّلُ أشهر وأجود ، لأنَّ مِنْ يَتَعَلَّقُ فيها بأبعدت .

(١) أى دائماً : وفى حديث عائشة رضى الله عنها أنها ذكرت عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : « كان عمله ديمة » ، شبهته بالديمعة من المطر فى الدوام .

(٢) كذا فى النسختين . والترق : التدرج ، وليس من المحتم أن تكون « ترقية » .

(٣) التبريزى : « ويقال إنها لابن كناسة » . وقد نسبته كذلك ابن خلكان فى ترجمة حماد الراوية ، وذكر أن محمد بن كناسة يرثى حماداً الراوية بهذا الشعر . وسبقه بهذه النسبة ابن النديم فى الفهرست ١٣٥ . أما الجاحظ فى البيان (١ : ٢٥٧) . فأتى بذلك مبهماً إذ قال : « وقال بعض الشعراء فى بعض العلماء » . والبيت الرابع من هذه المقطوعة ينطق بتصحيح هذه النسبة .

والمعنى : فَرَرْتَ مِنْ أَجْلِكَ فِرَاراً بَعِيداً . ومعنى « من يومك » من آخر أَمَدِكَ . وإذا رويت « أسرع » احتجبت إلى إضمار فعلٍ يتعلّق به من ، ولا يجوز تعلّقه بأسرعت ، ولا بالفرار لأنه يكون من صلته وقد قدّم عليه . وقوله « فما جاوزت حيث انتهى بك القدر » يريد أن الحذر لا يُغنى عن القدر ، وأنك وإن تحزمت^(١) في تغيير الأماكن تبتاعداً من الحذور ، وتنقلت في المنازل هرباً من القدر المحتوم ، فما وجدت فيه وافية لنفسك ، ولا جاوزت الوقت المرصّد لحينك . وجعل قوله « حيث انتهى » اسماً ، فهو في موضع المفعول لجاوزت . ومثله في القرآن : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ﴾^(٢) . ومن تحكيّ كلامهم وفصيحه : « هي أحسن الناس حيث نظر ناظر » ، يعني وجهها .

وقوله : « لو كان يُنجي » جواب لو قوله « نجاك » . والمعنى : إنك لم تُؤتَ من تضجيعٍ وقع منك ، أو إغفالٍ اعترض دون طالبك ؛ فلو كان يخلص من الموت توقّ لوقاك ما أخذت به نفسك من الحذر الشديد ، والهرب البعيد ؛ ولكن هو الموت الذي لا منجى منه ولا مهرب عنه . وكلّ هذا النوع توجّع وتحسّر ، واعتراف بالقصور والعجز لدى مُبرم القضية .

٣ - يَرْحَمُكَ اللَّهُ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ لَمْ يَكُ فِي صَفْوِ وُدِّهِ كَدَرٌ

٤ - فَمِثْكَ يَذْهَبُ الزَّمَانُ وَيَفِي الْعِلْمُ فِيهِ وَيَذْهَبُ الْأَثَرُ

قوله « يرحمك الله » استسلام . والرحمة من الله الإحسان والعفو ، ومعنى

(١) التجزم : اتخاذ الحزم . وهذه رواية ل . وفي الأصل : « حرمت » وهذه محرفة

من « حزمت » .

(٢) هذه هي قراءة جمهور السبعة ، وقرأ ابن كثير وحفص : « رسالته » بالتوحيد .

انظر ما سبق في حواشي ٤٤١ ، وكذلك ص ٥٧٣ .

« من أخى ثقة » دخل من للتبيين ، أى من أخ يُوثق بودّه ، ويُؤمّن غلّه وو بال حسّده ، وإذا صافى الوداد وافق باطنه ظاهره ، ولم يك ذا وجهين يُعطيك حَصْرَتُهُ خلاف ما يُعطيك غَيْبَتُهُ .

وقوله « فهكذا يذهب الزمان » يريد أن ما رآه وأصابه ليس بمستبدع من حدّثان الدهر ونوائبه ، بل استمراره قديماً وحديثاً على وجه واحد ينقرض أهله كما أتاه ، ويفنى فيه كلُّ معلوم حواه ، ويدرس كلُّ أثرٍ اقتناه ووّعاه . وهذا الكلام إظهارُ اليأس من المفقود ، وتضعيفُ الطّمع فى بقاء الموجود .

٣٧٣

وقالت أم قيس الضبية :

١ — مَنْ لِلْخُصُومِ إِذَا جَدَّ الضَّجَّاجُ بِهِمْ بعد ابن سعدٍ ومن للضمير القود
قوله « إذا جدَّ الضجّاج بهم » أى صار ضجّاجهم جدّاً . ويقال : ضجّ
يضجّ ضجيجاً ، والاسم الضجّاج ، قال العجاج يصف حرباً :

وَأَغْشَتِ النَّاسَ الضَّجَّاجُ الْأَضْجَجَا وصاح خاشئ شراً وهججاً^(١)

وقوله « مَنْ لِلْخُصُومِ » لفظه استفهام ، والمعنى التوجع والاستفطاع . فيقول : مَنْ يَفْصِلُ بَيْنَ الْخُصُومِ إِذَا اشْتَدَّ بِهِمُ النِّزَاعُ ، وطال الجِدَالُ والدِّفَاعُ ، فاحتيج إلى مَنْ يَرُدُّ الْجَامِحَ ، وَيُلِينُ الْكَامِحَ ، حتّى إذا رجع كلٌّ منهم إلى ما يقرب مَسْمَعَهُ ، ولا يبعد عن الفحص مُسْتَنْزَعُهُ أَنْفَذَ قَضِيَّتَهُ فَقَطَعَهَا ، لا يلفتهم عن القبول مراجعةٌ ، ولا تَخْلِجُهُمْ عَنِ الْإِتِمَامِ مِمَّا نَزَعَتْهُ وَمَدَافَعَةُ بَعْدَ ابْنِ سَعْدٍ . وَمَنْ لِلْضَمَرِ الْقُودُ بَعْدَهُ ، أَى مَنْ أَصْحَابُ الْخَلِيلِ الْمُضْمَرَةِ . وتريد : مَنْ يَدْفَعُهُمْ عَنِ اشْتِطَاطِهِمْ إِذَا جَاءُوا

واترين أو موتورين . ويجوز أن تريد أنه كان غزا بها فَمَن لها بعده . والضمر : جمع ضامر . والقود : الطوال الأعناق .

٢ — ومشهد قد كَفَيْتَ الغائبين به في مجمع من نواصي الناس مشهود

٣ — فرَجَّتْهُ بلسان غير ملتبس عند الحفاظ وقلب غير مزود

يقول : ورُبَّ مشهدٍ عظيم الشأن يُسألُ عن حال حاضريه ، ويُستمع إلى ما يُنشر عنه من حجاجٍ منافريه ، تكلمت فيه عن نفسك ونُبتَ عن الغائبين من مُعتَلقي حَبْلِكَ ، واليوم يوم مشهود ، ورؤساء الناس وأماثلهم فيه شهود ؛ ثم كَشَفَتِ العُمة ، وأُثْبِتَ الحُجَّةَ بكلامٍ فصيحٍ لا يلتبس ، وجدالٍ راجحٍ لا يُخِيل ولا يَغْتِمِض ، وقلبٍ ثابت لا يرتدع إذا استنهِض ، ولا يَنْتَكِس إذا استُقدِم . وقوله « نواصي الناس » أي أشرافهم والمقدمين منهم . وهذا كما وصفوا بالذوائب ، يقال : فلان ذُوابة قومِه ، وناصيةُ عشيرته . وقوله « بلسان غير ملتبس » يريد بكلام . وفي القرآن : ﴿ وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾ ، وتُسَمَّى الرسالةُ لساناً . وقال :

* إِنِّي أَتَنَّى لِسَانًا لَا أَسْرُ بِهَا ^(١) *

وقوله « غير مزود » فالزود ^(٢) : الذعر ، والفعل منه زُئِدَ فهو مزود .

وقوله « عند الحفاظ » أي فعلت ذلك كله عند المحافظة على الشرف ، والاحتماء من عار الهزيمة والعنت .

٤ — إذا قَنَاءَ امرئٍ أزرى بها خورٌ هزَّ ابنُ سعدٍ قنَاءَ صُلْبَةِ العود

(١) لأعشى بأهله ، يرثي المنتشر بن وهب الباهلي ، من قصيدة في الخزانة (١ : ٩٢)

— (٩٧) ، وهذا البيت أولها . وعجزه :

* من علو لا عجب منها ولا سخر *

(٢) يقال بضمة وبضمين ، ومثله الزاد ، بالفتح والتحرير .

ذِكْرُ الْقَنَاءِ مَثَلٌ لِلْإِبَاءِ وَالْامْتِنَاعِ ، وَأَنَّ الْمُسْكِرَةَ ^(١) لَا يُخْرِجُ مِنْهُمْ الْخُضُوعَ
وَالْانْقِيَادَ . أَلَا تَرَى قَوْلَ سُحَيْمِ بْنِ وَثِيلٍ :

وإِنَّ قَنَانَنَا مَشْطٌ شَظَاها شَدِيدٌ مَدَّها عُنُقَ الْقَرِينِ
ويقال : مَشِطَتْ يَدُهُ تَمْشِطُ مَشْطًا . وَالشَّظِيَّةُ وَالشَّظَا مِنَ الْعَصَا كَاللَّيْطَةِ
مِنْهَا تَدْخُلُ فِي الْيَدِ فَتَمْشِطُ مِنْهَا . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ عَمْرِو بْنِ كُلْثُومٍ :
عَشَوَزَنَةً إِذَا غُمِزَتْ أُرِنَتْ تَشْجُ قَفَاً لِلْمُتَقَفِّ وَالْجَبِينَا
وقال أيضاً :

وإِنَّ قَنَانَنَا يَا عَمْرُو أُعِيَتْ عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا
وزاد الآخر عليهم فقال :

وَلَنَا قَنَاءَةٌ مِنْ رُدَيْنَةٍ صَدَقَتْ زَوْرَاهُ حَامِلُهَا كَذَلِكَ أَزُورُ

٣٧٤

وقال الجعدي ^(٢) :

- ١ — أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي رُزِنْتُ مُحَارِبًا فَمَا لَكَ مِنْهُ الْيَوْمَ شَيْءٌ وَلَا لِيَا ^(٣)
- ٢ — وَمِنْ قَبِيلِهِ مَا قَدَرُزْنْتُ بُوخُوحٍ وَكَانَ ابْنُ أُمِّي وَالْخَلِيلُ الْمَصَافِيَا
يُخَاطَبُ صَاحِبَتَهُ أُمَّ مُحَارِبٍ ، وَمُحَارِبُ ابْنِهِ . وَقَوْلُهُ « أَلَمْ تَعْلَمِي » ظَاهِرُهُ
تَقْرِيرٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَحْسُرٌ وَتَوَجُّعٌ . لِذَلِكَ قَالَ : « فَمَا لَكَ مِنْهُ الْيَوْمَ شَيْءٌ وَلَا لِيَا »
أَيُّ قَدْ فَجِئْنَا بِهِ فَأَصْبَحْنَا خِلَوا مِنَ الْاسْتِمْتَاعِ بِحَيَاتِهِ ، وَالْانْتِفَاعِ بِمَكَانِهِ . ثُمَّ

(١) ل : « الْمُسْكِرَةُ » .

(٢) هُوَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ . سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحَمَاسِيَةِ ٣٣٣ ص ٩٦٨ .

(٣) الْبَيْتَانِ ٣ ، ٤ سَبَقَا فِي الْحَمَاسِيَةِ ٣٣٤ ص ٩٦٩ ، فَيَكُونُ مِمَّا كَرَّرَهُ أَبُو تَمَّامٍ فِي
الِاخْتِيَارِ . انْظُرْ مِثْلَهُ فِي الْحَمَاسِيَةِ ٣٣ كَرَّرَتْ فِي ٢٠٩ ، وَ٢٩٩ كَرَّرَتْ فِي ٣٦٠ .

(٤) — حَمَاسَةٌ — ثَالِثٌ

ذكر أنه قد فُجِعَ قبله بأخيه أيضاً ، وكان نسيباً قريباً ، وصديقاً مُصافياً حبيباً .

٣ — فَتَى كَمَلَتْ خَيْرَاتُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقَى مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا

٤ — فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوهُ الْأَعَادِيَا

قوله « فتى كملت خيراته » يجوز أن يكون فتى في موضع النصب على المدح والاختصاص ، أى أذكُرُ فتى هذه صفته . ويجوز أن يكون في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : هو فتى . وقوله « غير أنه جواد » استثناء منقطع ، وقد تقدم الكلام في مثله ، وأن من كان عيبه والمستثنى من خصاله المحمودة ما يذكُرُ بعد غير فناهيك به رجلاً كاملاً . وقوله « فتى تم فيه ما يسرُّ صديقه » مثله ، وقد تقدّم في مواضع وشرخناه .

٣٧٥

وقال رجلٌ من بني هلال^(١)

يَرِنِي ابنَ عَمٍّ لَهُ :

١ — أَبْعَدَ الَّذِي بِالنَّفْعِ مِنْ آلِ مَاعِزٍ يُرَجِّي بَمَرَّانَ الْقِرَى ابْنُ سَبِيلٍ

٢ — لَقَدْ كَانَ لِلْسَّارِينَ أَيْ مُعَرَّسٍ وَقَدْ كَانَ لِلْغَادِينَ أَيْ مَقِيلٍ

٣ — بَنِي الْمُحْصَنَاتِ الْغُرِّ مِنْ آلِ مَالِكٍ يُرَيِّينَ أَوْلَادًا لِخَيْرِ خَلِيلٍ

يقول على وجه الإنكار : أيرجى ابنُ السبيلِ القري بمرّان بعد المدفون بالنعم من آل ماعز . أى لا يكون ذلك ، لأنّ من كان يشملُ خيرُهُ^(٢) ويرتجى النّزولُ به مُكرّماً ضيفه قد مات . والنعم : ما ناعفك من الجبل ،

(١) كذا عند التبريزي ، ول . وفي الأصل : « من بني هذيل » .

(٢) كذا في ل . وفي نسخة الأصل : « يشتمل » .

أى استقبلك ، وقيل : هو ما انحدرَ عن السَّفْحِ وغُلَظَ ، فكان فيه صَعُودٌ وهَبُوطٌ . ذكره الدردي ، قال : وجمعه نَعَافٌ .

وقوله « لَقَدْ كَانَ لِلسَّارِبِينَ » جوابُ قَسَمٍ محذوف . والتَّعَرِّيسُ : الزُّولُ عند الصُّبْحِ . والمَقِيلُ : موضع القيلولة ، فيقول : مَنْ أَسْرَى لَيْلَةً ثُمَّ طَلَبَ مِنْ يَنْزَلُ بِهِ ، كَانَ هَذَا الرَّجُلُ مَعْرَسًا لَهُ كَرِيمًا ، وَأَيُّ مُعَرَّسٍ . وهذا الكلام فيه تَعْجَبٌ وتَفْخِيمٌ . وكذلك مَنْ ارْتَحَلَ غَدُؤًا ثُمَّ أَرَادَ الرِّوَاخَ كَانَ فَنَائُوهُ لَهُ مَقِيلًا طَيِّبًا وَأَيُّ مَقِيلٍ .

وقوله « بَنَى الْمُخَصَّنَاتِ » جَمَعَ إِلَى ذِكْرِهِ ذِكْرَ إِخْوَتِهِ ، فَقَالَ : أَذْكَرُ قَوْمًا كَرَامَ الْأَطْرَافِ ، أُمَهَاتَهُنَّ مِنَ الْحَصَانَةِ وَالطَّاهِرَةِ فِي أَعْلَى مَحَلٍّ ، وَأَبْعَدِ رُبَّةٍ ، وَيَرْبُوبِينَ^(١) أَوْلَادًا لِبَعُولٍ لَا يُوَارِى بِهِمْ ، عَلُوًّا مَنْصِبٍ ، وَزَكَاءَ مَنْسَبٍ ، وَتَقَدُّمًا فِي الشَّرَفِ وَالْإِفْضَالِ ، وَبَرَاعَةً فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ .

٣٧٦

وَقَالَ كَبِدُ الْحَصَاةِ الْعِجْلَى^(٢) :

١- أَلَا هَلَاكَ الْمَكْسَرُ يَا لَ بَكْرٍ فَأَوْدَى الْبَاعُ وَالْحَسَبُ التَّلِيدُ

٢- أَلَا هَلَاكَ الْمَكْسَرُ فَاسْتَرَاخَتْ حَوَافِي الْخِيلِ وَالْحَيُّ الْجَرِيدُ

(١) ل : « وريين » .

(٢) يرثى يزيد بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار ، ولقبه « المكسر » . وقد ضبط بكسر السين المشددة عند التبريزي ، وبفتحها في الأصل ، ل . والمكسر هو الذى يقول يوم ذى قار : أنا ابن سيار على شكيمة من فر منكم فر عن نديمه وجاره وفر عن حريمه إن الشراك قد من أديمه وكانت طائفة من طي أغارت على بكر بن وائل فأخذوا منهم أغانيد ، فأغار المكسر على طي فأكثع أموالهم وأصاب منهم سبايا ، فأغار زيد الخيل على بني تميم الله بن ثعلبة ، وقال : إذا عركت عجل بنا ذنب غيرنا عركنا بنيم الله ذنب بنى عجل

افتتح كلامه بالآ ، ثم أخذ يُعظّم الخطبَ ويفطّع الشآن ، فقال : مات هذا الرجلُ فمات بموته الكرمُ العميم ، والشرفُ الصميم .

وقوله « يالَ بَكْرٍ » استغاثه بما دهاه . وقد مرّ القولُ في هذه اللامِ والفصلُ بينها وبين لامِ النعجبِ من قولك يالْبَكْرِ . ومعنى أودى : هلك . والباعُ هاهنا الكرمُ . ويقال : باعَ الرَّجُلُ يَبُوعُ بَوْعًا ، إذا مَدَّ باعه ، وتَبَوَّعَ . وكذلك تَبَوَّعَ البعير ، إذا مَدَّ ضَبْعَهُ . والحَسَبُ : الشرفُ ، وأصله من الحِساب ، لأنَّ الحسيبَ يَعُدُّ لنفسه ما أثر فتلِكَ المأثر حَسَبٌ . كما يقال نفَضْتُ نَفْضًا ، ثم يسمّى المنفوضُ نَفْضًا . والتلديد والتَّالِد : ضدُّ الطَّريفِ والطَّارف . والتلاد : ما وُلِدَ عنْدك من مالِكَ . قالوا : وأصلُ هذه التاء الواو .

وقوله « أَلَا هَلَاكَ الْمَكْسَرُ » كرّره لتفطيع الأمر . ومعنى « استراحت حَوَافِي الخيل » وصفه بأنّه يُبْعِدُ الْغَزْوُ فلا يبقى على الخيل وإن حَفِيت ، فلمّا مَضَى نالت الرّاحة وتودَّعت . وقال « حَوَافِي الخيل » على أن يصفها بما كان آل أمرها إليه بعد الغزو . وكذلك قوله « الْحَيُّ الْحَرِيدُ » ، هو المنفرد والمتباعد عن غيره . كأنّه لا يَسْلَمُ عليه وإن حَذِرَ وتباعد . ويقال : كوكبٌ حَرِيدٌ ، إذا طَلَعَ في أفقِ السَّمَاءِ مَتَنَحِّيًّا عن الكواكب . ورجلٌ حَرِيدٌ الحِلُّ ، إذا لم يُخَالِطِ النَّاسَ ولم ينزلْ معهم . وقال :

* أَمَّا بِكَلِّ كوكبٍ حَرِيدٍ ^(١) *

وقال آخر ^(٢) :

* حَرِيدَ المحلِّ غَوِيًّا غَيُورًا ^(٣) *

(١) لدى الرمة ، كما في اللسان (حرد) .

(٢) هو الأعشى . ديوانه ٦٨ واللسان (حرز) .

(٣) صدره : * إذا نزل الحى حل الجعش * .

٣٧٧

وقال ابن أهبان الفقمسي^(١)

يرنى أخاه :

١- عَلَى مِثْلِ هَمَامٍ تَشْقُ جُيُوبَهَا وَتُعْلِنُ بِالنَّوْحِ النِّسَاءَ الْفَوَاقِدُ

٢- فَتَى الْحَيِّ أَنْ تَلْقَاهُ فِي الْحَيِّ أَوْ يُرَى سِوَى الْحَيِّ أَوْ ضَمَّ الرَّجَالَ لِلْمَشَاهِدِ

يقول : عَظُمَ الرُّزْءُ بِمَوْتِ هَمَامٍ فَلَا مَحَبَّةَ لِلْجَزَعِ وَلَا مَصْطَبَرَ ، وَلَا إِسْتِرَارَ لِلِالْتِمَاعِ وَلَا مُدَّخَرَ . وَأَيُّهُ يَكُونُ لِلسَّامِعِ بِهِ مَعْدِلٌ إِلَى التَّجَمُّلِ وَالتَّجَلُّدِ ، وَقَدْ قُدِّدَ بِهِ مِنْ يُسْتَبَاحُ فِي نُدْبَتِهِ كُلُّ مُحْظُورٍ ، وَيُسْتَجَازُ فِي الرِّثَاءِ لَهُ كُلُّ مَذْكُورٍ ، فَلَا مَنَعَ مِنَ شِقِّ الْجُيُوبِ ، وَصَدْعِ الْأَكْبَادِ وَالْقُلُوبِ ، وَإِعْلَانِ النَّيَاحَةِ ، وَامْتِدَادِ الْمَآتِمِ فِي الْإِعْوَالِ إِلَى كُلِّ غَايَةٍ . وَقَوْلُهُ « عَلَى مِثْلِ هَمَامٍ » يَذْكُرُ الْمِثْلَ وَالْمَقْصُودُ نَفْسَهُ لَا غَيْرُ صَيَانَةٍ لَهُ وَنَزَاهَةٍ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الْقَائِلِ : مِثْلُكَ لَا يَحْسُنُ بِهِ كَذَا مَعْنَاهُ : أَنْتَ لَا يَحْسُنُ بِهِ ذَلِكَ ؛ وَلَكِنَّ الْغَرَضَ مَا ذَكَرْتُهُ ، وَقَوْلُهُ « بِالنَّوْحِ » يَرَادُ بِهِ مَصْدَرُ نَاحٍ . وَقَدْ يُرَادُ بِهِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ النِّسَاءُ الْفَوَاقِدُ .

وقوله « فَتَى الْحَيِّ أَنْ تَلْقَاهُ » جَعَلَ لَهُ الْفَتْوَى وَالرِّيَاسَةَ مُسَلِّمَةً لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ ، وَعَلَى كُلِّ وَجْهٍ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ : هُوَ الْفَتَى بَيْنَ رَجَالِ الْحَيِّ وَعِنْدَ لِقَائِكَ إِيَّاهُ فِيهِمْ . فَمَعْنَى أَنْ تَلْقَاهُ ، هُوَ الْفَتَى لِأَنَّهُ تَلْقَاهُ فِي الْحَيِّ ، وَوَقْتُ تَلْقَاهُ فِي الْحَيِّ . وَقَوْلُهُ « أَوْ يُرَى سِوَى الْحَيِّ » أَيُّ فِي مَكَانٍ آخَرَ وَفِي قَوْمٍ آخَرِينَ ،

(١) كلمة « الفقمسي » من ل والتبريزي .

بدلاً من الحى . لأنك إذا قلت : عندى رجل سِوَى زَيْدٍ ، معناه : عندى رجلٌ مكانَ زيد ، وبدلاً من زيد .

وقوله « أَوْ ضَمَّ الرِّجَالَ الْمَشَاهِدُ » معناه وهو الفتى إذا حصلت وفود القبائل وأستتهم ورؤسائهم فى مجامع الملوك الأعظم ، ومشاهد السادة الأكابر .
وقوله « أَوْ ضَمَّ » محمول على المعنى . يريد : وهو الفتى لأن ضَمَّ الرِّجَالَ والقِسْمَةُ بما رتبته قد استوفت الأحوال كلها .

٣- إذا نازع القوم الأحاديث لم يكن عِيّاً ولا عِيّاً على مَنْ يُقَاعِدُ
٤- طويلٌ نِجَادِ السِّيفِ يُضَيِّحُ بَطْنَهُ خَمِيصاً وَجَادِيهِ عَلَى الزَّادِ حَامِداً
وصفه بالبراعة وتمام الآلة ، وأنه سهل الخلق ، سهل الجانب ، يباسطُ منازعته فى الأحاديث ويطاوله ، لا عى يقصر حديثه ، ولا كبر يُنفّر قعيده ، فهو طيب المجلس ، خفيف الملتزم ، وإذا تأملت خلقته كان حسن القوام ، تامّ الجسم ، طويل حائل السيف . هذا فى الحى ما أقام ، وفى السّفَر تراه يؤثر غيره بالزاد ، فبطنه خميص ، ومُجَدِّدِهِ والمَعُولُ عليه حامداً له شكور . وأبلغ من قوله « طويل نِجَادِ السِّيفِ » قول مُسْلِمٍ :
يَطُولُ مَعَ الرُّمَحِ الرُّدْبِيُّ قَامَةً وَيَقْصُرُ عَنْهُ طَوْلُ كُلِّ نِجَادٍ

٣٧٨

وقال ابنُ عَمَّارِ الأَسَدِيِّ يرثى ابنته :

١ - ظَلَلْتُ بِجِسْرِ سَابُورٍ مُقِيمًا يُوَرِّقُنِي أَنِينُكَ يَا مَعِينٌ^(١)

(١) رواه التبريزى : « بخسّر سابور » وقال : « خسّر سابور : من يلد العجم نسب إلى خسّر وسابور ، وهما ملكان من الفرس . ويصحف هذا فيقول جسر سابور » . وفى معجم البلدان : « خسرو سابور . والعامّة تقول خسابور : قرية معروفة قرب واسط بينهما فراسخ ، معروفة بجودة الرمان » .

٢ - وناموا عَنكَ واستيقظتَ حَتَّى دَعَاكَ المَوْتُ وانقطعَ الأَينُ
أصل الظُّلُولُ المُكْثُ في النهار ، ولكنه يُقَوِّسُ فيه فيُجْعَلُ للأوقات
كلِّها . على ذلك قولُه تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾
وذلك لا يختصُّ بالنهار دونَ الليل . وهذا الكلامُ اقتصاصُ حالِهِ معه في
تمريره ، وتولَّيه منه ما تفرَّد به ، وفيه التشكُّيُّ مما قاساه وتجرَّع الفُصَصُ عنه ،
فيقول : بَقِيتُ مقيمًا بذلك المكانِ يُسهرُني تألُّمُك وأَينُك ، ونامَ كلُّ مَنْ
صحبتُهُ^(١) فاستيقظتُ أَنَا متجرِّدًا فيك ، ومتحمِّلاً ما أمكنَ تحمُّلُهُ عنك ، إلى أن
أَجَبْتَ داعِيكَ ، وأطلقتَ من أَسْرِ الانتظارِ ناعِيكَ ، فانقطعَ الأَينُ ، وجَدَّ
مَنِّي لفقدك العويل .

٣٧٩

وقال أبو وهب العبسي^(٢) يرثي ابنه :

١ - أَرَا بَع مَهْلًا بَعْضَ هَذَا وَأَجْمَلِي فِي اليَاسِ نَاهٍ وَالْعَرَاهَ جَمِيلُ
٢ - فَإِنَّ الَّذِي تَبْكِينَ قَدْ حَالَ دُونَهُ تُرَابٌ وَزَوْرَاهُ الْمَقَامِ دَحُولُ
سلكَ فيما قاله مسلَكُ أوسِ بنِ حَجَرٍ ، حينَ قال :

أَيَّتْهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا
والمراةُ المخاطبةُ فيما نظنُّ^(٣) أُمَّ المَرْتَنِي . وقوله « مهلاً بعضَ هذا » انتصبَ
بعضَ ياضمار فعل ، كأنه قال : رِفْقًا كُنِّي بعضَ ما تأتينه ، وأحسِنِي العزاء ،
ففي اليأسِ مَن قد مضى نَاهٍ لَكَ عن الإسرافِ في الجزعِ ، والإفراطِ في الالتئاعِ

(١) ل : « صحبنا » .

(٢) التبريزي : « وقال طريف بن أبي وهب العبسي » .

(٣) ل : « فيما أظن » .

وَالْهَلَمْعُ ؛ وَالصَّبْرُ جَمِيلٌ كَيْفَ كَانَ ، فَإِنَّ مَنْ تَبَكَّيْنَهُ حَجَزَ بَيْنَهُ وَبَيْنَنَا تُرَابٌ
مِهِيلٌ ، وَأَخَذَ قَعِيرٌ ، وَحَفْرَةٌ مَعْوَجَّةٌ ، وَهُوَّةٌ مَهُولَةٌ ، فَلَا طَمَعٌ فِي الْإِنْقَاءِ ، وَلَا
فِي الرُّجُوعِ وَالْإِنْكَفَاءِ .

وقوله « وزوراء المقام » أى معوجة الموضع الذى يُقام فيه منها . وقوله
دَحُولٌ ، يقال بئر دَحُولٌ ، أى ذاتُ تَلَجُفٍ .

٣ - نَحَاهُ لِلْحَدِّ زِبْرَقَانٌ وَحَارِثٌ وفى الأرضِ للأقوامِ قَبْلَكَ غُولُ
٤ - فَأَيُّ فِتْنٍ وَارَوْهُ تُمَتَّ أَقْبَلَتْ أَكُفَّهُمْ تَحْنِي مَعًا وَتَهِيلُ^(١)

اللحد : ما حُفِرَ فى عُرضِ القبر . ويقال لَحَدْتُ القبرَ وَأَلَحَدْتُهُ ، وقبرٌ
ملحود ومُلَحَدٌ ولَا حِدٌّ ، أى ذو لَحْدٍ . يقول : وَلَأُؤَ لِّلْحَدِّ قَبْرِهِ هَذَا
الرَّجُلَانِ ، والعادةُ مستمرةٌ فى فَنَاءِ الأُمَمِ السَّالِفَةِ قَبْلَنَا ؛ لِأَنَّ الأَرْضَ لَا تَخْلُو
مِمَّا يَفْتَالُ الأَحْيَاءُ وَيُهْلِكُهُمْ . والنَّوْلُ : الهَلَكَةُ ، ويقال : غَالَهُ الموتُ . وقال
الشاعر :

وَمَا مَيِّتَةٌ إِنْ مِثْلُهَا غَيْرُ عَاجِزٍ بَعَارٍ إِذَا مَا غَالَتْ النَّفْسَ غُولُهَا
وَالكَلَامُ فِيهِ تَأْسٍ وَتَعَزٍّ ، بعد أن اقْتَصَرَ دَفْنُهُ وَمَنْ تَوَلَّى ذَلِكَ مِنْهُ .

ثُمَّ قَالَ عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ : أَيُّ فِتْنٍ غَيَّبُوهُ وَدَفَنُوهُ ؟ ! يَعْظُمُ أَمْرُهُ وَيَفْخَمُ
شَأْنُهُ . وقوله « تُمَتَّ أَقْبَلَتْ » التَّاءُ مِنْ تُمَتَّ علامةُ التَّأْنِيثِ ، وَهُوَ تَأْنِيثُ
الْخَصْلَةِ . وَكَأَنَّ تَبَصُّلَ هَذِهِ الْعَلَامَةِ بِالْأَسْمِ نَحْوِ أَمْرِيْ وَأَمْرَاءِ ، وَبِالْصِّفَةِ نَحْوِ قَائِمٍ
وَقَائِمَةٍ ، تَبَصُّلٌ بِالْفِعْلِ ، وَالْأَسْمُ وَالْفِعْلُ هُمَا مَوْضِعُهُمَا ، إِلَّا أَنَّهَا فِي الْأَسْمِ يُبَدَّلُ
مِنْهَا الْمَاءُ فِي الْوَقْفِ ، وَيَنْتَقِلُ الْإِعْرَابُ عَنْ آخِرِ الْأَسْمِ إِلَيْهَا . وَفِي الْفِعْلِ يُسَكَّنُ
إِلَّا أَنْ يُبْلَا قِيَّتُهُ سَاكِنٌ آخِرٌ ، وَيَكُونُ تَاءٌ فِي الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ جَمِيعًا . وَفِي الْحَرْفِ

(١) التبريزى : « وأى فتن واروه » .

يقُلُّ دخوله ، وإذا دَخَلَ حُرْكَ بالفتح ، نحو رُبَّتْ وَنُمَتْ ، وتبقى تاء في كلِّ حال .

وقوله « تَخْتِي مَعَا » انتصب مَعَا على الحال . والْحَتَّى : أَنْ تَرْفَع يَدَكَ بِالْتُّرَابِ أَوْ غَيْرِهِ فَتَفْرِقَهُ فِي الْجَوِّ . قال :

الْخُصْنُ أَدْنَى لَوْ تَأَيَّنَتْهُ مِنْ حَتِيكَ التُّرْبَ عَلَى الرَّاكِبِ^(١)
والْحَائِيَاءُ : تُرَابٌ يَحْمِلُهُ اليربوع ، مِنْ هَذَا . وَالْهَيْلُ : أَنْ تَجْرُقَهُ مِنْ غَيْرِ
أَنْ تَرْفَعَ الْيَدَ بِهِ . وَيُقَالُ : هَلَّتْ التُّرَابَ وَأَهْلَتْهُ . وَفِي الْمَثَلِ « مُحْسِنَةٌ فَهَيْلِي^(٢) »
ويقال : « جَاءَ بِالْهَيْلِ وَالْهَيْلَمَانِ^(٣) » أَيْ بِالشَّيْءِ الْكَثِيرِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
مِنْ هَذَا ، لِأَنَّ الْمَعْنَى جَاءَ بِمَا اجْتَمَعَ هَيْلًا لَا كَيْلًا .

وَفِي الطَّرِيقَةِ الَّتِي سَلَكَهَا مِنْ اقْتِصَاصِ الْحَالِ فِي الدَّفْنِ وَالْحَتَّى ، قَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

أَلَمْ تَرَنِي أُنِي عَلَى اللَّيْثِ بَيْتَهُ وَأَخْتِي عَلَيْهِ التُّرْبَ لَا أَتَخَشَّعُ
كَأَنِّي أَدْلَى فِي الْحَفِيرَةِ بَاسِلًا عَقِيرًا يُنَوِّهُ لِلْقِيَامِ وَيُضْرَعُ
تَخَالُ بَقَايَا الرُّوحِ فِيهِ ، تُقْرِبُهُ بَعْدَ الْحَيَاةِ وَهُوَ مَيِّتٌ مُقَنَّعٌ
أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ صَوَّرَ التَّهَيُّبَ مِنْهُ وَالْإِعْظَامَ لَهُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ .

٥ — وَظَلَّتْ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالْفُضَاءِ كَأَنَّمَا تَصْعَدُ بِي أَرْكَانُهَا وَتَجُولُ

(١) ل : « لَوْ تَأَيَّنَتْهُ » . وَيُرْوَى : « مِنْ حَتِيكَ التُّرْبَ » . انظر المقياس (٢ : ١٣٧) .
(٢) قال المبداني : « أَصْلُهُ أَنْ امْرَأَةً كَانَتْ تَفْرَغُ طَعَامًا مِنْ وَعَاءٍ رَجُلٌ فِي وَعَائِهَا ، فَنَجَّاهُ
الرَّجُلُ فَدَهَشَتْ ، فَأَقْبَلَتْ تَفْرَغُ مِنْ وَعَائِهَا فِي وَعَائِهِ ، فَقَالَ لَهَا : مَا تَصْنَعِينَ ؟ قَالَتْ : أَهْيَلُ
مِنْ هَذَا فِي هَذَا ، فَقَالَ لَهَا : مُحْسِنَةٌ — أَيْ أَنْتَ مُحْسِنَةٌ — فَهَيْلِي . وَيُرْوَى : مُحْسِنَةٌ ، بِالنَّصْبِ
عَلَى الْحَالِ ، أَيْ هَيْلِي مُحْسِنَةٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَنْصَبَ عَلَى مَعْنَى أَرَاكَ مُحْسِنَةً . يَضْرِبُ لِلرَّجُلِ يَعْمَلُ
الْعَمَلُ يَكُونُ فِيهِ مُصِيبًا » .
(٣) الْهَيْلَمَانُ ، بَفَتْحِ اللَّامِ وَضَمِّهَا .

٦ — وَشَدَّ إِلَى الطَّرَفِ مَنْ كَانَ طَرَفُهُ بِعَهْدِ عُيَيْدِ اللَّهِ وَهُوَ كَلِيلٌ
يقول : دِيرَ بِي لَمَّا شَاهَدْتُ مِنْ أَمْرِهِ مَا أَنْكَرْتُ ، وَاسْوَدَّتْ الْأَرْضُ فِي
عَيْنِي فَصَارَتْ عَلَى سَعَتِهَا كَأَنَّمَا جُمِعَتْ جَوَانِبُهَا فَأَصْعَدُ فِيهَا وَهِيَ تَجُولُ فَلَا تَهْدَأُ ،
وَتَدُورُ فَلَا تَقْرُ .

وقوله « وَشَدَّ إِلَى الطَّرَفِ » أَيْ نَظَرَ إِلَى بَشَدَةٍ وَتَحْدِيقٍ . وَفِي الْحَدِيثِ :
قِيلَ لِأَبِي مَحْذُورَةَ ^(١) « وَشَدَّ أَذَانَهُ : » أَمَّا خَشِيتَ أَنْ تَنْشَقَّ مُرِيطَاؤُكَ ^(٢) .
وَيُقَالُ : شَدَدْنَا عَلَى يَدِ فُلَانٍ وَشَدَدْنَا يَدَهُ ، أَيْ قَوَيْنَاهُ . وَالطَّرَفُ : تَحْرِيكُ
الْجَنَفَيْنِ فِي النَّظَرِ . يَقُولُ ^(٣) : شَخَّصَ بَصَرُهُ فَمَا يَطْرِفُ . وَقَوْلُهُ « مَنْ كَانَ طَرَفُهُ »
كَانَ هَذِهِ هِيَ التَّامَّةُ . وَالْمَعْنَى : مَنْ وَقَعَ طَرَفُهُ وَحَدَّثَ طَرَفُهُ فِي زَمَنِ عُيَيْدِ اللَّهِ
وَبِعَهْدِهِ وَهُوَ كَلِيلٌ ، يَرِيدُ : مَنْ كَانَ لَا يَمْلَأُ عَيْنَهُ مَنًى فِي حَيَاتِهِ تَهَيَّبًا صَارَ يَنْظُرُ
إِلَى شَرْزَرًا وَنَظَرًا شَدِيدًا . وَإِنَّمَا قَوَّاهُ تَجَاسَّرُهُ وَمَا حَدَّثَ لَهُ وَفِي تَقْدِيرِهِ ، مَنْ
مُنَّةٍ اسْتَجَدَّهَا ^(٤) ، وَقُوَّةٍ عَاوَدَتْهُ وَاسْتَظْهَرَ بِهَا . وَقَوْلُهُ « وَهُوَ كَلِيلٌ » ،
الْوَاوُ وَالْهَاءُ .

٧ — لَئِنْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ عَلَى حِينِ شَيْبِي بِالشَّبَابِ بَدِيلٌ ^(٥)

(١) هُوَ أَبُو مَحْذُورَةُ الْمُؤَذِّنُ ، وَاسْمُهُ أَوْسٌ — أَوْ سَمْرَةٌ — بَنُ مَعْمَرٍ . عَلَيْهِ رِسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَذَانَ بِالْجَمْعِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٥٩ هـ وَقَبْلَ سَنَةِ ٧٩ هـ ، الْإِسَابَةُ ١٠٠٨ مَن
يَابُ الْكُنَى . وَالَّذِي قَالَ لَهُ هَذَا الْقَوْلُ هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (مَرط) .
(٢) الْمُرِيطَاءُ : مَا يَبِينُ السَّرَّةَ إِلَى الْعَانَةِ .
(٣) كَذَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « يَقَالُ » .
(٤) الْمُنَّةُ ، بِالضَّمِّ : الْقُوَّةُ .

(٥) التَّبَرُّزِيُّ : « قَوْلُهُ عَلَى حِينِ شَيْبِي . قَالَ أَبُو هِلَالٍ : لَا يَجُوزُ إِلَّا الْخَفَضُ فِي حِينٍ ،
لَأَنَّ الَّذِي أَضَفْتُ إِلَيْهِ حِينَ مَعْرَبٍ ، فَإِنْ أَضَفْتَهُ إِلَى الْفِعْلِ جَازَ الْفَتْحُ وَالْكَسَرُ . أَمَّا الْكَسَرُ ،
فَلِأَنَّهُ مَجْرُورٌ وَهُوَ اسْمٌ مَنْصَرَفٌ ، وَأَمَّا الْفَتْحُ فَلِإِضَافَتِكَ إِيَّاهُ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِ مَعْرَبٍ ، فَبَنَيْتُهُ عَلَى
الْفَتْحِ لِأَنَّ الْمُضَافَ وَالْمُضَافَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَاحِدٌ فَبَنَيْتُهُ لِذَلِكَ » . وَهَذَا الْمَذْهَبُ مَذْهَبُ الْبَصَرِيِّينَ ،
وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُوجِبُونَ الْإِعْرَابَ فِي الظُّرُوفِ الْمُبْهَمَةِ إِذَا أُضِيفَتْ إِلَى جُمْلَةٍ صَدَرَهَا مَعْرَبٌ . وَأَمَّا
السَّكُوفِيُّونَ فَيُرُونَ الْإِعْرَابَ فِي ذَلِكَ رَاجِعًا وَالْبَنَاءَ مَرْجُوحًا . انْظُرْ هَمَّ الْمَوَاقِعِ (٢١٨:١) .

٨ — لقد بَقِيَتْ مِنِّي قَنَاطُ صَلِيْبَةٍ وَإِنْ مَسَّ جِلْدِي نَهْكَةٌ وَذُبُولُ
 ٩ — وَمَا حَالَهُ إِلَّا سَتُصْرَفُ حَالَهَا إِلَى حَالَةٍ أُخْرَى وَسَوْفَ تَرْوُلُ
 اللام من « كَيْن » موطنه للقسم المضمَر ، وجوابه « لقد بَقِيَتْ » . وخلى
 مكانه ، أى تَرَكَ مكانه من العيون والقلوب خاليا . ويجوز أن يريد تَرَكَ
 مكانه من دنياه لَمَنْ شاء . على حين شِدْبِي ، أى فى وقت استبدلت بالشباب
 شَيْبًا ، وبالْقَوَّةَ ضَعْفًا ، لَقَدْ بَقِيَ مِنِّي إِبَاءٌ شَدِيدٌ ، وَجَلَّاجٌ عَلَى مَنْ يَقْصِدُ اهْتِصَامِي
 بَلِيغٌ ؛ فَقَنَاتِي صُلْبَةٌ عَلَى غَايِزِهَا ، مُمْتَنِعَةٌ عَلَى مُتَقَفِّهَا ، وَإِنْ كَانَتِ الْمَصِيبَةُ نَالَتْ
 مِنِّي فَتَحُلَّ جِسْمِي ، وَذُبُلُ جِلْدِي ، وَحَالَ لَوْنِي ، وَتَحَوَّلَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ
 أَمْرِي وَشَأْنِي . وقد تقدَّم القولُ فى القنَاة وطريقتهما فى استعارتها وجعلها مثلا .
 وقوله « وما حاله » إلا سَتُصْرَفُ حَالَهَا يُرِيدُ : وما خُطَّةٌ إِلَّا سَتَحُولُ صورتها إلى
 صورةٍ أُخْرَى ما بقيت وأُمُهَلَّتْ ، ثُمَّ مِنْ بَعْدُ سَوْفَ تَرْوُلُ فَلَا تَبْقَى ، وَتَحُولُ
 عن المجهود فتَفَنَّى . والمعنى : إِنْ شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا وَأَعْرَاضِهَا لَا يَدُومُ عَلَى
 حَدٍّ ، وَلَا يَسْتَمِرُّ عَلَى طَرِيقٍ وَوَجْهِ ، لَكِنْ يَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ وَالتَّبَدُّلُ ، فَيَزِيدُ
 عَمَّا يَكُونُ عَلَيْهِ ، أَوْ يَتَرَاوَعُ هَذَا إِذَا سَلِمَ ، وَمِنْ بَعْدُ سَوْفَ يَكُونُ مُغَيَّرَهُ مُنْهَاكَهُ
 وَمُدْبَرُّهُ مُدْمَرُهُ .

٣٨٠

وَأُنْشِدْ أَيْضًا^(١) :

١ — وَقَاسَمَنِي دَهْرِي بَنِي بِشْطَرِهِ فَلَمَّا تَقَضَّى شَطْرُهُ عَادَنِي شَطْرِي^(٢)

(١) كذا فى النسخين . وعند التبريزي : « وقال العتي » . والعتي هذا هو محمد
 ابن عبد الله ، من آل عتبة بن أبى سفيان ، أديب أخبارى من أهل البصرة ، له شعر جيد
 وتصانيف حسان . قال ابن النديم : « كان العتي وأبوه سيدين أديبين فصيحين » . توفى سنة
 ٢٢٨ . ابن النديم ١٧٦ .

(٢) التبريزي : « بنى مشاطرا » . ما ربه القناتة « لينة » كذا .

٢ - أَلَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي وَلَيْتَنِي سَبَقْتُكَ إِذْ كُنَّا إِلَى غَايَةِ نَجْرِي
كانت رواية الناس بُرْهَةً « وَقَامَتِي دَهْرِي بَنِي بِشْطَرِهِ » مضافاً ، « فَلَمَّا
تَقَضَى شَطْرُهُ » بالضاد ، وارتفاع الشطر به ، فجاء شيخٌ لنا فرواه :
« بِشْطَرَةٍ * فَلَمَّا تَقَضَى شَطْرُهُ »

وكان يقول : هذه ضالَّةٌ أنا وجدتها ، وهو ممَّا حكاه أبو زيد من قولهم :
بنو فلان شِطْرَةٌ ، إذا كان ذكورهم بعدد إناثهم . يريد : ناصفتي . ومعنى
« تَقَضَى شَطْرُهُ » بلغ أقصاه واستوفاه . والذي اختاره أن يُروى « بِشْطَرِهِ »
على الإضافة . ومن الظاهر أن تَقَضَى أَحَسَنُ مِنْ تَقَضَى فِي اللَّفْظِ ، وَأَبْلَغُ فِي
الْمَعْنَى . ومعنى بِشْطَرِهِ كَانَ الدَّهْرَ ادَّعَى أَنَّهُ قَسِيمُهُ فِي بَيْنِهِ وَأَنَّ لَهُ مِنْهُمُ الشَّطْرَ ،
وهو النصف ، فقامه على ذلك ، فَلَمَّا اسْتَوْفَى حَظَّهُ أَقْبَلَ يَأْخُذُ مِنْ نَصِيبِهِ الَّذِي
كَانَ أَقْرَبَ لَهُ بِهِ ، وَسَاهَمَهُ عَلَيْهِ . وَإِنَّمَا اخْتَرْتُ بِشْطَرِهِ عَلَى « شِطْرَةٍ » ، لِأَنَّ
شِطْرَةً لَمْ يُسْتَعْمَلْ فِي الْأَنْصِبَاءِ وَالسَّهْمِ ، وَالشَّطْرُ فِي النِّصْفِ مَعْرُوفٌ وَمُسْتَعْمَلٌ ،
وَمِنْهُ شَاةُ شَطُورٍ ، إِذَا يَبْسُ أَحَدُ ضَرْعَيْهَا . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : حَلَبَ الدَّهْرَ
أَشْطَرَهُ ، إِذَا جَرَّبَ الْأُمُورَ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْحَلَبِ ، أَيْ حَلَبَ شَطْرًا مِنْ الْخَيْرِ
وَشَطْرًا مِنَ الشَّرِّ ، حَتَّى تَبْصُرَ وَعَرَفَ مَوَاضِعَ النِّجَاةِ مِنْ مَوَاضِعِ الْعَطَبِ
وَالهَلَكَةِ .

وقوله « أَلَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي » تَمَتَّى السَّلَامَةُ بِأَنْ كَانَ لَا يُخْلَقُ وَلَا
يُخْتَرَعُ فَيَنْجُو مِنَ الْإِبْتِلَاءِ ، وَمَلَابَسَةُ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ ، وَالتَّرَدُّدِ بَيْنَ السَّعَادَةِ
وَالشَّقَاءِ ، وَتَمَتَّى بَعْدَ أَنْ أُوجِدَ وَخُلِقَ أَلَّا يَكُونَ فَاقِدَهُ وَالْمُعَزَّى فِيهِ ، بَلْ كَانَ
السَّابِقَ لَهُ وَالْمُقَدَّمَ عَلَيْهِ ، سَيِّئًا ^(١) وَهِيَ جَارِيَانِ إِلَى غَايَةِ مِنَ الْعَطَبِ لَا يَحِيصُ
عنها ، وَلَا مَفَرَّ مِنْهَا .

(١) كلمة « سيئا » ساقطة من ل .

٣- وكنتُ به أُكْنِي فأصبحتُ كلِّها كُنَيْتُ به فأضتْ دُمُوعِي على نَحْرِي
 ٤- وقد كنتُ ذا نابٍ وظُفَرٍ على العِدَى فأصبحتُ لا يَخْشَوْنَ نابِي ولا ظُفْرِي
 جَرَى على افتنانهم في تحويل الكلام عن الإخبار إلى الخطاب ، وصرفه
 عن العموم إلى تخصيص بعضهم بالذكَّر . ألا ترى أنه أخبرَ في قوله « وقاسمني
 دَهْرِي بَنِي » ثم قال « ليقني سبقتك » فرجع إلى خطاب واحدٍ منهم ، ثم قال
 « وكنتُ به أُكْنِي » فأخبرَ به عن أحدِ بنيهِ . والمعنى : كنتُ اكْنَيْتُ به حُبًّا
 لذكرهِ واسمِهِ ، وتفاوُلًا ببقائه ودوامِهِ ، فبقى الاسمُ والشخصُ مفقودًا ، فلا
 جَرَمَ أَنِّي متى كُنَيْتُ به تَجَدَّدَ لِي حُزْنٌ أَفَاضَ عَبْرَتِي ، وأغاضَ ماءَ عَيْشَتِي .
 وقوله « وقد كنتُ ذا نابٍ وظُفَرٍ على العِدَى » يُريدُ : إِنِّي كنتُ تامًّا
 السِّلَاحَ بِهِمْ ، موفور العدَدِ والمُدَدِ بمكانهم ، مخشًى الجانِبِ ، لا يُطْمَعُ في
 استنزالي عن حُجَّةِ أركبها ، أو شُبُهَةِ أتلُقُ بها . وذِكْرُ النابِ والظُفْرِ مَثَلٌ
 ضَرَبَهُ لِسِلَاحِهِ وآلَانِهِ التي كان يدفعُ الخصومَ بها ، وَيَقْهَرُ الأعداءَ باستعمالها .
 وقوله « لا يَخْشَوْنَ نابِي ولا ظُفْرِي » يريدُ لا نابٍ لِي بعدهم ولا ظُفْرٍ
 فيُخْشَوْنَ . فهو مَثَلٌ :

* ولا تَرَى الضَّبَّ بها يَنْجَحِرُ^(١) *

٣٨١

وَأَنشَدَ لَامْرَأَةٍ تَرثِي أَبَاهَا :

- ١- إِذَا مَا دَعَا الدَّاعِيَ عَلِيًّا وَجَدْتُنِي أَرَاغُ كَا رَاغَ الْعَجُولِ مُهَيَّبُ
- ٢- وَكَمْ مِنْ سَمِيٍّ لَيْسَ مِثْلَ سَمِيٍّ وَإِنْ كَانَ يُدْعَى بِاسْمِهِ فَيُجِيبُ

(١) البيت لابن أحرر ، كما سبق في حواشي ١٢٠ ، ٢٤٠ ، ٥٩٩ . وصدره :

* لا تَفْزَعُ الأَرْبَ أهوالها *

يقول : متى قرَعَ أذنى دعاه داعٍ باسمٍ ولدى أذعر وأقلق ، كما يذعر
الشكلى مُهَيَّبٌ ، وهو الداعى . والشكلى تنزع لأدنى صيحة ترهقها ،
أو قرعة تضدم قلبها . ويجوز أن يريد بالعجول ناقةً فقدت ولدها بنحرٍ
أو موتٍ ، فهي فى حنينها تنفر من أخفض إهابة ، وأدنى بعث وإزعاج .
ويقال لأمثالها من الثوق : المعاجيلُ أيضاً . ووجدن يزيد على كلٍّ وجدٍ .
لذلك قال :

فما وجدُ أظاري ثلاثِ روائمٍ رأيُنَ سجراً من حواري ومصرعاً^(١)
يُدْكَرُنَ ذا البثِّ الحزينِ ببدنه إذا حنت الأولى سجعنَ لها معاً
بأوجدٍ منى
^(٢)

وقوله « وكَم من سَمِيَّ » يقول : ليس التوافق فى الأسماء مما يوجب التعادل
والتشابه فى السميات ، لأنَّ الأعلام لا تُفيدُ فى المسمين شيئاً ، لكنَّ التشابه
إنما يكون بالأوصاف الحاصلة ، والمعانى المتماثلة . وإذا كان كذلك فالتشاركُ
فى الأسماء وإن حصلت به الإجابة عند الدعاء لا يوجب تقارب المسمين
ولا تباعدهم .

٣٨٢

وقال رجلٌ من كلب^(٣) :

١ - لَمَلَى اللهُ دَهْرًا شَرُّهُ قَبْلَ خَيْرِهِ وَوَجَدَا بَصِيفِي أُنَى بَعْدَ مَعْبَدٍ

(١) الأبيات لثعم بن نيرة فى رثاء أخيه مالك ، من قصيدة فى المفضليات رقم ٦٧ ،
وأنشدها البرد فى الكامل ٧٥٦ - ٧٥٧ لبيسك .

(٢) البيت بتمامه :

بأوجد منى يوم قام بمالك منادٍ بصير بالفراق فأسمعا

(٣) سبق البيت الثالث والرابع من هذه الحماسية فى الحماسية ٣٠١ ص ٨٩٥ - ٨٩٦ .
وقد سبق التنبيه على مثل هذا التكرار فى الحماسية ٣٦٠ .

- ٢ - بَقِيَّةُ إِخْوَانِي أَتَى الدَّهْرُ دُونَهُمْ فَمَا جَزَعِي أَمْ كَيْفَ عَنْهُمْ تَجَلَّدِي
٣ - فَلَوْ أَنَّهَا إِحْدَى يَدَيَّ رَزَيْتُهَا وَلَكِنْ يَدِي بَأَنْتَ عَلَى إِثْرِهَا يَدِي
٤ - فَالَيْتُ أَمْسَى بَعْدَهُمْ إِثْرَ هَالِكٍ قَدِي الْآنَ مِنْ وَجْدٍ عَلَى هَالِكٍ قَدِي^(١)

كَلَى اللَّهُ : دعا على الدهر الذي وصفه ، وقد تقدّم القول في حقيقته . ومعنى « شَرُّهُ قَبْلَ خَيْرِهِ » أى ما كان يُخْتَشَى من شرِّه في الأحيّة سَبَقَ ما كان يُرْتَجَى مِنْ خَيْرِهِ بِهِمْ . ثُمَّ دعا على وَجْدٍ تَعَجَّلَ لَهُ بِصِفَى بعد وَجْدٍ تَقَدَّمَ فِي مَعْبَدٍ ، كَأَنَّهُ كَانَ لَا يَأْمَنُ مِنْ أَحْدَاثِ الدَّهْرِ فِيمَا حَبِي وَأُنْعِمَ عَلَيْهِ فِي إِخْوَةِ كَرَامٍ تَنَاسَقُوا فِي الْوِلَادِ وَالْوِلَادِ ، وَتَقَابَلُوا فِي جَوَازِ تَعْلِيقِ الرَّجَاءِ بِهِمْ عِنْدَ الْحِفَازِ ، فَيَخَافُ . وَعَلَى ذَلِكَ كَانَ يَغْلِبُ فِي نَفْسِهِ وَعَلَى قَلْبِهِ سَلَامَتُهُمْ وَبِقَاؤُهُمْ ، حُسْنُ ظَنِّ بِالْوَاهِبِ ، وَشِدَّةُ طَمَعٍ فِي الْمَوْهُوبِ فَيَسْكُنُ وَلَا يَهَابُ . فَلَمَّا جَرَى الْأَمْرُ عَلَى خِلَافِ مَا ظَنَّ زَعَمَ أَنَّ شَرَّ الدَّهْرِ سَبَقَ خَيْرَهُ ، فدعا عليه . وقوله « وَوَجَدَا بِصِفَى » ، يقول : وكَلَى أَيْضًا جَزَعًا تَجَدَّدَ بِصِفَى بعد مَعْبَدٍ . وهذا تَبَرُّمٌ مِنْهُ بِمَا قَامَى مِنَ الدَّهْرِ ، وَكَابَدَ مِنْ جَزَعٍ بعد جَزَعٍ . وفيه إشارة إلى معنى قول الآخر^(٢) :

* نُوَكِّلُ بِالْأُذْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمِضِي^(٣) *

وقوله « بَقِيَّةُ إِخْوَانِي » يجوز أن يكون المراد به خيارَ إِخْوَانِي ، كما يقال : فلان من بَقِيَّةِ النَّاسِ . ويجوز أن يريد به أَنَّهُ كَانَ فِي إِخْوَانِهِ وَفُورٌ فَفَقَدَ مِنْهُمْ عِدَّةً ، وَجَعَلَ يَأْنَسُ بِبَقِيَّتِهِمْ ، فَأَتَى الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ أَيْضًا . وقوله « فَمَا جَزَعِي أَمْ كَيْفَ عَنْهُمْ تَجَلَّدِي » كَأَنَّهُ كَانَ لَا يَعْتَدُّ بِالْجَزَعِ الْوَاقِعِ لَهُمْ وَمِنْ أَجْلِهِمْ ، لِقُصُورِهِ عَنِ الْوَاجِبِ ، وَوُقُوعِهِ دُونَ الْإِلَازِمِ ، وَلَا يَطْمَعُ مِنْ نَفْسِهِ فِي مُسْكَةٍ

(١) فيما سبق : « نَأْقَسْتُ لَا أَمْسَى عَلَى إِثْرِ هَالِكٍ »

(٢) هو أبو خراش الهذلي انظر الخامسة ٢٦٢ س ٨٧٦ .

(٣) صدره : * عَلِ أَنْهَا تَعْفُو الْكُلُومَ وَإِنَّمَا *

يَتَعَلَّقُهَا ، أَوْ سَلَوَةٍ يَتَكَلَّفُهَا ، إِذْ كَانَ الْخُطْبُ أَعْظَمَ ، وَالرِّزْهُ أَمْلَكَ .

وقوله « فلو أنها إحدى يدي رزيتها » جواب لو محذوف ، يريد : لو أصبت ببعضهم لسهل ما تعذر أو خف ما ثقل ، ولكنهم تجاوبوا للدعوة ، وتتابعوا في الثقلة ، ففدحت المصيبة ، وجلت الرزية^(١) .

وقوله « فأليت آسى بعدهم » يريد : حلفت لا آسى بعدهم في إثر هالك ، فحذف لا ولم يخف التباسه بالواجب ، إذ كان للواجب صيغة مفردة باللام وإحدى الثونين الثقيلة أو الخفيفة ، وقد مر مثله . والمعنى أن خوفي كان فيهم ، وإذ قد أصبت بهم فإني لا أجزع لفائتي ، فحسبي على الهالك ما بي حسبي . وقال « قدني » ولو قال : قدني ، فأتى بنون العماد ليسلم سكون قد ، لجاز . قال الشاعر^(٢) :

* قَدَنِي مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبَيْنِ قَدِي *

فأتى بهما جميعاً .

وقوله « إثر هالك » انتصب على الظرف .

٣٨٣

وَأَنْشَدَنِي لِأَعْرَابِي^(٣) :

١ — لَحَى اللَّهُ دَهْرًا شَرُّهُ قَبْلَ خَيْرِهِ تَقَاضَى فَلَمْ يُحْسِنْ إِلَيْنَا التَّقَاضِيَا

٢ — فَتَى كَانَ لَا يَطْوِي عَلَى الْبُخْلِ نَفْسُهُ إِذَا انْتَمَرَتْ نَفْسَاهُ فِي السَّرِّ خَالِيَا

قد مر القول في بيان الدعاء على الدهر وشرحه ، وفي معنى « شره قبل

(١) ما سبق من شرح البيت في ص ٨٩٦ أقوى وأتمل مما هنا .

(٢) هو حميد الأرقط . الخزانة (١ : ٤٥٣) . وقد سبق في ٨٩٦ .

(٣) كذا في ل : وفي الأصل : « وأنشد لابن الأعرابي » ، وهو تحريف . وعند

التبريزي : « وقال أعرابي » .

خير^(١) » ، فأما قوله « تَقَاضَى فَلَمْ يُحْسِنْ إِلَيْنَا التَّقَاضِيَا » فالمعنى طالبنا برد ما مَنَحْنَا فلم يُحْسِنْ في التقاضي ، لإسرافه في الفعل ، واستعجاله في الرد ، واعتسافه في الأخذ ، ولأن العواري قد تُرتَجِعُ ، والمناخ قد تُسْتَرَد ، على وجه لا يُحِلُّ فيه بالإجمال ، ولا يُفسد به ما تقدّم من الإفضال .

وقوله « فَتَى كَانَ لَا يَطْوِي عَلَى الْبُخْلِ نَفْسَهُ » يريد أنه إذا اجتداه المُجْتَدِي لَا يَرَى لِنَفْسِهِ أَنْ تَطْوِي عَلَى الْبُخْلِ وَالْإِمْسَاكِ ، والضَّنُّ بما في يده عليه ، إذا ائتمرت نفسه ، أي تشاورت فيما بينه وبينهما ، فأقبلت واحدة تأمرُ بالبذل ، والأخرى تُشير بالإمساك . ففي ذلك الوقت يصمُّ على ترك الاتئام للآمرِ بالبخل ويخرج من طاعته إلى العطاء والبذل . والاتئام : التشاور هاهنا . فأما قوله :

* وَيَعْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتِمِرُ ^(٢) *

فالمراد به ما يجعله من أمره وهمه ، فيقول : إذا ائتمر المرء لغيره ما ليس برشاد فإنه يعدو عليه فيهلكه . وهذا كما قيل : من حَفَر مَهْوَاةً وَقَعَ فِيهَا .

٣٨٤

وَقَالَ الْأَبِيرْدُ الْيَرْبُوعِيُّ ^(٣) :

١ — وَلَمَّا نَعَى النَّاعِي يَزِيدَ تَغَوَّلَتْ بِي الْأَرْضُ فَرَطَ الْحَزْنَ وَانْقَطَعَ الظُّهْرُ ^(٤)

(١) انظر الحاسية السابقة .

(٢) لامرئ القيس في ديوانه ٣ . ومصدره :

* أَحَارُ بْنُ عَمْرٍو كَأَنِّي خَرُ *

(٣) هو الأبيرد بن المعذر بن عبد بن قيس بن عتاب بن هري بن رياح بن يربوع بن مالك ابن حنظلة التميمي . شاعر بدوي من شعراء صدر الإسلام وأول دولة بني أمية . الأغاني (٩ : ١٢ — ١٥) .

(٤) يزيد ، كذا وردت في النسختين . والصواب « يزيد » كما في الأغاني ورواية التبريزي . ويريد هذا هو أخو الأبيرد ، كما في شرح التبريزي والأغاني ، وأمالى الغالي (٢ : ٣) وتنبيه البكري ٦٦ .

يقول : لما خَبَرَ الْحَبْرُ بِمَوْتِ يَزِيدَ تَلَوَّنَتِ الْأَرْضُ فِي عَيْنِي فَابْيَضَّتْ تَارَةً
وَأَسْوَدَتْ أُخْرَى ، لِشِدَّةِ حُزْنِي ، وَانْقَطَعَ ظَهْرِي وَتَسَاقَطَتْ قُوَايَ ، وَقَوْلُهُ
« تَقَوَّلْتُ » اسْتِثْقَاؤُهُ مِنَ الْغَوْلِ . وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ فِي هَذَا الْقَبِيلِ مِنَ الْجُنِّ أَنَّهُمْ
يَتَصَوَّرُونَ بِمَا شَاءُوا مِنَ الصُّوَرِ . وَيُقَالُ : غَوَّ لَهُمُ الْغَوْلُ وَتَغَوَّ لَهُمْ ، إِذَا
تَوَلَّوْهُمْ . وَانْتَصَبَ « فَرَطَ الْحَزْنَ » عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ . وَالْكَلَامُ تَسْلِيٍّ مِنْ
غَيْرِ الدَّهْرِ وَتَأْثِيرِ الْمَصِيبَةِ فِيهِ ، حَتَّى انْكَسَرَ قَنَاةُ ظَهْرِهِ ، وَاخْتَلَلَ مَا كَانَ
قَوِيماً مِنْ أَعْوَاهِهِ .

٢ — عَسَا كَرُّ نَفْسِي النَّفْسَ حَتَّى كَانَتِي . أَخُو سَكْرَةٍ دَارَتْ بِهَامَتِهِ الْخَمْرُ^(١)
العساكر : جمع عَسْكَرَةٍ ، وَهِيَ الشَّدَّةُ . قَالَ :

* ظَلَّ فِي عَسْكَرَةٍ مِنْ حُبِّهَا^(٢) *

فَيَقُولُ : غَشِيَتْ نَفْسِي أَنْوَاعُ الْبَلَاءِ ، فَزَالَ عَقْلِي لَهَا ، حَتَّى صَرْتُ كَأَنِّي
سَكْرَانٌ دَبَّتِ الْخَمْرُ فِي عَقْلِهِ وَدِمَاغِهِ ، حَتَّى دَارَتْ هَامَتُهُ ، وَزَالَ تَمَاسُكُهُ وَقُوَّتُهُ .
وَلَكَّ أَنْ تَرَوِي : « دَارَتْ بِهَامَتِي الْخَمْرُ » لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ أَخُو السَّكْرَةِ نَفْسَهُ جَازٍ
أَنْ يُجْعَلَ الضَّمِيرُ الرَّاجِعُ إِلَيْهِ ضَمِيرَ نَفْسِهِ . وَهُمْ يَفْعَلُونَ فِي الصِّفَاتِ وَالصَّلَاتِ
هَذَا . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ :

* أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُخِي حَيْدَرَةً^(٣) *

وَلَمْ يَقُلْ أُمُّهُ ، وَإِنْ كَانَ وَجْهَ الْكَلَامِ . وَإِنْ رُوِيَ « دَارَتْ بِهَامَتِهِ الْخَمْرُ »
فَهُوَ الصَّوَابُ الْمُخْتَارُ .

(١) فِي الْأَمَالِي : « أَخُو نَشْوَةٍ » .

(٢) الْبَيْتُ لَطَرْفَةٌ فِي دِيْوَانِهِ ٦٥٧ وَطَلَّاسَانِ (عَبَّكَر) . وَهُوَ هُزْجٌ :

* وَفَاتٌ شَحَطَ مَوَاوِ الْمَعْدِ كَرًا *
٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١٥٥٥ ١٥٥٦ ١٥٥٧ ١٥٥٨ ١٥٥٩ ١٥٦٠ ١٥٦١ ١٥٦٢ ١٥٦٣ ١٥٦٤ ١٥٦٥ ١٥٦٦ ١٥٦٧ ١٥٦٨ ١٥٦٩ ١٥٧٠ ١٥٧١ ١٥٧٢ ١٥٧٣ ١٥٧٤ ١٥٧٥ ١٥٧٦ ١٥٧٧ ١٥٧٨ ١٥٧٩ ١٥٨٠ ١٥٨١ ١٥٨٢ ١٥٨٣ ١٥٨٤ ١٥٨٥ ١٥٨٦ ١٥٨٧ ١٥٨٨ ١٥٨٩ ١٥٩٠ ١٥٩١ ١٥٩٢ ١٥٩٣ ١٥٩٤ ١٥٩٥ ١٥٩٦ ١٥٩٧ ١٥٩٨ ١٥٩٩ ١٦٠٠ ١٦٠١ ١٦٠٢ ١٦٠٣ ١٦٠٤ ١٦٠٥ ١٦٠٦ ١٦٠٧ ١٦٠٨ ١٦٠٩ ١٦١٠ ١٦١١ ١٦١٢ ١٦١٣ ١٦١٤ ١٦١٥ ١٦١٦ ١٦١٧ ١٦١٨ ١٦١٩ ١٦٢٠ ١٦٢١ ١٦٢٢ ١٦٢٣ ١٦٢٤ ١٦٢٥ ١٦٢٦ ١٦٢٧ ١٦٢٨ ١٦٢٩ ١٦٣٠ ١٦٣١ ١٦٣٢ ١٦٣٣ ١٦٣٤ ١٦٣٥ ١٦٣٦ ١٦٣٧ ١٦٣٨ ١٦٣٩ ١٦٤٠ ١٦٤١ ١٦٤٢ ١٦٤٣ ١٦٤٤ ١٦٤٥ ١٦٤٦ ١٦٤٧ ١٦٤٨ ١٦٤٩ ١٦٥٠ ١٦٥١ ١٦٥٢ ١٦٥٣ ١٦٥٤ ١٦٥٥ ١٦٥٦ ١٦٥٧ ١٦٥٨ ١٦٥٩ ١٦٦٠ ١٦٦١ ١٦٦٢ ١٦٦٣ ١٦٦٤ ١٦٦٥ ١٦٦٦ ١٦٦٧ ١٦٦٨ ١٦٦٩ ١٦٧٠ ١٦٧١ ١٦٧٢ ١٦٧٣ ١٦٧٤ ١٦٧٥ ١٦٧٦ ١٦٧٧ ١٦٧٨ ١٦٧٩ ١٦٨٠ ١٦٨١ ١٦٨٢ ١٦٨٣ ١٦٨٤ ١٦٨٥ ١٦٨٦ ١٦٨٧ ١٦٨٨ ١٦٨٩ ١٦٩٠ ١٦٩١ ١٦٩٢ ١٦٩٣ ١٦٩٤ ١٦٩٥ ١٦٩٦ ١٦٩٧ ١٦٩٨ ١٦٩٩ ١٧٠٠ ١٧٠١ ١٧٠٢ ١٧٠٣ ١٧٠٤ ١٧٠٥ ١٧٠٦ ١٧٠٧ ١٧٠٨ ١٧٠٩ ١٧١٠ ١٧١١ ١٧١٢ ١٧١٣ ١٧١٤ ١٧١٥ ١٧١٦ ١٧١٧ ١٧١٨ ١٧١٩ ١٧٢٠ ١٧٢١ ١٧٢٢ ١٧٢٣ ١٧٢٤ ١٧٢٥ ١٧٢٦ ١٧٢٧ ١٧٢٨ ١٧٢٩ ١٧٣٠ ١٧٣١ ١٧٣٢ ١٧٣٣ ١٧٣٤ ١٧٣٥ ١٧٣٦ ١٧٣٧ ١٧٣٨ ١٧٣٩ ١٧٤٠ ١٧٤١ ١٧٤٢ ١٧٤٣ ١٧٤٤ ١٧٤٥ ١٧٤٦ ١٧٤٧ ١٧٤٨ ١٧٤٩ ١٧٥٠ ١٧٥١ ١٧٥٢ ١٧٥٣ ١٧٥٤ ١٧٥٥ ١٧٥٦ ١٧٥٧ ١٧٥٨ ١٧٥٩ ١٧٦٠ ١٧٦١ ١٧٦٢ ١٧٦٣ ١٧٦٤ ١٧٦٥ ١٧٦٦ ١٧٦٧ ١٧٦٨ ١٧٦٩ ١٧٧٠ ١٧٧١ ١٧٧٢ ١٧٧٣ ١٧٧٤ ١٧٧٥ ١٧٧٦ ١٧٧٧ ١٧٧٨ ١٧٧٩ ١٧٨٠ ١٧٨١ ١٧٨٢ ١٧٨٣ ١٧٨٤ ١٧٨٥ ١٧٨٦ ١٧٨٧ ١٧٨٨ ١٧٨٩ ١٧٩٠ ١٧٩١ ١٧٩٢ ١٧٩٣ ١٧٩٤ ١٧٩٥ ١٧٩٦ ١٧٩٧ ١٧٩٨ ١٧٩٩ ١٨٠٠ ١٨٠١ ١٨٠٢ ١٨٠٣ ١٨٠٤ ١٨٠٥ ١٨٠٦ ١٨٠٧ ١٨٠٨ ١٨٠٩ ١٨١٠ ١٨١١ ١٨١٢ ١٨١٣ ١٨١٤ ١٨١٥ ١٨١٦ ١٨١٧ ١٨١٨ ١٨١٩ ١٨٢٠ ١٨٢١ ١٨٢٢ ١٨٢٣ ١٨٢٤ ١٨٢٥ ١٨٢٦ ١٨٢٧ ١٨٢٨ ١٨٢٩ ١٨٣٠ ١٨٣١ ١٨٣٢ ١٨٣٣ ١٨٣٤ ١٨٣٥ ١٨٣٦ ١٨٣٧ ١٨٣٨ ١٨٣٩ ١٨٤٠ ١٨٤١ ١٨٤٢ ١٨٤٣ ١٨٤٤ ١٨٤٥ ١٨٤٦ ١٨٤٧ ١٨٤٨ ١٨٤٩ ١٨٥٠ ١٨٥١ ١٨٥٢ ١٨٥٣ ١٨٥٤ ١٨٥٥ ١٨٥٦ ١٨٥٧ ١٨٥٨ ١٨٥٩ ١٨٦٠ ١٨٦١ ١٨٦٢ ١٨٦٣ ١٨٦٤ ١٨٦٥ ١٨٦٦ ١٨٦٧ ١٨٦٨ ١٨٦٩ ١٨٧٠ ١٨٧١ ١٨٧٢ ١٨٧٣ ١٨٧٤ ١٨٧٥ ١٨٧٦ ١٨٧٧ ١٨٧٨ ١٨٧٩ ١٨٨٠ ١٨٨١ ١٨٨٢ ١٨٨٣ ١٨٨٤ ١٨٨٥ ١٨٨٦ ١٨٨٧ ١٨٨٨ ١٨٨٩ ١٨٩٠ ١٨٩١ ١٨٩٢ ١٨٩٣ ١٨٩٤ ١٨٩٥ ١٨٩٦ ١٨٩٧ ١٨٩٨ ١٨٩٩ ١٩٠٠ ١٩٠١ ١٩٠٢ ١٩٠٣ ١٩٠٤ ١٩٠٥ ١٩٠٦ ١٩٠٧ ١٩٠٨ ١٩٠٩ ١٩١٠ ١٩١١ ١٩١٢ ١٩١٣ ١٩١٤ ١٩١٥ ١٩١٦ ١٩١٧ ١٩١٨ ١٩١٩ ١٩٢٠ ١٩٢١ ١٩٢٢ ١٩٢٣ ١٩٢٤ ١٩٢٥ ١٩٢٦ ١٩٢٧ ١٩٢٨ ١٩٢٩ ١٩٣٠ ١٩٣١ ١٩٣٢ ١٩٣٣ ١٩٣٤ ١٩٣٥ ١٩٣٦ ١٩٣٧ ١٩٣٨ ١٩٣٩ ١٩٤٠ ١٩٤١ ١٩٤٢ ١٩٤٣ ١٩٤٤ ١٩٤٥ ١٩٤٦ ١٩٤٧ ١٩٤٨ ١٩٤٩ ١٩٥٠ ١٩٥١ ١٩٥٢ ١٩٥٣ ١٩٥٤ ١٩٥٥ ١٩٥٦ ١٩٥٧ ١٩٥٨ ١٩٥٩ ١٩٦٠ ١٩٦١ ١٩٦٢ ١٩٦٣ ١٩٦٤ ١٩٦٥ ١٩٦٦ ١٩٦٧ ١٩٦٨ ١٩٦٩ ١٩٧٠ ١٩٧١ ١٩٧٢ ١٩٧٣ ١٩٧٤ ١٩٧٥ ١٩٧٦ ١٩٧٧ ١

٣ - قَتَى إِنْ هُوَ اسْتَعْنَى تَخَرَّقَ فِي الْغِنَى وَإِنْ قَلَّ مَالٌ لَمْ يَضَعْ مَتْنَهُ الْفَقْرُ^(١)
٤ - قَتَى لَا يَعُدُّ الرَّسْلَ يَقْضَى ذِمَامَهُ إِذَا نَزَلَ الْأُضْيَافُ أَوْ تُنَحَّرَ الْجُزُرُ
البيت الأول يشبهه قول الهذلى^(٢) :

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقَرُّهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمُشِيعٌ غِنَاهُ

وقوله « تَخَرَّقَ فِي الْغِنَى » أى تَكَرَّمَ فِي غِنَاهُ وَتَوَسَّعَ . وَهُوَ تَفَعَّلَ مِنْ الْخَرَقِ : السَّكْرِيمُ مِنَ الرِّجَالِ ، الَّذِي يَتَخَرَّقُ بِالْمَعْرُوفِ .

وقوله « وَإِنْ قَلَّ مَالٌ » أَرَادَ مَالَهُ . وَمَعْنَى « لَمْ يَضَعْ مَتْنَهُ الْفَقْرُ » أَيْ لَمْ يَوْرِثْهُ إِفْلَاقُهُ تَخَضُّعًا وَتَخَشُّعًا حَتَّى تَطَاطَأَ ظَهْرُهُ ، وَانْخَفَضَ شَخْصُهُ . وَإِنْ رَوَيْتَ « وَإِنْ قَلَّ مَالًا » بِالنَّصْبِ جَازٍ ، وَيَكُونُ فَاعِلُ قَلَّ مَا اسْتَكْنَفِيهِ مِنْ ضَمِيرِ الْقَتَى ، وَانْتَصَبَ مَالًا عَلَى التَّمْيِيزِ . كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَاسْتَقْلِلْ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ .
وقوله « قَتَى لَا يَعُدُّ الرَّسْلَ يَقْضَى ذِمَامَهُ » يَرِيدُ إِذَا نَزَلَ الْأُضْيَافُ بِهِ لَا يَعُدُّ اللَّبَنَ قَاضِيًا ذِمَامَ قِرَاهِمَ ، وَلَا كَافِيًا فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِ لَهُمْ ، حَتَّى يَنْحَرَّ جُزْرُهُ ، وَيُوسَّعَ مَطَاعِمَهُ . وَقَوْلُهُ « أَوْ تُنَحَّرَ » أَوْ بَدَلٌ مِنْ إِلَّا ، وَانْتَصَبَ الْفَعْلُ بِإِضْمَارِ أَنْ^(٣) .

(١) القالى : « وَإِنْ كَانَ فَقْرٌ لَمْ يُوْدِ مَتْنَهُ الْفَقْرُ » . الْأَغَانِي : « فَإِنْ قَلَّ مَالًا لَمْ يُوْدِ مَتْنَهُ » . وَبَيْنَ هَذَا الْبَيْتِ وَتَالِيهِ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ :

وَسَامَى جَسِمَاتِ الْأُمُورِ فَنَاهَا عَلَى الْعُسْرِ حَتَّى أَدْرَكَ الْعُسْرَ الْيُسْرُ

(٢) حُوِ التَّنَخُّلُ الْهَذَلِيُّ . دِيْوَانُ الْهَذَلِيِّينَ (٢ : ٣٠) . وَقَدْ سَبَقَ هَذَا الْبَيْتُ فِي ٥٥٢ .

(٣) أَنشَدَ التَّبْرِيزِيُّ بَعْدَهُ هَذَا الْبَيْتَ :

أَجْعَلْ عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ لَاقِيًا بُرَيْدًا طَوَالَ الدَّهْرِ مَا لَآلَاءَ الْمُقْرِ

وَقَالَ : الْمُقْرِ الطَّبَاءُ الَّتِي تَعْلُو بِبَاضِهَا حِمْرَةً . وَلَآلَاءُ الطَّبِي : حَرَكُ ذَنْبِهِ . وَمِنْهُ تَلَاؤُ الْبَرْقِ ، إِذَا تَحَرَّكَ . وَلَمَّا اسْتَعْمَلُوا ذَلِكَ فِي الْبَرْقِ وَكَانَ مَعَ إِضَاءَةٍ اسْتَقْفُوا مِنْهُ اسْمَ الْأَوَّلِ .

٣٨٥

وَأَنشِدْ لِسَلْمَةَ الْجُعْفِيِّ يَرْتِي أَخَاهُ لِأُمِّهِ ^(١) :

١ - أَقُولُ لِنَفْسِي فِي الْخَلَاءِ أَلَوْمُهَا لَكَ الْوَيْلُ مَا هَذَا التَّجَلُّدُ وَالصَّبْرُ

٢ - أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ لَسْتُ مَاعِشْتُ لَا قِيَا أَخِي إِذْ أَتَى مِنْ دُونِ أَوْصَالِهِ الْقَبْرِ

يقول : إِنِّي أَتَسَخَّطُ مَا أَقِيمُهُ مِنَ الْهَلَعِ فِيمَنْ أَصَبْتُ بِهِ ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى نَفْسِي إِذَا خَلَوْتُ بِهَا بِاللَّوْمِ وَالتَّعْنِيفِ ، وَأَقُولَ حَلَّ ^(٢) بِكَ الْوَيْلُ ، مَا الَّذِي يَظْهَرُ مِنْكَ مِنْ تَكْلُفِ الْجَلَدِ وَالصَّبْرِ فِيمَا بُلِيتُ بِهِ . أَمَّا عَلِمْتُ أَنِّي مَدَّةَ عَيْشِي لَا أَلَا قِي أَخِي وَقَدْ حَجَزَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الثَّرَى ؟ !

وقوله « أَلَوْمُهَا » في موضع الحال ، « وَلَكَ الْوَيْلُ » في موضع المفعول لأقول ، و « مَا هَذَا التَّجَلُّدُ » استفهامٌ على طريق التقرُّيع والتوبيخ . وَارْتَفَعَ التَّجَلُّدُ عَلَى أَنَّهُ عَطْفُ الْبَيَانِ . وَقَوْلُهُ « أَلَمْ تَعْلَمْ » تَقْرِيرٌ فِيمَا هُوَ وَاجِبٌ ، لِأَنَّ حَرْفَ الِاسْتِفْهَامِ قَدْ ضَامَّهُ حَرْفُ النَّفْيِ ، وَالِاسْتِفْهَامُ غَيْرُ وَاجِبٍ فَهُوَ كَالنَّفْيِ ، وَنَفْيُ النَّفْيِ إِيجَابٌ .

وقوله « أَنَّ لَسْتُ » أَنْ مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ ، وَاسْمُهُ يَحْجُوزُ أَنْ يَكُونَ ضَمِيرُ الرَّجُلِ ، أَرَادَ أَنِّي لَسْتُ ، وَيَحْجُوزُ أَنْ يَكُونَ ضَمِيرُ الْأَمْرِ وَالشَّأْنِ . وَ « مَاعِشْتُ » فِي مَوْضِعِ الظَّرْفِ . وَ « لَا قِيَا » خَبَرٌ لَيْسَ . وَ « إِذْ أَتَى » ظَرْفٌ لَهُ . وَالْأَوْصَالُ :

(١) هُوَ سَلْمَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَشْجَعَةَ بْنِ الْحَجَّاجِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَوْفِ بْنِ حَرِيمِ بْنِ جَعْفَى . وَجَعْفَى : حَى مِنْ مَذْحِجٍ نَزَلَ السَّكُوفَةُ . وَكَانَ مِنْ وَفْدِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَدَّثَ عَنْهُ الْإِسَابِيُّ ٣٣٩٨ . وَذَكَرَ ابْنُ حَجَرٍ أَنَّهُ يَرْتِي أَخَاهُ شَقِيقَهُ قَيْسَ بْنَ يَزِيدَ . وَذَكَرَ الْفَالِيُّ فِي الْأَمَالِيِّ (٢ : ٧٣) أَنَّهُ أَخُوهُ لِأُمِّهِ كَمَا قَالَ أَبُو تَمَامٍ ، وَاسْمُهُ عِنْدَهُ : « قَيْسُ بْنُ سَلْمَةَ » ، وَصَبَّحَ الْبَكْرِيُّ فِي التَّنْبِيهِ ٩٧ أَنَّ أَخَاهُ لِأُمِّهِ هُوَ « سَلْمَةُ بْنُ مَغْرَاءَ » . (٢) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « جَل » بِالْجِيمِ الْمُعْجَمَةِ .

جمع وَصَلَ ، وهو اسمٌ للأعضاء المتَّصلِ بعضها ببعض . ويقال : وَصَلَ وَوَصَلَ ، بالفتح والكسر .

٣- وَكُنْتُ أَرَى كَالْمَوْتِ مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ فَكَيْفَ بَيِّنٍ كَانَ مِيعَادَهُ الْحَشْرُ

٤- وَهَوْنٌ وَجَدِي أَنْتَى سَوْفَ أَعْتَدِي عَلَى إِثْرِهِ يَوْمًا وَإِنْ نَفَسَ الْعُمْرُ

قوله « كالموت » جعل الكاف وحده اسمًا . وكان أبو العباس يتبع أبا الحسن الأخفش في جواز وقوعه اسمًا في غير الضرورة ، وأنشد :

أَتَذْهَبُونَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ كَالطَّنِ يَهْلِكُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْفُتْلُ^(١)

ويجعل الكاف في موضع فاعل يَنْهَى . وسيبويه لا يرى ذلك إلا في الضرورة ، كأنه قال : أرى مثل الموت . ولا يمتنع أن يكون « كالموت » صفةً لموصوف محذوف ، كأنه قال : وَكُنْتُ أَرَى شَيْئًا أَوْ أَمْرًا مِثْلَ الْمَوْتِ .

وقوله « مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ » مِنْ دَخَلَ لِلتَّبْيِينِ^(٢) ، والمعنى : كُنْتُ أَعُدُّ مَفَارِقِي لَهُ فِي لَيْلَةٍ كَالْمَوْتِ ، أو أُقَاسِي مِثْلَ الْمَوْتِ مِنْ أَجْلِ مَفَارِقَةِ لَيْلَةٍ مِنْهُ ، فكيف يكون حالي وقد فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَيْنَ مَوْعِدُ الْإِلْتِقَاءِ بَعْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . ومثل قوله « مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ » قوله تعالى : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ . ولك أن تجعل مِنْ بَيْنِ ، في موضع المفعول لأرى ، وتجعل مِنْ زائدةً على طريقة الأَخْفَشِ في جواز دخوله زيادةً في الواجب ، فيكون التَّقدير : كُنْتُ أَرَى بَيْنَ لَيْلَةٍ ، أَيْ فَرَاقَ لَيْلَةٍ ، كَالْمَوْتِ . فيكون كالموت في موضع المفعول الثاني . وقوله « كَانَ مِيعَادَهُ » وَضَعَ الْمَاضِيَ مَوْضِعَ الْمُسْتَقْبَلِ أَيْ يَكُونُ مِيعَادُهُ ، وَالْهَاءُ يَرْجِعُ إِلَى الْبَيْنِ ، كَأَنَّهُ وَعْدُهُ الزَّوَالَ وَالْإِلْتِقَاءُ مَعَهُ مِنْ بَعْدِهِ فِي يَوْمِ الْحَشْرِ .

وقوله « وَهَوْنٌ وَجَدِي أَنْتَى » مَوْضِعُ أَنْتَى رَفَعٌ ، لِأَنَّهُ فَاعِلُ هَوْنٍ .

(١) البيت للأعشى من لامبته المشهورة . ديوانه ص ٤٨ .

(٢) في الأصل : « للتبوين » . صوابه في ل .

والمعنى : خَفَّتْ وَجْدِي وَقَلَّتِي أَنِّي ذَاهِبٌ فِي إِثْرِهِ ، وَخُلِّ مَكَانِي مِنَ الدُّنْيَا بَعْدَهُ يَوْمًا ، وَإِنْ أَطِيلُ عُمرِي ، وَنَفْسٌ فِي أَجَلِي .

٥- فَتَّى كَانَ يُعْطَى السَّيْفُ فِي الرَّوْعِ حَقَّهُ إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِيَ وَتَشَقَّى بِهِ الْجُزْرُ

٦- فَتَّى كَانَ يُدْنِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَعْفَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ

يريد أن المرئي كان إذا حضر الوغى تصور للسيف عليه حقاً فجاهد نفسه في توفير ذلك الحق عليه إذا أعاد الداعي وكرّر : يال فلان !! مِراراً . والتثويب في الأذان معروف . وقوله « وَتَشَقَّى بِهِ الْجُزْرُ » يريد وقت نزول الأضياف ، وأنه كان لا يَرْضيه أقرب المنازل في نُزُل الضيف^(١) ، بل كان يرتقى إلى أعلاها . وهذا المعنى قد مضى قريباً ، وكذلك البيت الثاني قد مضى مثله^(٢) . ومعنى يُدْنِيهِ الْغَنَى من صديقه أَنَّهُ كَانَ يَعُدُّ التَّفَرُّدَ بِالْغَنَى لَوْثًا ، وَكَانَ يُشْرِكُ أَصْدِقَاءَهُ فِيهِ ، كَمَا يَعُدُّ فِي حَالِ الْإِضَافَةِ وَالْفَقْرَ مَلَاسَةً الْأَصْدِقَاءَ كَالْتَفَرُّضِ لِحَبْرِهِمْ ، فَيُبْعِدُهُ عَنْهُمْ .

٣٨٦

وَقَالَتْ عَمْرَةُ الْخُشْمِيَّةُ ، تَرْتِي ابْنَيْهَا :

١- لَقَدْ زَعَمُوا أَنِّي جَزَعْتُ عَلَيْهِمَا وَهَلْ جَزَعْتُ أَنْ قُلْتُ وَابَايَاهُمَا

الرَّغْمُ يُسْتَعْمَلُ كَثِيرًا فِيْمَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ ، لِذَلِكَ قَالَتْ فِيْمَا حَكَّتْ عَنْ الْقَوْمِ : زَعَمُوا . كَأَنَّهَا لَمَّا اسْتَشْرَفَ^(٣) النَّاسُ جَزَعَهَا وَهَلَعَهَا ، فَتَذَاكَرُوا أَمْرَهَا فِيْمَا بَيْنَهُمْ أَظْهَرَتْ الْإِنْكَارَ وَالتَّكْذِيبَ فِيْمَا تَوَهَّمُوهُ ، فَقَالَتْ : وَهَلْ جَزَعْتُ أَنْ قُلْتُ وَابَايَاهُمَا ،

(١) النزل بضمة وبضمين : ما يهب للضيف أن ينزل عليه .

(٢) انظر الحماسية السابقة .

(٣) في النسختين : « استشرف » بالشين المعجمة بعد التاء ، والوجه ما أثبتنا .

تُرَى أَنْ مَا تَكَلَّفْتَهُ مِنَ التَّوَجُّعِ لَهَا عَلَى قَدْرِ قَوْلِ الْقَائِلِ : وَأَبَا بَاهَا . وَلَفْظُهُ « وَآ » تَأْلُمُ وَتَشْكُ ، وَهِيَ حَرْفٌ لِلنَّدْبَةِ . وَ« أَبَا بَاهَا » أَرَادَتْ : أَبَايَ هَا ، فَعَرَّ مِنْ الْكُسْرَةِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ إِلَى الْفَتْحَةِ فَانْقَلَبَتْ أَلِفًا . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : بَادَاةٌ وَنَاصَاةٌ ، فِي بَادِيَةٍ وَنَاصِيَةٍ . وَقَوْلُهَا « وَهَلْ جَزَعٌ » ارْتَفَعَ جَزَعٌ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ ، وَ« أَنْ قُلْتُ » فِي مَوْضِعِ الْمُبْتَدَأِ ، تَقْدِيرُهُ هَلْ جَزَعٌ قَوْلِي وَأَبَا بَاهَا ، وَارْتَفَعَ هَا مِنْ وَأَبَا بَاهَا عَلَى الْمُبْتَدَأِ ، وَأَبَا خَبَرَهُ . هَذَا عَلَى طَرِيقَةِ سَيَبَوِيهِ ، وَعَلَى مَذْهَبِ الْأَخْفَشِ يَرْتَفِعُ بِالظَّرْفِ . وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ : « بَأَنَا هَا » ، أَيْ أَفْدِيهِمَا بِنَفْسِي وَأَنَا هُوَ ضَمِيرُ الْمَرْفُوعِ ، وَقَدْ وَقَعَ مَوْضِعَ الْمَجْرُورِ ، وَكَقَوْلِهِمْ : هُوَ كَأَنَّا ، وَأَنَا كَهُوَ .

٢ - هُمَا أَخَوَا فِي الْحَرْبِ مَنْ لَا أَخَالَهُ إِذَا خَافَ يَوْمًا نَبُوءَةَ فَدَعَا هُمَا أَلَمْتُ فِي هَذَا بِقَوْلِهِ ^(١) :

* إِذَا لَمْ أَجْنِ كُنْتُ مَجْنَّ جَانٍ ^(٢) *

تَقُولُ : كَانَا يَنْصُرَانِ مَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ مِنَ الْقَوْمِ إِذَا خَشِيَ نَبُوءَةَ مِنْ نَبَوَاتِ الدَّهْرِ يَوْمًا فَاسْتَغَاثَ بِهِمَا . وَقَوْلُهَا « أَخَوَا فِي الْحَرْبِ مَنْ لَا أَخَالَهُ » فَصَلَّتْ فِيهِ بَيْنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَالْمُضَافِ بِالظَّرْفِ ، فَلِذَلِكَ حُذِفَتِ النُّونُ مِنْ أَخَوَانِ ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ :

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مَنْ يُبْغَالِهُنَّ بِنَا أَوَاخِرِ الْمَيْسِ أَصْوَاتُ الْفَرَارِيِّجِ ^(٣)

فَفَصَّلَ بِقَوْلِهِ « مَنْ يُبْغَالِهُنَّ بِنَا » . وَقَوْلُهَا « مَنْ لَا أَخَالَهُ » نَوَتْ الْإِضَافَةَ ثُمَّ أَدْخَلَتْ اللَّامَ تَأْكِيدًا لِلْإِضَافَةِ الَّتِي قَصَدَتْهَا ، لِذَلِكَ أُثْبِتَتِ الْأَلِفُ مِنْ

(١) هُوَ سَوَارُ بْنُ الْمَضْرِبِ السَّعْدِيُّ . الْحَمَاسِيَّةُ ١٨ ص ١٣٢ .

(٢) صَدْرُهُ : * وَأَنِّي لَا أَزَالُ أَخَا حُرُوبٍ *

(٣) الْبَيْتُ لَدَى الرِّمَّةِ فِي دِيْوَانِهِ ٢٦٠ وَاللَّسَانُ (قَفْضُ) . وَيُرْوَى : « لِاقْلَاضِ الْفَرَارِيِّجِ » .

لا أخوا ، لأن هذه الألف لا تثبت إلا في الإضافة إذ كان في الأفراد يُقالُ أخٌ .
 وخبر لا محذوف كأنها قالت : لا أخوا موجوداً أو في الدنيا . ولو قالت : لا أخ
 له ، لكان له خبراً للا ، على قولهم : لا أب لك ، ولا أبا لك . وإنما قلت
 أدخلت اللام لتوكيد الإضافة التي قصدتها ، لأن الإضافة غير معتد بها هنا ، فلا
 تُعرفُ الأخ ، واللام تُبطلُ الإضافة في الأصل . وهذه اللام لا تدخل إلا في
 بائِن : أحدها باب النفي ، وهو ما نحن فيه ، والثاني باب النداء في مثل قولهم :
 * يا بُوسَ للحرب ^(١) *

لأن المراد : يا بُوسَ الحرب .

٣ - هما يلبسانِ المجدَ أحسنَ لبسةٍ شحيحانِ ما اسطاعَا عليهِ كَلاهما

وصفتها بأنهما يكتسبان المجد ويستمتعان به أحسن استمتاع وأجمل
 اكتساب ، وأنهما يرضنان به حيث ظهر وطلع فلا يترُ كأنه لأحدٍ ماداما
 يستطيعان كسبه والفوز به . وانتصب « أحسن لبسة » على أنه مصدر . وارتفع
 « شحيحان » على أنه خبر مقدم ، والمبتدأ « كلاهما » ، و « ما اسطاعَا » في
 موضع الظرف واسم الزمان محذوف معه . واسطاعَ منقوص عن استطاع .
 وتقدير الكلام : كلاهما شحيحان به ما اسطاعا عليه ، أي ما قدرا عليه . ومعنى
 « يلبسان المجد » ، أي يتمليانه ويمتعان به . قال :

لبستُ أبى حتَّى تملَّيتُ عيشه وبَلَّيتُ أعمامى وبَلَّيتُ خاليا

٤ - شهابانِ مِنَّا أوقِداً ثمَّ أخِداً وكانَ سَنًا لِلدُّلجِينَ سَنًاها
 ارتفع « شهابان » على أنه مبتدأ ، وجاز الابتداء به لكونه موصوفاً بمِنَّا ،

(١) قطعة من بيت في الحماسة ١٦٧ . وهو بتمامه :

يا بوس للحرب التي وضعت أراهم فاستراحوا

وأوقدَا في موضع الخبر . والمعنى : أنهما لم يُمكنَا للتَّام والكمال ، بل كانا كمنارين أوقدنا ثم أتبعتا بالإخاد . والكلام توجعٌ وتلهفٌ . وقولها « وكان سنًا للمدجلين سنًاها » تريد نارها الموقدة للضيغان وللطُّراق بالليل ، وأنهم كانوا يستضيئون بها فيردون فناءه مستمسكين أرقامهم به ، ومتخلصين من سلطان البرد والجوع وشقة السفر إليه . ولا يمتنع أن يرتفع شهابان على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هما شهابان .

٥- إذا نزل الأرض المخوف بها الردى يُخَفِّضُ من جأشيهما مُنْصَلَاهُمَا

تصفهما بالصبر في دار الحِفاظ ، وأنهما إذا نزلا مكانًا مخوفًا لا يؤمن الردى فيه يُسَكِّنُ من قلقهما سيفهما . وهذا فيه إعلَامٌ بأنَّهما كانا لا يعتمدان في الشدة تنزل بساحتها على غيرها ، وأنَّهما كانا يتحمَّلان الأثقال بأنفسهما ، فلا صاحب لهما يُتَكَلَّ عليه ، ولا مُعين يُسَكِّنُ إليه ، إلَّا السيف . فهو كقول الآخر ^(١) :
* ولم يرَ ضَ إلا قائمَ السيفِ صاحبًا ^(٢) *

٦- إذا استغنيا حبَّ الجميعِ إليهما ولم ينأ عن نفع الصديق غناها
تقول : وإذا نالا الغنى وساعدهما الحالُ حبَّبَ جماعةَ الحىِّ والمتعلقين ^(٣) بحبلهما ، فازدادا توفراً عليهم ، وتفقداهم ، ولم يَبْعُدْ غناها من انتفاع الغرباء والأجانب ، ومن يتسبَّبُ بؤدٍّ وصدافة إليهما . فقولها « حبَّ الجميعِ إليهما » مقصورٌ على النسب ، وآخر البيت مصروفٌ إلى الصديق الغريب . وساغ أن يرَادَ بالجميع الحىُّ كلُّهم لاجتماعهم حوله . والجميع والجمع : المجتمعون . والجماع : المتفرقون . قال :

(١) هو سعد بن ناشب . الحماسية ١٠ ص ٧٤ .

(٢) صدره : * ولم يستشر في أمره غير نفسه *

(٣) ل : « والمتعلقين » .

* من بين جمعٍ غَيْرِ جَمَاعٍ ^(١) *

٧- إذا افتقر لم يَجْشُمَا خَشْيَةَ الرَّدَى ولم يَخْشَ رُزْءًا مِنْهُمَا مَوْلِيَاهُمَا

تريد أنهما إذا مسهما الفقر ، وضاق بهما الأمر ، لم يلزما بيوتهما تاركين للفرز والتجوال في طلب المال ، خوفًا من الهلاك ، وميلًا إلى الراحة عن التسيار لسكرهما يستعيان للاكتساب ، ويتحملان من المشاق ما ينالان به مُنَاهَا ، أو يقيمان به العُذْر [عند ^(٢)] مَنْ رَاعَى أحوالهما . وقولها « ولم يَخْشَ رُزْءًا مِنْهُمَا موليَاهُمَا » تريد أنهما لا يستحملان مَوْلِيَيْنِهَا عَيْنًا من فقرها ، ولم يَضَعَا أَنْفُسَهُمَا في موضع الارتزاء مِنْهُمَا ، وجَبَرِ الحالِ بِمَا لَهَا وَيَسَارِهَا ، وهذا كقول الآخر ^(٣) :
أبو مالك قاصِرٌ فَقْرَهُ على نفسه [ومشيْعٌ غِنَاهُ ^(٤)]

وقولها « لم يَجْشُمَا » مِنْ جَمِ الطَّائِر . وهم يُسْمَوْنَ مَنْ رَضِيَ بِفقره وصار لبيته كبعض أحلامه : الضاجع والضجعي ^(٥) ؛ لَأَنَّ الضَّجْعَةَ خَفَضُ العِيش .
وإلى هذا المعنى يشير القائل في ذمّه قوماً :

أولئك مَعْشَرٌ كَبَنَاتِ نَفْسٍ ضَوَاجِعُ لَا تَسِيرُ مَعَ النُّجُومِ ^(٦)
وَيُرَوَى : « رَوَاكِد » . وَاتَّصَبَ خَشْيَةَ الرَّدَى عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ . وقولها « موليَاهُمَا » ليس يراد به التَّنْيَةِ ، بل المراد به الكثرة . وعلى ذلك قولهم :
لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ .

(١) لأبي قيس بن الأسلت الأنصاري في المفضلية ٧٥ . وصدّره :

* حتى تجلت ولنا غاية *

(٢) التكملة من ل .

(٣) هو المتنخل الهذلي . ديوان الهذليين (٢ : ٣٠) .

(٤) التكملة من ل وديوان الهذليين .

(٥) بضم الضاد وكسرهما .

(٦) انظر الأزمنة والأمكنة للرزوقي ٣٧٢ . وفي اللسان (ضج) .:

أولئك قبائل كبنات نفس ضواجع لا يفرق مع النجوم

٨ - لَقَدْ سَأَنِي أَنْ عَنَسْتَ زَوْجَتَايَا وَأَنْ عُرِّيتَ بَعْدَ الْوَجَى فَرَسَاهَا

٩ - وَلَنْ يَلْبَثَ الْعَرْشَانِ يُسْتَلَّ مِنْهُمَا خِيَارُ الْأَوَاسِي أَنْ يَمِيلَ غَمَاهُمَا

يقال : عَنَسَتِ الْمَرْأَةُ وَعَنَسَتْ بِالتَّشْدِيدِ ، إِذَا قَعَدَتْ بَعْدَ بُلُوغِ النِّكَاحِ أَعْوَامًا لَا تُنْكَحُ . وَيُسْتَعْمَلُ فِي الرَّجُلِ أَيْضًا . قَالَ :

* حَتَّى أَنْتَ أَشْمَطُ عَائِسُ *

كَأَنَّهُمَا كَانَا تَزَوَّجَا بِأَمْرَاتَيْنِ وَلَمْ يَحْوُلَا^(١) ، وَلَمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِمَا مَا اتَّفَقَ بِهِمَا عَلَى حَالِهِمَا زُهْدًا فِي النِّكَاحِ بَعْدَهَا ، وَعِلْمًا بِالْأَعْتِيَاضِ مِنْهُمَا . فَتَقُولُ : زَادَ ذَلِكَ فِي مَسَاءَتِي ، وَزَادَ فِيهَا أَيْضًا تَغْرِيبَةً مِنَ الْإِسْرَاجِ وَالْإِلْجَامِ ، بَعْدَ أَنْ كَانَا يُسْتَعْمَلَانِ عَلَى مَا يَهْتَرِضُ لَهَا مِنَ الْخَفَى فِي غَزْوِ الْأَعْدَاءِ وَغَيْرِهِ . وَإِنَّمَا سَاءَهَا مَا حَصَلَ مِنَ الْأَمْنَةِ فِي الْجَوَانِبِ الَّتِي كَانَا يَقْصِدَانِ وَيُوقِعَانِ بِهَا بَعْدَ الرِّقْبَةِ الشَّدِيدَةِ ، وَمَا عَلِمَ^(٢) أَنَّهُمْ وَجَدُوهُ وَلَزِمُوهُ مِنَ الشَّمَاتَةِ وَإِظْهَارِ الْفَرَحِ وَالْمُسَرَّةِ . وَقَوْلُهَا : « لَنْ يَلْبَثَ الْعَرْشَانِ » جَعَلَتْ لِكُلِّ وَاحِدٍ عَرْشًا بِهِ كَانَ يَثْبُتُ وَيَقُومُ ، فَيَقُولُ : الْعَرْشُ إِنَّمَا بَقَاؤُهُ بَعْمُدِهِ ، فَإِذَا انْتَزَعَ خِيَارُهَا مِنْهُ فَلَنْ يَلْبَثَ أَنْ يَمِيلَ سَقْفُهُ فَيَسْقُطَ . وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَتْهُ لِعِزِّ ذَوِيهِمَا ، وَإِذْ قَدْ مَضَى فَيُوشِكُ أَنْ يَتَشَلَّمَ وَيَنْخَفِضَ . وَالْأَوَاسِي : جَمْعُ آسِيَّةَ ، وَهِيَ الْأَسَاطِينُ . وَالْغِمَاهُ ، بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَالْمَدِّ : سَقْفُ الْبَيْتِ . وَالْغَمَا بِالْفَتْحِ وَالْقَصْرِ لَفَةٌ .

(١) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي النُّسخَتَيْنِ وَعِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ ، وَلَمْ يَتَضَحَ لَنَا

مَا الْمُرَادُ بِالتَّحْوِيلِ .

(٢) بَلْ : « وَمَا عَلِمْتُ » .

٣٨٧

وقال الآخر :

١- صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى صَفِيِّ مُدْرِكٍ يَوْمَ الْحِسَابِ وَتَجْمَعُ الْأَشْهَادُ

٢- نِعَمَ الْفَتَى زَعَمَ الرَّفِيقُ وَجَارُهُ وَإِذَا تَصَبَّصَ آخِرُ الْأَزْوَادِ

يُرْوَى : « وَتَجْمَعُ الْأَشْهَادُ » تَجَرُّهُ وَتَعَطِّفُهُ عَلَى الْحِسَابِ ، وَيَكُونُ تَجْمَعُ فِي مَعْنَى جَمْعٍ . وَيُرْوَى « وَتَجْمَعُ » بِالنَّصْبِ ، وَيَكُونُ ظَرْفَ مَكَانٍ وَمَعطُوفًا عَلَى يَوْمَ الْحِسَابِ . وَالصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى : الرَّحْمَةُ . وَالْمُرَادُ : رَحِمَ اللَّهُ مُدْرِكًا صَفِيًّا فِي الْوَدِّ ، رَحْمَةً تَأْتِي مِنْ وَرَاءِ ذَنْبِهِ ، وَتُعْفِي عَلَى سَوَابِقِ فِرَاطِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِذَا حَضَرَ الشُّهُودُ وَوُضِعَ الْحِسَابُ عَلَى تَحَاكُمِ الْخُصُومِ ، وَقَامَ الْجَزَاءُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ عَلَى الْمُطِيعِينَ وَالْعَصَاةِ .

وقوله : « نِعَمَ الْفَتَى » الْمَدْحُوحُ مَحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ نِعَمَ الْفَتَى مُدْرِكٍ . قَالَ : وَلَيْسَتْ هَذِهِ الشَّهَادَةُ مِنِّي وَمِنْ جِهَتِي ، وَلَا مِنْ جَمَلَةٍ مَدْحِي ، عَلَى عَادَةِ النَّاسِ فِي تَأْيِينَ الْهَلَاكِ ، وَلَكِنَّهَا مِمَّا أَدَّاهُ وَكَثَّرَهُ رَفَقَاؤُهُ فِي السَّفَرِ ، وَجِيرَانُهُ فِي الْحَضَرِ فَهِيَ حِكَايَةُ أَلْسِنَتِهِمْ ، وَمُؤَدَّاةُ قَضِيَّتِهِمْ . وَقَوْلُهُ « وَإِذَا تَصَبَّصَ آخِرُ الْأَزْوَادِ » مَعْنَى تَصَبَّصَ قُرْبَ مِنَ النَّفَازِ . يَرِيدُ : وَنِعَمَ الْفَتَى هُوَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، لِأَنَّهُ يُوَثِّرُ غَيْرَهُ بِالطَّمَعِ عَلَى نَفْسِهِ . وَتَلْخِصُ الْكَلَامُ : نِعَمَ الْفَتَى مُدْرِكٌ فِي الْمُرَافَقَةِ وَالْمُجَاوَرَةِ ، وَعِنْدَ نِفَادِ الزَّادِ . وَالْأَشْهَادُ : جَمْعُ الشُّهُودِ . وَكَتَفَى زَعَمَ بِالْفَاعِلِ فِي اللَّفْظِ ، لِأَنَّ مَفْعُولِيهِ دَلَّ الْكَلَامَ عَلَيْهِمَا .

٣- وَإِذَا الرُّكَّابُ تَرَوَّحَتْ نَمَّ اغْتَدَّتْ حَتَّى الْمَقِيلِ فَلَمْ تَمُجَّ لِجِيَادِ

يريد : ونعم الفتي هو إذا وصلت الرِّكابُ السَّيْرَ بالسَّري ، فلم تَعْطِفْ
 لانحرافٍ وازورار ، ولم تعرِّجْ لإصلاح شأن ، لكنها استمرت وجَدَّتْ لِمَا
 أَرْعَجَهُمْ وَبَعَثَهُمْ عَلَى اسْتِدَامَةِ النَّشْمِيرِ ، وتعجيل الحركة وترك التَّقْصِيرِ ، وطى
 المنازل ، واستقصار المَرَّاحِلِ . ومعنى تَرَوَّحَتْ راحَت . والرَّوَّاحُ : العِشِيُّ .
 وراحت الإبلُ رَوَّاحًا . والإراحة : رَدُّ الإبلِ عَشِيًّا مِنَ الْمَرْعَى . يقال : سَرَحْتُهَا
 بِالْغَدَاةِ ^(١) وَأَرَحْتُهَا بِالْعِشِيِّ . ومعنى اغتَدَتْ حَتَّى الْمَقِيلِ : سارت غُدُوًّا إِلَى وَقْتِ
 الْقَيْلُولَةِ . أُنِى كَانَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ يَأْتِي بِمَا يَسْتَحِقُّ بِهِ الْمَذْحُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَرُفَقَائِهِ ،
 لِكَرَمِ صَحَابَتِهِ ، وَحَسَنِ رِفَاقَتِهِ . ومعنى « لَمْ تَعْجُ » لَمْ تَعْطِفْ . يقال : عَاجَ
 عَوْجًا وَعِيَاجًا . وَالْحِيَادُ : الإِعْرَاضُ عَنِ السَّيْرِ لِلنُّزُولِ . وَالْفِعْلُ مِنْهُ حَادَ . وَيُقَالُ :
 مَا لَكَ عَنْ هَذَا مَحِيدٌ وَحِيدَانٌ وَحِيَادٌ .

٤ - حَتُّوا الرِّكَابَ تَوَوُّبُهَا أَنْضَاؤُهَا فَزَهَا الرِّكَابَ مَغْنِيَانِ وَحَادٍ ^(٢)

٥ - لَمَّا رَأَوْهُمْ لَمْ يُحْسُوا مُدْرِكًَا وَضَعُوا أَنْامِلَهُمْ عَلَى الْأَكْبَادِ

وَصَفَ وَرَادَ فَنَائِهِ بَعْدَ فَنَائِهِ ، وَزَوَّارَ قَبْرِهِ طَلِبًا لِحَبَائِهِ ، فَيَقُولُ : اسْتَعْبَلُوا
 رَوَاحِلَهُمْ وَحَضُّوْهَا عَلَى قَصْدِهِ وَالْوَصُولِ إِلَى بَابِهِ ، وَمَهَازِيلُهَا الَّتِي قَدْ أَثَرُ بُعْدُ
 الشُّقَّةِ فِيهَا فَأَنْضَاؤُهَا ، تَوَوُّبُ إِلَيْهَا إِذَا نَزَلَتْ ، أَيْ تَسِيرُ النَّهَارَ كُلَّهُ حَتَّى يَتَّصِلَ
 سَيْرُهَا بِاللَّيْلِ ، طَلِبًا لِلتَّلَاحُقِ مَعَهَا ، فَاسْتَخَفَّهَا وَنَشَطَّهَا مَغْنِيَانِ بِالْحُدَاءِ ، وَسَائِقٌ
 يَحْدُوْهَا ، حَتَّى وَصَلُوا ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنْفُسَهُمْ قَدْ فَقَدَتْ مُدْرِكًَا يَعْنِي الْمَرْثَى أَمْسَكُوا
 عَلَى أَكْبَادِهِمْ خَوْفًا مِنْ تَصَدُّعِهَا ، إِذْ لَوْ أَدْرَكَوه حَيًّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْفَتَى
 إِلَّا مَا لَا يُعَدُّ حَاجِرًا وَلَا مَانِعًا .

(١) سرحت الماشية تسرح سرحا ومسروها ، وسرحتها أنا سرحا ، يتعدى ولا يتعدى .

(٢) التبريزي : « تَوَوُّبُهَا أَنْضَاؤُهَا » . قال : « وَيُرْوَى : تَوَوُّدُهَا » .

إن قيل : لِمَ جاز لنا رأوهم ، والفاعلون هم المفعولون ، وأنت لا تقول ضَرَبْتُني ولا ضَرَبْتُكَ ، بل تأتي بدل ضمير المنصوب بالنفس ، تقول : ضربت نفسي وضربت نفسك ؟ قلت : إن أفعال الشك واليقين جَوَّزَ فيها ذلك . تقول : جَسِبْتُني ورَأَيْتَكَ وعلِمْتُني ، لمخالفتها سائر الأفعال في دخولها على المبتدأ والخبر . وقوله « تَوَوَّهَها أنصاؤها » في موضع الحال من الرُّكَّاب .

٣٨٨

وقال الشماخ^(١)

في عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٢) :

١ - جَزَى اللهُ خَيْرًا مِنْ أَمِيرٍ وَبَارَكَتْ يَدُ اللهِ فِي ذَاكَ الْأَدِيمِ الْمَرْقِ^(٣)

٢ - فَنُيَسِّعْ أَوْ يَرْكَبْ جَنَاحِي نِعَامَةٍ لِيُدْرِكَ مَا قَدَّمْتَ بِالْأَمْسِ يُسْبِقُ

يقول : جزاه الله عن الرعية خيرا من بين الأمراء ، وباركت نعمه الله -

تعالى جدُّه وإحسانه - في أديمه المرق ، يعني جلد عمر رضي الله عنه ، حين

طعنه أبو لؤلؤة فتى المغيرة بن شعبه . وأصل البركة النماء والثبات . ومنه برك

البعير بُرُوكًا . وبرأ كاه القتال : حيث يبتتر كون ، أي يجثون على رُكبتهم .

(١) هو معقل بن ضرار بن سنان بن أمية بن عمرو بن جعاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة ابن سعد بن ذبيان . والشماخ لقب له . والشماخ مخضرم ممن أدرك الجاهلية والإسلام . وهو أحد من هجا عشرينه وأضيافه ومن عليهم بالقري . الأغاني (٨ : ٩٧ - ١٠٤) والمؤتلف ١٣٨ واللائق ٥٨ - ٥٩ والخزانة (١ : ٥٢٦) والشعراء ٢٧٤ والاشتقاق ١٧٤ . وكتب الصحابة .

(٢) يزعمون أن الجن ناحت على عمر قبل أن يقتل بهذه الأبيات . الأغاني . وقال

التبريزي : « وقال أبو رياش : الذي عندي أنه لمزرد أخيه . وقال أبو محمد الأعرابي : هو لجزء

ابن ضرار أخيه . » وقد نسبها الجاحظ في البيان (٣ : ٣٦٤) إلى مزرد بن ضرار .

(٣) البيان : « عليك السلام من إمام » . الأغاني : « عليك سلام من أمير » .

وقوله : « فَن يَسَع » يريد أن شأوه في الإيالة واستصلاح الرعيّة وتنفّذ مصالحهم لا يُدرك ، فمن أراد بلوغه والارتقاء إلى غايته بقى حسيراً مسبوقة ، ولوركب جناح النعامة . يريد : لو أسرع إسرائها . وقوله « بالأمس » ذكره على طريق تقريب الأمد . وقوله « يُسَبِّق » هو جوابُ الجزاء .

٣ - قَضَيْتَ أَمْوَرًا ثُمَّ غَادَرْتِ بَعْدَهَا بَوَائِجَ فِي أَكْلامِهَا لَمْ تُفْتَقِ^(١) يقول : أحكمت أَمْوَرًا بصائب نظرك ، وجهيل رأيك ، وحسن تألّهِك^(٢) ثم أُعْجِلْتَ فتركت بعدها دواهي وخُطوباً عظيمة ، هي في أعظيتها لم تَظْهَرْ ولم يُكشَف عنها . والفَتْق : ضدُّ الرتق ، وكلُّ مَتَّصِلٍ مُسْتَوٍ رَتَقٌ ، فإذا انفصل وانكشف فهو فَتَقٌ . والبوائج : الدواهي العامة . ويقال : باجهم الشر ، أي عمهم . قال الشاعر :

* فَبَجَّتْهُ وَأَهْلَهُ بَشَرٌ *

والأكام : الأغطية ، منه كُمُ الثمرة . ويقال : لكل شجرة مُشْمِرَةٍ كُمٌ وهو رُعوْمُهَا .

٤ - أَبَعَدَ قَتِيلٍ بِالْمَدِينَةِ أَظْلَمَتْ لَهُ الْأَرْضُ تَهْتَزُّ الْعِصَاهُ بِأَسْوَقٍ قوله « أبعد قَتِيلٍ » لفظه استفهام ، ومعناه التفضيع والإنكار . وحرف الاستفهام يطلب الفعل ، فكأنه قال : أتهتزُّ العِصَاهُ على أسْوَقِهَا بعد قَتِيلٍ بِالْمَدِينَةِ أَظْلَمَتْ لَهُ الْأَرْضُ . هذا عَجَبٌ .

وقوله « أَظْلَمَتْ لَهُ الْأَرْضُ » من صفة قَتِيلٍ . والمعنى أن حصولَ هذا الأمرِ

(١) البيان : « بوائج في أكلها » . والبائقة : الداهية .

(٢) التأله : التفكك والتعبد .

وَجَرَّيَانَهُ عَلَى مَا كَانَ مُنْكَرٌ فُطِيعٌ ، بَعْدَ مَا اتَّفَقَ عَلَى قَتْلِ هَذَا صَفْتُهُ . وَالْعَضَاءُ : شَجَرٌ ، وَاحِدَتُهَا عِصَّةٌ . قَالَ :

* وَمِنْ عِصَّةٍ مَا يَنْبُتَنَّ شَكِيرُهَا ^(١) *

وقد مضى القول في مثل هذا البيت . ويشبهه قول الآخر ^(٢) :

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ

٥ — تَظَلُّ الْحَصَّانُ الْبِكْرُ يُبَاقِي جَنِينَهَا نَتْنَا خَبِرَ فَوْقَ الْمَطْيِ مُمْلَقٍ

٦ — وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ بَكْفَى سَبَنْتَى أَرْزَقِ الْعَيْنِ مُطْرِقٍ

الْحَصَّانُ : الْعَفِيفَةُ وَقَدْ أَحْصَنْتْ وَحَصَنْتْ . وَالْبِكْرُ : الَّتِي حَمَلَتْ أَوَّلَ

حَمْلِهَا ، فَهِيَ بِكْرٌ وَالْوَلَدُ بِكْرٌ وَالْأَبُ بِكْرٌ . وَالنَّتَا ، يَسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ .

يُقَالُ : نَشَوْتُ الْكَلَامَ أَنْشَوُهُ نَشْوًا ، إِذَا أَظْهَرْتَهُ . فَيَقُولُ : تَرَى الْحَامِلَ

يُسْقِطُ حَمْلَهَا مَا يُبْنَى مِنْ خَبَرٍ سَارِبِهِ الرُّكْبَانُ ، وَتَقَادِفَتُهُ الْأَقْطَارُ ، اسْتَفْظَاعًا

لَوْقُوْعِهِ ، وَاسْتَشْعَارًا لِكُلِّ بَلَاءٍ وَخَوْفٍ مِنْهُ .

وقوله «وما كنت أخشى» يقول : إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَمْنِ الْحَدَثَانِ عَلَيْهِ ، وَصَرْتُ

أَرْقَبُ جَمِيعِ أَسْبَابِ الرَّدَى فِيهِ حَتَّى ظَنَنْتُ ظُنُونَ الْمَشْفَقَاتِ ، مُسْتَدْفِعًا لِلْآفَاتِ

عَنْهُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْطُرْ بِيَالِي أَنْ يَكُونَ فِي جَلَالَتِهِ وَارْتِفَاعِ مَحَلِّهِ يُرْدِيهِ عَبْدٌ جَسُورٌ

لِثِمِّ جَرِيءٍ ، أَرْزَقِ الْعَيْنِ ، مُسْتَرْخِي الْأَجْفَانِ . وَإِنَّمَا حَلَّى قَاتِلُهُ بِهِذِهِ الْحِلْيَةِ

تَنْبِيْهَا عَلَى حَقَارَتِهِ فِي نَفْسِهِ وَجَنَسِهِ ؛ وَذَمًّا لِأَصْلِهِ وَفِرْعِهِ ، وَإِعْلَامًا بِأَنَّ الصَّغِيرَ مِنْ

الرَّجَالِ يَجْنَى الْكَبِيرَ مِنَ الْأُمُورِ ، وَأَنَّ مَا لَا يَقَعُ فِي الْوَهْمِ اسْتِبْعَادًا لِكَوْنِهِ ،

يَشَاهِدُهُ الْإِنْسَانُ أَقْرَبَ مِنْ كُلِّ قَرِيبٍ ، ثُمَّ لَا يَمْلِكُ إِلَّا اسْتِغْرَابَهُ وَقَضَاءَ الْعَجَبِ

(١) انظر اللسان (شكر) وشروح سقط الزند ١٥١١ .

(٢) هو ليلى بنت طريف ، كما في حاسة ابن الشجري ٨٩ وحاسة البجترى ٤٣٥ . وقيل

إن الشعر للفارعة بنت طريف . والمرثى بهذه القصيدة هو الوليد بن طريف الشاري . وقد روى ابن خلكان في ترجمته القصيدة كاملة ، وهي نادرة .

منه ، والتزام الجزع فيه . والسببنتى والسبندى ، أصله فى النمر ، ويستعمل فى الجرى المقدم . وقال الدريدى : المطرق : الغليظ الجفن الثقيلة .

٣٨٩

وقال صخر بن عمرو^(١) أخو الخنساء :

١ — وقالوا ألا تهجؤ فوارس هاشم ومالى وإهداء الخنا ثم ماليا

٢ — أبى الهجر أننى قد أصابوا كريمتى وأن ليس إهداء الخنا من شماليا^(٢)

يريد : قال الناس باعثن لى على هجاء من أصابنى فى أخى معاوية ونحت أثلتهم ، وذكر أعراسهم : ألا تنقم منهم بالقول إلى أن يتسهل الفعل فتذكر معايبهم ، وتكشف عن مستور تخازيهم ، ومجهول مقابحهم ومساويهم ؟ فأجبتهم وقلت : مالى وذكر القبيح وإهداء الفواحش ثم مالى ؟ أما تعلمون أن ما بينى وبينهم أقدع من الهجاء ، وأن جزاء من أصاب كريمتى أفضح من الإهجار ، وأنه ليس قول القبيح وتنقص الناس من عادتى وطبيعتى ، إذ كنت أربأ بقدرى عن الوقوف موقف المغتابين والطاعنين فى الأنساب والأعراض . وقوله « ومالى وإهداء الخنا » انتصب إهداء بفعل مضمير ، وتكريره إمالي دلالة على استقباحه لما بعث عليه ، ودعى إليه . والخنا هو الفحش ، كأنه قال : مالى ألايس الخنا وأتكلفه . وقوله « أصابوا كريمتى » فالكريمة أخرج إخراج

(١) هو صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد ، من أشراف بنى سليم ، أخو الخنساء الشاعرة الصحابية ، وقد مات قبلها فرثته رثاء صادقا ، وضرب بجزنها عليه المثل ، ويبدو أنه مات قبل الإسلام . وفى ذلك تقول الخنساء : كنت أبكى لصخر من القتل ، فأنا أبكى له اليوم من النار . انظر ترجمته مع الخنساء فى الأغاني (١٣ : ١٢٩ — ١٤٠) والجزانة (١ : ٢٠٧ — ٢١١) والشعراء ٣٠١ — ٣٠٦ .

(١) التبريزى : « أبى الهجو » .

المصادر . وعلى ذلك ما رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم « إذا أنا كم كريمة قوم فأكرموه ^(١) » .

ويجوز أن تكون الماء للمبالغة . وقوله « وأن ليس إهداء الخفا » أن تخففه من الثقيلة ، واسمه مضمر ، والجملة التي بعده في موضع الخبر ، وموضع أن رفع بكونه معطوفاً على أنى قد أصابوا ، وأننى فاعل أبى الهجر .

٣ - إذا ما امرؤ أهدى لميت تحية فحيّاك رب الناس عني معاوية

٤ - لنعم الفتى أدى ابن صيرمة بزه إذا راح فحل الشول أهدب عارياً ^(٢)

يقول : إذا رجل حيّاً ميتاً فتولى الله تعالى عني تحيتك يا معاوية . والتحية من الله تعالى الإكرام والإحسان ، والتفضل عليه بما هو أهله .

وقوله « لنعم الفتى » المحمود بهذا الكلام محذوف ، كأنه قال : لنعم الفتى الذي ذا صفته . وقوله « أدى ابن صيرمة بزه » أراد سلاحه وسلبه . وقوله « إذا راح » ظرف لما دلّ عليه نعم الفتى . أى يحمّد في هذا الوقت إذا اشتدّ الزمان وأجدبت الأرض ، وانصرف فحل الشول من مرعاه عارياً من اللحم مهزولاً ، لكثرة أفضاله ، وحسن تفقده ، وانصالي بزه بمن يجمعه إليه نسب أو سبب . والشول : النوق القليلة الألبان ، واحدها شائلة . وابن صيرمة المذکور يجوز أن يكون القاتل لمعاوية أو المعين عليه .

٥ - وطيب نفسي أننى لم أقل له كذبت ولم أنخل عليه بماليا

٦ - وذى إخوة قطعت أقران بينهم كما تركونى واحداً لا أخالياً

(١) هو حديث أنه أكرم جرير بن عبد الله لما ورد عليه ، فبسط له رداءه وعممه بيده وقال : « إذا أنا كم كريمة قوم فأكرموه » .

(٢) بعده عند التبريزي :

إذا ذكر الإخوان رقرقت عبرة وحييت رسا عند لية ناويا

تَسَلَّى فِيهَا أَوْجَعَهُ مِنَ الرُّزْءِ بَأَن لَّمْ يَكُنْ جَفَاءً وَهُوَ حَتَّى قَوْلَا وَلَا فِعْلًا ، ثُمَّ تَسَلَّى أَيْضًا بِأَنَّهُ كَمَا فُرِّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِخْوَتِهِ وَتَرِكَ فَرِيدًا وَحِيدًا ، قَدْ تَوَلَّى مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ مُعَادِيهِ ، فَرُبَّ إِخْوَةٍ مُتَنَاصِرِينَ صَارَتْ كُلُّهُمْ وَاحِدَةً ، وَأَهْوَاؤُهُمْ مُتَّفِقَةٌ ، وَهُمْ فِي تَأْلُفِهِمْ وَتَشَابُهُمْ ، وَتَلَاؤُمِهِمْ وَتَرَافُدِهِمْ ، كَالْحَلْقَةِ الْمُفْرَغَةِ لَا يَدْرِي أَيْنَ رَأْسُهَا ، أَنَا قَطَعْتُ عِلَاقَ بَيْنِهِمْ ، وَوُصِّلَ نِظَامُهُمْ ، فَتَفَرَّقُوا وَتَفَاقَدُوا حَتَّى صَارُوا فِي التَّشَتُّتِ مِثْلًا ، كَمَا كَانُوا فِي التَّجَمُّعِ مِثْلًا . وَهَذَا بِلِزَاءِ مَا فُعِلَ بِي ، وَفِي مُقَابَلَةِ مَا نِيلَ مِنِّي . وَالذَّهْرُ تَارَاتٌ ، وَ « مَنْ يَرَى يَوْمًا يَرَهُ » . وَقَدِمَرُ الْقَوْلُ فِي قَوْلِهِ « لَا أَخَالِيَا » . وَانْتَصَبَ « وَاحِدًا » عَلَى الْحَالِ مِنْ تَرْكُونِي ، وَلَا أَخَالِيَا صِفَةً لَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : تَرْكُونِي وَحِيدًا فَرِيدًا . وَقَوْلُهُ « أَقْرَانَ بَيْنَهُمْ » أَيْ وَصَلَ بَيْنَهُمْ . وَأَصْلُ الْأَقْرَانِ الْحَبَالُ ، وَالوَاحِدَ قَرْنٌ . يَرِيدُ : أَنِّي قَطَعْتُ الْأَسْبَابَ الْجَامِعَةَ بَيْنَهُمْ بِقَتْلِهِمْ وَتَفْرِيقِهِمْ . وَ « بَيْنَ » جَعَلَهُ اسْمًا . وَفِي الْقُرْآنِ . ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ۖ ﴾ .

٣٩٠

وَقَالَتْ أُخْتُ الْمَقْصَصِ ^(١):

١- يَاطُولُ يَنْوِي بِالْقَلِيبِ فَلَمْ تَكُذْ شَمْسُ الظَّهِيرَةِ تُتَقَى بِحِجَابِ

(١) اسْمُهَا « مَيْسُون » كَمَا ذَكَرَ التَّبْرِيزِيُّ . وَرَوَى مِنْ خَبَرِ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ الْمَقْصَصَ أَخَا بَنِي الصَّمُوتِ ، مِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَلَابِ بْنِ رَيْبَعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، خَرَجَ فِي أَيَّامِ فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ يَصْطَدِّقُ مَنْ مَرَّ بِهِ مِنَ النَّاسِ ، حَتَّى أَتَى بَنِي قَنْغَذٍ مِنْ بَنِي سَائِمٍ بِنَاحِيَةِ هَضْبِ الْقَلِيبِ فَصَدَّقَهُمْ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى هَلَالِ أَخِي بَنِي سَمَالِ بْنِ عَوْفٍ : أَنْ أِبْعَثَ إِلَيَّ بِابْنَتِكَ . فَقَالَ هَلَالٌ : إِنْ كَانَ تَزْوِيجًا فَلْيَأْتِنَا فَإِنَّهُ كَفٌّ . قَالَ : لِمَا أُرِدْتُ أَنْ تَمْشُطَ رُءُوسَنَا وَتَتَحَدَّثَ مَعَنَا . فَضَرَبَ هَلَالُ الرَّسُولُ ، فَرَكِبَ الْمَقْصَصُ فِي فَرَسَانِ ثَلَاثَةَ حَتَّى هَجَمَ عَلَى الْحَيِّ ، فَتَارُوا إِلَيْهِ ، وَكَانَ فِي الثَّوْبِ نَارًا إِلَى هَلَالِ فَيَتَانِ مِنْ بَنِي قَنْغَذٍ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُسْتَوْضَحُ وَالْآخَرُ الْحَسَنُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، فَنَاشَوْهُ قَلِيلًا . ثُمَّ إِنَّ الْمَقْصَصَ حَمَلَ عَلَى هَلَالِ نَحَافَ هَلَالِ أَنْ يَطْلُعَهُ وَلَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ ، فَوُجِدَ =

٢- «مُرَجَّمٌ عَنْكَ الظُّنُونُ رَأَيْتُهُ وَرَأَاكَ قَبْلَ تَأْمُلِ الْمُرْتَابِ

قوله « يَأْطُولُ يَوْمِي » لفظه نداء ، ومعناه تعجب واشتكاء ، وإنما استطاله لأنه كان يومَ محسٍ ومكروه . فيقول : يَوْمِي بِالْقَلِيلِ امْتَدَّ وَطَالَ حَتَّى كَادَتْ الشمس لا تحتجب عن الأبصار بحجابها المعلوم ؛ فيأله مِنْ يَوْمٍ مَا أَطْوَلَهُ . والقلب : موضع^(١) . وأضاف الشمس إلى الظهيرة كأنه لما قامَ قائمُ الظهيرة وقفت حيرى فلم تكن تَجْنَحُ إلى المَغِيبِ ، ولا كانت تسير فتَهْوِي للغروب .

وقوله « ومُرَجَّمٌ عَنْكَ الظُّنُونُ » وصفه بأن الآفاق على بُعدها كانت قريبةً عليه لِمَا أَيْدَ [به] من العزم ونَسَهَلَ له وفي نفسه مِنْ عُورة السَّيْرِ ، فيقول : رَبِّ مُكَاشِحٍ لَكَ كَانَ عَلَى تَنَائِيهِ عَنْكَ ، وَتَحَزُّمِهِ مَعَكَ ، وَاسْتَظْهَارِهِ بِأَبْعَادِ الدَّارِ مِنْكَ ، يَرْجُمُ الظَّنَّ فَيْكَ ، وَيُؤَسِّسُ إِلَيْهِ مَا يَعْرِفُهُ مِنْ إِبَادِكَ فِي الْغَزْوِ ، وَقِلَّةِ احْتِفَالِكَ فِيمَا تَرْكِبُهُ بِلَوَاحِقِ التَّعَبِ ، وَعَوَارِضِ الْخَطَرِ — أَنْكَ تَقْصِدُهُ وَتُوقِعُ بِهِ آمَنَ مَا كَانَ مِنْكَ ، وَهُوَ فِي وَسْوَاسِهِ لَمْ يَحْدِثْ نَفْسَهُ بِتَأْمُلٍ مَا وَقَعَ فِي خَلْدِهِ ، وَلَا بِالْكَشْفِ عَمَّا ارْتَابَ لَهُ ، إِذْ أَنْتَ أَتَيْتَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُهُ ، وَاسْتَبَحَّتْ حَرِيمَتُهُ ، وَاسْتَفْنَمَتَ مَالَهُ . وقوله « قَبْلَ تَأْمُلِ الْمُرْتَابِ » يجوز أن يريد به قَبْلَ تَأْمُلِهِ ، فيكون المرتاب هو المُرَجَّمُ المكَاشِحُ ويجوز أن يكون جَعَلَهُ مَثَلًا .

== أنفة مرتزة في الرماد فاقبلها ورمها بها ، فركب ردها ومات ، وانهمز أصحابه ومروا على جعدة ابن عبد الله ، أخى بنى غيط بن مالك ، فقتلوه فقال هلال : أعددت للهيجا ويوم المشهد وللأحداث التي بعد الغد * مستوحاً والحسن بن الأسود *

فركب أولياء القصص حين هدأت الفتنة إلى الحجاج فذكروا أمر صاحبهم وأمر الغيطي ، فأهدر دم القصص وأفادهم بالغيطي ، فقالت أخت القصص هذه الأبيات .
(١) في معجم البلدان : « هضب القلب بجد . والهضب : جبال صغار . والقلب في وسط هذا الموضع يقال له : ذات الإصا ، وهو من أسمائها . وعنده جرى داحس والغبراء » .

وقد ألم بهذا المعنى أبو تمام في قوله :

أَسْرَتْ لَكَ الْأَفَاقَ غَزْمَةُ هِمَّةٍ جُبِلَتْ عَلَى أَنَّ الْمَسِيرَ مَقَامٌ

٣- فَأَفَاتَ أَدَمًا كَالْهَضْبِ وَجَامِلًا قَدْ عُذِنَ مِثْلَ عَلَافٍ الْمَقْصَابِ^(١)

٤- لَكُمْ الْمَقْصَصُ لَا لَنَا إِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَأْتِكُمْ خَيْلٌ ذَوُو أُخْسَابٍ

يقول : غَزْوَتُهُ فُجِعَاتُ مَالِهِ فَيْثًا وَغَنِيمَةً : نُوقًا كَالْجِبَالِ سِمَانًا ، وَذِكُورَةً عِظَامًا ضِيخًا ، عُذِنَ كَالَّتِي يَسْمُنُهَا الْجَزَّارُ لِلنَّحْرِ .

وقوله : « لَكُمْ الْمَقْصَصُ لَا لَنَا » يقول : إِنْ لَمْ تَأْتِكُمْ خَيْلٌ إِذَا طَلَبُوا النَّارَ

طَلَبُوهُ عَنْ امْتَعَاضٍ وَشِدَّةِ أَنْفَةٍ ، وَجِدِّ فِي الْأَمْرِ وَاجْتِهَادٍ ، فَقَالَ الْحَسِبِ

الْكَرِيمِ الَّذِي لَا يَغْمُضُ عَلَى قَدَى ، وَلَا يَصْبِرُ فِيمَا يَحِقُّ لَهُ عَلَى أَدَى ، فَأَنْتُمْ أَوْلِيَاءُ

دَمِيهِ مِنْ دُونِنَا ، وَالْمَالُ كَوْنٌ لَهُ سَوَانَا . وَقَدْ تَرَكَنَاهُ لَكُمْ ، وَفُزْتُمْ بِمَا أَصْبَحْتُمُوهُ ،

وَاسْتَمَرَّ أَنْتُمْ مَا طَعِمْتُمُوهُ . وَقَوْلُهُ « أَفَاتَ » مِنْ الْفَاءِ : الْغَنِيمَةُ ، لَا مِنَ الْفَاءِ

الرُّجُوعِ . وَالْجَامِلُ مُوَحَّدُ اللَّفْظِ مَصْنُوعٌ لِلْجَمْعِ ، وَيراد به الإِبِلُ ، لِسُكُونِهِ مَشْتَقٌّ

مِنْ لَفْظِ الْجَمَلِ ، كَالْبَاقِرِ مِنَ الْبَقَرِ . وَالْعَلَافُ : جَمْعُ الْعَلُوفَةِ ، وَهُوَ مَا يَسْتَعْنُ فِي

الْبُيُوتِ . وَيُقَالُ : شَاةٌ مُعَلَّقَةٌ ، أَيْ مَسْمُومَةٌ . وَالْمَقْصَابُ ، بِنَاءٌ بِنَاءُ مَا يَكُونُ

آلَةً ، فَهُوَ كَالْمَقْصَاحِ ، لَا بِنَاءُ مَا يَكُونُ لِلْحَرْفَةِ وَالْمَزَاوِلَةِ . وَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ

« الْقَصَابُ » ، وَهُوَ مِنَ الْقَصَبِ : الْقَطْعُ وَالْفَضْلُ ، لِأَنَّهُ يَقْصَبُ الشَّاةَ أَيْ يَقْطَعُهَا .

(١) رواية التبريزي : « المقضاب » ، وقال في تفسيره : « المقضاب : الزرعة التي تنبت القصب ، وهو الفت . فأرادت أنهم من الخصب في روضة مستكة كاستكك نبات القصب . وقيل : المقضاب شبه منجل . تريد كأنها علائف سميت للنحر . والمقضاب أيضاً : الرجل الكثير القطع . والقضاب : الذي صناعته ذلك . فإذا روى القضاب فغناه مثل علائف الذي ينحرفن كثيرا . ومن روى المقضاب بالصاد نسبة إلى القصب . ويحتمل أن يكون المقضاب : الموضع الكثير القصب ، كما أن العشاب الموضع الكثير العشب . »

٥- وأبو اليتامى يَنْبُتُونَ بِيَابِهِ نَبَتَ الْفِرَاحِ بِمُكَلِّيٍ مِعْشَابٍ^(١)

٦- فَكِهٌ إِلَى جَنْبِ الْخِلْوَانِ إِذَا غَدَتْ نَكْبَاهُ تَقْلَعُ ثَابِتَ الْأَطْنَابِ

قوله « وأبو اليتامى » أى كان يكفلهم وَيُعُولهم ، وَيُشْفِقُ عليهم ويتحدث ، حَتَّى كَانَهُ أَبُوهم . وارتفع « أبو » كَانَهُ خبر ابتداء محذوف كَانَهَا قالت : وهو لليتامى أَبٌ . ومعنى « يَنْبُتُونَ بِيَابِهِ » يُرَوِّى « فناءه » ، وانتصابه على أَنَّهُ أَخْرَجَهُ إِلَى بابِ الظُّرُوفِ ، كما فُعِلَ ذَلِكَ بِمَقْعَدِ الْقَابَلَةِ ، وَمَنَاطِ الثَّرِيَّا وَمَا أَشْبَهَهُمَا . والمعنى أَنَّهُمْ يَتَرَبَّوْنَ فِي فَنَائِهِ وَيَتَنَعَّمُونَ ، تَرَبَّى فِرَاحُ الطَّيْرِ بِمَكَانٍ كَثِيرٍ الْعُشْبِ وَالْكَلَأِ . ويقال : أَكَلَأَ الْمَوْضِعُ ، إِذَا صَارَ ذَا كَلَأٍ وَعُشْبٍ . والمعشاب : الكثیر العُشْبِ .

وقوله « فَكِهٌ إِلَى جَنْبِ الْخِلْوَانِ » قالَ فِكِه : الكثیر المِزَاجِ واللَّعْبِ^(٢) ، تَأْنِيساً لِلضَّيْفِ وَبَسْطاً مِنْهُ ، كما قال الآخر^(٣) :

* أَحَدْتُهُ إِنْ الْحَدِيثَ مِنَ الْقَرَى^(٤) *

وقوله « إِذَا غَدَتْ » ظَرَفٌ لِلْفَكِهَةِ . يريد : يفاكه الضيف عند الأكل بملح الكلام ، كى يَسْتَأْنِسَ وَيَتَسَّعَ الْوَقْتُ لَهُ فَيَسْتَوْفِي . وإلى من قوله « إِلَى جَنْبِ الْخِلْوَانِ » تَعَلَّقَ بِفَعْلٍ مَضْمَرٌ دَلَّ عَلَيْهِ فَكِهٌ ، كَانَهُ مَعَ قُرْبِ الْخِلْوَانِ يَفْكَهُ . و« إِذَا غَدَتْ نَكْبَاهُ » يريد وقت البرد وهبوب الرِّيحِ الباردةِ الْمُزْعِزَةِ لِلْيُبُوتِ ، الْقَالِعَةِ لِأَوْتَادِهَا وَحِبَالِهَا . ومنه إطنابُهُ الْحَزَمَ وَالْقِمَى . والجميعُ الْأَطْنَابِ . قال :

(١) روى التبريزى هذا البيت بعد تاليه .

(٢) اتفقت النسختان في هذا الضبط .

(٣) هو عتبة بن بجير ، أو مسكين الدارمى ، كما سيأتى في القسم الرابع من الحماسة .

(٤) مجزؤه : * وتعلم نفسى أَنَّهُ سوف يهجم *

* يَرْكُضَنَّ قَدْ قَلِقَتْ عَقْدُ الْأَطَانِيبِ ^(١) *

٣٩١

وقالت عمرة بنت مرداس ^(٢) تَرثِي أَخَاهَا عَبَّاسًا :

١— أَعْيَنِي لَمْ أَخْتَلِكُمْ بِخِيَانَةٍ أَبِي الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ أَنْ تَتَصَبَّرَا
٢— وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَكُونَ كَأَنْتِي بَعِيرٌ إِذَا يُنْعَى أَخِي تَحَسَّرَا
٣— تَرَى الْخُصَمَ زُورًا عَنْ أَخِي مَهَابَةً وَلَيْسَ الْجَلِيسُ عَنْ أَخِي بَازُورًا
يقول : يا عيني لا أقول إنكما لم تجزعا ولم تذرifa ، ولم تخلطا بدمع دما ،
فأكون قد خدعتكما بخيانة استعملتها معكما . وكيف لا تكونان كذلك والأيام
والليالي امتنعت عليكما أن تتصبرا فيها ، إذ كانت حملتكما من أعباء الرزية
ما استنفد وسعكمما ، واستغرق طوقكمما ، حتى نزلت دموعكمما ، وتوقفت عن
الإجابة شؤؤنكمما ، فما بقي منكمما إلا شفا .

وقولها : « وما كنت أخشى » يقول : كنت قبل هذه الرزية واثقا بقوتي
وصبري ، ومُسكّتي وعقلي ، حتى لا أخشى — إذا أخطرت ببالي أحداث الدهر
وتأثيرها في الأحبة والأهل — سوء احتمال فيها ، وضعف منة عنها ، إلى أن
نعي أخى فورده على نفسي ما أبدلني بالتأسك تهالكما ، وبالتثبّت تساقطا ،
حتى صرت كائني بعير ألح عليه فتحسّر ورزح ، وعقيل في مبركه بالعجز
فما برح .

(١) البيت لسلامة بن جندل ، ولم يرو في ديوانه ولا في المفضليات . لكن نسب في
الأساس إلى النابغة ، ومع ذلك لم يرد في ديوان النابغة في قصيدته التي على هذا الروي .
وصدره في اللسان :

* حتى استغثن بأهل الملح ضاحية *

(٢) سبق ترجمة أخيبا في الحماسية ١٤٩ ص ٤٣٣ .

وقولها « تَرَى الْخَضَمَ زُورًا » جعلت الْخَضَمَ للجمع فلذلك قالت زُورًا .
 والمصدر إذا وُصِفَ به بُقِيَ على حاله فلم يُثَنَّ ولم يُجْمَع . وقد قيل : خَصْمَانِ
 وَخُصُومٌ ، لَمَّا غلبت عليه الوصفية وكثر في الاستعمال أُجْرِيَ عليه حكم الصِّفَةِ .
 والمعنى : تَرَى مُنَابِذِي أُخْتِي منحرفين عنه وعن كلِّ متصل به ، مسالمين له
 ولمن أعلق حبله بحبله ، إعظامًا له وتهيبًا ، وإكبارًا وتَخَوُّفًا . وترى جلساءه
 ونُدَمَاءَه مبسطين له ومستأنسين به ، لا يتدخلهم منه رُغْبٌ ، ولا يقبضهم عنه
 تَجَبُّزٌ وكِبَرٌ . واختلُّ : الْمَكْرُ . وقال الخليل : هو تَخَادُعٌ عَنْ غَفْلَةٍ . وإنما قال
 الدهر والأَيَّامُ ، لأنَّه أرادَ بالأَيَّامِ الأحداثَ . وهذا كما قيل للوقعات : الأَيَّامُ .
 وإنما صَفَرَتِ الْأُخْتُ لتلطيفِ الحِلِّ . هذا على قولهم صَدَّقِي . والتعشُّرُ : الضَّعْفُ
 عن الإعياء . ويقال الحُسْرُ والحُسُورُ أيضًا . وحَسَرَتِ النَّاقَةُ فهي حَسِيرٌ والجمع
 الحُسَرَى . ولك أن تروى : « أُخْتِي » وهو الأصل ، و « أُخْتِي » فتحذف ياء
 استئقالاتًا لاجتماع الياءات ، وتنبه على الفتح لأنَّه أخفُّ الحركات . وانتصب
 « مَهَابَةٌ » لأنَّه مفعول له .

٣٩٢

وقالت رِبْطَةُ بِنْتِ عَاصِمٍ :

- ١- وَقَفْتُ فَأَبْكَنِي بَدَارِ عَشِيرَتِي عَلَى رُزْهِنٍ الْبَاكِاتُ الْخَوَاسِرُ
 - ٢- غَدَوَا كَسُيُوفَ الْهِنْدُورِ رَادَحَوْمَةٍ مِنْ الْمَوْتِ أَعْيَا وَرَدَهُنَّ الْمَصَادِرُ
 - ٣- فَوَارِسُ حَامِوَاءِ حَرِيمٍ وَحَافِظُوا يَدَارِ الْمَنَايَا وَالْقَنَا مُتَشَاجِرُ^(١)
 - ٤- وَلَوْ أَنَّ سَلَمَى نَالَهَا مِثْلُ رُزْنِنَا لَهَدَّتْ وَلَكِنْ تَحْمِلُ الرُّزْءَ عَامِرُ
- تقول : دعاني ما أَصِيبْتُ به في عَشِيرَتِي إلى الْوُقُوفِ بدارهم ، فَشَجِيتُ

(١) التبريزي : « عن حريمي » .

بَشَجَى النِّسَاءِ النَّوَادِبِ الْحَوَاسِرَ ، حَتَّى بَكَيْتُ لِبِكَائِهِنَّ عَلَى حَادِثِ الرِّزْوِ ،
وَأَقْتَفَرْتُ آثَارَهُنَّ فِي الْهَلَمِّ وَالْحَزَنِ .

وقولها « غَدَوْا كَسِيفَ الْهِنْدِ » أَخَذَتْ تَصِفُ حَالَ عَشِيرَتِهَا فَقَالَتْ :
ابْتَكُرُوا وَهُمْ فِي خِلَقِهِمْ وَتَجَرَّدُوا ، وَصَفَائِهِمْ وَنَفَادِهِمْ ، كَسِيفُ الْهِنْدِ ، فَوَرَدُوا
حَوْمَةً مِنَ الْمَوْتِ أَعْجَزَهُمُ الصَّدْرُ عَنْهَا . وَالْحَوْمَةُ : مُعْظَمُ الْحَرْبِ وَغَيْرِهَا . وَحَوْمَةُ
الْبَحْرِ : أَوْ كَثُرَ مَوْضِعُ مِنْهُ مَاءٌ ، وَكَذَلِكَ حَوْمَةُ الْحَوْضِ . وَيُقَالُ : حَامَ الطَّائِرُ
عَلَى الْمَاءِ يَحْوُمُ حَوْماً ، إِذَا دَارَ عَلَيْهِ فِي الطَّيَرَانِ .

وقولها « فَوَارِسُ حَامُوا عَنْ حَرِيمٍ » وَصَفَتْهُمْ بِأَنَّهُمْ حَفِظُوا مَا وَجَبَ عَلَيْهِمْ
حِفْظُهُ مِنْ حُرْمِهِمْ . وَفِي الْمَثَلِ : « لَا بُقْيَا لِلْحَمِيَّةِ بَعْدَ الْحَرَامِ » أَيْ عِنْدَ
الْحُرْمَةِ ، وَالْحُرْمَةُ : مَا لَا يَحِلُّ لَكَ اتِّهَاكُهُ ، وَكَذَلِكَ الْمَحَارِمُ ، وَاحْدَتُهَا
مَحْرَمَةٌ . قَالَ :

* وَمَحْرَمَاتٌ هَتَكُنَّ بِجُرْيٍ^(١) *

وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ : حَرِيمُ الدَّارِ ، لِمَا كَانَ مِنْ حَقِّهَا .

وقولها « وَحَافِظُوا بِدَارِ الْمَنَايَا » ، أَيْ تَبَيَّنُوا فِي دَارِ الْحِفَافِظِ ، وَدَافَعُوا
وَصَبَرُوا ، وَلَمْ يَنْتَقِلُوا عَنْهَا طَلِبًا لِلسَّلَامَةِ ، وَحِرْصًا عَلَى نَيْلِ الْخِصْبِ وَالْأَمْنَةِ .
وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ الْآخَرِ^(٢) :

وَتَحَلُّ فِي دَارِ الْحِفَافِ بِيُوتُنَا زَمَنًا وَيَظُنُّ غَيْرُنَا لِلْأَمْرِجِ

وقولها « وَالْقَنَا مُتَشَاجِرِ » الْوَاوُ مِنْهُ وَآوُ الْحَالِ . وَأَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى قِيَامِ الْحَرْبِ

(١) الْبَيْتُ لِلْعِجَاجِ فِي دِيْوَانِهِ ٦٨ . وَقَبْلَهُ :

* وَجَارَةُ الْبَيْتِ لَهَا حَجَرِي *

(٢) هُوَ الْحَادِرَةُ الدِّيَّانِي . الْمَفْضَلَةُ ٨ .

بينهم ، وانتصاب الشر فيهم ، وأن للطعن تلاحقاً كما أن للقنا في الاختلاف
تداخلاً .

وقولها « ولو أن سلمى » فسلمى : أحد جبل طي . والمعنى : لو أن ما نزل
بنا من الرزء مثله نزل بهذا الجبل لانهد ، ولكن الإنسان صبور شديد ، يتحمل
كل ما محل ، وإن ضويف على وسعه وثقل . وعامر : قبياتهم .

٣٩٣

وقالت عاتكة بنت زيد بن نفيل^(١) :

١ — آليت لا تنفك عيني حزينةً عليك ولا ينفك جلدي أغبراً

٢ — فله عينا من رأى مثله فتى أكر وأحى في الهياج وأصبراً

٣ — إذا شرعت فيه الأيته خاضها إلى الموت حتى يترك الموت أحمرأ

روى بعضهم أن علياً عليه السلام استأذن عمر رضى الله عنه في مُكَلِّمة
عاتكة بنت زيد ، وهى يومئذ زوجته ، فقال عمر رضى الله عنه : لا غيرة منك
يا أبا الحسن ! فقال على عليه السلام مازحاً : آنتِ القائلة :

آليت لا تنفك عيني قريرةً عليك ولا ينفك جلدي أصفرأ^(٢)

(١) هى عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوية ، أخت سعيد بن زيد أحد العشرة .
وقد أسقط المروزي هنا اسم جدها « عمرو » . وهى صحابية كانت زوج عبد الله بن أبي بكر
الصديق ، ثم عزم عليه أبوه أن يطلقها لما شغلته عن مغازيه ، فطافها ثم تبعها نفسه ، فسمعه
أبوه يوماً يقول :

ولم أر مثلى طلق اليوم مثلها ولا مثلها من غير جرم تطلق
فرق له أبوه وأذن له فارتجعها ، ثم لما كان حصار الطائف أصابه سهم فكان فيه
هلاكة ، فأت بالمدينة فرثته بهذه الأبيات . ثم تزوجها زيد بن الخطاب فاستشهد باليمامة ، ثم
تزوجها عمر ، فاستشهد فرثته بأبيات ستأتى فى المحاسنة ٣٩٦ . انظر الإصابة ٦٩٢ من
قسم النساء ، ونوادير المخطوطات ٦١ .

(٢) أصفر ، من استعمال الطيب والمخلوق . وهو كناية عن السرور واطراح الحزن .

فقلت : لم أقل كذا . وعادت حزنها وجزعها ، ومعنى « لا تفك » لا تزال .

وقولها « فَلَله عَيْنَا » تعجب ، وهي في تعظيم الشيء ينسبونه إلى الله عز وجل ، وإن كانت الأشياء كلها له تعالى وفي ملكته .

وقولها « أكر » أى أكثر كراً . و« أحمى » يجوز أن يكون من الحماية ويجوز أن يكون من الحمية . والمعنى : لله عينا رجل رأى فتى مثله أكر منه وأحمى . وقولها « من » نكرة تريد رجلاً أو إنساناً . و« رأى مثله » صفة لمن . وقولها « إذا أشرعت فيه الأسنة » ، تريد : فى الهياج . ويجوز أن تريد فى المرتى ، أى قبله . والهياج يجوز أن يكون مصدر هائج ، ويجوز أن يكون جمع هيج ، والمراد به الحرب وقد هاجت . فتريد : إذا هيجت الرماح لطعنة افتحمها وتلقاها ، لا يحيد عنها حتى يخوض الموت بها ، فيتركة أحر ، أى شديداً . ويقال : ميتة حمراء ، وسنة حمراء ، وسنون حراوات . ويقولون : « الحسن أحر » ، أى طلب الجمال تنجس فيه المشاق .

٣٩٤

وقالت امرأة من طي :

- ١ — تَأَوَّبَ عَيْنِي نُصْبُهَا وَكِتَابُهَا وَرَجَيْتُ نَفْسًا رَأَتْ عَنْهَا إِيَابُهَا
 - ٢ — أَعْلَلْتُ نَفْسِي بِالْمُرْجَمِ غَيْبُهُ وَكَاذَبْتُهَا حَتَّى أَبَانَ كِذَابُهَا
- أصل التأوب والتأويب : سائر النهار كله حتى يتصل بالليل . وقد فسّر ابن الأعرابي قول النابغة :

* وليس الذى يتلو النجوم بأيب^(١) *

(١) صدره : * تطاول حتى قلت ليس ينقض *

على أنه من هذا لا من الأوبة الرجوع . والنَّصْب ، من قولهم أنصَبه المرضُ
والحُزْنُ ، إذا أثر فيه . قال .

« تَعْنَاكَ نُصْبٌ مِنْ أُمَيْمَةٍ مُنْصِبٌ »

وقال الدردي : يقال نصَبه أيضاً . والا ككتاب : الحُزْنُ . والمعنى أنه
نابَ عيني ، وواظبَ عليها من السَّهرِ والسَّكَاةِ والهمِّ النَّاصِبِ ، ما أثر فيها ،
وعَلَّقْتُ رجائي بنفس غائبة عني قد استعجمت أخبارها علي ، فأبطأ رجوعها إلي .
وقولها « أعلل نفسي بالمرجَم غَيْبُهُ » تريد : أَرْجَى وقى وأرضى نفسي
بظنِّ مَرْجُومٍ وأملٍ مَرْجُوءٍ ، وحديث مؤلَّف ، وتمنَّي مَرْخُوفٍ فيما لا حقيقة
يعتمد عليها ، ولا أمانة يتأكَّد الطَّمَعُ فيها . ويقال : رَجَمَ الرَّجُلُ بالغَيْبِ ،
إذا تكلَّم بما لا يعلم .

وقولها « وكاذبها حتى أبان كذابها » أي استعملتُ مَلْفَقَ الأحاديثِ
ومؤوَّةَ الأباطيلِ معها ، إلى أن بَرِحَ الخلفاء ، وانكشفَ عن جليَّةِ الأمرِ الغطاءُ ،
وتعلَّى رُفُوَّةُ الكذبِ عن مصدوقَةِ الخبرِ . والمكاذبة تكون من اثنين ، كأنه
كان يكذب نفسه فتقترية^(٢) وتزيد عليه .

٣ — فَلَهْفِي عَلَيْكَ ابْنَ الْأَشَدِّ لِبُهْمَةٍ أَفَرَّ السَّكْمَةِ طَفَعَهَا وَضِرَابُهَا^(١)

٤ — مَتَى يَدْعُهُ الدَّاعِي إِلَيْهِ فَإِنَّهُ سَمِيعٌ إِذَا الْأَذَانُ صَمٌّ جَوَابُهَا

٥ — هُوَ الْأَبْيَضُ الْوَضَّاحُ لَوْرُمِيَّتِهِ ضَوَّاحٍ مِنَ الرِّيَّانِ زَالَتْ هِضَابُهَا

تتلَهفُ على ما فاتَ عَشِيرَتَهُ مِنْ حَسَنِ الدَّفَاعِ ، وَالثَّبَاتِ فِي وَجْهِ الشُّجَاعِ
الَّذِي لَا يُدْرَى كَيْفَ يُدْفَعُ ، وَأَنْتَ يُوْتَى وَيُقَدَّعُ ، وَقَدْ طَرَدَ الشُّجْعَانُ وَطَرَقَهُمُ

(١) التبريزي : « أفر السكامة » بالراء المهملة ، قال : « وروى أفر السكامة بالزاي »

ثم قال : « وأفر السكامة — يعني بالراء — طردهم » .

(٢) تقترية : تبعه . وفي النسختين : « فتقتر به » .

ذُعْرًا ، شِدَّةُ مُطَاعِنَتِهِ ، وَقُوَّةُ مُضَارَبَتِهِ . وَقَالَ الْخَلِيل : أَفْرَعُهُ : أَفْرَعَهُ . وَاسْتَفْزُوه
أَخْرَجُوهُ مِنْ دَارِهِ وَخَدَعُوهُ حَتَّى أَفْقَوْهُ فِي الْجَهْلِ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَإِنْ كَادُوا
لَيَسْتَفْزُوا نَوَاكٍ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ﴾ . وَالْبَهْمَةُ تَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمَاعَةِ ،
وَهَاهُنَا هِيَ لِلوَاحِدِ ، بِدَلَالَةِ قَوْلِهَا « مَتَى يَدْعُهُ الدَّاعِي إِلَيْهِ » فَلَمْ تَقُلْ إِلَيْهِمْ ، فَأَمَّا
قَوْلُهَا « طَعْنُهَا وَضِرَائُهَا » فَالضَّمِيرُ جَاءَ فِيهِ عَلَى لَفْظِ الْبَهْمَةِ .

وَمَعْنَى « مَتَى يَدْعُهُ الدَّاعِي إِلَيْهِ » ، أَنَّهُ إِذَا دَعَا الدَّاعِي الْمُبَارَزَةَ هَذَا الْبَهْمَةَ
وَمَنَازَلَتَهُ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ وَيُجِيبُ ، فِي وَقْتٍ تَسْتَكُثُّ فِيهِ الْمَسَامِعُ لَشِدَّةِ الْأَمْرِ ،
وَالْبَاسِ الْخَوْفِ . وَجَعَلَ الصَّعَمَ لِلْجَوَابِ مُجَازًا ، وَإِنَّمَا تَصَمُّ الْآذَانُ عَنِ السَّمَاعِ
فَيَنْقَطِعُ الْجَوَابُ .

وَقَوْلُهَا « هُوَ الْأَبْيَضُ الْوَضَّاحُ » تَرِيدُ خُلُوصَ النَّسَبِ وَزَكَاءَ الْمَنْصِبِ ،
وَاشْتِهَارَ الذِّكْرِ فِي الْأَفْقِ .

وَقَوْلُهَا « لَوْرُمِيَّتْ بِهِ ضَوَّاحٍ » تَرِيدُ نَفَازَهُ وَحُسْنَ خُرُوجِهِ مِمَّا يَدْخُلُ فِيهِ
وَشِدَّةَ صَدْمَتِهِ ^(١) لِلْأُمُورِ ، وَجَلَّاجَهُ فِي إِبْرَامِهَا . فَيَقُولُ : لَوْرُمِيَّتْ بَوَارِزُ هَذَا
الْجَبَلِ بِهِ لَزَعَزَعَهَا ، وَهَذَا جَوَانِبُهَا .

٣٩٥

وَقَالَتِ الْعُورَاءُ ابْنَةُ سُبَيْعَ :

- ١ - أَبْكِي لِعَبْدِ اللَّهِ إِذْ حُشْتُ قَبِيلَ الصَّبْحِ نَارُهُ
- ٢ - طَيَّانَ طَاوِي الْكَشْحِ لَا يُرْخِي لِمُظْلِمَةٍ إِزَارُهُ
- ٣ - يَعْصِي الْبَخِيلَ إِذَا أَرَا دَ الْمَجْدَ مَخْلُوعًا عِذَارُهُ

(١) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « مَذْمَتُهُ » .

تريد أنها إذا تذكّرت حال المرنى فيما كان تجرى أمورُه عليه ، وبأخذ نفسه به ، عاودها البكاء والنحيب . ومعنى « حُشَّتْ نارُه » ضُمَّ ما تفرَّق من الحطَب إليها وأوقِدَتْ . وإنما تريدُ نارَ الضيافة .

. ومعنى « طَيَّان » صغير البطن ، مهزومُ الجنين ، قليلُ الطَّعم . وقولها « طَاوَى الكَشْح » أى يَمْضِي فى الأمور لَوَجْهه لا يُعْرِج على شىء ولا يَنْتَبِئ . ويقال : انطَوَى كَشْحاً ، فيصير من باب تصبَّبَ عَرَقاً . قال :
* أَخْ قَدْ طَاوَى كَشْحاً وَأَبَّ لَيْذَهَباً ^(١) *

وقولها « لا يُرْخَى لَمُظْلَمَةٍ إِزَارُهُ » تريد أنه إذا نابَتْهُ النَّوَابُ تجرَّدَ لها وفيها وهو مشمَّرُ الإزار ، مقلَّصُ الذَّيل ، فداوَّاهَا بدوائِها ، ونهَضَ فيها نَهْضَ المقتدرِ عليها ، الفاضِل لها .

وقولها « يَعِصَى الْبَخِيل » تقول : وإذا أراد اكتسابَ المجد أهانَ ما له للفقراء والغفاة ، وفى إصلاحِ أمرِ العشيرة ، وَعَصَى المُشِيرَ عليه بالإمساكِ والبُخل ، فخلَعَ رِبْقَةَ طَاعَتِهِ ، وعذَرَ احتشامِهِ .

٣٩٦

وقالت عاتكة بنت زيد ^(٢) :

١ — مَنْ لِنَفْسٍ عَادَهَا أَحْزَانُهَا وَلِعَيْنٍ شَفَّهَا طَوْلُ السَّهْدِ ^(٣)

(١) كلمة « أخ » ساقطة من ل . وكلمة « قد » ساقطة من الأصل . وإثباتها من مجموع النصين ومن ديوان الأعشى ٨٩ ومقاييس اللغة واللسان والجمهرة . وصدره :
* صرمت ولم أصرمكم وكصارم *

(٢) سبقت ترجمتها فى الحماسية ٣٩٣ ص ١١٠٢ .

(٣) ضبطت فى النسختين وكذا عند التبريزى « السهد » بضمين ، والأوفق لمراعاة الشعر أن تضبط بفتحين ، وهى لغة فى الأول .

- ٢ - جَسَدٌ لُفَّفَ فِي أَكْفَانِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى ذَاكَ الْجَسَدِ
٣ - فِيهِ تَفْجِيعٌ لِمَوْتِي غَارِمٍ لَمْ يَدْعُهُ اللَّهُ يَمْشِي بِسَبْدٍ
قولها « مَنْ لِنَفْسِي » تَوَجُّعٌ وَتَشَكُّيٌّ وَاسْتِغَاثَةٌ . وَعَادَا ، أَيْ اعْتَادَا . قَالَ :
* عَادَ قَلْبِي مِنَ اللَّطِيفَةِ عِيدٌ *

والمعنى مَنْ يُؤْمِنُ نَفْسًا مِمَّا اعْتَادَهَا مِنَ الْأَحْزَانِ ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهَا فِي رُزْمِهَا
مِنَ الْأَوْصَابِ وَالْآلَامِ ، وَمَنْ لَعِينِ آذَاهَا طُولُ الْأَرْقِ ، وَدَوَامُ السَّهَرِ .
وقولها « جَسَدٌ لُفَّفَ فِي أَكْفَانِهِ » لُفَّفَ بِمَا بَعْدَهُ صِفَةٌ لِلْجَسَدِ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ
بِمَا بَعْدَهُ ، اعْتِرَاضٌ بَيْنَ الْأَوْصَافِ ، لِأَنَّ قَوْلَهَا « فِيهِ تَفْجِيعٌ » صِفَةٌ أَيْضًا .
وَالْكَلَامُ تَحْشُرُ وَتَلْهَفُ . فَتَقُولُ : رَحِمَ اللَّهُ جَسَدًا جُهِّزَ بِمَا يَجْهَزُ بِهِ الْمَوْتَى ،
وَفُجِّعَ بِهِ مَوَالِيهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعِيشُونَ فِي فَنَائِهِ ، فَإِذَا لَحِقَ أَحَدُهُمْ غُرْمٌ وَقَدْ
ضَاقَتْ حَالُهُ عَنْ احْتِمَالِهِ وَسَّعَ لَهُ فِي جَنَابِهِ ، وَأَعَانَهُ عَلَى دَهْرِهِ بِمَالِهِ . وَقَوْلَهَا « لَمْ
يَدْعُهُ اللَّهُ يَمْشِي بِسَبْدٍ » تَرِيدُ أَفْقَرَهُ فَلَمْ يُبْقِ لَهُ شَيْئًا . وَيَقَالُ : « مَا لَهُ سَبْدٌ وَلَا
لَبْدٌ » ، فَالْسَّبْدُ : الشَّعَرُ ، وَاللَّبْدُ : الصَّوْفُ .

٣٩٧

وقالت امرأة من بني الحارث^(١) :

- ١ - فَارِسٌ مَا غَادَرُوهُ مُلْحَمًا غَيْرَ زُمَيْلٍ وَلَا نِكَسٍ وَكَلٍ^(٢)

(١) من بني الحارث بن كعب ، كما في الخزائنة (٤ : ٥٢٢) وأمالى ابن السجري (١) :

(١٨٧ ، ٣٣٣) .

(٢) وروى أيضا كما في الخزائنة : « فَارِسًا » ، بالنصب : قال ابن السجري : « الرواية

نصب فارس بمضمر يفسره الظاهر . وما صلة ، والمفسر من لفظ المفسر ، لأن المفسر متعد
بنفسه إلى ضمير المنصوب ، ولكن لو تعدى بحرف جر أضمرت له من معناه دون لفظه ،
كقولك أزيداً مررت به ، التقدير : أجزت زيداً . لأنك إن أضمرت مررت أضمرت الجار ،
وذلك مما لا يجوز . فالتقدير إذن : غادروا فارساً . ويجوز رفع فارس بالابتداء والجملة التي هي =

٢ - لو يَشَا طَارَ به ذُو مَيْعَةٍ لَاحِقُ الْآطَالِ نَهْدُ ذُو خُصَلٍ^(١)

٣ - غَيْرَ أَنَّ الْبَأْسَ مِنْهُ شَيْمَةٌ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَجْرِي بِالْأَجَلِ

قوله « فارس » ما غادروه « ما صلة ، والكلام فيه تفخيم لأمر المرتضى وتعظيم لشأنه . تريد : تركوا فارساً رفيع الحل ملجماً ، أى طعمة لعوافي السباع والطير . قال :

* قَدْ أَلْحَمَّتْنِي الْمَنَايَا السَّبْعَ وَالرَّخَا*

وقوله « غَيْرَ زُمَيْلٍ » فالزُمَيْلُ والزَّمَالُ والزَّمَلُ : الضعيف ، كأنه زُمَلٌ في المعجز كما يُزَمَلُ الرَّجُلُ فِي التَّوْبِ . وقوله « وَلَا يَنْكَسُ وَكَلٌ » فالتَّكْسُ : المقصر عن غاية النجدة والكرامة ، وأصله في السهام ، وهو الذى انكسر فجُمِلَ أسفلُه أعلاه ، فلا يزال ضعيفاً . وَالْوَكَلُ : الجبان الذى يتَّكَل على غيره فيضيع أمره .

وقوله « طَارَ به ذُو مَيْعَةٍ » حكى الحال والمراد لو شاء أنجاهُ فارسٌ له ذو نشاط . وقال الخليل : مَيْعَةُ الْحُضِرِ وَالنَّشَاطُ : أَوَّلُهُمَا وَجِدَتُهُمَا . وقوله « لَاحِقُ الْآطَالِ » تريد : ضامرَ الجنبين . نَهْدٌ ، أى غليظٌ . ذُو خُصَلٍ ، أى من الشَّعَرِ .

وقوله « غَيْرَ أَنَّ الْبَأْسَ مِنْهُ شَيْمَةٌ » : تقول ثَبَتَ ولم يَرِ لنفسه الانقباض والإحجام ، لأنَّ الصَّبَرَ فِي الشَّدَّةِ وَالْبَأْسَ عَادَةً مِنْهُ وَطَبِيعَةً ، وَلأنَّ صُرُوفَ

= غادروه وصف له ، وغير زميل خبره . ولا موضع من الإمراب في وجه النصب للجملة التى هى غادروه ، لأنها مفسرة فحكمها حكم الجملة المفسرة . وحسن رفعه وإن كان نسكرة لأنه تخصص بالصفة . وإذا نصبته نصبت غير زميل وصفاً له . ويجوز أن يكون وصفاً للحال التى هى ملجماً .

(١) لو يَشَا ، ضبطت في ل بالجزم ، ومى رواية وشاهد في أن « لو » قد تجزم الفعل . انظر الخزانة وأمالى ابن السجري .

الدَّهْرِ تَجْرِي إِلَى النُّفُوسِ بِأَجَالِهَا ، وَلِكُلِّ حَيٍّ وَقْتُ مِنْ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ، فَإِذَا
انْتَهَى الْعُمُرُ بِهِ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ انْقَطَعَ .

٣٩٨

وَقَالَ جَرِيرٌ ، يَرْتِي قَيْسَ بْنَ ضِرَارٍ^(١) :

- ١- وَبَاكِئَةً مِنْ نَأْيِ قَيْسٍ وَقَدْ نَأَتْ بَقَيْسٍ نَوَى بَيْنَ طَوِيلٍ بَعَادُهَا
 - ٢- أَظُنُّ انْهِمَالَ الدَّمْعِ لَيْسَ بِمُنْتَهَى عَنْ الْعَيْنِ حَتَّى يَضْمَجَلَ سَوَادُهَا
 - ٣- وَحَقَّ لَقَيْسٍ أَنْ يُبَاحَ لَهُ الْخَمَى وَأَنْ تُفَقَّرَ الْوَجْنَاهُ أَنْ خَفَّ زَادُهَا
- قَوْلُهُ « وَبَاكِئَةً مِنْ نَأْيِ قَيْسٍ » أَلَمْ فِيهِ بِقَوْلِ الْآخِرِ^(٢) :

وَكُنْتُ أَرَى كَالْمَوْتِ مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ فَكَيْفَ بَيِّنٍ كَانَ مِيعَادَهُ الْحَشْرُ
فَيَقُولُ : رَبِّ امْرَأَةٍ بَاكِئَةٍ لُبْعَدِ قَيْسٍ عَنْ مَقَرٍّ غَزَاهُ ، وَمَسْكَنٍ فُخْرِهِ ،
وَنَأْيِ قَيْسٍ السَّاعَةِ لِمُنْتَوَى بُعْدِهِ طَوِيلٍ . وَالنَّوَى : وَجْهَةُ الْقَوْمِ الَّتِي يَنْوُونَهَا ،
وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ . وَأَضَافَ النَّوَى إِلَى الْبَيْنِ - وَهُوَ الْفِرَاقُ - لِأَنَّ الْغُرُضَ فِي تِلْكَ
النَّوَى كَانَ مَفَارِقَةَ الْأَحْيَاءِ ، وَالتَّنَقُّلَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ ، فَالْبَيْنُ سَبِيلُهَا وَمَقْتَضِيهَا .
وَارْتَفَعَ « بَعَادُهَا » بِطَوِيلٍ ، وَالضَّمِيرُ مِنْهَا يَعُودُ إِلَى النَّوَى . وَالْوَاوُ مِنْ قَوْلِهِ
« وَقَدْ نَأَتْ » وَאו الْحَالِ .

وَقَوْلُهُ « أَظُنُّ انْهِمَالَ الدَّمْعِ » يَرِيدُ أَنْ أَوْقَاتَ الْبُكَاءِ مُتَّصِلَةٌ ، وَأَمَّا سَيْلَانُ
الدَّمْعِ غَيْرُ مُنْقَطِعَةٍ ، وَالْعَيْنُ شُؤُونُهَا لَا تُثَبِّتُ لَذَلِكَ وَلَا تَقْوَى بِهِ ، فَلَا شَكَّ

(١) التبريزي : « قيس بن ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة » . وهذه الرثية آخر
المرثي عند المرزوقي ، لكن التبريزي روى بعدها ثلاث مرثيات ، سنبتها في الحواشي في نهاية
هذا الباب .

(٢) هو سلة الجعفي . وقد مضى في الحماسية ٣٨٥ ص ١٠٨١ .

أَنْ سَوَادَهَا يَبْطُلُ . وَذَلِكَ أَنَّ مَسَبَّاتِ الْأَشْيَاءِ إِنَّمَا تَقْوَى وَتَدُومُ بِقُوَّةِ أَسْبَابِهَا وَمُقْتَضِيَّاتِهَا ، فَمَا دَامَ سَبَبُ الْبُكَاءِ - وَهُوَ الْحُزْنُ وَالْمَلَحُ - يَمْلِكُ الْبَاكِيَ وَيَقْوِدُ زِمَامَهُ ، فَالِدَّمَاعِ سَائِلِ ذَارِفٍ ، وَسَوَادُ الْعَيْنِ مُشْفٍ عَلَى الْبُطُولِ هَالِكٌ ^(١) . وَقَوْلُهُ « وَحَقُّ لَقَيْسٍ أَنْ يُبَاحَ لَهُ الْحِمَى » الْأَصْلُ فِي الْحِمَى الْمَاءُ وَالْكَلَاءُ ، وَلَمَّا كَانَ الْعَزِيزُ مِنْهُمْ يَسْتَبِيحُ الْأَحِمِيَّةَ وَيَحْفَظُ حِمَى نَفْسِهِ وَيَمْنَعُ مِنْهُ كُلَّ أَحَدٍ ، وَإِذَا قَالَ أَحْمَيْتُ هَذَا الْمَكَانَ ، أَيْ جَعَلْتُهُ حِمَى ، كَانَ يُتَجَنَّبُ وَيُتَحَامَى إِجْلَالًا لَهُ وَخَوْفًا مِنْهُ - اسْتَعِيرَ مِنْ بَعْدُ لِلْقَلْبِ وَمَا يَمْتَلِكُ مِنْهُ الْحُبُّ أَوِ الْحُزْنُ أَوْ غَيْرُهَا وَمَا لَا يُمْتَلِكُ مِنْهُ ، فَيَصْمِيرُ كَأَنَّهُ حِمَى الْعَقْلِ . فَيَقُولُ : حَقُّ لَقَيْسٍ وَالْعَصَابِ بِهِ أَنْ يُبَاحَ لَهُ مِنَ الْقُلُوبِ مَا كَانَ حِمَى ، فَلَا يَنْزِلُ بِهِ غَمٌّ ، وَلَا يُمْتَلِكُهُ صَرُورٌ ، أَيْ حَقٌّ لِلْجَزَعِ بِهِ أَنْ يَبْلُغَ مِنَ الْقَلْبِ حَدًّا لَمْ يَبْلُغْ مِنْهُ شَيْءٌ . وَقَدْ أَخْرَجُوا هَذَا الْمَعْنَى فِي مَعَارِضَ لِأَنَّهُ مَعْنَى صَحِيحٍ حَكِيمٍ شَرِيفٍ ، فَقَالَ كُنْزٌ فِي الْحُبِّ يَصِفُ امْرَأَةً :

أَبَاحَتْ حِمَى لَمْ يَرَعْهُ النَّاسُ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ تِلَاعًا لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حُلَّتِ
يُرِيدُ : بَلَفَتْ مِنَ الْقَلْبِ هَذَا الْمَبْلَغَ .

وَأَخَذَهُ مِنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّمَّةِ الْقُشَيْرِيُّ ، فَقَالَ :

فَحَلَّتْ مَحَلًّا لَمْ يَكُنْ حُلٌّ قَبْلَهَا وَهَانَتْ مَرَاقِيهَا لِرِيًّا وَذَلَّتْ
وَأَخَذَهُ أَبُو نُوَّاسٍ فَقَالَ :

مُبَاحَةٌ سَاحَةُ الْقُلُوبِ لَهُ يَرْتَعُ فِيهَا أَطَايِبَ الثَّمَرِ ^(٢)
وَأَخْرَجَهُ عَلَى وَجْهِ آخَرٍ فَقَالَ يَنْفِي ^(٣) :

(١) يُقَالُ : بَطُلَ يَبْطُلُ بَطْلًا ، بِالضَّمِّ ، وَبَطُولًا ، وَبَطْلَانًا : ذَهَبَ ضِياعًا وَخُسِرَ .

(٢) لُ : « يَرْتَعُ مِنْهَا » .

(٣) هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ لُ .

بَصَحْنِ خَدَّيْ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهُ وَلَمْ تَخْضُهُ أَعْيُنُ النَّاسِ^(١)
فَنَقَلَ إِلَى الْخَدِّ وَغَمَضَ كَمَا تَرَى .
وقال آخر يصف ناقة :

* حمراء منها ضَخْمَةُ الْمَكَانِ^(٢) *

يريد : عظيمة المكان من القلب . ذكره الأصمعي . يريد أنها محبة . وقد قيل فيه غير هذا .

وقوله « وَأَنْ تُعَقِّرَ الْوَجْنَاءِ إِنْ خَفَّ زَادُهَا » كان الواحد منهم إذا مرَّ بقبر رئيسٍ وهو في صحبةٍ أحبَّ أَنْ يَنْوِبَ عَنْ الْقَبْرِ فِي الضِّيَافَةِ ، فَإِذَا لَمْ يَسَاعِدْهُ مِنَ الطَّعَامِ مَا يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ عَقَّرَ نَاقَتَهُ إِكْرَامًا لَهُ . لذلك قال « وَأَنْ تُعَقِّرَ الْوَجْنَاءِ إِنْ خَفَّ زَادُهَا » . والوجناء : الناقة الصُّلْبَةُ ، أُخِذَ مِنَ الْوَجِينِ ، وَهُوَ الْأَرْضُ الصُّلْبَةُ . فَمَنْ رَوَى « أَنْ خَفَّ زَادُهَا » بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ ، فَالْمُرَادُ لِأَنَّ خَفَّ زَادُهَا . وَمَنْ رَوَى « إِنْ خَفَّ » بِكسْرِ الْهَمْزَةِ فَهِيَ لِلشَّرْطِ . وَقَدْ اعْتَذَرَ بَعْضُهُمْ^(٣) مِنْ تَرْكِ ذَلِكَ فَقَالَ :

لَوْلَا السَّمَارُ وَبَعْدُ خَرَقٍ مَهْمَةٍ لَتَرَكْتُهَا تَحَبُّوْ عَلَى الْعُرْقُوبِ
يعنى ناقة .

وقد حكى ابن الأعرابي حكايةً مليحةً ، قال : كان رجلٌ يُوَصِّلُ امْرَأَةً فُخِرَ فِي سَفَرِهِ لَهُ وَعَادَ وَقَدْ اسْتَبَدَّلَتْ بِهِ ، فَأَتَاهَا لِعَادَتِهِ^(٤) ، فَقَالَتْ :
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ بُدِّلَ حَاضِرًا وَأَنَّ شِعَابَ الْقَلْبِ بَعْدَكَ حُلَّتْ

(١) تخضه ، بالياء في الأصل ، وبالتاء في ل .

(٢) الرجز لابن ميادة ، كما في أمالي القالي (٣ : ٢٠٢) . وانظر مجالس ثعلب ٥٠٦ .

(٣) هو حفص بن الأحنف الكنانى . سبق في المحاسنة ٣٠٦ ص ٩٠٦ .

(٤) لعادته ، باللام ، كما في الأصل ول والتبريزى .

فأجابها :

فَإِنْ تَكُ حُلَّتْ فَالشَّعَابُ كَثِيرَةٌ وَقَدْ نَهَلَتْ مِنْهَا قُلُوصِي وَعَلَّتْ

ثم باب المرائي بحسن توفيق الله وجميل صنعه ، وله على تواتر نفعه ،
وتتابع أياديه ، أجزل الحمد^(١) .

(١) بعده في ل : «وأكثر الشكر ، وعلى النبي المصطفى ، محمد المجتبي خير الوري ، أوفى
صلواته ، وأتمى بركاته ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وسلم » .
هذا . وقد روى التبريزي بعد هذه المقطوعة ثلاث مقطوعات أخرى آثرنا إثباتها
هنا ، وهي :

وقال آخر :

إِنَّ الْمَسَاءَ لِلْمَسْرَةِ مَوْعِدٌ اخْتَانَ رَهْنٌ لِلْعَشِيَةِ أَوْغِدِ
فَإِذَا سَمِعْتَ بِهِالِكٍ فَتَيَقَّنَنَّ أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُهُ وَتَزَوَّدِ

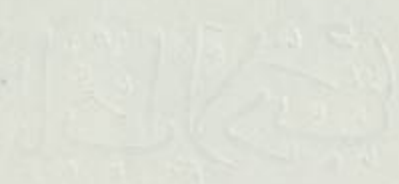
وقال آخر يرثي أخاه :

أَخْ وَأَبُ بَرٌّ وَأُمُّ شَقِيقَةٌ تَفَرَّقَ فِي الْأَبْرَارِ مَا هُوَ جَامِعُهُ
سَلَوْتُ بِهِ عَنْ كُلِّ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ وَأَذْهَلَنِي عَنْ كُلِّ مَا هُوَ تَابِعُهُ

وقال آخر يرثي ابنه :

ذَهَبَتْ عَلَيَّ حِينَ أُعْجِبْتَنِي وَوَلَّى الشَّبَابُ وَجَاءَ الْكِبَرُ
فَإِنْ أَبُكَ أَبُكَ عَلَى فَاجِعٍ وَإِنْ يَكُ صَبْرٌ فَنُفْلِي صَبْرُ

بَابُ الْإِدْبِ



باب الأدب

٣٩٩

قال مسكين الدارمي^(١):

١ — وَفَتَيَانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جِئْتُهَا

قوله « وفتيان صدق » أضاف الفتيان إلى الصدق ، كما يقال فتیان خير . والمعنى أنهم يصدقون في الوُدِّ ولا يخونون . وقال الخليل : يُقال رَجُلٌ سَوَاءٌ ، وإذا عَرَفْتَ قُلْتَ الرَّجُلُ السَّوَاءُ ، ولم تُضِفْ ، بل تجعله نعتاً . وتقول : عَمَلُ سَوَاءٍ وَعَمَلُ السَّوَاءِ ، وقولُ صِدْقٍ وقولُ الصَّدْقِ ، ورجل صِدْقٍ ، ولا تَقُلُ الرَّجُلُ الصَّدْقُ ، لأنَّ الرجل ليس من الصَّدْقِ .

فيقول : رَبِّ فِتْيَانٍ هَكَذَا اسْتَنَامُوا إِلَيَّ وَاسْتَوْدَعُونِي أَسْرَارَهُمْ ، فكنْتُ أَنَا نِظَامَهَا لَا يَفُوتُنِي مِنْ خَبِيرَاتٍ صُدُورُهُمْ شَيْءٌ ، ثُمَّ أَفَرَدْتُ كُلًّا مِنْهُمْ بِالْوَفَاءِ لَهُ ، وَكُتْمَانِ مَا أَوْدَعَنِي مِنْ سِرِّهِ ، وَلَا أَطْلِعُ بَعْضَهُمْ عَلَى مَا يَسْتَكْتُمُنِي الْبَعْضُ الْآخَرُ ، بَلْ أَصُونُهُ مِنَ الْإِذَاعَةِ ، وَأَحْفَظُهُ مِنَ النَّشْرِ بِالطَّيِّ وَالصِّيَانَةِ . وَذَلِكَ لِأَنَّ حِفْظَ السِّرِّ يَجْرِي تَجْرَى أَدَاءِ الْأَمَانَاتِ ، فَهُوَ فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا مَأْخُوذٌ بِهِ ، وَمَبْعُوثٌ عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ « جِئْتُهَا » ، هُوَ كَمَا يُقَالُ نِظَامٌ ، لِأَنَّ النِّظَامَ اسْمٌ لِمَا يُنْظَمُ بِهِ الشَّيْءُ ، فَهُوَ كَالْوِلَاقِ وَالرِّبَاطِ . وَكَذَلِكَ الْجَمَاعُ : اسْمٌ لِمَا يُجْمَعُ بِهِ الشَّيْءُ . وَالضَّمِيرُ مِنْ

(١) مسكين لقب له ، واسمه ربيعة بن أنيف الدارمي ، شاعر إسلامي هاجى الفرزدق ثم كافه ، وكان له أثر ظاهر في ترشيح يزيد بن معاوية للخلافة . انظر ترجمته في الأغاني (١٨ : ٦٨ — ٧٢) والخزانة (١ : ٤٦٥ — ٤٧٠) واللائى ١٨٦ — ١٨٧ ومعجم الأدباء (٤ : ٢٠٤ — ٢٠٦) مرجليوث ، والشعر والشعراء ٥٢٩ — ٥٣٠ .

جاءها يرجع إلى الفتيان ، ويجوز أن يرجع إلى ما دلّ عليه الكلام من ذكر الأسرار . وانتصب « غير » على أنه استثناء منقطع .

٢ - لِكُلِّ امْرِئٍ شِعْبٌ مِنَ الْقَلْبِ فارغ موضع نجوى لا يرأى اطلاعها

٣ - يَظْلُونَ شَتَّى فِي الْبِلَادِ وسيرهم إلى صخرة أعيا الرجال انصداعها

قوله « لكل امرئ » يريد لكل رجل منهم جانب من القلب ، وشق قد فرغ له وخص بموضع سره ونجواه ، لا يطلب الاطلاع عليه والكشف عنه ، لما عرف من محافظتي ووفائي . والنجوى يجرى على أحكام المصادر : الدعوى ، والعدوى ، وألفه للتأنيث ، ويوصف به الأمر المكتموم . ويقال : نجوته فهو نجى^(١) . وقد وُصفَ بالنجوى والنجى الواحد والجمع . و[في^(٢)] القرآن : ﴿ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ ، و﴿ إِذْ هُمْ نَجْوَى ﴾ ، و﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ﴾ . ويقال : تناجوا وانتجوا .

وقوله « يظلون شتى في البلاد » ، يريد أنهم يفارقونه فيتنعّبون في أقطار الأرض ، وسيرهم مكتموم مُحَصَّن ، كأنه أودع صخرة أعجز الرجال صدعها . ويقال : شت الأمر شتًا وشباتًا ، وهو شتيت وشت ، وهم أشتات وشتى . فأشتات جمع شت ، وشتى : جمع شتيت . ويروى « أعيا الجبال انضاءها » . والمعنى أن هذه الصخرة لإشرافها وثبوتها في موضعها لورام الجبال خطها لأعجزها ذلك . وقوله « إلى صخرة » أى مضموم إلى صخرة . فتعلق إلى بفعل مضمر دلّ عليه الكلام .

(١) ل : « نجى » .

(٢) التكملة من ل .

٤٠٠

وقال يحيى بن زياد^(١) :

- ١- لَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ لَاحَ بِيَاضُهُ بَمَفْرِقِ رَأْسِي قُلْتُ لِلشَّيْبِ مَرَحَبًا^(٢)
 ٢- وَلَوْ خِفْتُ أَنِّي إِنْ كَفَفْتُ مُتَحَيِّي تَنَكَّبَ عَنِّي رُمْتُ أَنْ يَتَنَكَّبَا
 ٣- وَلَكِنْ إِذَا مَا حَلَّ كُرُهُ فَسَاحَتُ بِهِ النَّفْسُ يَوْمًا كَانَ لِلْكُرْهِ أَذْهَبَا

قوله « لَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ » لَمَّا عَلِمَ لِلظَّرْفِ ، وهو لوقوع الشيء لوقوع غيره . وجوابه « قُلْتُ لِلشَّيْبِ مَرَحَبًا » . وكان الواجب أن يقول : قُلْتُ لَهُ مَرَحَبًا وَلَكِنَّهُمْ يَكُرُّونَ الْأَعْلَامَ وَأَسْمَاءَ الْأَجْناسِ كَثِيرًا ، وَالْقَصْدُ بِالتَّسْكِيرِ التَّفْخِيمِ . والمعنى : لَمَّا وَجَدْتُ الشَّيْبَ اشْتَعَلَ رَأْسِي بِيَاضِهِ ، طَيَّبْتُ نَفْسِي بِطُلُوعِهِ وَقُلْتُ لَهُ : أَتَيْتَ رُحْبًا وَسَعَةً . وقوله « مَرَحَبًا » انْتَصَبَ عَلَى الْمَصْدَرِ . ويقال : رَحِبْتُ بِلَادُكَ رُحْبًا وَرَحَابَةً . وَحُكِيَ رَحِبْتُ بِلَادُكَ بِكُسْرِ الْحَاءِ تَرَحَّبُ رُحْبًا . وَالرَّحْبَةُ وَالرَّحْبَةُ ، وَاحِدٌ وَهِيَ سَاحَةُ الْمَسْجِدِ .

وقوله « وَلَوْ خِفْتُ » يَرِيدُ بِخِفْتُ رَجَوْتُ ، وَهُمْ يَضَعُونَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الرِّجَاءِ وَالْخَوْفِ مَوْضِعَ الْآخَرِ . أَلَا تَرَى قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾ ، أَيْ لَا يَخَافُونَ . وَقَوْلُ الْآخَرِ ، وَهُوَ الْهَذْلَى : « يَرْجُونَ لَسَعَهُ »^(٣) . يَعْنِي النَّحْلَ . فَيَقُولُ : لَوْ رَجَوْتُ أَنِّي إِذَا تَكَرَّرَتْ الشَّيْبَ وَتَسَخَّطَتْهُ ،

(١) سبقت ترجمته في الحاشية ٢٨١ من ٨٦٠ .

(٢) كَذَا جاء البيت بالحرم في النسختين ، وجاء تاما في التبريزي : « لَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ » .

(٣) كَذَا في النسختين . والمعروف كما عند التبريزي : « لَمْ يَرْجُ لَسَعَهَا » . وهذا قطعة

من بيت لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين (١ : ١٤٣) ، وهو بتمامه :

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسَعَهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نَوْبِ عَوَاسِلِ

وكففت عن إظهار الرضا به والسرور لطلعتيه فارقتي وانحرف عني ، لرمت ذلك ، ولكن إذا حل ما يكرهه فطاوعت نفسه به ، وتلقاه بالصبر عليه ، كان ذلك أغون على زوال الكراهة فيه ، وإلا اجتمع وجهان مما يشق نزوله به ، واغتممه له . وقوله « فساخمت به النفس » أى ساهلت . ومنه قيل : عود سمخ أى لا أبى فيه ^(١) . ومما يجزى مجزى المثل : « إذا لم تجد عزاً فسمخ » أى إن وهن . وقوله « كان للكره أذهباً » ، كان الحكم أن يقول أشد إذهاباً ، لأن الفعل منه ليس بثلاثي . ولكن على طريقة سيبويه يحىء أن يُبنى فعل التعجب مما كان على أفعل أيضاً ، وإن كان الباب على الثلاثي . وقد يمكن أن يقال : إنما قال « أذهباً » على حذف الزوائد . ألا ترى قوله :

فإننا وجدنا العرض أفقر ساعة إلى الصون من بُرد يمانٍ مُسهم ^(٢)

والفعل لم يحىء إلا افتقر ، فكأنه نوى حذف الزوائد ورده إلى فقر ، وعليه جاء « فقير » وإن لم يستعمل الفعل .

وقوله « ولكن إذا » لكن جاء في هذا المكان لترك قصة إلى قصة ، وهى إذا جاءت عاطفة كانت لاستدراك بعد النفي . وجواب « لو » فى قوله : لو خفت « رمت أن يفتكبا » ، وجواب إذا من قوله « إذا ما حل كره » : « كان للكره أذهباً » . ويوماً انتصب على الظرف ، والعامل فيه حل ، واسم كان ما دل عليه قوله ساحت ، كأنه قال : كان المساحة أذهب للكره .

(١) الأبن : جمع أبنة ، بالضم ، وهى العقدة فى العود ، والعيب .

(٢) البيت لأوس بن حجر فى ديوانه ٢٧ واللسان (سهم) ، والرواية فيها : « أحوج ساعة » .

٤٠١

وقال المزار بن سعيد^(١) :

- ١ — إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةً فَبِالْحِلْمِ سُدْ لَا بِالْقَسْرِ وَالشَّيْءِ
٢ — وَلِلْحِلْمِ خَيْرٌ فَاعْلَمْ أَنَّ مَغَبَّةَ مِنَ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تَشْمَسَ مِنْ ظُلْمِ
- جواب قوله « إذا شئت » قوله فبالحلم . والمعنى أن السيادة لها آلات ،
وإليها مراقي ودرجات ، فمن أتاها من وجهها ومأتاها تمت له ؛ وذلك أن منها
استعمال الحلم ، وترك التعجل ، وكظم الغيظ ، وتسهيل الجانب ، والاحتمال
في النفس والمال والجاه ، إلى غير ذلك مما يطول ذكره . فمن صبر في طلب
الرئاسة وحصول سيادة العشيرة ، على هذه الخصال ، فهو حقيق بإدراكها ، فإن
أخذ يخشع جانبه ويقطب وجهه ، ويغلظ كلامه ، ويوسع غيظه ، ويغلظ
قلبه ، ويعجل الطاعة له نفرت العشيرة منه ، وبأنواعه . لذلك قال
من قال :

فَإِنْ كُنْتَ سَيِّدَنَا سُدْنَا وَإِنْ كُنْتَ لِلْخَالِ فَاذْهَبْ فَخَلْ^(٢)
وقوله « وَلِلْحِلْمِ خَيْرٌ فَاعْلَمْ أَنَّ مَغَبَّةَ » انتصب مغبة على التمييز . وقوله
« فَاعْلَمْ » حشو . فإن قيل : كيف اختير هذا البيت بهذا الحشو ، والمتكلم
إذا استعمل في كلامه مع مخاطب اعلم واسمع وما يجرى مجراها ، عد ذلك منه
عيا ؟ قلت : إن هذه اللفظة في هذا المكان محتاج إليها في عمدة المعنى المقصود ،

(١) هو المزار بن سعيد بن حبيب القعسي الأسدي ، وهو من مخضرمي الدولتين ،
وقيل : إنه لم يدرك الدولة العباسية . الأغاني (٩ : ١٥١ — ١٥٤) والخزانة (٢ :
١٩٣ — ١٩٧) والمؤتلف ١٧٦ والمرزباني ٤٠٨ — ٤٠٩ والشعر والشعراء
٦٨٠ — ٦٨٣ .

(٢) البيت ٤ من الحماسة ٦٧ ص ٢٥٢ .

وإنَّ ما أشرتَ إليه إنَّما يكون زوائدَ وفُضُولًا لا يُحتاجُ إليه ، فإذا وَصَلَ المتكلمُ بها كلامه مستعينًا بها عُدَّ منه خطلاً وعيًّا ، وهو في هذا المكان وصَّاه بالفكر فيما أوردَه والتبيين له ، وبمعرفة الحِلْمِ ووقته حتَّى يَدْرِيَ كيف يأخذُ به . فقوله : فاعلمنَّ ، فاعرفنَّ ، ومنفعوله محذوف ، والمراد فاعلمنَّ الحِلْمَ ومَعَبَّتَه ، فأطلق . رجع فيما أشار به مطلقًا ، واستثنى في كلامه فقال : إلَّا أن تَنْفِرَ من ظُلمٍ يَرَكُبُكَ ، وهزيمة تَنالُكَ ؛ فإنَّ الجَهْلَ في ذلك الوقتِ أرجحُ في الاختيار من الحِلْمِ ، إذ كان صَدْمُ الشَّرِّ بالشَّرِّ أقرب ، ودفعُ الجَهْلِ بالجَهْلِ أحْلَم . ويقال : غَبَّتِ الأمور ، إذا صارتْ إلى أواخرها . وإنَّ لهذا الأمرِ كَمَغَبَّةٍ مَحْمُودَةٍ ، أى عاقبة . وقوله « تَشَمَّسَ » ، يقال إنَّه لَدُوْ شِمَاسٍ شديد ، إذا كان عَسيرًا . وشَمَّسَ لى فلانٌ إذا تَنَكَّرَ وهمَّ بالشَّرِّ .

٤٠٢

وقال عَصَامُ بْنُ عُبيدِ اللَّهِ^(١) :

١ — أَبْلِغْ أَبَا مِسْمَعٍ عَنِّي مُغْلَغَلَةً وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةً بَيْنَ أَقْوَامِ

٢ — أَدْخَلْتَ قَبْلِي قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي الْحَقِّ أَنْ يَدْخُلُوا الْأَبْوَابَ قُدَّامِي^(٢)

قوله « مُغْلَغَلَةً » أى رسالةٌ يُغْلَغَلُها إلى صاحبها . وهو من قولهم : تغلغل الماء ، إذا دخلَ بينَ الأشجار ، وغلغلته أنا^(٣) . وقال الدَّريديُّ : الغلغلة : دُخُولُ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ . وقال الخليل : الغلغلة : سُرْعَةُ السَّيْرِ . يقال تغلغلوا وَمَضَوْا . ورسالةٌ مُغْلَغَلَةٌ : محمولة من بلدٍ إلى بلد . وقوله « وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةٌ »

(١) التبريزي : « عصام بن عبيد الزمان » . على أن الأبيات رواها الجاحظ في البيان

(٢) (٢ : ٣١٦ / ٣ : ٣٠٢ / ٤ : ٨٥) منسوبة إلى حماد الرافضي .

(٢) الجاحظ : « أن يلجوا الأبواب » .

(٣) في الأصل : « وغلغله لياه » ، صوابه في ل .

بين أقوام « اعتراض » ، وقد مرَّ القول في فائدة الاعتراضات . والمعنى أنهم ما داموا يتعابون فإنَّ نياتهم تُعَوِّدُ الصَّلاحَ وتُراجِعُه ، وإذا ارتفع العتابُ من بينهم انطوت صدورهم عن الإحْن والضغائن ، وظهر الشرُّ على صفحات أقوالهم وأفعالهم ، فاحتاجت الحِمَيَات ، وأنتجت من سوء عقائدهم البَلِيَّات . وفي طريقته قال أبو تمام :

* إِنَّ الدَّمَ الْمُغْتَرَّ يَحْرُسُهُ الدَّمُ ^(١) *

وقال غيره : « الْقَتْلُ أَقْلٌ لِلْقَتْلِ ^(٢) » فأما قولُ الله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ فإنَّ بلاغة القرآن لا تُدَانِيهَا بِلَاغَةُ ، وكلَّ كلامٍ وإن علا ينحطُّ دونه . والرَّسالةُ قولُه : أَدْخَلْتُ قَبْلِي قَوْمًا . والمعنى أَنَّكَ قَدَّمْتَ عَلَيَّ فِي الإِذْنِ والدَّخُولِ قَوْمًا لم يكن من حقِّهم أَنْ يَتَقَدَّمُوا عَلَيَّ إِذَا وَرَدْنَا الأبوابَ ، ولا بَلَّغْتَ من محالِّهم ورُبِّهم أَنْ تُرْفَعَ على ما يُقَسَّمُ لِي فِي مَجَالِسِ الكِبَارِ . وقوله « أَنْ يَدْخُلُوا الأبوابَ » حَقُّهُ عِنْدَ سِيَبَوِيهِ أَنْ يَقَالَ أَنْ يَدْخُلُوا فِي الأبوابِ ، يجعلُه مما يتعدَّى في الأصل بحرف الجرِّ ثم يُحذفُ الجارُّ من اللفظ تخفيفًا . ومسألة الكتاب ^(٣) : دَخَلْتُ الْبَيْتَ . وغيره يذهب إلى أَنَّهُ مما يتعدَّى تارةً بنفسه وتارةً بحرف الجرِّ ، وفي أَنَّهُمْ يَقُولُونَ دَخَلْتُ فِي الْأَمْرِ فَيُعدَّى بِفِي لَا غَيْرَ ، وَأَنَّ ضَدَّهُ وهو خَرَجْتُ يَتعدَّى بحرف الجرِّ ، بَيَّانٌ لَصَحَّةِ قولِ سِيَبَوِيهِ .

(١) في الأصل : « المغني » ، صوابه في ل . والمغتر ، بالعين المعجمة : الغافل . وفي ديوان

أبي تمام ٢٧٤ : « المعتز » بالعين المهملة . وصدر البيت :

* وَأَخَافُكُمْ كِي تَغْمِدُوا أَسْيَافَكُمْ *
وقبل البيت بيت سائر ، وهو :

فَقَدْ أَتَرَدَّجَرُوا وَمِنْ يَكْ حَازِمَا فَلَيْقَسْ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ

(٢) كَذَا فِي النُّسخَتَيْنِ . وَيُرْوَى : « الْقَتْلُ أَتْنَى لِلْقَتْلِ » .

(٣) أَيْ كِتَابِ سِيَبَوِيهِ .

٣ — لَوْعَدَ قَبْرُ وَقَبْرُ كُنْتَ أَكْرَمَهُمْ مَتِيًّا وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الدَّامِ^(١)

٤ — فَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَتِي نَزَلْتُ بِيَابِ دَارِكَ أَذْلُوهَا بِأَقْوَامِ^(٢)

[قوله^(٣)] : « لَوْعَدَ قَبْرُ وَقَبْرُ » المراد به والأصل فيه : لَوْعَدْتُ الْقُبُورُ

قَبْرًا قَبْرًا ، إِلَّا أَنَّهُ اخْتَصَرَ الْكَلَامَ وَحَذَفَ الْقُبُورَ ، وَرَفَعَ قَبْرًا عَلَى أَنْ يَقُومَ مَقَامَ الْفَاعِلِ ، فَلَمَّا رَفَعَهُ وَأَزَالَهُ عَنْ سَنَنِ الْحَالِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِمْ : بَعْتُ الشَّاءَ شَاءَ شَاءَ ، وَقَبَضْتُ الْمَالَ دِرْهَمًا دِرْهَمًا ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ يَوْمًا يَوْمًا ، رَدَّ حَرْفَ الْعُطْفِ . وَإِنَّمَا قُلْتُ هَذَا لِأَنَّهُ مِنْ مَوَاضِعِ الْعُطْفِ ، لَكِنَّهُمْ اتَّسَعُوا فِي الْحَالِ لَعَلَّ الْخَاطِبَ . وَقَالَ سِيبَوِيه : إِنَّ الْغَالِبَ عَلَى هَذَا الْبَابِ كُلُّهُ أَنْ يَكُونَ انْتِصَابُهُ مِنْ إِحْدَى الْجِهَتَيْنِ : الْحَالِ أَوِ الظَّرْفِ ، لِأَنَّ الْإِتْسَاعَ مِنْهُمْ عَلَى هَذَا الْحَدِّ وَالْجَوَازِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا فِيهِمَا . وَالظَّرْفُ كَقَوْلِهِ : لَقِيْتُهُ يَوْمَ يَوْمَ ، وَصَبَاحَ مَسَاءَ ، وَمَا جَانِسَهُمَا . قَالَ : وَالْإِفْرَادُ فِي هَذَا الْبَابِ لَا يَجُوزُ حِمَايَةً عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي يَتَضَمَّنُهَا التَّكْرَارُ .

وإن قيل : هل يجوز على ما بينت : لَوْعَدْتُ الْقُبُورُ قَبْرَ وَقَبْرَ ، عَلَى الْبَدَلِ ، وَكَذَلِكَ يُبَيِّنُ حِسَابُهُ بَابَ وَبَابٍ ؟ قُلْتُ : لَا يَجُوزُ ذَلِكَ ، لِأَنَّ الْقَصْدَ وَالْغَرَضَ مِنَ الْكَلَامِ ، وَقَدْ أُجْرِيَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، الْبَفْصِيلُ وَالتَّبَاعُ ، وَمِنْ الْإِبْدَالِ عَلَى مَا ذَكَرْتُ لَا يَتَّبِعُنَ ذَلِكَ . وَمَعَ ذِكْرِ الْقُبُورِ يُحَذَفُ الْوَاوُ مِنَ الْأَسْمِينِ الْمُتَرَجِّمِينَ عَنِ الْحَالِ بَعْدَهُ . لَا يَجُوزُ بَعْتُ الشَّاءِ شَاءَ شَاءَ ؛ فَكَذَلِكَ هَذَا . عَلَى أَنَّ بَابِي الْحَالِ وَالظَّرْفِ يَحْتَمِلَانِ مِنَ التَّوَسُّعِ مَا يَضِيقُ عَنْهُ أَكْثَرُ أَبْوَابِ الْإِعْرَابِ

(١) « البيان » : كُنْتَ أَكْرَمَهُمْ قَبْرًا .

(٢) « البيان » : إِذَا مَا حَاجَةٌ عَرَضَتْ .

(٣) التكملة من ل .

وَيَعِجِزُ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَحْزُ تَجَاوِزُهَا بِالِاتِّسَاعِ فِيهِمَا إِلَى غَيْرِهَا . أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ قَالَ : لَوْ عُدَّ قَبْرَانِ كُنْتُ أَكْرَمَهُمَا مَتَيْتًا ، لَمْ يَحْزُ ، وَلَمْ يَتَبَيَّنْ مِنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى ، وَإِنْ كَانَ الْمَعْطُوفُ وَالْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ إِذَا قُلْتَ جَاءَنِي رَجُلٌ وَرَجُلٌ بِمَثَابَةِ جَاءَنِي رَجُلَانِ .

ومعنى البيت : لَوْ عُدَّتِ الْقُبُورُ مُنَوَّعَةً مَفْصَلَةً — وَإِنَّمَا يَعْنِي أَسْلَافَ مَنْ قَدَّمَ عَلَيْهِ فِي الْإِذْنِ وَالْدُخُولِ خَوْلَةً وَعُمُومَةً — لَكُنْتُ أَكْرَمَهُمْ أَبَاً ، وَأَشْرَفَهُمْ بَيُوتًا . فَكُنِّي عَنِ الْبَيْتِ وَالْمَنْصِبِ بِقَوْلِهِ « وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الدَّامِ » أَيْ مِنْ مَنْزِلِ الْعَيْبِ ، لِأَنَّ الدَّامَ وَالذَّمَّ بِمَعْنَى . يُقَالُ : ذَامَهُ يَذِمُّهُ ، كَمَا يُقَالُ ذَمَّهُ يَذِمُّهُ ، وَحَيْثُ يَحْصُلُ الْعَيْبُ يَحْصُلُ الذَّمُّ ، أَظْهَرَ أَوْ لَمْ يُظْهَرْ .

وقوله « فَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَتِي نَزَلْتُ » يَرِيدُ بِجَعَلْتُ طَفِقْتُ وَأَقْبَلْتُ . يُقَالُ : جَعَلَ يَفْعَلُ كَذَا . وَالْمَعْنَى : أَنِّي قَعَدْتُ عَنْكَ وَتَرَكْتُ زِيَارَتَكَ ، وَإِذَا اتَّفَقَ مَا لَا يَدُلُّ عَلَى مِنْكَ وَمِنْ مَعُونَتِكَ مِنْ حَاجَةٍ أَوْ عَارِضٍ سَبَبٍ فَإِنِّي مُعْتَمِدٌ عَلَى غَيْرِي فِي التَّنْجِزِ وَالِاسْتِسْعَافِ . وَمَعْنَى « أَدْلُوهَا » مِنْ قَوْلِكَ دَلَّوْتُ الدَّلْوَ ، إِذَا أَخْرَجْتَهَا مِنَ الْبُئْرِ ، أَيْ أَنْسَبَ بِغَيْرِي ، وَأَصُونُ مِنَ التَّبَدُّلِ عَرَضِي .

٤٠٣

وَقَالَ شَبِيبُ بْنُ الْبَرِّصَاءِ^(١) :

١ — وَإِنِّي لَتَرَّاكَ الضَّغِينَةَ قَدْ بَدَا ثَرَاهَا مِنَ الْمَوْتِ فَمَا أَسْتَشِيرُهَا^(٢)

٢ — مَخَافَةَ أَنْ تَجَنِّي عَلَىَّ وَإِنَّمَا يَهْبِجُ كَبِيرَاتِ الْأُمُورِ صَغِيرُهَا

(١) هو شبيب بن يزيد بن حمزة المري . والبرصاء أمه . وشبيب شاعر إسلامي بدوي من شعراء الدولة الأموية ، وكان يهاجى عقيل بن علفة . الأغاني (١١ : ٨٩ — ٩٤) .

(٢) التبريزي : « فلا أستشيرها » .

يقول : إِنِّي أَصَابِرُ مَوَالِيَّ وَأَحْتَمِلُ أَذَاهُمْ ، وَأَعْفَى عَلَى فَرَطَاتِهِمْ مَا وَجَدْتُ سَبِيلًا إِلَى الصَّبْرِ ، فَأَتْرُكُ صَفَاتِهِمْ تَبْدُو أَوَائِلُهَا ، وَتَظْهَرُ نَخَائِلُهَا ، وَلَا أَكْشِفُ عَنْهَا وَلَا أَطْلُبُ ثَوْرَانَهَا ، مَخَافَةَ أَنْ يَسْتَفْجِلَ الشَّرُّ وَيَرْجِعَ الصَّغِيرُ مِنْهُ كَبِيرًا ، وَصِغْلُهُ عَسِيرًا ؛ فَإِنَّ أَوَائِلَ الْأُمُورِ كُلِّهَا ضَعِيفَةٌ ضَيِّقَةٌ ، فَإِذَا اتَّفَقَ لَهَا مَنْ يَهَيِّجُهَا وَيَزِيدُ فِي مَوَادِّهَا قَوِيَّتٌ وَاتَّسَعَتْ . وَالتَّرَّكُ : بِنَاءُ الْمُبَالَغَةِ ، وَهُوَ الْكَثِيرُ التَّرَكُّ لِلشَّيْءِ ، وَلَيْسَ هُوَ بِاسْمِ الْفَاعِلِ مِنْ تَرَكَّ . وَالضَّغِينَةُ وَالضُّغْنُ وَالضَّغْنُ ^(١) وَاحِدٌ ، وَهِيَ الْحَقْدُ وَالْعَدَاوَةُ . وَيُقَالُ : ضَغِنَ عَلَىَّ وَاضْطَغَنَ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الضَّغْنُ فِي الدَّابَّةِ : عَسَرُهُ وَالتَّوَاؤُهُ . وَدَابَّةٌ ضَغِنَتْ ، إِذَا نَزَعَتْ إِلَى وَطَنِهَا . وَالتَّرَى : النَّدَى ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ تَرَى . وَالْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى كَامِنِ الْحَقْدِ . وَيُقَالُ : نَارُ الْأَرْنَبِ مِنْ مَوْضِعِهَا ، وَاسْتَثَرَتْهَا أَنَا .

وقوله « مَخَافَةَ » انْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَ « أَنْ تَجْنِي » فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ مِنْهَا ، وَقَدْ أَضَافَهَا إِلَيْهِ . وَقَوْلُهُ « صَغِيرُهَا » يَرَادُ بِهِ الْكَثْرَةُ ، أَيْ صَغَائِرُهَا .

٣ — لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْرَفْتُ يَوْمَ عُنَيْنَةَ عَلَى رَغْبَةٍ لَوْ شَدَّ نَفْسِي مَرِيرُهَا

٤ — تَبَيَّنَ أَعْقَابُ الْأُمُورِ إِذَا مَضَتْ وَتُقْبِلُ أَشْبَاهُهَا عَلَيْكَ صُدُورُهَا

قوله « عَلَى رَغْبَةٍ » أَيْ عَلَى مَرْغُوبٍ فِيهِ ، كَأَنَّهُ كَانَ ظَهَرَ لَهُ مِنَ الْفُرْصِ فِي صَاحِبِهِ مَا لَوْ ائْتَهَزَهَا وَلَمْ يَفْعَلْ عَنْهَا لَكَانَ فِيهَا الْاِشْتِفَاءُ مِنْهُ ، وَدَرَكُ الْمَطْلُوبِ فِي بَابِهِ ، فَلَمَّا لَمْ يَفْعَلْ وَأَصْرَّ صَاحِبُهُ عَلَى مَسَاءَتِهِ أَخَذَ يَتَحَسَّرُ . وَقَوْلُهُ « لَوْ شَدَّ نَفْسِي مَرِيرُهَا » يَرِيدُ : لَوْ قَوَّيْ نَفْسِي عَزِيمَتِهَا ، وَحَصِيفَ رَأْيِهَا . وَالْمَرِيرُ : الْمُرَّ الْحَكِيمُ . وَوُصِفَ الْحَبْلُ بِهِ لَذَلِكَ . وَيُقَالُ : اسْتَمَرَّ مَرِيرُ فُلَانٍ ، إِذَا اسْتَحْكَمَ رَأْيُهُ وَاسْتَحْصَفَ . وَعُنَيْنَةُ : مَوْضِعٌ ^(٢) .

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) موضع بين البصرة ومكة ، كما في معجم البلدان .

وقوله « تَبَيَّنُ أَعْقَابُ الْأُمُورِ إِذَا مَضَتْ » مثله قول القطامي :
 وَلَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ امْرُؤٌ قَبْلَ مَا يَرَى وَلَا الْأَمْرَ حَتَّى تَسْتَبِينَ دَوَابِرُهُ
 وَأَكْشَفُ مِنْهُ قَوْلُ حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ :

أَشْبَهُ غَيْبِ الْأَمْرِ مَا دَامَ مُقْبِلًا وَلَكِنَّا تَبَيَّنَاتُهُ فِي التَّسَدُّبِ^(١)

وأعقاب الأمور : أواخرها . ويروى : « تَبَيَّنُ أَدْبَارُ الْأُمُورِ إِذَا انْقَضَتْ »
 يراد به تَبَيَّنَ . وانتَصَبَ « أشباها » على الحال .

٥ - إِذَا افْتَخَرَتْ سَعْدُ بْنُ ذُبْيَانَ لَمْ تَجِدْ سِوَى مَا ابْتَنَيْنَا مَا يَعُدُّ فَخُورُهَا
 ٦ - أَلَمْ تَرَ أَنَا نُورٌ قَوِيٌّ وَإِنَّمَا يُبَيِّنُ فِي الظُّلْمَاءِ لِلنَّاسِ نُورُهَا
 يقول : مَفَاخِرُ سَعْدٍ وَمَبَانِي مَكَارِمِهَا عَلَى مَا أَسَّسَهُ قَدِيمُنَا ، وَعَمَّرَهُ حَدِيثُنَا ،
 فَتَى اسْتَعْرِضْتَ الْمَسَاعِي فِي مَنَافَرَةِ الْخُصُومِ لَمْ تَجِدْ بَنُو سَعْدٍ مَا يَعْتَمِدُهُ فَخُورُهَا ،
 وَيُكَابِرُ بِهِ خَصِيمُهَا ، إِلَّا مَا شَيْدَنَاهُ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ ، وَتَعَاقَبِ الْأَحْوَالِ . فقولُه
 « سِوَى مَا ابْتَنَيْنَا » استثناء مقدَّم . و « مَا » يعد في موضع مفعول لم تجد .

وقوله « أَلَمْ تَرَ » تقرير لمن تصوَّره مخاطباً فيقول : أَمَا عَلِمْتَ أَنَا لِأَهْلِ
 قَوْيٍ^(٢) بِمَنْزِلَةِ النُّورِ لِلْأَبْصَارِ ، فَهَمَّ بِنَا يَهْتَدُونَ ، وَبِمَعَالِمِنَا يَتَوَقَّفُونَ ، وَلِمَا اسْمِنَا
 يَقْتَفِرُونَ^(٣) ، وَبِسَنَا رَأَيْنَا يَسْتَضِيئُونَ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكُنَّاوَا يَتَوَقَّفُونَ^(٤) فِي مَرَّاشِدِهِمْ
 فَلَا يَقْضُونَ ، وَيَتَحَيَّرُونَ فِي آرَائِهِمْ^(٥) فَلَا يَمْضُونَ ، كَمَا أَنَّ النَّاسَ لَوْلَا مَا يُمِدُّ بِهِ
 النُّورُ أَبْصَارَهُمْ فِي رَوَاكِدِ الظُّلَمِ حَتَّى يَتَبَيَّنُوا الْمُرْتَبَاتِ ، وَيَتَمَيَّزُوا أَشْبَاحَ
 الْمَدْرَكَاتِ عَلَى حَقَائِقِهَا ، لَوْ قَفُوا حَيَارَى لَا يَتَقَدَّمُونَ وَلَا يَتَأَخَّرُونَ .

(١) البيت لم يرو في ديوان حميد ، ولا في ملحقات ديوانه .

(٢) قو : منزل للفاصد إلى المدينة من البصرة .

(٣) الافتقار : التبع ، وأصله في تتبع الأثر .

(٤) ل : « يتوقفون » ، صوابه في نسخة الأصل .

(٥) في الأصل : « مرأشدهم » ، صوابه في ل .

ومفعول « يُبَيِّن » محذوف ، والضمير من نورها يعود إلى الظلماء لما كان يتعقبها . وهم يُضَيِّفون الشيء إلى الشيء لأدنى تناسب بينهما .

٤٠٤

وقال معن بن أوس^(١):

١ — لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ على أَيْدَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ

لعمرك مبتدأ ، وخبره مضمَر ، وفيه معنى القسم ، وقد تُقَصَّى القولُ فيه . وقوله « إِنِّي لَأَوْجَلُ » مما جاء فيه أَفْعَلُ وَلَا فَعْلَاءُ لَهُ ، كأنهم استغفَنُوا عَنْ وَجَلَاءِ بَوَجَلَةٍ . ويقال : وَجِلْتُ أَوْجَلُ وَآجَلُ وَجَلًا ، وهو وَجَلُ وَأَوْجَلُ . وقلبي من كذا أَوْجَلُ وَأَوْجَرُ ، بمعنى . ويروى : « تَعْدُو الْمَنِيَّةُ » و « تَعْدُو » ومعناها ظاهر . وأَوَّلُ ، بُنِيَ عَلَى الضَّمِّ ، كما فُعِلَ ذَلِكَ بِقَبْلُ وَبَعْدُ ، وذلك أَنَّهُ لَمَّا كَانَ أَصْلُهُ أَفْعَلُ الَّذِي يَتِمُّ بِمَنْ وَأَضِيفَ مِنْ بَعْدُ ، وَجُعِلَ الْإِضَافَةُ فِيهِ بَدَلًا مِنْ مَنْ ، وَالْمُضَافُ إِلَيْهِ مِنْ تَمَامِهِ ، ثُمَّ حُذِفَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ لِعِلْمِ الْمُخَاطَبِ بِهِ ، وَجُعِلَ فِي نَفْسِهِ غَايَةً ، وَكَانَ مَعْرِفَةً كَمَا كَانَ قَبْلُ وَبَعْدُ كَذَلِكَ ، وَجَبَّ أَنْ يُبْنَى كَمَا بُنِيَ . وموضعه نصبٌ على الظَّرْفِ . ومعنى البيت : وبقائك ما أعلم أَيْدَا

(١) معن بن أوس : شاعر فحل من مخضري الجاهلية والإسلام ، له مدائح في جماعة من الصحابة ، وعمر إلى زمان ابن الزبير ، وهو القائل له : « لَمَنْ اللَّهُ نَاقَةُ حَمَلَتْنِي إِلَيْكَ » . الإِسَابَةُ ٨٤٤٥ والأَغَانِي (١٠ : ١٥٦) . وفي الأَغَانِي (١٠ : ١٦٢ — ١٦٣) أن القائل هو عبد الله بن فضالة . وفي الخَزَائِنِ (٢ : ١٠٠) أن قائلها عبد الله بن الزبير الأسدي ، وكذا في زَهْرِ الْأَدَابِ (٢ : ١٦٤ — ١٦٥) . وانظر العقد (٦ : ١٧٦) . وروى التبريزي من سبب الشعر أن معن بن أوس كان له صديق وكان معن متزوجاً بأخته ، فاتفق أنه طلقها وتزوج غيرها ، فألقى صديقه ألا يكلمه أبداً . فأنشأ . معن يقول يستعطف قلبه عليه ، ويستترقه له . وفي الأبيات ما يدل على القصة ، وهو قوله :

فلا تغضبن أن تستعار ظعينة وترسل أخرى كل ذلك يفعل

يكون المقدّم في عدو الموت عليه ، وانهاء الأجل إليه ^(١) ، وإني لخائف مترقب .
فوضع « على أيّنا » نصب لأنّه مفعول ما أدرى ، والذي لا يدريه هو مقتضى
هذا السؤال . وقوله « إني لأوجل » اعتراض .

٢- وإني أخوك الدائم العهد لم أحل إن أبزأك خضم أو نبأك منزل ^(٢)
٣- أحارب من حاربت من ذى عداوة وأحبس مالى إن غرمت فأعقل
يقول : إني وديدك الذى يدوم عهده ، ويتصل على تقلب الأحوال وتبدل
الأبدال ، ولا يحول [إن تطاول ^(٣)] عليك خصم ، أو بطش بك عدو ، أو ضاق
عنك منزل ، فاحتجت إلى التحول عنه والاستبدال به . وقال الخليل : يقال
أبزيت بفلان ، إذا بطشت به وقهرته . وحكى الدريدي : برآه يبروه
برؤا ، إذا قهره . وأنشد :

جاري ومولاي لا يبرى حريمهما وصاحبي من دواء السرّ مضطحب ^(٤)

ويبرى يكون مستقبل برى وأبزى جميعاً . والله أعلم . ويجوز أن يكون
أبزى منقولاً بالألف عن برى يبرى فهو أبزى ، وامرأة برّواء ، وهو
دخول الظهر وخروج البطن . ويكون المعنى : إن خفض منك خصم ، أو طأطأ
من إشرافك عدو ، وحملك من الثقل ما يبرى له ظهره ، فلا تطيق الثبات
تحتّه ، والتهوض به .

وقوله « أحارب من حاربت » هو تفسير دوام عهده ، وثبات وده . والمعنى
تجدنى ذاباً عنك واقفاً معك ، أرصد الشرّ لأعدائك ، وأدافعهم دونك ، وإن

(١) ل : « به » .

(٢) التبريزى : « لم أذن » ، ونبه في شرحه على الرواية هنا .

(٣) تكملة يفتقر إليها الكلام .

(٤) مضطحب ، بالحاء المهملة المفتوحة . وفي اللسان (بزا) : « مضطحب » بالحاء

المعجمة المكسورة .

أصابك غُرْمٌ حَبَسْتُ مَالِي عَلَيْكَ ، واحتملت فيه الثَّقلُ عنكَ . وكان الواجب أن يقول : فَأَعْقِلْ عَنْكَ ، لأنه يقال عَقَلْتُهُ إِذَا أُعْطِيتَ دَيْتَهُ ، وعَقَلْتُ عَنْهُ إِذَا غَرِمْتُ مَا لَزِمَهُ فِي دَيْتِهِ . وقال الخليل : الغُرْمُ لزومُ نَائِبَةٍ فِي مَالٍ مِنْ غَيْرِ جَنَابَةٍ . والمَالُ إِذَا أُطْلِقَ يراد به الإِبِلُ . ويجوز أن يكون معنى فَأَعْقِلْ : أَشَدُّهَا بَعْقُلَهَا بِفَنَائِكَ ، لِنَدْفَعَهَا فِي غَرَامَتِكَ .

٤ — كَأَنَّكَ تَشْفِي مِنْكَ دَاءَ مَسَاءَتِي وَسُخْطِي وَمَا فِي رَيْبَتِي مَا تَعَجَّلُ^(١) قوله « مساءتي » يريد مساءتك إلى ، وكذلك « سُخْطِي » يريد سُخْطَكَ عَلَيَّ ، فأضافهما إلى المفعول . ويقال : مساءة ومساءية . والسُّخْطُ والسَّخْطُ لغتان ، ومثله السُّقْمُ والسَّقَمُ ، والعُدْمُ والعَدَمُ ، وهو نقيضُ الرِّضَا . ويقال : سَخِطْتُهُ وَتَسَخَّطْتُهُ ، إِذَا لَمْ تَرْضَ بِهِ ، وَإِنْ كَانَ فِي النِّفْعِ فَضْلٌ تَكَلَّفُ . ومعنى البيت أنك تسقمُ في إساءتك إلىَّ وسُخْطِكَ عَلَيَّ ، حتى كأنَّ بك داءَ ذاك شفاؤه ، وما تطلبه من عَجَلَتِي لَا تَجِدُهُ فِي بَطْنِي ، أَي مَا تَقْدَرُهُ يَتَعَجَّلُ لَكَ مِنَ الْمَكَاشِفَةِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، واستشارة الحِقدِ الكامنِ فيكَ ، لَا يَحْصُلُ لَكَ مَنِّي مُتَبَاطِئًا أَيْضًا . والمعنى أَنِّي أَصَابِرُكَ وَأَتْرُكُكَ عَلَى مَدَاجَاتِكَ .

٥ — وَإِنْ سُوَّتَنِي يَوْمًا صَفَحْتُ إِلَى غَدٍ لِيُعْقِبَ يَوْمًا مِنْكَ آخِرُ مُشِيلٍ

٦ — سَتَقْطَعُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي يَمِينُكَ فَانْظُرْ أَيَّ كَفٍّ تَبْدَلُ

قوله « وَإِنْ سُوَّتَنِي يَوْمًا » يقال : سُوَّتَ فُلَانًا ، وَسُوَّتَ [لَهُ ^(٢)] وَجْهَهُ

(١) ترتيب سائر القصيدة عند التبريزي يخالف ترتيب المرزوقي . فالتبريزي يروي هذا هذا البيت بعد البيت الخامس ، ويروي التبريزي بعد الخامس بيتاً لم يروه المرزوقي . وهو :

وَإِنِّي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْكَ تَرِينِي قَدِيمًا لَذَوْ صَفْحٍ عَلَى ذَاكَ يُجْمِلُ

ثم يروي بعده البيت السادس فالسابع إلى آخر المقطوعة .

(٢) هذه من ل .

مَسَاءً وَمَسَائِيَّةً . والمعنى : أنى لا أُوَاخِذُكَ بما يَظْهَرُ من مَسَاءَتِكَ ، بل أَقَابِلُهُ
بِصَفْحٍ جَمِيلٍ عَنْكَ ، اِنْتَظَاراً لَفَيْئَةٍ تَظْهَرُ مِنْكَ فى مُقْتَبِلِ أَمْرِكَ ، ومِرَاجَعَةٍ
تَعْنِي عَلَى قَبِيحِكَ ، فإن لم يَتَّفِقْ مِنْكَ عُقْبَى حَسَنَةٍ تُنَسِي زَلَّاتَكَ ، بل تُتَابِعُ
بَيْنَ مَسَبِّبَاتِ الْقَطِيعَةِ وَمَوْجِبَاتِهَا بما تُظْهَرُهُ مِنَ الْجَفَاءِ وَالْعُفُوقِ فَمَا يَجْمَعُنِي وَإِيَّاكَ ،
فإنَّكَ تَقْطَعُ أَخَا هُوَ فى مُظَاهَرَتِكَ ، والَانْطَوَاءِ عَلَى مَسَاعِدَتِكَ ، وَالذُّخُولِ تَحْتَ
طَاعَتِكَ فى كُلِّ مَا يَعْزُ وَيَعْرِضُ لَكَ ، بِمَنْزِلَةِ يَدِكَ الْيَمْنَى ، فَاَنْظُرْ مِنْ بَعْدُ
مَنْ تَعْتَاظُ مِنْهُ ، وَعَلَى مَنْ تَعُولُ إِذَا صَارَ مِنْهُ . وَاِنْتَصِبْ « أَى كَفِّ »
بـ « تَبَدَّلَ » . وقوله « لِيُعْقِبَ يَوْمًا مِنْكَ آخِرُ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ
أَعْقَبَ هَذَا ذَاكَ ، أَى صَارَ مَكَانَهُ ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى : لِيَصِيرَ مَكَانَ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكَ
مَذْمُومٍ يَوْمَ آخِرُ مِنْهَا مَقْبَلٌ مَحْمُودٌ . وَهَذَا حَسَنٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَعْقَبَ غَيْرَ
مُتَعَدٍّ ، وَيَكُونُ مِنْ أَعْقَبِ الْأَمْرِ عُقْبَانًا وَعُقْبَى ، أَى صَارَ لَهُ عَاقِبَةٌ . وَيَرْتَفِعُ
« آخِرُ » بِيُعْقِبُ ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ يَوْمًا مِنْكَ ظَرْفًا . وَالْمَعْنَى : لِيَصِيرَ مَا يُقْبَلُ مِنْ
أَمْرِكَ يَوْمًا ذَا عَاقِبَةٍ مَحْمُودَةٍ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَعْقَبِ فَلَانٍ عَزَا ، أَى أُبْدِلُ ،
وَيَكُونُ الْمَعْنَى : لِيُعْقِبَنِي يَوْمًا مِنْكَ مَحْمُودًا أَمْرُ آخِرُ . وَتَنْفُ . وَرَأَيْتُ مِنْ
يُرويه : « لِيُعْقِبَ يَوْمًا مِنْكَ آخِرُ » بَفَتْحِ الْيَاءِ ، وَيَكُونُ مِنْ قَوْلِهِمْ عَقَبَ فَلَانٌ
فَلَانًا إِذَا خَلَفَهُ ، وَهِيَ عَقِيبَانِ ، وَقَدْ اعْتَقَبَا وَتَعَاقَبَا . وَيَكُونُ الْمَعْنَى : لِيَخْلُفَ
يَوْمًا مِنْكَ يَوْمَ آخِرُ مَقْبِلِ .

٧- وفى الناسِ إن رثتُ حبالَكَ وَاصِلٌ وفى الأرضِ عَن دَارِ الْقَلَى مُتَحَوِّلٌ

٨- إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى شَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَغْفِلُ

٩- وَبِرَكْبٍ حَدَّ السِّيفِ مِنْ أَنْ تَضِيْمَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنِ شَفْرَةِ السِّيفِ مَرْحَلٌ

قوله « وفى الناسِ إن رثتُ حبالَكَ وَاصِلٌ » إِظْهَارٌ لِلزُّهْدِ فى وِدَادِهِ إِذَا

لم يستقم معه . ويقال : رثَّ الثوبَ يَرِثُ رُثُوًّا ورثائَةً . وقال أبو زيد
وأبو عبيدة : رثَّ المتاعُ وأرثَّ جميعاً . وأنشد لعدى^(١) :

✽ أَرِثَ جَدِيدُ الْوَصْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ^(٢) ✽

وفي طريقة ما قاله قولٌ لبيد :

وَاحِبُ الْجَامِلِ بِالْجَزِيلِ وَصُرْمُهُ باقٍ إِذَا ضَلَعَتْ وَرَاقَ قِوَامُهَا^(٣)

وقولُ أوس :

وإِن قَالَ لِي مَاذَا تَرَى يَسْتَشِيرُنِي يَجِدُنِي ابْنُ عَمٍّ مَخْلَطَ الْأَمْرِ مِنْ يَلَا
فيقول : إِذَا رَغِبْتَ عَنْ مَوَاصِلِي ، وَتَقَطَّعْتَ حَبَالَ الْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي
النَّاسِ وَاصِلِ غَيْرِكَ ، وَإِذَا نَبَأَ بِي جِوَارُكَ ، وَضَاقَ عَنِّي أَرْضُكَ وَدِيَارُكَ فِي
جَوَانِبِ الْأَرْضِ سَمَةً وَمَزْحَلٍ عَنكَ ، سَيًّا وَالتَّحَوُّلُ عَنْ دَارِ الْبُقْعِضِ وَالنُّبُوِّ لِي
عَادَةً أَعْبَادُهَا ، وَسُنَّةٌ أَسِيرُهَا وَلَا أُعَدِلُ عَنْهَا . وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا لَمْ تُعْطِ أَخَاكَ
النِّصْفَةَ وَلَمْ تُوفِّرْ حَقَّوَهُ مَتَوَخِّئًا الْمَعْدِلَةَ ، وَلَمْ يُوجِبْ لَهُ عَلَيْكَ مِثْلَ مَا تُوجِبُهُ
لِنَفْسِكَ عَلَيْهِ ، أَلْفَيْتَهُ هَاجِرًا لَكَ ، مُشَارِفًا قَطِيعَتَكَ ، مُسْتَبْدَلًا بِكَ وَبِمَوَاحِنَاتِكَ
إِنْ كَانَتْ بِهِ مُسْكَةً ، أَوْ يَمْتَلِكُهُ عَقْلٌ وَمَعْرِفَةٌ ، ثُمَّ لَا يُبَالَى أَنْ يَرْكَبَ مِنْ
الْأُمُورِ مَا يَقْطَعُهُ نَقْطِيعَ حَدِّ السِّيفِ وَيُؤَثِّرُ تَأْثِيرَهُ فِيهِ ، خَشَافَةٌ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ
ضَيْمٌ أَوْ يَلْحَقَهُ عَارٌ وَاعْتِضَامٌ ، مَتَى لَمْ يَجِدْ عَنْ رُكُوبِهِ مَبْعَدًا وَمَعْدِلًا . وَكَأَنَّ
قَالَ هَذَا « دَارَ الْقَلَى » قَالَ غَيْرُهُ^(٤) :

(١) كذا . والصواب أنه دريد الصمة ، كما في اللسان (رث) . وقصيدة دريد هذه
في الأسمعيات ٢٣ لبسك وجهرة أشعار العرب ١١٧ .

(٢) عجزه كما في المراجع السابقة ومقاييس اللغة (عقب) :

✽ بعاقبة وأخلقت كل موعِد ✽

(٣) كذا جاءت الرواية في النسختين ، وضلعت بمعنى مالت . والرواية المعروفة في المعلقات
« ظلمت » بالظاء .

(٤) هو عبد قيس بن خفاف البرجمي . البيت ٩ من المفضلية ١١٦ والأسمعية ٨٧ طبع
المعارف ، وشواهد المعنى (٢ : ٢٠٢ — ٢٠٣) وشواهد المعنى ٩٥ وشواهد المعنى ١٧٩ .

* دارُ الهوانِ لمن رآها دارَه ^(١) *

وقوله « مِنْ أَنْ تَضِيْمَهُ » معناه بدلاً مِنْ أَنْ تَضِيْمَهُ . ويجوز أن يريدَ
بركوب السَّيْفِ الصَّبْرَ على الحربِ والموتِ . وشفرة السَّيْفِ : حذُه . والشَّفِيرُ :
حرفُ كلِّ شَيْءٍ ، منه .

- ١٠- وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحِبُ رَامَ ظَنَنْتِي وَبَدَّلَ سُوءًا بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ
١١- قَلْبْتُ لَهُ ظَهَرَ الْمَجْنِّ فَلَمْ أَدُمَّ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا رَيْتَ مَا أَتَحَوَّلُ
١٢- إِذَا انصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكْذُ إِلَيْهِ بَوَجْهِ آخِرِ الدَّهْرِ تُقْبِلُ

يقول : وإذا رأيتُ صاحبي يتجنى على ويتجرَّم ، ويتطلَّب على ما يُنتجج
ظِلْمَةً وَيُولِّدُ تَهْمَةً ^(٢) ، وَطَفِيقَ يَقْبَحِ آثَارِي ، وَيَبْدُلُ حَسَنَاتِي ، اتَّخَذْتُهُ عَدُوًّا ،
وَقَلْبْتُ لَهُ ظَهَرَ الثَّرَسِ مَتَقِيًّا مِنْهُ ، وَمُدْفَعًا لَهُ ، وَلَمْ أَدُمَّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ الْمُبْتَدِّمَةِ
مَعَهُ إِلَّا قَدَرْتُ مَا أَتَحَوَّلُ ، وَبُطْءًا مَا أَتَنَقَّلُ . فقوله « رَامَ ظَنَنْتِي » أي رام ارتفاع
التَّهْمَةِ عَلَى . وقوله « بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ » أي أَفْعَلُهُ ، فَحَذَفَ الضَّمِيرَ اسْتَطَالَةً
لِصِلَةِ الذِّي .

وقوله « إِذَا انصَرَفَتْ نَفْسِي » يريد أني أُمِدُّ نَفْسَ التَّصَبُّرِ مَا أَمَكُنْ ، فَإِذَا
أَعْجَزَتْنِي الْحَالُ الْعَارِضَةُ عَنِ الْإِحْتِمَالِ انصَرَفَتْ مَا لَكَأَ عِنَانِي ، ثُمَّ لَا يَتَّبِعُنِي عَلَى
مَا أَعْرَضْتُ [عَنْهُ] ^(٣) شَيْءٌ أَبَدَ الدَّهْرِ . « وَقَوْلُهُ بَوَجْهِ » الْبَاءُ تَعْلُقُ بِقَوْلِهِ تُقْبِلُ ،
أَي لَمْ تَكْذُ تُقْبِلُ إِلَيْهِ بَوَجْهِ مِنَ الْوَجْهِ ، وَعَلَى لَوْنٍ مِنَ الْأَلْوَانِ .

(١) عجزه : * أفرأحل عنها كمن لم يرحل *

(٢) جاء في اللسان (وهم) : « التهمة فعلة من الوهم ، والتاء بدل من الواو ، وقد
تفتح الهاء » .

(٣) هذه من ل .

٤٠٥

وقال عمرو بن قتيبة^(١) :

- ١ — يالَهْفَ نَفْسِي عَلَى الشَّبَابِ وَلَمْ أَقْفِذْ بِهِ إِذْ قَقَدْتُهِ أَمَّا
 - ٢ — إِذْ اسْحَبْتُ الرِّيْطَ وَالْمُرُوطَ إِلَى أَدْنَى تِجَارِي وَأَنْفَضْتُ اللَّمَمَا
 - ٣ — لَا تَغْبِطُ الْمَرْءَ أَنْ يَقَالَ لَهُ أَضْحَى فَلَانٍ لِعُمُرِهِ حَكَمًا^(٢)
 - ٤ — إِنْ سَرَّهُ طَوْلُ عَيْشِهِ فَلَقَدْ أَضْحَى عَلَى الْوَجْهِ طَوْلُ مَا سَلِمَا
- يتحسر على ما فاته من الشباب وحسن أيامه ، ونصرة العيش به ، فقال :
يا حسرة نفسي على متفضي الشباب ومتولييه ، فإن ما فاتني منه لم أفارق به أمراً
قريباً ، وشيثاً هيناً ، لكنني فقدت به صحة بدني ، وروعة وجهي ، وطيب
عيشي ، وقوة روعي ، حين كنت أجري ريطتي (وهو الإزار الذي ليس بملفوق)
ومروطي (وهو جمع مرط ، وهو ملحقة يؤتزر بها) إلى أقرب الخمارين إلى ،
وأنفض شعري رأسي إعجاباً به ، واستحساناً له ، وطرباً يداخلني في جميع أسبابي
معه . ثم قال مزرياً بالشيب وبما يكتسبه المرء إذا علاه ، من إكبار الناس له ،
وتقديمهم في المجالس إياه ، ومن الرجوع إلى قوله ، واستشارتهم فيما يعن من
الخطوب رأيه ، فقال : لَا تَغْبِطَنَّ الرَّجُلَ وَلَا تَرْمُقَنَّ وَلَا تَجْعَلَنَّ^(٣) مُحْسِداً إِذَا

(١) قتيبة مسهل قتيبة . وقتيبة أمه ، وهو عمرو بن قتيبة بن ذريح بن سعد بن مالك بن
ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، وهو جاهلي أقدم من
امريء القيس ، ولقيه امرؤ القيس في آخر عمره فأخرجه معه إلى قصر لما توجه إليه ، فأت معه
في طريقه ، وسمته العرب عمرأ الضائع ، لموته في غربة وفي غير أرب ولا مطلب . الأغاني (١٦) :
١٥٨ — ٦٠) والحزاة (٢ : ٢٤٧ — ٢٥٠) وانعمرين ٨٩ والمؤتلف ١٦٨ والشعراء
٣٣٦ — ٣٣٨ .

(٢) ل : « لَا يَغْبِطُ الْمَرْءَ » بالبناء للمفعول . التبريزي : « أَضْحَى فَلَانٌ لِسَنِهِ » .

(٣) ل : « لَا يَغْبِطَنَّ الرَّجُلَ وَلَا يَرْمُقَنَّ وَلَا يَجْعَلَنَّ » بالياء والبناء للمفعول .

قِيلَ فِيهِ : صار فلان حَكَمًا فِي عَشِيرَتِهِ لكَثْرَةِ تِجَارَتِهِ ، وَامْتِدَادِ عُمرِهِ ، وَدَوَامِ مُرَاوَلَتِهِ لِلأُمُورِ ، وَاتِّصَالِ لِقَائِهِ لِلنَّاسِ وَمَمارَسَتِهِ لَهُمْ وَفِيهِمْ ، لِأَنَّهُ إِنْ سَرَّهَ امْتِدَادُ عُمرِهِ ، وَتَنَفُّسُ عَيْشِهِ فَلَقَدْ ظَهَرَ فِي نَفْسِهِ مِنْ ضَعْفٍ وَانْحِنَاءٍ ، وَعَلَى وَجْهِهِ مِنْ ذُبُولٍ وَسُهُومٍ إِلَى غَيْرِهَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى طَوِيلِ سَلَامَتِهِ الَّتِي هِيَ الدَّاءُ الَّذِي لَا دَوَاءَ لَهُ .
وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ ^(١) :

* وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسَلَّمَ ^(٢) *

وَقَوْلُ الْآخَرِ ^(٣) :

فَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدًا لِيُصِحَّنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ
وَقَوْلُهُ « أَنْ يُقَالَ لَهُ » أَرَادَ لَا يُعْبِطُ لِأَنَّهُ يُقَالَ لَهُ ، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ يُقَالَ لَهُ .
وَقَوْلُهُ « أَذْنَى تِجَارِي ^(٤) » إِظْهَارٌ لَعُلُوهُ فِي سِبَاءِ الْحَجَرِ وَسَرَفِهِ ، ثُمَّ تَبَجُّحٌ بِإِضَافَتِهِمْ إِلَى نَفْسِهِ .

٤٠٦

وَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ الْقَائِفِ ^(٥) :

١ — يُقِيمُ الرِّجَالُ الْأَغْنِيَاءَ بِأَرْضِهِمْ وَتَرَيَ النُّوَى بِالْمُقْتَرِينَ الْمَرَامِيَا ^(٦)

(١) هُوَ حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ الْهَلَالِيُّ . دِيوَانُهُ ٧ وَالْبَيَانُ (١ : ١٥٣) وَالْحَبْوَانُ (٦ : ٥٠٣) .

(٢) صَدْرُهُ : * أَرَى بَصْرِي قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ *

(٣) مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ ، كَمَا فِي الْكَامِلِ ١٢٥ لَيْبَسُكَ .

(٤) كَذَا وَرَدَ تَفْسِيرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ هُنَا مَعَ أَنَّهَا فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ ، فَيَبْدُو أَنَّ الْمُرْزُوقِي

أَسَافَهَا مَوْخَرًا .

(٥) التَّبْرِيزِيُّ : « هُوَ مَنْ قَافَ يَقُوفُ إِذَا اتَّبَعَ ، مِثْلُ يَقُوفُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

كَذَبْتَ عَلَيَّ لَا تَزَالُ تَقُوفُنِي كَمَا قَافَ آثَارَ الْوَسِيقَةِ قَائِفٌ

وَجَمْعُهُ قَافَةٌ ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ إِلَى الْوَلَدِ فَيَحْكُمُونَ مِنْ أَبَوَيْهِ : الْقَافَةُ ، لِأَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ الشَّبَهَ فِي الْأَعْضَاءِ » .

(٦) التَّبْرِيزِيُّ : « تَقِيمُ الرِّجَالِ » .

يفضّل الغنى على الفقر ويبعثه على طلبه وارتياحه ، فقال : ترى المومنين يتودّعون ، وتطول إقامتهم في دورهم وأرضهم يمتعون ، والفقراء تراهم ترمي بهم البلدان النائية ، وتقذف النوى بهم المقاذف البعيدة ، والمهالك المستصعبة ، فلا يهدوون ولا يقرّون . والنوى : وجهه القوم التي ينوونها . والمرامى : جمع رمى ، وهو المكان لا غير هنا ، لأنه قابل الأغنياء بالمقترين ، وأرض الأغنياء بمرامى الفقراء ، لأنهم لا تدنو بهم دار أبدا ، فجال تسيارهم لكسبهم وتصرّفهم كدور أولئك لهم . ومفعّل يكون اسما للحدث ، وزمانه ، ومكانه .

٢ - فأكرم أخاك الدهر ما دمتما معا كفى بالمرء فرقة وتنايا
٣ - إذا زرت أرضا بعد طول اجتنابها فقدت صديقي والبلاد كما هيّا
يقول : أحسن محبة أخيك وصاحبك ، وتناول بالأكرام طول الدهر ومدة العمر ، فإن المنايا كفتك مفرقة ومبعدة . وقوله « الدهر » انتصب على أنه بدل من الدهر . وانتصب « معا » على أنه خبر ما دمتما . ومعنى ما دمتما معا : مدة بقائكما ودوامكما مجتمعين . وقوله « كفى بالمنايا » موضع بالمنايا رفع على أنه فاعل كفى . وانتصب « فرقة » على التمييز ، أو يكون في موضع الحال ، كأنه قال : كفى بفرقة المنايا فرقة . والتقدير : كفى فرقة بالمنايا من فرقة ، أو كفى المنايا مفرقة ومتناية .

وقوله « إذا زرت أرضا بعد طول اجتنابها » هذا الكلام توجع وتشك من نوائب الدهر . يقول : أرى الإخوان تخترمهم المنايا فهم يتفادون ، وبلادهم وأروضهم على ما كانت عليه ، فتي زرت مكانا بعد طول المهد به وجدت أصدقائي مفقودين ، وأما كنهم كما كانت . وقد تقدّم القول في إعراب « كما هيّا »^(١) . وقوله صديقي يراد به الكثرة لا الواحد .

٤٠٧

وقال ربيعة بن مقروم^(١) :

١ - وَكَمْ مِنْ حَامِلٍ لِي ضَبِّ ضِغْنٍ بَعِيدٍ قَلْبُهُ حُلُوِ اللِّسَانِ
٣ - وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ نَقَمْتُ مِنْهُ بِشَغْبٍ أَوْ لِسَانٍ تَيَّحَانَ
كم لفظة وضعت للتكثير ، كما أن رُبَّ وضع للتقليل ، إلا أنه اسم ورُبَّ حرف . وله موضعان : الاستفهام ، والخبر ، وهو من باب الخبر هنا . والضَّبُّ : الحقد . قال :

فَمَا زَالَتْ رُفَاكَ تَسْلُ ضِغْنِي وَتُخْرِجُ مِنْ مَكَامِنِهَا ضِيبَانِي^(٢)
وأضافه إلى الضغن لأن الضغن القسر ، فكانه حقد عسر ولجاج . فيقول : كثير من الرجال يحملون إلى الضغائن ، ويسرون إلى البغضاء ، وقد حلا منطقهم لي جرياً على سُنَّتِهِمْ في المداجاة ، وبعد قلبهم مني استمراراً في طريق الشنآن إلى والمعادة ، ولو شئت لانتقمْتُ منه بالفعل أو بالقول ، فإن لسان عريض ، ويدي عالية ، يتأتى له مكافأة كلِّ النَّاسِ على مقدار فعله ، وبمثل ما ينطوى لي من خيرٍ أو شرٍّ . ويقال : نَقَمْتُ عَلَيْهِ أَيْ أَنْكَرْتُ عَلَيْهِ فِعْلُهُ ، وَنَقَمْتُ مِنْهُ بِمَعْنَى انْتَقَمْتُ . وَنَقَمْتُ وَنَقِمْتُ لَفْتَانِ . وَالتَّيَّحَانُ لَا يُكْسَرُ يَأْوُهُ ، وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِيهِ^(٣)

(١) سبقت ترجمته في الحماسة ٩ ص ٦١ ، وساق نسبه التبريزي : ربيعة بن مقروم ابن خالد بن عمرو بن غيظ بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة .
(٢) ويروي : « من مضابها » . البيت لكثير عزة ، كما في الحيوان (٤ : ٢٥٠ ، ٣٠٣ / ٦ : ١٠١) والموشع ١٤٣ والصناعتين ٧٢ وزهر الآداب (٢ : ٦٣) وابن سلام ١٢٥ ليدن ١٨٥ مصر .

(٣) انظر ما سبق في الحماسة ١٨ ص ١٣١ - ١٣٢ .

٣ - وَلِكِنِّي وَصَلْتُ الْحَبْلَ مِنِّي مُوَاصَلَةً بِحَبْلِ أَبِي بَيَانَ

٤ - وَضَمْرَةٌ إِنَّ ضَمْرَةَ خَيْرُ جَارٍ عَلِقْتُ لَهُ بِأَسْبَابِ مِتَانِ

٥ - هِجَانُ الْحَيِّ كَالذَّهَبِ الْمَصْقِيِّ صَبِيحَةَ دَيْمَةٍ يَجْنِيهِ جَانِ

قوله « وَلِكِنِّي وَصَلْتُ الْحَبْلَ مِنِّي » يقول : أَبْقَيْتُ عَلَى مَنْ يَعَادِينِي وَلَمْ أَعْجَلْ مُؤَاخَذَتَهُ بِإِسَاءَتِهِ وَإِصْرَارِهِ ، وَتَعَادِيهِ فِيمَا أُكْرِهُهُ وَجُلَاجِهِ ، لِأَنِّي قَدْ وَاصَلْتُ أَبَا بَيَانَ وَعَلَقْتُ حَبْلِي بِحَبْلِهِ ؛ وَكَذَلِكَ احْتَشَمْتُ ضَمْرَةَ لِأَنَّهُ خَيْرُ جَارٍ ، وَقَدْ اسْتَحْكَمْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَوْاصِرُ حِفْظُهَا عَنِ الْقَطِيعَةِ وَاجِبٌ ، وَلِأَنَّ الْعِصْمَ لِلْمِثْنَةِ الَّتِي تَجْمَعُنَا تُلْزِمُنِي الْوُقُوفَ فِيمَا يَكْرِهَانِي ، وَتَرَكْتُ مَا لَا يُؤْمِنُنِي اسْتِيحَاثَهُمَا ، وَهَذَا مَعَ ذَلِكَ كَرَامُ الْحَيِّ لَا غَائِلَةَ لَهَا ، وَلَا شُبْهَةَ فِي مَصَافَاتِهِمَا وَحُسْنِ عَقِيدَتِهِمَا ، فَمَا وَدَّهَا إِلَّا كَابِرِيزِ الذَّهَبِ الْمَصْقِيِّ ، وَمَا يَظْهَرُ مِنْ مَعَادِنِ الذَّهَبِ صَبِيحَةَ مَطَرَةٍ تَكْشِفُ عَنْ عُرُوقِ الذَّهَبِ ، فَيَجْتَنِيهِ الْمُجْتَنُونَ ، أَيْ يَلْتَقِطُهُ الْمَلْتَقِطُونَ . وَهَذَا الَّذِي وَصَفَهُ يَقَالُ إِنَّهَا تَكْثُرُ فِي نَوَاحِي الْيَمَنِ وَالْيَمَامَةِ ، وَتُسَمَّى تِلْكَ الْمَعَادِنِ مَعَادِنُ اللَّقْطِ ، فَإِذَا مُطِرَتْ وَانْكَشَفَتِ الْهَبَوَاتُ وَالْغُبَارُ عَنْ وُجُوهِ حِجَارَتِهَا يَظْهَرُ مِنْ عُرُوقِ الذَّهَبِ فِي صَفَائِهَا مِثْلُ مَا وَصَفَهُ أَوْ أَحْسَنُ .

وقوله « هِجَانُ الْحَيِّ » ارْتَفَعَ عَلَى أَنَّهُ خَيْرٌ مَبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : هَمَّ هِجَانُ الْحَيِّ . وَهِجَانٌ جَمْعٌ ، وَوَاحِدُهُ هِجَانٌ أَيْضًا ، لِأَنَّ فَعِيلًا وَفَعَالًا يَشْتَرِكَانِ فِي الْجَمْعِ كَثِيرًا ، فَهِجَانٌ جَاءَ مِنْ هِجَانٍ وَاحِدًا كِظَارَفٍ مِنْ ظَرِيفٍ . وَقَوْلُهُ « كَالذَّهَبِ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ « يَجْنِيهِ جَانِ » حَالٌ مِنَ الذَّهَبِ الْمَصْقِيِّ . وَقَوْلُهُ « مُوَاصَلَةً » يَحْزُنُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَيْ مُوَاصِلًا وَيَحْزُنُ أَنْ يَكُونَ مَوْضُوعًا مَوْضِعَ صِلَةٍ فَيَكُونَ مُصَدَّرًا مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ . وَقَوْلُهُ « يَجْنِيهِ جَانِ » وَضَعَهُ مَوْضِعَ يَلْقَظُهُ .

٤٠٨

وقال سلم بن ربيعة^(١) :

- ١ - إِنَّ شِوَاءَ وَنَشْوَةَ وَخَبَبَ الْبَازِلِ الْأُمُونِ
- ٢ - يُجْشِمُهَا الْمَرَّةُ فِي الْهَوَى مَسَافَةَ الْغَائِطِ الْبَطِينِ
- ٣ - وَالْبَيْضَ يَرْفُلْنَ كَالْدُمَى فِي الرِّيطِ وَالْمَذْهَبِ الْمَصُونِ
- ٤ - وَالْكَثْرَ وَالْخَفْضَ آمِنًا وَشِرْعَ الْمِزْهَرِ الْخُنُونِ
- ٥ - مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ وَالْفَتَى لِلدَّهْرِ وَالِدَّهْرِ ذُو فَنُونِ
- ٦ - وَالْيُسْرَ كَالْعُسْرِ وَالْغِنَى كَالْعُدْمِ وَالْحَيُّ لِلْمَنُونِ

هذه المقطوعة خارجة عن البحور التي وضعها الخليل بن أحمد ، وأقرب ما يقال فيها أنها تجيء على السادس من البسيط^(٢) ، وليس هذا موضعاً لبسط الكلام فيه .

وَالنَّشْوَةُ : الْخَمْرُ وَالشُّكْرُ^(٣) . وَالْخَبَبُ وَالْخَيْبُ : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ . وَالْبَازِلُ : الَّتِي قَدْ اسْتَكْمَلَتْ لَهَا تِسْعُ سَنِينَ فَتَنَاهِيَ قُوَّتُهَا . وَالْأُمُونُ : الْمَوْثِقَةُ الْخَلْقِ . وَخَبَرَ إِنْ فِي قَوْلِهِ « مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ » .

وقوله « يُجْشِمُهَا الْمَرَّةُ » مِنْ صِفَةِ الْبَازِلِ ، وَالْمَعْنَى يَكْلِفُهَا صَاحِبُهَا قَطْعَ الْمَسَافَةِ الْبَعِيدَةِ فَيَأْكُلُ يَهْوَاهُ . وَالْمَسَافَةُ مَأْخُودَةٌ مِنَ السَّوْفِ ، وَهُوَ الشَّمْسُ . وَكَانَ الدَّلِيلُ إِذَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ الطَّرِيقُ يَفْعَلُ ذَلِكَ . وَالْغَائِطُ : الْمَطْمِئِنُّ مِنَ الْأَرْضِ . وَالْبَطِينُ : الْوَاسِعُ الْغَامِضُ .

(١) كَذَا فِي النُّسخِ ، وَصَوَابُهُ كَمَا فِي التَّبْرِيزِيِّ : « سَلَمَى بْنُ رَبِيعَةَ » . انْظُرْ مَا سَبَقَ مِنْ التَّحْقِيقِ فِي حَوَاشِي ص ٥٤٦ .

(٢) يَعْنِي مَا يُسَمَّى مَخْلَعِ الْبَسِيطِ .

(٣) الْحَمْرُ ، هُنَا : مُصْدَرُ خَمْرِ الرَّجُلِ خَمْرًا ، فَهُوَ خَمْرٌ .

وقوله « والبيض يرْفُلْنَ كالذَّمَى » يعنى به النساء . ويرْفُلْنَ : يَتَبَخَّرْنَ في الرِّيطِ ، وهى الملاءة الواسعة ^(١) . والمذهبُ المصُونُ ، يُرَادُ به الثياب الفاخرة المطرزة بالذهب . وتعلّق في من قوله « في الرِّيطِ » ويرْفُلْنَ ، وكالذَّمَى في موضع الحال . والمعنى : والنساء البيض يتبخّرنَ في المصونات من الثياب الكريّات ، وهنّ مُشَبَّهَاتٌ للصُّور .

والكثيرُ انعطَفَ على البيض ، كما أن البيض انعطَفَ على « وخَبَبَ البازلِ الأُمُونِ » . والمراد بالكثير كثرة المال ومساعدة الحال ، وضِدُّهُ القِلُّ . وقال الخليل : كثر الشيء : أكَثَرَهُ ، وكذلك قُلُّهُ أَقْلُهُ . والخفَضُ : التَّوَدُّعُ . وانتصب « آمِنًا » على الحال ، وانعطَفَ « وشِرْعَ » على الخفض . فيقول : إنَّ لذات الدنيا من مأْكول ومشروب وملبوس ، وسركوب وقد استعمله صاحبه فيما يهواه ، وكلفه قطع المسافات فيما تدعوه إليه نفسه ، والنساء البيض بالصفة التي ذكّرها ، والغنى والراحة في الأمن والملاهي ، جميع ذلك من لذة العيش . وقوله « وشِرْعَ المزهر » أى الأوتار ، واجدُها شِرْعَةٌ . والمزهر : العود . والخُنُونُ : يُريد به الصَّيِّتَ من الحنين ، فكأنّه أشار إلى المزهر منقوراً يَنْقُرُهُ الملهي ^(٢) . فانظرُ فإنّه جمَعَ كلَّ ما يلتذ به النفس ، وجعلها تامّة بما قرّن به من حال الأمن ، لأنّ جميع ذلك إذا عَرِيَ من الأمن لم يُستطَب ولم يُستَمَرَّ .

ثم قال : « والفتى للدهرِ والدهرُ ذوفنونٍ » الواو واو الحال ، وذوفنون أى ضروب . يريد : أن كلَّ ذلك مما يلتذُّ العائش به ، لكنّ الفتى مُهَدِّفٌ للدهر ، والدهر ذو تاراتٍ : كما يَهَبُ يرتجع ، وكما يُسَلِّمُ يُعِلِّ ، وكما يُودَّعُ يُتَعَب ، وكما يُصَنَّى يكدر . وبعد ذلك قال :

(١) كذا في النسختين . والوجه « الملاء الواسعة » إذ أن « الريط » جمع لا مفرد .

(٢) الملهي : المشتغل بجماع الغناء .

وَالْيُسْرُ كَالْعُسْرِ وَالْفَيْ كَالْعُدْمِ وَالْحَيُّ لَلْمُتَوَنِّينِ
يريد أن شيئاً من هذه الأحوال لا يدوم إلا ريث ما يُسلط عليه القواطع
والمغيرات ، فاليسار إذا حصل كالإعسار ، في أن واحداً منهما لا يبقى ، وغنى
النفس كفقرها ، ثم انتهاء كل ذلك للحى منا إلى الموت الذى لا غاية وراءه ،
وليس يُتخلص منه بحيلة تنفذ ، أو روية تُعمل .

٤٠٩

وقال آخر^(٢) :

١ — وَأَنْتَ اسْرُؤْ إِمَّا انْتُمُنْتُكَ خَالِيًا فَخُنْتَ وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلًا بِلَا عِلْمٍ
٢ — فَأَنْتَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْخِيَانَةِ وَالْإِثْمِ^(٣)
يقول : أنت رجل إِمَّا وثقت بك فى شىء يحتاج إلى أداء الأمانة فيه ، وقد
خلوت معك وأظهرت السكون إليك فخننتنى ، وإِمَّا أسننتمنى إلى ناحيتك فى
الخير فكذبت على ، وخبرت بما لا علم لك به ، فأنت ممّا بينى وبينك واقف
فى محل بين الخيانة فيما انتمنت فيه ، والإثم فيما رجعت إليك فى الكشف عنه .
وقوله « انتمنتك » هو افتعل من الأمانة ، ولك أن تخفف الهمزة وتبدل منها
ياء ، ولك أن تعوض من الهمزة تاء فتدغمه فى التاء التى بعدها فتقول : ائمنتك .

(١) التبريزى : « هو عبد الله بن همام السلولى من بنى مرة بن صعصعة ، من قيس عيلان .
وبنو مرة يعرفون ببني سلول ، وسلول أهمهم ، وهى بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، وكان
عبد الله مكيناً عند آل مروان ، وهو الذى بعث يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية فى قوله :

تمزوا يا بنى حرب بصبر
خليفة ربكم حاموا عليها
تلقفها يزيد عن أبيه
فمن هذا الذى يرجو الخلودا
ولا ترموا بها الغرض البعيدا
تلقفها يزيد عن أبيه

وقد روى الفالى فى الأمالى (٢ : ٤٦) هذين البيتين وقصتهما .

(٢) رواية الأمالى : « فأبت » بالياء . وذكر محققه أنها فى نسخة : « فأنت » . وللغنى

على كل صحيح .

وَحَالِيَا انْتَصَبَ عَلَى الْحَالِ ، وَذُو الْحَالِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الشَّاعِرَ . وَالْمَعْنَى : جَعَلْتُكَ
مَوْضِعًا لِلْأَمَانَةِ وَقَدْ خَلَوْتُ بِكَ ، لِثَلَاثٍ يَتَجَاوَزُنَا الشَّرُّ الَّذِي أَوْدَعْتُكَ . وَيَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ حَالًا لِلْمَخَاطَبِ ، وَالْمَعْنَى مُنْفَرِدًا .

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا أَنَى عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هَمَّامٍ
السَّلَوِيَّ سَبَّهُ وَأَسْرَفَ جِهَارًا ، لَا حِشْمَةَ تَرَدُّعُهُ ، وَلَا رِقْبَةَ تَمْنَعُهُ . فَأَرْسَلَ
عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى ابْنِ هَمَّامٍ وَاسْتَحْضَرَهُ لِيُقَابِلَهُ بِالرَّجُلِ ، وَيَتَبَيَّنَ مِنْ حُضُورِهَا حِجَّةُ
الْخَبَرِ ، فَأَتَاهُ ابْنُ هَمَّامٍ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَجْلِسُ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ : يَا ابْنَ هَمَّامٍ ، إِنَّ
هَذَا يَزْعُمُ أَنَّكَ قُلْتَ كَذَا وَكَذَا . فَأَقْبَلَ ابْنُ هَمَّامٍ عَلَى الرَّجُلِ وَخَاطَبَهُ بِقَوْلِهِ :
« أَنْتَ امْرُؤٌ إِمَّا انْتَمَنُتُكَ خَالِيَا » الْبَيْتَيْنِ .

فَإِنْ قِيلَ : مَا مَوْضِعُ « إِمَّا انْتَمَنُتُكَ » مِنَ الْإِعْرَابِ ؟ قُلْتُ : هُوَ فِي مَوْضِعِ
الرَّفْعِ عَلَى أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِامْرَأٍ . وَإِمَّا هَذِهِ ، هِيَ الَّتِي تُعَدُّ فِي حُرُوفِ
الْمُطَفِّ ، وَالْكَلَامُ خَبَرٌ . يَرِيدُ : أَنْتَ رَجُلٌ لَا تَخْلُو مِمَّا تَصُكُّ بِهِ وَجْهِي مِنْ
أَحَدِ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ أَذْكُرُهُمْ . فَهُوَ كَمَا تَقُولُ : أَنْتَ رَجُلٌ إِمَّا صَالِحٌ وَإِمَّا
طَالِحٌ . وَقَوْلُهُ « فَخُنْتُ » انْعَطَفَ عَلَى انْتَمَنُتُكَ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَنْتَ رَجُلٌ إِمَّا
مُؤْتَمِّنٌ لِحُشَائِنٍ ، وَإِمَّا قَائِلٌ قَوْلًا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ . وَقَوْلُهُ « وَإِنَّا » الْوَاوُ هِيَ
الْعَاطِفَةُ . وَإِمَّا كَأَوْ فِي أَنَّهُ لِأَحَدِ الْأُمَرَاءِ ، إِلَّا أَنَّ « أَوْ » يُبَيِّنُ الْكَلَامَ فِيهِ
عَلَى الْيَقِينِ ثُمَّ يَعْتَرِضُ مَا يَخْرُجُ بِهِ عَنْهُ . وَ« إِمَّا » يُبَيِّنُ الْكَلَامَ فِيهِ عَلَى عَيْنِ
الْيَقِينِ . وَلِهَذَا الَّذِي قُلْنَاهُ قَالَ حُذَّاقُ أَصْحَابِنَا : إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ حُرُوفِ الْمُطَفِّ ،
وَكَيْفَ يَكُونُ مِنْهَا وَهُوَ يَحْيَى قَبْلَ مَا يُعْطَفُ عَلَيْهِ أَوْ مَعَ حَرْفِ الْمُطَفِّ . تَقُولُ :
رَأَيْتُ إِمَّا زَيْدًا وَإِمَّا عَمْرًا . فَإِمَّا الْأَوَّلَى سَابِقُ الْمُطَوِّفِ عَلَيْهِ وَهُوَ زَيْدٌ ، وَإِمَّا
الثَّانِيَةَ مَعَهَا الْوَاوُ الْعَاطِفَةُ .

وقوله « فأنت من الأمر الذي كان بيننا » مبتدأ وخبره « بمنزلة » ، وبين الخيانة صفة للمنزلة . والمعنى : أنت مما ^(١) بيننا في موقف يُشفي بك إما على الخيانة فيما اتُّمِنَتْ فيه ، وإما على الإثم فيما تُستشهدُ فيه ، فتقول بما لا علم لك به .

٤١٠

وقال شبيب بن البرصاء ^(٢) :

١ — قلت لِفَلَّاقٍ بِعِرْنَانَ مَا تَرَى فما كاد لي عن ظَهْرٍ واضحةٍ يُبْدِي
عِرْنَانَ : اسم وادٍ ^(٣) . وقوله « عن ظهر واضحة » يجوز أن يريد عن ظهر خصلة بيّنة . والمراد : لما استشرته وقد حصلنا بعِرْنَانَ ارتبكت فلم يكذب يكشف لي عما يصح المراد به ، ويمكن الاعتماد عليه . ويجوز أن يريد بالواضحة السن . والمعنى : لم يكذب يتهلل أو يكشف عن أسنانه به ضاحكا أو كاشرا . ويكون استعمال الواضحة كما قال طرفة :

كلُّ خليلٍ كنتُ عاهدته لا ترك الله له واضحة

وقوله « تبسم كرها » يدل على الوجه الثاني .

٢ — تبسم كرها واستبنت الذي به من الحزن البادي ومن شدة الوجدي
٣ — إذا المرء أعراه الصديق بدا له بأرض الأعادي بعض ألوانها الرُبْدِ
انتصب كرها على أنه مصدر في موضع الحال . يقول : بسم لي كرها فتبينت الذي به من حزن ظهر عليه ، ومن وجدي استكن في قلبه . ويقال استبنت وتبينت بمعنى واحد . وبسم وابتسم وتبسم بمعنى واحد ، إلا أن في

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « فيما » .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسة ٤٠٣ ص ١١٢٣ .

(٣) وعن السكوني أنه جبل بين نيماء وجبلى طي . معجم البلدان .

تبسم زيادة معنى التكلف ، كأنه تكلف منه ما تكلف على كراهية .

وقوله « إذا المره أعراه الصديق » يريد به : إذا الرجل خذله صديقه وقعد عن نصرته ، وتركه بالعراء ، في أرض الأعداء ، بدا له من ألوان الأرض إذا اسودت بعضها . وهذا التفصيل والتبويض دل على أن اسوداد الأرض يكون من وجوه عدة ، وللحالة التي أشار إليها ما يختص بها ، ويجب أن يكون أشدها . وهذا لأن ما يرد على النفس من المكارة مراتب ، فاسوداد الأرض عليه لما على حسب مقاديرها في أنفسها .

٤١١

وقال سالم بن وابصة^(١) :

١- أَحِبُّ الْفَقِيَّ يَنْفِي الْفَوَاحِشَ سَمْعُهُ كَأَنَّهُ عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَقَرَأَ

٢- سَلِيمٌ دَوَاعِي الصَّدْرِ لَا بَاسِطٌ أَذَى وَلَا مَانِعٌ خَيْرًا وَلَا قَاتِلٌ هُجْرًا^(٢)

يقول : أَحِبُّ من أخلاق الفقي أن يكون متكرماً إذا طرق أذنه ذِكْرُ الفواحش ، فلا يعيها ولا يجعلها من نفسه ببال ، حتى كأن به صمماً عن أنواع الفواحش كلها .

وقوله « سَلِيمٌ دَوَاعِي الصدر » ، ارتفع سليم لأنه خبر مبتدئ محذوف ، كأنه قال : هو سليم ، ويكون ما بعده صفات له . ويريد بالدواعي ما يتعلق بالأغيار منه لا ما يخصه في نفسه . ألا ترى أنه فسره بقوله « لا باسط أذى ولا

(١) التبريزي : « سالم بن وابصة الأسدي » . وقد سبقت ترجمته في المحاسنية : ٢٤

س ٧١٠ . والأبيات في أمالي القالي (٢ : ٢٢٤) .

(٢) التبريزي : « لا باسطاً ... ولا مانعاً ... ولا قاتلاً » . ومثله القالي ، لكن روايته

في آخر البيت : « ولا ناطقا هجرا » .

مانعٌ خيراً ولا قاتلٌ هُجْراً» وكلُّ ذلك للغير لا للنفس . ويكشفُ هذا أنه إذا بسطَ أسبابَ الأذى عادَ الضررُ منها على المتأذى لا عليه . وإذا منعَ خيرَه كذلك عادَ الضررُ على المنتفع به وعلى هذا إذا قال هُجْراً . والهَجْرُ : الفَحْشُ . ويقال : أهَجَرَ الرجلُ ، إذا أتى به . وقد كان من فلانٍ هاجرةً . على ذلك قوله :

* إذا ما شيتَ نالَكَ هاجِرَاتِي ^(١) *

ولك أن تنصبَ « سليم » بما بعده ، فيكون في موضع الحال ، وما يتبعه صفات له ، وهو لا باسطاً أذى ولا مانعاً خيراً ولا قاتلاً هُجْراً .

٣- إذا ما أتت من صاحبٍ لك زَلَّةٌ فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالاً لِزَلَّتِهِ عُدْرًا ^(٢)

٤- غَنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ حَاجَةٍ فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَلِكَ الْغِنَى فَقْرًا ^(٣)

يقول واعظاً ومُهدِّناً : إذا انفقتَ من صديقٍ لك زَلَّةً ، أو وقوفَ موقفٍ تُهَمُّه ، فحسُنَ أمره في ذلك واحمله على ضروبٍ مما يَبْسُطُ عُذْرَهُ فيه ، بل كن أنتَ المحتملَ لَعُدْرِهِ ، فلا تُخَوِّجْهُ إلى تكلفِ الاعتذار .

وقوله « غَنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ حَاجَةٍ » يقول : خُذْ من دنياك ما تسدُّ به فقرَكَ ، فَإِنْ غَنَى النَّفْسِ مَا يَضْمَنُ الكفايةَ ، فإن زاد قليلاً عادَ ذلك بزيادتك فيه الفقرَ ، وذلك أن الدواعيَ إما تكثُرُ وتتوسع بتوسعِ الأسبابِ وكثرتها ، وما يَفْضُلُ عن الكفاية يمتُّ كلُّ جزءٍ منه بماتةٍ صاحِبِهِ فلا يكاد يكتفى ببعضه

(١) عجزه في اللسان (هجر) :

* ولم أعمل بهن إليك ساق *

(٢) قبله عند التبريزي ، ولم يروه القالي :

إذا شئت أن تدعى كريماً مكرماً أدبياً ظريفاً عاقلاً ماجداً حراً

(٣) التبريزي : « ما يكفيك من سد خلة » . القالي : « ما يكفيه من سد خلة »

وإن زاد .

إلا وما عداه يُمْتُ بمثل ما تته . وإذا صار الأمر على ذلك فكل منزلة ينتهي إليها طلب الفضل تدعوه إلى ما فوقها ، فيبقى أبداً مُتَعَباً فقيراً . وقوله « فإن زاد شيئاً » انتصب شيئاً على المصدر ، لأنه واقعٌ واقعٌ زيادة . وزاد هاهنا بمعنى ازداد ، فلا يتعدى . وانتصب فقراً على الحال .

٤١٢

وقال آخر^(١) :

- ١ - وَكَمْ مِنْ لَيْثِمٍ وَدَّ أُنَى شَتْمُهُ وَإِنْ كَانَ شَتْمِي فِيهِ صَابٌ وَعَلَقْمُ
 - ٢ - وَلَلْكَفُّ عَنْ شَتْمِ اللَّيْثِمِ تَكْرُماً أَضُرُّ لَهُ مِنْ شَتْمِهِ حِينَ يُشْتَمُ
- الليثيم : الذي اجتمع فيه خصال مذمومة في نفسه وأبويه . فيقول : كم من رجل ذنب النفس والأصل ، يتمنى أن اتخذه نظيراً لي أكايله وزناً بوزن ، وأكافيه لفظاً بلفظ ، وإن كان في هجوي له وشتمى إياه ما يجري مجرى الصاب والعلقم في المرارة . والصاب : شجرة لها لبنٌ فإذا أصاب العين حلبها . والعلقم : الحنظل . وقال الخليل : يقال : علقم الحنظل ، إذا اشتدَّت مرارته . ثم قال : لإمساكي عن مُشَاتِمَةِ اللَّئَامِ أَخِذاً بِالكَرَمِ ، أَصَوْنُ لِعِرْضِي ، وَأَعُوذُ عَلَيْهِم بِالضَّرَرِ مِنْ كُلِّ ذَمٍّ وَهَجْوٍ . وانتصب « تكرماً » على أنه

(١) التبريزي : « وقال المؤمل بن أميل المحاربي » . والمؤمل ، كذا ضبط بالميم المشددة المفتوحة عند التبريزي . وهو المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي . نُسبَ إلى محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ، شاعر كوفي من مخضري شعراء الدولتين . وكانت شهرته في العباسية أكثر ، لأنه كان من الجند المرتقة معهم . واقطع إلى المهدي في حياة أبيه . وكان يهوى امرأة من أهل الحيرة يقال لها هند ، وفيها يقول قصيدته المشهورة :
شف المؤمل يوم الحيرة النظر ليت المؤمل لم يخلق له بصر
فيقال إنه رأى في منامه رجلاً أدخل إصبعه في عينيه وقال : هذا ما تمنيت . فأصبح أعمى .
الأغاني . (١٩ : ١٤٧) ومعجم الأدباء (٧ : ١٩٥) مرجليوث (والخزاعة (٣ : ٥٢٣)
ونسكت الهميان ٢٩٩ وسمط اللاتي ٥٢٤ .

مصدر في موضع الحال ، أى متكرما ، ويجوز أن يكون مفعولا له ،
أى للتكرّم .

٤١٣

وقال عقيل بن علفة^(١) :

١- وَلِلدَّهْرِ أَثْوَابٌ فَكُنْ فِي ثِيَابِهِ كَلِبْسَتِهِ يَوْمًا أَجَدَّ وَأَخْلَقًا
٢- وَكُنْ أَكْيَسَ الْكَيْسَى إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ وَإِنْ كُنْتَ فِي الْحَقِّ فَكُنْ أَنْتَ أَحَقًّا
ذِكْرُ الْأَثْوَابِ مَثَلٌ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ تَلَوَّنَ الدَّهْرَ بِأَهْلِهِ ، وَتَصَرُّفَهُ بِأَحْدَاثِهِ
وَتَارَاتِهِ وَغَيْرِهِ . وَاللَّبْسَةُ : اسْمُ حَالَةِ اللِّبَاسِ . أَيْ الْبَسَ ثِيَابَهُ لِبَسَتِهِ مُجَدًّا
أَوْ مُخْلَقًا ، وَإِنْ أَجَدَّ أَوْ أَخْلَقَ ، لِأَنَّ الْحَالَ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الْجَزَاءِ ، وَالْقَصْدُ إِلَى
تَوْصِيَةِ الْمُخَاطَبِ بِأَنْ يَطْلُبَ مُوَافَقَةَ النَّاسِ فِي دَهْرِهِمْ ، وَيَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِمْ . وَمَعْنَى
أَجَدَّ : جَعَلَ ثَوْبَهُ جَدِيدًا . وَكَذَلِكَ أَخْلَقَ الثَّوبُ نَفْسَهُ فَهُوَ مُخْلَقٌ ؛ وَهَذَا أَشْهُرُ
مِنَ الْأَوَّلِ . وَقَدْ قِيلَ فِي الدُّعَاءِ لِلْأَبْسِ الْجَدِيدِ : « أَبْلٍ وَأَجْدَدٍ » يَرَادُ بِهِ فِعْلُ
مِثْلِهِ فِي الْمُسْتَأْنَفِ ، وَاتِّصَالُ عَمَرِهِ . وَقَدْ صَرَّحَ عَنِ الْمَعْنَى فِيمَا بَعْدَهُ ، لِأَنَّهُ قَالَ :
وَكُنْ أَكْيَسَ الْكَيْسَى إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ . وَالْمَعْنَى : تَكَيَّسْ مَعَ الْأَكْيَاسِ ،
بَلْ اجْتَهِدْ أَنْ تَفُوقَهُمْ فِي كَيْسِهِمْ وَإِنْ ابْتَلَيْتَ بِحَقِّقٍ فَتَحَاقَقْ مَعَهُمْ . وَقَوْلُهُ
« كُنْ أَنْتَ » أَنْتَ تَوْكِيدٌ لِلْمَضْمَرِ فِي كُنْ . وَ« أَحَقًّا » يَجُوزُ أَلَّا يُرِيدَ بِهِ أَفْعَلَ
الَّذِي يَتَمُّ بِمَنْ وَيَكُونُ الْمَعْنَى تَحَاقُقٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَفْعَلَ الَّذِي يَتَمُّ بِمَنْ ،
وَقَدْ حُذِفَ مِنْهُ مِنْ لَأَنَّهُ خَبَرٌ فَجَازَ ذَلِكَ فِيهِ . وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا أَنَّهُ قَالَ : كُنْ
أَكْيَسَ الْكَيْسَى . وَقَدْ قِيلَ : مَا أَحَقُّهُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْخَلَاقِ فِي شَيْءٍ . أَلَا تَرَى

(١) سبقت ترجمته في الحاشية ١٣٦ ص ٤٠٠ . التبريزي : « وقال عقيل بن علفة المرى ،
مرة بن عوف بن سعد بن بغيض . ويصحف بابن علفة . وعلفة تيمى لم يعرف اسمه ونسبه » .

أَنَّ صاحبه يُؤَبِّخُ على ما يأتية منه . فأما قوله « الخنقى » ففَعَلَى جَمْعٍ فيما يكون بلاءً وزمانةً . على ذلك الجرحى والمرضى ، فشُبِّهَت الحماقة به ، ثُمَّ حُمِلَ الكَيْسَى عليه لأنَّهم يَحْمِلُونَ النَّقِيضَ على النَّقِيضِ كثيراً .

٤١٤

وقال بعضُ الفزاريين :

- ١ — أَكُنِيهِ حِينَ أَنْادِيهِ لِأَكْرِمَهُ وَلَا أَقْبَهُ وَالسَّوْءَةَ اللَّقْبَا^(١)
 - ٢ — كَذَاكَ أَذْبْتُ حَتَّى صَارَ مِنْ خُلُقِي إِنِّي وَجَدْتُ مَلَاكَ الشَّيْمَةِ الْأَدْبَا
- يُصِفُ حُسْنَ عِشْرَتِهِ لِصَاحِبِهِ وَجَلِيسِهِ ، وَمُواخَذَةَ نَفْسِهِ بِصِيَانَتِهِ وَإِكْرَامِهِ
فَيَقُولُ : إِذَا خَاطَبْتُهُ خَاطِبَتُهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ ، وَهُوَ الْكُنْيَةُ ، وَأَعْدِلُ عَنْ
نَبَرِهِ^(٢) وَلَقَبِهِ لِأَنِّي عَلَى هَذَا أَذْبْتُ ، حَتَّى بِهِ تَطَبَّعْتُ ، فَصَارَ خُلُقًا ثَانِيًا لِي وَإِنْ
كَانَ أَصْلُهُ تَخَلُّقًا ؛ إِنِّي وَجَدْتُ الْأَدَبَ مَلَاكَ الْأَخْلَاقِ . وَالْمَلَاكُ : اسْمٌ لَمَّا يُمْلَكُ
بِهِ الشَّيْءُ ، فَهُوَ كَالرِّبَاطِ وَالنِّظَامِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا . وَقَوْلُهُ « وَلَا أَقْبَهُ وَالسَّوْءَةَ اللَّقْبَا »
بِنَصَبِ السَّوْءَةِ ، فَتَنْصِبُ اللَّقْبَ مِنَ الْقَبِّ ، وَيَنْصَبُ السَّوْءَةَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ
مَعَهُ ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ : جَاءَ الْبَرْدُ وَالطَّيَالِسَةُ . وَالتَّقْدِيرُ : لَا أَقْبَهُ اللَّقْبَ مَعَ
السَّوْءَةِ . وَيَجْرِي هَذَا الْجَرْيُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ ،
لِأَنَّ الْمَعْنَى مَعَ شُرَكَائِكُمْ . وَيَكُونُ الْمُرَادُ : لَا أَجْمَعُ بَيْنَ الْقَبِّ وَمَا يَسُوهُ مِنْ
فُحْشِ الْكَلَامِ . فَهَذَا وَجْهٌ لِلنَّصَبِ . وَيُحْزَرُ أَنْ يَكُونَ انْتِصَابُ السَّوْءَةِ عَلَى

(١) يَرُوى : « وَالسَّوْءَةَ الْقَبِّ » عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ ، كَمَا يَرُوى تَالِيهِ « مَلَاكَ الشَّيْمَةِ
الْأَدْبَا » عَلَى جَعْلِ الْجُمْلَةِ مَفْعُولًا ثَانِيًا لَوُجِدْتُ ، وَمَفْعُولُهُ الْأَوَّلُ ضَمِيرُ الشَّأْنِ الْمَحْذُوفِ ، أَوْ عَلَى
أَن « وَجِدْتُ » مَعْلُوقٌ عَنِ الْعَمَلِ فِي اللَّفْظِ بِلَامِ الْإِبْتِدَاءِ لِلْقُدْرَةِ ، وَالْجُمْلَةُ بَعْدَهَا مِنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ
سَدَّتْ مَسَدَ مَفْعُولِي وَجَدَ . انْظُرِ الْخِزَانَةَ (٤ : ٥ — ٧) .
(٢) النَّبَرُ ، بِالتَّحْرِيكِ : الْقَبُّ ، وَجَمْعُهُ أَنْبَازُ .

المعنى ، كأنه قال : ولا آتى السَّوءَ ، فعمل فيه معنى لا ألقبه ، فيكون على هذا من باب :

يَا لَيْتَ بَعْلَكَ قَدْ غَدَا مَتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا^(١)

و : * عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا^(٢) *

ويحوز أن يكون السَّوءَ مفعولاً به ، وقد عمل ما قبل الواو فيه ، كما تقول : ما زلتُ وزيداً حتَّى فَعَلَ كذا ، أى ما زلتُ يزيدٍ حتَّى فعل . وتقدير الباب فى هذه أ كَشَفُ من تقدير مَعَ وإن تَقَارَبَ معنيها ، كأنه قال : لا أَلْقِبُهُ اللَّقَبَ بالسَّوءِ . ويقال : سَمَّيْتَهُ كَذَا وَبَكَذَا ، وَلَقَّبْتَهُ كَذَا وَبَكَذَا . قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ ﴾ . وإن رُفِعَ فارتفاعة يحوز أن يكون بالابتداء ويكون الخبر مضمراً ، كأنه قال : والسَّوءُ ذاك ، يعنى إن لَقَّبْتَهُ فالفحش فيه^(٣) . ويحوز أن يكون مبتدأ وخبره اللَّقَبُ ، ويكون مُصَدِّراً كالجَمْزَى والوَكَرَى وما أشبههما . والمراد : والفُحْشُ استعمال اللَّقَبِ معه ، ويكون تفضيلاً للأمر لو فَعَلَ . ويحوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : لا أَلْقِبُهُ اللَّقَبَ ، وهو السَّوءُ . وهذا أقرب . والسَّوءُ : الفَعْلَةُ القبيحة . قال الشاعر^(٤) :

(١) ويروى : « يَا لَيْتَ زَوْجِكَ » . ويروى : « يَا لَيْتَ بَعْلِكَ فى الوغى » . والبيت لعبد الله بن الزبعرى كما فى حواشى ابن القوطية على الكامل ١٨٩ . وانظر الكامل ٢٠٩ ، ٤٠٣ . وأما المرتضى (٤ : ١٧٠) والإنصاف لابن الأنبارى ٣٥٧ ، وأما ابن الشجرى (٢ : ٣٢١) والخزانة (١ : ٣٣٠) .

(٢) أى وسقىها ماء بارداً . والبيت لم يعرف قائله . وهو عند العيني (٤ : ١٨١) والمرضى (٤ : ١٧٠) وابن الشجرى (٢ : ٣٢١) وشرح شواهد المتن للسيوطى ٣١٤ والخزانة (١ : ٣٣٠ ، ٤٩٩) . قال البغدادي : « وأورد له العلامة الشيرازى ، والفاضل اليمنى ، صدرأ وجعل المذكور مجزأ هكذا :

لما حططت الرحل عنها واردا
وجعله غيرها صدرأ وأورد مجزأ هكذا :

علفتها تبنأ وماء بارداً
حتى شئت حمالة عينها » .

(٣) كذا فى ل ، وفى الأصل : « به » .

(٤) هو أبو زيد الطائى ، كما فى مقاييس اللغة واللسان (سوا) .

* يَالْقَوْمِ لِلْسَّوَةِ السَّوَاءِ ^(١) *

وَيَسْمَى الْفَرْجَ السَّوَةَ ، لقبه . وفى القرآن : ﴿ قَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ﴾ .
ويقال : سَوْةٌ لِفُلَانٍ ^(٢) ! دعاء عليه .

٤١٥

وقال رجلٌ من بنى قُرَيْعٍ ^(٣) :

١ — مَتَى مَا يَرَ النَّاسُ الْفَنَى وَجَارُهُ فَقَيْرٌ يَقُولُوا عاجزٌ وَجَلِيدٌ
٢ — وَلَيْسَ الْفَنَى وَالْفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ الْفَنَى وَلَكِنْ أَحَاطَ قُسَمْتُ وَجُدُودُ
أخرج هذا الكلام مخرج الإنكار لما تعودته النَّاسُ فى الحكم على الأغنياء
والفقراء . فيقول : مَتَى يَقْضَى به النَّاسُ على الْفَنَى وإلى جنبه فقيرٌ ، أَنْ يَقُولُوا :
هذا من عَجْزِهِ أُنَى ، وهذا لجلادته أُغْنَى . ولأنَّ الْفَنَى وَالْفَقْرَ مما
قَدَّرَ الله تعالى وأَجْرَى به قَسَمَهُ فى خلقه ، وليس المعتمد فيه على احتياهم ، وسعيهم
واجتهادهم ، لكنها جدود وحظوظ دُرِّجُوا عليها ، وخلقوا لها ، على ما عَرَفَ
الله تعالى من صالح خلقه .

وجوابُ « متى ما يَرَ » قوله « يقولوا » . وارتفع عاجزٌ على أَنَّهُ خبر مبتدأٍ
محذوف ، كأنه : هذانِ عاجزٌ وجليدٌ .

٣ — إِذَا الْمَرْءُ أَعْيَبَتْهُ الْمَرْوَةُ نَاشِئًا فَمَطْلَبُهَا كَهَلَا عَلَيْهِ شَدِيدٌ ^(٤)

(١) صدره : * لم يهب حرمة النديم وحقت *

(٢) فى الأصل : « سَوْةٌ فُلَانٍ » ، صوابه فى ل ، واللسان (سَوْأ ٩١) .

(٣) هو الملوط السعدى القرينى ، كما فى عيون الأخبار (٣ : ١٨٩) . وقريع ، من

بنى كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . الاشتقاق ١٥٥ ، ١٥٠ . وقد صرح به ابن جنى فى
التنبيه حيث قال : « قال الملوط بن بدل القرينى : إِذَا الْمَرْءُ أَعْيَبَتْهُ » فأُشْدَ البيت الثالث .

(٤) ابن جنى : « أَعْيَبَتْهُ السَّيَادَةُ » .

٤ - وكائن رأينا من غني مذمم وضعوك قوم مات وهو حميد قوله « إذا المرء أعيتته » بعث وتحضيض على النهوض في طلب المال في ابتداء النشء ، وحين كان في القوة فضلة ، وفي العمر مهلة ، حتى تتلاقى أوائل عمره وأواخره في طلب الرياسة ، وإقامة المروءة ، وأنه إن دافع بما عليه في ذلك وماطل انتظاراً لأحوال تجتمع [له ^(١)] فاكتهل ولما تساعده تلك الأحوال فإنه يتعذر عليه طلبها ، ويشتد عليه إدراكها . وانتصب « ناشئاً » على الحال ، والعامل فيه أعيتته . ويقال : فتى ناشئ ، أى شاب . قال الخليل : ولا يوصف به الجارية . والناشئة : أول الوقت ^(٢) ، من هذا . وينتصب « كنهلاً » على الحال أيضاً ، والعامل فيه مطلبها ، لأن المعنى مطلبها لها وهو كهل ، فالمصدر مضاف إلى المفعول ، أو مطلبها لها إذا كان كنهلاً ، ومثله : هذا تمرأ أطيب منه بسرًا .

وقوله « وكائن رأينا » كائن بمعنى كم . وكأنه أخذ يفضل الفقر إذا جرى صاحبه في محمود الطرائق من التجمل ، والاكتفاء والتعفف ، على الغنى وصاحبه يبظّر ، ويطنى ويأشر ، ثم لا يؤدي حق النعمة عليه ، فقال : كم من غني ساعدته الدنيا والأقدار ، ثم أصبح مذمماً حين لم يلتزم شروط محمود الغنى ، وكم من فقير قوم لما جرى في ميدان العفاف والتجمل ، والرضا بماله والتشكر ، مات وهو حميد الطريقة ، رضى السريرة . والصعلوك : الفقير . ويقال : صعلكته ، أى ذهب بماله كله .

(١) التكملة من ل .

(٢) أى في نحو قوله تعالى : « إن ناشئة الليل » .

٤١٦

وقال بعضهم^(١) :

١- وَأَضَعْتَ أُمُورَ النَّاسِ يَغْشَيْنَ عَالِمًا بِمَا يُبْتَقَى مِنْهَا وَمَا يُتَعَمَّدُ

٢- جَدِيرٌ بِأَلَّا اسْتَكِينَ وَلَا أَرَى إِذَا الْأَمْرُ وَلَّى مُدْبِرًا أَتَبَلَّدُ

قوله « يَغْشَيْنَ عَالِمًا » أى يغشين منى عالماً ، لأن العالم هو هو ، فحذف منى .

والمعنى : أننى باشرت الأمور العظيمة ، ولا بست الخطوب الجليلة ، فصرت بطول

تجربتي ، واتصال ممارستي ، عالماً من أمور الناس إذا وردت أخبارها^(٢) على

بما يتحامى منها ويحذر ، وما يتمنى منها فيطلب . فلا جرم أننى خليقٌ بالآ

أضرع عند نوائب الدهر ولا أخضع ، ولا أرى إذا فاتنى أمره أتحمسُ فى إثره

وقد ولّى ، وأضربُ بِلَدَةٍ إحدى كُنَى بِالْأُخْرَى^(٣) ، توجعاً وتلهفاً ، إذ كنتُ

واثقاً بأن الأمور يملكها التغير ، وأن الفائت يُتلافى ، فلا يدومُ شئٌ على حالٍ

إلا ريث ما يتسلط عليه انتقال .

وقال الدُرَيْدِيُّ : تَبَلَّدَ الرَّجُلُ ، إِذَا تَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ فَأَقْبَلَ يَضْرِبُ بَلَدَةَ نَحْرِهِ

بِيَدِهِ . وَبَلَدَةُ النَّحْرِ : الشُّعْرَةُ وَمَا حَوْلَ إِلَيْهَا . وَقَالَ الْخَلِيلُ : التَّبَلُّدُ : نَقِيضُ التَّجَلُّدِ

وهو استكانةٌ وخُضُوعٌ . وَبَلَدُ الرَّجُلِ ، إِذَا انْكَسَرَ^(٤) فِي الْعَمَلِ وَضَعُفَ .

(١) التبريزى : « وقال آخر » .

(٢) ل : « أخبارهم » .

(٣) البلدة ، بالفتح : راحة الكف .

(٤) كذا فى ل ، وفى الأصل : « إذا انكسر » .

٤١٧

وقال آخر :

- ١ - وإنك لا تدري إذا جاء سائلٌ أنتَ بما تُعطيه أم هو أسعد
٢ - عسى سائلٌ ذو حاجةٍ إن منعتهُ من اليوم سؤلاً أن يكون له غدٌ
٣ - وفي كثرة الأيدي لذي الجهل زاجرٌ وللحلم أبقي للرجال وأغودُ
هذه الأبيات تشبه قول الآخر :

وأكرم كريماً إن أنك لحاجةٍ لعاقبةٍ إن العضاة ترّوح^(٢)
وقول الآخر^(٣) :

لا تهينَ الفقيرَ علّاك أن ترّكحَ يوماً والدّهرُ قد رَفَعَهُ
وقوله «أنتَ بما تُعطيه أم هو أسعدُ» تقديره أنتَ أسعدُ بما تُعطيه أم هو .
وأم هذه هي المتصلة المعادلة لألف الاستفهام ، فانعطف هو به على أنت . وقد
يجيء الخبرُ في مثله مكرّراً ، كقول الشاعر^(٣) :

باتَ يقاسي أمرُهُ أمبرمُهُ أعصمهُ أم السّحيلُ أعصمهُ

فيكون التّكرار فيه على طريق التّأكيد . ويجرى « بين » هذا المجرى
في نحو قولهم : بينَ زيدٍ وبينَ عمروٍ خلافٌ ، ولو لم يكرّرْ بينَ لكان الوجه .
والشاعر يقول : إذا زارك سائلٌ فتوقّرْ عليه ، وليّنْ قولك وجانبك له ، فإنك
لا تعلم أنتَ أسعدُ بما يناله منك أم هو ، واعلم أن المحتاجَ إليك إن منعتهُ سؤلهُ
وطلبتَهُ فهو حقيقٌ بأن ينال ما منعتهُ في غده . وقوله « أن يكون له غدٌ » في

(١) تروح النبت والشجر : طال . اللسان (٣ : ٢٩٤) .

(٢) هو الأضبط بن قريع السعدي . البيان (٣ : ٣٤١) والمعرين ٨ ومجالس نعلب
٤٨٠ والأمال (١ : ١٠٧) والأغاني (١٦ : ١٥٤) وحاسة ابن الشجري ١٣٧ والخزاة

(٤ : ٥٨٩) والثلث السائر (١ : ٢٦٠) .

(٣) هو الراجز المعجّاج . ديوانه ٦٤ .

موضع خبر عسى ، والضمير من له يعود إلى السائل ، والمعنى : عساه إن منفعته
سؤله من يوم كان عليه ، أن يكون غد ذلك اليوم له ، ولهذا قال الله عز وجل :
﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ ، فغدا يرتفع بيبكون ، وله في
موضع الخبر .

وقوله « وفي كثرة الأيدي لذي الجهل زاجر » يريد استيق إخوانك
وذويك ، واعلم أن في التكاثر بهم مزجرة للجاهل ، ولتعاون أيديهم مدفعة
لأذى الغلب الخامل . ومع ذلك فالحلم أبقى شأنا وأمرًا للرجال ، وأرد عليهم
وأنتفع لهم . وهذه الوصاة اشتملت على أمرين : أحدهما اكتساب مودات
الإخوان لكي يكونوا إذا احتيج إليهم عونًا . والثاني استعمال الحلم مع الأعداء ،
والجرى معهم على حد لا يخرجهم إلى المكاشفة ، ولا يحوجهم إلى خرق الهيئة .
وقوله « من اليوم سولا » ، يقال : أُعطي فلان سؤله ، فيهمز ولا يهمز .

٤١٨

وقال آخر :

- ١ - إِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعْتَ مَدَاخِلَهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ^(١)
 - ٢ - فَا حَسَنٌ أَنْ يَعْذِرَ الْمَرْءَ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَازِرٌ
- انتصب « والأمر » بفعل مضمَر . وإِيَّاكَ ناب عن أحذرك ، فكانه
قال : أحذرك أن تُلَاحِظَ الأمر الذي إن توسعت مداخله ضاقت عليك
مخارجهُ . والمعنى : تأمل كل ما تُلابسه ، واعرف أواخره وإن اشتبهت ،
كما تعرف أوائله وإن تبينت ، لأنه يقبُح بالمرء أن يكون فيما يفتحمه عند
نفسه معذوراً ، وعند الناس مَلُومًا .

(١) التبريزي : « إن توسعت موارد » .

وقوله « فإحسن أن يعذر المرء نفسه » في إعراب « أن يعذر » وجوه : أحدها أن يرتفع بالابتداء وخبره متقدم عليه ، وهو حسن ، لأن ما النافية إذا قدم خبره على اسمه يبطل عمله . ويجوز أن يكون موضعه رفعاً بفعله وفعله حسن ، ويرتفع حسن بالابتداء ، ويستغنى بفاعله عن خبره ، وجاز الابتداء بحسن وإن كان نكرة لاعتماده على حرف النفي . والمعنى : ما يحسن عذر المرء نفسه فيما يتولاه وليس له من الناس عذر . ويجوز أن يرتفع « أن يعذر » بأنه خبر المبتدأ الذي هو حسن ، وهذا أضعف الوجوه . ويروى : « إن توسعت مواردك ضاقت عليك المصادر » . وقوله « من سائر الناس » أى من باقى الناس ، وهو من الشؤر . ومن وضعه موضع الجميع فقد أخطأ .

٤١٩

وقال العباس بن مرداس^(١) :

- ١ - تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ مَزِيرٌ^(٢)
٢ - وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ فَيُخَلِّفُ ظَنَّاكَ الرَّجُلَ الطَّرِيرُ
ينبّه بهذا الكلام على أن الرجال ليسوا بجزير يُطلب عظمها ويسمونها ، لأن المرء بأصغريه : قلبه ولسانه . فيقول : تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ الْمَهْزُولَ الدَّقِيقَ ، فتستحققره لضوئولته ، وإذا قششت عنه واستشففت ما وراء ظاهره وجدته أسداً مزيراً . والمزير هو الجلد الخفيف النافذ في الأمور . ويروى : « يزير » وليس بجيد من طريق المعنى ، فكان أصله يزير فنقلت الحركة إلى الزاء وأبدل من الهمزة ياء ، كما يقال المرأة والكماة ، في المرأة والكماة . وإنما ضعف من طريق

(١) سبقت ترجمته في الخامسة ١٤٩ ص ٤٣٣ . قال التبريزى : « وقال أبو رياش : هذا الشعر لمعاوية بن مالك معود الحكماء السكاني » .

(٢) التبريزى : « ويروى : مزير ، أى قوى القلب شديده » .

المعنى لأن تشبيهه إياه بالأسد لا فائدة لذكر الزئير معه ، إذ لا تدوم حاله على ذلك .
 ووجهه على ضعفه أن يكون مَوْرِدُ « يَزْرُرُ » تأكيذاً للتشبيه ، كما يُستعارُ
 صفةُ المشبه به للمشبه وإن كان حصوله لو حصلَ ذمًّا فيه ، تأكيذاً للتشبيه .
 على ذلك قوله :

* أزلُّ إن قيدَ وإن قَادَ نَصَبَ *

والزَّلُّ من صفة الذئب . ومثله قول الآخر ^(١) :

* صَكَاءٌ ذُعْلَبَةٌ إذا استدبرتَها ^(٢) *

والصَّكُّ من صفة النعام .

وقوله « فيُعجبك الطَّير » ، فالطير : الشابُّ الناعم ذو الكِدْنة . فيقول :
 ويتفق في الرجال من يُعجبك خِلقته ، فإذا بلوته وامتنحت أخلاقه وجدته
 لا يصدق ظنك فيه ، بل يُخلف ويُخالف في كل ما تعتمد عليه ، أو تكله إليه .

٣ - فما عَظُمُ الرِّجَالِ لَهم بِفَخْرٍ ولكن فَخَرُهُمُ كَرَمٌ وَخَيْرُ

٤ - ضِعَافُ الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا جُسُومًا ولم تَطُلِ البُرَاةُ ولا الصُّقُورُ

٥ - بَغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحًا وَأُمُّ الصَّقْرِ مَقْلَاتُ نَزُورٍ ^(٣)

صَرَّحَ عن الغرض المقصود فيما تقدَّم فقال : إنما يُحمَد من المرء كرمه وفضله ،

وكثرة محاسنه وخيره ، وكلُّ ذلك يرجعُ إلى الأخلاق لا إلى الخلق ، فلا

اعتبار بالعِظَم ، ولا فخرٌ في البَسْطَةِ إذا حصَلت في الجسم خاصَّةً من دون العلم .

ثم أخذ يمثِّل فقال : ترى الطير ضعافها كالكرأكي وطُيور الماء أطولها

جُسُومًا ، وأمدُّها أعناقًا وسُوقًا ، ثم كرائمها كالبراة والصُّقُور ، وهي تصيد

(١) هو المسيب بن علس . المفضلية ١١ .

(٢) عجزه : * خرج إذا استقبلتها هلواع *

(٣) نسب هذا البيت في اللسان (قلت) إلى كثير عزة . والبغاث بتثنية الباء .

ما وزنه يتضاعف على وزنها ، وما طولُه وعرضُه يتزايدُ على طولها وعرضها ، ثم بغائها وهي صغارها ومصطادها أكثر فراخاً وأوسع نسلًا ، وأُمُّ الصقر قليلة الفراخِ مِقاتٌ لا يَبْقَى لها أيضاً ما تُفَرِّخُه . وانتصب « جُسوماً » و « فراخاً » على التمييز . والمِقاتُ : مِفعال من القَلَّتْ ، وهو الهلاك . والنزور : القليلة الأولاد ، من النَزَرَ ، وهو القليل .

٦ — لقد عَظُمَ البعيرُ بغير لُبٍّ فلم يَسْتَفِنِ بالعِظَمِ البعيرُ

٧ — يُصَرِّفُه الصبى لكلِّ وجهٍ ويَحْسِفُه على الخَسَفِ الجَريرُ^(١)

٨ — وتَضْرِبُه الوليدةُ بالهَرَاوَى فلا غَيْرَ لَدَيْهِ ولا نَكِيرُ

لما ضَرَبَ المثلَ بذوات الأجنحة والماشية على رجلين ، عادَ يذكر من ذوات الأربع مثلَ ذلك فقال : ترى البعير مع عِظَمه وقُوته ، وصبره على النهوض بالأعباء الثقيلة ، والأحمال العظيمة ، لما لمَ يَصْحَبْ عِظَمه اللَّبُّ ، وقُوته التمييز ، لم يَسْتَفِنِ بما أُعْطِيَ من ذلك ، بل تراه مسخراً لأنْ يَدِيرَه الصبى على وجهٍ من وجوه التذليل ، ويَحْبِسَه زِمَامُه على كل خَسَفٍ وهَضْمٍ ، حتى أن الوليدة تَضْرِبُه أوجَعَ الضرب ، فلا إنكارَ منه ولا ذهابَ عنه ، ولا تغييرَ إليه ولا نَكِيرَ لَدَيْهِ .

وقوله « الهَرَاوَى » جمع هَرَاوَةٍ ، ووزنه فعائل هَرَأَى ، لأنَّ فَعِيلَةً وفِعَالَةً يشتركان في هذا البناء من التكرير ، تقول : صحيفَةٌ وصحائف ، ورسالة ورسائل ، إلا أنهم فرَّوا من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة ، فصار هَرَاءُ ، فاجتمع همزة وألفان فكأنه قد اجتمع ثلاثُ أَلِفَاتٍ أو ثلاثُ هَمَزَاتٍ ، فأبدلوا من الهمزة واوًا فصار هَرَاوَى . فإن قيل : هَلَّا أبدَلْتَ منه الياء ، كما فعلته في مطايا وما أشبهها ؟

(١) التبريزي : « بكل وجه » .

قلت: أرادوا أن يَظْهَر في الجمع الواو كما ظهر في الواحد ليتميَّز بنات الياء عن بنات الواو.

٩ — فَإِنْ أَلَكُ فِي شِرَارِكُمْ قَلِيلًا فَإِنِّي فِي خِيَارِكُمْ كَثِيرٌ

يقول: إن كثرت شراركم وأراذلكم، لوفور عدديهم وكوني واحداً فيهم، فإنني أكثر خياركم وأغلبهم لقلتهم وكثرتي، وذلك أني أنوب عن جماعة إذا عدت الأخير. ويجوز أن يريد أنه لا خيار لكم، فأنا وإن كنت واحداً من حيث العدد، كثير إذا طلب الخيار منكم، إذ لم يكن لكم خيار. وقد مضى القول في غير موضع في حذف النون من لم ألك وإن ألك.

٤٢٠

وقال بعضهم:

١ — أَعَاذِلُ مَا عَمَرِي وَهَلْ لِي وَقْدَآتَتْ لِدَاتِي عَلَى خَمْسٍ وَسِتِّينَ مِنْ عُمُرِي

٢ — رَأَيْتُ أَهْلَ الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ خَافِضًا أَخَا سَفَرٍ يُسَرِّي بِهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي

٣ — مُقِيمِينَ فِي دَارِ نَرْوَحُ وَنَفَقْدِي بِلَا أَهْبَةِ الثَّأْوِي الْمَقِيمِ وَلَا السَّفَرِ

قوله « ما عمرى » استفهام على طريق التَّحْقِيرِ والاستقلال، فكان العاذلة

كانت عتبت عليه في تبذير وإنفاق، وخوفته العواقب وما تؤدى إليه باتفاق،

فأخذ ينجيها ويقول: يا عاذلة، أي شيء عمرى، وكيف يدوم بقاى حتى أخوف

بالفقر، وهل لي عمر وأقرانى يعدون خمسا وستين سنة. ثم أخذ يذم الحرص

على الدنيا وأعراضها، ويقص ما تستوى فيه أقدام الخلائق من إرصاد الفناء لها

فقال: رأيت صاحب الدنيا وإن كان متودعا مقما، كالمسافر يسار به وهو لا يعلم

وذلك لأن له أجلا يساق إليه، ومُنْتَهَى من العمر يحال عليه، فالأيام تأخذ

منه ، وتنقص من عمره ، فهو كالمسافر وقد انتوى نيةً فما يقطعه من المسافة يُقربُه من مقصده ، ويُعجلُ وصوله إلى أمدِه .

وقوله « مقيمين في دارٍ » انتصب على الحال من قوله « أخا الدنيا » ، لأنه أراد به الكثرة ، فهو كأسماء الأجناس . وقال : « نروح ونفتدي » لأنه من إخوان الدنيا ، فأدخل نفسه فيهم . وقوله « بلا أُمِّيةِ الثاوي المقيم ولا سفرٍ » يريد : لا نأمل البقاء في هذه الدنيا ، ولا نأمن الفناء ، فلسنا كالثاوي فتأهبَّ أهْبته ، ولا كالمسافر فتعدَّ عُدته . وأراد بالثاوي المقيم الكثرة لا الواحد . وقد تقدَّم القول في حقيقة العُمُر ^(١) .

٤٢١

وقال بعضهم ^(٢) :

- ١ — لا تعترض في الأمر تُكفي شؤونه ولا تنصحن إلا لمن هو قابله
٢ — ولا تحذل المولى إذا ما مُمِّمة أَلَمْتُ ونازل في الوغى من ينارله ^(٣)

يوصي مخاطبه بأن يعرض عن الأمر الذي لا يعنيه ، ويترك الاعتراض فيه ، وألاً يتنصَّح إلا لمن يرجو قبول ^(٤) النصيحة منه ، وبألاً يحذل ابن عمه إذا

(١) كذا وردت هذه العبارة في هذا الموضع ، وحققا أن تكون تعليقا على البيت الأول لا الأخير .

(٢) هو عبيد بن أيوب العنبري ، كما في مجموعة المعاني ١٤ . وعبيد بن أيوب : أحد بني العنبر بن عمرو بن نعيم ، وكان جني جنابة فطلبه السلطان وأباح دمه ، فهرب في مجاهل الأرض وأبعد ، لشدة الخوف . وكان يجر في شعره أنه يرافقه الغول والسعلاة ، وبيات الذئب والأفاعي ، وبأ كل مع الفباء والوحش . الشعر والشعراء ٧٥٨ واللائ ٣٨٣ .
(٣) بعده عند التبريزي ومجموعة المعاني :

ولا تحرم المولى الكريم فإنه أخوك ولا تدري لعلك سائله

(٤) في الأصل : « تبرك » ، سوابه في م .

نزلت به نازلة ، بل يُنْزَلُ مَنْ يَنْزِلُهُ ، ويناولي مَنْ يَنْوُلُهُ . وهذا على طريقته
في قولهم : « انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا » . وأصل الوَعْي هو الْجَلْبَةُ والصَّوْت .
وقوله « في الأمر تُكْفَى شؤونه » يريد تُكْفَى أسبابه وجوانبه . والضمير من
« قَابِلُهُ » لما دلَّ عليه قوله لا تَنْصَحَنْ ، وهو النصيح .

٤٢٢

وقال منظور بن سحيم^(١) :

- ١ — وَلَسْتُ بِهَاجٍ فِي الْقَرْيَةِ أَهْلَ مَنْزِلٍ عَلَى زَادِهِمْ أَبْكِي وَأَبْكِي الْبَوَاكِيَا
- ٢ — فَإِمَّا كِرَامٌ مُوسِرُونَ أَتَيْتُهُمْ فَحَسْبِي مَنْ ذِي عِنْدِهِمْ مَا كَفَانِيَا^(٢)
- ٣ — وَإِمَّا كِرَامٌ مُعْسِرُونَ عَذَرْتُهُمْ وَإِمَّا لِيْلَامٌ فَادَّكْرْتُ حَيَاتِيَا

يصف نفسه بالتعفف عن المطامع الدنيئة ، والمطامع الدنيئة ، فيقول : لا أهجو
بسبب القرى ، وهو ما يُقَدَّم إلى الضيف ، ولا أشكو أهل دار فأبكي على
ما يفوتني من زادهم وأبكي غيري معي . وقوله « أبكي وأبكي البواكيا » لا بُكَاءَ
ثم ، وإنما أراد تفضيع التأشف . فيريد : لا آسف لما أرى من الحرمان آسف
من يبكي ويبكي غيره تهالكاً على مال غيره ، وتوجعاً لشدة نهيمته .

وقوله « فَإِمَّا كِرَامٌ » فصل بين حرف الجزاء والفعل بقوله كرام ، فارتفع
بفعل مضمَر دَلَّ عليه الفعل الذي بعده ، كأنه قال : فَإِمَّا يُقْصَدُ كِرَامٌ مُوسِرُونَ
أَتَيْتُهُمْ . وقوله « فَحَسْبِي » في موضع الابتداء ، و « ما كفاني » في موضع الخبر ،

(١) منظور بن سحيم القعسي الكوفي ، إسلامي ، ذكره للرزباني في معجمه
٣٧٤ — ٣٧٥ . وفي الإصابة ٨٤٦٣ : « منظور بن سحيم بن نوفل بن نضلة بن الأشتر
ابن جحوان بن قعس الأسدي القعسي ، ذكره الرزباني في معجم الشعراء ، وقال إنه مخضرم » .
(٢) التبريزي والمرزباني : « من ذو عندهم » .

والقاء مع ما بعده جواب الشرط . وقوله « مِنْ ذِي عِنْدِهِمْ » أراد من عندهم .
والعرب تقول : هذا ذو زيد ، يريدون : هذا زيد . وهذا من إضافة المسمى إلى
الاسم . قال الكميت :

* إِلَيْكُمْ ذَوِي آلِ النَّبِيِّ تَطَلَّعْتُ ^(١) *

يريد : يا أصحاب ذا الاسم . وقال الأعشى :

فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ ذُو آلِ حَسَّانَ يَزُجِي الْمَوْتَ وَالشَّرَّعَا
أَيُّ الْعَسْكَرِ الَّذِي يَقَالُ لَهُ آلُ حَسَّانَ .

ويروى : « مِنْ ذُو عِنْدِهِمْ » ويكون ذو بمعنى الذي ، وعندهم في صلتهم ،
وذو هذه طائفة . والمعنى : لا يخلو من أقصده وأنزل به من وجوه : إِمَّا أَنْ
يَكُونُوا قَوْمًا يَرْجِعُونَ إِلَى كَرَمٍ وَيَسَارٍ ، فَيَتَوَفَّرُونَ عَلَى حَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ كَرَمُهُمْ
وَأُكْتَفِيَ مِنَ الَّذِي عَنْدهُمْ لِي بِمَا يَكْفِيهِ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا كِرَامًا مُضِيقِينَ ^(٢)
أَثَرُ الدَّهْرِ فِيهِمْ ، فَأَعْذَرَهُمْ لِإِضَاقَتِهِمْ ، وَعَلَى بِحَالِهِمْ . فقوله « وَإِمَّا كِرَامٌ مُعْسِرُونَ »
بيانه : وَإِمَّا قَصِدَ كِرَامٍ مُضِيقُونَ عَذْرَتَهُمْ فِي تَقْصِيرِهِمْ . وَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا قَوْمًا
لثَامًا فِي أَخْلَاقِهِمْ ذَنَاءَةً ، وَفِي أَعْرَاقِهِمْ نَذَالَةً ، فَتَذَكَّرْتُ حِيَايَ وَصِيَانَتِي لِنَفْسِي ،
فَلَمْ أَبْذُلْ لَهُمْ وَجْهِي ، وَلَمْ أَبْذُلْ بَتَقَاضِيهِمْ وَمُطَالَبَتِهِمْ جَاهِي .

٤ — وَعِرْضِي أَبْقَى مَا ادَّخَرْتُ ذَخِيرَةً وَبَطْنِي أَطْوَاهِ كَطَيِّ رِدَائِيَا

قوله « أَبْقَى مَا ادَّخَرْتُ » ما في موضع الجر ، كأنه قال : عِرْضِي أَبْقَى شَيْءٌ
أَدَّخَرَهُ ذَخِيرَةً ، أَيْ اكْتَسَبَهُ ذَخِيرَةً . فعلى هذا ينتصب « ذَخِيرَةً » على الحال

(١) مجزؤه كما في الهاشميات ٣٩ :

* نَوَازِعُ مِنْ قَلْبِي ظَمَاءٌ وَأَلْبَبُ *

(٢) مضيقين ، بالقاف من الإضافة وهي السر . وفي الأصل : « مضيقين » بالقاف

سواها في ل .

المؤكدة لما قبله . وادّخر : افتعل من الذخر لكنه أبدل من التاء دالاً فأدغم الدال فيه ، فلك أن تقول ادّخر ولك أن تقول ادّخر .

وهذا الكلام بيان ما يأخذ به نفسه من الصيانة والقناعة ، وسؤلوك طرائق الانقباض عما يشين ولا يزين من الانبساط إلى اللثام . فكأنه قال : أبقي على عرضي ، لأنه أعزُّ الذخائر لي ، وأطوي بطني عن المال كل المردية كما أطوى ردائي ، إذ كان التزهّد فيما يخزي أولى عندي .

٤٢٣

وقال سالم بن وابصة^(١) :

- ١ — وَنَيْرَبٍ مِنْ مَوَالِي السَّوِّ ذِي حَسَدٍ يَقْتَاتُ لَحْمِي وَمَا يَشْفِيهِ مِنْ قَرَمٍ
٢ — دَاوَيْتُ صَدْرًا طَوِيلًا غَمْرُهُ حَقْدًا مِنْهُ وَقَلَّتْ أَظْفَارًا بِلَا جَلَمٍ

النَّيرِب : النيمة والعداوة . وقوله « وَنَيْرَبٍ » أراد وذى نيرب ، والمصدر وما يجري مجراه إذا وُصِفَ به إمّا أن يكون على حذف المضاف ، وإما أن يجعل الموصوف نفس الحدث لكثرة وقوعه منه . فيقول : رَبَّ ذِي نَيْرِبٍ حَسَوِدٍ مِنْ مَوَالِي السَّوِّ ، يَغْتَابُنِي بِظَهْرِ الْغَيْبِ ، وَيَأْكُلُ لَحْمِي وَلَا يَشْفِيهِ ذَلِكَ مِنْ قَرَمٍ . والقَرَم : شهوة اللحم . والمعنى أنه لا يكفيه ما يتناول منى وإن كان لا يألو جهداً في تلبّي . وجواب رَبَّ قوله « دَاوَيْتُ » من البيت الثاني . ويقتات : يفتعل من القوت ، وهو فعل المطاوعة . ويقال : قَاتَهُ كَذَا فاقْتَاتَهُ .

ومعنى « دَاوَيْتُ صَدْرًا طَوِيلًا غَمْرُهُ » أى صابرتُهُ على مُدَاجَاتِهِ وانطوائِهِ على حَقْدِي ، فدَفَعْتُ شَرَّهُ عَنْ نَفْسِي بِطُولِ مَدَاوَاتِي ، وَقَلَّتْ حَدَّةُ بَتْرُكِ

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٢٤٤ ص ٧١٠ .

مكاشفته حتى لم يجد إلى إثارة كامن غميره طريقاً ، فاحتاج إلى الإمساك عن أذاتى ، لدوام تمسكى بجمالته شاء أو أبى . وقوله حَقْدًا هو اسم الفاعل من حَقَدَ ، وهو لغةٌ في حَقَدَ . يقال حَقَدَ يَحْقِدُ فهو حَقُودٌ ، وَحَقَدَ يَحْقُدُ فهو حَقْدٌ .

٣ - بِالْحَزْمِ وَالْخَيْرِ أَسَدِيهِ وَالْجَمِّهِ تَقْوَى الْإِلَهِ وَمَا لَمْ يَرْعَ مِنْ رَحِمِي ^(١)
٤ - فَأَصْبَحَتْ قَوْسُهُ دُونِي مُوْتَرَةً يَرْمِي عَدُوِّي جِهَارًا غَيْرَ مُكْتَتِمٍ
الباء من قوله « بالحزم » تعلق بقلمتُ أو داويتُ من البيت المتقدم .

وَالْخَيْرُ : الْكَرَمُ ، وَقِيلَ : هُوَ الْهَيْئَةُ وَالطَّبِيعَةُ ، يُقَالُ : هُوَ كَرِيمٌ وَالْخَيْرُ جَمِيعًا . وقوله « أَسَدِيهِ وَالْجَمِّهِ » خبرانِ لَفَّ أحدهما بالآخر . فقوله « تَقْوَى الْإِلَهِ » يرجع إلى أسديه ، و « مَا لَمْ يَرْعَ مِنْ رَحِمِي » رجع إلى الْجَمِّهِ . والمعنى : داويتُ صدره أى مكنون صدره ، وَقَلَمْتُ ظَفْرَهُ باستعمال الحزم وَالْخَيْرِ معه ، ثم جعلتُ تقوى الله تعالى سَدَى ما بينى وبينه ، وَالْجَمُّهُ رَعَايَةً ماضيةً من الرِّحْمِ ، فلا جَرَمَ أنه كفَّ من شأوَ شرِّه ، وَغَرَبَ عداوته ، وَأَقْبَلَ فى الظاهر يُعَادَى من يُعَادِينِي ، فَقَوْسُهُ الْآنَ مُوْتَرَةٌ دُونِي يرمى منها أعدائى بأَسْهُمِ النَّصْرَةِ ، مجاهرةً لا مكاتمةً .

٥ - إِنْ مِنْ الْخِلْمِ ذُلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْخِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكَرَمِ
نبّه بهذا الكلام على أن تحلّمهُ عن أدانيه كان عن قُدْرَةٍ لا عن عجز ونقيصة ، ولو شاء لا تنقمَ منهم ، وأنه لم يُكْسِبْهُ إمساكه عن مجاذبتهم ذُلًّا ، ولو كان يُفْضِي به الحالُ إلى ذلك لما فعلَ ، فتحلّمهُ كَرَمًا ، وإيقاؤه على ما يجتمع به وإيّاهم من قُرْبَى وقِرابَةٍ تُقَى وتَفْضَلُ . وقوله « فَضْلٌ مِنَ الْكَرَمِ » يريد أنه نوعٌ من الفضل يُعَدُّ فى خصال الكَرَمِ . ومثل هذا قول الآخر :

(١) التبريزى : « من رحم » .

جَهُولٌ إِذَا أَرَزَى التَّحَلُّمُ بِالْفَتَى حَلِيمٌ إِذَا أَرَزَى بَذَى الْحَسْبِ الْجَهْلُ

٤٢٤

وقال بعضهم :

وَأَعْرِضْ عَنْ مَطَاعِمٍ قَدْ أَرَاهَا فَاتَرُكُهَا وَفِي بَطْنِي انْطَوَاهُ
فَلَا وَأَيِّكَ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاةُ^(١)

يمثل هذا قول الآخر :

وَلَقَدْ أُبَيِّتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظْلُهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَطْعَمِ^(٢)

قوله « وَأَظْلُهُ » يريد أظْلُ عليه ، فحذف حرف الجر ، كما قال :

* لَوْلَا الْأَسَى لَقَضَانِي^(٣) *

أى لقضى على .

٤٢٥

وقال نافع بن سعد الطائي :

١ - أَلَمْ تَعْلَمِ أَنِّي إِذَا النَّفْسُ أَشْرَفَتْ عَلَى طَمَعٍ لَمْ أَنْسَ أَنْ أَتَكَرَّمَا

٢ - وَلَسْتُ بُلُؤَامٍ عَلَى الْأَمْرِ بَعْدَ مَا يَفُوتُ وَلَكِنْ عَلَّ أَنْ أَتَقَدَّمَا

(١) بعده عند التبريزي :

يَعْدِشُ الْمَرْءَ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللَّحَاءُ

(٢) المعروف في الرواية : « كَرِيمَ الْمَأْكَلِ » وهذه الرواية المعروفة في بيت عنزة ، في اللسان (ظلل) وديوان عنزة ١١٩ . وانظر مقاييس اللغة (٣ : ٤٣٠) .

(٣) البيت لأعرابي من بني كلاب ، كما في الكامل ٢١ ليسك واللسان (غرض ، قضى) . وصدرة :

* تَحْنُ فِتْبَدِي مَا بِهَا مِنْ صِبَاةٍ *

يقول : أما علمت من أخلاق الكف عن كثير من المبالغى الجالبة لقالة الناس وتصرفهم في الحكم عليه وله ، وأنتى إذا أمكنت الفوز بالمطامع القريبة والمآكل الهنيئة ، فأشرفت منها على تحصيلها لم أنس أخذ النفس بالنظر فيها ، واستعمال الكرم في ترك ما يجمع على عارا منها . وقوله « على طمع » أى على مطموع فيه ، ومنه قيل لأرزاق الجند : أطماهم .

وقوله « ولست بلوأم » يقول : إذا فانتى أسر لا أرجع على نفسى باللوم الكثير تحسرا في إثم ، لكننى حقيق أن أتقدم في تحصيله قبل فواته إن كان مما يهيم . وقوله « ولكن عل » هو أصل لعل ، وهو حرف موضوع للطمع والإشفاق ، واسمه مضمرك أنه قال ولكن لعلنى أن أتقدم . وهو يحىء بأن وبغير أن ، فإذا كان معه أن أفاد فائدة عسى ، وإذا جاء بغير أن كان الفعل أقرب وقوعا ، لأن أن للاستقبال ، ولعل وإن كان حرفا يعد مع أفعال المقاربة وهى عسى وكاد . ولوأم بناء المبالغة ، وليس بمبني على لوأم لأن المبني عليه هو مؤوم .

٤٢٦

وقال بعض بنى أسد^(١) :

- ١ - إننى لأستغنى فما أبطر الغنى وأعرض ميسورى على مئبغى قرضى
- ٢ - وأعير أحيانا فتشقد عسرتى فأدرك ميسور الغنى ومعى عرضى
- ٣ - وما نالها حتى تجلت وأسفرت أخو ثقة منى بقرضى ولا قرضى^(٢)

(١) هو الحكم بن عبدل الأسدي ، كما في أمالى القالى (٢ : ٢٦٠) ، وقال : « اجتمع الشعراء بباب الحاج وفيهم الحكم بن عبدل الأسدي ، فقالوا : أصلى الله الأمير ، إنما شعر هذا فى القار وما أشبهه . قال : ما يقول هؤلاء يا ابن عبدل ؟ قال : اسمع أيها الأمير . قال : هات . فأنشده . وروى هذه القصيدة .

(٢) روى بعده التبريزى :

وأبدل معروفى وتصفو خليقتى إذا كدرت أخلاق كل فتى محض

يعدّد في هذه الأبيات عاداته في حالتي الغنى والفقر، فقال: إِنِّي أَنَالُ الْغِنَى
فَلَا يَكْسِبُنِي أَشْرًا وَلَا بَطَرًا، لكنني أشكر الواهبَ وأبقى على حالتي الأولى،
بل ^(١) يقرّبني ما أناله من المتّصلين بي، والمنضمّين إليّ بسبب من الأسباب،
فأعرض ما يتيسر لي على طُلّابِ قرضي، وأشرك من يمتُّ إليّ في الخير المتّاح.
وقد يتمتّب الإيسارَ إيسارًا في الوقت بعد الوقت، فأصبرُ وإن اشتدَّ عُسري،
وأُسبِلُ على نفسي جَنَاحَ ^(٢) تحملي وتعفّي حتى أدرك ميسورَ الغنى ونفسي
معي، لم أبتذلها ولم أدنسها بتعريض أو تصرّيح لمُفْضِلٍ أطلبُ بهما عنده مَطْمَعا،
وأجتلب مرغبًا.

وقوله: «وما نالها» يريد وما نال تلك العُسرة أخ لي يُوثّق بوده لا بعارية
ولا بعطيّة، إلى أن انكشفت وفارقت.

وقوله «أبطرُ الغنى» معناه أبطرُ في الغنى حتّى أذهبَ عن سَنَنِ الشُّكر
فأتجاوزَه وأخلفَه ورأى، غَطَطًا لِلنَّعْمَةِ، أو جهلاً بِحَقِّ الصَّنِيعَةِ. وقال الله تعالى:
﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾. وقوله: «أعرضُ ميسوري»
وضعه بلفظ المفعول للمصدر، يريد اليُسْر. ومثله ماله معقول. وضده حُجْل عليه
وهو العُسْر، فقيل معسور. وإنما قال «ومعي عرضي» لأنّه إذا صانَه عن القَبَائِحِ
ولم يسلطْ عليه من يملكه بهيبة أو صلة، فكأنّه معه لم يفارقه. ولو أجراه على
غير هذا لكان مفارقة له، وداخلًا في ملكه غيره.

٤ - وَلَكِنَّهُ سَبَبُ الْإِلَهِ وَرِخْلِي وَشَدَى حَيَازِيمِ الْمَطِيَّةِ بِالْفَرَضِ
الهاء من قوله «ولكنّه» يعود إلى ميسور الغنى. واستدرك النفي من قوله
«ما نالها حتّى تجلّت» بقوله لكنّ، يريد: لكنّ الغنى المتّجدّد، وهو عطية

(١) في الأصل: «فلو»، صوابه في ل.

(٢) في الأصل: «جزاء»، صوابه في ل.

الله تبارك وتعالى ، وتقلبي وارتمالي ، وشدتي حيازيم المطايا بالغروض . كأنه ذكر الأسباب التي يسرت له الغنى ، وأنها لم تخرج من تفضل الله تعالى واجتهاده . وقوله « العطية » أراد بها الجنس ، لذلك قال « حيازيم » وجمعها . والسبب : العطاء والمعروف ، وكثر في الاستعمال حتى سمي السكنوز سيوباً ، وقيل لما أخرجه المعادن سيوب . والغرض والغرضة : البطان ، وهو للبعير بمنزلة الحزام للدابة . والغرض منه كالمحزم .

٥ — وأستنفذ المولى من الأمر بعدما يزل كما زل البعير عن الدخض

٦ — وأمنحه مالي وودي ونصرتي وإن كان محني الصلوع على بغضى^(١)

يقول : إن أعطف على أبناء عمي ، فأخلصهم من الشدائد ، وأخذ بأضباعهم إذا زلت أقدامهم ، فأقيهم بعد أن كانت زلتهم كزلة البعير عن المزلقة . وإنما خص البعير لأن سقطته أظلم وأسرع في المزال . يقال : مكان دخض ومدخضة . ودخضت رجل البعير ، إذا زلقت . قال :

* وجدت كما حاد البعير عن الدخض^(٢) *

(١) بعده عند التبريزي :

ويغمره حلمي ولو شئت ناله قوارع تبري العظم عن كلم مض
وأقضى على نفسي إذا الأمر نابي وفي الناس من يقضى عليه ولا يقضى
ولست بذى وجهين فيمن عرفته ولا البخل فاعلم من سمائي ولا أرضي
وإني لسهل ما تفيّر شيمتي صروف ليالي الدهر بالقتل والنقض

(٢) البيت لطرفة في ديوانه ٤٨ والاسان (دخض) . وصدره في الديوان :

* أبا منذر رمت الوفاء فبهته *

وفي الاسان :

* رديت ونبي اليسكري حذاره *

ومنه : ﴿ حُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ ﴾ أى لا تثبت . ودَحَضَتِ الشَّمْسُ عَنْ كِبِدِ
السَّمَاءِ : زَالَتْ .

وقوله « وأمنحه مالى » يريد : أنى بعد استنفاذى إِيَّاه أنوفر عليه ببذل
المال ، وإخلاص الود ، وتقريب النصرة ، وإن كان منظوياً على
العداوة والبغضاء .

وقوله « محنى الضلوع » أى معطوفها . ويقال : حَنَيْتُ الشَّيْءَ وَحَنَوْتُهُ حَنِئًا
وَحَنَوًا ، فهو مَحْنِيٌّ .

٤٢٧

وقال حاتم الطائي ^(١) :

١ - وما أنا بالسَّاعِى بِفَضْلِ زِمَامِهَا لَتَشْرَبَ مَاءَ الْحَوْضِ قَبْلَ الرَّكَّابِ ^(٢)

٢ - وما أنا بالطَّوْرِى حَقِيبَةٌ رَحِلِهَا لِأَبْعَثَهَا خِفًا وَأَتْرُكَ صَاحِبِى ^(٣)

يقول : لا أجتذب إلى نفسى الفضل مع خلطائى وشركائى فى الشرب وغيره
فلا أترع فى الورود مستعجلاً براحتى لتشرب ماء الحوض قبل ورود ركائبهم .
ومعنى قوله « بالسَّاعِى بِفَضْلِ زِمَامِهَا » السَّابِقُ بِمَا أُعْطِيَ راحلتى من زمامها .

(١) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي . وكان من شعراء الجاهلية ، وبه
كان يضرب المثل فى الجود ، وأخباره فى ذلك كثيرة مشهورة . انظر الأغاني (١٦ : ٩٢ -
١٠٥) وشرح شواهد المغنى ٧٥ والحزانة (١ : ٤٩٤ - ٤٩٥) والشعراء ١٩٣ -
٢٠٣ . والبيتان من أبيات فى ديوانه ١١٨ .

(٢) فى الديوان : « ما فى الحوض » .

(٣) فى الديوان : « لأركبها خفا » . وبعده عند التبريزى :

إذا كنت ربًّا للقلوص فلا تدع رفيقك يمشى خلفها غير راكب

أنخها فأردفه فإن حملكما فذاك وإن كان العقاب فعاقب

العقاب : أن يتناوب المسافران الدابة يركب كل منهما عقبته . والعقبة ، بالضم : النوبة .

وهذا مثل . والرَّكائب ، بجمع رَكوبٍ وهو اسمٌ يجمع ما يُرَكَّب ، ويقال : رَكوبة ، فهي كالحلوبة والحُمولة ، وتقع للواحد والجمع .

وقوله « وما أنا بالطَّاوِي حَقِيبَةٌ رَحِلَهَا » ، يقول : وإذا كان لي رفيقٌ في السَّفر وسَّعت جَنَابِي له ، ولا أتركُه يمشي وقد خَفَّفت حَقِيبَةَ رَحِلٍ ناقتي طلباً للإبقاء عليها ، ولَسَكَيْتُ أُرْدِفُهُ أو أُرَكِّبُهُ . والحَقِيبَةُ : ما يُشَدُّ خَلْفَ الرَّحْلِ . قال :
* وَالْبِرُّ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ ^(١) *

والفعل منه احْتَقَبَ واستَحَقَبَ . واستَعِيرَ فَعِيل : احْتَقَبَ إِمَامًا . قال :
فَالْيَوْمَ فَاشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ إِمَامًا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ ^(٢)

٤٢٨

وقال آخر :

- ١ - وَإِنِّي لَأَنْسَى عِنْدَ كُلِّ حَفِيزَةٍ إِذَا قِيلَ مَوْلَاكَ ، اِحْتِمَالِ الضَّغَائِنِ
 - ٢ - وَإِنْ كَانَ مَوْلَى لَيْسَ فِيمَا يَنْوُبُنِي مِنَ الْأَمْرِ بِالسَّكَافِي وَلَا بِالْمُعَاوِنِ
- يصف نفسه بأنَّ الحقد ليس من طَبْعِهِ ولا عَادَتِهِ ، فيقول : إِنِّي أَشْفِقُ عَلَى مَوَالِيَّ حَتَّى إِذَا اتَّفَقَ لَوَاحِدٍ مَا يَحْتَاجُ مِنِّي إِلَى مَعُونَةٍ نَسِيتُ سَبِيَّتَهُ ، ولم أَحْتَمِلْ فِي صَدْرِي لَهُ ضِغْنَهُ ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَأَعْنَتُهُ عَلَى دَهْرِهِ ، وَإِنْ كَانَ فِيمَا يَنْوُبُنِي لَيْسَ بِكَافٍ لِي وَلَا مُعِينٍ ، إِذْ كُنْتُ أَوْجِبُ لَهُ بِكَوْنِهِ مَوْلَى مَا يُنْسِي تَبَاغُضَهُ وَجَفَاءَهُ . والحَفِيزَةُ : الْخَصْلَةُ يُحْفَظُ لَهَا الْإِنْسَانُ ، أَيْ يُغَضَّبُ . ويقال : « أَهْلُ

(١) البيت لامرئ القيس بن حجر ، كما في الشعراء ٦١ .

(٢) وهذا أيضاً لامرئ القيس في ديوانه ١٥٠ . ويرى : « فاليوم أمتي » ، ويرى أيضاً : « فاليوم أشرب » بناء الفعل على السكون ، أو بتقدير علامة الإمبراب . انظر الخزانة (٣ : ٥٣٠ - ٥٣٢) .

الحفاظ أهل الحفاظ ، لأنهم يحامون من وراء إخوانهم . وانتصب « احتمال »
بأنسى . والضمان : جمع الضمينة ، وقد مرّ ذكرها .

٤٢٩

وقال آخر^(١) :

وإني لعتف عن مطاعم جمّة إذا زين الفحشاء للناس جوعها
قد مضى له نظائر .

٤٣٠

وقال آخر :

١ - وموتى جفت عنه الموالى كأنه من البوس مطلي به القار أجرب

٢ - رنمت إذا لم ترأم البازل ابنها ولم يك فيها للمبسين مخلب

يقول : ربّ ابن عمّ زهد أقاربّه في الإحسان إليه فأطرحوه وانثنوا عن
الفكر فيه والتوفّر عليه ، نبؤا عنه وعن اصطناعه ، فأثر فيه البوس ، وأحاط
بجوانبه الشقاء والضّر ، حتى صار كالبعير الجرب وقد طلي بالقار ، هيئة ولونا ،
وضؤولة وانخزالا ، وتباعداً عن الناس وتجافياً ، أنا عطفت عليه ، وأشركتّه فيما
وهب الله لي في وقت من الزمان لا يؤوى^(٢) أحد من أهله غيره ، لشمول
القحط ، وغلبة الضّر والفقر ، حتى أنّ النّوق تؤثر التباعد عن أهلها فلا
ترأّمها ، وترى الذين يبيسون بذوات الألبان عند الحلب ، لا يجدون في ضرعها
خيراً . ويقال : بسّ بالناقة وأبسّ ، إذا دعاها للحلب . ومن أمثالهم : « لا أفعل

(١) هذه الحماسية ذات البيت الواحد لم يروها التبريزي .

(٢) في الأصل : « يروى » ، صوابه في ل .

كذا ما أبسَّ عَبْدُ بَنَاقَةٍ^(١) ، أَى دعاها للحَلَب . ويقال : رَمَتِ الناقةُ رِئَاسًا ، إذا عطفت .

٤٣١

وقال عروة بن الورد^(٢) :

١ — دَعَيْتِ أَطَوَّفَ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّنِي أُفَيْدُ غَنًى فِيهِ لِيَذَى الْحَقِّ مَحْمِلُ
٢ — أَلَيْسَ عَظِيمًا أَنْ تُنَلِّمَ مُلِمَّةٌ وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْحَقِّ مَعُولُ
يُخَاطَبُ عَاذِلَةً لَهُ فِيمَا هُمْ بِهِ مِنَ التَّرَحُّالِ فِي طَلَبِ الْمَالِ ، فَقَالَ : اتْرُكِي
وَمَا اخْتَارُهُ مِنَ التَّجْوَالِ ، وَالتَّنَقُّلِ فِي الْبُلْدَانِ ، طَمَعًا فِي خَيْرِ اسْتَفِيدُهُ ، وَغَنًى
اسْتَجِدُّهُ ، لَكِنِّي إِذَا نَابَنَّا ذُو حَقٍّ وَجَدَ عَلَيْنَا مَالِنَا مَحْمِلًا ، وَعَلَيْنَا فِي التَّزَامِ وَاجِبُهُ
مُتَّكِلًا ؛ لِأَنَّ مَنْ جَالَ نَالَ ، وَمَنْ قَرَعَ بَابًا وَجَدَ وَلُوجًا ، وَأَوَّلُ دَرَجِ الْحِرْمَانِ
الْوَقُوفُ عِنْدَ أَدْنَى الْهَمَّتَيْنِ ، وَآخِرُهَا الرِّضَا بِأَوْدَعِ الْعَيْشَيْنِ .

وقوله « أليس عظيمًا » يريد تقريرها على فِطَاعَةِ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ ، وَقَبَاحَةِ
إِمْسَاكِ النَّاسِ عَنْ تَعْلِيْقِ الرَّجَاءِ بِهِمْ وَالطَّمَعَةِ ، فَقَالَ : أَلَا تَسْتَعْظِمُ^(٣) أَنْ تَنْوِبَ
الْحَيَّ نَائِبَةً فَلَا يُعْوَلُونَ عَلَيْنَا فِي الْإِحْتِمَالِ عَنْهُمْ ، وَلَا يَرْتَجُونَ مِنَّا تَعَطُّفًا عَلَيْهِمْ ،
لَا تَضَاعُ حَالِنَا ، وَتَاكُودُ الْيَأْسِ مِنْ نَيْلِنَا . وقوله « أفيد » بمعنى استفيد . وأليس
يقرَّرُ بِهِ فِي الْوَاجِبِ الْوَاقِعِ ، وَأَنْ تُنَلِّمَ فِي مَوْضِعِ الرِّفْعِ بِلَيْسَ .

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « بناقته » .

(٢) سبقت ترجمته في الخامسة ١٤٥ ص ٤٢١ . والبيتان في ديوانه ١٠٦ .

(٣) هذا على الالتفات . والوجه « ألا تستعظمين » .

٤٣٢

وقال آخر :

تَنَاقَلْتُ إِلَّا عَنْ يَدٍ أَسْتَفِيدُهَا وَخُلَّةٍ ذِي وَدٍّ أَشَدُّ بِهِ أُزْرِي

هذا في طريقة ما تقدّم . والمعنى : أني أبتاطأ عن الطالب والمباغى كلها إلا إذا اتفق مصنع عند خي ، فإني أترسّع إليه ، وأتحفّف في تحصيله ، مخافة أن يفوز به غيري ، لأن اعتقاد المتن في أعناق الرجال أعدّه غنيمَةً تُغْنِمُ ، وفائدة تُدَخَّرُ ؛ وإلا صدقة أخٍ وديدٍ أعتمدها في مدافعة شرٍّ ، ولا اشتداد أزرٍ ، فإني أجمع يدي عليها ، ولا أصبر على المزاحمة فيها . ويقال : شدّ فلان أزره ، إذا شدّ معقده إزاره . ويقال : آزره على أمره ، إذا ظاهره وعاونه عليه .

٤٣٣

وقال عبد الله بن الزبير^(١) :

١ — لَا أَحْسِبُ الشَّرَّ جَارًا لَا يُفَارِقُنِي وَلَا أَحْزُ عَلَى مَا فَاتَنِي الْوَدَجَا

٢ — وَمَا نَزَلْتُ مِنَ الْمَكْرُوهِ مَنْزِلَةً إِلَّا وَثِقْتُ بَأَنِ أُلْقَى لَهَا فَرَجَا

يصف حسن ثقته بربه ، وجميل ظفه بتفضله ، وأنه قد جرّب وتبصّر ، وعرف من أعقاب الأمور ما جعله لا يذللُ لنائبة ، ولا يتخشع لنازلة ، فلا يظنُّ الشرَّ إذا ملبّى به ضربة لازم^(٢) لا يخالف ، وجارٍ سوء لا يفارق . قال : وإذا فاتني أمرٌ وإن جَلَّ لَا أَهْلِكَ أَسَى فِي إِثْرِهِ ، وَلَا أَقْتُلُ نَفْسِي جَزَعًا

(١) التبريزي : « عبد الله بن الزبير الأسدي » . وقد سبقت ترجمته في الخامسة

(٢) ل : « ضربة لازم » ، وهما سيان .

لقوته ، ولا أنزل من مظان المكاره منزلة إلا وثقتى بقلقى الفرج وتمجّله على أقرب مسافة منى . والودجان : عرفان يقطعهما الذابح . ويقال : ودجت الدابة ، إذا أصبت ودجها .

٤٣٤

وقال مالك بن حزم^(١) :

- ١- أُنبئتُ والأَيَّامُ ذاتُ تجاربٍ وتُبدي لك الأَيَّامُ ما لست تعلمُ
- ٢- بأنَّ ثراءَ المالِ ينفعُ ربَّهُ ويثنى عليه الحمدُ وهو مُذمَّمُ
- ٣- وأنَّ قليلَ المالِ للمرءِ مُفسِدُ يحزُّ كما حَزَّ القطيعُ المحرَّمُ
- ٤- يرى درجاتَ المجدِ لا يستطيعُها ويقعدُ ومنطَ القومِ لا يتكلمُ

قوله « والأَيَّامُ ذاتُ تجاربٍ » اعتراضٌ وقع بين أنبئت ومفعوليّه ، وما في قوله « بأنَّ ثراءَ المالِ ينفعُ ربّه » لأنَّ أنبئت ونُبئت وأخواتها كلُّ واحدةٍ منها تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل . وقوله « وتُبدي لك الأَيَّامُ » اعتراضٌ ثانٍ وإن عُطِفَ على ما قبله . والمعنى أنَّ الأَيَّامَ واللَّياليَ تفيدُ أربابها تجاربَ بما يحدثُ فيها من الحوادث ، ويتحوَّل من الأحوال ، وتُعلِّمهم بما ينكشف عنها ويشتمل

(١) هذا ما في الأصل . وفي ل : « خريم » . وفي شرح التبريزي والقاموس (حرم) ونوادر أبي زيد ٩٦ وأمالى القالى (٢ : ١٢٣) : « حريم » ، وهو مظهر من مظاهر اختلاف الرواة في اسمه . وفي سمط اللآلئ ٧٤٨ : « واختلف في مالك بن حريم الهمداني ... فقال ابن النحاس : قال لى نفلويه : هو مالك بن حزم بالزاي . قال : وقرأت على أبي إسحاق في كتاب سيويه في بيت أنشده له : مالك بن خريم بالخاء المضمومة المعجمة والراء المهملة المفتوحة وكذلك كان محمد بن يزيد يقول مالك بن خريم . وقال الهمداني : هو مالك حريم » . ومالك بن حزم : شاعر جاهلي إسلامي ، كما في اللآلئ . وهو مالك بن حزم بن مالك بن حزم بن دالان الهمداني .

عليها من غوامض الأمور وخفياتها ، ما لا يخطر لم ببال ، ولا يؤديه إليهم
رسم ولا مثال . فيقول : أُخْبِرْتُ وَالْأَيَّامُ هَذِهِ حَالُهَا أَنَّ كَثْرَةَ الْمَالِ ، وَالتَّوَشُّعَ
فِي الْحَالِ ، يَرْجِعَانِ بِالنَّفْعِ عَلَى صَاحِبِهِمَا فَيَصُورَانِهِ بِصُورَةِ الْمَشْكُورِ وَالْمَحْمُودِ ،
وَإِنْ كَانَ عِنْدَ التَّحْقِيقِ وَالتَّحْصِيلِ مَشْكُورًا مَذْمُومًا ؛ وَأَنَّ فِي قِلَّةِ الْمَالِ مَفْسَدَةً
لِحَالِ الْمُقِلِّ وَجَاهِهِ وَنَفْسِهِ ، حَتَّى يَبْرِيَهُ وَيَقْطَعَهُ بَرَى السَّوْطِ الْجَدِيدِ الَّذِي لَمْ يَلَيْنَ
بَعْدُ ، الْمَضْرُوبَ بِهِ ، فَتَرَاهُ يَبْخَعُ نَفْسَهُ ، وَيَتَخَشَّعُ لِلْآفِيهِ وَالنَّاظِرِ إِلَيْهِ ، وَيَلْزَمُ
السُّكُوتَ فِي نَادَى الْحَيِّ فَلَا يَنْبِسُ تَمَاوُنًا وَتَصَاغُرًا ، إِذْ كَانَ قَدْ عَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ
أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ التَّرَقُّى فِي مَدَارِجِ الْفَضْلِ وَالْإِفْضَالِ ، وَأَنَّهُ تَقَعْدُ الْحَالُ بِهِ عَنِ
النُّهْوضِ بِمَا يَنْهَضُ بِهِ أُمَثُلُ الرِّجَالِ ، فَهُوَ يُسَلِّمُ الْأَمْرَ لَهُمْ ، وَيَبْرَأُ مِنَ التَّدْبِيرِ إِلَيْهِمْ .
وَقَوْلُهُ « بَأَنَّ ثَرَاءَ الْمَالِ » تَعَلَّقَ بِأَنْبِيتَ بِأَنَّ الْأَمْرَ كَذَا وَأَنَّ الْأَمْرَ كَذَا .
وَالْقَطِيعُ : السَّوْطُ . وَالْمَحْرَمُ : الَّذِي لَمْ يُمَرَّنْ بَعْدُ .

٤٣٥

وقال محمد بن بشير^(١) :

١ — لَأَنَّ أَرْجَى عِنْدَ الْعُرَى بِالْخَلْقِ وَأَجْتَرَى مِنْ كَثِيرِ الزَّادِ بِالْعُلُقِ

٢ — خَيْرٌ وَأَكْرَمُ لِي مِنْ أَنْ أَرَى مِنْنًا خَوَالِدًا لِلنَّاسِ فِي عُنُقِي^(٢)

يَصِفُ رِضَاهُ بِسِيرِ الْحِظِّ مِنَ الدُّنْيَا ، وَعَقَافَهُ عَنْ كَثِيرِ مَا يَسْتَعْفِي عَنْهُ
فِيَقُوْقُ ، فَيَقُولُ : لَأَنَّ أَتَبَلَّغُ عِنْدَ التَّعَرُّى بِاِكِتْسَاءِ الْخَلْقِ ، وَأُكْتَفَى مِنَ الزَّادِ
الْكثِيرِ بِمَا يُمْكِنُ بِهِ سَدُّ الْفَاقَةِ — أَصَوْنُ لِي وَأَرَدُّ عَلَى مَنْ أَنْ أَرَى مِنْنًا مَعْقُودَةً
فِي عُنُقِي ، مُثْقَلَةً لَطَهْرِي ، بَاقِيَةً عَلَى أَعْقَابِ الزَّمَانِ لِلنَّاسِ عِنْدِي . وَالْعُلُقُ :

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٢٦٩ ص ٨٠٨ .

(٢) التبريزي : « مننا معقودة » .

جمع العُلقة ، وهي اليسير من الشيء يُدَبِّلُغُ به وَيَعْتَلِقُهُ المحتاجُ إليه . ويجوز أن يكون من عَلِقَ يَعلِقُ ، إذا رَعَى . ومنه الحديث : « إنَّ أرواحَ الشُّهداءِ لَتَعْلَقُ في الجنة » ، وتكون العُلقة كالغُرْفَةِ والطَّعْمَةِ وما أشبههما . وقوله « لَأَنْ أَرْجَى » اللام لام الابتداء ، وأن أَرْجَى مبتدأ وخبره قوله « خَيْرٌ وأَكْرَمُ بى » .

٣ - إني وإن قصرت عن همتي جِدَّتِي وكان مَالِي لا يَقْوَى على خُلُقِي
٤ - لتاركك كلَّ أمرٍ كان يُلْزِمُنِي عَارًا وَيُشْرِعُنِي في المَنَهِلِ الرَّنْقِ
نَبَّهَ على تمام الظِّلْفِ والعفاف إذا أَخَذَ به الإنسان ، فيقول : أنا وإن عَجَزْتُ غُنَيْتِي عَمَّا توجبه همتي ، وكان في حالي قُصُورٌ عما يدعو إليه خُلُقِي ، مُعْرِضٌ عن كلِّ أمرٍ إذا نَلِغَتْ رَجْعٌ منه عَارٌ عَلَيَّ أَذْكَرُ به ، ويوردني مِشَارِعَ السِّكْرِ ، فإذا صَدَرْتُ عنها لم أَتَهَمَّأُ بشربي منها . ولك أن تَرَوِي : « في مَنَهِلِ الرَّنْقِ » فيكون المَنَهِلُ مُضَافًا إلى المصدر ، ولك أن تَرَوِي : « في المَنَهِلِ الرَّنْقِ » بكسر النون فيكون صفةً له . والمَنَهِلُ : موضع التَّهْلُ . والنَاهِلُ : العطشان ، والرَّيَّانُ جميعًا . والوَجْدُ والجِدَّةُ : مصدر وَجَدْتُ ، في المال . ويقال : شَرَعْتُ في الماء ، إذا خَضَّتْ . وأَشْرَعَنِي فيه فلانٌ وَشَرَعَنِي أيضًا . وفي المثل : « أَهْوَنُ الوَرْدِ الشَّرِيعُ » .

٤٣٦

وقال أيضا :

١- ماذا يَكَلِّفُكَ الرِّوْحَاتِ وَالذُّلْجَا البرَّ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرْكِبُ اللُّجْبَا
٢- كَمْ مِنْ فَتًى قَصُرَتْ فِي الرِّزْقِ خُطْوَتُهُ أَلْفَيْتُهُ بِسِهَامِ الرِّزْقِ قَدْ فَلَجَا
قوله « ماذا » لفظه استفهام ، والمعنى الإنكار ، ويجوز أن يكون « ما » مع

ذَا بِمَنْزِلَةِ اسْمٍ وَاحِدٍ مُبْتَدَأٌ ، وَيَكْلَفُكَ خَبْرُهُ . وَيُجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَحْدَهُ اسْمًا ،
وَذَا فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ ، وَيَكْلَفُكَ مِنْ صِلَتِهِ ، كَأَنَّهُ قَالَ فِي الْأَوَّلِ : أَيُّ شَيْءٍ يَكْلَفُكَ ،
وَفِي الثَّانِي : مَا الَّذِي يَكْلَفُكَ السَّيْرَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مُتَّصِلًا ، لَا تَفْتُرُ تَرْكِبَ الْبَرِّ
تَارَةً ، وَالْبَحْرِ أُخْرَى . وَالرَّوْحَاتُ : جَمْعُ الرَّوْحَةِ ، وَهُوَ يَرِيدُ بِهِ السَّيْرَ رَوَاحًا .
وَالدَّلَجُ وَالذَّلْجَةُ : السَّيْرُ بِاللَّيْلِ . وَقَوْلُهُ « طَوْرًا » ، انْتَصَبَ عَلَى الظَّرْفِ ، وَالْهَرُّ
انْتَصَبَ بِفِعْلِ مُضَمَّرٍ دَلٍّ عَلَيْهِ الْفِعْلُ الَّذِي بَعْدَهُ . وَاشْتِقَاقُ الطَّوْرِ مِنْ قَوْلِهِمْ :
لَا أَطُورُ بِهِ ، وَمِنْ طَوَارِ الدَّارِ ، وَهُوَ مَا كَانَ مُتَمَدًّا مَعَهَا .

وَقَوْلُهُ « كَمْ مِنْ فَتَى » أَفَادَ كَمْ التَّكْثِيرَ ، وَالْكَلَامَ خَيْرَ ، وَالْمُرَادُ : كَثِيرٌ
مِنَ الْفِتْيَانِ تَوَدَّعُوا فِي مَنَازِلِهِمْ ، وَقَصُرَتْ خُطُوبُهُمْ لِلسَّيِّئِ فِي طَلَبِ أَرْزَاقِهِمْ ،
أَلْفُوا قَدْ نَالُوا مَا غَلَبُوا بِهِ الْمَجْدَ فِي الطَّلَبِ ، الْمَتَّعِبَ نَفْسَهُ فِي التَّنَقُّلِ . وَمَعْنَى
فَلَجَ : غَلَبَ . وَسَهَامُ الرِّزْقِ ، يَرَادُ بِهَا قِدَاحُ الرِّزْقِ ، كَأَنَّهُ فَازَ لَمَّا خَرَجَ لَهُ عِنْدَ
الْإِجَالَةِ بِمَا غَلَبَ بِهِ مُقَامَرُهُ وَمُزَاجِحُهُ . وَيُجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِسَهَامِ الرِّزْقِ مَا حُظَّ لَهُ
مِنَ الْحِظِّ ، وَأُسْهِمَ لَهُ وَقَسِمَ فِي الرِّزْقِ .

٣- إِنْ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتَقِرُ مِنْهَا كُلِّ مَا ارْتَجَا

٤- لَا تِيَأْسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَابَةٌ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجًا

يَقُولُ : اسْتَعْنِ بِالصَّبْرِ فِي كُلِّ مَا تَزَاوِلُهُ وَتَرَاوِدُهُ ^(١) ، فَإِنَّ الْأُمُورَ إِذَا
انْسَدَّتْ طَرُقُهَا ، وَأَعْيَتْ الْحِيلُ فِي تَحْصِيلِهَا ، فَإِنَّ الصَّبْرَ يَسَهِّلُ مَدَارِجَهَا ،
وَيُوسِّعُ مَوَالِجَهَا ، وَيَفْتَحُ مَا انْفَلَقَ مِنْهَا ، وَيَفْتَقِرُ مَا ارْتَقَى مِنْ أَسْبَابِهَا ،
وَلَا يَتَسَلَّطَنَّ عَلَيْكَ مِنَ الْيَأْسِ مَا يَفْتُرُ عَزَمَكَ ، أَوْ يَقْصُرُ سَمْعَكَ ، وَإِنْ دَامَتْ
مُطَالِبَتُكَ ، وَاتَّصَلَتْ مُوَاطَبَتُكَ . وَاعْتَقِدْ أَنَّ الْفَرَجَ يَتَلَقَّاكَ ، وَالثَّجَجَ بِأَقْرَبِ

(١) هَذَا الصَّوَابُ مِنْ ل . وَفِي الْأَصْلِ : « وَتَرَادَفَهُ » .

المنازل منك ؛ فإنك إذا فعلت ذلك فزت بكل ما ترومهُ ، وتَجَلَّ لك كل ما تهواه . وقوله « أن ترى » في موضع المفعول من تياسن . وقوله « فالصبر يفتق » جواب إذا ، وخبر إن الأمور في الشرط والجواب . ويقال رتجت الباب وأرتجته ، إذا أغلقته ، وباب مُرتج ومرتوج . والرتاج : الباب نفسه .

٥ — أخلق يذى الصبر أن يحظى بحاجته ومُذمن القرع للأبواب أن يلجأ

٦ — أبصر لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقاً عن غرة زليجا^(١)

يقول : إن مُذمن الصبر في الأمور ، ومُلازم التثبت والتلوم عند الخطوب^(٢) حقيق بأن يظفر بطليته ، وبنجاح السعى في مرامه وبقيته^(٣) . كما أن من أدام قرع أبواب مداخله ، وعزم مفاصل آرائه ، حقيق بولوجه ووصوله ، ومعرفة متيسر ما يرجوه ومريحه .

ثم قال : وإذا سعيت في أمر فاعرف مواطئ قدمك قبل أن تغلواها ، ومواقع خطوك قبل أن تعدوها ، واقسمها بين نظرك واختبارك^(٤) ، وتحقيقك وحدسك ؛ فإن من ركب مزلة عن غرة وغفلة ، يوشك أن يسقط ليديه وفيه ، وتزل به قدمه إلى قرار هلكته وحينه . والزأج : الشرعة في المشي والسقوط وغيره . وفرس زلوج : سريع السير . وكذلك يقال قدح زلوج . ومزلاج الباب : الخشبة التي يُعلق بها .

(١) التبريزي : « قدر لرجلك » . وبعده عنده :

ولا يفرنك صفو أنت شاربهُ فرُبما كان بالتكدير ممتزجا

(٢) التلوم : الانتظار والتثبت .

(٣) البقية ، ضم الباء وكسرها . وضبطت في النسختين بالكسر .

(٤) ل : « واختيارك » .

٤٣٧

وقال آخر^(١) :١ - لِحِجَّتَنَا وَلَجَّتْ هَذِهِ فِي التَّفَضُّبِ وَشَدَّ الْحِجَابِ بَيْنَنَا وَالتَّنْقَبِ^(٢)

٢ - تَلَوُّمٌ عَلَى مَالٍ شَفَانِي مَكَانَهُ إِلَيْكَ فُلُومِي مَا بَدَا لَكَ وَأَغْضَيْ

كَانَ هَذَا الشَّاعِرَ أَطْلَعَ مِنْ أَحْوَالِ أَيْتَامِ أَخِيهِ عَلَى مَا سَاءَ وَأَنْفَ مِنْهُ ،

ثُمَّ دَعَا التَّحَنُّنَ وَالْإِشْفَاقُ مِمَّا يَتَدَاوَلُهُ النَّاسُ فِي مَجَالِسِهِمْ مِنْ أَحَادِيثِ الْبِرِّ

وَالْعَفْوِ ، وَتَصَرَّفَهُمْ فِي صَرْفِ الْمَقْتِ إِلَى مُسْتَحَقِّهِ ، وَالْحَمْدِ إِلَى مُكْتَسِبِهِ ، إِلَى أَنْ

أَمَرَ عَبْدِيهِ الرَّاعِيَيْنِ بِإِرَاحَةِ مَارِدًا إِلَى فَنَائِهِ مِنْ مَسَارِحِ إِبِلِهِ عَلَيْهِمْ^(٣) ،

فَاغْتَاظَتْ امْرَأَتُهُ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْكَرَتْ فِعْلَهُ ، وَخَوَّفَتْهُ فِي أَثْنَاءِ مَلَامِهَا بِالْفَقْرِ

وَهَجْرَتِهِ ، فَأَخَذَ يَقْتَصُّ مَا كَانَ مِنْهَا وَمِنْهُ فَقَالَ : تَمَادَّتْ امْرَأَتِي فِي الْفَضْبِ

وَالهَجْرَانِ ، وَاللُّومِ وَالْإِحْتِجَابِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْهَا فِي مَالٍ شَفَانِي مَوْضِعُهُ الَّذِي

وَضَعْتُهُ فِيهِ ، وَمَضَرِفُهُ الَّذِي صَرَفْتُهُ إِلَيْهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهَا مُسْتَهِينًا بِهَا وَبِفِعْلِهَا

فَقَالَ : إِلَيْكَ فُلُومِي مَا بَدَا لَكَ . وَالْمَعْنَى : أَجْمَعِي أَمْرَكَ ، وَاسْتَمِرِّي فِي عَثْبِكَ

وَأَغْضَيْكِ مَا بَدَا لَكَ ، فَإِنَّ الرَّشَادَ فِيمَا آثَرْتُهُ ، وَالصَّلَاحَ فِي قِرَانِ مَا اخْتَرْتُهُ .

و« إِلَيْكَ » : اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ هُنَا ، كَمَا يَكُونُ عَلَيْكَ ، وَعِنْدَكَ . وَلِذَلِكَ

عَطَفَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ « فُلُومِي » . وَ« مَا بَدَا لَكَ » فِي مَوْضِعِ الظَّرْفِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ

الْقَوْلُ فِي أَمْثَالِهِ .

(١) هو حجية بن المضرب . وفي التبريزي : « وحدث ابن كناسة أن حجية ابن المضرب كان جالساً بفناء بيته ، فخرجت جارية بقعب فيه لبن ، فقال لها : أين تريدن بالقعب ؟ فقالت : بني أخيك اليتامى . فوجم وأراح راعيها إبله ، فقال : اصفقاها نحو بني أخي ، ثم دخل منزله فعاتبته امرأته فقال ... » .

(٢) التبريزي : « ولط الحجاب دوننا والتنقب » .

(٣) كتب بجوارها في ل بخط دقيق : « يعني بني أخيه » .

٣ - رَأَيْتُ الْيَتَامَى لَا تَسُدُّ قُقُورَهُمْ هَدَايَا لَهُمْ فِي كُلِّ قَعْبٍ مُشَقَّبٍ^(١)

٤ - فَقُلْتُ لِعَبْدَيْنَا أَرِيحَا عَلَيْهِمُ سَاجِلُ بَيْتِي مِثْلَ آخِرِ مُعْزِبٍ

٥ - عِيَالِي أَحَقُّ أَنْ يَنَالُوا خَصَاصَةً وَأَنْ يَشْرَبُوا رَنْقًا إِلَى حِينٍ مَكْسَبِي^(٢)

يعنى باليتامى أولاد أخيه المتوفى. يريد: رأيتهم لا تسد مفارقهم ولا تقيم مختل أحوالهم، تحف توجّه إليهم، وهدايا تحمل نحوهم في قعاب مشعوبة. يشير بذلك إلى ما كانت امرأته تتولاه وتأتيه من برهم وتقدم قبل ذلك. وفي قوله: «هدايا لهم في كل قعب مشقّب» إزرار بصنيعها، وبالألبان المنقولة إليهم وظروفها. وجمع القُور لا اختلاف وجوها.

وقوله «فقلت لعبدينا» يعنى راعييه الذين أمرا بسوق الإبل المردودة من المراعى إلى فناء أولاد أخيه. وإنما ثنى على عادتهم في تنية مزاولي أعمالهم، كالبائن والمستعلي في الحلب وما أشبههما. وقوله: «ساجل بيتي مثل آخر»، يريد مثل بيت آخر وقد عزبت إبله وتباعدت، فإن عيالي ولهم كاسب مثلي أحق بمزاولة الفقر، ورثانة العيش، والصبر على المشرب الرنق، إلى أن أكسب ما تعود به حالهم إلى ما ألقوه من الخضب والسعة، والخفض والدعة. ويقال: أغزب الرجل، إذا عزبت عنه إبله في المرعى.

٦ - ذَكَرْتُ بِهِمْ عِظَامَ مَنْ لَوْ أَتَيْتُهُ حَرِيْبًا لَأَسَانِي لَدَى كُلِّ مَرَكَبٍ^(٣)

٧ - أَخُوكَ الَّذِي إِنْ تَدَعُهُ لِلْمَعَةِ يُجِبِّكَ وَإِنْ تَغَضَّبَ إِلَى السَّيْفِ يَغْضَبُ^(٤)

(١) ل: «لا يسد» . (٢) التبريزي :

بَيْتِي أَحَقُّ أَنْ يَنَالُوا سَفَاةً وَأَنْ يَشْرَبُوا رَنْقًا لَدَى كُلِّ مُشْرَبٍ

(٣) التبريزي : «ويروى : حبوت بها قبر امرئ لو أتيت» .

(٤) التبريزي :

أَخِي وَالَّذِي إِنْ أَدْعَاهُ لِلْمَعَةِ يُجِبِّنِي وَإِنْ أَغْضَبَ إِلَى السَّيْفِ يَغْضَبُ

قال أبو رياش : وفيها :

فَلَا تَحْسَبْنِي بُلْدُمًا إِنْ نَكَحْتِهِ وَلَكِنِّي حُجِّيَّةٌ بِنِ الْمَضْرَبِ

يقول : تَذَكَّرْتُ بهؤلاء الأولادِ أباهم الذي لو أُتِيَتْهُ محزوناً مسلوباً ،
وَمُتَعَباً بأعباء الفقر مبهوراً ، لَضَمَّنِي إلى صدره ، وَشَمَلَنِي تَضَاعِيفُ بَرِّه ، وجعلني
إِسْوَةً نَفْسِهِ فِي كُلِّ مَا أَرَكْبُهُ ، وَالْمُسَمَفَ بِطَلِبَتِهِ عِنْدَ جَمِيعِ مَا أَخْطُبُهُ ، لَأَنَّ
الْأَخَ الْكَامِلَ الْأَخْوَةَ هُوَ الَّذِي يَشِدُّ أَرْكَكَ ، وَيُحْيِي ظَهْرَكَ ، وَإِنْ دَعَوْتَهُ لِنَائِبَةٍ
تَنْوِبُ أَجَابَكَ سَرِيعاً ، وَإِنْ أَعْمَلْتَ سَيْفَكَ أَعْمَلَ سَيْفَهُ مَعَهُ حَثِيثاً .

٤٣٨

وقال المقنعُ الكِنْدِيُّ^(١) :

- ١ - يُعَايِنُنِي فِي الدِّينِ قَوِيٌّ وَإِنَّمَا دُيُونِي فِي أَشْيَاءَ تَكْسِبُهُمْ حَمْدًا
- ٢ - أَسَدُّ بِهِ مَا قَدْ أَخْلَوْا وَضَيَّعُوا تُغَوَّرَ حُقُوقٍ مَا أَطَاوُوا لَهَا سَدًّا
- ٣ - وَفِي جَفَنَةٍ مَا يُغْلَقُ الْبَابُ دُونَهَا مُكَلَّلَةٍ لَحْمًا مَدْفَقَةً تُرْدَا
- ٤ - وَفِي فَرَسٍ نَهْدٍ عَتِيقٍ جَعَلْتُهُ حِجَابًا لِبَيْتِي ثُمَّ أَخْدَمْتُهُ عَبْدًا

كَأَنَّ قَوْمَهُ يَنْفَعُونَ عَلَيْهِ^(٢) سَرَفَهُ فِي الْإِنْفَاقِ ، وَتَخَرُّقَهُ فِي الْإِفْضَالِ ،
وَتَجَاوُزَهُ مَا تُسَاعِدُهُ بِهِ حَالُهُ وَتَتَسَعَّعُ لَهُ ذَاتُ يَدِهِ إِلَى الْاسْتِقْرَاضِ ، وَبَذْلِ الْوَجْهِ
فِي الْأَدْيَانِ^(٣) ، فَقَالَ : كَثُرَتْ لَأَمَّتُهُمْ فِيمَا يَرْكَبُنِي مِنَ الدُّيُونِ ، وَإِنَّمَا هِيَ
مَصْرُوفَةٌ فِي وَجْهِهِ مُؤَنِّهَا عَلَى ، وَجَمَالُهَا لَمْ ، وَقَضَاؤُهَا فِي أَنْفْسِهَا يَلْزَمُنِي ،

(١) اسمه محمد بن ظفر بن عمير . وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية ، وكان له
عمل كبير وشرف ومروءة وسؤدد في عشيرته . ويزعم المؤرخون أن الملة في نزوه القناع
ما كان يخاف على نفسه من العين ، فقد كان أحسن الناس وجهاً ، وأمدم قامه ، وأكملهم
خلقاً ، فكان إذا سقر أصابته أعين الناس فيمرض ويلحقه عنت . الأغاني (١٥ : ١٥١)
والشعر ٧١٥ - ٧١٦ واللائي ٦١٥ - ٦١٦ .

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « كان قوم يعيبون عليه » .

(٣) الاديان ، أفعال من الدين .

ومحمدُها موفرةٌ عليهم . ثمَّ أخذَ يعدُّ فقال : من تلك الوجوه أن ما ينوبُ
من الحقوق فيُخلون بها ويضيّعونها عجزاً عن الوفاء بواجبها ، أنا أسدُّ ثغورها ،
وأقيم فروضها .

ومنها أن لي دارَ ضيافة قدورها مُشبعة موفرة ، وجفانها معدة منصوبة ،
لا يُمنع منها طالبها ولا يُحجب عنها رائدها ، فلحمانها كلاً كالليل على رؤوسها ،
ورائدها قد نمتُ تدقيقها .

ومنها : أن بفنائى فرساً مربوطاً قد أُعِدَّ للمهمات ، على عادة أمثالي من
الأكابر والرؤساء . ولكرمه وما يتوقَّر عليه من إكرامى إياه قد صار
كالجباب لباب بيتي ، وقد شغلتُ بخدمته عبداً يتفقده بمرأى مني ، لا أهمله
ولا أغفل عنه .

قوله : « مدققة » أى مملوءة . والأحسن أن يُروى معه : « تُردّا » بضم
الثاء . ويرى : « مدققة تُردّا » بفتح الثاء . والمراد مثردة تُردّا دقيقاً . والنهْد
الجسيم المُشرف من الخليل .

- ٥- وَإِنِّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمَخْتَلِفٌ جِدًّا^(١)
٦- فَإِنِّيَأْكُلُوا لَحْمِي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ وَإِن هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدًا^(٢)
٧- وَإِن ضَيَّعُوا غَنِيَّيَ حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ وَإِن هُمُ هَوُوا غَنِيَّيَ هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدًا
٨- وَإِن زَجَرُوا طَيْرِي بِنَحْسِي تَمَرَّتِي رَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَمَرَّتُ بِهِمْ سَعْدًا^(٣)
- ذكر بعد ما عدَّد معاذيره^(٤) فيما أنكروه عليه ، أن إخوته وأبناء عمه

(١) هذا ما في ل والتبريزي . وفي الأصل : « فإن » .

(٢) التبريزي : « فإن أكلوا » .

(٣) كذا في ل والأصل . وعند التبريزي : « وإن زجروا طيراً » .

(٤) ل : « معاذره » . والثلث : العيب . والإذالة : الإهانة .

يُحسدونه ويأتمرون العداوة والغواية له ، وهو يُصارِهم ويُجامِلهم ، ويتغابى معهم ، فقال : إنَّ ما بيني وبينهم في طرفي نقيض ، وعلى لون من الخلاف عجيب ؛ فإنهم إن اغتابوني وتطعموا لحي أمسكتُ عنهم ، وتركْتُ أعراسهم موفورة ، لم يتخونها متى إذالة ولا ثلب^(١) ، وأعراسهم محفوظة لم يتحيفها تحامل ولا غرض . وإن سَعَوْا في نقض ما أبرمته من مسعاة كريمة ، وهذم ما أسسته من خطة مجيد عليّة ، جازيتهم بابتناء شرفٍ لهم مستحدث ، وإعلاء شأنٍ لهم مستأنف . وإن أهملوا غيبي فلم يُراعوه بحسن الدفاع عنه ، وإسباغ ثوب الحمامة عليه حفظت أنا غيبهم ، وأرصدت الفوائل لمن اغتالهم . وإن أحببوا لي الغواية ، والتسكع في الضلالة والبطالة ، اخترتُ لهم المرشد ، وهويت في مباغهم المناجح . وإن تمنّوا لي المنحسة ، وزجروا من بوارح الطير وسوانحها في المشامة ، جعلت عيافتي لهم فيما يُمرُّ بي منها المسعدة والطيرة الحميدة . وقوله : « سَعَدًا » صفة لطيرًا .

٩ — وَلَا أَجْمَلُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَ رَأْسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَ
١٠ — لَهُمْ جُلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غَنَى وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أَكَلْفُهُمْ رِفْدًا
١١ — وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا شَيْمَةٌ لِي غَيْرَهَا تُشَبِّهُ الْعَبْدَا

أثبت لنفسه الرئاسة عليهم في هذا البيت . والمعنى أنه متى استعطفوه عطفت عليهم ، وإن استقالوه^(٢) أقالهم وأسرع الفيئة لهم ، غير حامل الضغن واللجاج معهم ، ولا معتقدا انتهاز الفرص فيهم ، لما اكتمن من عوادي الحقد عليهم . وقوله : « وليس رئيس القوم من يحمل الحقد » يجري مجرى الالنفات ، كأنه أقبل على مخاطب فقال : إنِّي لَا أَجْمَلُ^(٣) بترك مؤاخذتهم ، واطراح الحقد

(١) التضون : النقص .

(٢) ل : « وإذا » .

(٣) ل : « لا أحمده » .

في مساوتهم ، فإنَّ الرَّئِيسَ يُحِبُّ لَتَبَعِهِ ذَلِكَ عَلَيْهِ فِي شُرُوطِ الرِّيَاسَةِ . وقوله : « لَمْ جُلُّ مَالِي » يريد أن تَوَاصَلَ الْغَنَى لِي أَشْرَكَهُمْ فِي مُعْظَمِهِ ، مِنْ غَيْرِ امْتِنَانٍ وَلَا تَكْدِيرٍ ، وَإِنْ تَحَيَّفَ مَالِي حَادِثٌ يُبْلِغُ ، أَوْ عَارِضٌ يَحْدُثُ لَمْ أَنْتَظِرْ مِنْ جَهْتِهِمْ مَعُونَةً ، وَلَا كَلَفَتْهُمْ فِيمَا يَخْفَ أَوْ يَثْقُلُ مَوْنَةً .

وقوله « وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ » أَرَادَ أَنْ يَبَيِّنَ مَا عِنْدَهُ لِلْغَرِيبِ الطَّارِقِ ^(١) ، وَالضَّيْفِ الْغَازِلِ ، بَعْدَ أَنْ شَرَحَ حَالَهُ مَعَ مَوَالِيهِ ، وَخِصَالَهُ فِي مُرَافَقَةِ ذَوِيهِ ، فَقَالَ : وَأُبْلَغُ فِي خِدْمَةِ الضُّيُوفِ مَبَالِغَ الْعَبِيدِ فِيهَا . ثُمَّ أَكَّدَ مَا حَكَاهُ بِقَوْلِهِ « وَمَا شَيْمَةٌ لِي غَيْرَهَا تُشَبِّهُ الْعَبْدَا » ، فَانْتَصَبَ « غَيْرَ » عَلَى أَنَّهُ مُسْتَثْنَى مُقَدَّمٌ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمَّا حَالَ بَيْنَ الْمَوْصُوفِ وَالصِّفَةِ ، وَهِيَ شَيْمَةٌ وَتُشَبِّهُ ، وَتَقْدَّمَ عَلَى الْوَصْفِ صَارَ كَأَنَّهُ تَقَدَّمَ عَلَى الْمَوْصُوفِ ، لِأَنَّ الصِّفَةَ وَالْمَوْصُوفَ بِمَنْزِلَةِ شَيْءٍ وَاحِدٍ . وقوله « تُشَبِّهُ الْعَبْدَا » يريد : تُشَبِّهُ شَيْمَ الْعَبْدِ ^(٢) ، فَخَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ .

فَلْيَتَأَمَّلِ النَّاضِرُ فِي هَذَا الْبَابِ وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، وَتَصَرُّفِ قَائِلِهَا فِيهَا بِلَا اعْتِسَافٍ وَلَا تَكَلُّفٍ ، وَسَلَاسَةِ أَلْفَاظِهَا ، وَصِحَّةِ مَعَانِيهَا ، فَهُوَ عَفْوُ الطَّبْعِ ، وَصَفْوُ الْقَرَضِ .

٤٣٩

وقال رجلٌ من الفزاريين :

- ١ - إِلَّا يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلًا فَإِنِّي لَهُ بِالْخِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ
- ٢ - وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَنُبُلِهَا إِذَا لَمْ تَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولُ

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « الطائف » .

(٢) ل : « العبد » .

٣ — إذا كنت في القوم الطوال أصببتهم بعارفة حتى يقال طويل^(١) يقول : إن لم يكن في طول امتداد ، ولا في خلق بسطة وكمال ، فإني لا أزال أصل نقص جسمي ، وأمد قصر قامتي بما أتولاه من الأفعال الكريمة ، وأختاره من الخصال الحميدة ، حتى أحو سمعة الإزراء عن نفسي . ومن أوتي الفضل في خلقه ونفسه ، وعاداته وشيمه ، خير ممن أوتي العظم في خلقه ، والبراعة في جسمه ، فلا فضيلة لمن حسن وجهه ونبل منظره ، إذا لم يزينه عقل وافر ، ونخب رائق . ومتى حصلت بين أقوام طوال القامات ، قابلت طولهم بطول يدي فيهم ، وأنلتهم معروف حتى عظمت في أعينهم ، وامتلات من حبهم لي وميلهم إلي قلوبهم ، فأنسأهم طول باع بالعطية قصر قامتي بين قاماتهم . وقوله « حتى يقال طويل » ارتفع طويل على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : هو طويل . أي يسلمون له فضيلة الطول عندهم .

٤ — وكما قد رأينا من فروع كثيرة تموت إذا لم تحيين أصول^٥ — ولم أر كالمعروف أمّا مذاقه فحلوا وأما وجهه فجميل هذا مثل ضربه للخصال المجتمعة في الإنسان ، لا تمدّ فضائل إلا إذا اقترنت بخصال آخر ، وهي كالأصول لها . ومثال ذلك ما قدمه من ذكر عبالة الخلق^(٢) إذا عريت من نباهة الخلق ، وما شاكلها من صباحة الوجه إذا خلّت من صحابة العقل . ثم قال : ولم أر شيئاً كإسداء المعروف وبث العطاء والإحسان ، فإن من ذاقه استخلاه ، ومن رآه استحسّنه وارتضاه . وهذا تأكيد ما ذكر من قوله : « أصبتهم بعارفة حتى يقال طويل » .

(١) التبريزي : « علوتهم بعارفة » .

(٢) العبالة ، بتثقيل اللام ، وتخفيفها لغة عن اللحياني ، وهي الثعل .

٤٤٠

وقال عبد الله بن معاوية^(١) :

١ — أَرَى نَفْسِي تَتَوَقُّ إِلَى أُمُورٍ وَيَقْصُرُ دُونَ مَبْلَغَيْنِ مَالِي

٢ — فَتَنْفَسِي لَا تَطَاوِعُنِي بِبُخْلٍ وَمَالِي لَا يَبْلَغُنِي فَعَالِي

قد مضى له أمثال^(٢) ، ومعناه ظاهر ، ويروى : « لَا يَقُومُ لَهُ فَعَالِي » .

٤٤١

وقال مضر بن ربيعي^(٣) :

١ — إِنَّا لَنَصْبِحُ عَنْ تَجَاهِلِ قَوْمِنَا وَنُقِيمُ سَافَةَ الْعَدُوِّ الْأَصْيَدِ

٢ — وَمَتَى نَخَفُ يَوْمًا فَسَادَ عَشِيرَةٍ نُصْلِحُ وَإِنْ تَرَصَّاحًا لَا نُفْسِدُ

يصفُ صفاء نيتهم لقومهم ، وأنهم يسلكون معهم طرائق ما يفود على المسود بالصلاح ، وعلى السائد باستكمال الرئاسة والارتفاع ، فقال : إذا جهلوا علينا صفحتنا عنهم ، وأبقينا على الحال بيننا وبينهم ، واستفأنا إفاةهم ورجعتهم . كل ذلك لئلا ينفروا فيزداد ما بيننا وبينهم تفاقماً . فأمّا الأعداء فإننا نكسرهم ونستقل عنهم كبرهم وخزوااتهم ، ونلين أعناقهم حتى ينقادوا على

(١) التبريزي : « عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر » : وهو عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، كان من فتيان بني هاشم وأجودهم وشعرائهم . وكان يرى بالزندقة ، وخرج بالكوفة في آخر أيام مروان بن محمد ، ثم انتقل عنها إلى الجبل ثم خراسان ، فأخذه أبو مسلم فقتله . الأغاني (١١ : ٦٣ — ٧٤) .

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « مضى أمثالها » .

(٣) هو مضر بن ربيعي بن لقيط بن خالد بن فضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس ابن طريف بن عمرو بن عقين الأسدي . شاعر محسن متمكن ، كان معاصراً للفرزدق . المؤلف ١٩١ ومعجم الرزباني ٣٩٠ .

ضِفْنِ مِنْهُمْ . وَالسَّالَفَةُ : صَفْحَةُ الْعُنُقِ . وَالصَّيْدُ : مَيْلٌ فِي الْعُنُقِ مِنَ الْكِبَرِ كَمَا مَا يَكُونُ الصَّعَرُ فِي الْخَدِّ ، وَكَأَنَّ الصَّادَ يَسْتَعْمَلُ فِي النَّظَرِ .

وقوله « وَمَتَى نَخَفُ يَوْمًا فَسَادَ عَشِيرَةٍ » يريد : إِنَّا نَسَعَى فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ ، وَلَا نَدْعُهُمْ يَتَدَابَرُونَ وَيَتَضَاغَتُونَ ؛ لِأَنَّ عِزَّ الرَّجُلِ بِعَشِيرَتِهِ ، ثُمَّ إِنْ رَأَيْنَاهُمْ عَلَى حَدٍّ مِنَ الصَّلَاحِ زِدْنَا فِي قُوَّةِ نِيَّاتِهِمْ ، وَحَمَلْنَاهُمْ عَلَى مَا يَزِدُّادُونَ بِهِ اسْتِقَامَةً وَاسْتِمْرَارًا .

٣ - وَإِذَا نَمَوْا صُعْدًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا الْخَبَالُ وَلَا نُفُوسُ الْحَسَدِ

٤ - وَنُعِينُ فَأَعْلَنَّا عَلَى مَا نَابَهُ حَتَّى نُيَسِّرَهُ لِفِعْلِ السَّيِّدِ

يقول : وَإِذَا ارْتَقَوْا فِي دَرَجَاتِ الْمَرْءِ وَتَبَوَّءُوا مَنَازِلَ الْفَضْلِ ، لَمْ نَحْصُدْهُمْ ، وَلَمْ نَضَيِّقْ عَلَيْهِمْ طَرَائِقَ مَقَاصِدِهِمْ ، فَيُورِثُهُمْ ذَلِكَ خَبَالًا^(١) وَفُتُورًا . وَالسَّاعِي مِنْهُمْ إِذَا جَدَّ فِي إِقَامَةِ مَا يَنْوِبُهُ مِنَ الْحَقُوقِ أَعْنَاهُ عَلَى إِتِمَامِ مَا يَشِيدُهُ ، وَالزَّيَادَةُ فِيمَا يُؤَيِّدُهُ ، حَتَّى تَبْلُغَ بِهِ فِعْلُ السَّيِّدِ ، عَلَمًا بِأَنَّهُ رَفَعْتَهُمْ لَنَا ، وَجَاهَلَهُمْ جَاهِلُنَا .

٥ - وَنُجِيبُ دَاعِيَةَ الصَّبَاحِ بِثَائِبٍ عَجَلِ الرُّكُوبِ لِدَعْوَةِ الْمُسْتَنْجِدِ

٦ - فَتَنْفُلُ شَوْكَتَهَا وَنَفْثًا حَمِيهَا حَتَّى تَبُوحَ وَحَمِينًا لَمْ يَبْرُدِ

٧ - وَنَحِلُّ فِي دَارِ الْحِفَاطِ يَبُوتُنَا رَتَعَ الْجَسَائِلِ فِي الدَّرِينِ الْأَسْوَدِ^(٢)

قوله « وَنُجِيبُ دَاعِيَةَ الصَّبَاحِ » ، يريد : وَإِنْ اسْتَعَانَ بِنَا مِنْ أُغْيَرٍ عَلَيْهِ صَبَاحًا مِنْ ذِي مَحْرَمٍ أَوْ جَارٍ ، أَوْ مَتَسَبَّبٍ بِإِلٍّ وَقَرَابَةٍ ، أَجَبْنَاهُ سَرِيعًا بِجَيْشٍ سَرِيعِ الرُّكُوبِ لِدَعْوَةِ الْمُسْتَصْرِخِ ، فَنَكْسِرُ شَوْكَةَ الْغَيْرِينَ ، وَنُخَمِدُ نَازِلَتَهُمْ وَنَسْكُنُ حُمَاهُمْ حَتَّى تَبْرُدَ وَحُمَانَا لَمْ تَسْكُنْ وَلَمْ تَبْرُدْ^(٣) . وَجَعَلَ الشَّوْكََةَ كَنَاءَةً عَنِ

(١) ل : « خَبَالًا » .

(٢) ل ، وَالتَّبْرِيزِي : « وَنَحِلُّ فِي دَارِ الْحِفَاطِ يَبُوتُنَا » .

(٣) فِي النُّسخَةِ : « يَبْرُدُ » وَ « يَكُنْ » .

السَّلاح والقُوَّة جميعاً . وقوله « نفثاً » هو من فَثَّتُ القِدْرَ ، إذا سَكَنْتْ غَلِيانَهَا . وقوله « حتى تَبُوحَ » يقال : باخَتِ النَّارُ إذا طَفِئَتْ .

ومعنى « وَنُحِلُّ^(١) » في دار الحفاظ بيوتنا « نَصِيرُ في دار المحافظة على الشَّرَف إذا اشْتَدَّ الزَّمان ، وإذا قَصَدَ غَيْرُنَا لِلخِصْبِ أو طَلَبَ الانْتِجَاعِ أَقْمَنَا مُرْتَعِينَ في الدَّرِينِ مَا لَنَا ، ولا نَمَكِّنْ أَعْدَاءَنَا مِنْ أَرْضِنَا وَحِجَانَا . والدَّرِين : اليابس من السَّكَلِ القَدِيمِ العَهْد . وجعله أَسْوَدَ لفساده وطولِ قِدَمِهِ . ويروى « وَنَحْلُ^(٢) » في دار الحفاظ بيوتنا . وانتَصَب « رَنَعَ الجَمَالِ » على أنه مصدر في موضع الحال . ومثله قول الآخر^(٣) .

وَنُحِلُّ في دارِ الحِفاظِ بِيُوتِنَا زَمَناً وَيَطْعَنُ غَيْرُنَا لِلأَمْرِ^(٤)

٤٤٢

وقال المتوكلُ اللَّيْثِيُّ^(٥) :

١ — إِنِّي إِذَا مَا انْخَلِيلُ أَحَدَثَ لِي صَرَمًا وَمَلَّ الصَّفَاءُ أَوْ قَطَعَا

٢ — لَا أَحَدَسِي مَاءَهُ عَلَى رَنَقِي وَلَا يَرَانِي لَبِينِيهِ جَزِعَا

يقول : إذا اعوجَّ صديقُ لي والتوى ، وطلبَ الخِلافَ عَلَيَّ فَأَحْدَثَ لِي نُبُوءًا وَجَفَاءً ، وتبرَّعَ من مُصَافِقَاتِي فَأَقْبَلَ يَتَجَنَّى عَلَيَّ ، فَإِنِّي لَا أَرُومُ مِنْهُ الْعَوْدَ ، وَلَا أَعْرِضُ عَلَيْهِ الرُّجُوعَ ، بل أَصَارِحُهُ وَلَا أَتَجَرَّعُ مَاءَ الْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَلَى

(١) ل : « ونحل » .

(٢) ل : « ونحل » بالنون .

(٣) هو الحادرة الديباني . الفضلية ٨ .

(٤) ل : « ونحل » . المفضليات : « وتقيم في دار الحفاظ » .

(٥) هو المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن وهب بن عمرو بن لقيط السكناني ، وكان يكنى

أباجهمة . وكان على عهد معاوية وابنه يزيد ، ومدحهما . الأغاني (١١ : ٣٧ — ٤١)
والمؤتلف ١٧٩ ومعجم الرزباني ٤١٠ .

كَدَّرَ فَأَحْتَمَلُ مَكْرُوهَهُ ، وَلَا أَظْهَرُ جَزَعًا لِمُتَحَدِّثِ فِرَاقٍ مِنْهُ ، أَوْ تَنْكِيرٍ
يَنْطَوِي عَلَيْهِ فَأُخْبِتُ لَهُ ^(١) ، لِأَنِّي وَصَّالٌ صَرُومٌ ، أَصَافِي مَنْ يُصَافِيَنِي ، وَأُجَامِلُ
مَنْ يُجَامِلُنِي ، وَأُدَاجِي مَنْ يَدَاجِيَنِي .

٣ - أَهْجُرُهُ ثُمَّ تَنْقُضِي غُبْرُ الْهِجْرَانِ عَنِّي وَلَمْ أَقُلْ قَدَعًا ^(٢)
٤ - أَحْذَرُ وَصَالَ اللَّيْمِ إِنْ لَّهُ عَضًّا إِذَا حَبَلُ وَصْلِهِ انْقَطَعَ
الْغُبْرُ ^(٣) : الْبَقَايَا ، وَاحْدَتُهَا غُبْرَةٌ . وَيُقَالُ : تَغَبَّرَتِ النَّاقَةُ ، إِذَا احْتَلَبَتْ
غُبْرَتَهَا . وَغُبْرُ اللَّيْلِ : مَاخِرُهُ . قَالَ :

فِيَا صُبْحُ كَمْ شُ غُبْرَ اللَّيْلِ مُضْعِدًا بِمَمَّ وَنَبَّهَ ذَا الْعِفَاءِ الْمَوْشِشَ ^(٤)
وَالْقَدَعَ وَالْقَدْبَةَ : الْفُحْشُ . يُقَالُ : قَدَعْتُهُ ، إِذَا رَمَيْتَهُ بِالْقَدَعِ . وَأَقْدَعَ
الرَّجُلُ : أَتَى بِالْفُحْشِ . وَكَلَامٌ قَدَعٌ . وَيُتَوَسَّعُ فِيهِ فَيُقَالُ لِلْقَدَرِ : الْقَدَعُ ، حَتَّى
يُقَالُ : قَدَعَ ثَوْبَهُ بِالْبَوْلِ وَغَيْرِهِ . يَقُولُ : أَقْطَعُ الْعِلَاقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَنْصَرِفَ عَنْهُ
هَاجِرًا ، وَتَنْقُضِي ^(٥) مُدَّةَ الْهِجْرَانِ عَنَّا وَلَمْ أَعْتَبِهِ وَلَا قَلْتُ فِيهِ فُحْشًا ، وَلَا ذَكَرْتُهُ
بِرَّالَةٍ كَانَتْ مِنْهُ .

ثُمَّ قَالَ : أَحْذَرُ مُوَاصِلَةَ اللَّيْمِ وَمُؤَاخَاةَ ، لِأَنَّهُ إِذَا انْقَطَعَ حَبَلُ وَصْلِهِ ،
وَانْصَرَّمَ مَا يَجْمَعُكَ وَإِيَّاهُ مِنْ وَدِّهِ يَتَكَذَّبُ عَلَيْكَ ، وَيَخْلُقُ مِنَ الْإِفْكِ فَيْكُ
مَا لَمْ تَكْتَسِبْهُ لَا بِيَدِكَ وَلَا لِسَانِكَ ، وَهَذَا كَأَنَّهُ لَمَّا نَفَى عَنْ نَفْسِهِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ
مَا نَفَى فِي الْبَيْتِ الثَّانِي أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ ، لِكَوْنِهِ مِنْ فِعْلِ اللَّثَامِ . وَالْعَضُّ :
ذِكْرُ الْقَبِيحِ كَذِبًا وَزُورًا . وَيُقَالُ : عَضَّتُهُ ، إِذَا رَمَيْتَهُ بِالزُّورِ . وَأَعَضَّه الرَّجُلُ

(١) أَخْبِتُ ، الْإِخْبَاتُ : التَّوَاضُعُ وَالِاطْمِئْنَانُ .

(٢) التَّبْرِيزُ : « ثُمَّ يَنْقُضِي غُبْرَ الْهِجْرَانِ » .

(٣) كَذَا وَرَدَتْ مُضْبُوتَةٌ فِي النُّسخَتَيْنِ فِي مَتْنِ الْبَيْتِ وَشَرَحَهُ .

(٤) الْبَيْتُ لِلطَّرْمَاحِ فِي دِيَوَانِهِ ٦٩ وَالْحَيَوَانَ (٢ : ٢٥٤ ، ٣٤٦ / ٧ : ٥٩)

وَاللَّسَانُ (وَشَح) . (٥) ل : « وَتَنْقُضِي » .

أَنَّى بِالْعَصِيْبَةِ وَهِيَ الْإِفْكُ . وَمِنْ كَلَامِهِمْ : يَا لَلْعَصِيْبَةِ ! وَيَا لَلْإِفْكَةِ !

٤٤٣

وَقَالَ بَعْضُهُمْ ^(١) :

- ١ — خَلِيلِي بَيْنَ السَّلِيلَيْنِ لَوْ أَنَّي بِنَعْفِ اللَّوَى أَنْكَرْتُ مَا قُلْتُ لِيَا ^(٢)
 - ٢ — وَلَكِنِّي لَمْ أَنْسَ مَا قَالَ صَاحِبِي نَصِيْبِكَ مِنْ ذَلِكَ إِذَا كُنْتَ خَالِيَا ^(٣)
- النَّعْفُ : مَا نَاعَفَكَ ، أَيْ عَارَضَكَ مِنَ الْجَبَلِ أَوْ الْمَكَانِ الْمُرْتَفِعِ . وَاللَّوَى : مُسْتَرْقُّ الرَّمْلِ . وَجَوَابُ لَوْ « أَنْكَرْتُ » ، وَكَأَنَّ نَعْفَ اللَّوَى كَانَ أَرْضَهُ وَدِيَارَهُ ، فَيَقُولُ : لَوْ كُنْتُ فِي أَرْضِي وَمَعِيَ عَشِيرَتِي وَأَهْلِي ، ثُمَّ سُمْتُانِي مَا سُمْتُانِي لِأَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَقْبَلْهُ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَذْهَبْ عَمَّا وَصَّانِي بِهِ صَاحِبِي مِنْ قَوْلِهِ : الزَّمْ نَصِيْبَكَ مِنَ الذَّلِّ إِذَا كُنْتَ فِي دَارِ غُرْبَةٍ ، وَمَتَبَاعِدًا عَنْ نُصَّارِكَ وَالْمَشْفِقِينَ عَلَيْكَ . وَانْتَصَبَ « نَصِيْبِكَ » بِإِضْمَارِ فَعْلٍ .

٤٤٤

وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ ^(٤) :

- ١ — وَمَا بَعْضُ الْإِقَامَةِ فِي دِيَارٍ يَهَانُ بِهَا الْفَتَى إِلَّا بَلَاءٌ
- ٢ — وَبَعْضُ خَلَائِقِ الْأَقْوَامِ دَاءٌ كَدَاءِ الْبَطْنِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ

(١) هُوَ قَتَادَةُ بْنُ خُرَيْجَةَ الثَّمَلِيُّ ، مِنْ بَنِي عَجْبٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذِيانٍ . انْظُرِ الْبَيَانَ (٣ : ٢٤٩) . وَالْبَيْتَانِ وَرَدَا فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَاتِ فِي رِسْمِ (السَّلِيلَيْنِ) بِدُونِ نِسْبَةٍ أَيْضًا .

(٢) فِي الْبَيَانِ : « بَهْرُ اللَّوَى » .

(٣) وَكَذَا رَوَاتِهِ فِي الْمَعْجَمِ . وَفِي الْبَيَانِ : « إِذَا كُنْتَ نَائِيًا » .

(٤) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحِمَاسِيَةِ ٣٦ ص ١٨٣ .

٣- يُرِيدُ الْمَرْءُ أَنْ يُعْطَى مِنْهُ وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا مَا يَشَاءُ

٤- وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِحَيٍّ سَيَأْتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا رَخَاءٌ

قوله « وما بعضُ الإقامة » إنما بعضُها لأنَّه أشار إلى الإقامة التي أوائلها تنزاعُ معها العِلَلُ ، ويسهل في اختيارها الانفصال والترحُّل ، وأواخرها تنغيرُ بما يعرض فيها حتَّى يشقَّ لها التلَوُّمُ والتَّثْنِثُ . وارتفع « بلاء » لأنَّه خبر المبتدأ ، وهو بعضُ الإقامة ، و « يُهَانُ بها الفتى » في موضع الصِّقَّة لقوله في ديار . فيقول : إذا أمكنَ الارتحالُ عن دار الهوان ، ولا دافع ولا مانع يُوجبان الصَّبْرَ فالإقامة بها بلاء ، ويجبُ على الحرِّ طلبُ الانفكاك منه ، ورومُ الخلاص من أذاه .

وقوله « وبعضُ خلائق الأَقْوَامِ » يريد أن بعضَ ما يتخلَّق به النَّاسُ يتعذَّرُ مفارقتَه ومُداوَاةُ إزالته ، فهو كالدَّاء الذي يكون بالإنسان وقد استصحبه من بطنِ أمِّه . يريد أن ما اعتاده الإنسان من الأخلاقِ يصيرُ إذا أتت الأيامُ عليه ، وقوى الإلْفُ له ، كالخِلْقَةِ أو ما يجري مجراها .

وقوله « يريد المرء أن يُعطى منه » ، معناه أن الإنسانَ يَتمنَّى أن يحصلَ له ^(١) ما يتعلقُ به شهوَتُه ، ويرتادُه هَواه وإرادَتُه ، ويمنعُ اللهُ تبارك وتعالى إلَّا ما يكون بمشيئَتِه ، ويعرفُه مِن مَّصالحِ خَلِيقَتِه .

وقوله « وكلُّ شديدة » يريد أن الشَّيْءَ لا يدوم على حال ، فالشدائد إذا نزلتْ يتعقَّبها الخَيْرُ ورَخاءُ العيش وسَعَتُه ، لأنَّ لكلَّ أمرٍ أمدًا يمدُّ له الوقت ، فإذا تناهى انقطع .

٥- وَلَا يُعْطَى الْحَرِيصُ غِنًى لِحَرَصٍ وَقَدْ يَنِمِّي إِلَى الْجُودِ الثَّرَاءُ ^(٢)

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « يجعل له » .

(٢) ل : « فلا يعطى » . التبريزي : « على الجود » .

٦- غَنِيَّ النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ غَنِيٌّ وَفَقْرُ النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ شَقَاءُ

٧- وَلَيْسَ بِنَافِعٍ ذَا الْبُخْلِ مَالٌ وَلَا مُزِرٌ بِصَاحِبِهِ السَّخَاءُ

٨- وَبَعْضُ الدَّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفَاءُ وَدَاءُ النُّوْكِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءُ

قوله « ولا^(١) يُعطى الحريص » يريد أن حرص الإنسان في طلب الغنى لا يُجدي عليه نفعا ، ولا يقرّب منه بعيدا ، لأنّ ميسر اليسر والغنى هو من له الخلق والأمر ، وإليه الإبرام والنقض .

وقوله « وقد ينمي إلى الجود » يريد أن الثروة والكثرة هما ينميان مع الجود . وإنما يقدح بهذا الكلام في البخل والإمساك ، وأنّ زيادة المال وبقاءه لا يحصلان لهما وبهما . وقوله « إلى الجود » إلى بمعنى مع . تقول : هذا إلى ذاك .

وقوله « غَنِيَّ النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ غَنِيٌّ » ، يريد أن غنى النفس خير من كثرة المال ؛ لأنّ من كان راضيا بماله ، غنيا عن غيره بما يحصل في يده ، تراه باكتفائه أغنى المومنين ، وفقير النفس وإن ساعده المال ، وأطاعه القدر يزداد على مرّ الأيام وزيادة الحال ، حرصا ونهمة وشقاء .

وقوله « وليس بنافع ذا البخل مال » ، يريد أن البخل لا ينفع بماله ، لأنه يجمعه ويتركه لغيره ، والسخاء لا يقصر بصاحبه ، بل يرفع منه ، ويكسبه الحمد والأحدوث الجميلة .

وقوله « وَبَعْضُ الدَّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفَاءُ » ، جعل الداء للجنس فتاب عن الجمع فقال : بعضها يُعرف شفاؤه فيطالب إزالته ، وداء الحمق لا شفاء له ، ولا تحيد

(١) ل : « فلا » .

لصاحبه عنه . وقوله « شِفَاه » قَصَرَ الممدود ، وهذا لا خلافاً في جوازه على المذهبين .

٤٤٥

وقال يزيد بن الحكم ^(١) :

١ - يَا بَدْرُ وَالْأَمْثَالُ يَضُرُّ رَبُّهَا لِذِي اللَّبِّ الْحَكِيمِ

٢ - دُمٌ لِلْخَلِيلِ بُوْدُهُ مَا خَيْرُ وَدٍّ لَا يَدُومُ

قوله « وَالْأَمْثَالُ يَضُرُّهَا » اعتراض دخل بين قوله « يا بدر » ، وبين دُمٌ للخليل من البيت الثاني ، ونَبَّهَ بهذا الاعتراض على أَنَّ وصيَّتَه وصيُّه حكيم ، وأنَّ اللَّيِّبَ العاقلَ يأخذُ بها ويتأدَّب .

ومعنى قوله « دُمٌ لِلْخَلِيلِ بُوْدُهُ » أي بُوْدُكَ له ، فأضافه إلى المفعول ، والمصدر كما يضاف إلى الفاعل يُضاف إلى المفعول . وقوله « ما خير وُدٍّ » استفهامٌ على طريق الاستثباتِ والقصدِ إلى النقي . والمعنى : أَنَّ الْوِدَادَ إذا لم يَصْفُ ولم يَدُمُ فلا خيرَ فيه . وقوله « لا يدوم » صفة لودٍّ . تلخيصه : أي شيء خيرٌ وُدٍّ غير دائم .

(١) التبريزي « ... يعظ ابنه بدرا » . وهو يزيد بن الحكم بن أبي العاص صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ص الفرزدق يوماً به وهو ينشد في المجلس شعراً فقال : من هذا الذي ينشد شعراً كأنه من أشعارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم . فقال : نعم ، أشهد بالله أن عمي ولدته . ودعاه المحتاج يوماً فولاه كورة فارس ودفع إليه عهداً بها ، ثم أنشده بعض شعره فألقاه بغضر أبيه ، فنفس عليه ذلك واسترد العهد منه ، فخرج يزيد مغاضباً وطلق بسليمان ابن عبد الملك فدحه ، فأعجبه ذلك وقال له سليمان : كم كان أجرى لك لعالة فارس ؟ قال : عشرين ألفاً . قال : فهي لك على ما دمت حياً . الأغاني (١١ : ٩٦ - ١٠١) والخزانة (١ : ١١١) .

- ٣ - واعرف لجارك حقه والحق يعرفه الكريم
 ٤ - واعلم بأن الضيف يؤم ما سوف يحمد أو يلوم
 ٥ - والناس ممتنّيان محمودة البناية أو ذميم^(١)

يقول : اعرف حق الجوار لجاورك ، فإن الكريم هو الذي يعرف حق مثله . وقوله « والحق يعرفه » الواو واو الحال ، وهو واو الابتداء . ولورويته بالناء كان أجود ، والمعنى اعرف حق الجار لأن حقه تعرفه الكرام . فإذا رويته بالواو يكون حالاً لقوله حقه ، كأنه قال : اعرف حقه معروفاً للكرام ، وهو معروف للكرام .

وقوله « واعلم بأن الضيف » يقال علمت كذا ، وبكذا . وهذه الوصاة بالضيف قد عللها بقوله « سوف يحمد أو يلوم » . والمعنى : أحسن إليه وتفقهه ، علماً بأن نزوله بك يحل حمداً إن أحسنت إليه ، أو لوماً إن أسأت إليه أو قصرت في حقه .

وقوله « محمود البناية » أتى بالبناية غير مبني على مذكر حصل من قبل ، ثم أدخل تاء التأنيث عليه ، فهو كالثنائية اسم الحبل ، والشقاوة والرعاية والنباوة . ولو كان مبنياً على مذكر لكان « البناء » ، لأن الواو والياء إذا كانا حرفي إعراب بعد ألف زائدة تبدل منهما همزة . على ذلك : الرعاء والكساء والرداء والباب كله .

ومعنى البيت : أن أفعال عقلاء الناس لا تخلو من أن تكون مما يستحق به حمداً أو ذمّاً ، فهم يمتنون مبانيتهم ، ويؤسسون مكاسبهم على أحد هذين الركنين ، وذلك لأن الأفعال تابعة للأغراض ، وغرض العاقل إليهما ينقسم ،

(١) في ل ضبطت « البناية » بكسر الباء وضمتها مقرونة بكلمة « معا » تحقيق للضبطين .

فانظر ماذا تجلب على نفسك بما تبتنيه من فعلك ، وتدخره من كسبك .
وارتفع « محمود » على أنه بدل من « مبتنيان » ، أو خبر مبتدأ محذوف ،
كأنه قال : هما محمود البنية أو ذسيم .

٦ - واعلم بنى فإنه بالعلم ينتفع العليم

٧ - أن الأمور دقيقتها مما يهيج له العظيم^(١)

٨ - والتبيل مثل الدين تقضاه وقد يلوى الغريم^(٢)

٩ - والبنى يضرع أهله والظلم مرتعه وخيم

قوله « بنى » إن ضمته فهو منادى مفرد ، وإن كسرتة فهو منادى مضاف
وقد حذف ياء الإضافة^(٣) . وإذا كان ياء الإضافة في المنادى يحذف في نحو يا غلام
لأن الكسرة تدل عليه ، وهو واقع موقع ما يحذف في هذا الباب وهو التنوين
وباب النداء باب حذف ، لكثرة الاستعمال ، فهو في بنى أولى بالحذف ، لاجتماع
الياءات والكسرات في آخرها . وقوله « فإنه بالعلم ينتفع العليم » الهاء ضمير
الأمر والشأن ، والجملة اعتراض بين اعلم ومفعوليته . والمراد باستعمال العلم ، وذلك
أن من علم طرق الرشاد ثم لم يسلكها كان معرفته بها وبالاً عليه .

وقوله « إن الأمور » مفعول واعلم ، ودقيقتها مبتدأ وما بعده خبره ، والجملة
خبر إن . ولك أن تكسر فتقول « إن » على الاستئناف ، ويكون واعلم معلقاً ،

(١) كتبت « أن » بكسرة وفتحة لتقرأ بالروايتين .

(٢) تقضاه ، كتبت في ل بالناء والياء معا ، لتقرأ بالروايتين .

(٣) بنى . كذا ضبطت في النسختين والتبريزي . وهما الوجهان الكثيران في العربية .
لكن الأكثر في الاستعمال المعاصر « بنى » بفتح الياء ، وهو استعمال صحيح وردت به قراءة
عاصم في قوله تعالى : « يا بنى اركب معنا » وقرأ باقي السبعة بالكسرة اجترأ بها عن الياء .
أما قراءة عاصم فهي اجترأ بالفتحة عن الألف ، وأصلها « يا بنيا » كما في قولهم « يا حسرتنا »
« ويا غلاما » . التصريح (١٧٧ : ٢) وتفسير أبي حيان (٢٢٦ : ٥) .

والمعنى : أن الشرَّ يبدوهُ أصفرُهُ ، كما أَنَّ السَّيْلَ أولُهُ مطرٌ ضعيف . وهذا الكلامُ بَعَثُ على النَّظَرِ في ابتداءات الأمور وتصوُّرِ عواقبها .

وقوله « والتَّيْلُ مثلُ الدِّينِ » ، التَّيْلُ : الذَّحْلُ ، ومعنى يُلَوِي يَمْطُلُ ، ومصدرُهُ اللَّوِيُّ واللَّيَّانُ . وفي الحديث : « لَوِيٌّ الْوَاجِدُ يُحِلُّ عَقوبته » . وقد روى « يُلَوِي » و « يُلَوِي » فإذا رويت يُلَوِي بالكسر ، فعناه يذهب بالحق . يقال : ألَوِيَ بالشَّيءِ إذا ذهبَ به ، و « يُلَوِي » هو بناء ما لم يُسَمَّ فاعله ، لَوِيَ إذا مَطَلَ . والغريم : اسمٌ لمن لَهُ الدِّينُ ، ولِلَّذِي عَلَيْهِ الدِّينُ . وأصل الغرامة اللُّزوم ، وليكون كلُّ واحدٍ منهما ملازماً لصاحبه إلى أن ينقضي ما بينهما أُجْرِي الاسمُ عليهما . والمعنى : أَنَّ الوِترَ والذَّحْلَ كالَّذِينَ على الوِترِ ، فهو بَعَرَضٍ المطالبة به كالأغريم ثُمَّ ، قد يَقْضَى وقد يَمْطُلُ ، فلا تكتسبه ، لأنَّ العداواتِ وخيمة الأواخر ، سيئة المبادئ .

وقوله « والبَغْيُ يَضْرَعُ أَهْلَهُ » يقول : وإذا كان لك خَصَمٌ في شيء فلا تستهين به ، ولا تستعمل البغْيَ معه ، فإنَّ مَنْ بَغِيَ عَلَيْهِ بَعَرَضُ النُّصْرَةِ ، والباغِي بَعَرَضُ الثَّلَفِ والهَلَكَةِ ، ولا تَظْلِمُ فَإِنَّ الظُّلْمَ ذَمِيمُ المَرْتَعِ وَيَبِيلُهُ ، وفَطِيعُ الْمَسْمَعِ قَبِيحُهُ . ويقال : ظَلَمْتُهُ ظُلْماً بَفْتَحِ الظَّاء وهو المصدِر ، وظُلماً بضم الظَّاء وهو الاسم .

١٠ - ولقد يَكُونُ لَكَ الْغَرِيْبُ مَبُؤًى أَخَا وَيَقْطَعُكَ الْحَمِيمُ

١١ - وَالْمَرْءُ يُكْرِمُ لِلْغَنَى وَيُهَانُ لِلْعَدَمِ الْعَدِيمُ

١٢ - قد يُقْتَرُ الْحَوْلُ التَّقْيُّ وَيُكْثَرُ الْحَمَقُ الْأَثِيمُ

١٣ - يُمْلَى لِذَلِكَ وَيُنْتَلَى هَذَا فَأَيُّهُمَا الْمَضِيمُ

قوله « ولقد يكون » معناه أن الوفاء قد يكون في الغريب إذا آخيته ،
والخيانة تتفق من القريب إذا صافيته ، فانظرُ لنفسك إذا اخترت ، ولا تعتمد
القُرْبَى والقَرابة ، فإنَّ المؤاخاة مبيّنة على الأصول الزكيّة ، والنُفوس الوفيّة ،
لا على الأنساب والأسباب .

وقوله « والمرء يُسكرم » يقول : ادّخر المال واسع في جمعه ، وإيّاك
واستعمال التبذير فيه ، فإنَّ السير منه مع حُسن التدبير يتّصل بقاؤه ، وكرامةُ
المرء متسببة عن غناه ، كما أن هوانه في قران فقره . وقوله « والمرء » ارتفع
بالابتداء ، وخبره يُسكرم ، وقد عُطِف على هذه الجملة جملة مخالفة لها من
الفعل والفاعل ، وهو قوله « ويُهَانُ للعَدَم العديم » ، ولولا ما بين الجملتين من
التقارب لما صلَح ذلك . ومثله قول الآخر ^(١) :

* أموفٍ بأدراع ابن ظبيّة أم تدم ^(٢) *

وعلى العكس من هذا قولُ الله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾ ، لأنَّ هذا عُطِف فيه المبتدأ والخبر على الفعل والفاعل .
وقوله « قد يُقتَر الحَوْلُ » ، فالتحوّل : الكثير الحيلة . وصَحَّحَ بقاؤه ولم
يُعلَّ إخراجه له على أصله ، وتنبيهاً أنَّ ما عُلِّل من نظائره كان حكمه أن يجيء
على هذا . ومما جاء على القياس من نظائره : رَجُلٌ مَالٌ وصاتٌ وما أشبههما .
وكذلك هذا كان يجب أن يقال حالٌ . والمعنى أنَّ الكثير الحِيل ، الخَرَّاج
الوَلَّاج ، وهو سديدٌ في طرائقه ، قد يفتقرُ فيكون مُقَلًّا ، وأن المائق الناقص
في عقله ، المكتسب بجهله ، المرتكب للأوزار بحرصه ، قد يستغنى هو فيكون

(١) هو راشد بن شهاب البشكري . انظر البيت ١١ من المفضلية ٨٦ .

(٢) ظبية ، كذا وردت في النسختين . وفي المفضليات : « طيبة » . وصدرة :

* أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد *

مُكْتَبَرًا ، إذ كانت الْقِسْمُ والحُظُوظُ لَا تَقِفُ عَلَى كَيْسِ الْمَرْءِ وَخُرْقِهِ ، وَلَا عَلَى تَقَاهُ وَفَسْقِهِ .

وقوله « يُمَلَّى لَذَاكَ » أشار بذلك إلى الْحَقِيقِ الْأَثِيمِ ، وبهذا إلى الْحَوْلِ التَّقَى . وقد طابق بذلك وهذا ^(١) فيقول : أُمَلَّى لَذَاكَ الْجَاهِلِ وَأَرْخَى لَهُ الْحَبْلُ فَنَالَ مَا نَالَ ، وَابْتَلَى هَذَا الْحَوْلِ التَّقَى حَتَّى شَقِيَ وَحُرِمَ ، فَأَيُّهُمَا الْمَظْلُومُ . والمعنى أَنَّ ذَلِكَ مِنْ قِسْمَةٍ مَنْ عَرَفَ مَصَالِحَ خَلْقِهِ ، وَعَلِمَ مَا يَتَأَدَّى إِلَيْهِ حَالُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، فَاخْتَارَ الْأَحْكَمَ فِي التَّدْبِيرِ ، وَالْأَصْلَحَ لِلصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ .

١٤ - وَالْمَرْءُ يَبْخُلُ فِي الْحَقُوقِ قِوَالِ الْكَلَالَةِ مَا يُسِيمُ

١٥ - مَا بَخُلُ مَنْ هُوَ لِلْمَنُو نِ وَرَيْبِهَا غَرَضٌ رَجِيمٌ

١٦ - وَيَرَى الْقُرُونُ أَمَامَهُ هَمْدُوا كَمَا هَمْدَ الْهَشِيمُ

يقول : تَرَى الرَّجُلَ يُسَوِّفُ بِمَا يَلِزُّهُ مِنْ أَدَاءِ الْحَقُوقِ ، فَيَبْخُلُ بِإِخْرَاجِهِ وَأَدَائِهِ ، فَيَمُوتُ عَمَّا يَجْمَعُهُ وَيَبْخُلُ بِهِ ، وَيَتْرَكُهُ لِلْكَلَالَةِ . وَالْكَلَالَةُ هُمُ الْوَرَاثُ وَقَدْ خَلَوْا مِنَ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ . وَأَصْلُهُ مِنْ تَكَلَّلَهُ النَّسَبُ ، إِذَا أَحَاطَ بِهِ . وَقِيلَ هُوَ مِنَ الْكَلَالِ : الْإِعْيَاءُ ؛ كَأَنَّهُ بُعِدَ النَّسَبُ أَكْلَهُ . وَقوله « مَا يُسِيمُ » يجوز أن يكون مصدرًا ، كَأَنَّهُ قَالَ : فإِسَامَتُهُ لِمَالِهِ لِأَخِي لَا لِنَفْسِهِ . ويجوز أن يكون ما بمعنى الذي ، وقد حذف الضَّمِيرَ الْعَائِدَ إِلَيْهِ مِنْ يُسِيمُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَلِلْوَرَثَةِ مَالُهُ الَّذِي يُسِيمُهُ . وَالْإِسَامَةُ : إِخْرَاجُ الْمَالِ إِلَى الْمَرْغَى . وَيُقَالُ : أَسَمْتُ الْبَعِيرَ فَسَامَ . وَمِنْهُ السَّامَةُ لِلْمَالِ : الرَّاعِيَةُ .

وقوله « مَا بَخُلُ مَنْ هُوَ » استفهامٌ عَلَى طَرِيقِ الْإِنْكَارِ . فيقول : مَا يُغْنِي بَخْلُ مَنْ هُوَ لِلْحَوَادِثِ كَالْغَرَضِ الْمَنْصُوبِ لِلرَّغْنَى ، فَإِذَا عَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ غَيْرُ

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « طابق هذا وذاك » .

مُحَلَّدٌ ، بل هو منقولٌ من دار الفناء إلى دار البقاء ، فلماذا يُمَسِّك ولا يُنْفِقُ ،
ويَجْمَع ولا يَفْرُق . هذا وقد رأى الأُمُّ الخالِيَّةُ قَبْلَهُ ماتوا وفَنُوا فَعَادُوا رَمِيًّا ، كما
يَهْمُدُ النَّبَاتُ فَيَصِيرُ بعدَ نَضَارَتِهِ دَرِيئًا هَشِيًّا ، وهو اليابس المتَهَشِّمُ الأسودُ
لَطُولِ القِدَمِ . والمَتُونُ يكونُ اسمًا للدَّهْرِ فيذْكَرُ ، ويُرَادُ به المَنِيَّةُ فيؤنَّثُ .
وهو من المَنِّ : القطع . فلك أن تروى : « ورَيْبِهِ » « ورَيْبِهَا » جميعًا . ومعنى
« ورَيْبِهَا » نزولُها ، قال أبو عبيدة : رابَ عليه الدَّهْرُ ، أى نَزَلَ . وقد يُرَادُ
بِرَيْبِ الزَّمانِ أحداثُهُ وصُروفُهُ الرَّائِبَةُ .

١٧ - وَتَخَرَّبُ الدُّنْيَا فَلَا بُوسَ يَدُومُ وَلَا نَعِيمٌ^(١)

١٨ - كُلُّ امْرِئٍ سَتَيْتِمٍ مِنْهُ هُ الْعِرْسُ أَوْ مِنْهَا يَتِيمٌ

١٩ - مَا عَلِمُ ذِي وَلَدٍ أَيُّ شَيْءٍ كَلَّهُ أُمُّ الْوَلَدِ الْيَتِيمُ

يقول : وإذا كانت الدنيا مَبْنِيَّةً للفناء لا للبقاء ، والخراب لا للعمارة ،
وكذلك أعراضها مخلوقة للزَّوال لا للدَّوام ، وقُرب الأمد في الاستمتاع بالمعارِ
لا بالإملاء ، فلماذا يَفْرَحُ الإنسان بما ينال ، ويَجْزَعُ لما يفوت ، وكلُّ بَائِدٍ
غير ثابت ، ومُسْتَلَبٍ غير موفَّر .

وقوله « كُلُّ امْرِئٍ » ، يقول : إنَّ الأَليفين فيها لا بدَّ من فِقْدانِ أحدهما
للآخر ، والبعْلُ يموتُ فَيَبْقَى العِرْسُ مِنْهُ أَيْمًا ، لتَقْدُمُ موْتِهِ ، والعِرْسُ تموتُ
فَيَبْقَى هو مِنْهَا أَيْمًا لتَقْدُمَها . ويقال : رجلٌ أَيْمٌ وإسْرَأَةُ أَيْمٌ . وقد آمَت تَلِيمٌ
أَيْمَةً . وكذلك ذو الولدِ لا يدري أيموتُ فَيَبْقَى الولدُ ، أم يَهْلِكُ الولدُ فيشْكَلُ
الوالدُ ، فإنَّ سُكَّانَ الدُّنْيَا موعودون لآجالٍ مُنْتَظَرَةٍ ، مدعوون لأحوالٍ مُؤَخَّرَةٍ .

(١) « تخرب » ضبطت في ل نقرأ بالبناء والياء . تخرب مخفف تخرب ، وتخرب هو
البنى للفعول من مضارع « خرب تخربا » .

وقوله « ما عِلْمُ ذِي وَلَدٍ » استفهامٌ معناه النَّفْيُ ، والمراد : لا يَعْلَمُ الوالدُ ما يكون منه ومن ولده في الإمهال والاستعجال ، أى لا يَدْرِى أىُّ الأمرَيْنِ يَقَعُ . وقد عطف قوله « أُمُّ الْوَلَدِ الْيَتِيمُ » وهو جملةٌ من ابتداء وخبر على « أَيَشْكَلُ » وهو فعل وفاعل . وجازَ ذلك لما قدَّمته ^(١) .

٢٠ - وَالْحَرْبُ صَاحِبُهَا الصَّلْبُ بُ عَلَى تَلَاتِلِهَا الْعَزُومُ

٢١ - مَنْ لَا يَمَلُّ ضِرَاسَهَا وَلَدَى الْحَقِيقَةِ لَا يَخِمْ

٢٢ - وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْحَرْبَ لَا يَسْطِيعُهَا الْمَرْحُ السَّوُّومُ

٢٣ - وَالْخَيْلُ أَجْوَدُهَا الْمَنَا هَبْ عَنْكَ كَبَّتِهَا الْأَزُومُ

الصَّلْبُ : الضِّلْبُ ذو الصَّلَابَةِ . والتلاتل : الشَّدائد ، ويقال : تَلْتَلَهُ ،

إذا حَرَّكَه . يقول : وصاحبُ الحربِ هو الصَّبُورُ على شِدَائِهَا ، القَوِيُّ العَزِمِ في مَصَارِفِهَا ، الحامِي الشُّكَّةِ ^(٢) على نَوَائِبِهَا ، فلا يَمَلُّ عِضَاضَهَا ، ولا يَخِمْ عند حَقَائِقِهَا . ومعنى يَخِمْ : يَجْبُنُ .

وقوله « مَنْ لَا يَمَلُّ ضِرَاسَهَا » في موضع الرَّفْعِ على أن يكون بدلاً من قوله الصَّلْبُ . والضَّرْمُ : العَضُّ ، وأصله إصَابَةُ الشَّيْءِ بِضَرْمِهِ .

ثم قال : واعلم أن الحرب لا يُطِيقُهَا لِلْوَلِّ النَّزِقُ ، الْعَجُولُ الطَّرِفُ ^(٣) ، لأنَّ مَبَانِيهَا على الصَّبْرِ والثَّبَاتِ ، والتَّدْبِيرِ السَّدِيدِ ، والحَذَرِ الشَّدِيدِ ، واستعمالِ الإِقْدَامِ في وَقْتِهِ ، والإِحْجَامِ لَدَى مُوَجِّبِهِ . وقوله « لَا يَسْطِيعُهَا » يريد لا يَسْطِيعُهَا . والماضِي منه اسْتَطَاعَ يَسْطِيعُ بكسر الهمزة ، وأصله اسْتَطَاعَ ، خُذِفَ التَّاءُ .

(١) انظر ما سبق في ص ١١٩٤ .

(٢) الشُّكَّةُ : السَّلاح . وفي ل : « السَّكَّةُ » .

(٣) الطَّرِفُ : الَّذِي لَا يَثْبُتُ عَلَى حَالٍ . وفي الْأَصْلِ : « الطَّارِقُ » صَوَابُهُ فِي ل .

وقوله « واخليل أجودها » يريد : خير الخليل ما يتهب الأرض انتهاباً في سعيه . وقال الخليل : المناهبة : المبارقة في الجري والحضر . ومعنى « عند كبتها » أى حلتها . وسئل رجل^(١) كيف طعمت قتيلك ؟ قال : « طعمته في الكبة ، طعنة في السبة^(٢) » فأنفذتها من اللبة^(٣) . وكل ما جمعته فقد كبتته . ومنه كبة الغزل . والأزوم : العضوض . والأزم : العض ، وكُنِيَ به عن الاحتماء قليل : « نعم الدواء الأزم » ، فكأنه أراد بالأزم هنا الصبر والثبات .

٤٤٦

وقال مُنْقِذُ الْهَلَالِي^(٣) :

- ١ — أَيُّ عَيْشٍ عَيْشِي إِذَا كُنْتُ مِنْهُ بَيْنَ حَلٍّ وَبَيْنَ وَشَكٍ رَحِيلِ
 - ٢ — كُلُّ فَجٍّ مِنَ الْبِلَادِ كَأَنِّي طَالِبٌ بَعْضَ أَهْلِهِ بِذُحُولِ
 - ٣ — مَا أَرَى الْفَضْلَ وَالْتِكْرَمَ إِلَّا كَفَكَ النَّفْسَ عَنْ طِلَابِ الْفُضُولِ
 - ٤ — وَبَلَاةٍ خَلُّ الْأَيْدَى وَأَنْ تَسَّ مَعَ مَنْ تَوَتَّى بِهِ مِنْ مُنِيلِ
- قوله « أَيُّ عَيْشٍ » استفهام مبتدأ . والمعنى الإيزاء به والذم له . « وإذا » تعلق بما دلَّ عليه عَيْشِي . والمراد : إذا كنتُ من عَيْشِي بين سفرٍ مُتَوَاصِلٍ ، ونزولٍ وارتحالٍ متتابعٍ ، ولا أنالُ دعةً ، ولا أحصلُ خَفَضاً وراحةً ، فكأنه لا عَيْشَ لِي . وقوله :

كُلُّ فَجٍّ مِنَ الْبِلَادِ كَأَنِّي طَالِبٌ بَعْضَ أَهْلِهِ بِذُحُولِ

(١) السائل هو النعمان بن النضر . انظر اللسان (سبب ٤٤٠) والأغانى (١٤ : ٨٧) .

(٢) السبة : الاست . وقيل لأبي حاتم : كيف طعنه في السبة وهو فارس ؟ فضحك وقال : انهزم فاتبعه ، فلما رهقه أكب ليأخذ بعنقه فرسه فطعنه في سبته .

(٣) سبقت ترجمته في الحماسية ٣٦٩ ص ١٠٥٢ .

قد سَلَكَ مثلَ هذا المسلكِ أبو تمام في قوله :

كَأَنَّ بِهِ ضِيقًا عَلَى كُلِّ جَانِبٍ مِنَ الْأَرْضِ أَوْشُقًا إِلَى كُلِّ جَانِبٍ
والمعنى : أَنِّي لَا أَقْتَصِرُ عَلَى قَصْدٍ مُنْتَوَى ، وَرَمِي نَفْسِي فِي جَانِبٍ مِنْ
الْأَرْضِ مُرْتَمَى ، وَلَكِنِّي أَتَنَقَّلُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَأَقَافُهَا ، وَأَضْرِبُ فِي
أَعْرَاضِ الْبَسِيطَةِ وَأَعْمَاقِهَا ، كَأَنِّي أَطْلُبُ بَعْضَ أَهْلِهَا بِتَرَةٍ ، فَهُوَ فِي الْهَرَبِ وَأَنَا
فِي الطَّلَبِ .

وقوله « مَا أَرَى الْفَضْلَ » يَنْبَغِي بِهِ عَلَى أَنْ سَعِيهِ فِي إِصْلَاحِ عَيْشِهِ ، وَتَرْكِ
مَا لَا يَعْنِيهِ مِنْ شَأْنِهِ ، فَقَالَ : لَيْسَ الْفَضْلُ وَالْعَقَافُ ، وَحَبْسُ النَّفْسِ فِيهَا يَبْنُوكُ
وَبَيْنَ النَّاسِ عَلَى التَّكْرُمِ وَالْكَفَافِ ، إِلَّا إِذَا زَمَمْتَ نَفْسَكَ عَمَّا يَتَجَاوَزُ رَمَّ
الْحَالِ^(١) ، وَوَقَفْتَ عِنْدَ مَا يُمَكِّنُ الْاِكْتِفَاءَ بِهِ مِنَ الْمَعَاشِ . فَمِنْ الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ
تَحْمُلُ النَّعَمِ عَنِ الْمُفْضِلِينَ ، وَتَسْمَعُكَ امْتِنَانِ الْمُتَمَلِّينَ . وَهَذَا دَأْبِي فِيمَا أَلْزِمُهُ مِنَ
التَّعَبِ ، وَأَحِلُّ عَلَيْهِ نَفْسِي مِنَ التَّجَوُّالِ فِي الْبِلَادِ وَالتَّقَلُّبِ . وَارْتَفَعَ « بَلَاءٌ »
عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ مُقَدِّمَ ، وَالْمُبْتَدَأُ حَمَلَ الْأَيَادِي . وَقَوْلُهُ « تُؤْتِنِي بِهِ » مِنْ صِفَةِ الْمَنِّ .

٤٤٧

وقال محمد بن أبي شحاذ^(٢) :

- ١ - إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتَ الْغِنَى ثُمَّ لَمْ تَجِدْ بِفَضْلِ الْغِنَى أَلْفَيْتَ مَالَكَ حَامِدُ
- ٢ - إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرِكَ بِجَنَابِكَ بَعْضَ مَا يَرِيبُ مِنَ الْأَذْنَى رَمَاكَ الْأَبَاعِدُ

(١) رَمَ الْحَالُ : إِصْلَاحُهَا . وَفِي الْأَصْلِ : « سَرَّ الْحَالِ » وَأَثْبَتْنَا مَا فِي ل .

(٢) التَّبْرِيزِيُّ : « مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي شَحَّاذٍ الضَّبِّي » . أَبُو الْفَتْحِ : شَحَّاذٌ عَلِمَ غَيْرَ مَنْقُولٍ .
قَالَ : وَأَجِيزٌ مَعَ هَذَا أَنْ يَكُونَ فِي الْأَصْلِ مُصَدَّرُ شَاحِذَتِي بِشَاحِذَتِي شَحَّاذًا ، إِذَا رَاسَلَكَ
وَضَاهَاكَ فِي شَحْذِ السِّيفِ وَنَحْوِهِ . وَفِي الْقَامُوسِ : « وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي شَحَّاذٍ كَكِتَابِ شَاعِرِ ضَبِي » .

قوله « إذا أنت » جوابه أَلْفَيْتَ ، وهو الفعل الواقع فيه ، لأنَّ إذا بتضمُّنِهِ للجزاء يطلبُ جواباً ويكون ظرفاً له ، فيقول : إذا نِلْتَ اليسار والغنى ، ومُكِنْتَ من أطماع الدنيا فملكتهَا ، ثم لم تتَسَخَّ بما يَفْضُل من وَجْدِكَ ، وَجِدْتَ لَا يُثْنِي عَلَيْكَ حامد ، وَلَا يَحْفَظُ غَيْبَكَ ذائد ، وفي الثناء الباقي على الدهر خَلْفٌ من نَفَادِ العُمر ، فَإِنْ لم تَكْتَسِبْهُ بما تفألِه لِجِحِّكَ الذَّمُّ مِّنَ الحَاضِرِ سِيَّاهُ ، وَالْفَاضِلِ سِيَّام .

وقوله « إذا أنت لم تَعْرُكْ » جوابه رماك الأبعاد . وكما بعث في البيت الأول على الإفضالِ وذمِّ الإمساك مع القدرة ، بعث في هذا البيت على مُصَابِرَةِ العشيِّ واستبقائهم ، وتركِ مؤاخذتهم بما يَتَّفِقُ من هَفَوَاتِهِمْ ، وتَدْقِيقِ محاسبتِهِمْ على بدَوَاتِهِمْ وزَلَّاتِهِمْ . فقال : لَا يُؤْمِنُكَ إقبالُ الدنيا عليك إذْ بَارَهَا عَنْكَ ، وَلَا دَوْلَةٌ لَّكَ من إدالَةٍ مِنْكَ . واعْلَمْ أَنَّكَ إذا لم تَعِفَّ عما يَرِيْبُكَ من أَدَانِيكَ ، ولم تَحْتَمِلْهُ في عَفْوِكَ وحلِكَ ، اجترأ عليك الأبعادُ فَرَمَوْكَ بما لَا صَبَرَ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ أَذَاهُمْ ومَكْرُوهِهِمْ . ويقال : عرَكَتُ كَذَا بِجَنَنِى ، أى احتملته وجعلته مَنًى بظَهْرٍ . والعَرَكُ والدَّلَكُ بمعنى واحد . وقال : « بعض ما يَرِيبُ من الأدنى » ، إشارة إلى ما يكون فيه على الحِلْمِ مُحْمِلٌ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَا يَرِيبُ يُعَدُّ التَّجَافِي عَنْهُ حَسَنًا .

٣- إذا الحِلْمُ لم يَغْلِبْ لَكَ الْجَهْلُ لم تَزَلْ عليك بُرُوقُ جَمَّةٍ وَرَوَاعِدُ

٤- إذا العَزْمُ لم يَفْرِجْ لَكَ الشُّكَّ لم تَزَلْ جَنِيْبًا كَمَا اسْتَنَلَى الْجَنِيْبَةَ قَائِدُ

قوله « إذا الحِلْمُ » جوابه لم تزل ، فيقول : تَحَلَّمْ في كثيرٍ ممَّا يَعْرُوكُ ويَطْرُقُكَ ، وانظرُ أن تكونَ لَكَ الغَلَبَةُ على جِهْلِكَ ، والتَّمَلُّكُ لاحتدادِكَ وَصَوْلِكَ ، فَإِنَّكَ إِنْ لم تستعمل الأناةَ في مقارضاتِكَ ، وَتَسَرَّعْتَ إلى المكافأة على ما يظهر لك ، ولم تضنَّ بِنِمْ بِلَوْتِهِ فَعَرَفْتَ مَذَاهِبَهُ ، وَخَبِرْتَ خِلَافَتَهُ ، وصار

مستمداً رأيك ومشتكى حزنك لم تنتفع بغيره ، واجتمعت عليك البروق والرواعد ممن تعدد لك وعليك . وهذا مثل لأنواع الأذى والمكرهه ، والتوعد بضروب القول ، وفنون الفعل .

وقوله « إذا العزم لم يفرج » جوابه لم تزل جنيباً . والمعنى : انظر لنفسك فيما تشرف عليه طالباً للحرز ثم اعزم ، ودع التشكك والتلوم فيما يريك رأيك ، وإلا بقيت تابعاً لغيرك ، متوقفاً فيما يمشك ، كما يستتبع قائد الخيل مجنوباً له . وهذا بعث على افتتاح الأمور ، واستعمال الاستبداد فيها بعد النظر والتحرز في الظاهر ، وترك التعرج^(١) على قول مانع ، أو دفع مزاحم ، أو مذكر بعاقبة . كما وصى في البيت الذي قبله بالرفق في الأمور التي تكسب العداوات ، واستعمال الصبر فيما يجلب الضغائن ويهيج الثرات .

٥ — وَقَلَّ غَنَاءُ عَنْكَ مَا لَجَمْعُهُ إِذَا كَانَ مِيراثًا وَّوَارَاكَ لَاحِدٌ^(٢)

٦ — تَجَلَّلْتَ عَارًا لَا يَزَالُ يَشْبُهُ سِبَابُ الرَّجَالِ تَثْرُمُ وَالْقَصَائِدُ^(٣)

المراد بذكر القلة ها هنا النفي ، لا إثبات شيء قليل . وانتصب « غناء » على الحال ، أي مغمنياً عنك . فيقول : لا يغني عنك مالٌ تجمعهُ إذا ذهبت عنه وتركته لورثتك ، فإن ما تملكه هو ما تنفقهُ أيام حياتك ، وتصرفه فيما يدخرُ لك أجراً ، أو يكسب لك حمداً ، فأما إذا سترك من يلحد قبرك ، فما تتركه لغيرك لا حظاً لك فيه ، ولا نصيب ، بل تكتسى عاراً منه لا يزال يوقد ناره [ويرفع في المحافل ذكره سبَابُ الرَّجَالِ ، من النثر تارة^(٤)] ، ومن النظم

(١) ل : « التعرج » .

(٢) التبريزي : « إذا صار ميراثاً » .

(٣) انظر الكلام على هذا البيت في اللآلئ ٤٢٩ .

(٤) هذه النكاملة من ل .

أخرى ، لأنَّ الباخلَ مذمومٌ بكلِّ لسانٍ حيًّا وميتًا ، وفي كلِّ زمانٍ موجوداً ومفقوداً ، ثم تراه كالجلاني على كلِّ مَنْ يعرفه ، فهم يذمُّونه بظَهْرِ الغيب ، ويقدِّعونه في الحُضور ، فلا يزال مسبوباً ، ما كَوَّلَ اللَّحمَ مدحوراً .

٤٤٨

وقال^(١) :

١ - وَيَلِمُ لَذَاتِ الشَّبَابِ مَعِيشَةً مَعَ الْكَثْرِ يُعْطَاهُ الْفَتَى لِمُتْلَفِ النَّدَى
٢ - وَقَدْ يَعْقِلُ الْقُلُ الْفَتَى دُونَ هَمِّهِ وَقَدْ كَانَ لَوْلَا الْقُلُ طَلَاعَ أَنْجَدِ

لفظة « ويل » إذا أُضيفت بغير اللام فالوجه فيها النصب ، تقول : ويل زيد ، والمعنى ألزم الله زيدا وَيلاً ، فإذا أُضيفت باللام فقول : ويل لزيد ، حكمه أن يُرفعَ فيصير مع ما بعده جملةً ، ابتدئ بها وهي نكرة لأن معنى الدعاء منه مفهوم . والمعنى : الويل ثابت لزيد . كأنه عدّه مُحصَّلاً له ، كما يقال : رَجِمَ الله زيدا ! فيجعل اللفظ خبراً . وإذا كان حُكم وَيْلٍ هذا وقد ارتفع في قوله « وَيَلِمُ لَذَاتِ الشَّبَابِ » فمن الظاهر أن أصله وَيْلٌ لَأَمِّ لَذَاتِ الشَّبَابِ ، فحذف من أَمِّ الهمزة ، واللام من ويل ، وقد أُلقي حركة الهمزة على اللام الجارة ، فصار وَيْلٌ . وقيل : وَيْلٌ ، كما قيل : ﴿ الْحمدُ لله ﴾ و ﴿ الْحمدُ لله ﴾ إتباعاً لإحدى الحركتين الأخرى . وقصده إلى مدح الشَّبَابِ وحمْدِ لَذَاتِهِ بينَ لَذَاتِ الْمَعَاشِ

(١) يفهم منه أن البيهقي لحمد بن أبي شعاذ . لكن قال التبريزي : « وقال آخر » . وفي الخزانة (١ : ٥٦٣) : « ونسبهما الأعلام الشنمري في حماسته لحمد بن سجار الضبي » . ومما هو جدير بالذكر أن محمد بن أبي شعاذ يقال له « حميد » أيضاً . وكلمة « سجار » محرقة من شعاذ . انظر حواشي الآلي ٤٢٩ . ونسبهما البغدادي أيضاً إلى علقمة الفحل . وعما في ديوانه ١٣٥ . ونسباً في اللسان (قلل) إلى خالد بن علقمة الدارمي ، وفي (نجد) إلى حميد بن أبي شعاذ الضبي .

وقد طاع لصاحبه الكثير ، وهو كثرة المال ، فاجتمع الغنى والشباب له وهو
 سخي مبذر فيما يكسبه ذكرا جميلا ، وصيتا عاليا . ثم قال : وقد يحبس قلة
 المال صاحبه دون ما يهتم له أو يهتم به . وقد كان لولا إضاقتة وقلة ذات يده
 طلابا للترقى في درجات الفضل والإفضال ، طلاعاً على عوالم الرتب في
 النهايات . وانتصب « معيشة » على التمييز .

٤٤٩

وقالت حرقۃ بنت النعمان^(١) :

- ١ — بَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ مِنْهُمْ سُوقَةٌ نَنْصَفُ^(٢)
 ٢ — فَأَفِ لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَقَلُّبُ تَارَاتِ بِنَا وَتَصَرَّفُ
 بينا : كلمة تستعمل في المفاجآت ، وهي من ظروف الزمان . وقد يقال
 بينا ، كأنهم أرادوا أن يصلوه بدلاً مما كان يُضاف إليه من قبل بما أو بالألف ،
 والمراد : بين الأزمنة التي تجري علينا ونحن نسوس الناس ونُدبر أمرهم بما
 نريد ، وطاعتنا واجبة ، وأحكامنا نافذة ، إذا الأمر انقلب فانتصت الأحوال ،
 وتسلطت الأبدال ، وصرنا سُوقَةً نخدّم الناس . والتأصف في اللغة : الخادِم .
 والشوق : مَنْ دُونَ الْمَلِكِ . ومعنى « والأمر أمرنا » ، أى لا يدفوق أيدينا .

(١) هي حرقۃ بنت النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن نصر بن
 ربيعة بن الحارث بن مالك بن عجم بن غارة بن لحم . المؤتلف ١٠٣ . التبريزي : « وحرقۃ
 هذه وأخوها حرقۃ ابنا النعمان ، وفيهما يقول الشاعر :

نقسم بالله نسلم الحلقة ولا حريقاً وأخته حرقۃ »

ومثله في اللسان لكن جعل اسم أخيها « حريق » كما في نص الشعر . وفيه التبريزي
 على أن الشاعر فتح راء « حرقۃ » لضرورة الشعر .

(٢) كذا في النسختين . وفي التبريزي والمؤتلف واللسان (نصف) : « إذا
 نحن فيهم » .

والعامل في بينا ما دلّ عليه قولها « إذا نحنُ منهم سُوقَة » . وإذا هذه ظرفُ مكان ، وهي للمفاجأة ، وقد تقدّم القولُ فيه .

وقوله « فافٍ » فيه لغات عدّة ، يفتح ويكسر ويضم ، وينوّن في كلِّ ذلك ويُترك التنوينُ فيه . وهو اسمٌ من أسماء الفعل ، وأسماء الفعل أكثرُ ما تقع في الأمر والتّهي ، وفي باب الخبر تقع قليلا ، فمنها أفٍ هذه ، وواها ، وهيهات وأحرفٌ آخر . ومعنى أفٍ التّحقير . كأنّه قال : حقارةٌ لدُنْيا نعيمها يزول ، وحالها لا يدوم ، بل تَقَلُّبُ بأهلها وتحوّل ، وتصرّفُ بطلّابها وتبدّل . فمن فتح أفٍ فلخفةُ الفتحة ، ومن كسر فلا لقاء الساكنين لأنّ الكسر فيه أولى ، ومن ضمّ فلا اتباع الضمة الضمة . والتنوين فيه أمانة للتّكثير ، وتركُ التنوين أمانةٌ للتّعريف .

٤٥٠

وقال الحكم بن عبدل^(١) :

- ١- أَطْلُبُ مَا يَطْلُبُ الْكَرِيمُ مِنَ الرَّزْقِ قِ بِنَفْسِي وَأُجِلُّ الطَّلَبَا
- ٢- وَأَحْلُبُ الثَّرَّةَ الصَّنِيَّ وَلَا أَجْهَدُ أَخْلَافَ غَيْرِهَا حَلَبَا^(٢)

(١) هو الحكم بن عبدل بن جبلة الأسدي ، ينتهي نسبه إلى أسد بن خزيمه ، وكان هجاء خبيث اللسان من شعراء الدولة الأموية ، ومنزله ومنشؤه الكوفة . وكان أعرج لا تفارقه العصا ، فترك الوقوف بأبواب الملوك ، وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رساله فلا يحبس له رسول ، ولا تؤخر له حاجة ، وفي ذلك يقول يحيى بن نونل :

عصا حكم في الدار أول داخل ونحن على الأبواب نقص ونحجب
وكانت عصا موسى لفرعون آية وهذي لعمر الله أدمى وأعجب
تطاع فلا تقصى ويحذر سخطها ويرغب في الرضا منها ويرهب

الأغاني (٢ : ١٤٤ - ١٥٣) والمؤتلف ١٦١ .

(٢) التبريزي : « أخلاف غيرها » ، ثم قال : « وروى : الصفوف والصفوف : التي يصف لها إناء أن قتلوها . ومن روى الصفي فعناه الغزيرة . وبعض الناس ينشد : =

يَقُولُ : مَطَالِبِي مِنَ الدُّنْيَا وَمَرَاغِبِي عَلَى حَدِّهِ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْكَرَمِ وَالتَّعَفُّفِ ،
لَا يَزِرُنِي بِي نَظَرُ النَّازِلِ إِلَيَّ ، لِأَنِّي إِذَا طَلَبْتُ أَجَلْتُ ، وَإِذَا سُدَّتْ مَقَارِي
ا كَتَمْتُ^(١) ، نَمَّ لَا أَعُولُ فِيمَا أَزَاوُلُهُ إِلَّا عَلَى نَفْسِي ، مُتَمِّمًا سَفَى غَيْرِي ،
وَكُلُّ ذَلِكَ أَبْقَى عَلَى مِرَاعَاةِ الْعَفَافِ وَالْكَفَافِ .

وقوله : « وأحلب الثَّوَّةَ الصَّفَى » يقول : أَعْلَقَ طَمَعِي بَمَنْ إِذَا اسْتَدِرَّ حَلْبُهُ
كَانَ غَيْرِي ، لِأَنِّي لَا أَسِيفُ لِلْمَطَامِعِ الدُّنْيَا ، وَلَا أَضَعُ نَفْسِي فِي الْمَوَاضِعِ الْخَسِيسَةِ .
وَالثَّوَّةُ : الْغَزِيرَةُ . وَيُقَالُ : عَيْنُ ثُرَاثَرٍ^(٢) ، إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةً لِلْمَاءِ . وَالصَّفَى :
الْجَامِعُ بَيْنَ مُحَلِّبَيْنِ فِي حَلْبَةٍ . وَقَوْلُهُ « وَلَا أَجْهَدُ أَخْلَافَ غُبْرَاهَا حَلْبًا » انْتِصَبَ
الْحَلْبُ عَلَى أَنَّهُ مُصَدَّرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَالْمَعْنَى : أَنِّي لَا أَطْلُبُ الزَّهِيدَ الْحَقِيرَ
الْقَدْرَ ، وَلَا اسْتَدِرُّ الْبَكِي الْقَلِيلَ الدَّرَّ . وَالْحَلْبُ قَدْ يَرَادُ بِهِ الْمَصْدَرُ ، وَقَدْ
يَرَادُ بِهِ الْمَحْلُوبُ .

- ٣ - إِنْ رَأَيْتُ الْفَتَى الْكَرِيمَ إِذَا رَغَبْتَهُ فِي صَنِيعَةٍ رَغِبًا
٤ - وَالْعَبْدُ لَا يَطْلُبُ الْعَلَاءَ وَلَا يُعْطِيكَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا رَهَبًا
٥ - مِثْلُ الْحِمَارِ الْمَوْقَعِ السَّوِّءِ لَا يُحْسِنُ مَشْيًا إِلَّا إِذَا ضُرِبًا
قَوْلُهُ « إِنْ رَأَيْتُ الْفَتَى الْكَرِيمَ » يَقُولُ : إِنْ مِنْ تَكَرُّمٍ عَرَوْقُهُ وَتَزَكُّو
أَصُولُهُ ، إِذَا دَعَوْتَهُ إِلَى اصْطِنَاعِ صَنِيعَةٍ ، وَهَزَزْتَهُ لَابْتِنَاءِ مَكْرُمَةٍ ، أَجَابَكَ

= أخلاف غيرها ، يذهب إلى الغُبر الذي هو بقية اللين . وقد يجوز مثل ذلك إلا أن الكلام
يكون كالمحلوب ، لأنه أراد : وَلَا أَجْهَدُ غَيْرَ أَخْلَافِهَا . وَمَنْ رَوَى : أَخْلَافَ غَيْرِهَا فَرَوَاهُ
أَحْسَنَ . يَرِيدُ أَنَّهُ لَا يَحْلِبُ إِلَّا ثَوَّةً ، كَأَنَّهُ يَصِفُ نَفْسَهُ بِجَلْبِ الرِّزْقِ فِي مِطَانِهِ ، وَرَغْبَتِهِ إِلَى
الْكَرَامِ ، وَإِعْرَاضِهِ عَنِ الْثَامِ .

- (١) الْمَقَاتِرُ : وَجْوهُ الْفَقْرِ ، لَا وَاحِدَ لَهَا . وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعُ مَقَرٍّ . وَأُنْشِدَ :
لِمَالِ الْمَرْءِ يَصْلُحُهُ فَيَغْنَى مَقَارُهُ أَغْفَ مِنَ الْقَنُوعِ
(٢) كَذَا وَقَعْتُ فِي النَّسَخَتَيْنِ بِدُونِ النَّاءِ . وَفِي اللَّسَانِ وَالْقَامُوسِ : « ثُرَاثَرَةٌ »
و « ثُرَاثَرَةٌ » .

حريصاً على استغنامه . وترى الدني الخسيس الهمة والنفس لا يطلب ارتفاعاً ولا يكسب ادخاراً ، ولا يُسمح بشيء إلا عن رهبة ، فقل من لا يبتغي في مصاريفه حمداً ، ولا يفتني ليومه وغده خلاً ، فهو كالحمار السوء ، الذي بظهره آثار دبر وقد ذل في العمل ، لا يجيب إلا إذا استُحي حتى يضرب ، بلادة منه وكسلاً . وقوله « لا يُحسن » موضعه من الإعراب نصب على الحال . وارتفع « مثل » على أنه خبر مبتدأ مضمرة .

وقوله « مثل الحمار الموقع » يجوز أن يراد منه الذي في ظهره أثر الإكاف أو الدبر ، ويجوز أن يراد به المذلل ، كما يقال : طرقت موقع . ويجوز أن يكون من وقعت الحديد ، إذا ضربتها بالميقة ، كأنه لبلادته يضرب كثيراً .

٦ - ولم أجِدْ عُروَةَ الخلائق إلا الدَّيْنَ لما اعتبرتُ والحَسَبَا

٧ - قد يُرْزَقُ الخافِضُ المقيمُ وما شَدَّ بَعْسُ رَحْلاً ولا قَتَبَا

٨ - ويُخْزَمُ المَالُ ذُو المِطْيَةِ والرَّحْلِ وَمَنْ لَا يَزَالُ مُفْتَرِياً

قوله « لم أجِدْ » يريد أن مساك الخلائق الشريفة ، ووثائق عمرها ، إنما

هي إذا اعتبره المعبر في الدين وعمارته ، وفي الشرف وتحصيله . كأنه جعل طلب

الحسب للدنيا وأسبابها والاعتلاء فيها ، وجعل الدين للآخرة وتقديم ما يفوز

به من رضا الله عز وجل ، والثواب الجسيم .

وقوله « قد يُرْزَقُ الخافِضُ المقيم » سلك فيه مسلك الآخر^(١) في قوله :

ماذا يُكَلِّفُكَ الرِّوْحَاتِ والدُّلْجَا الْبَرَّ طَوْرًا وطَوْرًا تَرْكَبُ اللَّجْجَا

البيتين ، وقد تقدما .

والخافض : الوداع الذي لم يحدث نفسه بقجوال وارتحال . فيقول : قد

(١) هو محمد بن بشير . الحماسة ٤٣٦ ص ١١٧٣ .

ينالُ الرِّزْقَ الواسعَ مَنْ لا يُؤْثِرُ على الإقامة في وطنه شيئاً ، وقد تَرَى قاطع الشُّقَّةَ البعيدة ، وصاحبَ الرَّحْلِ والمطيَّة ، الصَّابرَ على الغُرْبَةِ ، محروماً مضيقَ العيش ، مكدودَ العُمر . والرَّحْلُ : مَرَّةُ كَبِّ البعير ؛ والرَّحَالَةُ نُحُوهُ ؛ وهو السَّرج أيضاً . والقَتَبُ : إِكافُ الجَمَل ، كذا ذكره الخليل . وقوله « ذُو المِطِيَّةِ والرَّحْل » ، الرَّحْلُ : مصدر رَحَلْتُ البعيرَ ، إِذا شَدَدْتَ عليه الرَّحْلَ .

٤٥١

وقال آخر :

- ١ - يَأْيُهَا العامُ الذي قد رَأَيْتَنِي أَنْتَ الفِداءَ لِذِكْرِ عامٍ أَوَّلًا
 - ٢ - أَنْتَ الفِداءَ لِذِكْرِ عامٍ لَمْ يَكُنْ نَحْسًا وَلَا بَيْنَ الْأَحْبَةِ زَيْلًا
- يفضِّلُ أَيَّامَهُ الماضِيَةَ على أَيَّامِهِ الحاضِرَةِ ، فقال كالخاطِبِ لها : أَيُّهَا العام الذي قد أَنَى بِمَا يَرِيْنِي ، جَعَلَكَ اللهُ فِداءً لعامٍ أَوَّلٍ مِنْ عَامِي ، تَقْضَى بِمَا سَرَّنِي . وقوله « عامٍ أَوَّلًا » مما أُلِفَ فيه كَثْرَةُ الاستِعمال ، فوُصِفَ بِصِفَةٍ لَمْ تَوْصَفْ بِهِ نَظَائِرُهُ ، اعْتِمَادًا على التَّعَارُفِ . والمراد بهذا أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَهْرٌ أَوَّلٌ وَلَا حَوْلٌ أَوَّلٌ ، وَلَا سَنَةٌ أَوَّلَى ، وَإِنَّمَا خُصَّ هُوَ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ الاستِعمال ، وَلِأَنَّ دَلَالَةَ الحَالِ وتعارُفَ المتكَلِّمِينَ بِهِ سَوَّغَ الحذفَ والإِجْرَاءَ على ما أُلِفَ فِيهِ .
- وقوله « أَنْتَ الفِداءَ » يريد تَكَرُّيرَ الدُّعَاءِ على التَّضَجُّرِ بِحاضِرٍ وَقْتِهِ وَعَامِهِ ، وَالتَّنْبِيهِ على ما رَابَهُ مِنْهُ . فيقول : جَعَلَكَ اللهُ فِداءً لِذِكْرِ عامٍ لَمْ يَعُدْ بِمَنْحَسَةٍ ، وَلَا حَكَمٍ بَيْنَ الْأَحْبَةِ بِفُرْقَةٍ . وَإِنَّمَا قَالَ « لِذِكْرِ عامٍ » لِأَنَّ العامَ وَقَدْ تَقْضَى لَا يَصِحُّ فِيهِ التَّفْذِيَةُ . والنَّحْسُ : ضِدُّ السَّعْدِ ، وَقَدْ وُصِفَ بِهِ الْغُبْرَةُ وَالْأَمْرُ لِلظُّلْمِ . وفي القرآن : ﴿ فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ ﴾ . ويقال : رَجُلٌ مُنَحَّسٌ أَيُّ مُخْزَوْنٍ .

٤٥٢

وقال الفرزدق^(١) :

١ — إذا ما الدهرُ جرَّ على أناسٍ حَـوَادِثُهُ أَنَاخَ بآخِرِينَا

٢ — قُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَيَلِقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

يقول : إذا صُرِفَ الدهرُ أَنَاخَتْ على قومٍ بإزالةِ نِعَمِهِمْ ، وتكديرِ عَيْشِهِمْ ، فَجَرَّتْ عَلَيْهِمْ أَذْيَالُ الشَّرِّ والتَّغْيِيرِ ، وَدَرَسَتْ آثَارُهُمْ وَحَتَّ دَوْلُهُمْ^(٢) ، تَرَاهَا تَنْقَلِبُ إِلَى آخِرِينَ ، لِأَنَّهَا كَمَا تَهَبُ تَرْجِعُ ، وَكَمَا تُؤَلِّى تَسْتَلِبُ .

نَمَّ قَالَ : قُلْ لِمَنْ شِمَتْ بِنَا فَيَأْخُذُ مِنْ أَثَرِ الزَّمَانِ فِينَا : انْتَبَهُوا مِنْ رَقَدَتِكُمْ وَاصْحُوا مِنْ شِمَاتِكُمْ ، فَسَتَلْقَوْنَ كَمَا لَقِينَا ، وَتُمْتَحِنُونَ كَمَا امْتَحِنَا ؛ لِأَنَّ حَيَاتِنَا وَجَمِيعَ مَا فِي أَيْدِينَا عَوَارٍ ، وَالْعَوَارِى تُسْتَرَدُّ وَإِنْ طَالَتِ الْمُهْلَةُ .

(١) انظر ما سبق في الحماسية ٢٢٦ ص ٦٧٦ .

(٢) الدول ، كذا وردت في النسختين بكسر ففتح ، وهى و « الدول » بضم فتح : جمع الدولة .

٤٥٣

وقال الصَّلَتَانُ الْعَبْدِي^(١) :

- ١ - أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ كَرُّ اللَّيَالِي وَمَرُّ الْعَشَى^(٢)
 - ٢ - إِذَا لَيْلَةٌ هَرَمَتْ يَوْمَهَا أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَتَى
 - ٣ - نَرُوحُ وَتَعْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشَ لَا تَنْقِضِي
- ذكر في هذه الأبيات ما تدور عليه دوائر الأيام ، وصروفُ الأزمان ،
وأَنَّهَا لَا تَقِفُ عِنْدَ غَايَةٍ ، وَلَا تَعْرِفُ فِيمَا تَجْرِي فِيهِ مَقَرَّ نِهَايَةٍ ، وَأَنَّ مِنْ عَادَتِهَا
تَغْيِيرُ الْأُمُورِ ، وَفِي تَقْضِيئِهَا وَقَضَايَاهَا تَحْوِيلَ الْأَحْوَالِ ، فَقَالَ : إِنَّ كُرُورَ الْأَيَّامِ ،
وَمُرُورَ اللَّيَالِي وَالْأَوْقَاتِ ، تَرَاهَا تَجْعَلُ الصَّغِيرَ كَبِيرًا ، وَالْكَبِيرَ حَقِيرًا ، وَتَجْعَلُ
الطُّفْلَ شَابًّا ، وَالشَّيْخَ فَانِيًّا ، فَكَلَّمَا خُلِقَتْ جِدَّةُ يَوْمٍ جَاءَ بَعْدَهَا يَوْمٌ آخَرُ
فَتَى جَدِيدٌ ، وَنَحْنُ فِيهَا نَدَابُ فِي حَاجَاتِنَا ، فَلَا نَحْنُ نَمَلٌ ، وَلَا حَاجَاتُنَا تَقْفَى
أَوْ تَقِلُّ ، وَلَا الْوَقْتُ يَبْنِي قِفَ ، وَلَا وَاحِدٌ مَنَا يَنْتَظِرُ أَوْ يَتَوَقَّفُ ، إِذْ كَانَ ذُو الْعَيْشِ
مَارِبُهُ مَتَّصِلَةٌ ، كَمَا أَنَّ أَوْقَاتَهُ دَائِرَةٌ مُتَابَعَةٌ .

(١) كذا ورد في نسخ الحماسة . وفي الحيوان (٣ : ٤٧٧) : « وقال الصَّلَتَانُ
السَّعْدِيُّ ، وَهُوَ غَيْرُ الصَّلَتَانِ الْعَبْدِيِّ » ، ثُمَّ أَنْشَدَ الْأَبْيَاتَ . لَسَكُنَ ذَكَرَ الْمَرْزِبَانِي فِي مَعْجَمِهِ
٢٢٩ « الصَّلَتَانُ الْعَبْدِيُّ » ، ثُمَّ قَالَ : « وَلَهُ الْقَصِيدَةُ الَّتِي يُوصِي فِيهَا ابْنَهُ ، وَهِيَ طَوِيلَةٌ حَسَنَةٌ
كَثِيرَةُ الْأَمْثَالِ » . وَأَنْشَدَ الْأَبْيَاتَ . وَالصَّلَتَانُ لَقِبَ لَعْدَةً شِعْرَاءَ أَحَدِهِمُ الصَّلَتَانُ الْفَهْمِيُّ . قَالَ
الْأَمْدِيُّ فِي الْمَوْثِقِ ١٤٥ : « لَسْتُ أَعْرِفُهُ فِي شِعْرَائِهِمْ ، وَأُظَنُّهُ مُتَأَخِّرًا » . وَثَانِيَهُمُ الصَّلَتَانُ الْعَبْدِيُّ
أَحَدُ بَنِي عَارِبِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ وَدِيعَةَ بْنِ لَكَيْزِ بْنِ أَنْصَى بْنِ عَبْدِ الْقَيْسِ ، وَهُوَ الَّذِي قَضَى
بَيْنَ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ فِي قِصَّةٍ مَشْهُورَةٍ ، وَاسْمُهُ قُتَيْبُ بْنُ خُبَيْبٍ . قَالَ الْأَمْدِيُّ : « شَاعِرٌ مَشْهُورٌ
خَبِيثٌ » . وَالثَّالِثُ الصَّلَتَانُ الضُّبِّيُّ ، قَالَ الْأَمْدِيُّ : « وَلَسْتُ أَعْرِفُهُ فِي شِعْرَاءِ بَنِي ضُبَّةٍ ، وَأُظَنُّهُ
مُتَأَخِّرًا » . وَالرَّابِعُ « الصَّلَتَانُ السَّعْدِيُّ » الَّذِي ذَكَرَهُ الْجَاهِظُ فِي الْحَيَوَانِ . انْظُرْ أَيْضًا الْحَزَافَةَ
(١ : ٣٠٨) وَالشُّعْرَاءَ ٤٧٥ - ٤٧٩ وَاللَّيْلَى ٧٦٦ .

(٢) وكذا وردت الرواية في الشعراء . وفي سائر المراجع والتبليغ : « كر الغداة » .

ومعنى هَرَمَتْ يَوْمَهَا : ضَعَفَتْهُ مُسْلِمًا لِلزَّوَالِ . ويقال : هو ابن هَرَمَةٍ أَيْبِهِ ، كما يقال : هو ابن عَجْزَةِ أَيْبِهِ ، لِأَخِيرِ الْأَوْلَادِ ، كَأَنَّهُ مِنَ الْهَرَمِ . وَالْهَرَمَى مِنَ الْخَشَبِ : مَا لَا دُخَانَ لَهُ ، لِمَعْتِقِهِ وَذَهَابِ قُوَّتِهِ . وَالْفَتَى مُصْدَرُهُ الْفَتَاهُ ، وَضَدَهُ الذَّكَى . ويقال : فَتَاهُ فَلَانٍ كَذَّاءُ فَلَانٍ وَكَتَدَ كَيْتَهُ فَلَانٌ .

٤ - تَمَوْتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَيَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ^(١)

٥ - إِذَا قُلْتَ يَوْمًا لِمَنْ قَد تَرَى أَرُونِي السَّرِيَّ أَرَوْكَ الْغَنِيَّ^(٢)

يقول : تَمَوْتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ . يريد أن المرء ما دام حيًّا فمآربه وشهواته تَتَجَدَّدُ تَجَدُّدًا^(٣) الْأَوْقَاتِ ، وَأَمَانِيهِ تَتَّصِلُ مَا اتَّصَلَ عَمْرُهُ ، فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُ وَتَنَاهَى أَمَدُهُ ، انْتَهَتْ مآرِبُهُ ، وَوَقَفَتْ مَطَالِبُهُ .

وقوله « إِذَا قُلْتَ يَوْمًا لِمَنْ قَد تَرَى » يريد : وَإِنْ سَأَلْتَ كُلَّ مَنْ تَقَعُ عَيْنُكَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُمَيَّزِينَ ، عَنْ سِرِّهِ الرَّجَالِ وَكِرَامِهِمْ ، أَحَالُوا عَلَى الْمُثْرِينَ وَإِنْ ضَعُفَتْ رَغْبَاتُهُمْ فِي اكْتِسَابِ الْخَيْرِ ، وَاسْتِجْلَابِ الْحَدِيدِ . وَالسَّرُّو : سَخَالَةٌ فِي مَرْوَةٍ . وَيُقَالُ : سَرُّو الرَّجُلَ يَسْرُوْهُ ، وَهُوَ سَرِيٌّ مِنْ قَوْمِ سَرَاةٍ . وَكَأَنَّ هَذَا سَلَكَ مَسْلَكَ الْآخِرِ^(٤) حِينَ قَالَ :

وَأَنْ ثَرَاءَ الْمَالِ يَنْفَعُ رَبَّهُ وَيَنْبِيْ عَلَيْهِ الْحَمْدَ وَهُوَ مُدَمِّمٌ

٦ - أَلَمْ تَرَ لِقَمَّانَ أَوْصَى بَنِيهِ وَأَوْصِيْتُ عُمَرَ وَنِعَمَ الْوَصِيِّ^(٥)

٧ - بُنِيَ بَدَاخِبُ نَجْوَى الرَّجَالِ فَكُنْ عِنْدَ سِرِّكَ خَبَّ النَّجِيِّ^(٦)

(١) في التبريزي وسائر المراجع : « وتبقى له » بالثاء .

(٢) وكذا في التبريزي والشعراء والخزائن . وفي الحيوان : « يوما لدى معشر » .

(٣) ل : « بتجدد » .

(٤) هو مالك بن حزم الهمداني . الحماسية ٤٣٤ ص ١١٧١ .

(٥) التبريزي : « فنعم الوصي » . المرزباني : « أوصى ابنه » .

(٦) انظر ما سبق في الحماسية ٤٤٥ ص ١١٩٢ .

٨ — وسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ أَمْرِي وَسِرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفِيِّ^(١)
 معنى « ألم تر » : اعلم . ويريد التنبيه على أن له في وصاته ابنه اقتداء
 بالحكماء قبله ، فكما ساء للقيان أن يوصى ابنه ساء للصلتان أن يوصى عمرًا ولده .
 والحمود في قوله « نعم الوصى » محذوف ، كأنه قال : ونعم الوصى هو . وهذا
 ترغيب منه لعمره في الاحتذاء بما يَرُمُّ له . وقوله « بنى بدا خبث نجوى
 الرِّجال » ، فالخبث : المكر بكسر الخاء ، والخبث بفتحها : المكار . ومثله
 رجل صَبَّ . والنجوى : مصدر ، وهو يستعمل فيما يتحدث فيه اثنان على طريق
 السِّرِّ^(٢) والكيتمان . فيقول : إذا ناجيت صاحبًا لك فكن خبثًا فيما تؤدعه من
 سِرِّكَ ، فإنَّ نجوى الرِّجال إذا بدا خبثها ، ومكرَ أربابها فيها ، عادت وبالاً
 وفضيحة . والنجوى يقع على الواحد والجمع ، وكذلك النجوى . وفي القرآن :
 ﴿ إِذْ هُمْ نَجْوَى ﴾ .

وقوله « وسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ أَمْرِي » ذهب فيه مذهب من قال :
 إذا جاوز الاثنين سِرٌّ فإنه يَبْتُ وتكثير الوُشَاةِ قَمِينٌ^(٣)
 وقد قيل في « الاثنين » من هذا البيت أراد به الشفقتين . وكأن من فسر
 هذا التفسير يريد : لا تُفشي سِرَّكَ إلى أحد .

آخر باب الأدب ، والحمد لله وحده ، والصلاة على نبيه محمد وآله بعده .

(١) بعده عند التبريزي :

كَمَا الصَّمْتُ أَذْنٌ لِبَعْضِ الرِّشَادِ قَبْضُ التَّكَلُّمِ أَذْنٌ لِي

(٢) ل : « السر » .

(٣) ل : « بنت » بالنون . والبيت لقبس بن الخطيم في ديوانه ١٨ . وفي الديوان :

« بنشر » .

بَابُ النَّسَبِ

تشیان

بَابُ النِّسَبِ (١)

٤٥٤

وقال الصَّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيُّ (٢) :

- ١ - حَنَنْتَ إِلَى رِيًّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارَكَ مِنْ رِيًّا وَشَعْبًا كَمَا مَعَا
 - ٢ - فَمَا حَسَنَ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمَرَ طَائِعًا وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَمْتَمَا
- الحنين : تألم من الشوق وتشكيت . وريًّا : اسمُ امرأةٍ (٣) . فإن قيل : هَلَّا قِيلَ رَوَّى ، لَأَنَّ قَتْلَ إِذَا جَاءَ اسْمًا مِنْ بَنَاتِ الْيَاءِ يُقْلَبُ يَأْوُهُ وَآوًا ، عَلَى هَذَا الْفَتْوَى وَالشَّرْوَى وَالتَّقْوَى وَالتَّقْوَى ؟ قُلْتُ : إِنَّهُ سُمِّيَ بِهِ مَنْقُولًا عَنِ الصَّمَّةِ ، وَفَعَلَى صِفَةٍ يَصْحَحُ فِيهِ الْيَاءُ ، عَلَى هَذَا قَوْلِهِمْ : خَزَنِيًا وَصَدِيًّا وَرِيًّا ، كَأَنَّهُ تَأْنِيثُ رِيَّانٍ فِي الْأَصْلِ ، كَمَا يُقَالُ عَطْشَانٌ وَعَطَشِي ، ثُمَّ نُقِلَ مِنْ بَابِ الصِّمَاتِ إِلَى بَابِ

(١) التبريزي : « النسب : ذكر الشاعر المرأة بالحسن ، والإخبار عن تصرف خواها به ، وليس هو الغزل ، وإنما الغزل الاستهتار بمودات النساء والصبوة إليهن . والنسب ذكر ذلك والخبر عنه » .

(٢) هو الصمة بن عبد الله بن الطفيل بن قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الحبر بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، شاعر إسلامي بدوي مقل ، من شعراء الدولة الأموية ، وولده قرة بن هبيرة صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم ووفادة . وكان من خبر الشعر ما روى التبريزي وأبو الفرج في الأغاني (٥ : ١٢٧) وياقوت في (البشر) والسيوطي في شرح الشواهد ٧٩ : أن الصمة خطب ابنة عمه إلى أبيها ، فقال : لا أزوجهما إلا على كذا وكذا من الإبل (في رواية التبريزي أنها خمسون) . فذهب إلى أبيه فأعلمه بذلك ، وشكا إليه ما يجدها بها ، فساق الإبل عنه إلى أخيه ، فلما جاء بها عدها عمه فوجدتها تنقص بغيراً ، فقال : لا أخذها إلا كاملة ، فغضب أبوه وحلف لا يزيد على ما جاء به شيئاً ، ورجع إلى الصمة فقال له : ما وراءك ؟ فأخبره ، فقال : تالله ما رأيت قط أأم منكها جميعاً ، وإنني لألأم إن أفنت بينكما . ثم ركب ناقته ورحل إلى ثغر من ثغور الشام فلقي الخليفة فسلمه ، فأعجب به وفرض له فرضاً ، وألحقه بالفرسان ، فأقام به حتى مات . وفي ذلك يقول هذا الشعر . والأبيات عند القالي (١) :
(١٩٠ - ١٩١) .

(٣) هي ابنة عمه التي أراد الزواج بها .

القسمية بها ، فترك على بنائه . وقوله « ونفسك باعدت » الواو واو الحال ، وهي للابتداء . ومعنى باعدت بَعَدْتُ ، وهو كما يقال ضَاعَفْتُ وَضَعَفْتُ . وفي القرآن : ﴿ بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ .

والمزار : اسم مكان الزيارة . والشعب : شعب الحى ، يقال : التأم شعبهم ، أى اجتمعوا بعد تفرق . وشت شعبهم ، إذا افرقوا بعد تجمع . وقوله « وشعبا كما معا » الواو واو الحال أيضاً ، والعامل فى « ونفسك باعدت » : حننت ، وفى قوله : « وشعبا كما » باعدت . ومعنى قوله : « معا » مجتمعان ومصطحبان ، وموضعه خبر المبتدأ .

وقوله « فما حسن أن تأتى الأمر طائعا » فى حسن وجوه : يجوز أن يكون مبتدأ ، وجاز الابتداء به وهو نكرة لاعتماده على حرف النفى ، و « أن تأتى » فى موضع الناعل لحسن ، واستغنى بفاعله عن خبره ، والتقدير : ما يحسن إتيانك الأمر طائعا . وانتصب طائعا على الحال من أن تأتى . ويجوز أن يرتفع حسن على أنه خبر مقدم ، وأن تأتى فى موضع المبتدأ . ويجوز أن يرتفع حسن بالابتداء وأن تأتى فى موضع الخبر ، وهذا أضعف الوجوه لكون المبتدأ نكرة والخبر معرفة . وقوله « وتجزع أن داعى الصبابة » أن مخففة من أن الثقيلة ، والمراد : وتجزع من أن داعى الصبابة أسمعك صوته ودعاك .

ومعنى اليتيم : شكوت شوقك إلى هذه المرأة ، وأنت آثرت البعد عنها بعد أن كان حيا كما مجتمعين ، وليس بحميل اختيارك الأمر طائعا غير مكره ، وجزعك بعده ، لأن داعى الشوق والعائد منه إليك أسمعك وحرأك منك .

٣ - قَفَاوَدَعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُودَعَا
٤ - وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعٍ عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنَيْكَ تَدَمُّعًا
يخاطب صاحبين له يستوقفهما ويكلفهما توديع نجد معه والنَّازِلِ بالحمى منه .
نم استأنف فقال ملتفتا : ويقل لنجد وسا كنه التوديع منا ، لأن حقهما أعظم

من ذلك ، ولكننا لا نقدر على غيره . والحصى : موضع فيه ماء وكلا يُمنع منه الناس . ويقال : أحصيت المكان ، إذا جعلته حصى . وحكى ابن الأعرابي أنهم يقولون للمكان وقد أبطل وأبيح ولم يُحْمَ : بهرج . وأنشد :

فَخُصِّرْتُ بَيْنَ حِجِّي وَبَهْرَجٍ مَا بَيْنَ أَجْرَازٍ إِلَى وَادِي الشَّجِيِّ (١)
وقوله « أن يُودَّعا » في موضع الفاعل لقل .

ومعنى قوله « وليست عشيقات الحصى بواجب » أنك وإن أفرطت في الجزع ، فإن أوقات المواصلة بالحصى مع أحبابك لا تكاد تعود ، ولكن آدم البكاء لها ، مع التوجع في إثرها ، تحذ فيه راحة . وفي هذا إلمام بقول الآخر :
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الْبُكَاءَ لِرَاحَةٍ بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أَلَّا تَلَاقِيَا
وقوله « تدمعا » جواب الأمر . ولو قال تدمعان ، لكان حالا للعينين .

٥- وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبِشْرَ أَعْرَضَ دُونَنَا وَحَالَتْ بَنَاتُ الشَّوْقِ يَحْنِنُ نَزْعًا (٢)

٦- بَكَتْ عَيْنِي الْيُمْنَى فَلَمَّا زَجَرْتُهَا عَنْ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ أَسْبَلْتَنَا مَعًا (٣)

البشر : جبل (٤) . وأعرض دوننا : أبدى عرضه . وحالت : تحركت . يقال : استحلت الشخص ، إذا نظرت هل يتحرك . ومنه لا حول ولا قوة إلا بالله ! والمعنى : لما تباعدنا عن نجد ، وحجز بيننا وبينه البشر ، تحركت بنات الشوق نوازع كثيرة الحنين ، مظهرة ضعف الصبر . وجواب لما قوله « بَكَتْ عَيْنِي الْيُمْنَى » . وأراد بينات الشوق مسبباته . وهذا كما قال الآخر (٥) :
يَضُمُّ إِلَى اللَّيْلِ أَطْفَالَ حُبِّهَا كَمَا ضَمَّ أَزْرَارَ الْقَمِيصِ الْبَنَائِقُ

(١) أجراذ : موضع بنجد .

(٢) الأملى والأغاني : « وجالت » بالجم .

(٣) التبريزي والأملى : « بكت عيني اليسرى » .

(٤) جبل في أطراف نجد من جهة الشام .

(٥) هو المجنون ، كما في اللسان (بنق) .

فأطفالُ الحُبِّ كبناتِ الشوق . واللُّزَعُ ، الأشهر فيه أن يكون جمعُ نازع
بمعنى كافٍ ، فوضَعُها موضعَ نوازِع ، واللفظتان المتواخيتان لكونهما من أصلٍ
واحد يُستعار ما لإحداها للأخرى . وإنما قال « بَكَتْ عَيْنِي الْيُمْنَى » لأنه كان
أعور ممتعا بعينه اليسرى^(١) . والعَيْنُ العوراء لا تَدْمَعُ . فيقول : بَكَتْ عَيْنِي
الصحيحة ، فاجتهدتُ في زَجْرِها عن تعاطي الجمل بعد أن كنتُ تحلَّمتُ
وتركتُ الصَّبِي ، فلما تكلفتُ ذاك لها أقبلتِ العوراء تَدْمَعُ معها وتبكي . ونَبَّهَ
بهذا على عِضْيَانِ النفس والقلب ، وقِلَّةِ ائتمارها له ، وأنهما إذا زَجِرا ورُدَّا عن
مَوارِدِها زادا على المنكر منهما .

٧ - تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجِعتُ من الإصغاء لِمَتَا وأخذنا

٨ - وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحَيِّ ثُمَّ أَنْتَنِي عَلَى كَبِدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا

يقول : أَخَذْتُ فِي مَسِيرِي لَمَتَا أَبْصَرْتُ حَالَ نَفْسِي فِي تَأْثِيرِ الصَّبَابَةِ فِيهَا ،
مَلْتَفِتًا إِلَى مَا خَلَفْتُهُ مِنَ الْحَيِّ وَأَرْضِ نَجْدٍ ، حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجِيعَ اللَّيْلِ — وَهُوَ
عَرِيقٌ فِيهَا — لَطُولِ إِصْغَائِي ، وَدَوَامِ التَّفَاتِي ؛ كُلُّ ذَلِكَ تَحَشُّرًا فِي إِثْرِ الْغَائِتِ
مِنْ أَحِبَائِي وَدِيَارِهَا ، وَتَذَكُّرًا لَطِيبِ أَوْقَاتِي مَعَهُمْ فِيهَا . وَقَدْ قِيلَ فِيهِ : إِنَّ مِنْ
رُمُوزِهِمْ أَنْ مَنْ خَرَجَ مِنْ بَلَدٍ فَالْتَفَتَ وَرَاءَهُ رَجَعَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ . وَأَشَدُّ فِيهِ
أَبْيَاتٌ ، مِنْهَا قَوْلُهُ :

عَيْلَ صَبْرِي بِالتَّعْلِيَةِ لَمَتَا طَالَ لَيْلِي وَمَلَّنِي قُرْنَائِي^(٢)

كَلَّمَا سَارَتِ الْمَطَايَا بِنَا مِيْلًا تَنْفَسْتُ وَالتَفْتُ وَرَائِي

(١) كناية عن أن عينه اليسرى هي العوراء . جاء في الكنايات للثعالبي ص ٣٦ س ٥ :
« ويكنى عن الأعور بالمتع » .

(٢) هذا ما في ل والتبريزي . وفي الأصل : « بالتعلية » تحريف . والتعلية : منزل
من منازل طريق مكة من الكوفة ، قالوا : نسبت إلى تعلبة بن عمرو مزبيا بن عامر
ماء السماء .

قالوا: التفتَ لكي يُقضى له الرجوع، لكونه عاشقاً.
وانتصب «ليتاً» لأنه تميز، وهذا من باب ما نُقِلَ الفعلُ عنه، كأنَّ
الأصل: وَجِعَ ليتي وأخذعي، فلما شغل الفعلُ عنهما بضميره أشبهها المفعول
فنصبهما. ومثله: تصببتُ عرقاً، وقررتُ به عيناً.

وقوله «وأذكرُ أيامَ الحمى» ثم أنثى «يقول: وأندكرُ أوقاتي بالحمى
لما كان من أسباب الوصال تساعد، وبين دورنا ودور الأوبة تقارب،
وللترأسل إمكان، ومع الحبيب في الوقت بعد الوقت تلاق واجتماع، ثم أنعطفُ
على كبدى وأقبضُ عليها مخافة تشققها، وخروجها من مواضعها، شوقاً إلى أمثالها،
وحسرة في إثر منقطعها.

وقد ذكر هذه الأبيات أبو عبد الله المفجع رحمه الله، في حذ الغزل من
كتابه المعروف بالترجمان، فذكر بيتين منها في (باب الصبابة)، وهما:

* حننت إلى ربّي ونفستُ باعدت *

و: * فما حسن أن تأتي الأمر طائعاً *

وقال في تفسيرها^(١): «يقول: الحربُ بينك وبين قومك تمنعك من
قربها ولقائها». وذكر مع البيتين قولَ عنترَة:

علّقنّها عرّصاً وأقتلُ قومها زعمّا لعمُرُ أيبك ليس بمزعم

ثم جاء إلى (باب الحنين)، فذكر ما في الأبيات:

* وأذكرُ أيامَ الحمى *

و: * وليستُ عشيّاتُ الحمى برواجع *

و: * بكتُ عينيَ اليمنى *

(١) قل هذا النس موجزا التبريزي في شرحه للحماسة. وما هنا أوفى وأتم.

الآيات ، وقال في تفسيرها : « هذا كان مجاوراً لأحبابه وهم منتجعون
بجنوب الحمى ^(١) فنشأت عينٌ — والعين : سحابةٌ تهبُّ من ناحية القبلة —
فنشأت من عن يسار القبلة ، فارتاع لذلك ، وخشى الفرقة إذا اتصل الغيث ،
فذلك معنى قوله : بكَّتْ عَيْنِي الْيُسْرَى ^(٢) ، كناية عن السحاب . وجعلها :
كثرة مطرها . وجعل ارتياعه منها زجراً لها . ثم نشأت أخرى من عن يمين
القبلة ، فأيقن حينئذٍ بالفراق . فذلك معنى قوله : أسبَلْتَا معا . ثم قال معترفاً
بالبين : خلَّ عَيْنِيكَ تدمعا ، يعني السَّحَابَتَيْنِ . وقال جرير :

إِنَّ السَّوَارِي وَالْعَوَادِي غَادَرَتْ لِلرَّيْحِ مُنْخَرَقًا بِهَا وَجَالًا .

هذا كلامه في كتابه ، وقد حكيناه على ما أورده لا زيادة فيه ولا نقصان .
وأظن أنه تذكَّرَ أبياتاً غير هذه ، ثم تصرف في تفسيرها وذكر هذه الآيات
في أثناء تفسير ما ذكره ، ولم يأت بها . وقد أحسنتُ الظنَّ مُسْتَطَرَفًا فَعَلَهُ .
والله أعلم .

٤٥٥

وقال آخر ^(٣) :

- ١ — وَنُبِّئْتُ لَيْلَى أَرْسَلَتْ بِشَفَاعَةِ إِلَى فَهَلَا نَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُهَا
 - ٢ — أأَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلَى فَتَبَتْنِي بِهِ الْجَاهُ أَمْ كُنْتُ أَمْرًا لَا أُطِيعُهَا
- نبي يحتاج إلى ثلاثة مفاعيل ، وقد حصلت إلى قوله « أَرْسَلَتْ بِشَفَاعَةِ إِلَى » .

(١) جنوب ، ضبطت بضم الجيم في النسختين . والجنوب : جمع جنب ، بمعنى الناحية .
(٢) يفهم من هذا أن رواية المفجع : « بكَّتْ عَيْنِي الْيُسْرَى » ، كما روى التبريزي
والقالى . انظر ما سبق في ص ١٢١٧ .
(٣) هو الصمة بن عبد الله القشيري صاحب المقطوعة السابقة . أو هو عبد الله بن الدعينة
صاحب المقطوعة اللاحقة ، وقيل : هو المجنون . انظر شرح شواهد المغنى للسيوطي ٧٩ .

وقوله « هَلَّا نَفْسَ لَيْلَى » هَلَّا : حرفٌ تحضيض ، وهو يطلب الفعل ، وقد وَقَعَ في البيت بعده جملةٌ من مبتدأٍ وخبر . وفارق « هَلَّا » هذه أختها « لولا » في قوله :

تَعْدُونَ عَقَرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنِي ضَوَّطَرَى لَوْلَا الْكَمَى الْمَقْنَعَا^(١)

وذلك لأنَّ تأثيرَ الفعلِ بالنصب بعد لولا من البيت دلٌّ عليه ، فأمره في إضمار الفعل بعده قوى . وهذا لم يصلح له أن ينصب النفس بعد هَلَّا ، فكان يحى التقديرُ : فَهَلَّا أَرْسَلْتَ نَفْسَهَا شَفِيعَهَا ؛ لأنَّ القوافي مرفوعةٌ ، فجعل ما بعده مبتدأً لما لم يتأتَّ له ما تأتَّى لذلك^(٢) . وقد يفعلون هذا في الحروف المختصة بالأفعال إذا كان في الكلام دلالةٌ على المضمر من الفعل . ألا ترى أنَّ لو يُطلب الفعل . ثمَّ جاء قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ﴾ . وعلى ذلك جاء إنَّ الجازمة الدالة على الشرط في وقوع الاسم بعده ، وإنَّ كان يطلب الفعل عاملاً فيه بالجزم ، وذلك نحو : إنَّ زيداً أتاني أكرمته . وقول الشاعر^(٣) :

﴿ إِنَّ ذُو لُؤْتَةَ لَنَا ﴾^(٤)

وما أشبهه . فإن قيل : هَلَّا جعلت المضمر بعد هَلَّا فعلاً رافعاً فيرتفع النفسُ به لا بالابتداء ، كما يفعل ذلك في : إنَّ زيداً أتاني أكرمته ، فيصير هَلَّا

(١) هو جرير ، من قصيدة يهجو بها الفرزدق . الخزانة (١ : ٤٦١ — ٤٦٢) .

(٢) هذا الصواب من ل . وفي الأصل : « لما لم يتأتَّ لذلك » ، تحريف ونقص .

(٣) هو قريظ بن أئيف . انظر من ٢٢ ، ٢٥ .

(٤) البيت بتمامه :

إذا لقام بنصرى معشر خشن عند الحفيظة إنَّ ذو لؤتة لانا

(١٤ — حماسة — ثالث)

في ذلك أُجْرَى في بابِه من أن يكون ارتفاعه بالابتداء ؟ قلت : إن قولك إن زيدٌ أتاني أكرمته ، ارتفع زيدٌ بفعلِ هذا الظاهرُ تفسيره ، وأكرمته جوابُ إن ، فساغ فيه ما لم يسغ هاهنا ، لأنه ليس هاهنا شيء يكون تفسيراً لذلك الفعل . وإنما جاء بدلَ الفعلِ المفسرِ شفيعُها ، ويكون خبراً لا غير ، وإذا كان كذلك لم يُمكن حملُ هذا عليه .

ومعنى البيت : خُبِرْتُ أَنَّ لَيْلَى أَرْسَلَتْ إِلَى ذَا الشَّفَاعَةِ ^(١) فِي بَابِهَا ، تَطْلُبُ بِهِ جَاهاً عِنْدِي ، مُسْتَكْفِيَةً ^(٢) عَنْ ذِكْرِهَا فِي الشَّعْرِ وَعَنْ إِيْتَانِهَا وَمَا يَجْرِي سَجَرَاهُ . ثُمَّ قَالَ : هَلَّا جَعَلْتُ نَفْسَهَا شَفِيعاً . فقوله « بِشَفَاعَةٍ » حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، والفعلُ الذي يقتضيه هَلَّا دلٌّ عليه شفيعُها ، ولو قال : — هَلَّا نَفْسُهَا شَفِيعُهَا — لكان أقربَ في الاستعمال ، إلا أنه قَصَدَ إِلَى التَّفْخِيمِ بِتَكَرُّرِ اسْمِهَا .

ثم قال : « أأَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلَى » ، فَأَنَّى بَلْفُظِ الاسْتِفْهَامِ ، وَلِلْمَرَادِ التَّمْرِيعِ وَالْإِنْكَارِ ، كَأَنَّهُ أَنْكَرَ مِنْهَا اسْتِعَانَتَهَا بِالْغَيْرِ عَلَيْهِ ، وَطَلَبَ الشَّفِيعِ فِيمَا أَرَادَتْ لَدَيْهِ . وقوله « فَتُبْتَنِي » فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ عَلَى أَنْ يَكُونَ جَوَابَ الاسْتِفْهَامِ بِالْفَاءِ . وقوله « أَمْ كُنْتُ » هِيَ أُمُّ الْمُتَّصِلَةِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَيُّ هَذَيْنِ تَوَهَّمتُ : طَلَبُ إِنْسَانٍ أَمْ كَرَمَ عَلَى مِنْهَا ، أَمْ اتَّهَمْتُهَا لَطَاعَتِي لَهَا . وخبرُ أكرمَ على ، محذوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أأَكْرَمُ مِنْهَا مَوْجُودٌ ، [أَوْ ^(٣)] فِي الدُّنْيَا .

(١) ل : « ذَا شَفَاعَةٍ » .

(٢) ل : « مُسْتَكْفِيَةٌ » .

(٣) التَّكْلُفَةُ مِنْ ل .

٤٥٦

وقال آخر^(١) :

- ١ - أَمَا يَسْتَفِيقُ الْقَلْبُ إِلَّا أَنْبَرَى لَهُ تَوْهُمُ صَيْفٍ مِنْ سُعَادَ وَمَرْبَعٍ
 ٢ - أَخَادِعُ عَنْ أَطْلَالِهَا الْعَيْنَ إِنَّهُ مَتَى تَعْرِفِ الْأَطْلَالَ عَيْنُكَ تَدْمَعُ
 ٣ - عَهْدْتُ بِهَا وَخُشًّا عَلَيْهَا بِرَاقِعٍ وَهَذِي وَخُوشٌ أَصْبَحْتُ لَمْ تَبْرُقْ
 استفاق وأفاق بمعنى صحا . وانبرى : تعرض . وأراد بالصيف المصيف .
 وقوله « من سعاد » أراد من دار سعاد وأرضيها^(٢) . و « أَمَا » هي ما النافية
 أدخل عليها ألف الاستفهام تقريراً أو إنكاراً . والمراد : لا يحدث القلب بالسؤال
 والإفاقة مما تداخله من علائق حب هذه المرأة ، وتشبث به فآلهاه عن كل شيء ،
 إلا اعتراض له تذكرة مصيف ومرجع من أرضيها^(٣) بعد التوهم . كأنه كان
 يعف على منازلها فيتوهمها بآياتها وعلاماتها ، ثم يعرفها . وأكثر ما يذكرون
 التوهم في الديار يعقبونه بالعرفان دون العلم . وهذا أحد ما انفصل به بين العلم
 والمعرفة ، ولهذا وأشباهه نمتنع من أن نصف الله تعالى بأنه عارف . لذلك ،
 قال زهير :

(١) كذا في النسختين . وعند التبريزي : « وقال ابن الدمينه » . والآيات في ديوان
 ابن الدمينه ٢٥ . والدمينه أمه ، وهي الدمينه بنت حذيفة السلوية ، وهو عبد الله بن عبيد ،
 أحد بني عاصم بن تيم الله بن مبشر بن أكلب بن ربيعة بن عفرس بن خلف بن أنثل ، وهو
 خنعم بن أنمار . وابن الدمينه : شاعر إسلامي رقيق النسيب ، اختار له أبو تمام في هذه الحماسة
 ست مقطوعات ، وكفى ذلك شاهداً على منزلته . انظر الأغاني (١٥ : ١٤٤ - ١٥٠)
 واللائي ١٣٦ والشعراء ٧٠٩ . وقد طبع ديوانه في مصر سنة ١٣٣٧ بتحقيق محمد
 الهاشمي البغدادي .

(٢) كذا في ل بالجمع . وفي الأصل : « بأرضها » بالإفراد .

(٣) صدره : * وقت بها من بعد عشرين حجة *

* فَلَايَا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمٍ ^(١) *

وأشباهه كثير .

وقوله « تَوَهُّمٌ صَيْفٌ » حقيقة أنه حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، كأنه قال : تَوَهُّمٌ موضع صَيْفِي ، فيكون الصَّيْفُ مصدر صِفْنَا بالمكان نَصِيفٌ به صَيْفًا . وقوله « مربع » يجوز أن يَكُونَ اسمَ المكان .

وقوله « أَخَادِعُ » عن أطلالها العَيْنَ « يريد أني إذا وقفتُ على آثارِ دارِها ^(٢) وجوانِبِ محلّها رُمْتُ خَدْعَ النَّفْسِ والعَيْنِ عن تأملها ، تفادياً مما يتسلّط من الوجد بها ، ويتجدّد لي من الصَّباية نحوها . ولئلا أتذكّر بما أفرّسُ فيها أحوالَ قَبْلِها ، لأنَّ العَيْنَ إذا عرَفَتْها وَكَفَتْ بالدَّمْعِ ، والنَّفْسُ إذا تَبَيَّنَتْها أَشَقِيَتْ بالوجد .

وقوله « عَهِدْتُ بِهَا وَحْشًا » هذا تحسّرٌ فيما رأى الدَّارَ عليه من الاستبدال وَحُوشًا ، فقال : عَهِدْتُ بِهَا نِسَاءً مَبْرَقَةً — يشير بذلك إلى عَفَافِها وَقَلَّةِ تَبَرُّجِها — كالوحشِ كَلًّا وَحُسْنًا ، ونُفُورًا عن الرِّيبِ ، وأرى الآن وَحُوشًا تخيلُ فيها غير مبرقة . وفي هذه الطَّرِيقَةُ قول الآخر :

يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ يُرَى عِوَضَ الدُّمَى بِحَافَاتِهِ هَامٌ وَبُومٌ وَهَجْرَسٌ ^(٣)

وقوله « عليها برقع » صفةٌ للوحش ، وكذلك « أصبحت لم تبرقع » .

٤٥٧

وقال آخر :

١ — فَيَارَبَّ إِنِ أَهْلِكَ وَلَمْ تُرَوْهَامَتِي بَلِيلِي أُمْتُ لَا قَبْرَ أَعْطَشُ مِنْ قَبْرِ

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « ديارها » .

(٢) الهجرس : ولد الثعلب .

٢ - وإن ألك عن ليلي سلوت فإنما تسليت عن يأس ولم أسل من صبر^(١)

٣ - وإن يك عن ليلي غني وتجلد فرب غني نفس قريب من الفقر

حذف الياء من « يارب » لوقوعها موقع ما يحدث في باب النداء ، البتة ، وهو التنوين ، ولأن الكسرة تدل عليه ، ولأن باب النداء باب حذف وإيجاز ، لكثرة تردده في الكلام . وقوله « أمت » جواب الشرط . وقوله « لا قبر أعطش من قبري » الجملة في موضع الحال . وقد روى : « ترؤ » بفتح التاء ويكون الفعل للهامة ، « وترؤ » بضم التاء والفعل لله عز وجل . فيقول مثالما من برح الصبابة ، وعطش الاشتياق ، ومتشكيا إلى الله تعالى : يارب إن مت ولم أنل شفاء من دائي ، ورييا من عطشي إلى هذه المرأة مت ولا قبر لعاشقي أشد عطشا من قبري . وإنما قال : لم ترو همتي ، لأنهم كانوا يزعمون أن عظام الموتى تصير هاما فتطير . والأصلح في هذا المكان أن يكون جعل نفسه مقتتلا لحبها . ومعنى « لم ترو همتي » لم تطلب دمي من قاتلي ، تبقى همتي أعطش من كل هام . وكانوا يقولون : إنه يخرج من رأس المقتول هامة فتصيح وتقول : اسقوني اسقوني ! إلى أن يدرك ثاره .

وإنما آثرت هذا لتوحيد هامة . والروايتان في ترؤ وترؤ معنيهما ظاهران .

وقوله « وإن ألك عن ليلي سلوت » قد تقدم القول في حذف النون من أكن . وجواب الشرط قوله « فإنما » بما بعده . والمعنى : إن ألك في الظاهر حصل لي سلوت عنها لمن يتأمل حالي ، فإنما تكلفت ما ظن مني سلوا لقلبة اليأس منها على ، فأما نفسي فهي كما كانت ، ذهابا فيها وولوعا بها . وقوله

(١) التبريزي : « عن صبر » .

« سلوت » معناه طَبَّتْ نفساً . وتسَلَّيتَ معناه تكلَّفتَ ذلك ، والتَّفَعَّلُ لا يكون إلا عن تكلُّفٍ في أكثر الأحوال ، وكذلك التَّفَاعُلُ ، فأتى بسلوت بناءً على ظنهم واعتقادهم ، وتسَلَّيتَ بناءً على حاله .

وقوله « وإن يك عن ليلي غنى » يريد : وإن كان ظاهرُ أمرى أن استغنييت عنها بخلو قلبي من حبها ، أو أنى أتجلد للوهن العارض في الاشتياق إليها ، فربَّ غنى نفسٍ يقرب من الفقر . والمعنى أن باطنَ أمرى بخلاف ظاهره . وإنما يتصور منى غنى يقرب من الفقر إذا حصل وتوَمَّل . ومن روى « أمر من الفقر » فالمعنى ظاهر . والفاء من قرب بما بعده جواب للشرط . وفائدة رب التقليل ، كأنه استعمل الحالات التي تشبه حاله ، فلذلك أتى برُب .

٤٥٨

وقال آخر :

- ١ - يوم ارتحلت برخلي قبل برذعتي والعقل مُتَلِّه والقلب مشغول
 - ٢ - ثم انصرفت إلى نضوى لأبعثه إثر الخدوج الغواصي وهو معقول
- انتصب « يوم » بإضمار فعل ، كأنه أراد : أذكرُ يومَ هذا الأمر والشأن . وأضاف اليومَ إلى الفعل تشهيراً له وتعظيماً لما اتفق فيه ، وذلك أنه باعته حديث الفراق وما همَّ به المجتمعون معه في النجعة من الارتحال ، فلما وردَ عليه ما لم يحسبه ولم يحدث نفسه به ، نوَّله وخوَّط ، حتى صار لا يدري ماذا يأتي عند ما همَّ به من تشييعهم ، والتهيؤ للكون معهم ، فقال : أذكرُ يومَ أقبلتُ أضع الرِّحْلَ على الناقة قبل البرذعة ، وعقلي فاسدٌ وقلبي مشغولٌ بما دهمه من الحال . وقوله « مُتَلِّه » هو مُقْتَعِل من الوله ، وأصله مُوْتَلِّه ، فأبدل من الواو تاءً كما تقول

في اتقى واتجه وما أشبههما ، ثم أدغم إحدى التاءين في الأخرى . و يروى :
« مَحْتَبِلٌ » ، والخَبِل : الفساد .

وقوله « ثم انصرفت إلى نضوى » تميم لبيان حاله فيما انعكس عليه من
قصدِه ، وفسد من همِّه ، فقال : ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى بَعِيرِي لِأَقِيمَهُ فِي إِثْرِ الظَّاعِنِ
الباكرة ، وهو مشدودٌ بعقاله لم أحله . وهذا غايته ما يقالُ في انحلال العقدة ،
واسترخاء المسكة ، وسوء الضبط وانقلاب القلب . ومعنى أبعثه أهيججه .
والنضو : البعير المهزول . والحدوج : مراكب النساء الطاعنة . وانتصب إثر
على الظرف .

وقد سلك أبو تمام هذا المسلك فقال :

أَصَنِي سِرِّهِمْ أَيَّامَ فُرْقَتِهِمْ هَلْ كُنْتَ تَعْرِفُ سِرًّا يُورِثُ الصَّمَا
نَاؤًا فَظَلَّتْ لَوْشِكِ الْبَيْنَ مُقْلَتُهُ تَنْدَى نَجِيمًا وَيَنْدَى جِسْمُهُ سَقَمًا^(١)
أَظَلَّ الْبُيْنِ حَتَّى إِنَّهُ رَجُلٌ لَوْ مَاتَ مِنْ شُغْلِهِ بِالْبَيْنِ مَا عَلِمَا

٤٥٩

وقال جران العود^(٢) :

١ — أَيَا كَبِدًا كَادَتْ عَشِيَّةُ غُرَبٍ مِنْ الشَّوْقِ إِثْرَ الظَّاعِنِينَ تَصَدَّعُ
٢ — عَشِيَّةَ مَا فَيَمِنُ أَقَامَ بِغُرَبٍ مَقَامٌ وَلَا فَيَمِنُ مَضَى مُتَسَرِّعُ

(١) في الأصل : « وبيدى جسمه » ، صوابه في ل وديوان أبي تمام ٣٠٢ .

(٢) التبريزي : « العود : السن . والجران : باطن عنق البعير والدابة . ويقال : إن

الشاعر سمي بذلك لقوله :

خذوا حذرا يا جارتى فلاننى رأيت جران العود قد كاد يصلح
واسمه عامر بن الحارث . وقال أبو رباح : هي لذى الرمة . وفي القاموس (جرن) :
« وجران العود شاعر نميري واسمه عامر بن الحارث ، لا المستورد ، وغلط الجوهرى » .

يروى « يا كبدًا » والمراد يا كبدى على الإضافة ، ففرّ من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة ، فانقلبت ألفا . و يروى « يا كبدًا » والمراد به كبده وإن نكّرها ، بدلالة أنه وصفها بقوله « كادت عشيّة غُرَبٍ من الشوق » ... البيت . وهذه الصفة لم تحصل إلّا لها . والمراد أنه تألّم مما دهمه من أمر الفراق بعد الاجتماع الحاصل في مواضع الانبجاع ، وكأنّ المجتمعين تحزّبوا حزبين ، ارتحل أحدهما وصاحبته معهم ، وأقام أحدهما بالتهيّؤ والاستعداد وهو فيهم ، فالتقّدمون ليس فيهم متسرّع ، لا انتظارهم للمتخلفين ، والمتخلفون لا مقام لهم لاستعجالهم اللحاق بهم . فشكّا الحالة الواقعة في أثناء ذلك ، وهو مع ذلك يحنّ ويشتاق . وغُرَبٌ : موضع ^(١) . وأضاف العشيّة إليه تخصيصاً . وفصل بين كاد وبين الفعل الذى تناوله بالظرف على ما اتّصل به . و « إثر » انتصب على الظرف من الشوق ، و « عشيّة » من البيت الثانى بدل من العشيّة الأولى . وكما أضاف الأولى إلى غُرَب تبيننا أضاف الثانية إلى قوله « ما فيمن أقام بغُرَب » تبيننا ، وهما عشيّة واحدة وإن اختلف مبنيهما .

٤٦٠

وقال الحسين بن مطير ^(٢) :

١- لقد كنتُ جَلَدًا قَبْلَ أَنْ تُوقِدَ النَّوَى عَلَى كَيْدِي نَارًا بَطِينًا حُمُودُهَا ^(٣)

(١) في معجم البلدان : « ماء بنجد ثم بالشريف من مياه بني نجر » . ثم أنشد هذين البيتين .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ٣١٩ ص ٩٣٤ . وفي الأغاني (١٤ . ١١٣) عن التوزى قال : قلت لأبي عبيدة : ما تقول في شعر الحسين بن مطير ؟ فقال : والله لو ددت أن الشعراء فاريت في قوله : منحصرة الأوساط » وأنشد هذا البيت والذي بعده . وقد ساق أبو علي القالى أبيات الحسين بن مطير هذه في الأمالي (١ : ١٦٥) كاملة .

(٣) بين هذا البيت وتاليه عند القالى :

ولو تركت نار الهوى لتضمرت ولكن شوقا كل يوم يزيدا

٢- وقد كنت أرجو أن تموت صباقي إذا قدمت أيامها وعهودها
يقول : كنت قوئ النفس ، ثابت القلب ، راجع العقل ، صبوراً في
الشدائد ، قبل أن يلبت بفراق الأحبة ، فلما أوقدت نيتهم التي انتووها نار
الصباية على كبدى فابطأ سكونها ضعفت عن الثبات لها ، وظهر عجزى عن
تحمل أعبائها ، وقد كنت أوئل إذا أتت الأيام على ما أفاقيه ، واستمرت
النفس في التألم تارة وفي التصبر أخرى ، أن يتنقص ذلك صباقي ، وأن قدم
الأيام وانحاء العهود يؤثر في تسكين نازتها ، ويبطل ما تسلط على من أذاها
ومكروها . وقوله « إذا قدمت » ظرف لتموت صباقي .

٣ — فقد جعلت في حبة القلب والحشا عهاد الهوى تؤلى بشوقٍ يبعدها^(١)
يريد أن ما كان يرجوه من سكون صبايته قد ازداد ، لأنها صيرت في
حبة القلب وأحشائه أمطار الهوى ، تجدد وتنبع يؤلى من الشوق يردها كما
كانت . وانتصب « عهاد » على أنه مفعول أولُ جعلت ، وتولى بشوق في
موضع للمفعول الثانى ، ويبيدها في موضع الصفة للشوق . ومعنى « تؤلى »
تُمطر الولى . والولى : المطرة الثانية لأن الأولى منها تسمى الوسمى . والعهاد :
جمع العهد ، وهو المطر الذى يحى ، ولما تقدمه عهدٌ باق لم يذهب . وحبة القلب
هى المعلقة السوداء في جوفه . ويروى « عهاد الهوى — بالرفع — يؤلى —
بالياء — بشوق يبعدها ، بالباء^(٢) » ، فيكون معنى جعلت طفقت وأقبلت ، ويكون
غير متعدي ، ويرتفع عهاد بجعلت ، وبعيدها يقوم مقام فاعل يؤلى . فيكون
المعنى : فقد طفقت أوائل هواها يُمطر أبعدُها بشوقٍ يجددها .

(١) بعده فى الأمالى :

لمرتبة الأطراف هيف خصوصها عذاب ثناياها عجاب قبورها

(٢) التبريزى : « وتعلب بروى : يبعدها » .

- ٤ - بِسُودٍ نَوَاصِيهَا وَحَرٍّ أَكْغَهَا وَصُفْرٍ تَرَاقِيهَا وَبَيْضٍ خُدُودَهَا
 ٥ - مُحْصَرَّةِ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ عُقُودَهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودَهَا
 ٦ - يُمْنِدِنُنَا حَتَّى تَرِفَّ قُلُوبُنَا رَفِيفَ الْخَزَامَى بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا^(١)

الباء من قوله « بسود نواصيها » يجوز أن يتعلق بقوله تموت صباقي ، ويجوز أن يتعلق بجعلت إذا ارتفع بهاد الهوى به . يريد : جعلت العهاد تفعل هذا بسبب نساء هكذا . وإنما جاز أن يجمع سود وحر وغيرها وإن ارتفع ما بعدها بها ، لأن هذه الجموع لها نظائر في هذه الأسماء المفردة^(٢) ، ولو كانت جموع سلامة أو ملا نظير له في الواحد لما جاز جمعه . تقول : مررت برجال ظراف آباؤهم . ولو قلت : ظريفين آباؤهم ، لم يجوز .

وقوله « مُحْصَرَّةِ الْأَوْسَاطِ » يريد أنها دقيقة الخصور ، غير واسعة الجنوب وأن قلاندها وحليها تكتسب من التزيين بها إذا علقت عليها ، أكثر مما تكتسبه منها إذا تحلت بها .

وقوله « يُمْنِدِنُنَا » يصف لطافتهم في مواعيدهم ، وتقريبهم أسر الوصال بينه وبينهم ، وأنها لا تزال تمتى وتضمن من حسن الإجابة ما يصير للقلوب به بريق ونضارة ، كبريق الخزامي إذا بقي ليلته يطل بالجود ، والرفيف بكثرة الثبات ونضارتها . ومعنى « حَتَّى تَرِفَّ » إلى أن ترف .

(١) بعده في الأمالي :

وفيهن مقلق الوشاح كأنها مهابة بتربان طويل عقودها

قال أبو علي : « يريد موضع العقود ، وهو العنق » .

(٢) ل : « في الأسماء المفردة » .

٤٦١

وقال أبو صخر الهذلي^(١) :

- ١- أَمَا وَالَّذِي أَبْكِي وَأُضْحَكُ وَالَّذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمَرُهُ الْأَمْرُ
٢- لَقَدْ تَرَكْتَنِي أَحْسَدُ الْوَحْشِ أَنْ أَرَى أَلْيَفِينَ مِنْهَا لَا يَرُوعُهُمَا الذُّعْرُ^(٢)

تكريره للذي ليس بتكثير للأقسام ، لأن اليمين يمين واحدة بدلالة أن لها جوابا واحداً ، ولو كانت أيماناً مختلفة لوجب أن يكون لها أجوبة مختلفة ، وفائدة التكرير التفخيم والتَّهْوِيل . وعلى هذا إذا قال القائل : والله والله لقد كان كذا ، فاليمين واحدة . وما في القرآن من قوله : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَفْشَى . وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى . وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى . إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ مثله . على أن ما في البيت من اختلاف الأفعال الداخلة في الصلوات جعل الكلام أحسن ، والتفخيم أبلغ . وجواب القسم « لَقَدْ تَرَكْتَنِي » ، وفاعل تركتني ضمير المرأة المستكن فيه . والمعنى : أني إذا تأملت الوحش وهي تأتلف في سراعيها ومُتَصَرِّفَاتِهَا اثنين اثنين ، لا يُفَزَّعُهَا رَقِيبٌ ، ولا يَدْخُلُ فيما بينها تنفير ، حَسَدَتْهَا وَتَمَنَّيْتُ أَنْ تَكُونَ حَالَتِي مَعَ صَاحِبَتِي كَحَالِهَا فِي الْآفَةِ .

وقوله « أَحْسَدُ الْوَحْشِ » في موضع الحال ، وأن أرى ، في موضع البدل من الوحش . وقوله « لَا يَرُوعُهُمَا » في موضع الصفة لأليفين ، لأن أرى من رؤية العين ، ويكتفى بمفعول واحد ، وهو أَلْيَفِينَ .

(١) سبقت ترجمته في الخامسة ١٠٩ ص ٣٢٧ . وقصيدة أبي صخر رواها القالي في أماليه (١ : ١٤٨ — ١٥٠) .

(٢) القالي : « وَقَدْ تَرَكْتَنِي أَغْبَطُ الْوَحْشِ » .

٣ - فَيَا حَبَّاءَ زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَا سَلْوَةَ الْعُشَّاقِ مَوْعِدُكَ الْحَشْرُ^(١)

٤ - عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ

تَجَلَّدَ فِي الْهَوَى وَادَّعَى اللَّذَازَةَ بِهِ ، حَتَّى اسْتَزَادَ مِنْ أَجْزَاءِ الْجَوَى الْحَاصِلِ لَهُ ، وَهُوَ دَاهِ الْجَوْفِ ، مَا يَتَضَاعَفُ بِتَجَدُّدِ الْأَوْقَاتِ ، وَاسْتَبَعَدَ النَّسْلَ مِنْهَا حَتَّى جَعَلَ الْمَوْعِدَ بَيْنَهُمَا يَوْمَ النَّشْرِ . وَهَذَا غَايَةُ التَّفَقُّي فِي الْهَوَى ، وَالتَّصَبُّرِ عَلَى الرَّدَى .

وقوله « عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ » يجوز أن يريد به سُرْعَةَ تَقْضَى الْأَوْقَاتِ مُدَّةَ الْوَصَالِ بَيْنَهُمَا ، وَأَنَّهُ لَمَّا انْقَضَى الْوَصْلُ عَادَ الدَّهْرُ إِلَى حَالَتِهِ فِي الشُّكُونِ . وَهَذَا عَلَى عَادَتِهِمْ فِي اسْتِقْصَارِ أَيَّامِ السُّرُورِ وَاللَّهْوِ ، وَاسْتِطَالَةِ أَيَّامِ الْفِرَاقِ وَالْهَجْرِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِسَعْيِ الدَّهْرِ سَعْيَانَهُ أَهْلَ الدَّهْرِ وَإِقَادَهُمْ نَارَ الشَّرِّ بَيْنَهُمَا بِالنَّمَاثِمِ وَالْوِشَايَاتِ ، وَأَنَّهُ لَمَّا فَتَرَتْ أَسْوَاقُهُمْ بِالتَّهَاجُرِ الْوَاقِعِ مِنْهُمَا ، وَارْتَفَعَ مُرَادُهُمْ فِيهَا طَلَبُوهُ مِنَ الْفَسَادِ بَيْنَهُمَا ، مَسَكُونًا . وَكَأَنَّ أَرَادَ بِسَعْيِ الدَّهْرِ سَعْيَ أَهْلِ الدَّهْرِ ، كَذَلِكَ أَرَادَ بِسُكُونِ الدَّهْرِ سُكُونَ أَهْلِ الدَّهْرِ .

٤٦٢

وقال^(٢) :

١ - بَيْدَ الَّذِي شَقَفَ الْفُؤَادَ بِكُمْ تَقْرِيجُ مَا أَلْقَى مِنَ الْهَمِّ^(٣)

٢ - وَيُقِرُّ عَيْنِي وَهِيَ نَازِحَةٌ مَا لَا يُقِرُّ بَعَيْنِي ذِي الْحِلْمِ

(١) كتب في الأصل تحت كلمة « العشاق » : « الأيام » . ورواية التبريزي والقالى : « ويا سلوة الأيام » .

(٢) أى أبو صخر الهذلي . والأبيات بهذه النسبة في الأغاني (٢٠ : ١٤٧ - ١٤٨)

(٣) الأغاني : « فرج الذى ألقى » . كما أن الرواية فيها « شغف » بالعين المعجمة .

الذي شَعَفَ القلب به من زعمه هو الله تعالى . ومعنى شَعَفَ الفؤاد : أصاب شَعَفَتَهُ . وشَعَفَهُ كُلُّ شَيْءٍ : أعلاه . وقوله « بكم » أراد بِحَبِّكُمْ ، ويقال : فلان مشعوف بكذا ، إذا شَغِلَ قلبه به وأُصِيبَ . وارتفع « تفرّج » بالابتداء ، وخبره بيد الذي ، على طريقة سيبويه ، وعلى مذهب أبي الحسن الأخفش ارتفع تفرّج بالظرف ، والمعنى : بيد الله الذي ابتلاني بكم ، وشَغَلَ قلبي بِحَبِّكُمْ ، كَشَفُ ما أُنَاسِيهِ مِنَ الهمِّ . وهذا الشاعر في الهوى على الضدِّ من تقدّم ذكره ، لأنَّ شكواه في نهاية القوّة والعُلُوّ ، كما أنَّ التّذاذَ ذاك في نهاية الجِدَّةِ والعُلُوّ .

وقوله « ويُقرُّ عيني وهي نازحة » يريدُ أنه يسره فيها على بُعدها منه ما لا يُسرُّ به عاقل . وإِنَّمَا نَبَّهَ بهذا على شِدَّةِ تَمَنُّعِها ، وعلى قوّة يَأْسِهِ منها ، حتّى أنه مع البُعاد إذا أخطر بباله شيئاً من أحوالها التي يُشاركه فيها ، عَدَّهُ مَرَزِيَّةً منها^(١) ، واستمتعاً بها . وقد شَرَحَ ذلك فيما بعده . وقد روى بعضهم : « بَعَيْنِ ذِي الحِلْمِ » بضم الحاء ، وليس بشيء .

٣ - إِنِّي أَرَى وَأَظُنُّ أَنَّ سَتْرِي وَضَحَ النَّهَارِ وَعَالِي النَّجْمِ
لك أن تروى « أُنَى » وتجعله في موضع الرفع بدلاً من « ما لا يُقَرُّ » ؛ ولك أن تكسر إن ، كأنك تستأنف شَرَحَ ما قُدِّمَ ، وتفصل ما أُتِجِلَ . ويكون المعنى : يُقَرُّ عَيْنِي أَنِّي أَرَى بياضَ النهار وعالي السكواكب بالليل ، وهو أضوؤها وأعلنها^(٢) ، وأظنُّ أنها تُشارِكُنِي في رؤيتها ، فأفرحُ بذلك ، وهذا ممّا لا يَفْرَحُ به عاقل ، ولا يَعْتَدُّهُ لَذَّةً . ويُروى والمعنى ما بيّنته ، على غير هذا ، وهو :

إِنَّ الَّذِي سَأْظُنُّ أَنَّ سَتْرِي وَضَحَ النَّهَارِ وَعَالِي النَّجْمِ
فيرتفع وضحُ على أن يكون خبر إن ، وأتى بِعَالِي النَّجْمِ على أصله فضع

(١) رزأه مرزئة : أصاب منه خيرا .

(٢) ل : « وأعلنها » .

الياء منها . والمعنى ذلك المعنى ، إلا أنه زاد الظن تراخياً بإدخال السين عليه .
ويروى :

إِنِّي أَرَى وَأُظُنُّ أَنَّ سَتَرِي وَضَحَ النَّهَارِ عَوَالِي النَّجْمِ^(١)

فينتصب وضح على الظرف ، وعوالم على أنه مفعول أرى . والمعنى : أرى
الكواكب ظهراً ، فيما أفاصيه من برح الهوى ، وأظنُّ أنها ستمتحن في
حُبِّها لي بمثل ما امتحنت في حُبِّي لها ، وأن أسباب الهوى تُفارقني وتعود إليها ،
فترى مثل ما أرى ، فأفرح بذلك وتطيبُ له نفسي ، وهذا مما لا يفرحُ به عاقل .

٥ - وَلَلَّيْلَةُ مِنْهَا تَعُودُ لَنَا فِي غَيْرِ مَا رَفَتْ وَلَا إِنَّمِ

٦ - أَشْهَى إِلَى نَفْسِي وَلَوْ نَزَحَتْ مِمَّا مَلَكَتُ وَمِنْ بَنِي سَهْمٍ

نَبَّهَ بهذا الكلام على تهالكه في هواها ، وتناهي صباهته بها ، وأن
اليسير إذا عاد عليه منها عدّه كثيراً . وقد أظهر العفّاف في بلواه ، وأنه يتمنى
ما يتمنى فيها حلالاً لا حراماً ، فيقول : وليلة من أوقاتها تحصلُ لنا في غير
فُحْشٍ نذُكرُ به ، أو إنمِ تكتسبه ، ألذُّ إلى نفسي وأطيبُ في قلبي من
مِلِكِي كُلِّهِ ، ومن عَشِيرَتِي بِأَسْرَمِ .

وقوله « أشهى إلى نفسي » في موضع المبتدأ ، وهو ليلة منها . وقوله ولو
نَزَحَتْ شرطٌ فيما تمنى حصوله ، وقد فصل بها بين أشهى إلى نفسي وبين ما ملكتُ .
أى وإن بُعدت تلك الليلة فعادت إلى أُولَى أحوالها في التمتع على والتفصّي مني .

٧ - قَدْ كَانَ صُرْمٌ فِي الْمَاتِ لَنَا فَعَجَلَتْ قَبْلَ الْمَوْتِ بِالصُّرْمِ

٨ - وَلَمَّا بَقِيَتْ لَيَبْقَيْنَ جَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ مُضْرِعُ جِسْمِي

(١) هي رواية التبريزي ، لكن آخر البيت عنده : « وعالي النجم » .

٩ - فَتَعَلَّمِي أَنْ قَدْ كَلِمْتُ بِكُمْ ثُمَّ أَفْعَلِي مَا شِئْتَ عَنْ عِلْمٍ

عاد إلى مخاطبتها ، بعد أن تألم مما تألم ، فقال يعتب عليها :

قد كان لنا في الموت قطيعةً وافتراق ، لكنك لم تصيري إلى حين وقوعه ، ولم تنتظري نزوله ، فمَجَلَّتِ الضُّرْمُ قبل الموت ، فلا جَرَمَ أَنَّ بَيْنَ جَوَانِحِي دَاءٌ يَبْقَى مُدَّةً بَقَائِي فِيهَا ، وَيُذِيبُ جِسْمِي ، وَيَكْسِفُ بَالِي .

وقوله « وَلَمَّا بَقِيتُ » أَدْخَلَ اللام الموطئة للقسم على ما بقيت ، وهو مصدرٌ في موضع الظَّرف ، لِمَا يَتَضَمَّنُ من معنى الشرط . وقوله « لَيَبْقَيْنَ جَوِّي » جوابُ القسم المضمَر ، والكلام كأنه : لئن بقيتُ لَيَبْقَيْنَ جَوِّي ؛ لِأَنَّ المعنى : وَلَمُدَّةً بَقَائِي لَيَبْقَيْنَ جَوِّي . فمحصول الكلام يعود إلى ذلك .

وقوله « فَتَعَلَّمِي أَنْ قَدْ كَلِمْتُ بِكُمْ » يَضَعُونَ تَعَلَّمَ موضعَ اعلم ، إِلَّا أَنَّ الخاطبَ ليس له في الجواب أن يقول تعلمت ، لكن يقول : علمت . والمعنى : اعلمي كَلِمَتِي بِكُمْ ، وانحطاطي في هواكم ، وَكُنْهَ مَا أَقَاسِيهِ فِي حُبِّكُمْ ، ثُمَّ آثَرِي فِي بَابِي مَا أَرَدْتُ بَعْدَ عِلْمِكَ بِالْخَال ، لِأَنَّ الَّذِي أَطْلُبُهُ رِضَاكَ ، ثُمَّ لَا أَبَالِي بِمَا يَلْحَقُنِي من بقاء أو فناء ، أو سرَّاء أو ضَرَّاء .

٤٦٣

وقال آخر^(١) :

١ - إِنَّ الَّتِي زَعَمْتَ فَوَادَكَ مَلَّهَا خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى لَهَا

٢ - بَيِّضَاهُ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فِصَاغَهَا بَلْبَاقَةً فَادَّقَهَا وَأَجَلَّهَا

يقول : إِنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي ادَّعَتْ عَلَيْكَ مَلَالَ قَلْبِكَ مِنْهَا ، وَإِعْرَاضَكَ عَنْهَا ،

(١) وكذا وردت الأبيات بدون نسبة في أمالي الغالي (١ : ١٥٦) . وعند التبريزي :

« وقال آخر . قال أبو رياش : هِيَ لَابِنُ أَذِينَةَ » . وابن أذينة هذا هو عروة بن أذينة .

وَنَيْتِكَ فِي اسْتِبْدَالِكَ بِهَا ، خُلِقْتَ هَوًى لَكَ كَمَا خُلِقْتَ أَنْتَ هَوًى لَهَا . وَالْمَعْنَى أَنَّ دَعَاَهَا تَجَنَّبَ مِنْهَا ، وَتَسَخَّطَ لَمَّا يَظْهَرُ مِنْ شَعْفِكَ بِهَا ، وَهِيَ لَكَ لَا انْفِكَاكَ لِقَلْبِكَ مِنْ عَشَقِهَا ، كَمَا تَدَّعَى أَنَّهَا لَكَ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ ، فَأَنْتَ تَهْوَاهَا كَمَا أَنَّ تِلْكَ تَهْوَاكَ ، لَا مَرِيَّةَ فِي ذَلِكَ وَلَا شَكَّ .

وَقَوْلُهُ « بِيضَاهُ بِا كَرَّهَا النَّعِيم » يَرِيدُ أَنَّهَا نَشَأَتْ فِي النَّعْمَةِ وَالنَّعْمَةِ ، وَأَنَّ خَفَضَ الْعَيْشِ رَبَّاهَا وَحَسَّنَ خَلْقَهَا بِحِذْقٍ وَلِبَاقَةٍ ، فَجَعَلَ مُحَاسِنَهَا مَرْتَبَةً بَيْنَ مَا يُسْتَحَبُّ دَقَّتْهَا ، وَبَيْنَ مَا يُسْتَحَبُّ خَامَتُهَا . وَمَعْنَى « بِا كَرَّهَا » سَبَقَ إِلَيْهَا فِي أَوَّلِ أَحْوَالِهَا ؛ لِأَنَّ الْبَكُورَ : اسْمٌ لَا بَتْدَاءَ الشَّيْءِ ؛ عَلَى ذَلِكَ بِا كُورَةُ الرَّبِيعِ . وَاللِّبَاقَةُ : الْحِذْقُ ؛ يُقَالُ : هُوَ لَبِيقٌ وَلَبِيقٌ ، أَيْ حَازِقٌ . وَمَعْنَى أَدَقَّتْهَا وَأَجَلَّتْهَا : أَتَى بِهَا دَقِيقَةً جَلِيلَةً ، فَمَا يُسْتَحَبُّ دَقَّتْهَا مِنْهَا مِثْلُ الْأَنْفِ وَالْعَيْنِ وَالشَّعْرِ وَالْخَصْرِ جَعَلَهَا دَقِيقَةً ، وَمَا يُسْتَحَبُّ جَلَّالَتُهَا مِنْهَا مِثْلُ السَّاقِ وَالْفَخِذِ وَالْعَجْزِ وَالصَّدْرِ جَعَلَهَا جَلِيلَةً . وَهَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ ^(١) :

فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ وَاسْتَبَكَّرَتْ وَأَكْمَلَتْ فَلَوْ جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحَسَنِ جُنَّتْ
وَمَا قَالَ :

يَمَانِيَّةٌ تُلِمُّ بِنَا فَتُبْدِي دَقِيقَ مُحَاسِنٍ وَتُسَكِّنُ غَيْلًا ^(٢)
٣ — حَجَبَتْ نَحِيَّتَهَا قُلْتُ لِصَاحِبِي مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَاهَا
٤ — وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلَوَةٍ شَفَعَ الضَّمِيرُ لَهَا إِلَى فَسَلَهَا ^(٣)
كَأَنَّهَا لَمَّا لَا مَتَهُ فِي مَلَالِهِ وَظُهُورِ الْقَسَلِ مِنْهُ ، هَجَرَتْهُ وَأَقْبَلَتْ لَا تَقْبَلُ تَحِيَّةً ^(٤) وَلَا تَرَدَّ جَوَابَهَا . فَيَقُولُ : لَمَّا أَعْرَضْتُ وَتَحَجَّجْتُ عَنْ رُسُلِي ، وَأَظْهَرْتُ

(١) هُوَ الشَّغْرَى . الْبَيْت ١٢ مِنْ الْفَضْلِيَّةِ ٢٠ .

(٢) الْبَيْتُ لَوْضَاحِ الْيَمِينِ . سَبَقَ فِي ص ٦٤٣ .

(٣) التَّبْرِيزِيُّ : « شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفَوَادِ » .

(٤) كَذَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « تَحِيَّةٌ » .

أَطْرَاحَ وَدَّى ، قلتُ متأسِّفًا ومتعجبًا : ما كان أ كثرها لنا حين كانت متوفِّرة علينا ، وما أقلها لنا السَّاعةَ وقد زهِدَتْ فينا هذا الزُّهدُ المُسْرِفُ ، وضَجِرَتْ بنا الضَّجَرُ المُفْرِطُ . والذي استكثره واستقلَّه هو نيلها وميلها . هذا إذا جعلت الضمير من « أ كثرها » و « أقلها » راجعاً إلى المرأة ، ويجوز أن يرجع الضمير إلى التَّحِيَّةِ ، والمراد : ما كان أ كثرها لنا لو حصَّلتْ ، إذ كان فيه مِسَاكُ أَرْمَاقِنَا ، وحيَاةُ قُلُوبِنَا . وما كان أقلها في نفسها . وهذا كما قال الآخر :

إِنَّ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وَكَثِيرٌ مِّنْ يُحِبُّ الْقَلِيلُ

وقوله « وإذا وجدتُ لها وسوسَ سلوة » يبيِّن به استحكامَ حُبِّها في قلبه ، وأنَّه كلَّما تداخَلَ ضَجَرٌ بِدَلَالِهَا وتَأْيِيْمُهَا ، حَدَّثَتْ نَفْسَهُ بِالتَّسْلِيِ عَنْهَا ، والتَّصَبُّرِ دُونَهَا ، أَقْبَلَتْ دَوَاعِيَ اللَّيْلِ إِلَيْهَا ، والأسبابُ للتَّسَلُّطِ عَلَى قَلْبِهِ ، والمُشْتَمَلَةُ عَلَى لُبِّهِ ، وَلَهَا تَشْفَعُ وَتَعْصِبُ ، فَنَزَعَتْ مَا خَطَرَ بِالْبَالِ مِنْ ذَلِكَ ، وصارت شَوَافِعُ الضَّمِيرِ أَغْلَبَ عَلَى تَدْيِيرِهِ ، وَأَمْلَكَ لِمُتَصَرِّفَاتِهِ ، حَتَّى يَصِيرَ الْحُكْمُ لَهَا ، والغَلَبُ لِقَضَايَاهَا . وفي طريقتِهِ قول كثير :

أُرِيدُ لِأَنْتَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ

٤٦٤

وقال آخر :

١ - أَمَا وَالَّذِي حَبَّتْ لَهُ الْعَيْسُ وَأُرْتَمَى لِمَرْضَاتِهِ شُمْتُ طَوِيلُ دَمِيلُهَا

٢ - لَيْنُ نَائِبَاتِ الدَّهْرِ يَوْمًا أَدْلَنَ لِي عَلَى أُمِّ عَمْرِو دَوْلَةَ لَا أُفِيْلُهَا

افتتح كلامه بأما ، ثم أقسم بالله ، لأن الذي قصدت العيسُ بيتَهُ ، وطلبتِ الحُجَّاجُ الغُبْرُ الوجوه الطَّوَالُ الذَّمِيلُ مَرْضَاتِهِ ، هو الله تبارك وتعالى .

واللام من «لئن» هي الموطئة للقسم ، وجواب القسم «لا أقيلها» .
 والمعنى : والله لئن جعلت نوائب الدهر لي دولة على أم عمرىو لعددت ذلك
 ذنباً لا أقيلها منه . فالضمير من لا أقيلها يرجع إلى النائبات ، كأن لذته كان
 فى الهوى ، وأن يكون لتلك عليه البسطة فى الأمر ، والتمكّن^(١) من التصريف
 فيما يسووه أو يسره ، فإذا تغير الأمر عن ذلك عده شقاءً وضرراً فادحاً . وهذا
 الوجه حسن . ويجوز أن يكون الضمير يعود إلى المرأة ، فيكون المعنى : إني إن
 صارت لي اليد عليها ، وجعلت أملك من أمرها مثل ما تملك من أمرى جازيتها
 حينئذ بما تعاملنى به كئيل الصاع بالصاع ، وتركها لا أنعشها من صرعتها ،
 ولا أقيلها عثرتها . وهذا المعنى إذا قايسته إلى ما تقدم ذكره كان منحنطاً عنه ،
 وواقعاً دونه ، وفيه إظهار العجز عن مكابدة الصبابة ، والتصریح بسوء الملكة .
 ومثل هذه الطريقة لا يرتضيها أرباب الهوى ، والحكماء على مدعى العشق ولهم .
 ومعنى «أدلتنى» جعلنى لي دولة . ويروى : «أدزنى لي» فينتصب دولة على
 أنه مفعول به . والدائرآت كالدائرآت لا فصل . ومن روى «أدلتنى لي»
 انتصب دولة على أنه مصدر ، فيكون موضوعاً موضع الإدالة . ويقال : أدالك
 الله من عدوك ، أى جعل لك عليه دولة .

٤٦٥

وقال آخر :

- ١ - وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظرُ
 ٢ - رأيت الذى لا كُله أنت قادرٌ عليه ولا عن بعضه أنت صابرٌ^(٢)

(١) ل : والتمكين .

(٢) ل : «الذى ما كله» .

الرَّائِدُ : الذى يتقدّم القومَ فيطلبُ لهم الماءَ والكلاً ، ولذلك قيل فى المثل :
 « لا يكذبُ الرَّائِدُ أهله » لأنّه إن كذّبَهُمْ هَلَكَ معهم . فيقول : إنَّكَ إذا
 جعلتَ عَيْنَكَ رائداً لقلبِكَ تطلبُ له مَصَبَّ هواه ، ومقرّاً لهواه وصِباها ، أتعبتَكَ
 مناظرُها فى مطالبِكَ ، وأوقعتَكَ مواردُها فى أشقِّ مكارِهكَ ؛ وذلك أنها تهجم
 بالقلبِ فى ارتياده لها على ما لا يصبرُ فى بعضه على فراقه مع مهيّجاتِ اشتياقه ،
 ولا يقدرُ على السُّلُوِّ عن جميعه مع تذكُّرِ غرائبِ الحسنِ منه ، فهو الدَّهرُ ممتَحِنٌ
 ببلوى ما لا يقدرُ على كَلِّه ، ولا يصبرُ عن بعضه . والجفائىَ فيهما للعين ، لكونها
 قائداً للفؤادِ إلى الرَّذَى وسائقا ، وهادياً لدواعى الحبِّ إليه وحادياً .

وقد ألمَّ بهذا المعنى أبو نعيم حيث يقول :

لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ المُضِيئَةُ مُذْ رَأَتْ عَيْنِي خِلَالَ الخَدْرِ شَمْسًا تَقْرُبُ
 لَا تُعَذِّبَنَّ جُفُونِي عَيْنِي إِنَّمَا بِجُفُونِي عَيْنِي حَلًّا مَا أُتَعَذَّبُ^(١)

وأبين من هذا قول الآخر :

أَلَا إِنَّمَا العَيْنَانِ للقلبِ رائدٌ فما تَأَلَّفَ العَيْنَانِ فالقلبُ يَأْلَفُ
 وقوله « رائداً » انتصبَ على الحال ، وجواب إذا أرسلت « أتعبتَكَ
 المناظر » . وقد حصّل خيرَ كنت فيه ومعه . وقوله « رأيت الذى » تفصيل لما
 أجمَلَهُ قوله « أتعبتَكَ المناظر » .

(١) كذا فى ل . وفى الأصل : « حال ما أتعذب » .

٤٦٦

وقال الصَّمَّةُ بنُ عبدِ الله القُشَيْرِيُّ ^(١) :

- ١ — أَقولُ لصاحبي والعيسُ تهوى بنا بَيْنَ المُنِيفَةِ فالضَّمارِ ^(٢)
 ٢ — تَمَتَّعَ من شَمِيمِ عَرَّارٍ نَجْدٍ فما بَعْدَ العَشِيَّةِ من عَرَّارِ
 العَيْسُ : بياضٌ في ظُلْمَةِ خَفِيَّةٍ . والعربُ تَجْعَلُهُ في الإبلِ العِرابِ خاصَّةً .
 والمُنِيفَةُ : موضعٌ ، أو هَضْبَةٌ مَرْتَفَعَةٌ ^(٣) . ومنه : أَنافَ على كذا ، أى أَشْرَفَ ،
 وقولهم : مائةٌ ونَيْفٌ . والضَّمارُ : مكانٌ أو وادٍ مُنخَفَضٌ يَضْمِرُ السَّائِرَ فيه ،
 لذلك قال الأعشى :

نُرَانَا إِذَا أَضْمَرْتِكَ البَلَا دُ نَجْفَى وَتُقَطَّعُ مِنَّا الرَّحِمُ
 ومنه قيل للعِدَّةِ المُسَوَّفَةِ : الضَّمارُ ، وقيل لما لا يُرْجَى رُجُوعُهُ من المالِ :
 الضَّمارُ . قال :

* وَعَيْنُهُ كَالْكَالِي الضَّمارِ ^(٤) *

يَذمُّه بَأَن حَاضِرَهُ كغائِبِهِ . يقول : إِنِّي أَجَارِي رَفِيقِي وَأُبَاهُهُ قِصَّتَنَا ،
 وَالرَّوَّاحِلُ تُسْرِعُ بَيْنَ هَذَيْنِ المَوْضِعَيْنِ ، وَأَقُولُ في أَثْناءِ ذَلِكَ مِثْلَهُنَّ : اسْتَمْتِعْ
 بِشَمِّ عَرَّارِ نَجْدٍ ، فَإِنَّا نَعْدَمُهُ إِذَا أَمْسَيْنَا بِخُرُوجِنَا مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ وَمُنَابَتِهِ .

(١) التبريزي : « وقال آخر » . والصمة هذا غير والد دريد . وقد سبقت ترجمة الصمة
 ابن عبد الله في المقطوعة ٤٥٤ س ١٢١٥ .

(٢) اللآلي ١٤٠ : « تحدى » . والأبيات في زهر الآداب (٣ : ١٠٣) ومعجم
 البلدان (الضمار ، المنيفة) بدون نسبة . ونسبت في معاهد التنصيص (٢ : ٨٥) للصمة ، ثم
 قال : « وقيل : الأبيات لجمدة بن معاوية بن حزم العقيلي » . وفي الوساطة س ٣٤ ستة أبيات
 منها بلا عزو .

(٣) في معجم البلدان أنه ماء لقيم على فلج ، بين نجد واليمامة .

(٤) انظر مقاييس اللغة (٥ : ١٣٢) .

والشَّمِيمُ : مصدر ، وأكثر ما يحى فيه فعلٌ مصدرًا في الأصوات ، كالصَّهِيلِ
والشَّحِيجِ ؛ ومثله العَذِيرُ والنَّكِيرُ . ويقال : تَمَتَّعْتُ بكذا ومن كذا .
والعَرَّار : بقلة صفراء ناعمة طيبة الرِّيح ، والواحدة عَرَّارَةٌ . قال الخليل :
العَرَّارَةُ البَهَارَةُ البرِّيَّةُ ، وقيل هو شجر . وقد شُبِّهَ لَوْنُ المَرَاةِ بها . قال الأعشى :
بَيْضَاهُ ضَحْوَتَهَا وَصَفَا رَاهُ الْعَشِيَّةِ كَالْعَرَّارَةِ

وقوله « مِنْ عَرَّارٍ » مِنْ لاسْتِغْرَاقِ الْجِنْسِ ، وموضع « مِنْ عَرَّارٍ » رفع
على أن يكون اسمَ ما . والواو مِنْ قوله « وَالْعَيْسُ تَهْوَى بِنَا » واو الحال ، وموضع
« تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمٍ » نَصَبٌ لِأَنَّهُ مَفْعُولُ أَقُولُ . وقوله « بَيْنَ الْمُنِيفَةِ وَالضَّمَارِ »
أَجُودُ الرِّوَايَتَيْنِ « بَيْنَ الْمُنِيفَةِ وَالضَّمَارِ » ، لِأَنَّ بَيْنَ يَدْخُلُ لَشَيْئَيْنِ يَقْبَانِ أَحَدُهُمَا
عَنِ الْآخَرِ فَصَاعِدًا ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَا يَكْتَفِي بِقَوْلِهِ الْمُنِيفَةُ فَيُرْتَبَ عَلَيْهِ الضَّمَارُ
بِالْفَاءِ الْعَاطِفَةِ ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَ الْأَجْزَاءِ « الْمُنِيفَةُ » فَتَصِيرُ الْمُنِيفَةُ كَأَسْمِ
الْجَمْعِ ، نَحْوِ الْقَوْمِ وَالْعَشِيرَةِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا . وَعَلَى هَذَا جُمِلَ قَوْلُ اسْرَى الْقَيْسِ :

* بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ ^(١) *

وكان الأصمى يرذِّه ويرويه بالواو .

٣ - أَلَا يَا حَبْدًا نَفَحَاتُ نَجْدٍ وَرِيًّا رَوَضِهِ غِبَّ الْقِطَارِ ^(٢)

٤ - وَأَهْلُكَ إِذْ يَحُلُّ الْحَيُّ نَجْدًا وَأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرُ زَارٍ

٥ - شُهُورٌ يَنْقُضِينَ وَمَاشِعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَهْنٍ وَلَا سِرَارٍ ^(٣)

(١) البيت أول معلقة امرئ القيس . وهو بتمامه :

قفا بك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(٢) ل والتبريزى : « بعد القطار » .

(٣) ضبطت السين بالفتح والكسر في الأصل والتبريزى . وسيأتى في التفسير أن

الأصح الفتح .

أَلَا : حرفٌ لافتتاح الكلام ، والمنادى في يا حَبْدًا محذوف كأنه قال يا قوم
أو يا ناس ، حَبْدًا نفحات نجد . وارتفع نفحات بالابتداء ، وخبره حَبْدًا ،
كأنه قال : محبوبٌ في الأشياء نَفَحَاتُ نَجْدٍ ، وهو تَضَوُّعُ الرِّيحِ بالنَّسيم الطيب .
ويقال : له نفحةٌ طَيِّبةٌ وخبيثة . وقوله « رَيًّا رَوْضِهِ » يراد بها الرَّاحَةُ هنا .
وارتفع قوله « وأهلك » عَظْمًا على وَرَيَّا ، وها جميعاً معطوفان على « نفحات »
وكأنه قال : وحَبْدًا أزمانُ أَهْلِكَ حِينَ كانوا نازلين بنجدٍ وأنت راضٍ مِنَ
الزَّمان ، لمساعدته إِيَّاكَ بما تهواه وتريده ، فلا تَعَيِّبه ولا تَشْكوه . ويقال :
زَرَيْتُ عليه ، إذا عَيَّبْتَ عليه ؛ وَأَزَرَيْتُ به ، إذا قَصَّرْتَ به . وقوله « وأنت »
الواو واو الحال ، وارتفع « شهوَرٌ » على أَنَّهُ مبتدأ ، وهو تفسير الزَّمان الذي حَذَّه
وتلَهَّفَ على انقضائه . وقوله « ينقضين » خبره . ويجوز أن يرتفع شهوَرٌ على
أَنَّهُ خبر مبتدئ محذوف ، وما ينقضين حينئذ يكون صفةً له . وقوله « وما شَعَرْنَا »
أى ما عَلِمْنَا . يقال : شَعَرْتُ به شِعْرَةً وشِعْرًا . ومنه الشَّعْر . يقال :
شَعَرَ الرَّجُلُ ، إذا قال الشعر ، فشَعَرَ بكسر العين أى صار شاعراً . ومَرَّارُ
الشَّهر : آخِرُهُ ؛ لأنَّ القمرَ يَسْتَسِرُّ فيه . وقد حُسِبَ كسر السين فيه ، وليس
بكثير . والمعنى : يا قوم ، محبوبٌ فيما تَقْضَى نَسِيمُ أرواحِ نجدٍ وروائحِ رِياضِهِ
عِقَبِ إتيانِ المطرِ عليه ، وهزَّ الرِّيحُ لنباتها . ومحبوبٌ أيضاً زمانُ أَهْلِكَ وإقامَتُهُم
بنجدٍ ، حينَ كُنْتَ تشكرُ وقتَكَ وترتضيه ، إذ كانت شهوَرُهُ وأَيَّامُهُ تنقضى
وأنت لا تشعُرُ بأنصافها ، ولا بأوائِلها وأواخرها ، لاشتغالك ببلهوك ، وذهابك
في غَفْلَتِكَ . وهم يَسْتَقْصِرُونَ أَيَّامَ السَّلامَةِ والسَّعادةِ ومواصلةِ الأحبةِ ، وعند
طاعةِ الدَّهرِ والأقدارِ لهم ، كما يستطيلون ما كان على خِلافه من الشُّهورِ
والأعوام .

٤٦٧

وقال آخر :

- ١ - وَمَا شَجَانِي أَنِّهَا يَوْمَ أَعْرَضْتَ تَوَلَّتْ وَمَاءَ الْعَيْنِ فِي الْجَفْنِ حَائِرُ
٢ - فَلَمَّا أَعَادَتْ مِنْ بَعِيدٍ بِنَظَرَةٍ إِلَى التَّفَاتَا أَسْلَمَتْهُ الْمَحَايِرُ
يقول مُلَمًّا بِالْمَعْنَى الَّذِي شَرَحَهُ أَبُو تَمَّامٍ حِينَ قَالَ :

لَأَوْدَعَنَّكَ ثُمَّ تَذْمَعُ مُقْلَتِي إِنَّ الدُّمُوعَ هِيَ الْوَدَاعُ الثَّانِي
يقول : وَمَا حَزَنَتْنِي وَصَارَ نَضَبَ عَيْنِي وَحِلْفَ قَلْبِي ^(١) ، تُذَكِّرُنِيهِ الْأَحْوَالُ
فَلَا أُنْسَاءَ ، وَتَمَثَّلُهُ لِنَظَرِي الْأَوْقَاتِ فَلَا أَتَغَابَاهُ ، أَنْ صَاحِبَتِي يَوْمَ الْفِرَاقِ عِنْدَ
الْوَدَاعِ أَعْرَضَتْ لِي وَدَمْعُهَا يَتَرَقُّقُ فِي جَفْنِ عَيْنِهَا وَيَتَحَيَّرُ ، لَامْتِلَانِهَا بِهِ ،
إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ تَحْسِبُهُ فَلَا تُسِيلُهُ ، فَلَمَّا أَعَادَتْ التَّفَاتَا إِلَيَّ بَعْدَ إِعْرَاضِهَا عَنِّي ،
بِنَظَرَةٍ جَدَّدَتْهَا ، أَسْلَمْتُ مُحَاجِرُ عَيْنِهَا مَا اجْتَمَعَ فِيهَا مِنَ الدَّمْعِ ، فَتَحَدَّرَ فِي مَدَامِهَا ؛
لَأَنَّ ذَلِكَ كَوْدَاعٍ ثَانٍ مِنْهَا ، وَكُمْتَعَةٍ مَتَعَتْنِي بِهَا ، وَزِيَادَةٍ زَادَ فِي الْحُبِّ زَوْدَتْنِيهَا .
وقوله « أَنَّهَا » مَبْتَدَأٌ وَ « مَا شَجَانِي » خَبَرُهُ . وَيُقَالُ : شَجَاهُ يَشْجُوهُ شَجْوًا
فَشَجِي يَشْجِي ؛ فَهُوَ شَجِي . وَحَارَ الْمَاءُ وَالْدَّمْعُ ، إِذَا تَحَيَّرَ فِي مَوْضِعِهِ وَقَدْ
مَلَأَهُ فَلَا مَوْضِعَ لَهُ . وَقَوْلُهُ « أَعْرَضْتَ » : أَبَدَتْ عُرْضَهَا . وَخَبَرُ أَنْ تَوَلَّتْ .
وقوله « فَلَمَّا أَعَادَتْ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّفَاتَا مَفْعُولَ أَعَادَتْ ، وَمَوْضِعُ بِنَظَرَةٍ
حَالًا ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَمَّا أَعَادَتْ التَّفَاتَا نَازِرَةً مِنْ بَعِيدٍ إِلَيَّ أَسْلَمْتُهُ . وَجَوَابُ لَمَّا
« أَسْلَمْتُهُ » ، وَإِلَى تَعَلُّقِ بِنَظَرَةٍ . وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِالتَّفَاتَا ، لِأَنَّهُ إِذَا جُعِلَ

(١) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « خَلْفَ قَلْبِي » .

كذلك يكون صلة المصدر وقد قُدمت على الموصول . ويجوز أن يكون بنظرة في موضع المفعول لأعادت ، والباء إن شئت جعلتها زائدة ، وإن شئت جعلتها مؤكدة ، كما جاء في قول الآخر ^(١) :

* سُدُّ الْحَاجِرِ لَا يَقْرَأُ بِالْشُورِ ^(٢) *

ويصير « التفاتاً » مصدرأ في موضع الحال ، والتقدير : لما أعادت نظرتها من بعيد إلى ملتفتة أسلمته . والهاء من أسلمته للدفع كما قدمته . والمحاجر : جمع المحجر ، وهو ما يبدو من نقاب المرأة إذا تنقبت . والكَيَّةُ حَوْلَ الْعَيْنَيْنِ ^(٣) يقال لها : التَّحْجِيرُ . ويقال : حَجَّرَ الْقَمْرُ ، إذا استدار حوله خط رقيق .

٤٦٨

وقال آخر :

١ — وَلَمَّا رَأَيْتُ الْكَاشِحِينَ تَتَّبِعُوا هَوَانًا وَأَبْدَوْا دُونَنَا نَظَرًا شَرًّا

٢ — جَعَلْتُ وَمَا بِي مِنْ جَفَاءٍ وَلَا قِلَى أَزُورُكُمْ يَوْمًا وَأَهْجُرُكُمْ شَهْرًا

الكَشْحُ : ما بين الخاصرة إلى الضلع ، والكاشح : العدو الباطن العداوة . ويقال : هُوَيْتُ الْكَشَاةَ وَالْمَكْشَاةَ . ويقال : طَوَى فُلَانٌ كَشْحَهُ عَلَى كَذَا ، إذا استمرَّ عليه . وهذا كلامٌ مُبْقٍ عَلَى الْمَحْبُوبِ ، كَارِهِ لَا تَنْشَارُ الْقَالَةَ فِيهِمَا ، مَخْتَارٍ لاسْتِثْنَاءِ الْهَوَى بَيْنَهُمَا . فيقول : لما رأيتُ الْوَشَاةَ يَتَّبِعُونَ أَحْوَالَنَا بِالنِّمِيَّةِ وَإِفْشَاءِ أَسْرَارِنَا ، وَأَخَذُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْنَا نَظَرَ الْأَعْدَاءِ بِمُحَدِّقٍ شَدِيدٍ ،

(١) هو الراعي النمرى ، أو القتال الكلابى . انظر ما سبق في حواشى ٣٨٣ ، ٦٠٦ ، ٥٥٥ .

(٢) صدره : * هن الحرائر لاربات أحره *

(٣) ل : « العين » .

واستكشاف لما خفي من أمرنا بليغ، أقبلت أحترز وأقصر أشواطهم فيما يبتحونه من مساءتنا، والقعود والقيام بذكرنا، فأتأخر عن زيارتكم شهراً وأوافيكم يوماً؛ هذا ولا أقصد جفاء ولا أضمر بغضاً، وإنما بي مضي أيامنا بالسلامة منهم، ورد كيدهم في نحورهم، ولئلا يجدوا مقالا فيركبون عليه قصصاً وأنباء. وقوله «نظراً شزراً» يقال: هو يشزير الطرف إلى، إذا نظر نظراً منكراً يتبين فيه العداوة. قال أوس^(١):

إذ يشزرون إلى الطرف عن عرض كأن أعينهم من بغضتي غور
وقوله «جعلت» لا يحتاج إلى مفعول لأنه في معنى طفقت وأقبلت.
وانتصب يوماً وشهراً على الظرف، و «تتبعوا هواناً» في موضع المفعول الثاني لرأيت.

٤٦٩

وقال بعض القرشيين^(٢):

- ١- يئنا نحن بالبالاكت فالقا ع سراكا والعيس تهوي هويًا^(٣)
- ٢- خطرت خطرة على القلب من ذك راك وهنا فما استطعت مضياً
- ٣- قلت لبيك إذ دعاني لك الشو ق وللحاديين كراً المطياً^(٤)

(١) أوس بن حجر. ديوانه ص ٩.

(٢) التبريزي: «وهو أبو بكر بن عبد الرحمن بن السور بن مخزوم، خرج إلى الشام، فلما كان ببعض الطريق ذكر امرأته سالحة بنت أبي عبيدة بن المنذر بن الزبير، وكان شديد الحب لها، فضرب وجوه رواحله إلى المدينة وقال: يئنا نحن بالبالاكت. فلما رأت رجوعه من أجلها وسمعت الشعر قالت: لا جرم والله لا أستأثر عليك بشيء! فشاطرته مالها، وكانت ترض عليه بما لها. وأنشد ياقوت في (البلاكت) بيتاً لكثير، ثم قال: «وقال أيضاً»، وأنشد الأبيات، فهي عنده منسوبة لكثير.

(٣) ابن جني في التنبيه: «في بلاكت بالقاع».

(٤) التبريزي وياقوت: «حنا المطيا».

قد تقدّم القول في « بينا » و « بينا » جميعاً^(١) ، وأنهما يستعملان في المفاجأة . وانتصب « سراعا » على الحال ، لأنه جعل بالبلا كـ مستقراً . والواو من قوله « والعيش » واو الابتداء وهو للحال أيضاً .

وقوله « خَطَرْتُ خَطَرَةً »^(٢) هي الحالة التي فاجأهم . وانتصب « وهنا » على الظرف ، ومعناه بعد ساعة من الليل . وقوله « خَطَرْتُ خَطَرَةً » ، يقال : خَطَرَ بِيَالِي خُطُوراً ، وَخَطَرَ البعيرُ بذنبه خَطَرَانًا . ويقال : سَنَحَ لِي سَاحَ ، وَهَسَ هَاجِسٌ ، وَخَطَرَ خَاطِرٌ . وكأنه أجرى خَطَرْتُ خَطَرَةً مجرى قوله : دَعَتْ دَعْوَةً مِنْ ذِكْرِكَ ، لقوله : « قلت لبنيك إِذْ دَعَانِي لَكَ الشَّوْقُ » . والشاعر وَصَفَ ما هو عليه من طاعة الهوى ، وأنه في مَلَكَته ، إِذَا دَعَاهُ أَجَابَ حَتَّى لَا يَقْدِرَ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ . فيريد : بينا نحنُ بهذين الموضعين نسيرُ مُسْرِعين ، والزَّوَّاحِلُ تَهْوِي بِنَا فِي أَثْنَائِهِمَا وَمَعَاطِفِهِمَا ، وتقطع المسافة بينهما ، خَطَرْتُ ذِكْرَةً بِيَالِي ، وقد مضى من الليل ساعة ، فتَحَيَّرْتُ حَتَّى لَمْ أَقْدِرْ عَلَى التَّوَجُّهِ فِي الْمَقْصِدِ الَّذِي كُنْتُ أَوْثَمُهُ ، وَحَتَّى لَمْ أَمْلِكْ إِلَّا إِجَابَةً دَاعِي الشَّوْقِ إِلَيْكَ بِالتَّلْبِيَةِ وَالْوُقُوفِ لَهُ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ قُلْتُ لِلْحَادِيَيْنِ : انصَرِفَا وَاعْطِفَا بَرءِوسَ مَطْيِئِكَا ، فَقَدْ مَنَعَ مَا طَاعَتُهُ أَوْجِبُ ، وَدَفَعَ فِي صَدُورِنَا مِنْ أَمْرِهِ أَنْفَذُ .

وقد تقدّم الفرق بين الهوى والهوى^(٣) .

وقوله « بالبلا كـ فالقاع » رَتَّبَ القاعَ على البلا كـ بالفاء العاطفة ، كأنه ارتقى منها إليها ، ويجوز أن البلا كـ اسم لبقاعٍ مختلفة ؛ لأن بناءه بناء الجمع . وقوله « لبنيك » هو من أَلَبَ بِالْمَكَانِ ، إِذَا أَقَامَ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْصَرِفُ كَمَا أَنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ لَا يَنْصَرِفُ . والكلمة مُثَنَّةٌ عند سيبويه ، والمراد عنده إقامة

(١) انظر ما مضى في الخامسة ٤٤٩ س ١٢٠٣ .

(٢) الكلام بعده إلى « خَطَرْتُ خَطَرَةً » التالية ، ساقط من ل .

(٣) انظر ما سبق في س ٩١ .

للداعي تتبعها إقامة ودوام على طاعته ومتابعته . ويُقرن بها سَعْدَيْكَ ، المعنى : مساعدة بعد مساعدة واستمراراً على مشايعته . وحصل التَّكثِيرُ والاتِّصَالُ فيه بالتثنية ، كما حصل بالتكرير في قولك : ادْخُلُوا الْأَوَّلَ فَلْأَوَّلَ . قال سيبويه : أخبرنا أبو الخطَّاب أَنَّهُ يُقالُ للمُداوِمِ على الشَّيْءِ لَا يُقْلَعُ عنه وَلَا يَفَارِقُهُ : قد أَلْبَّ عليه . وأنشد للتثنية فيه قول الشاعر :

دَعَوْتُ لِمَا نَابَنِي مِسُورًا فَلَبَّيْ فَلَبَّيْ يَدَيَّ مِسُورٍ^(١)

هكذا روايته وإنشاده عن العرب بهذا اللفظ . وحُكي أيضاً عن بعضهم : لَبَّ بالكسر ، يجعله صوتاً مثل غاقٍ . وعند يونس أَنَّهُ موَحَّدٌ لَبَّيْ ، وانقلب ألفه ياءً كما انقلب في عَلَيَّ وَلَدَيَّ عند الإضافة إلى مضمَر . وعلى مذهبه يجب أن يكون « فَلَبَّيْ يَدَيَّ » كما أن عَلَيَّ وإلى وَلَدَيَّ إذا أُضيفت إلى الظاهر لا يتغيَّر ألفها . تقول : على زيدٍ وإلى عمرو .

٤٧٠

وقال آخر^(٢) :

١ — اسْتَبَقِ دَمْعَكَ لَا يُودِ الْبَكَاءُ بِهِ وَاكْفُفْ مَدَامَ مِنْ عَيْنِكَ تَسْتَبِقُ

(١) البيت من أبيات سيبويه الحسين التي لم يعرف لها قائل . سيبويه (١ : ١٧٦) ، والخزانة (١ : ٢٦٨) .

(٢) التبريزي : « وقال ابن هرمة » . وهو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة الفهري ، كان من الشعراء المعاصرين لجريز . وكان الأصمعي يقول : ختم الشعر بابن هرمة ، وحكم الحضري ، وابن ميادة ، وطفيل السكتاني ، ودكين العذري . وفي الأغاني (٤ : ١١٣) : « ولد ابن هرمة سنة تسعين وأنشد أبا جعفر النضر قصيدته التي يقول فيها :
إن الفواني قد أعرضن مقلية لما رى هدف الحسين ميلادي

ثم عمر بعدها مدة طويلة » . وقد ذكر ابن جني في المبهج هـ أن مأخذ هرمة من الهرم ، بالفتح ، وهو ضرب من النبت . وانظر الخزانة (١ : ٢٠٣ — ٢٠٤) والآل (٣٩٨ والشعراء ٧٢٩ — ٧٣١) .

٣ - لَيْسَ الشُّوْنُ وَإِنْ جَادَتْ بِبَاقِيَةٍ وَلَا الْجُفُونُ عَلَى هَذَا وَلَا الْحَدَقُ
 قوله « لَا يُؤَدِّ البُكَاءُ بِهِ » يجوز أن يكون جواب الأمر ، ويجوز أن يكون
 نهياً وهو أحسن وإن لم يكن معه حرف العطف ، وذلك لأنه قد ذكر بعده
 « وَاكْفُفْ مَدَامَعَ مِنْ عَيْنَيْكَ » ولم يأت له بجواب ، كأنه أمره باستبقاء الدمع ،
 ونهاه عن التهالك في البكاء فيفسد عليه آلتة . ثم أمره بكف المدامع وهي
 تستبق . وإذا كان الكلام نهياً بعد أمر وأمرأ بعد نهى ، كان أبلغ . ومعنى
 أودى بكذا أهلكه . والاستباق في المدامع مجاز ؛ لأن الذى استبق فى التحذر
 هو الدمع . والمدمع : تجرى الدمع ، ولا يمتنع أن يكون الدمع اسماً للحدث الذى
 هو السيلان ، كأنه موضوع موضع الدمع ، وهو مصدر دمعت ، ويكون المراد
 به أيضاً العين الذى هو الجارى ؛ لأن الاستباق لا يصح إلا فيه .

وقوله « لَيْسَ الشُّوْنُ وَإِنْ جَادَتْ بِبَاقِيَةٍ » يريد : أنك إن أدمنت البكاء
 استهلكته منابيع الدمع ومجاريها ، وأطباق العين وحاليقها ؛ لأن شيئاً من
 هذه الآلات وإن سمحت بالإجابة مدة لا يدوم على فعلك ، ولا يقوم
 لتكليفك . وقوله « عَلَى هَذَا » أشار بهذا إلى فعله . وعلى تعلق ببقية ، وهو
 مضمر دل عليه الباقية المذكورة ، كأنه قال : وَلَا الْجُفُونُ بَاقِيَةٌ عَلَى هَذَا ، وجعل
 « لَا » من قوله وَلَا الْجُفُونُ بدلاً من لَيْسَ . وَالْجُفْنُ فِي اللُّغَةِ : الْمَنَعُ وَالْخَبْسُ ؛
 لذلك سُمِّيَ غِلَافُ السَّيْفِ الْجُفْنَ .

٤٧١

وقال آخر :

١ - قَدَكُنْتُ أَعْلُو الْحُبِّ حِينَمَا فَلَمْ يَزَلْ بِي النَّقْضُ وَالْإِبْرَامُ حَتَّى عَلَانِيَا
 يقول : بَقِيَتْ أَزَاوِلُ الْحُبِّ وَأَجَاذِبُهُ ، وَهُوَ مَعَى مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ أَنْ أَعْلُوهُ تَارَةً

فأدفعه عن نفسه بجهدي ، وبين أن يسلموني فيعلبني على مرادي ، ويأخذ مكره من فؤادي ، فلم نزل بين النقص والإصرار ، أنقض عليه وهو يُمرئ ، وينقض عليّ وأنا أُمِرّ ، إلى أن صار الغلب له .

وهذا الذي أشار إليه حالة الحب إذا لم يكن عن اعتراض . لذلك قال أبو تمام :

هَوَى كان خلساً إن من أبرح الهوى هَوَى جُلّت في أفيانه وهو جائل^(١)
كأنه يُريد المحبوبَ فيفكر في محاسنه حالاً بعد حالٍ ، ووقتاً بعد وقت ، ويستحليها^(٢) شيئاً بعد شيء ، إلى أن يصير لها في قلبه قاذحٌ ونازعٌ ، فيدفعه عن نفسه بأن يزيّف تلك المحاسن ، ويتناسى ويدّرأ في صدر ذلك القاذح من الهوى ويتأني^(٣) ، فكلما قدّر أنه قد تخلى عاوده الوسواس جذعاً ، فلا يزال بين القبول والامتناع ، والتأسك والانهيار ، ومداقة الداء بالدواء ، إلى أن يصير الغلب للهوى .

والمعترض من الهوى هو الذي يقع عن أدل وهلة ، فيسبي القلب في دفعة واحدة ، إلا أن تركه أسرع ، كما أن أخذه أسرع . على ذلك قول الأعشى :

* عُلِقْتُهَا عَرَضاً^(٤) *

وما يجرى مجراه . وهم يشبهون مثل هذا الهوى بنارٍ توقد بغير أم أو بغير فج وما يجرى مجراه ، فترفع سريعاً وترجع سريعاً . وأنشد ابن الأعرابي بيتاً

(١) في الديوان ٢٥٦ :

هوى كان خلساً إن من أحسن الهوى هوى جلت في أفيانه وهو خامل

(٢) ل : « ويستحليها » .

(٣) ل : « ويتأني » .

(٤) البيت بتمامه :

علقتها عرضاً وعلقت رجلاً غیری وعلقی أخرى غيرها الرجل

في قسمة [الهوى ^(١)] زعم أنه لا ثاني له ، وأن قائله لا يعرف وهو :
ثلاثة أحباب فحب علاقة ^(٢) وحب تلاق ^(٣) وحب هو القتل ^(٤)
يعنى ما يكون من تعمل وطول تأمل .

٢ - ولم أر مثلينا خليلي جنابة أشد على رغم العدو تصافيا
نبه بهذا الكلام على أنها مع المجانبة واستعمال الحذر ، واستدفاع شر
الرقياء والحافظين بترك الورود والصدّر ، وإكساد سوق الوشاة والنمّامين
بإخماد نائرة الخبر ، يضافي كل واحد منهما صاحبه ، حتى لا خلل في الهوى
ولا فساد ، ولا استزادة في الحب ولا عتاب ، ولا تسلط تهمة ^(٣) لعارض تسل ^(٤)
وحؤول عن عهد .

وإنما قال « على رغم العدو » استهانة بهم . وهو من الرغام : التراب .
وإذا قيل : أرغم الله أنفه فالمعنى أذله الله وأسخطه . وانتصب « تصافيا » على
التمييز . وقوله « خليلي جنابة » انتصب على أنه بدل من مثلينا ، وأشد مفعول
ثان لأرى .

٣ - خليلين لا تزجولقاء ولا ترى خليلين إلا يزجوان التلاقي
ذكر أن اليأس قد استقر في قلب كل واحد منهما من ملاقاة صاحبه
والتصافى بينهما هو أن ذلك من كمال البلاء ، إذ لا يوجد خليلان غيرهما إلا وهما
على شفا الرجاء في الاجتماع ، وقوة من الطمع في الالتقاء والاستمتاع ، واليأس الذي

(١) التكملة من ل .

(٢) كذا ضبط البيت في النسختين ، ويصح أن يقرأ بالإضافة ، بجر « علاقة »
و « تلاق » . وانظر مجالس تعلى ٢٩ . وفي إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه
ص ٨١ ، قال تعلى : ومثله :

ثلاثة أبيات فبيت أحبه وبيتان ليسا من هواى ولا شكلى

(٣) ل : « بهمة » .

(٤) في الأصل : « تشك » ، صوابه في ل .

أشار إليه كأنه لارتفاع منزلة المحبوب عن منزلته ، أو لكثرة أوليائه وقوة عشيرته أو لعفافه وتأله ، وما يجري مجراها .

٤٧٢

وقال آخر^(١) :

١ — وكلُّ مُصِيبَاتِ الزَّمانِ رَأَيْتُهَا سِوَى فُرْقَةِ الْأَحْبَابِ هَيْئَةُ الْخَطْبِ^(٢)
موضع « سِوَى فُرْقَةِ الْأَحْبَابِ » نصب على أنه مستثنى مقدم ، لأن تقدمه على صفة المستثنى منه كتقدمه عليه نفسه . ومعنى البيت ظاهر .

٤٧٣

وقال الحسين بن مطير^(٣) :

١ — فَيَا عَجَبًا لِلنَّاسِ يَسْتَشْرِفُونَنِي كَأَن لَمْ يَرَوْا بَعْدِي مُحِبًّا وَلَا قَبِيلِي
قوله « يستشفونني » أى ينظرون إلى ، وتطمح أبصارهم نحوي ، ويودّون أنى على شرف من الأرض ، لأكون معرضاً لهم .

والشاعر أخذ يتعجب من أحوال الناس فيما رأوه عليه ، واستطرافهم لحالته في حبه ، واستشفافهم لما يشاهدونه عليه ، حتى كأنه بدع من الحوادث لم يشاهد مثله ، ولم يقع في تقدير أحد جواز صورته ، فقال : يا عجباً للناس في حال استشفافهم لى ، واستطلاعهم من جهتي ما أنا عليه ، وإفراطهم في التعجب مما يجدونى مبتلى به ، ومرهوناً له . كأنهم لم يشاهدوا قبل مشاهدتهم لى ، ولا بعد

(١) هو قيس بن ذريح ، صاحب لبى . انظر مجالس ثعلب ٢٨٥ — ٢٨٧ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ١٨٣ والأغانى (٨ : ١١٢) .

(٢) رواية ثعلب والسيوطى عنه :

وكل ملأت الدهور وجدتها سِوَى فُرْقَةِ الْأَحْبَابِ هَيْئَةُ الْخَطْبِ
وفى الأغاني : « وكل ملأت الزمان وجدتها » .

(٣) سبقت ترجمته فى الحماسة ٣١٩ ص ٩٣٤ .

مشاهدتهم لى محباً ، وكان الحب شئاً أنا ابتدعته ^(١) ، وكان مسبباته لم توجد قط إلا فى . وليس الأمر كذلك ، لأن الدنيا وأهلها إذا توملت أحوالهم فيها لم يُعوز تقديرًا أو تحصيلًا من حاله حال مثلي فيه زائدًا على ما أنا عليه ، أو قاصرًا عنه . هذا إذا جعلت « لم يروا » بمعنى لم يشاهدوا . فإن جعلته بمعنى لم يعلموا كان المعنى أكشف وأبين ، إلا أنه يكون بمعنى يعرف ، ويكتفى بفعل واحد . وقوله « بعدى » أى بعد رؤيتهم لى ، فحذف المضاف ، وكذلك قوله « ولا قبلى » يريد ولا قبل رؤيتهم لى . وقوله « يا عجباً » يجوز أن يكون منادى مضاناً ، ويجوز أن يكون مفرداً ، وقد تقدّم القول فيه وفى أشباهه .

٢ - يقولون لى اضرم يرجع العقل كله وصرم حبيب النفس أذهب للعقل يقول : يُشيرُ الناس على بالتسلى عنها ، والأخذ فى مصارمتها ، وأخذ النفس على الانسكاك منها ، فإن فى ذلك بزعمهم إذا تدرجت فيه مراجعة العقل كاملاً ، وانتزاع ربة الذل عاجلاً . وإذا تأملت حالى فى قبول ما يشيرون به ، وركوب الجذ فى قطيعتها ، والحيلولة بين النفس وممرادها فيها ، وجدت ذلك أدعى إلى زوال العقل كله ، وإن كان الباقي منه شفاقةً ، وأجلب لهلاك النفس ، وخرج الصدر ، وإن كنت عائشاً بضبابته . وقوله « أذهب للعقل » قد تقدّم القول فى أن سيويوه يجوز بناء فعل التعجب بعد الثلاثى مما كان على أفعَل خاصة ، فإذا جاز ذلك فبناء التفضيل يتبعه .

٣ - ويا عجباً من حب من هو قاتلى كائن أجزيه المودة من قتل تعجب من حال نفسه فى مقاساة ^(٢) ما يقامى منها ، وبقائه ^(٣) على حبها

(١) ل : « أبدعته » .

(٢) ل : « مقاساته » .

(٣) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « وبقائه » .

فيقول : إِنِّي أَدَاوِمُ اعْتِقَادَ الْجَمِيلِ لَهَا ، وَقِيَامَ الْقَلْبِ بِمَارَةِ الْهَوَى فِيهَا ، حَتَّى كَأَنِّي أَجَازِيهَا عَلَى قَتْلِهَا إِيَّائِي بِأَن أَزِيدَ فِي وُدِّهَا وَإِخْلَاصِ الْعَقِيدَةِ لَهَا . وقوله « من قتلى » أراد من قتلها لي . والمصدر يُضَافُ إِلَى الْمَفْعُولِ كما يُضَافُ إِلَى الْفَاعِلِ ، وكذلك قوله « مِنْ حَبٍّ مِنْ هُوَ قَاتِلِي » أَي مِنْ حَبٍّ مِنْ هُوَ قَاتِلِي ، لِأَنَّ مَنْ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ . وقوله « يَا عَجَبًا » يَحْزُنُ أَنْ يَكُونَ الْأَلْفُ بَدَلًا مِنْ يَاءِ الْإِضَافَةِ ، وَيَحْزُنُ أَنْ يَكُونَ أَلْفُ الثَّدْبَةِ وَزِيدَتْ لِيَتَدَّ الصَّوْتُ بِهِ ، وَيَكُونَ يَا عَجَبٍ مُنَادِيً مُفْرَدًا ، وَامْتِدَادُ الصَّوْتِ يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ الْبَلِيَّةِ ، وَتَفْخِيمِ أَمْرِ الْعَجِيبَةِ .

٤ — وَمِنْ بَيِّنَاتِ الْحُبِّ أَنَّ كَانَ أَهْلُهَا أَحَبَّ إِلَى قَلْبِي وَعَيْنِي مِنْ أَهْلِي يَقُول : وَمِنْ آيَاتِ حُبِّي الْبَيِّنَةِ ، وَشَوَاهِدِ الصَّادِقَةِ ، عَلَى تَكَامُلِهَا ، وَتَنَاهِيهِ فِي اسْتِحْكَامِهَا ، أَنِّي أَوْثِرُ أَهْلَهَا عَلَى أَهْلِي ، وَأَنَّ رَتَبَتَهُمْ فِي الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ أَعْلَى مِنْ رُتْبَةِ عَشِيرَتِي عِنْدِي . وَقَدْ خَلَّصَ هَذَا الْمَعْنَى عَنَقَرَةً حَيْثُ قَالَ :

عَلَّقْتُهَا عَرَضًا وَأَقْتُلُ قَوْمَهَا زَعَمًا لِعَمْرِ أَيْبِكَ لَيْسَ بِمَزْعَمٍ^(١)
لِأَنَّ فِي قَضِيَّةِ الْهَوَى وَالْعَقْلِ أَنَّ حُبَّهَا مَعَ عِدَاوَةِ أَهْلِهَا لَيْسَ بِمُنَاسِقٍ وَلَا مُتَسَبِّبٍ ، بَلْ يُنَافِي كُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ^(٢) ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ أَنَّهَا إِذَا كُرِّمَتْ عَلَيْهِ فَكُلُّ مُتَسَبِّبٍ إِلَيْهَا بِسَبَبٍ ، وَمُنْتَسَبٍ [بِنَسَبٍ]^(٣) ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُؤَثِّرًا عِنْدَهُ ، مَبْجَلًا فِي حُكْمِهِ .

وَأَبِينُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ قَوْلُ الْآخِرِ :

وَأُقْسِمُ لَوْ أَنِّي أَرَى نَسَبًا لَهَا ذِيَابَ الْفَلَاحِ حُبَّتْ إِلَى ذُنَابِهَا^(٤)

(١) الزعم ، بالتحريك وبالفتح : الطمع . وهذا البيت شاهده .

(٢) ل : « بل ينافي صاحبه » . (٣) التكملة من ل .

(٤) سيأتي هذا البيت في المحاسنة ٥٣١ .

وقوله « أن كان أهلها » أن مخففة من الثقيلة ، أراد أنه كان أهلها . والهاء من أنه ضمير الأمر والشأن ، وقد تقدم مثله . وموضع أن بما بعده رفع بالابتداء ، وخبره قوله ومن بليّنات الحب .

٤٧٤

وقال عمر بن أبي ربيعة^(١) :

١ — وَلَمَّا تَفَاوَضْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْفَرَتْ وَجُوهُ زَهَاهَا الْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا^(٢)

٢ — فَقُلْتُ لِمَطْرِيهِنَّ وَيْلَكَ إِنَّمَا ضَرَزْتَ فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعًا فَتَنْفَعَا^(٣)

قوله « لَمَّا » يحتاج إلى جواب ، لأنه لو وقع الشيء لوقع غيره ، إذا كان علماً للظرف ، فيقول : لَمَّا تنازعنا الحديث ، واندفعنا فيه ، وأشرقت وجوه تاللاً نوراً ، استخفّ أربابها الحسن الجائل في جوانبها ، ومنعها من أن يسترها بقناع مجبأ بها ، والتذاذا يخوض عيون الناس في محاسنها ، قلت للمثنى عليهن : إن ثناءك يضرنا ، لتنبهك على كثير مما لعله يخفى عليهن من دقائق الجمل ،

(١) هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، أحد شعراء الغزل في صدر الإسلام والدولة الأموية ، ولد في الليلة التي مات فيها عمر بن الخطاب سنة ٢٣ وتلاه عمر بن عبد العزيز إلى « دهلك » لما شاع غزله وتعرضه للنساء ومنهن سكينه ، وابنة لعبد الملك ابن مروان ، ثم غزا في البحر ، فأحرقت السفينة التي كان فيها فاحترق ، وذلك في سنة ٩٣ . الأغاني (١ : ٢٨ — ٩٤) والخزانة (١ : ٢٣٨ — ٢٤٠) ، ووفيات الأعيان والشعر والشعراء ٥٣٥ — ٥٤٠ .

(٢) بعده عند التبريزي :

تَبَاهَنَ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا عَرَفْنِي وَقُلْنَ اسْرُوْا بَاغٍ أَكَلٌ وَأَوْضَعَا

وَقَرَّبْنَ أَسْبَابَ الْهُوَى لِمَتِّمْ يَقِيسُ ذِرَاعًا كَلَّمَا قِسْنَ إِصْبَعَا

(٣) في الديوان ٣٣ وأمالى القالي (٢ : ٤٩) : « لمطريهن بالحسن » . وفي التبريزي : « وقلت لمطريهن ويحك إنما » .

ولطائف الكمال : إذ كان ذلك يزيد في الإعجاب بأنفسهم ، ويُكسِبُ^(١) السكبر في أخلاقهم ، فهل تقدّر بذلك ذلك على ما ينقُصنا معهنّ . وجواب لما إن شئت جملة « فقلت » على أن يكون الفاء زائدة ، وإن شئت جعلته محذوفاً ، كأنه قال : لما فعلنا ذلك كله توانسنا ، أو ما يجري مجراه . وقد تقدّم القول في أن لو لمّا وحتيّ يُحذف أجوبتها ، ويكون إيهامها إحذفها أبلغ في المعنى . ويقال : أطرى فلان فلاناً ، إذا مدحه بأحسن ما قدّر عليه . وقوله « تستطيع » منقوص عن تستطيع . ويصحّ ، قال الأصمعي : هو ترخّم ، فإذا أضيف بغير اللام بُنْصَبُ ، ويكون العامل فيه فعلاً مضمرًا ، كأنه قال : ألزّمه الله ويحّا ، وانتصّب فتنفّعاً بأن مضرة ، وهو جواب الاستفهام . ومعنى « زهاقها الحسن » استخفها ويقال : زهت الأمواج السّميّنة والرياح النّبات . وقوله « أن تنقّعا » أراد من أن تنقّعا ، وهم يحذفون الجارّ مع أن كثيراً .

٤٧٥

وقال أبو الرئيس التغلبي^(٢) :

- ١ - هل تُبْلِغُنِي أَمْ حَرْبٍ وَتَقْذِفُنِي عَلَى طَرْبٍ بَيُّوتَ هَمٍّ أَقَاتِلُهُ
 - ٢ - مُبَيِّنُهُ عِتْقِي حُسْنِ خَدٍّ وَمِرْفَقًا بِهِ جَنَفٌ أَنْ يَغْرُكَ الدَّفَّ شَاغِلُهُ
- قوله « على طَرْبٍ » يجوز أن يتعلّق بتبغّلتني ، ويجوز أن يتعلّق بتقدّفتني ،

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « ويكنسب » .

(٢) كذا في النسختين واللسان (ريس) ونس على أنه « من شعراء تغلب » . وصوابه « الثعلبي » كما عند التبريزي ، وقال : « من ثعلبة بن سعد بن ذبيان » ، وهو يطابق ما في التكملة للصغاني . وفي القاموس : « وأبو الرئيس عباد بن طهمة الثعلبي » ، وفي تاج العروس أنه يقال أيضاً « طهفة » ، وهو شاعر إسلامي ، كما ذكر البغدادي في الخزانة (٢ : ٥٣٤) نقلاً عن ابن ماكولا . وذكر البغدادي في رواية أخرى أنه أبو الرئيس عباد بن عباس بن عوف ابن عبد الله بن أسد بن ناشب بن سبد بن رزام بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان .

والفعلان جُما على قوله « مُبِينُهُ عَتَقِي » وهي ناقةٌ . والاختيارُ عند أصحابنا البصريين أن يرتفع بالأقرب ، وهو تَقْدِفَن ، ويجوز أن يرتفع بتبْلَغْنِي ، وعلى هذا : جاءني وأكرمني زيدٌ . والطَّرَب : خِفَّةٌ تَلْحَقُ لنشاطٍ وجَدَلٍ ، واهتمامٍ وجزعٍ . وبُيُوتَ هَمٌّ ، فَعُولٌ من قولك : بات يبيت . كأنه هَمٌّ جاءه ليلاً فلا زَمَهُ . وعلى هذا قيل في الصَّقيع : البُيُوت . وانتصب « حُسْنُ خَدَرٍ » على التمييز . والجَنَف : المَيْل . ورجُلٌ أَجَنَفُ : في خَلْقِهِ مَيْلٌ ، وقيل : هو الطَوِيلُ المنحني . والعَرَكُ : الدَّلْكُ والعَمَز . وقوله « به جَنَفٌ » في موضع النَّصْب ، لأنه صفة لمرْفَقٍ . و « شَاغَلُهُ » صفةٌ لْجَنَفٍ . وإضافته على طريق التَّخْفِيف ، فهو نكرة والتنوين مَنَوِيٌّ ، كأنه شَاغَلُ لَهُ . ويريد بقوله « به جَنَفٌ » أن المِرْفَقَ متباعدٌ عن الزَّوْر ، لأنَّ الناقةَ فَتَلَاهُ ؛ ولولا بُعْدُهُ [عنه ^(١)] لكان يكون نا كِتَابٍ أو حَازًا أو ضَاغَطًا ، أو نَاقِرًا ^(٢) وذلك عَيْبٌ يَمْنَعُ من إدامة السَّيْرِ . فيقول على وجه التَّمَنَّى : هل أَرَانِي راكِبَ نَاقَةٍ تَوْصِّلُنِي إلى هذه المرأة ، نَشِيطَةٍ طَرِيبَةٍ ، وتَطْرَحُ عَنِّي ثِقْلَ هَمٍّ أَزَالُهُ وَأَدْفَعُهُ ، وهي تُنَازِلُنِي بِاللَّيْلِ وَلَا تُفَارِقُنِي . وهذه الناقة لها شواهدٌ تُوجِبُ عِنَقَهَا وَكَرَمَهَا ، من حُسْنِ الخَدِّ والمِرْفَقِ المتجانِفِ عن الزَّوْر .

٣ — مُطَارَةُ قُلُوبٍ إِنْ تَنَى الرَّجُلَ رَبُّهَا بِسَلْمٍ عَرِيزٍ فِي مُنَاحٍ تُعَاجِلُهُ
هذا يرجعُ إلى صفة الناقة ، والمراد أنَّها ذَكِيَّةُ الْفُؤَادِ ، شَهْمَةُ النَّفْسِ ، فَسَكَّانٌ بِهَا لِنَشَاطِهَا وَذَكَائِهَا جُنُونًا أَطَارَ قَلْبَهَا ، وَأَزَالَ مُسَكَّتَهَا . وقوله « إِنْ تَنَى الرَّجُلَ رَبُّهَا » جوابُ الشَّرْطِ فِيهِ قَوْلُهُ « تُعَاجِلُهُ » وَأَصْلُهُ تُعَاجِلُهُ ، اللام

(١) التَّكَلُّفُ مِنْ ل .

(٢) النَّاكَتُ : أَنْ يَنْعَرِفَ الْمِرْفَقُ حَتَّى يَقَعَ فِي الْجَنْبِ فَيُؤَثِّرُ ، فَإِذَا حَزَّ فِيهِ قَبْلَ لَهُ حَازَ ، فَإِذَا خَرَقَهُ فَذَلِكَ الضَّاعِطُ .

ساكنة للجَزْمِ ، لَكِنَّهُ نُقِلَ إِلَيْهَا حَرَكَةُ الْهَاءِ ، وَهُوَ ضَمِيرٌ يَرْجِعُ إِلَى « رَبِّهَا » .
ومثله قولُ طَرْفَةٍ :

* لَوْ أَطِيعُ النَّفْسَ لَمْ أَرِمُهُ ^(١) *

يريد : لَمْ أَرِمُهُ ، فَتَقَلَّ . والمعنى أَنَّهَا نَفَقَتْهَا وَحِدَّتْهَا ، مَتَى هُمْ صَاحِبُهَا
بِرُكُوبِهَا ، فَتَنَى رَجُلَهَا ، أَيْ عَطَفَ بَغْرَ زِيَّهَا الَّذِي هُوَ كَالسَّلْمِ ، وَهُوَ الرَّكَّابُ ،
عَاجِلَتُهُ فَهَضَمَتْ بِهِ قَبْلَ تَمَكُّنِهِ مِنْ رُكُوبِهَا ، وَاسْتَقْرَارِهِ عَلَى ظَهْرِهَا .
وقد سلك هذا المسلك ذُو الرُّمَّةِ فِي الْبَائِيَةِ الَّتِي أَوَّلُهَا :

* مَا بَالَ عَيْنُكَ مِنْهَا الْمَاءَ يَنْسَكِبُ ^(٢) *

وَحَدَّثْتُ عَنْ الْكِسْرَوِيِّ عَلِيِّ بْنِ مَهْدِيٍّ الْإِسْفَهَانِيَّ ^(٣) عَنْ شَيْوْخِهِ ، أَنَّ
ذَا الرُّمَّةَ أَنْشَدَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ كَثِيرَ عَزَّةٍ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ :
* حَتَّى إِذَا مَا اسْتَوَى فِي غَرَزِهَا نَيْبٌ ^(٤) *

قَالَ لَهُ : أَهْلَكْتُ وَاللَّهِ رَاكِبَهَا ، هَلَّا قُلْتَ كَمَا قَالَ الرَّاعِي :

تَرَاهَا إِذَا قُمْتَ فِي غَرَزِهَا كَمِثْلِ السَّقِينَةِ أَوْ أَوْقَرُ

فَهَذَا مَا رَوَيْ لَنَا . وَقَدْ ذَكَرَ الرَّاعِي فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ :

وَكُنَّ رِيضُهَا إِذَا يَاسَرَتْهَا كَانَتْ مُعَاوِدَةَ الرَّحِيلِ ذُلُولًا

وَحُكِّي لِي أَنَّ سَعِيدَ بْنَ سَلَمٍ الْبَاهِلِيَّ ، قَالَ : قَرَأْنَا هَذِهِ الْقَصِيدَةَ عَلَى

الْأَصْمَعِيِّ مِنْ شَعْرِ الرَّاعِي ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى الْبَيْتِ رَوَاهُ :

* وَكَانَ رِيضُهَا إِذَا بَاسَرَتْهَا *

(١) صدره في ديوان طرفة ١٦ :

* حَابِسِي رَسْمَ وَقَفْتُ بِهِ *

(٢) عجزه : * كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَقْرِئَةٍ سَرَبَ *

(٣) ل : « الْأَصْبَهَانِي » ، وَأَصْبَهَانُ تَقَالُ بِالْبَاءِ وَبِالْقَاءِ ، وَبِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَكُسْرِهَا .

(٤) صدره : * تَصَفَّى إِذَا شَدَّهَا بِالْكُورِ جَانِحَةً *

فقلت : ما معنى « باسرتها » ؟ قال : ركبتهَا ، من المباشرة . فسالنا ذلك أبا عبيدة عنه ، فقال : صحفَ واللهِ ، إنما هو « إذا ياسرتها » أى لم أعازها ولم أقتسرها . ومثله قوله :

إذا يُوسِرتْ كانت وقورا أدبته وتَحَسِبُهَا إن عوسرت لم تؤدبِ
٤- يُبارى بها القود النَّوافخُ فى البرى قليلُ النزولِ أغيدُ الخلقِ عاظمُهُ
٥- مُراجِعُ نجدٍ بعد فِرْكٍ وبِفَضَّةٍ مُطلقُ بَصْرَى أضْمَعُ القلبِ جافلهُ
يقول : يعارض بهذه الرَّاحلة التى وصفتها رواحل طِوالِ الأعناق ، تنفخُ فى بُراها لنشاطها ، رجلٌ قليلُ النزولِ عنها ، ناعمُ الخلقِ عاظمه ، يعنى نفسه ، أى أَنَّهُ يَجِدُ فى السيرِ وَيُدِيمُهُ . وقوله : « مُراجِعُ نجدٍ » أى أنه بعد أن فارقَ نجدًا وأبفضه نخلوه من حبيبهِ يريدُ أن يراجعه وينتقل عن بَصْرَى - وهى قرية بالشَّامِ تُطْبَعُ فيها السُّيُوفُ البُصْرِيَّة - ويخلِّيها . ومعنى أضْمَعُ القلبُ : حَدِيدُهُ . جافلهُ ، أى مُسرعهُ . ويقال : أجفلَ الظليمُ وجَفَلَ ، إذا نشرَ جناحيه وصرَّ يعدو ، وكلُّ هاربٍ من شئٍ فقد أجفلَ عنه . والظليمُ يُجْفَلُ وجافِلٌ جميعاً . وذكر المراجعة والتطليق ، استعارةً للانتقال والتخيلة .
وقد فَعَلَ أبو تمام مثل هذا فقال :

* فيها وطلَّقتُ الشُّرورُ ثلاثاً^(١) *

إلا أن ما قاله هذا الشَّاعرُ أحسن ، حينَ زَاوَجَ التَّطْلِيْقَ بالمراجعة . وقوله « نوافخُ فى البرى » النوافخ : المتنفسات نفخاً لنشاطها . والبرى : الحَقَّ التى فى أنوفها . وقوله « أغيدُ الخلقِ » أى مثنيه ، وعاظمه أى يعظمه من التَّرفَةِ ، وَيَفْطِمُهُ عن النِّعْمَةِ . وكلُّ مُهْمَلٍ متروكٍ فهو معطلٌ وعاطل .

(١) صدره فى ديوانه ٦٦ :

* أرض خلعت اللهو خلى خاتمى *

٤٧٦

وقال عبد الله بن عجلان النهدي^(١) :

١ — وَحُمَّةٌ مِنْكِ مِنْ نِسَاءِ لَبِستُهَا شَبَابِي وَكَاسٍ بَا كَرْتَنِي شَمُولُهَا

٢ — جَدِيدَةٌ سِرْبَالِ الشَّبَابِ كَأَنَّهَا سَقِيَّةٌ بَرْدِي نَمَتْهَا غُمُولُهَا

قوله « وَحُمَّةٌ مِنْكِ » كناية عن امرأة جعلها لطيب رِيَّاهَا كظرف

مِنْكِ . ومعنى « لَبِستُهَا » تَمَتَّعتَ بِهَا . وقال ابن أحر :

لَبِستُ أَبِي حَتَّى تَمَلَّيتُ عَيْشَهُ وَبَلَّيتُ أَعْمَامِي وَبَلَّيتُ خَالِيَا

وموضع قوله « شَبَابِي » نصب على الظرف . والمعنى زَمَنَ شَبَابِي ، ومُدَّةَ

شَبَابِي . والمصادر تُحذفُ منها أسماءُ الزمانِ كثيراً . وقوله « وَكَاسٍ » انعطف

على قوله « وَحُمَّةٌ مِنْكِ » والعامل فيها رُبٌّ ، والواو واو العطف ، وليست

بنائبة عن رُبٍّ ، بدلالة أنه لو كان كذلك لوجب أن يُدخلَ الحرفُ العاطفَ

عليه ، فيقال وَوَحُمَّةٌ مِنْكِ . والشَّمُولُ : الخمرة التي لها عَصْفَةٌ كعَصْفَةِ السَّيَالِ .

وقد قيل : هي التي تستعمل على العقل فتَمْلِكُهُ وتَذْهَبُ بِهِ .

وقوله « جَدِيدَةٌ سِرْبَالِ الشَّبَابِ » أدخل الهاء على جديدة ، والأكثر أن

يقال : مِلْحَفَةٌ جَدِيدَةٌ . وطريقة سيبويه فيه أنه صفة مذكرة تبع مؤنثاً ،

وَيُنَوَّى في ذلك المؤنث ما يكون لفظه مذكراً ، كأنه يَنَوَّى بالمِلْحَفَةِ إِزَاراً ، وما

يجرى هذا الجرى . وبعضهم يذهب إلى أنه فعيلٌ في معنى فاعل ، فَلَحِقَهُ الهاء

(١) هو عبد الله بن عجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب بن صباح بن نهدي بن زيد بن

ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة ، شاعر جاهلي ، أحد المتيمين من الشعراء ومن

قتله الحب منهم ، وكان له زوجة يقال لها هند ، فطلقها ثم ندم على ذلك ، فزوجت زوجاً غيره

فات أسفا عليها . الأغاني (١٩ : ١٠٢ — ١٠٥) والشعراء ٦٩٦ وتزيين الأسواق لداود الأنطاكي ٧٦ — ٧٨ .

قياساً ، فهو كظريف وظريفة ، لأن الفعل منه جَدَّ الثوبُ يَجْدُ جِدَّةً . وبعضهم ذهبَ إلى أنه فَعِيلٌ في معنى مفعول ، كأن ناسجها جَدَّها قريباً ، أى قَطَعَهَا ، فلهذا يُستنكر إلحاقُ الهاء به . ومعنى « جديدة سر بال الشباب » أنها في عُنفوان شبابها ، وأن عليها غُصارةُ الحدوث ، ونضارةُ النُشء ، فكانتْها سَقِيَّةُ بَرْدِي . والسَقِيَّةُ في معنى مَسْقِيَّة ، جعلها اسماً ، فهي كالْبَيْدِيَّة والاقِيطة . وشبهها بها لزيادة خَلْقَتها وحُسنِ بَنِيَّتِها . ألا تَرى أنه قال : « نَمَتْها غُيُولُها » . والغُيُولُ : جمع الغَيْل ، وهو الماء الذي يجري بين الأشجار . وقال الدُّرَيْدِيُّ : الغَيْلُ : الماء الذي بين الحجارة في بطن وادٍ . والغَيْلُ ، بكسر الغين : الماء يجري بين الأشجار ، وربما سَمَّوا الشجرَ الملتفَّ غَيْلاً . ويشبه هذا قول الآخر (١) :

بَرْدِيَّةٌ سَبَقَ النِّعَمُ بِهَا أَقْرَانَهَا وَغَلَايَهَا عَظُمُ
وفي طريقته قولُ الآخر (٢) :

لَمْ تَلْتَفِتْ لِلِدَائِيهَا وَمَضَتْ عَلَى غُلَوَائِهَا

وإنما يكون ذلك من نتائج الترفُّهِ ، ولوائح النِّعْمَةِ . وقد ظهر معنى البيتين بما ذكرته ، لأنه تَبَجَّحَ بتعاطيه الصَّبَا واللَّهْو ، وشرب الخمر مدَّة الصَّبَا [وأَيَّامَ الشباب (٣)] .

٣ — وَنَحْمَلُهُ بِاللَّحْمِ مِنْ دُونَ ثَوْبِهَا تَطُولُ الْقِصَارُ وَالطَّوَالُ تَطُولُهَا (٤)

٤ — كَأَن دِمَقْسًا أَوْ فُرُوعَ عِمَامَةٍ عَلَى مَتْنِهَا حَيْثُ اسْتَقَرَّ جَدِيدُهَا (٥)

(١) هو الخجل السعدى . المفضلية ٢١ .

(٢) هو ابن قيس الرقيات . اللسان (غلا) .

(٣) التكملة من ل .

(٤) التبريزى : « وروى : فروع عمامة ، بعين غير معجمة ، وهو أشبه بالدمقس » .

(٥) بعده عند التبريزى :

قوله « وَنُحْمَلَةٍ » من جملة صفاتها وإن عطفها بالواو ، فعلى هذا لك أن تقول :
 سررتُ برجلٍ فاضلٍ عاقلٍ أديبٍ ، وأن تقول : برجلٍ فاضلٍ وعاقلٍ وأديبٍ .
 ومعنى « وَنُحْمَلَةٍ » أن أعضاءها تساوت في رُكوب اللحم إياها ، وظهورِ
 السَّمنِ والبُدنِ عليها ، فكان اللحمُ جُعِلَ سَحْلًا لها . وفائدة « من دونِ ثوبها »
 أنها ملءٌ درعها ، فهي سميئةُ المعرَّى . وإلى هذا أشار الأعشى في قوله :
 * صَفَرُ الوِشاحِ وَمِلءُ الدَّرْعِ بَهْكَنَةٍ ^(١) *

وقوله « تَطُولُ الْقِصَارَ » يريد أنها رُبْعَةٌ ، فإذا حَصَلَتْ في الْقِصَارِ طَالَتْهُنَّ ،
 وإذا حَصَلَتْ في الطَّوَالِ طُلَّتْهَا . يُشِيرُ إلى التَّوَشُّطِ الذي هو المختار في كلِّ عَقْلٍ ،
 ولذلك قيل : « خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا » ، ولأنَّ الْفُلُوقَ وَالْإِفْرَاطَ مَذْمُومَانِ ، كما
 أن الْقُصُورَ والتَّفْرِيطَ مَذْمُومَانِ . و « تطول » في البيت مُعَدَّى ، لأنه بمعنى
 تَغْلِبُ في الطول ، فهو من طاولته فطَلَّتْهُ .

وقوله « كَأَنَّ دِمَقْسًا أَوْ فُرُوعَ غَمَامَةٍ » ، الدِّمَقْسُ ^(٢) : الحرير الأبيض .
 وفروع الغمامة ، أشارَ إلى أطرافها وجوانبها والشمس تحتها ، لأن تلك الأطرافَ
 بشعاع الشمس تُشْرِقُ أبدًا . والمعنى أنها لَيِّنَةُ الْمَجَسِّ بِرَاقَةِ اللَّوْنِ ، كَأَنَّ الْحَرِيرَ
 وَأَطْرَافَ غَمَامَةٍ اسْتَكْنَتْ الشَّمْسُ تَحْتَهَا عَلَى مَتْنِهَا . وقوله « حَيْثُ اسْتَقَرَّ »
 جَدِيلُهَا « تَخْصِيصٌ لِمَا عَمَهُ قَوْلُهُ « عَلَى مَتْنِهَا » . والجَدِيلُ ، هو الْوِشَاحُ ، وما
 تشده المرأة في حَقْوِهَا مِنَ الْأَدَمِ الْمَضْفُورِ . وليس هذا من عادات العرب . وإذا

= وَأَبْيَضَ مَنْقُوفٍ وَزَقٍ وَقِينَةٍ وَصَهْبَاءٍ فِي بَيْضَاءٍ بِإِدِّ حَجْوُلِهَا
 إِذَا صُبَّ فِي الرَّأُوقِ مِنْهَا تَضَوَّعَتْ كَمِيتٌ يَلْدُ الشَّارِبِينَ قَلِيلُهَا

(١) مجزؤه : * إِذَا تَأَنَّى يَكَادُ الْحَصْرُ يَنْخَزِلُ *

(٢) هو معرب « دمس » الفارسية . استنبجاس ٥٣٥ والألفاظ الفارسية ٦٦ . واظفر
 حواشي تهذيب الصحاح للزنجاني (دمس) .

كان من لَوْنَيْنِ فهو البرِيمُ ، وهذا يَشَدُّ في أَخِي الصَّبِيانِ يُدْفَعُ به العين .

٤٧٧

وقال عبد الله بن الدمينه الخثعمي^(٢) :

١ — وَلَمَّا لَحِقْنَا بِالْجُمُولِ وَدُونَهَا خَمِيصُ الْحَشَا تُوهِي الْقَمِيصَ عَوَاتِقُهُ

٢ — قَلِيلُ قَذَى الْعَيْنَيْنِ نَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ الْمَوْتُ إِنْ لَمْ تُلَوِّ عَنَّا بَوَاتِقُهُ^(٣)

قوله « ولما لحقنا » جوابه ما دلَّ عليه البيت الثالث ، وهو « عَرَضْنَا » . وأراد بالجمول الظَّعَّانَ وأثقالها . وقوله « ودونها خميص الحشا » يريد قِيَمَهُنَّ . فيقول : لما دعانا الشوق إلى الحقوق بالظَّعَّانِ بعد تشييعنا لها ، وإلى تجديد العهد بها ، فأدركناها ودونها رجلٌ قليلُ اللحم على بَدَنِهِ ، لطيفُ طَيِّ البطن ، مديدُ القامة ، حتى إنَّ عَوَاتِقَهُ ، وهى النَّوَاحِي من عَاتِقِ الإنسان ، تكاد أن تُوهِي قِيصَهُ . وهذا مما تتمدَّح به العرب ، لأنَّ السُّمْنَةَ^(٤) عندهم مذمومة .

وقد كَشَفَ عن هذا المعنى قولُ الآخر :

فَتَى لَا يُرَى قَدْ الْقَمِيصِ بَخْصَرِهِ وَلَكِنَّا تَفَرَّى الْفَرَى مَنَاكِبُهُ

وقوله « قليل قذى العينين » يصف امتعاضه وقلة صبره على دَرَنِ العار^(٥) .

(١) التبريزي : « هذا البيت قد تكلم عليه النهرى ، لأن فيه خلافا لما قبله ، إذ كان البيت المتعمد في صفة امرأة ، وهذا البيت يجب أن يكون في صفة ناقة ، ولا شك أنه قد سقط منه شيء يصلح بما قبله . ولم يذكر ذلك أحد منهم ، وإنما يريد أنها ترفع ذنبها إلى متنها » .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسة ٤٥٦ ص ١٢٢٣ .

(٣) التبريزي : « يُعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ الْمَوْتُ إِنْ لَمْ تَصْرُ عَنَّا » . وهى رواية الديوان ٤٣ . يقال : صريت الشيء ، إذا قطعتنه ومنعته .

(٤) كأنه جعل « السمنة » اسما للسنن ، والمعروف في المعاجم ، أن السمنة بالضم : دواء يتخذ للسنن .

(٥) هذا ما رآه الرزوقي ، وأجود منه قول التبريزي : « يصفه بمعدة النظر ، وأنه ليس بعينه غمس ، فهو أحد لنظره » .

ويقال : فلان لا يُفَضَّى على قَدَى ، إذا لم يحتمل صَيًّا . وقوله « نَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ الموت » يَصِفُهُ بِشِدَّةِ الْحَيَّةِ عِنْدَ غَضَبِهِ ، وَأَنَّ نَارَهُ لَا يُصْطَلَّى [بِهَا^(١)] إِذَا غَارَ عَلَى حُرْمِهِ . والمعنى أَنَّا مَعَ تَعَرُّضِنَا لَهُ نَحْذَرُهُ مَخَافَةَ أَنْ يَحْمِيَ ، لِنَحَقِّقُنَا أَنْ شَرَّهُ لَا يُقَامُ لَهُ إِذَا سَطَا . والبواثيق : جمع بائقة ، وهى الخصلة المنكرة فى شمولها ، فيقال : باقتهم بائقة . والبؤقة : الدفعة الشديدة من المطر ، منه . قال رؤبة :

* من بَاكَرِ الوَسْمِيِّ نَضَّاحِ البُوقِ^(٢) *

وقوله « تُلَوِّعُنَا » أى تُضَرِّفُ . ويرى « تُلَقِّعُنَا » من الإلقاء .

٣ - عَرَضْنَا فسلمنا فسلم كاريها علينا وتبريح من الغيظ خائفة^(٣)

٤ - فسايرته مقدار ميل وليتني بكرهى له ما دام حيا أرافقه^(٤)

يقول : لما لحقنا بالطعائن عَرَضْنَا لَهُنَّ ، وَسَلَّمْنَا عَلَى فَيِّمِهِنَّ وَالْحَامِي دُونَهُنَّ ، فَأَجَابْنَا جَوَابَ الْكَارِهِ لَنَا ، وَالْمُنْكَرِ لِتَسْلِيمِنَا ، قَدْ خَنَقَهُ غَيْظٌ مُبَرِّحٌ . ويقال : لَحِقْتُهُ وَلَحِقْتُ بِهِ . وَاِنْتَصَبَ « كَارِيهَا » عَلَى الْحَالِ . وَالتَّبَرُّيحُ : التَّشْدِيدُ .

ويقال : بَرَّحَ بى كذا وكذا ، ومنه قول الأعشى :

* أَبْرَحْتَ رَبًّا وَأَبْرَحْتَ جَارًا^(٥) *

(١) التكملة من ل .

(٢) نضاح ، بالخاء المهملة فى الأصل واللسان . وفى ل والديوان ١٠٥ : « نضاح » بالخاء المعجمة ، وهما سيبان .

(٣) الديوان : « وقفنا فسلمنا » . التبريزى : « الرواية التى عليها الناس : من الغيظ . وفى شعر ابن الدمينه : الغنظ ، الذى يراد به أشد الكرب . يقال غنظه غنظاً . قال الشاعر : إذا غنظونا ظالمين أعانهم على غنظهم من من الله واسع »

ابن جنى فى التنبيه : « هذا من نحو تسمية الثواب باسم العمل ، نحو قول الله سبحانه : « وجزاء سيئة سيئة مثلها ... فكذلك قوله فسلمنا فسلم ، أى فرد السلام . والأول فى العرف والاستعمال مسلم ، والثانى راد » .

(٤) الديوان :

فسايرته ميلين ياليت أننى على سخطه حتى المات أرافقه

(٥) صدره : * تقول ابنتى حين جد الرحيل *

ويقال : هوفى بَرَحٍ من الشَّوقِ بَارِح . وقوله « خَانِقُهُ » يريدُ أَنَّهُ امتَلَأَ صدرُهُ من الغَيْظِ فارتَقَى إلى ما هو فوقَهُ حتَّى خنقه .

وقوله « فسَايرتُهُ مقدارَ مِيلٍ » انتصب مقدارَ على الظَّرْفِ . ومعنى سَايرتُهُ صَاحِبَتُهُ في السَّيْرِ ، ثم قال : وليتَنى أرافقه ما دَامَ حَيًّا ، على كُرِهِ مَنِّي ، لأنَّهُ استطاب صحبَتَهُ لما له من اللَذَاذَةِ^(١) في النَّظَرِ إليهن ، واستَكْرَهُ الكونَ معه لما يخاف على نَفْسِهِ منه ، إلَّا أَنَّهُ غَلَبَ الالتذاذُ . و « ما دَامَ حَيًّا » انتصب على الظَّرْفِ ، و « أرافقه » في موضع خبر ليت . وقوله « بَكَرْهُى لهُ » نصب على الحال ، والعامل فيه أرافقه .

٥ — فَلَمَّا رَأَتْ أَنْ لَا وَصَالَ وَأَنَّهُ مَدَى الصُّرْمِ مَضْرُوبٌ عَلَيْنَا سِرَادِقُهُ^(٢)

٦ — رَمَتْنِي بِطَرْفٍ لَوْ كَيْيَارَمَتْ بِهِ لَبُلَّ نَجِيمًا نَحْرُهُ وَبَنَائِقُهُ

٧ — وَلَمَحَ بَعِيْزُهَا كَأَنَّ وَمِيضَهُ وَمِيضُ الْحَيَا تُهْدَى لِنَجْدٍ شَقَائِقُهُ

قوله « أَنْ لَا وَصَالَ » أَنْ فِيهِ مُحَفَفَةٌ من أَنَّ الثَّقِيلَةَ ، يريدُ أَنَّهُ لَا وَصَالَ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ عَطَفَ عَلَيْهِ « وَأَنَّهُ مَدَى الصُّرْمِ » . ووصال انتصب بِلَا ، وخبره محذوف ، كأنَّهُ قال : لَا وَصَالَ بَيْنَنَا . والجملة في موضع خبر أَنْ ، والضمير في أَنَّهُ الأولى والثانية ضمير الأمر والشأن . وقوله « مَدَى الصُّرْمِ » في موضع الابتداء ، و « مضروب علينا » خبرُهُ . وسرَادِقُهُ ارتفع بمضروب ، لأنَّهُ قام مقام الفاعل . وقوله « رَمَتْنِي بِطَرْفٍ » جوابُ لَمَّا . كأنَّهُ لَمَّا تَأَمَّلَتْ حَالَهُ فِي مُسَايَرَتِهِ ، وَضِيقَ الْوَقْتِ عَنْ مَجَادَبَتِهِ ، لَمَّا كَانَ يَحْوُلُ بَيْنَهُمَا مِنْ مِرَاقَبَتِهِ ، ثُمَّ رَأَتْ تَغْيِظَ

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « اللذة » .

(٢) الديوان : « فَلَمَّا رَأَتْ أَلَا جَوَابَ وَإِنَّمَا » .

الريب وكرهيته^(١) ، مع معرفتها بنتائج ضجره ، نظرت إلى الشاعر نظراً إنكاراً استدلالاً منه على ضلاله فيما يأتيه ، وسوء توفيقه فيما يلح فيه ، فكانه رمتهم بسهم لم يكن نظراً ، بل كان سهماً رُمي به شجاعاً في معركة ، لأصيب مقتله ، فكان يبتل نحره وبنائق قميصه نجيعاً . والنَّجِيع : دُمُ الجوف . ويقال تَنَجَّعَ به ، أى تَلَطَّخَ .

وقوله « ولمح بعينها » انعطَفَ على قوله بطَرْفٍ . واللَّامِح : النَّظَرُ ، ويستعمل في البرق والبصر . وكذلك الطَّرْفُ هو النَّظَرُ [هنا^(٢)] ، كأن الرَّمَى بالطَّرْفِ كان إنكاراً منها . واللَّمَحَ بالعينين مُوَاعِدَةٌ وَتَوْحِيَةٌ بِجَمِيلٍ بعد تعذر المطلوب . والْوَمُضُ والْوَمِيزُ : اللَّامِحُ . وأومضت له فلأنه بعينها ، إذا بَرَقَتْ . لذلك شَبَّهَ وميضَ لَمَحِهَا بوميضِ الحَيَا ، وهو الغيثُ المَخْطِي للأرضِ وأهلها ، وقد هَدَيْتْ أى أُرْشِدَتْ شقائقه ، وهى قِطْعُ سَحَابِهِ ، لنجد . كأنه جَعَلَهَا قَاتِلَةً في رميها ، مُحْيِيَةً بَلَمَحِهَا . والشَّقِيقَةُ : البرقُ إذا استطارت في غُرُضِ السحاب وتكشَّفت أيضاً .

(١) ل : « وكرهته » .

(٢) التكملة من ل .

٤٧٨

وقال أبو الطمّحان القيني^(١) :

١ — أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ صَدْحِ النَّوَاحِ . وَقَبْلَ ارْتِقَاءِ النَّفْسِ فَوْقَ الْجَوَانِحِ^(٢)

٢ — وَقَبْلَ غَدِي يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدِي . إِذَا رَاحَ أَحْصَابِي وَلَسْتُ بِرَاحِ

يُرَوَّى «يَا لَهْفَ نَفْسِي مِنْ غَدِي» . وَالصَّدْحُ : شِدَّةُ صَوْتِ الدَّيْكِ وَالغَرَابِ ،

وغيرها . وَالصَّيْدَحِيُّ : الشَّدِيدُ الصَّوْتِ . وَالْجَوَانِحُ : ضُلُوعُ الصَّدْرِ . وَارْتِقَاءُ

النَّفْسِ فَوْقَهَا ، كَمَا يَقَالُ : بَلَغَتْ نَفْسُهُ التَّرَاقِي . فَيَقُولُ : عَلَّلَانِي بِالْمُقَاتَرَةِ عَلَيْكَ

قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ فَتَقُومَ النَّوَاحُ عَلَيَّ يَنْدُبُنِي ، وَقَبْلَ مِيقَاتِ أَجَلِي ، وَأَوَانِ تَحُلْفِي

عَنْ أَحْصَابِي ، وَقَدْ رَاحُوا عَنِّي ، لِنُزُولِ الْقَدَرِ الْمَقْدُورِ بِي .

فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ قَدَّمَ ذِكْرَ صَدْحِ النَّوَاحِ عَلَى ذِكْرِ الْمَوْتِ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ

بَعْدَهُ ؟ قُلْتُ : إِنَّ الْعَطْفَ بِالْأَوَّلِ لَا يُوجِبُ تَرْتِيبًا . أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ :

﴿ وَاسْجُدْ وَارْكَعْ ﴾ ، وَالرُّكُوعَ قَبْلَ السُّجُودِ فِي تَرْتِيبِ أَعْمَالِ الصَّلَاةِ .

وَقَوْلُهُ «إِذَا رَاحَ أَحْصَابِي» يَحْجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِذَا فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ بَدَلًا مِنْ غَدِي ،

(١) الطمّحان ، بالنحر : فَعْلَانُ مِنْ طَمَحَ بِأَفْعِهِ ، إِذَا تَكَبَّرَ . وَأَبُو الطمّحان هُوَ

حَنْظَلَةُ بْنُ الشَّرْقِيِّ ، أَوْ رِبِيعَةُ بْنُ عَوْفٍ بْنُ غَنَمٍ بْنُ كَثَّانَةَ بْنِ الْقَيْمِ بْنِ جَسْرٍ بْنِ شَيْعٍ اللَّهِ بْنِ

الْأَسَدِ بْنِ وَبَرَةَ بْنِ تَغْلِبَ بْنِ حُلَوَانَ بْنِ عَمْرَانَ بْنِ الْحَفَافِ بْنِ قِضَاعَةَ ، مِنْ مَخْضَرِ الْجَاهِلِيَّةِ

وَالْإِسْلَامِ ، أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَ ، وَلَمْ يَرِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكَانَ مَعْرُوفًا بِالْفَسْقِ ،

قِيلَ لَهُ : مَا أَذْنَى ذُنُوبِكَ ؟ قَالَ : لَيْلَةُ الدَّيْرِ . قِيلَ لَهُ : وَمَا لَيْلَةُ الدَّيْرِ ؟ قَالَ : نَزَلْتُ بِدِيرَانِيَّةٍ

فَأَكَلْتُ عَنْدهَا حَفِيشًا بِلَحْمِ خَنْزِيرٍ ، وَشَرِبْتُ مِنْ غَرِّهَا ، وَزَنَيْتُ بِهَا وَسَرَقْتُ كِسَاءَهَا وَمَضَيْتُ .

وَيَذَكُرُونَ أَنَّهُ عَمَّرَ مِائَتِي سَنَةً . وَفِي الشُّعْرَاءِ أَيْضًا أَبُو الطمّحان الْأَسَدِيُّ كَانَ فِي زَمَنِ يُونُسَ

ابْنِ عَمْرِو ، وَأَبُو الطمّحان التَّمَشَلِيُّ ، وَأَبُو الطمّحان الطَّائِي . الْخَزَانَةُ (٣ : ٤٢٦) وَشَرَحَ

التَّبَرِيزِيُّ لِلْجَمَاسَةِ ، وَالْإِسَابَةِ ٢٠٠٧ وَالْمَعْرَيْنِ ٥٧ وَالْمُؤَنَّفِ ١٤٩ وَالْإِسْتِقْقَ ٣١٧ وَاللَّاتِي ٣٣٢

وَالْأَغَانِي (١١ : ١٢٥ — ١٢٨) وَالشُّعْرَاءُ ٣٤٨ .

(٢) التَّبَرِيزِيُّ : « قَبْلَ نُوحِ النَّوَاحِ » ، ثُمَّ قَالَ : « وَيُرَوَّى : قَبْلَ صَدْحِ الصَّوَادِحِ » .

والبديل إذا جاء مؤكداً للبديل منه ومفصلاً جملته قد لا يستغني عن المبدل منه ، وإذا كان كذلك فليس لأحد أن يقول : من شرط البديل أن يلتقي المبدل منه ويجعل هو مكانه . وإذا كان كذلك لم يجوز أن يلي إذا العامل في غدي ، وهو « على » أو « من » في الروايتين جميعاً . على أن أبا العباس قد جَوَّز وقوع إذا في موضع الجرور والرفوع . ويجوز أن يكون نصباً بدلاً من موضع « من غدي » أو « على غدي » العامل والمعمول فيه جميعاً ، لأن موضعهما نصب على المفعول مما دل عليه قوله يالهف نفسي ، وهو : أتلهف من غدي .

وإنما جاز أن يُودع البيتين باب النسب لرفقتهما ولأن المتعلل به كان لذة من اللذات . وهذا عادته في أبواب اختياره ^(١) .

٤٧٩

آخر :

- ١- هل الوجد إلا أن قلبي لودنا من الجمر قيد الرُمح لا خترق الجمر
- ٢- أفى الحق أني مُغرّم بك هائم وأنك لا خل هوأك ولا خمر
- ٣- فإن كنت مطبوعاً فلازلت هكذا وإن كنت مسحوراً فلا برأ السحر

قوله « هل الوجد » استفهام لفظه ومعناه النفي ، بدلالة وقوع إلا بعده ، كأنه قال : ما الوجد ، أو ليس الوجد إلا هذا الذي بي ، وهو أن قلبي لو قرُب من الجمر حتى لا يكون بينهما إلا قدر رُمح لعلب ناره نار الجمر ، وكان الجمر يخرق . وقوله « الوجد » مبتدأ وخبره إلا مع ما بعده . وانتصب « قيد الرُمح » على الظرف . ويقال : بيني وبينه قاب قوس ، وقيد رُمح ، وغلوة سهم . وحكى

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « وهو عادته في باب اختياره » .

بعضُ أهل التفسير في قوله تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ أن لكل قوس قابَين ، وهو ما بين المقيض والسَّيِّئَةِ . وأهل اللغة على ما قدمته .

وقوله « أفى الحق أننى مُعَرِّمٌ بكِ هائمٌ » فالمعرم : الذى قد لزمه الحب . يُقال : حُبّه عَرَامٌ ، أى لا تَفَصَّى منه . ومنه عذابُ عَرَامٍ . والهائم : المتحيز . والهُيَام كالجنون من العشق ، ومنه المُهَيِّم : الذى يَهْدِي بالشيء ويَكْثُرُ ذِكْرُهُ . والمعنى أنه لا يدخل فى الحق ووجوهه ، وأنواع قِسمِهِ ، أن يكون حُبِّي لَكَ غَرَامًا ، وحُبِّكَ لا يرجع إلى معلوم ، ولا يحصل على حَدٍّ محصور . ويقال : ما هو بخلٍ ولا تخمٍ ، والمعنى أنه ليس بشيء يَخْلُصُ وَيَتَبَيَّنُ .

وقوله « فإن كنتُ مطبوباً » فالطَّبُّ : السَّحَر والعلم جميعاً . وهو طَبٌّ ، أى عليم . وفى الحديث : « حينَ طَبَّ » أى سَحِر . وهو مطبوبٌ ، أى مسحور . ومعنى البيت : إن كان الذى بنى وأقاسيه داءً معلوماً يُعرفُ دواؤه ، فلا فارقتى فأنى ألتذُّ به — وهذا هو الفتَيَانِيَّةُ فى الهوى ، والتجَلُّدُ على البلاء — وإن كنتُ مسحوراً ، يريد وإن كان الذى بنى لا يُعْلَمُ ما هو ، وأعيا الوقوفُ عليه الأطباءَ ، والعلماء بالأدواء ، حتى يَسْلَمَ للسَّحَرِ فلا فارقتى أيضاً . وإنما قال هذا من عادة العامة ، لأنهم كذا يعتقدون فى الأوصاف والعِلل . ولا يجوز أن يكون معنى مطبوباً مسحوراً ، لأنه يصير الصدرُ والعَجْزُ لمعنى واحد .

٤٨٠

آخر :

- ١ - نَشَكَّى الْمُحِبُّونَ الصَّبَابَةَ لِيَتَنَّى تَحَمَّلْتُ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَخَدِي
- ٢ - وَكَانَتْ لِنَفْسِي لَذَّةُ الْحُبِّ كُلِّهَا فَلَمْ يَلْقَهَا قَبْلِي مُحِبٌّ وَلَا بَعْدِي^(١)

(١) التبريزى : « فكانت » .

هذا كلامٌ مَنْ تَجَلَّدَ فِي الْهَوَى وَادَّعَى التَّلَذُّذَ بِهِ وَإِنْ بَرَّحَ بِهِ وَأَثَرٌ فِيهِ ،
 فيقول^(١) : شَكَا الْمُحِبُّونَ جَنَائَةَ الصَّبَابَةِ عَلَيْهِمْ ، وَجَرِيرَةَ الْعَشْقِ لَدَيْهِمْ ، وَبُودَى
 أَنِّي^(٢) تَحَمَّلْتُ أَعْبَاءَهَا كُلَّهَا وَحْدِي ، وَخَلَصْتُ لِلصَّبْرِ فِيهَا وَلَهَا عَفْوِي وَجَهْدِي ،
 وَكَانَتْ نَفْسِي تَنَالُ لَذَّةَ مَجْمُوعِهَا وَمَفَرِّقِهَا ، وَتَتَفَرَّدُ بِمَكَابِدَةِ مَجْهُولِهَا وَمَعْرِفِهَا^(٣) ،
 فَأَفُوزَ بِأَدْعَائِهَا ، وَتَسْقُطُ الْمِشَارَكَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَرْبَابِهَا مِمَّنْ سَبَقَنِي لِتَقَدُّمِ زَمَانِهِ ،
 أَوْ تَأَخَّرَ عَنِّي لِتَأَخُّرِ مِيلَادِهِ .

٤٨١

وَقَالَ شَبْرُمَةُ بْنُ الطُّفَيْلِ^(٤) :

- ١ — وَيَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ قَصَّرَ طَوْلَهُ دَمُ الزُّقِّ عَنَّا وَاصْطَكَاكَ الْمَزَاهِرِ^(٥)
- ٢ — لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى أُرُوحَ ، وَصُحْبَتِي عُصَاةٌ عَلَى النَّاهِيْنَ شُمُّ الْمَنَاحِرِ
- ٣ — كَانَ أَبَارِقَ الشَّمُولِ عَشِيَّةً إِيَّازٌ بِأَعْلَى الطَّفِّ عُوجُ الْحَنَاجِرِ

قوله « وَيَوْمٍ » انجَرَ بِإِضْمَارِ رُبٍّ ، وَجَوَابُهُ قَصَّرَ طَوْلَهُ . يَقُولُ : رَبُّ يَوْمٍ
 مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ شَدِيدِ الْحَرِّ ، جَعَلَ طَوْلَهُ قَصِيرًا ، مَا اشْتَغَلْنَا بِهِ فِيهِ مِنَ الشَّرْبِ
 وَالْقَصْفِ . وَأَرَادَ بِدَمِ الزُّقِّ النَّخْرَ . وَاصْطَكَاكَ الْمَزَاهِرُ : مُدَافَعَةُ أَوْتَارِ الْبَرْبَطِ بِمَعْضَاهَا
 لِبَعْضِ الْضَّرْبِ . وَيُقَالُ : أَزْدَهَرَ الرَّجُلُ ، إِذَا فَرِحَ . فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْعُودُ
 سُمِّيَ مِزْهَرًا مِنْهُ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَيَكُونُ » ، صَوَابُهُ فِي ل .

(٢) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « أَنْ » .

(٣) هَذَا مَا فِي ل ، وَهُوَ الْمَوَافِقُ لِمَوْسِيقِ الْفَاصِلَةِ ، وَفِي الْأَصْلِ : « وَمَعْرِفِهَا » .

(٤) الشَّبْرَمَةُ : وَاحِدَةُ الشَّبْرِمْ ، وَهُوَ نَبْتُ حَارِ يَحْدِرُ الطَّبِيعَةَ . وَلَمْ نَعثرْ لِشَبْرَمَةَ عَلَى تَرْجُمَةٍ .

عَلَى أَنَّ الْأَيَّاتِ نَسَبَتْ فِي الْحَيَوَانَ (٦ : ١٧٩) وَثَمَارِ الْقُلُوبِ ٥٠٢ إِلَى ابْنِ الطُّفَيْلِ .

(٥) التَّبْرِيزِيُّ وَالْجَاهِظُ وَالتَّعَالِيُّ وَاللَّائِي ٩٣٨ : « وَاصْطَفَاكَ الْمَزَاهِرُ » . وَقَدْ أَشَارَ

التَّبْرِيزِيُّ إِلَى رِوَايَةِ « وَاصْطَكَاكَ » .

وقوله « لَدُنْ غُدُوَّةٌ » انتصب غُدُوَّةٌ عن النون من لَدُنْ^(١) ، ولا ينتصب به غيره ، فهو شاذٌ . والمعنى : باكرنا الشرب ، فلما رُحْنَا كان أصحابي قد سَكِرُوا واكتسبوا كِبَرًا ونُبَلًا ، وذَهَابًا عَمَّا يُشِيرُ به النَّاهِي والمسدَدُ^(٢) .

وقوله « كَأَنَّ أَبَارِيقَ الشَّمُولِ عَشِيَّةٌ » شَبَّهَ أَوَانِيَ الْخَمْرِ قَدْ فُرِّغَتْ وَأَمِيلَتْ بِطَيُورِ مَاءٍ اجْتَمَعَتْ عَشِيَّةً بِأَعْلَى السَّاحِلِ^(٣) ، معوَجَّةَ الْحَفَاجِرِ وَالْحُلُوقِ . وأدخل هذه القطعة في باب النسيب لِرَقَّتِهَا ودَلَالَتِهَا عَلَى الْهَوِّ وَالْحَسَارَةِ .

٤٨٢

وقال جابر بن ثعلب الجرمي^(٤) :

١ - وَمُسْتَخِيرٍ عَنْ سِرِّ رِيًّا رَدَدْتُهُ بِعَمِيَاءٍ مِنْ رِيًّا بِغَيْرِ يَقِينِ

٢ - فَقَالَ انْتَصِحْنِي إِنِّي لَكَ نَاصِحٌ وَمَا أَنَا إِلَّا خَبْرَتُهُ بِأَمِينِ

يروى : « انتصحني إنني ذوامانة » ، وهذا في كتمان سرِّ المحبوب ، والمحافضة على الذِّمَامِ وَالْحُرْمِ . يقول : رُبَّ مُسْتَدْرِجٍ لِي فِيمَا بَيْنَ رِيًّا وَبَيْنِي ، طَالِبٍ لِلْوُقُوفِ عَلَى الْمَكْتُومِ مِنْ أَمْرِهَا وَأَمْرِي^(٥) ، رَدَدْتُهُ عَنْ نَفْسِي بِقِصَّةِ عَمِيَاءٍ لَا يُهْتَدَى فِيهَا لِلْمَطْلُوبِ ، وَلَا يُرْجَعُ فِيهَا إِلَى يَقِينِ ، فَلَمَّا لَمْ يُمْكِنْهُ إِزَالِي عَمَّا حَاوَلَهُ قَالَ انْتَصِحْنِي ، أَيْ أَذْخِلْنِي فِي أَمْرِكَ ، وَأَجْرِنِي بِجَرَمِي نُصَحَائِكَ ، إِنِّي أَمِينٌ لَا دَغْلَ فِي هَمَّتِي ، وَلَا خِيَانَةَ فِي شَأْنِي ، وَلَوْ خَبَّرْتُهُ بِمَا التَّمَسَّ ، وَأُطْلَعْتُهُ عَلَى

(١) الأوضح منه ما ذكر التبريزي : « بتصب غدوة مع لدن ، تشبه النون منها بنون عشرين » ، يريد أن غدوة تنصب على شبه التمييز .

(٢) المسد : الذي يوجه نحو السداد والصواب . وفي الأصل : « والمسد » صوابه في ل .

(٣) أى ساحل الفرات . وفي معجم البلدان : « والطف لطف الفرات ، أى الشاطئ » .

(٤) كذا في النسختين ، وهو المطابق لما مضى في ص ٣٠٤ . وعند التبريزي : « جابر

ابن الثعلب الجرمي ، من طي » . ويقال أيضاً « ابن ثعلبة » . انظر حواشي ٢١٥ .

(٥) كذا في ل . وفي الأصل : « فيما بيني وبين رياء ، طلب الوقوف من أمرها وأمرى » .

ما استشرح ، كنتُ أنا غيرَ أمينٍ ، فكيف أصيرُ معه مؤتمناً ، وذلك أني إن بُحْتُ بِسِرِّها فقد ضَيَّعتُ أمانتها ، والسِرُّ إذا جاوزَ اثنين خرجَ من أن يكون سِراً . ومثل هذا قولُ جرير :

ولقد تَسَقَّطَنِي الوُشَاةُ فصادَفُوا حَصِرًا بِسِرِّكَ يا أُمَيِّمَ ضَنيفًا

٤٨٣

وقال نَفَرُ بن قَيْسٍ ^(١) ، وبنو نَفَرٍ رَهْطُ الطَّرِمَّاح :

١ - ألا قالتُ بِهَيْشَةَ ما لِنَفَرٍ أراه غَيَّرَتْ مِنْهُ الدُّهُورُ ^(٢)

٢ - وأنتِ كذاكِ قد غَيَّرْتِ بَعْدِي وَكُنْتُ كَأَنَّكَ الشَّعْرَى العَبُورُ

كَانَ المَرَأَةُ ازدرته وأنكرتْ شُحوبَهُ وهزَّالَهُ ، وتغيَّرَ عما عهدتَهُ ، فَصَرَفَتْ ذلكَ إلى أَنَّهُ من مَقْتَضِيَّاتِ الكِبَرِ ، ومُسَبِّبَاتِ القَشْفِ ^(٣) ، وقالتُ مستفهمةٌ :

ما لِنَفَرٍ ، أَرَى الأَيَّامَ أثَرَتْ فِيهِ ، والأَحْدَاثُ أَضَنَّتَهُ وهزَّالَتَهُ ، فأجابها من

طريق إنكارها وقال : إن كان ذلكَ من عَقَبِ الأَيَّامِ فإنها لم تَغْفُلْ عَنكَ ولم

تُهْمِلْ تَغْيِيرَكَ أيضاً ، فإنا أنكرتِهِ مَتَى موجودٌ فيكَ وظاهرٌ على سَحْنَتِكَ ^(٤)

ولونكَ ، فقد كنتِ كالشَّعْرَى العَبُورِ إشرافاً وتلاؤلوا ، وقد حلتِ وتغيَّرتِ .

و « العَبُورُ » قيل فيه : هو من عَبَرْتُ النَّهْرَ ، إذا جُرَّتْهُ . وقيل : بل هو من

عَبَرْتُ بِهِ ، إذا شَقَقْتَ عَلَيْهِ ^(٥) ، كأنَّها إذا طَلَعَتْ تُعَبِّرُ المَالَ الرَّاعِيَةَ بِحَرِّها ،

(١) هو الجَدُّ الثاني للطرماح ، إذ هو الطرماح بن حكيم بن الحكم بن نفر بن قيس بن جحدر بن ثعلبة بن عبد رضا بن مالك بن أبان بن عمرو بن ربيعة بن جرويل بن ثعل بن عمرو بن الفوث بن طي . وكان الطرماح نفسه يلقب « أبا نفر » . انظر ماضي من ترجمته في ص ٢٢٧ .

(٢) التبريزي : « بهيسة » بالسين المهملة ، وها روايتان صحيحتان . انظر اللسان : (بهس ، بهش) حيث ذكر هاتين الروايتين .

(٣) القشف : يمس العيش وضيقه وسوء الحال .

(٤) في الأصل : « سجتك » ، صوابه في ل .

(٥) في القاموس : « وعبر به الأمر تعبيراً : اشتد عليه . وعبرت به : أهلكته » ،

وإذا سَقَطَتْ فَبِرَدِّهَا . وقوله : « وأنتِ كذاك » ، الكاف الأولى للتشبيه ، و « ذا » أشار به إلى ما أنكرت منه ، والكاف الأخيرة للخطاب ولا موضع له من الإعراب ، فهو حرف .

٤٨٤

وَقَالَ بُرْجُ بْنُ مُسْهَرٍ^(١) :

١ - وَنَدْمَانٍ يَزِيدُ الْكَأْسَ طِيبًا سَقَيْتُ إِذَا تَعَرَّضْتُ النُّجُومَ^(٢)

٢ - رَفَعْتُ بِرَأْسِهِ وَكَشَفْتُ عَنْهُ بِمَعْرِفَةٍ مَلَامَةً مَن يَلُومُ^(٣)

النَّدْمَانُ وَالنَّدِيمُ : مَن يُنَادِيكَ عَلَى الشَّرَابِ ، ومثله في البناء سَلْمَانُ وَسَلِيمٌ ، وَحَدَّانُ وَحَمِيدٌ ، وَرَحْمَنُ وَرَحِيمٌ . ومعنى « يزيد الكأس طيباً » أى يَحْسُنُ عِشْرَتَهُ ، وأدب مجالسته يزداد شرب المدام وإدارة الكأس معه لذة . والمعنى : رُبَّ نَدِيمٍ عَلَى مَا وَصَفْتُهُ سَقَيْتُهُ إِذَا تَعَرَّضْتُ النُّجُومَ ، أى أبدت عُرْضَهَا لِلْغُيُوبِ . ويقال : تَعَرَّضْتُ الْجَبَلَ ، أى أَخَذْتُ يَمِينًا وَشِمَالًا فِيهِ ، ولم أَسْتَقِمْ فِي الصُّعُودِ . قال :

تَعَرَّضِي مَدَارِجًا وَسُومِي تَعَرَّضَ الْجُوزَاءُ لِلنُّجُومِ^(٤)

ومعنى قوله « رفعت برأسه » أنهبته من مقامه ، وأزلت عنه ما كان يُدْخِلُهُ

(١) سبقت ترجمته في الخامسة ١٢٢ ص ٣٥٩ .

(٢) التبريزى واللسان (عرق) : « إذا تغورت » ، ثم قال التبريزى في التفسير : « إذا تعرضت النجوم ، أى أبدت عرضها للغيب » . ورواية المؤلف ٦٢ تطابق رواية المرزوقى .

(٣) أنشده في اللسان والمقاييس (عرق) . ورواية المقاييس : « أخذت برأسه » .

(٤) الرجز لعبد الله ذى الجهادين المزنى دليل رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر

اللسان (درج) . وأنشده في المقاييس (درج) بدون نسبة . وبعده :

* هذا أبو القاسم فاستقيمى *

من النِّمِّ بلوم اللّائمين إِيَّاهُ على معاطاة الشُّرْبِ وإدماهِه اللّهُو ، بأن سقيته مُعَرَّقَةً — وهى الصَّرْف من الخمر ، وقيل هى القليلة المزاج . ويقال : تعرَّقتُ الخمر ، إذا مزجتها . وأعرقه الساقى ، إذا سقاها مُعَرَّقًا . وقوله « إذا تعرَّضت النجوم » يشير به إلى الاصطباح .

٣ - فلما أنْ تَنَشَّى قامَ خِرْقٌ من الفِتْيَانِ مُخْتَلِقٌ هَضُومٌ^(١)
٤ - إلى وَجَناءِ نَازِيَةٍ فَكَاسَتْ وَهَى العُرْقُوبُ منها والصِّمِّمُ
انتَشَى وَنَشَى وَتَنَشَّى بمعنى سَكِر . والنَّشوة : السُّكْر . وأراد بِالْخِرْقِ نفسه ، وهو الكريم المتخَرِّقُ بالمعروف . والمُخْتَلِقُ : التَّامُّ الخَلْق . والهَضُومُ ، قال الأصمى : هو المِنْفَاق فى الشتاء . وقال غيره : هو الكريم المِفْضال ، كأنه يَهْضِمُ ماله بأن يُخْرِجَ منه أ كثر من الواجب فيه . والوجناء ، هى الناقة الغليظة الوَجْنَتَيْنِ . وقيل بل هى الصُّلْبَةُ ، مأخوذة من الوَجْنِ ، وهى الأرض الغليظة . قال الخليل : وقُلَّ ما يقال للجَمَلِ أَوْجَنٌ . والنَّازِيَةُ : السمينة .

وقوله « فَكَاسَتْ » اختَصَرَ الكلام ، والمراد فَعَرَقَها فَكَاسَتْ . والكُوسُ : المشى على ثلاثِ قوائم . وأراد بالصِّمِّمِ المَضُوءَ الذى به القِوَامُ ؛ يقال : هذا صِّمِّمٌ الوظيف ، وصمِّمُ الرَّأْسِ . والعُرْقُوبُ : عَقَبٌ^(٢) مَوْتَرٌ خلفَ الكعبين فَوُيِّقَ العَقِبِ من الإنسان وبين مَفْصِلِ الوظيف والساق من ذوات الأربع . وعَرَقَبَتْهُ : قطعت عُرْقُوبَهُ . وقوله « وَهَى العُرْقُوبُ » إظهارٌ لعلَّة فى كَوْنِهَا . والوَهَى : الشَّقُّ والخِرْقُ . وفى المثل : « غَادَرَ وَهِيَةً لَا تُرْفَعُ » ، أى فَتَقَّةٌ

(١) روى التبريزى أيضا : « مُخْتَلِقٌ » بكسر اللام ، وفسره بأنه الكريم الأخلاق .

(٢) الذى فى اللسان : « عصب » . والعقب ، بالفتح وبوزن العصب أيضا ، هو عصب

النتن والساقين والوظيفين ، يختلط باللحم ، يشق منه مشقا ويهذب وينقى من اللحم ويسوى منه الوتر .

لا يُطاق إصلاحها ورثتها . والمعنى : لما أُقيم رسم الاصطباح ، وانتشَى الندمان ، قام هو إلى ناقية بهذه الصفة فعرّقبها .

٥ - كهامة شارب كانت لشيخ له خلق يحاذرهُ الفرم^(١)

٦ - فأشبع شربه وجرى عليهم بإبريقين كأشهما رذوم^(٢)

٧ - تراها في الإناء لها حميا كميّقا مثل ما فقع الأديم^(٣)

٨ - ترنح شربها حتى تراهم كأن القوم تنزفهم كلوم

الكهامة : الناقية الضخمة كادت تدخل في السن ، وكذلك الكهامة .

والشارف : المسنة . وقوله « كانت لشيخ » كان الكريم منهم المحسان إلى

عشيرته ، الفضال على رفقاءه وندمائه ، يتعمّد إذا نحر لهم في الشرب وعند

السكر ، أن يفعل ذلك في غير ملكه ، يستام^(٤) مالك الجزور بها أغلى

الأثمان فيغيره ، ويعدّ ذلك الغرم غنا ، والصبر على سوء خلقه وإنكاره

التبسط في ملكه بغير إذنه كرمًا . لذلك قال : « له خلق يحاذرهُ الفريم » ،

يريد البخل منه والاستقصاء .

وقد سلك هذا المسلك طرفة فقال ووّفى المعنى حقّه ، وكأنه صبّ في قالب

هذا الشاعر :

وبرك هجود قد أثارت مخافتي نواديها أمشي بعضب مجرّد^(٥)

(١) لم يرو الآمدى هذا البيت .

(٢) التبريزي : « وسى عليهم » ، ثم أشار إلى الرواية الأخرى .

(٣) الآمدى : « ويروى : تقع الأديم ، أى روى . ويقال : أرجوان ناقع ، وهو الذى قد روى من الصبغ . فأما فقع فعناه أحر ، ولذلك قيل : أحر فقاى » .

(٤) ل : « ليستام » .

(٥) البرك : الإبل الكثيرة الباركة . النوادي : القوامى منها . العضب : السيف القاطع .

فَمَرَّتْ كَهَامَةٌ ذَاتُ خَيْفٍ جُلَالَةٍ عَقِيلَةٌ شَيْخٍ كَالْوَبِيلِ الْأَنْدَدِ^(١)
 يَقُولُ وَقَدْ تَرَى الْوُظَيْفُ وَسَاقِهَا أَلَسْتَ تَرَى أَنْ قَدْ آتَيْتَ بِمُؤَيَّدِ^(٢)
 وَقَالَ أَلَا مَاذَا تَرَوْنَ بِشَارِبٍ شَدِيدٍ عَلَيْنَا بَغْيُهُ مُتَعَمِّدِ
 فَقَالَ ذَرُوهُ إِنَّمَا نَفْعُهَا لَهُ وَإِلَّا تَكْفُؤُوا قَاصِيَ الْبَرْكِ يَزْدَدِ
 فَظَلَّ الْإِمَاءُ يَمْتَلِنُ حُوَارَهَا وَيُسْقَى عَلَيْنَا بِالسَّدِيفِ الْمُسْرَهْدِ^(٣)

قوله « فاشبع شربه » يعنى من الناقة المعقورة . وجعل الجارى عليهم بأبريقين والكأس ملاء تقطر ؛ لأن شربهم كان يداراً . ثم وصف النخرة فقال : لها سؤرة شديدة ، ولونها نخرة متناهية . ومعنى ققع : حسن وصفاً . ويقال : أحمر فاقع . ويروى : « مثل ما نصع » ، والمراد خلص . والجميل مصغرٌ لا مكبر له ، وقد تقدم القول فى بنائه . وكُميت : مصغرٌ مرخم ، والمراد به تكبيره ، وهو أ كمت ، لذلك جمع على كُميت . ومثله قرس وزد ، ثم قيل خيل وزد ، لأنه أريد به أفل . ومما جاء مصغراً قولهم كُميت ، وهو طائر ، وجميل^(٤) ، والثريا ، والغبراء ، والمرباط ، واللجين ، وهنيدة .

وقوله « ترنح شربه » أى لشدتها تزيل قواهم ، فكأنهم أسارى نزلت دماؤهم . ويقال : ضربته حتى رنحته ، أى غشى عليه .

٩ — فُتْمَنَا وَالرَّ كَابُ مُحْيَسَاتٍ إِلَى فُتْلِ الْمَرَاقِ وَهِيَ كُومٌ^(٥)

(١) الخيف ، بالفتح : جلد ضرع الناقة . العقيلة : كريمة المال . الويل : العصى الضخمة . والأندد واليلندد : الشديد الحصومة .

(٢) تر : سقط . المؤيد : الداهية العظيمة الشديدة .

(٣) يمتلن ، الامتلال : جعل الشيء فى الملة ، وهى الجر والرماد الحار . وفى النسختين : « يمتلكن » ، تحريف . والحوار : ولد الناقة . السديف : قطع السنام . للسرهدي : السمين ، أو المقطع قطعاً . (٤) فى اللسان : « سبويه : الجميل البلبل ، لا يتكلم به إلا مصغراً » . (٥) هذا البيت وتاليه لم يروهما الأمدى .

١٠ - كَأَنَّا وَالرَّحَالَ عَلَى صَوَارٍ بِرَمْلِ خَزَاقٍ أَسْلَمَهُ الصَّرِيمُ
 يُرَوِّى «مَجْبَسَات» أَى مَعْقُولَاتٌ مُنَاخَةٌ بِالْفِئَاءِ ، وَهُوَ الْوَجْه . وَرَوِّى
 بَعْضُهُمْ : «مَجْبَسَات» أَى مَذَلَّلَاتٌ ، لَكِى إِذَا رُكِبَتْ لِلَّهِو^(١) ، وَفِى حَالَةِ
 الشُّكْرِ كَمَا فَعَلَهُ هَؤُلَاءِ ، لَمْ تَعْسِفْ بِرُكْبَانِهَا ، وَلَمْ تَأْتِ الْعَرِضُنَةَ فِى سِيرِهَا .
 وَالْقَتْلُ : جَمْعُ أَقْتَلَ وَفَتَلَاءَ ، وَهِيَ الْبَعِيدَةُ الْمِرْفَقِ عَنِ الزُّورِ . وَالْكُومُ : الْعِظَامُ
 الْأَسْنِمَةُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الْكُومُ : الْعِظَمُ فِى كُلِّ شَيْءٍ . وَقَوْلُهُ «كَأَنَّا وَالرَّحَالَ»
 شَبَّهَ رُكَابَهُمْ بِقَطِيعٍ مِنَ الْبَقَرِ بِالرَّمْلِ الْمَذْكُورِ ، أَسْلَمَهُ الصَّرِيمُ إِلَى الصَّيَّادِينَ
 وَالْكِلَابِ ، فَخَفَّتْ وَعَدَّتْ . وَالصَّرِيمُ اسْتُعْمِلَ فِى الصَّبْحِ وَاللَّيْلِ جَمِيعًا ، لِأَنَّ
 كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَنْصَرُمُ عَنْ صَاحِبِهِ وَقْتَ السَّحَرِ . وَإِنَّمَا رَكَبُوا بَعْدَ الْإِصْطِبَاحِ
 لِلتَّنَزُّهِ أَوْ فِى بَطَالَةٍ حَضَرَتْهُمْ^(٢) .

١١ - فَبَيْنَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ مِسْكِ قَيَا عَجَبًا لَعِيشٍ لَوْ يَدُومُ
 ١٢ - وَفِينَا مُسْمِعَاتٌ عِنْدَ شَرْبٍ وَغَزْلَانٌ يُعَدُّ لَهَا الْحَمِيمُ^(٣)
 تَبَجَّحَ بِأَنَّهُمْ نَالُوا أَكْثَرَ أَنْوَاعِ اللَّذَّاتِ ، مِنْ شَرْبٍ وَقَصْفٍ ، [وَتَنَزُّهُ^(٤)]
 وَلَهْوٍ ، وَمَعَاشِرَةٍ وَطَرَبٍ ، وَتَسَخٍّ وَإِفْضَالٍ ، وَتَنْدِيٍّ عَلَى النَّدَامِ وَإِكْرَامٍ ،
 وَتَتَرُّفٍ وَتَعَطُّرٍ ، وَتَمَتُّعٍ بِالنِّسَاءِ وَتَغَزُّلٍ . وَقَوْلُهُ «قَيَا عَجَبًا» إِنَّمَا تَعَجَّبَ مِنْ اسْتِمْرَارِ
 الْوَقْتِ بِمِثْلِ الْعِيشِ الَّذِى وَصَفَ ، وَكَيْفَ سَمَحَ الزَّمَانُ بِهِ ثُمَّ غَفَلَ عَنْهُ حَتَّى اتَّصَلَ .
 وَالْمُسْمِعَاتُ : الْمَغْنِيَّاتُ . وَالشَّمَاعُ : الْغِنَاءُ . وَذَكَرَ الْحَمِيمَ لِتَنَعُّمِهِمْ ، وَلِأَنَّ بِلَادَهُنَّ
 كَانَتْ صُرُودًا^(٥) . وَعَلَى هَذَا قَالَ عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ :

(١) سَبَقَ نَحْوُ هَذَا التَّعْبِيرِ فِى ص ١١٦٩ س ٩ «لَكِى إِذَا نَابَنَا ذُو حَقِّ» .

(٢) الْبَطَالَةُ : اتِّبَاعُ اللَّهِوِ وَالْجَهَالَةِ .

(٣) هَذَا الْبَيْتُ لَمْ يَرَوْهُ الْآمِدَى .

(٤) هَذِهِ مِنْ ل .

(٥) الصُّرُودُ : جَمْعُ صَرْدٍ ، وَهُوَ الْمَسْكَنُ الْمَرْفُوعُ مِنَ الْجِبَالِ ، وَهُوَ أَبْرَدُهَا .

مُسْتَعْشَعَةً كَانَ الْخَصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا
قال ابن الأعرابي : سخينا حال بمعنى مُسَخَّنٍ ، لَأَنَّ الْبَرْدَ اقْتِضَاهُمْ
بِذَلِكَ الْمَاءِ .

وقوله « فَبِتْنَا بَيْنَ ذَلِكَ » يريد أَنَّ حَاضِرَ وَقْتِهِمْ كَانَ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ تَغَيَّرَ .

١٣ - نَطُوفُ مَا نَطُوفُ ثُمَّ يَأْوِي ذَوُو الْأَمْوَالِ مِنَّا وَالْعَدِيمُ

١٤ - إِلَى حُفْرِ أَسَافِلُهُنَّ جَوْفٌ وَأَعْلَاهُنَّ صَفَّاحٌ مُقِيمٌ

يقول : يُكْثِرُ الْوَاحِدُ مِنَ التَّطَوُّافِ عَلَى اللَّذَاتِ ، وَالتَّجَوُّالِ فِي الْأَطْرَافِ
لِطَلْبِ الْبَطَالَةِ ، وَلَيْسَ مَالُ الْجَمِيعِ مُقْتَرِنًا وَغَنِينًا إِلَّا إِلَى حُفَرٍ ، يَعْنِي بِهَا الْقُبُورَ .
ثُمَّ وَصَفَهَا بِأَنَّهَا جَوْفُ الْأَسَافِلِ لِلْحُودِهَا ، وَأَنَّ أَعْلَاهَا نَصِبَتْ عَلَيْهَا حِجَارَةٌ
عِرَاضٌ كَالسَّقُوفِ لَهَا ، وَهِيَ دَائِمَةٌ عَلَى هَذِهِ أَبَدًا .

وقوله « نَطُوفُ مَا نَطُوفُ » أَي مَدَّةَ تَطَوُّفِنَا . وَيُقَالُ : أَوَى إِلَى
كَذَا أَوْيًّا .

٤٨٥

وقال إياس بن الأرت^(١) :

١ - هَلَمْ خَلِيلِي وَالْغَوَايَةَ قَدْ تُصْنِي هَلَمْ نَحْيَى الْمُنْتَشِينَ مِنَ الشَّرْبِ

٢ - نُسَلِّ مَلَامَاتِ الرِّجَالِ بَرِيَّةً وَنَقْرِ شُرُورِ الْيَوْمِ بِاللَّهْوِ وَاللَّغَبِ

قوله « وَالْغَوَايَةَ قَدْ تُصْنِي » اعْتِرَاضٌ ، وَكَرَّرَ هَلَمْ عَلَى طَرِيقِ التَّنَاكِيدِ .
وَالْفَائِدَةُ فِي هَذَا الِاعْتِرَاضِ تَحْقِيقُ الْقِصَّةِ الْمَدْعُودِ إِلَيْهَا .

(١) سبقت ترجمته في المحاسبة ٣٥٧ من ٢٠٢٨ . التبريزي : « إياس بن الأرت

وللعرب في «هلم» طريقتان : منهم من يُجْزِيه مجرى أسماء الأفعال ، وحينئذ يقع للواحد والجمع والمؤنث والمذكر على حالة واحدة ، والقرآن نزل به ، لأنه قال تعالى ذكره : ﴿ يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۚ وَمِنْهُمْ مَنْ يُجْعِلُ أَصْلَهَا التَّنْيِيهِ ضُمًّا إِلَيْهِ لَمْ ، وهو فَعْلٌ ، جَعَلًا مَعًا كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ ، فيثنيه ويجمعه ويؤنثه . وكان الفراء يقول : هو هَلْ أَمْ تَرْكَبًا مَعًا . وليس إهْلٌ في الكلام إلا موضعان : أحدهما — وهو الأكثر — أن يكون للاستفهام ، ولا معنى للاستفهام هاهنا . والثاني : أن يكون بمعنى قَدْ ، على ذلك فسَّرَ قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ ۚ ۖ وَلَيْسَ لِمَعْنَى قَدْ فِي هَذَا مَدْخَلٌ ۚ . وإذا كان كذلك فما قاله فاسدٌ .

وقوله « والغواية قد تُضَيِّبُ » يريد أن الغيَّ يدعو صاحبه إلى أمورٍ كثيرةٍ مختلفة ، وقد يحمله على الصَّبَا واللَّهْوِ في الوقتِ بعدَ الوقتِ . وطلبَ من صاحبه مساعدته على تَحْيِيَّتِهِ لِلشَّرْبِ ^(١) ، والدُّخُولِ فِي جُمْلَتِهِمْ ، وتَسْلِيَةِ النَّفُوسِ عَنْ مَلَامَاتٍ مَنْ يَدْعُو إِلَى الرَّشَادِ ، وَيَحْمِلُ عَلَى سُلوِكِ طُرُقِ الصَّلَاحِ وَالسَّدَادِ ^(٢) ، بِشَرْبِ رِيَّةٍ ، وهى الكأسُ الممتلئةُ خَمْرًا ، وقَطَعَ وَقْتِ الشَّرِّ والغَمِّ بِاللَّهْوِ واللَّعِبِ . وقوله « نُسَلِّ » فى موضع الجزم ، لأنه جوابُ الأمرِ . و« نَفَرِ » ، معطوف عليه . ويقال : فَرَيْتُ الْأَدِيمَ ، إذا قَطَعْتُهُ عَلَى جِهَةِ الصَّلَاحِ ، وَأَفْرَيْتُهُ إذا قَطَعْتَهُ لِلْفَسَادِ .

٣ — إذا ما تَرَاخَتْ سَاعَةٌ فَاجْعَلْنَهَا نَحِيرَ فَإِنَّ الدَّهْرَ أَغْصَلَ ذُو شَعْبٍ

٤ — فَإِنْ يَكُ خَيْرٌ أَوْ يَكُنْ بَعْضُ رَاحَةٍ فَإِنَّكَ لَا يَمِينُ غُومٍ وَمِنْ كَرْبٍ

قوله : « إذا ما تراخت ساعة فاجعلنها » فى طريقته ما أنشده ابن الأعرابي :

إذا كانَ يَوْمٌ صَالِحٌ فَاقْبَلْنَهُ فَأَنْتَ عَلَى يَوْمِ الشَّقَاوَةِ قَادِرٌ

(١) ل : « تحية الصرب » .

(٢) ل : « الرشاد والسداد » .

وقوله « فَإِنَّ الدَّهْرَ أَعْصَلُ » ، الْعَصَلُ : اعوجاج الأنياب . قال الخليل : ولا يقال أَعْصَلُ إِلَّا لِكُلِّ مَعْوَجٍ فِيهِ صَلَابَةٌ وَكَزَازَةٌ . والمعنى : أَنَّ مَا يَعْصُرُ عَلَيْهِ الدَّهْرُ لَا يُمْكِنُ انْتِزَاعُهُ مِنْهُ ، كما لَا يُمْكِنُ انْتِزَاعُ الشَّيْءِ مِنَ النَّابِ الَّتِي فِيهَا عَصَلٌ . وَالشَّفَبُ : تهيج الشر . ويقال : رَجُلٌ مِشْفَبٌ .

وقوله « فَإِنَّ يَكُ خَيْرٌ أَوْ يَكُنْ بَعْضُ رَاحَةٍ » ، يريد أَنَّ الدَّهْرَ لَا تَصْفُو أحواله مِنَ السَّكْدَرِ ، وَلَا عَطَاياه مِنَ التَّعَبِ وَالْأَذَى ، فَلَا تُعِنُهُ عَلَى نَفْسِكَ ، وَاجْتِهَدُ فِي إِصْلَاحِ مَا يُفْسِدُهُ ، وَإِلْقَاءِ مَا يَشُقُّ مِنْهُ . وقوله « فَإِنَّكَ لَا قِيَّ مِنْ عُجُومٍ » من زائدة على مذهب الْأَخْفَشِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : إِنَّكَ لَا قِيَّ عُجُومًا . وسيبويه لَا يَرَى زِيَادَةَ « مِنْ » فِي الْوَاجِبِ ، فَطَرِيقَتُهُ فِي مِثْلِهِ أَنَّهُ صَفَةُ مُحْذُوفٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : إِنَّكَ لَا قِيَّ مَا شئتَ مِنْ عُجُومٍ .

٤٨٦

وقال آخر :

١ - أُحِبُّ الْأَرْضَ تَسْكُنُهَا سُلَيْمَى وَإِنْ كَانَتْ تَوَارِثُهَا الْجُدُوبُ
٢ - وَمَا دَهْرِي بِحُبِّ تَرَابِ أَرْضٍ وَلَكِنْ مَنْ يَحُلُّ بِهَا حَبِيبُ
يذكر حنينه إلى محلِّ سُلَيْمَى ومكانها ، وميله وإن كَانَ قَفْرًا^(١) مترددًا في الجُدُوبَةِ ، متناهيًا أَقْطَارُهُ فِي الْيُبُوسَةِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ عَزَّ عَلَيْهِ لِكُونِهَا بِهِ ، فَأَمَّا حُبُّ الْأَرْضَيْنِ بِجَرْدَةٍ فَلَيْسَ مِنْ دَابِهِ وَعَادَتِهِ .

وقوله « وَمَا دَهْرِي بِحُبِّ تَرَابِ أَرْضٍ » جعلَ الْحُبَّ لِلدَّهْرِ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ فِي قَوْلِهِمْ : نَهَارُهُ صَائِمٌ ، وَلَيْلُهُ قَائِمٌ . والمعنى : لَيْسَ حُبُّ الْأَرْضَيْنِ مِنِّي بِعَادَةٍ فِي

(١) فِي الْأَصْلِ : « قَفْرًا » ، صَوَابُهُ فِي ل .

دهرى ، وقوله « ولكن من يحل بها حبيب » يشبه قول الآخر :

أَلَا يَا بَيْتُ الْعَلِيَاءِ بَيْتُ وَلَوْ لَا حُبُّ أَهْلِكَ مَا أَتَيْتُ^(١)

يريد أن البيوت في الموضع الذى جئت منه قد كثرت ، ولكنى قصدك لحب أهلك . وقوله « توارثها » أى تتوارثها ، تحذف إحدى التاءين استقلا . وقد مضى مثله .

٣ - أَعَاذِلْ لَوْ شَرِبْتَ الْخَمْرَ حَتَّى يَكُونَ لِكُلِّ أَنْفَلَةٍ دَيْبٌ

٤ - إِذَنْ أَعْذَرْتَنِي وَعَلِمْتَ أَنَّي بِمَا أَتَلَفْتُ مِنْ مَالِي مُصِيبٌ^(٢)

كَأَنَّ عَاذِلَةً أَفْرَطَتْ فِي لَوْمِهِ عَلَى مَا يُدْمِنُهُ مِنَ الشَّرْبِ ، وَيَذْهَبُ فِيهِ مِنْ طُرُقِ اللَّهِو ، فَقَالَ لَهَا : لَوْ شَرِبْتَ الْخَمْرَ فَأَخَذْتُ مِنْكَ ، وَدَبَّتْ فِي عُرْوَقِكَ وَمَفَاصِلِكَ ، وَجَمَعْتَ السَّارَّ لَكَ ، وَكَشَفْتَ أَنْوَاعَ الْغَمِّ عَنْكَ ، لَعَرَفْتَ مِنْ لَذَاتِهَا وَمَنَافِعِهَا ، وَحُدُوثِ الطَّرَبِ وَالْجَذَلِ فِي النُّفُوسِ لَهَا ، وَاسْتِمْتَاعِ الرُّوحِ بِنَشْوَتِهَا وَقَوَاهَا ، مَا يَبْعَثُكَ عَلَى بَسْطِ عُذْرِي فِي الْوَلُوعِ بِهَا ، وَالثَّبَاتِ عَلَى هَوَاهَا ، وَلَعَلِمْتَ أَنَّي رَاكِبُ ثَبَاجِ الصَّوَابِ ، وَغَيْرُ عَادِلٍ عَنِ الْوَاجِبِ فِي إِفْتَاقِ الْمَالِ . وَمَعْنَى « لِمَا أَتَلَفْتُ » أَيْ مِنْ أَجْلِ إِتْلَافِي . وَيُرْوَى : « بِمَا أَتَلَفْتُ » ، وَالْمَعْنَى أَنِّي مُصِيبٌ بِسَبَبِهِ وَمِنْ أَجْلِهِ .

(١) أنشده في اللسان (بيت) شاهداً على أن البيت فيه بمعنى المرأة .

(٢) ل : « لما أتلفت » ، وأشير في هامشها إلى أنها في نسخة « بما أتلفت » .

٤٨٧

وقال أبو صَعْتَرَة البُولَانِي^(١) :

- ١ — فَمَا نُطْفَةِ مِنْ حَبِّ مُزْنٍ تَقَاذَفَتْ به حَسَنُ الْجُودِيِّ وَاللَّيْلُ دَامِسُ^(٢)
 - ٢ — فَلَمَّا أَفْرَنْتُهُ اللَّصَابَ تَنْفَسَتْ شِمَالٌ لِأَعْلَى مَائِهِ فَهُوَ قَارِسُ^(٣)
 - ٣ — بِأُطْيَبِ مَنْ فِيهَا وَمَا ذُقْتُ طَعْمَهُ وَلَسَكِنِّي فِيهَا تَرَى الْعَيْنُ فَارِسُ
- قوله « حَسَنُ الْجُودِيِّ » رواه البرقي : « به حُزْنُ الْجُودِيِّ » ، وكثير من الناس يرويه : « به جَنْبَتَا الْجُودِيِّ » . وقيل في « حَسَنُ الْجُودِيِّ » : إنه قطعة متصلة بالجوودي ، والجوودي : جبل . وقال صاحب العين : حَسَنُ : اسم رمل لبني سعد^(٤) . وذكر البرقي أن الحَزَنَةَ والحَزْنَ من الأرض والدَّوَابَّ : ما فيه خُسُونَةٌ ، والفعل منه حَزَنَ حُزُونَةً ، ورجل حَزَنٌ : شَرِسٌ ، وقومٌ حُزُنٌ^(٥) . ومن روى : « به جَنْبَتَا الْوَادِي » فالمراد به السَّكْنُفُ والنَّاحِيَةُ . وبعضهم استدلل على أن قول النَّاسِ : فَلَانٌ فِي جَنْبَةِ فَلَانٍ ليس بشيء ، وإنما الصواب في جَنْبَةِ فَلَانٍ ، بسكون النون ، استدلالاً بهذا البيت .
- وقد روى الأصمعي :

* وَالنَّاسُ فِي جَنْبٍ وَكُنَّا جَنْبًا *

فيقول : ما ملا اجتماع من حَبِّ مُزْنٍ — وهو البرد ، لأنَّ للمُزْنَ اسمٌ يجمع

(١) سبقت ترجمته في الخامسة ٣٥٩ ص ١٠٣٣ . وهذه المقطوعة من بحر المقطوعة ٣٥٩ وروبوها ، فلعلهما من قصيدة واحدة .

(٢) هذا ما في ل وياقوت (٣ : ٢٧٩) ، وفي الأصل : « جنبنا الجودي » .

(٣) ل : « لأعلى منه » .

(٤) ياقوت : « حسن ها هنا : جمع حسنة ، وهي مجارى الماء » . وضبطت الحسن فيه

بكسر ففتح كما في النسختين هنا ، وضبط في اللسان بفتحين في الجمع والمفرد .

(٥) في اللسان : « الأصمعي : الحزن : الجبال الغلاظ ، الواحدة حزنة — أى بالضم —

مثل صبرة وصبر » .

أنواع السحاب ، فهو كالغيم — ترامت به جوانب هذا الجبل والليل مظلم إلى أن زال رنقه ، وانقطع كدّره . وخبر « ما » قوله « بأطيب » . ثم وصف الماء بأنه لما حصل في القرارات بعد تقطّعه بنضد الحجارة ، وجوانب المذانب والأودية ، فزال عنه أكثر شوبه ، هبت عليه شمال لينة فصفتته وبرّدته . يريد : ما ماء سارية بهذه الصفة بأعذب من رضاب فم هذه المرأة ، ولا أقول هذا عن ذواق واختبار ، ولكن عن صديق فِرَاسة ، واعتبار مُشاهدة . وفي طريقته قول الآخر^(١) :

يا أطيّب الناس ريقاً غير مُختَبَرٍ إلا شهادة أطراف المساويك

واللّصاب : جمع لصب ، وهو شقوق في الجبل . والقارس : البارد . وقوله « فارس » أراد به المتفرّس . ويقال : هو فارس على الخيل بين الفروسة^(٢) ، وإذا كان يتفرّس في الأشياء ويحسن النظر فيها قلت : هو فارس بين الفِرَاسة . والدّامِس : المظلم ، ويقال : دمس ، أى أظلم ؛ وأتيت دمس الظلام .

٤٨٨

وقال الحارث بن خالد المخزومي^(٣) :

١ — إِنِّي وَمَنْحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجَحَارِ تَوَوَّدُهَا الْعُقُلُ

٢ — لَوْ بُدِّلَتْ أَعْلَى مَسَاكِينِهَا سِفْلاً وَأَصْبَحَ سِفْلاًهَا يَغْلُو

(١) هو بشر بن برد . أمالي القالي (١ : ٢٢٨) والأغاني (١٨ : ١٩٢) .

(٢) ل . د . الفروسية ، وهامسيان .

(٣) هو الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن كعب بن لؤي بن غالب : وهو أحد شعراء قريش العدودين الغزليين ، وكان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة لا يتجاوز النزل إلى المديح والهجاء ، وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبب بها ، وولاه عبد الملك بن مروان مكة . الأغاني (١٨ : ٩٧ — ١١١) .

٣ - لَعَرَفْتُ مَعْنَاهَا لِمَا ضَمِنَتْ مِنِّي الضُّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

أَقَسَمَ بِالْقَرَابِينَ الَّتِي يَنْحَرُّهَا الْحَجِيجُ عِنْدَ الْمُحَصَّبِ غَدَاةَ مِنِّي وَهِيَ مَعْقُولَةٌ ،
أَنَّهُ لَوْ غَيَّرْتُ دِيَارُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ عَنْ خِطِّهَا الْمَهُودَةَ ، وَرَسُومَهَا الْمَشْهُورَةَ ، حَتَّى
جُعِلَتْ أَعَالِيهَا أَسَافِلَهَا ، وَأَسَافِلُهَا أَعَالِيهَا لَعَرَفَ مَعْنَاهَا الْمُخْتَصَّ بِهَا ، وَمُثَوَاهَا
الْجَامِعَ لِأَسْبَابِهَا لِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ تَحَايِ ضُلُوعِهِ مِنْ وَدِّ أَهْلِهَا أَيَّامَ مُوَاسَلَتِهَا ^(١) ،
حَتَّى كَانَ لَا يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا . وَمَعْنَى « تَوَدُّهَا » تَقْلِبُهَا . وَجَوَابُ الْيَمِينِ
« لَعَرَفْتُ » . وَالْمَغْنَى : الْمَنْزِل . وَيُقَالُ : غَنِينَا بِمَكَانٍ كَذَا تَغْنَى بِهِ غَنًى .
وَجَوَابُ « لَوْ بَدَّلْتُ » مَا هُوَ جَوَابُ الْقَسَمِ ، وَهُوَ لَعَرَفْتُ .

٤٨٩

آخر ^(٢) :

١ - مَرِيضَاتُ أَوْبَاتِ التَّهَادِي كَأَنَّهَا تَخَافُ عَلَى أَحْسَائِهَا أَنْ تَقْطَعًا ^(٣)

٢ - تَسِيبُ أَنْسِيَابِ الْأَيْمِ أَخْصَرُهُ النَّدَى فَرَفَعَ مِنْ أَعْطَافِهِ مَا تَرَفَعًا ^(٤)

التَّهَادِي : الْمَشَى بَيْنَ اثْنَيْنِ ؛ يُقَالُ : رَأَيْتُهُ يَهَادِي بَيْنَ اثْنَيْنِ وَيَتَهَادَى .
يُصَفُّهَا بِالنَّعْمَةِ وَالرِّقَّةِ وَضَعْفِ الْحَرَكَةِ ، لِثِقَلِ رِدْفِهَا ، وَدِقَّةِ خَصْرِهَا ، وَتُرْفَتِهَا
الْمُتَمَلِّكَةِ لِأَعْضَائِهَا وَحَوَالِهَا ، فَيَقُولُ : إِذَا تَهَادَتْ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، فَعَطَفَاتِ حَرَكَاتِهَا
مَرِيضَةٌ ، وَنَهَضَاتِ انْدِفَاعِهَا بِطِئْثَةٍ ، فَكَأَنَّهَا تَجْذِبُ أَعَالِيهَا أَسَافِلُهَا ، تَخَافُ عَلَى

(١) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « وَدَّ أَهْلُهَا لَهَا وَمُوَاسَلَتِهَا » .

(٢) هُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ ، كَمَا فِي حَاضِرَاتِ الرَّائِبِ (٢ : ١٣٩) . وَالْبَيْتَانِ رَوِيَا

أَيْضًا فِي الْحَيَوَانِ (٤ : ٢٥٩) وَبِمَجْمُوعَةِ الْعَامِيِّ ٢٥٩ .

(٣) الْحَيَوَانِ : « مَرِيضَةٌ أَثْنَاءَ التَّهَادِي كَأَنَّهَا » .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « مِنْ أَعْطَافِهَا » ، صَوَابُهُ فِي ل وَالتَّبْرِيزِيِّ وَسَائِرِ الْمُرَاجِعِ ، لَكِنْ فِي

الْحَيَوَانِ : « يَرْفَعُ مِنْ أَعْطَافِهِ » .

خصرها التَّقَطُّعَ إِنْ تَبَسَّطَتْ فِي الْمَشْيِ ، أَوْ تَسَرَّعَتْ فِي الْقَصْدِ .
 وقوله « تَسِيبَ انْسِيَابَ الْآيْنِ » فَلَا يُنْ : الْجَانُّ مِنَ الْحَيَّاتِ . وَيُرْوَى
 « الْإِيمِ » أَيْضًا ، وَهِيَ الْحَيَّةُ . وَالْحَيَّةُ لَا تَصْبِرُ عَلَى الْبَرْدِ ، لِأَنَّهُ إِذَا أَثَرُ فِيهَا
 يَبْسُ جَرْمُهَا فَتَكْسِرَتْ . فَيَقُولُ : هِيَ تَنْسَابُ أَيْ تَتَدَفَّعُ فِي مَشْيِهَا تَدَفُّعَ الْحَيَّةِ
 وَقَدْ أَثَرُ فِيهَا النَّدَى فَخَصِرَتْ وَأَخَذَتْ مِنْ جَرْمِهَا وَأَعْطَاهَا مَا أَطَاعَهَا وَأَمَكْنَهَا .
 كَأَنَّ الْحَيَّةَ وَقَدْ خَصِرَتْ شَقَّ عَلَيْهَا مَا يَنَالُهَا مِنْ خَصَرِ النَّدَى وَبَرْدِهِ ، فَهِيَ فِي
 انْسِيَابِهَا تَجَافِي^(١) عَنْ الْأَرْضِ جُهْدَهَا . وَيُقَالُ : سَابَ وَانْسَابَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .
 وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَلَا سَابِيَةَ ﴾ . قَالَ الدَّرِيدِيُّ : سَابَ الْمَاءُ ، إِذَا جَرَى .

٤٩٠

آخر :

- ١ - أَبَتْ الرِّوَادِفُ وَالنَّدَى لِقَمَصِهَا مَسَّ الْبُطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورًا^(٢)
 - ٢ - وَإِذَا الرِّيَّاحُ مَعَ الْعَشَى تَنَاوَحَتْ نَبْهَنَ حَاسِدَةً وَهَجْنَنَ غَيُورًا
- لَفَّ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ الْخَبْرَيْنِ لَفًّا ، ثُمَّ رَمَى بِتَفْسِيرِهَا جَمَلَةً ، ثَقَّةً بِأَنَّ السَّامِعَ
 لِكَلَامِهِ يَرُدُّ إِلَى كُلِّ مَالَةٍ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ قَالَ « أَبَتْ الرِّوَادِفُ وَالنَّدَى
 لِقَمَصِهَا » ، فَجُمِعَ بَيْنَ مَا يَكُونُ خَلْفًا وَقُدَّامًا مِنَ الرَّدْفِ وَالنَّدَى . وَهُوَ يَرِيدُ
 أَنْ يَصِفَهَا بِأَنَّهَا نَاهِدَةُ الثَّدْيَيْنِ ، دَقِيقَةُ الْخَصْرِ ، لَطِيفَةُ الْبَطْنِ ، وَأَنَّهَا عَظِيمَةُ
 الْكَفْلِ وَالرَّدْفِ ، فَالْثَّدَى تَمْنَعُ الْقَمَصَ أَنْ تَلْتَصِقَ بِبَطْنِهَا ، وَالرَّدْفُ يَمْنَعُهَا أَنْ
 تَلْتَصِقَ بِظَهْرِهَا ، فَبَيَّنَ فِي التَّفْسِيرِ فِي عَجْزِ الْبَيْتِ مَا لَفَّ فِي صَدْرِهِ كَمَا تَرَى .
- وقوله « وَإِذَا الرِّيَّاحُ مَعَ الْعَشَى تَنَاوَحَتْ » ، يَرِيدُ : وَإِذَا دَنَتْ الْأَصْلُ

(١) ل : « تَجَافَى » .

(٢) الْبَيْتَانِ فِي أَمَالِي الْقَالِي (١ : ٢٣) .

وهبت رياحُ الصيف ، فتقابلت ريحانِ كالشمال والجنوب ، أو الصبا والدبور ،
وابتردت هذه ، التصقَ من درعها ببطنها وظهرها ما كان يمنعه ثديها وردفها
قبل هبوبها ، وظهر من محاسنها ما ينبئ الحاسد ويهيج الغيور ، لأن ما خفي
منها ظهر للعيون والمناظر ، فالغيور يكره ، والحاسد يتنبه . وقوله « وأن تمس »
جاز انعطافه على « مس البطون » لكون العامل والمعمول فيه في موضعه ومعناه .
والبطون في موضع المفعول ، لأن المصدر يُضاف إلى المفعول كما يُضاف إلى الفاعل .
والبطون مع لفظ مس ، كظهوراً مع أن تمس .

٤٩١

وقال بكر بن النطاح^(١) :

- ١ — يفضاء تسحب من قيام فرعها وتغيب فيه وهو وخف أسحم
 - ٢ — فكأنها فيه نهار ساطع وكأنه ليل عليها مظلم
- وصف شعرها بالطول ، وكثرة الأصول ، فإذا قامت سحبته ، وإذا أرسلته

(١) شاعر حنفي من بني حنيفة بن لجيم ، أو عجلي من عجل بن لجيم وهما أخوان . وكان
بكر بن النطاح صعلوكاً يصيب الطريق ثم أقصر عن ذلك ، فجعله أبو ذؤلف من الجنيد وجعل له
رزقاً سلطانياً ، وكان شجاعاً بطلاً فارساً ، شاعراً حسن الشعر والتصرف فيه ، كثير الوصف
لنفسه بالشجاعة والإقدام ، وكان الرشيد قد غضب عليه فاخفى ، ولم يظهر حتى مات الرشيد ،
فلما مات ظهر . وهو القائل :

أكذب طرفي عنك في كل ما أرى وأسمع أذن منك ما ليس تسمع
فلا كبدى تبلى ولا بك رحمة ولا عنك إقصار ولا فيك مطعم
وهو مما غنى به قديماً وحديثاً . غنته في عصرنا « أم كلثوم » . والقائل في غلام
نصراني كان يحسن به :

يا من إذا درس الإنجيل ظل له قلب التقي عن القرآن منصرفاً
إني رأيتك في نومي تعانقي كما تعانق لام الكتاب الألفا
الأغاني (١٧ : ١٥٣ — ١٦١) .

سَتَرَهَا فَتَغْيِبُ فِيهِ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ شَدِيدُ السَّوَادِ ، مُسْتَرَسِلٌ فِي جُمُودِهِ ، وَارِدٌ فِي جُثُولِهِ ، فَكَأَنَّمَا لَشِدَّةُ بَيَاضِهَا إِذَا تَغَشَّاهَا ، نَهَارٌ يَسْطَعُ مِنْ خَلَلِ الظَّلَامِ ، وَكَأَنَّ شَعْرَهَا لَشِدَّةُ سَوَادِهِ عَلَيْهَا ، لَيْلٌ مُظْلِمٌ تَغَشَّى بَيَاضَ نَهَارِهِ ^(١) .

٤٩٢

آخر :

- ١ - تَأَمَّلْتُهَا مُعْتَرَّةً فَكَأَنَّمَا رَأَيْتُ بِهَا مِنْ سُنَّةِ الْبَدْرِ مَطْلَعًا
 - ٢ - إِذَا مَا مَلَأْتُ الْعَيْنَ مِنْهَا مَلَأْتُهَا مِنَ الدَّمْعِ حَتَّى أُنْزِفَ الدَّمْعَ أَجْمَعًا
- يقول : نظرتُ إليها على غِرَّةٍ منها اختلستُها ، وغفلةٍ ترصدْتُها ، فكأنني رأيتُ بها بدرًا طالعا . وسُنَّةُ البدر ، أَرَادَ وَجْهَهُ . ويقال : اغْتَرَّ فلانٌ ، إِذَا فُوجِيَ عَنْ غِرَّةٍ .

وقوله « إِذَا مَا مَلَأْتُ الْعَيْنَ مِنْهَا مَلَأْتُهَا مِنَ الدَّمْعِ » يقول : إِذَا تَزَوَّدْتُ عَيْنِي مِنْ حُسْنِهَا فَفَنظَرْتُ فِي أُعْطَافِهَا ، اِمْتَلَأْتُ مُتَحَيِّرَةً مِنْ جَاهِلِهَا ، كَمَا يَتَحَيَّرُ ظَرْفُ الْمَاءِ إِذَا اِمْتَلَأَ مِنْهُ . وَإِنَّمَا قَالَ « مَلَأْتُهَا مِنَ الدَّمْعِ » لِأَنَّهُ كَانَ يَنْقُطِعُ ^(٢) وَصَلَ تَحْمُلُهُ ، وَتَنْحَلُّ ^(٣) عَقْدَ تَجَلُّدِهِ ، وَجَدَّابِهَا ، وَتَحَشَّرَ فِيهَا . وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ نَظْرَهُ لَمْ يَكُنْ عَنْ اتِّفَاقٍ أَنَّهُ قَالَ : تَأَمَّلْتُهَا مُعْتَرَّةً . وَمَعْنَى « أُنْزِفَ الدَّمْعَ » أَفْنِيهِ كُلَّهُ . يَقَالُ : نَزَفْتُ الْمَاءَ وَأَنْزَفْتُهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل « يغشى » .

(٢) ل : « ينقطع » .

(٣) ل : « يتحلل » .

٤٩٣

وقال كثير^(١):

- ١ - وَدِدْتُ وَمَا تُغْنِي الْوِدَادَةُ أَنْتَى بِمَا فِي ضَمِيرِ الْحَاجِبِيَّةِ عَالِمٌ
٢ - فَإِنْ كَانَ خَيْرًا سَرَّيْنِي وَعَلِمْتُهُ وَإِنْ كَانَ شَرًّا لَمْ تَلْغُنِي اللَّوَاثِمُ

يقول: تَمَنَّيْتُ أَنْتَى عَالِمٌ بِمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ قَلْبُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ لِي، وَمَا يَنْفَعُ التَّمَنَّى إِذَا لَمْ يُسَاعِدِ الْقَدَرُ. وَقَوْلُهُ « وَمَا يَغْنِي الْوِدَادَةُ » اعْتِرَاضٌ بَيْنَ وَدِدْتُ وَمَفْعُولُهُ، وَهُوَ أَنْتَى. وَيُقَالُ: وَدِدْتُ وَدَادَةً وَوِدَادَةً، بَفَتْحِ الْوَاوِ وَكسرها. وَقَوْلُهُ « فَإِنْ كَانَ خَيْرًا » يَرِيدُ: فَإِنْ كَانَ مَا تَضَمَّرَهُ لِي وَدًّا صَافِيًّا، وَمِيلًا نَاصِعًا^(٢) سَرَّيْنِي ذَلِكَ وَسَكَنْتُ إِلَيْهِ، فَلَا يَذْهَبُ مَا أَتَكَلَّفَهُ فِي هَوَاهَا بِاطِلَاءٍ، وَإِنْ كَانَ مَا تَضَمَّرَهُ وَتَنْطَوِي عَلَيْهِ اعْتِرَاضًا خَالِصًا، وَجَفَاءً مُرًّا، قَتَلْتُ نَفْسِي وَأَرْحَتُهَا مِنْ لَوَمِ اللَّائِمَاتِ. وَقَوْلُهُ « وَعَلِمْتُهُ » اكْتَفَى بِمَفْعُولِ وَاحِدٍ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى عَرَفْتُهُ.

- ٣ - وَمَا ذَكَرْتُكَ النَّفْسُ إِلَّا تَفَرَّقْتُ فَرِيقَيْنِ مِنْهَا عَازِرٌ لِي وَلَائِمٌ^(٣)
يقول: مَا أَخْطَرْتُهَا بِبَالِي عَلَى مَا أَقَاسَى فِيهَا، وَيُؤَافِيْنِي مِنْ أَطْرَاحِهَا وَزُهْدِهَا

(١) هو كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الخزاعي، صاحب عزة، وأحد غول شعراء الإسلام. وكان غالباً في التشيع معروفاً بالحق، وكان من أتبه الناس وأذهبهم بنفسه. وكان السور بن عبد الملك يقول فيه: « ماضٍ من يروى شعر كثير وجيل ألا تكون عنده مقنيتان مطربتان ». توفي كثير سنة ١٠٥. الأغاني (٨: ٢٥ - ٤٢) والشعراء ٤٨٠ - ٤٩٩ وابن سلام ١٢١ - ١٢٥ والاشتقاق ٢٨٠ والمؤتلف ١٦٩ والمرزبان ٣٥٠، والخزانة (٢: ٣٧٦ - ٣٨٣) وابن خلكان، ومعاهد التنصيص.

(٢) هذا قول. وفي الأصل: « نافعاً ».

(٣) بعده عند التبريزي:

فريقُ أُنْبَأَنْ يَقْبَلُ الضَّيْمَ عَنُوءَ وَآخِرُ مِنْهَا قَابِلُ الضَّيْمِ رَاغِمُ

إِلَّا تَفَرَّقَتْ نَفْسِي فَرِيقَيْنِ : ففريقٌ يَعِذِرُنِي وَيَقُولُ : إِنَّ مِثْلَهَا فِي كَالِهَا وَظَرْفِهَا وَحَسَبِهَا وَمَنْصَبِهَا ، وَشَرَفِهَا وَسَرَوْهَا ، يَصْبِرُ عَلَى كُلِّ أَذَى يَعْصِرُ فِي اكْتِسَابِهَا وَيُعْتَلِقُ عَلَى جَمِيعِ عِلَالَتِهَا ، احْتِفَالًا بِاسْمِهَا فِي الْعُشَاقِ ، وَتَسْكُنًا بِمَكَانِهَا بَيْنَ ذَوِي الْأَهْوَاءِ . وفريقٌ يَلُومُنِي وَيَقُولُ : إِنَّكَ جَاهِلٌ بِمَالِكَ وَعَلَيْكَ ، مَبْتَدِلُ الرُّوحِ فِي هَوَى مِنْ لَا يُشْفِقُ عَلَيْكَ وَلَا يَرْفُقُ بِكَ ، وَلَا يَرْجِعُ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا تُوْثِرُهُ ، وَإِنْ اِمْتَدَّ مَدَى ذَهَابِهَا عَنْكَ . وَهَذَا قَالَهُ عَلَى عَادَةِ النَّاسِ فِيمَا يَهْمُؤُنَ ، وَتَرَدُّدِهِمْ بَيْنَ مَا يَقْوَى الْعَزَمَ عَلَيْهِ وَبَيْنَ مَا يَضَعِفُهُ ، فَجَعَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا كَأَنَّهُ نَفْسٌ عَلَى حَيَالِهَا .

٤٩٤

وَقَالَ أَيْضًا :

- ١ — وَأَنْتِ الَّتِي حَبَبْتَ شَفْبًا إِلَى بَدَا إِلَى وَأَوْطَانِي بِلَادَ سِوَاهَا^(١)
 - ٢ — وَحَلَّتْ بِهَذَا حَلَّةً نَمِ أَصْبَحَتْ بِهَذَا فَطَابَ الْوَادِيَانِ كَلَاهُمَا
- خَاطَبَتْهَا فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مُعْتَدًّا عَلَيْهَا بِأَنَّهُ كَمَا آثَرَهَا عَلَى أَهْلِ وَعَشِيرَتِهِ ، آثَرَ بِلَادَهَا عَلَى بِلَادِهِ ، فَذَكَرَ [طَرَفِي مَحَالَّهَا فَقَالَ : أَحِبُّ لَكَ وَفِيكَ شَفْبًا إِلَى بَدَا ، وَبِلَادِي^(٢)] بِلَادَ غَيْرِهَا . ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْهَا فِي الْبَيْتِ الثَّانِي فَقَالَ : وَنَزَلْتُ بِهَذَا — يَشِيرُ إِلَى شَفْبٍ — نَزَلَةً ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ بِبَدَا ، فَفَاحَ الْوَادِيَانِ وَتَضَوَّعَا بِرِيَّاهَا . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

(١) بعده عند التبريزي :

إِذَا ذَرَفَتْ عَيْنَايَ أَعْتَلُّ بِالْقَدَى وَعَزَّةٌ لَوْ يَدْرِي الطَّيِّبُ قَذَاهَا

(٢) التكملة من ل .

استودعت نشرها الرياضَ فما تزدادُ إلّا طيباً على القدمِ
ومثله أيضاً :

تَصَوَّرَ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةٍ خَفِرَاتٍ^(١)

٤٩٥

وقال نصيب^(٢) :

١ — لقد هتفتُ في جنحِ ليلٍ حَمَامَةً على قَنَ وَهْنًا وإِنِّي لَنَائِمٌ^(٣)

٢ — كَذِبْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ لَوْ كُنْتُ عَاشِقًا لَمَّا سَبَقْتَنِي بِالْبُكَاةِ الْحَامِئِ

هتفتُ : صاحت . في جنحِ الليل^(٤) ، أى فيما مالَ من الليل . والفَن : الغُصْن . وهنًا : بعد ساعةٍ من الليل . يقول : جددتُ لى حمامةً بتغريدِها وجدًا

(١) البيت لعبد الله بن نمير الثقفي ، كما في اللسان (ضوع) وإصلاح للنطق ٢٨٧ .

ويروى : « عطرآت » .

(٢) هو نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان ، كان شاعراً خلا مقسداً في النسب والمدح ، ونصيب هذا هو نصيب الأكبر ، القائل في عبد العزيز :

لعبد العزيز على قومه وغيرهم نعم غامر

وأما نصيب الأصغر فهو شاعر عباسي مولى المهدي ، اشتراه في حياة المنصور ، فلما سمع

شعره قال : والله ما هو بدون نصيب مولى بني مروان . فأعتقه وزوجه أمة له يقال لها جعفره ،

وكناه أبا المجنأ ، وأقطعه ضيعة بالسواد ، وعمر بعده . الأغاني (١ : ١٢٥ — ١٤٥)

و ٢٠ : ٢٥ — ٣٤) وابن سلام ١٤١ وياقوت (٧ : ٢١٢ — ٢١٦) والعيني (١ :

٥٣٧ — ٥٣٨) والشعراء ٣٧١ — ٣٧٤ .

(٣) بين هذا البيت وناليه في ديوان الحماسة بشرح الشيخ الدلقوني :

فقلت اعتذاراً عندَ ذاكَ وإِنِّي لنفسِي مما قد رَأَتْهُ لِلأُنْمِ

أَزْعُمُ أَنِّي هَائِمٌ ذُو صَبَابَةٍ بِسُعْدَى وَلَا أَبْكِي وَتَبْكِي الْحَامِئُ

وهذان البيتان لم يروهما التبريزي ولا المرزوقي ، فهما ليسا من صلب الحماسة ، على أن بيتي

الحماسة هذين نسباً في الأغاني (٢ : ٨) إلى المجنون ، ورواية أولهما :

لقد غردت في جنحِ ليلِ حمامة على لافها تبكي وإنِّي لنائم

(٤) الجنح بالضم والكسر ، وقد ضبط في النسختين والتبريزي بالكسر فقط .

وصباية ، وهي على غصنٍ فيما مالَ من الليل ، وإني لساكنٌ نائمٌ ، ولو كنتُ عاشقاً وحقَّ بيتُ اللهَ لَمَّا سَبَقْتَنِي الحائمُ بالبكاء ، لكنني كاذبٌ في دعواي متزيدٌ . وهذا كلامٌ مستقصٍ فيما هو عليه ، مستزيدٌ لنفسه فيما يُجرى إليه ، يصورها بصورة التسميع بما ليس فيه . وهذه الطريقة زائدةٌ على طريقة الملقّد بالهوى . وقوله « لَمَّا سَبَقْتَنِي » ، على عادتهم فيما يعتقدون من شجور الحمام . لذلك قال أبو تمام :

لا تُشَجِّنَ لها فإنَّ بكاءها صَحِيحٌ وإنَّ بُكاءَكَ استغرامٌ
وسلكَ مسلكَ نُصَيْبٍ عدى بنُ الرُّقاعِ فيما أُظُنُّ فقال :

فلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بِكَيْتُ صبايةً بِلُبْنَى شَفَيْتُ النفسَ قَبْلَ التَّنْدَمِ^(١)
ولكنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَاجَ لِي الْبُكَاءُ بُكَاهَا فَقُلْتُ الْفَضْلُ لِلْمَتَقَدِّمِ
وقوله « لَمَّا سَبَقْتَنِي بالبكاء الحائم » اشتملَ على جوابِ البمين ، وعلى جوابِ لو .

٤٩٦

وقال الشماطيطة الغطفاني^(٢) :

١ — أَرَارَ اللهَ تُحْكُ في السَّلامَى إِلَى مَنْ بِالْحَنِينِ تَشَوَّقِينَا^(٣)

(١) في الكامل ٥٠٤ ليسك : « بسعدى شفيت » .

(٢) ذكر في الأغاني (٢ : ٨٦) أن « شماطيطة » كان معاصراً لابن ميادة . وأنشد له في الأغاني واللسان (شبط) :

أنا شماطيطة الذي حدثت به متى أَنبه للغداء أَنبه

حتى يقال شره ولست به

وهذه الحماسية جاءت عند التبريزي غير منسوبة ، ونص إنشاده : « وقال آخر » .

(٣) التبريزي :

أَرَارَ اللهَ تَحِيكَ في السَّلامَى على من بالحنين تعولينا

٢ — فَإِنِّي مِثْلُ مَا تَجِدِينَ وَجَدِي وَلَكِنِّي أُسِرُّ وَتُعْلِنِينَا

٣ — وَبَنِي مِثْلُ الَّذِي بَكَ غَيْرَ أَنِّي أَجَلُّ عَنِ الْعِقَالِ وَتُعْقِلِينَا

قوله : « أَرَارَ اللَّهُ » يخاطب نافته ووجدتها نحن فقال داعياً عليها : جعلَ اللهُ مِثْلَكَ رِيراً . والرَّيرُ : الرقيق من المِخ . والقَصْدُ في الدُّعاء إلى أن يجعلها اللهُ نِضْواً مهزولاً ، وَخَصَّ السَّلامِي لأنها والعين آخر ما يبقى فيه المِخ عند الهُزال . لذلك قال الشَّاعر ^(١) :

لَا يَشْتَكِينُ أَلَمًا مَا أَنْقَيْنَ مَا دَامَ مُخٌّ فِي السَّلامِي أَوْ عَيْنٌ
وقوله : « إِلَى مَنْ بِالْحَنِينِ تَشَوَّقِينَا » ، يجوز أن يكون إنكاراً منه على النَّاقَةِ في حنينها ، ويجوز أن يريدَ تَفْخِيمَ شَأْنِ المِشْتَاقِ إليه ، كأنه قال : تَشَوَّقِينِي بِحَنِينِكَ إِلَى إِنْسَانٍ وَأَيُّ إِنْسَانٍ ، ويكون « مَنْ » اسماً نَكْرَةً ، ويكون الكلام خَبَرًا ، وفي الأوَّل يكون استفهاماً . وإِنَّمَا أَنْكَرَ ضَجْرَ آبِهَا ، لَأَنَّهُ لَمْ يَذَرِ أَحْنِيهَا إِلَى وَلَدٍ أَوْ وَطَنٍ أَوْ صَاحِبٍ .

وقوله : « فَإِنِّي مِثْلُ مَا تَجِدِينَ » يجوز أن يكون « وَجَدِي » في موضع النَّصْب ، على أن يكون بدلاً من المضمَر في إتي ، ويكون مِثْلُ في موضع خبر إِنْ ، فكأنه قال : إِنْ وَجَدِي مِثْلُ مَا تَجِدِينَ ، ويجوز أن يكون وَجَدِي في موضع الرَّفْع على الابتداء ، ومِثْلُ خَبَرٌ له مقدَّم ، والجملة في موضع خبر إِنْ ، كأنه قال : إِنِّي وَجَدِي مِثْلُ مَا تَجِدِينَ .

وقوله : « وَلَكِنِّي أُسِرُّ وَتُعْلِنِينَا » يريد أن عقلي يُمَسِكُنِي ، وإن كان وَجَدِي مِثْلُ وَجَدِكَ وَبَرَحِي مِثْلُ بَرَحِكَ ، عَنْ إِظْهَارِ التَّأَلُّمِ ، وفي القلب ما فيه ، وَأَنْتِ تُعْلِنِينَ وَتَصِيحِينَ .

وقوله : « وَبَنِي مِثْلُ الَّذِي بَكَ » يقول : إِنْ نَزَاعِي مِثْلُ نِزَاعِكَ ، وَلَكِنِّي

(١) هو الراجز أبو ميمون النضر بن سلمة ، كافي اللسان (نق) . والرجز في صفة خيل .

يُؤْمَنُ مِنِّي أَن أَهِيَمَ عَلَى وَجْهِ ، إِذْ كُنْتُ أَضْبِطُ نَفْسِي بِمَا أُعْطِيتُ مِنْ تَمْيِيزِي
وِإِبْقَائِي ، وَأَنْتَ تُعْقِلِينَ مَخَافَةَ أَنْ تَنْدِي عَلَى وَجْهِكَ ، إِذْ لَا مُسَكَّةَ بِكَ ، وَلَا
رِقَبَةَ لَكَ ، وَلَا حَيَاءَ يَرُدُّكَ ، وَلَا رِعَةً تُنْمِسُكَ .

٤٩٧

وقال ^(١) :

١ - وَلَمَّا أَبَى إِلَّا جَاحَا فَوَادُهُ وَلَمْ يَسْلُ عَنْ لَيْلَى بِمَالٍ وَلَا أَهْلٍ
٢ - تَسَلَّى بِأُخْرَى غَيْرِهَا فَإِذَا الَّتِي تَسَلَّى بِهَا تُغْرِي بَلْبِي وَلَا تُسْلِي
يقول : لَمَّا عَصَى قَلْبُهُ وَتَأَبَّى إِلَّا جَاحَا فِي لَجَاجَتِهِ ، وَخُرُوجًا عَنْ طَاعَتِهِ ،
وَلَمْ تَنْصَرَفْ نَفْسُهُ عَنْ لَيْلَى شُغْلًا بِتَمْيِيرِ مَالٍ ، وَتَرْقِيعِ عَيْشٍ ، وَلَا بِإِرْضَاءِ أَهْلٍ
وَإِسْتِصْلَاحِ عَشِيرَةٍ ، أَخَذَ يَطْلُبُ الشَّلْوَ عَنْهَا فِي مُوَاصَلَةٍ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ وَشُغْلٍ
الْقَلْبِ بِحُبِّهَا دُونِهَا ، فَإِذَا الَّتِي طَلَبَ التَّسْلَى بِهَا تَبَعْتُ عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى لَيْلَى ،
وَتَحْضُّ عَلَى تَرْكِ الْإِثَارِ عَلَيْهَا ، لِأَنَّهُ يَظْهَرُ مِنْ زِيَادَاتِ مُحَاسِنِهَا ، وَأَنْوَاعِ مَا تَوَحَّدَتْ
بِهِ مِنْ فَضَائِلِهَا ، مَا يَدْعُو إِلَى التَّشَبُّثِ بِهَا ، وَعِمَارَةِ هَوَاهَا . وَجَوَابَ لَمَّا أَبَى
« تَسَلَّى » . وَالْجَلَّاحُ مِنْ قَوْلِهِمْ : جَمَعَ الْفَرَسُ ، إِذَا جَرَى جَرِيًّا غَالِبًا لِرَاكِبِهِ .
وَقَوْلُهُ « فَإِذَا الَّتِي تَسَلَّى بِهَا » إِذَا هِيَ هَذِهِ الَّتِي لِلْمَفَاجَأَةِ ، وَمِنْ الظُّرُوفِ الْمُسْكَاةِ
لَا الزَّمَانِيَةِ ، وَمَا بَعْدَهُ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُجْعَلْ مُسْتَقَرًّا .

٤٩٨

آخر ^(٢) :

١ - عَجِبْتُ لُبُّنِي مِنْكَ يَا عَزَّ بَعْدَ مَا عَمِرْتُ زَمَانًا مِنْكَ غَيْرَ صَحِيحٍ

(١) التبريزي : « وقال آخر » .

(٢) التبريزي : « وقال آخر ، وهو كثير » .

٢- فَإِنْ كَانَ بُرِّمَ النَّفْسِ لِي مِنْكَ رَاحَةٌ فَقَدْ بَرَّئْتُ إِنْ كَانَ ذَلِكَ مُرِيحِي
 ٣- تَجَلَّى غِطَاءُ الرَّأْسِ عَنِّي وَلَمْ يَكُنْ غِطَاءُ فَوَادِي يَنْجَلِي لِسَرِيحِ
 يقول : قضيتُ العجبَ من انصراف قلبي عنك ، و بُرِّئُ من الدَّاءِ فيك ،
 بعد ما بقيت زماناً مبتلى النفس في هوائك ، عليل القلب بوجدك ، مُبرِّحاً بي
 حُبِّكَ ؛ فَإِنْ كَانَ بَرِّمَ النَّفْسِ يُعْقِبُ لِي رَاحَةً مِنْكَ وَفِي هَوَاكَ فَقَدْ بَرَّئْتُ وَالرَّاحَةُ
 مُنْتَظَرَةٌ ، إِنْ كَانَتْ مِنْ نَتَائِجِهِ وَمُسْتَبَاتِهِ . ثم قال « تَجَلَّى غِطَاءُ الرَّأْسِ » يريد
 شَبْتُ واستبدلتُ بلون رأسي وسواد شعري لوناً آخرَ حديثاً ، فكانَ المُتَقَدِّمُ
 كان كالغطاء على رأسي ، تكشفَ بالتَّائِي^(١) ، ولم يَكُنْ ما تَغَشَّى قلبي من حُبِّكَ
 يَنكشفُ بالهُوَينِي .

فإن قيل : في ظاهر هذا الكلام تناقضٌ ، لأنَّ القائل إذا قال كِدْتُ أَفْعُلُ
 كذا معناه شافهتُ فِعْلَهُ وشارفتُهُ ، ولا يكون قد فَعَلَهُ ؛ وإذا قال : لم يَكُنْ فُلَانٌ
 يفعلُ كذا ، معناه يَقْرُبُ وَقَوْعُ ذَلِكَ مِنْهُ . فإذا كان كذلك فقد نَفَى عَنْ نَفْسِهِ مَا
 أَثْبَتَهُ بقوله « تَجَلَّى غِطَاءُ الرَّأْسِ » ، لقوله : ولم يَكُنْ غِطَاءُ فَوَادِي يَنْجَلِي لِسَرِيحِ ؟
 قلت : لو أمسك عند قوله « ولم يَكُنْ غِطَاءُ فَوَادِي يَنْجَلِي » لكان الأمرُ على
 ما قلت ، لكنَّه لما قال « لِسَرِيحِ » بَيَّنَّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَنْ سَهْوَةٍ وَبَعْجَلَةٍ ، وَقَلَّةِ
 نَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ ، فَتَنَفَّيْهِ فِي الْحَقِيقَةِ لِقَلَّةِ التَّعَبِ وَالسَّهْوَةِ لَا لِلانْجِلَاءِ ، وإذا كان
 كذلك يَكُونُ الْغِطَاءُ قَدْ انْجَلَى عَنِ الْقَلْبِ ، لكنَّه انْجَلَى بَعْدَ طَوَّلٍ مَزَاوَلَةٍ
 نَصَبٍ ، وَمَقَاسَاةٍ كَمَدٍ ، وَعَنْ شِدَّةِ تَفَاقُمٍ ، وَبَلَاءٍ مُلَازِمٍ . ويقال في الدُّعَاءِ
 لِلرَّأَةِ إِذَا طُلِقَتْ عِنْدَ الْوِلَادَةِ : اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ سَهْلًا سَرَّحًا . فَالسَّرَاحُ وَالتَّسْرِيحُ
 وَالتَّسْرِيحُ كُلُّهَا فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ السَّهْوَةُ وَالْعَجَلَةُ . ويقال : سَرَّحَهُ اللَّهُ

تعالى للخير، أى وقفه له وعجّله . وفى المثل : « السراح من الذجاج » .

٤٩٩

وقال عروة بن أذينة^(١) :

١- إِنْفَانِ يَعْنِيهِمَا لِلْبَيْنِ فُرْقَتَهُ وَلَا يَمْلَأَنَّ طُولَ الدَّهْرِ مَا اجْتَمَعَا^(٢)

٢- مُسْتَقْبِلَانِ نَشَاصًا مِنْ شَبَابِهِمَا إِذَا دَعَا دَعْوَةَ دَاعِي الْهَوَى سَمِعَا

٣- لَا يُعْجَبَانِ بِقَوْلِ النَّاسِ عَنْ عُرْضٍ وَيُعْجَبَانِ بِمَا قَالَا وَمَا صَنَعَا

البين يقع على وجوه : أحدها أن يكون مصدر بان يبين بيننا وبينونة .
والثانى أن يكون ظرفاً ، تقول : بين القوم كذا ، وهو لشئئين يتباين أحدهما عن الآخر فصاعداً . والثالث أن يفيد معنى الوصل ، على ذلك قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ . ألا ترى أن معناه تَقَطَّعَ وَصْلُكُمْ ، ولا يصح أن يكون المراد تَقَطَّعَ افتراقكم ، لفساد المعنى . وعلى هذا قولهم : سعى فلان لإصلاح ذات البين من عشرته ، لأن المراد إصلاح الوصل لا الافتراق . والذى فى البيت هو الثالث ، لأن المعنى : هما متحابان قد ألف كل منهما صاحبه ، والذى يهتُمهما ويعنِيهما للوصل ما يَحْتَشَى تعقبه له من الفرقة ، فخوفهما منها وفكرهما فيها ، ولا يكتسبان

(١) هو عروة بن أذينة — وأذينة لقب لأبيه واسمه يحيى — بن مالك بن الحارث بن عمرو بن عبد الله الليثى الكنانى ، فقيه محدث ، وشاعر غزل مقدم من شعراء أهل المدينة ، روى عنه مالك بن أنس وعبيد الله بن عمر العدوى ، وكان يمدح وقد على هشام بن عبد الملك ، ووقفت عليه سكينه بنت الحسين ومعهما جوارها فقالت له : أنت القاتل كذا وكذا ، وأنشدت أبياتاً من النسيب فقال لها : نعم . فالتفت إلى جواربها وقالت : هن حرائر إن كان خرج هذا من قلب سليم قط . الأغاني (٢١ : ١٠٥ - ١١١) ، وابن خلكان فى ترجمة سكينه بنت الحسين ، والمؤتلف ٥٤ والشعراء ٥٦٠ - ٥٦٦ .

(٢) التبريزى : « تعنِيهما » .

مَلَاً من اتصال الاجتماع طُول الدهر . [فقلوه « طُول الدهر » يجوز أن يكون مفعول يملآن ، أى لا يملآن تطاول الوقت إذا اجتمعا ، ومدة اجتماعهما . ويجوز أن يكون طول الدهر ظرفاً ، وما اجتمعا مفعول يملآن ، أى لا يملآن الاجتماع طول الدهر ^(١)] . وقوله « مستقبِلان نَشَاصاً » فالنَّشَاصُ أصله السَّحاب إذا ارتفع من قَبْلِ العَيْنِ حين ^(٢) ينشأ ويعلو ، فاستعير هنا لما يُقْتَبَلُ من الشَّباب وأيام الصِّبَا واللَّهْو . كأنه يطرهما النَّشَاطُ والشُّرُور كما يطر السَّحابُ الغَيْثَ . وجعل ذلك فيهما بحيث يسمعان قريباً دُعَاء مُنَادِي اللّٰهُو ويحييانه ؛ لأنَّ الوقت وقت التَّصَابِي والبَطَالَةِ . وإلى هذا أشار أبو نَُوَاس في قوله :

قَدْ عَذَّبَ الْحُبُّ هَذَا الْقَلْبَ مَا صَلَحَا فَلَا تَعْدُنْ ذَنْباً أَنْ يُقَالَ صَحَا

وقوله « لَا يُعْجَبَان بِقَوْلِ النَّاسِ عَنْ عُرْضٍ » هو من قولهم : نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَنْ عُرْضٍ ، أى عن ناحية . والمعنى أَنَّهُ لَا يُعْجِبُهُمَا مِنْ مَقَالِ النَّاسِ وَقَعَالِهِمْ شَيْءٌ ، وَلَا يَأْخُذُ قَلْبُهُمَا وَعَيْنُهُمَا ^(٣) حَدِيثٌ وَلَا إِبْلَاحٌ مَنْ كَانَ عَنْ نَاحِيَةِ وَشْقٍ ، لَكِنَّ الْحَسْنَ عِنْدَهُمَا فِيمَا يَتَفَاوَضَانِهِ أَوْ يَتَقَارِضَانِهِ ، وَالْإِعْجَابُ يَتَعَلَّقُ بِمَا يَصْنَعَانِهِ وَيُورِثَانِهِ ^(٤) ؛ إِذْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَدْ صَارَ فِي مَلَكَتِهِ هَوًى صَاحِبِهِ ، وَفِي رِفَاقِ قَبِيلِهِ ^(٥) ، فَلَا يُبْصِرُ إِلَّا بَعِينَهُ ، وَلَا يَسْمَعُ إِلَّا بَأْذَنَهُ .

(١) التَّكَلُّفُ مِنْ ل .

(٢) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « حَتَّى » .

(٣) ل : « وَعَيْنُهُمَا » .

(٤) كَذَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « وَيُورِثَانَهُ » .

(٥) ل : « مِيلَهُ » . وَالرَّفَاقُ : مُصَدَّرُ رَافِقٍ مُرَافِقَةٌ ، وَهُوَ أَيْضاً حَبْلٌ لِلدَّابَّةِ يَشُدُّ

مِنْ الْوُظَيْفِ إِلَى الْعَصَدِ .

٥٠٠

وقال^(١) :

- ١ — وَلَمَّا بَدَأَ إِلَى مَنِّكَ مَنِيلٌ مَعَ الْعِدَى سِوَايَ وَلَمْ يَحْدُثْ سِوَاكَ بِدِيلٍ
 - ٢ — صَدَدْتُ كَمَا صَدَّ الرَّمْيُ تَطَاوَلَتْ بِهِ مُدَّةُ الْأَيَّامِ وَهُوَ قَتِيلٌ
- قال سيبويه : معنى سِوَايَ بَدَلَ وَمَكَانَ . تقول : عَنَدِي رَجُلٌ سِوَايَ زَيْدٍ ،
معناه مَكَانَ زَيْدٍ وَبَدَلَ زَيْدٍ ، وعلى مَا فَسَّرَهُ يَكُونُ مَعْنَى الْبَيْتِ : وَلَمَّا بَدَأَ إِلَى
مَنِّكَ مَعَ الْأَعْدَاءِ بَدَلَ مَنِّكَ إِلَى وَمَكَانَ مَنِّكَ ، وَلَمْ يَحْدُثْ لِي بِدِيلٍ مَكَانَكَ
وَعِوَضًا مَنِّكَ أَعْرَضْتُ عَنْكَ إِعْرَاضَ الرَّمْيِ مِنَ الصَّيْدِ الْمَصَابِ بِسَهْمِ الصَّيَّادِ ،
وَهُوَ قَتِيلُهُ ، لِأَنَّ الْإِصَابَةَ عَمِلَتْ عَمَلَهَا ، لَكِنَّ الْمُدَّةَ تَطَاوَلَتْ بِهِ ، فَهُوَ رَهِينٌ
بِإِصَابَتِهِ . يريد : صَدَدْتُ عَنْكَ صَدُودَ يَأْسٍ لَا صَدُودَ مَقْلِيَةٍ ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ هَوَاكَ
قَاتِلِي كَهَذَا الرَّمْيِ الَّذِي لَا يُشَكُّ فِي كَوْنِهِ قَتِيلًا وَإِنْ طَالَ نَفْسُ مُهْلَتِهِ ، وَمُدَّةُ
أَمَدِ مَنِيَّتِهِ .

٥٠١

وقال آخر :

- ١ — أَحَبًُّا عَلَى حُبِّ وَأَنْتِ بِخَيْلَةٍ وَقَدْ زَعَمُوا أَنْ لَا يُحِبُّ بِخَيْلٍ^(٢)
 - ٢ — بَنَى وَالَّذِي حَجَّ الْمَلْبُوثُونَ بَيْتَهُ وَيَشْفِي الْهَوَى بِالنَّيْلِ وَهُوَ قَلِيلٌ
 - ٣ — وَإِنْ بَنَى لَوْ تَعْلَمِينَ لُغْلَةً إِلَيْكَ كَمَا بِالْحَامَاتِ غَلِيلٌ
- الألف من قوله « أَحَبًُّا » لفظه الاستفهام ومعناه التوبيخ . وَانْتَصَبَ حُبًّا

(١) التبريزي : « وقال آخر » .

(٢) ضبطت « يحب » في ل بالنصب والرفع مشفوعة بكلمة « معا » نسا على الروايتين .

باضمارِ فَعْلٍ ، كأنه قال : أجمعين عَلَى حُبٍّ عَلَى حُبٍّ ، أو أنزديني حُبًّا بعد حُبٍّ ، مع بُحْلِكَ وإِثَارِ زَهْدِكَ ، وعند النَّاسِ وفي أَحْكَامِهِمْ واعتقادهم أَنَّ البَخِيلَ لا يكون محبوباً . كأنه عاتبها وقرَّعها من أمر الذي بينهما ، وأنهما من أَجْلِهِ في طَرَفِي نَقِيضٍ ، وفي لَوْنٍ من العِشْقِ طَرِيفٌ ^(١) ، وذلك أَنَّ معاملتها له معاملةً من لا يَتَنَدَّى عليه ولا يَرْحُمُه ، ولا يَتَسَخَّى بشيء له ، وَأَنَّ جَذْبَهَا إِيَّاهُ في الهَوَى جَذْبٌ مَنْ لا يكتفي معه بمفوه حتى يَجْهَدُهُ ويزيده وجداً على وَجْدٍ ، وأَلَمَّا بعد أَلَمٍ . قال : هذا حَالِي معك ، وفي رَعَمَاتِ النَّاسِ أَنَّ القُلُوبَ جَبِلَتْ على حُبِّ المحسنين الباذلين ، لا المسيئين الباخلين ، ثُمَّ اسْتَدْرَكَ فقال : بلى والله المحجوجِ بِنَيْتِهِ ، المعظمِ حَرْمِهِ ، المداوِي من داء الهوى باليسير الخفيف من النَّيْلِ ، إِنَّ البَخِيلَ لِيُحَبِّ . ودَلَّ على الْمُفَسِّمِ له بقوله « وَإِنْ بنا لو تعلمين لَغَلَّةٌ » وهي حرارة العطش ، كما يكون غَلَّةُ الحَامِاتِ ، وهي الطُّيُور التي تحوم على الماء وتدور من شِدَّةِ العطش ثُمَّ تَقَعُ عليه ، وقد تكون العطاش أَنفَسَهَا . وقوله « وَأَنْتِ بَخِيلَةٌ » الواو واو الحال . وقوله « أَلَّا يُحَبِّ » إن شئت جعلت أن النَّاصِبَةَ للفعل فَتَنَصَّبَتْ يُحَبِّ بِهِ ، وإن شئت جعلته الخَفَفَةَ من الثَّقِيلَةِ فيرتفع يُحَبِّ ، يريد أَنَّهُ لا يُحَبِّ . ثُمَّ قال : بلى ، وهو جوابُ استفهامٍ مقرونٍ بِنَفْيٍ . على ذلك قولُ الله عزَّ وجل : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ . كأنه قيل له مُسْتَفْهِمًا منه : أَيَحَبُّ البَخِيلُ الْمُؤْمِسِكُ ؟ فقال : بلى وأَقْسِمُ أيضاً ، تأ كيدا . والْحَبِجُّ : القَصْدُ . والنَّيْلُ : مصدر نَلْتُهُ أَنَالَهُ . وقوله « لو تعلمين » كالتَّذرُّ لها ، وقد أَقامه مستعظِفاً ، يُصَوِّرُهَا بِأَنَّهَا لو عَلِمَتْ ما به كانت لا تَسْتَجِيزُ ما يَجْرِي عليه .

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « ظريف » .

٥٠٢

وقال آخر :

١- إذا كنت لا يسليك عن من تودّه تناء ولا يشفيك طول تلاقٍ

٢- فهل أنت إلا مستعير حشاشه لمهجة نفس آذنت بفراقٍ

يخاطب نفسه متوجعاً لها ، ومستوحشاً من الحالة التي مئى بها ، فيقول : إذا لم تستوفق مع من تحبه التباعد عنه ، وأخذ النفس بالتفصى منه ، ليورثك سلواً دونه ، ولم يقرب شفاءك من الداء فيه طول الاجتماع معه ، واتصال التردد منه ، والمرىض في العرف والعادة إذا اشتكى من دواء عوّلج به نُقل إلى ما يضادّه ، فإن لم يُغنِ سُلّم لعلته ، فكذلك أنت إذا لم ينفعك فيما تقاسيه لا التّنائى ولا التّدانى ، فما ذاك إلا غرامٌ ، وما أنت فيه إلا مستعير حشاشه ، وهى رُوح القلب ، ورمقٌ من حياة النفس وقد آذنت بالمفارقة . والمهجة : خالصة النفس ؛ ومنه كُنْ أمُهجان .

٥٠٣

وقال عبد الله بن الدمينه^(١) :

١- ألا ياصبا نجد متى هجت من نجدٍ فقد زادنى مسرالك وجداً على وجدٍ^(٢)

٢- أن هتفت وزقاء في رونق الضحى على فنّ غصّ النبات من الرند

٣- بكيت كما يبكي الوليد ولم تزل جليداً وأبديت الذى لم تكن تبدي

الصبا : القبول . يقال : صبت الريح تصبّ صُبواً . ومتى هجت ، أى متى

(١) سبق ترجمته فى الخامسة ٤٥٦ ص ١٢٢٣ .

(٢) التبريزى : « لقد زادنى » .

ثُرْتُ واهْتَجْتُ . يقال : هاجَ الفَحْلُ والرَّيْحُ هَيَّاجًا . وهم يخاطبون الرَّيْحَ والْبَرْقَ إذا كانا من نحوِ أرضِ المحبوب . فيقول : متى اهْتَجْتُ من أَرْضِي نَجِدُ^(١) فقد زادني سَيْرُكَ شوقًا ، وَجَدَدَ لِي هُبُوبُكَ على ما كُفْتُ أَكْبِدُهُ من الْوَجْدِ وَجْدًا .

وقوله « أَنَّ هَتَفْتُ » يخاطبُ نَفْسَهُ مَبَكِّيًا فيقول : أَلَا نَصَاحَتِ حَمَامَةُ ورقاء في أوَّل الضحى واقعةً على غُصْنٍ غَضٍّ من شجر الرِّند بَكَيْتَ بكاءَ الصَّبِيِّ إذا أعياه مطلوبه ، وأظهرت العجزَ عما حُمِّلَتْهُ ، وعهدُ الناسِ بك فيما مضى من أيامك ولم تَزَلْ ثابتَ القَدَمِ فيما ينوبُك ، دأبُ الصَّبرِ على بلواك ، إنَّ هذا منكرو .

- ٤- وقد زعموا أَنَّ الْمُحِبَّ إذا دَنَا يَمَلُّ وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي من الْوَجْدِ
٥- بِكُلِّ تَدَاوَيْنَا فلم يَشْفِ مَا بَنَا على ذاك قُرْبُ الدَّارِ خَيْرٌ من الْبُعْدِ
٦- على أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ ليس بنافعٍ إذا كان من تهواه ليس بذى ود^(٢)

يقول : زعم الناسُ أَنَّ الاستكثارَ من المحبوب والتَّدَانِي منه يُكْسِبُ الْحُبَّ مَلَالًا ، وَأَنَّ الاستقلالَ من زيارته والتَّنَائِي عن محله ودَّارِهِ يُنتِجُ لَهُ سُلُوكًا ، فدأويتُ بكلِّ واحدٍ من ذلك فلم يَنْجَعْ ؛ إِلَّا أَنَّهُ على الأحوال كُلِّهَا وجدتُ قُرْبَ الدَّارِ منه خيرًا من بعدها عنه ، لِمَا تُوسَّوسُ بِهِ النَّفْسُ في الوقتِ بعد الوقتِ من طَمَعٍ فِيهِ ، وَلِتَطْلُعَ المجاورينَ لَهُ ، وتجددِ الحديثِ عنه ، إلى كثير مما يُعْذَمُ في البُعَادِ . ثُمَّ رَجَعْتُ فِيمَا أُعْطِيَ فقال : على أَنَّ تقاربَ الدَّيَّارِ لَا يَكَادُ

(١) هذا ما في ل ، على الجمع ، وفي الأصل : « أرض نجد » .

(٢) هذا ما في ل ، وهو ما يتساق مع الشرح ، وفي الأصل والتبريزي : « ليس

بذى عهد » .

ينفع إذا كان المحبوب لا وُدَّ له ، ولا مَيلَ له . ويُروى : « ليس بذى عهد » ،
أى لا يبقى على ما عُهد عليه .

٥٠٤

آخر :

١- إذا ما شئت أن تسلى خليلاً فأكثر دونه عَدَدَ الليالى

٢- فما سلى خليلك مثل نأى ولا بلى جديداً كابتدال

معناها ظاهر بما تقدّم . ويقال : سَلَيْتُ ، بمعنى سلوت . قال :

* لو أَشْرَبُ السُّلُوَانَ مَا سَلَيْتُ^(١) *

٥٠٥

وقال آخر :

١- أَلَا طَرَقْتُنَا آخِرَ اللَّيْلِ زَيْنَبُ عَلَيْكَ سَلَامٌ هَلْ لِمَا فَاتَ مَطْلَبُ

٢- وَقَالَتْ تَجَنَّبْنَا وَلَا تَقْرَبْنَا فَكَيْفَ وَأَنْتُمْ حَاجَتِي أَتَجَنَّبُ

يقول : أَتَقَرَّبُ هذه المرأة سَجَرًا فقلتُ مسلماً عليها : عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ هَلْ

لِمَا فَاتَ مِنْ أَيَّامِ الْوِصَالِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْإِحْسَانِ مَطْلَبٌ لِي فَأَسْأَلُهُ^(٢) . فقالت

لى مجيبةً : جَانِبْنَا وَلَا تَدْنُونَنَا . فقلتُ : أَنَّى يَكُونُ مِنِّي مَجَانِبَةٌ وَأَنْتُمْ فِي

الدُّنْيَا حَاجَتِي وَمُنَايَ ، وَلَا اخْتِيَارَ مَعَ الضَّرُورَةِ ، كَمَا أَنَّهُ لَا غَنَى عَنِ الْفَاقَةِ . هذا

هو ظاهرُ الكلام . وقد رأيتُ من يفسِّره على أن المراد بآخر الليل آخرُ أَيَّامِ

(١) لرؤية في ديوانه ٢٥ واللسان (سلا) .

(٢) كلمة « الإحسان » ليست في ل .

الشَّباب . وكان يَروى : « عليك سلامٌ » بفتح الكاف ، ويجعل الخطاب والتسليم من المرأة للرجل ، ويقول : إنما حَيَّتُهُ بتحيّة الموتى لتولّى أيامه ، وتناهى عُمره . وقولها « هل لِمَا فَاتَ مَطْلَبٌ » من كلامها معاتبته ، كأنها أنكرت التعرّضَ لها وقد فاتته دالّةُ الشَّباب ، وشَفاعةُ النَّضارة والاقْتِبَال . والأوّلَى ما قدَّمْتُهُ .

٣- يقولون هل بعد الثلاثين مَلْعَبٌ فقلت وهل قبل الثلاثين مَلْعَبٌ^(١)
 ٤- لقد جَلَّ خَطْبُ الشَّيْبِ إِنْ كُنْتُ كَلَمًا بَدَتْ شَيْبَةٌ يَغْرَى مِنَ اللَّهِوِ مَرَكَبٌ
 المضمر في « يقولون » المتعصّبون للمرأة والنّاس . يريد : عيروني بتعاطي الصِّبَا واللّهو واللعب ، بعد تَقَضّي الثلاثين من أيّام عمري فقالوا : هل بعد الثلاثين ملعب ، أى لا ينبغي اللّهوُ لملك . فقلت لهم : وهل قبل الثلاثين ذلك . والمعنى أن من عدّد ما دون الثلاثين فهو في عداد الصِّبيان ، لا يعرف اللذات ، ولا يصلح للبطالات . ويمحوز أن يكون المراد : وهل تسهّل لى قبل الثلاثين شىء من مَبَاغِي اللّهو واللعب فَيُنْكَرَ مِنّى طلبى إيّاه بعده .

وقوله : « لقد جَلَّ خَطْبُ الشَّيْبِ » لقد جوابُ يمين مضمّرة ، ولك أن تروى « أَنْ كُنْتُ كَلَمًا » والمعنى لأن كنت كَلَمًا . ولك أن تكسر المعزة فتكون إِنْ المفيدة للشرط ، والمراد : إِنْ كُنْتُ كَلَمًا بَدَتْ فى رَأْسِي لُئْمَةٌ من الشَّيْبِ يلزم منها أن أعرّى مَرَكَبًا من مراكب اللّهو ، فلقد عظم خَطْبُ الشَّيْبِ ، ويكون جوابُ إِنْ فى قوله « لقد جَلَّ خَطْبُ الشَّيْبِ » ، وكَلَمًا فى موضع الظرف .

(١) البيت وتاليه فى عيون الأخبار (٤ : ٥٣) .

٥٠٦

وقال كثير^(١) :١ - وَأَذْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا قَتَمْتَنِي بِقَوْلٍ يَحِلُّ الْعُصَمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ^(٢)٢ - تَنَاهَيْتَ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ وَغَادَرْتَ مَا غَادَرْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ^(٣)

يقول : تَوَفَّرَ عَلَيَّ وَلَطَّفَتْ لِي الْمَقَالَ وَالْفَعَالَ ، عَلَى تَطَلُّقٍ مِنْ وَجْهِكَ ، وَهَشَاشَةٍ ظَاهِرَةٍ مِنْكَ ، حَتَّى أَوْقَعْتَنِي فِي حَبَالَتِكَ ، وَخَبَّبْتَ^(٤) قَلْبِي بِكَلَامٍ يَقْرُبُ الْبَعِيدَ ، وَيَسَهِّلُ الْعَسِيرَ ، وَيُؤْنَسُ النَّافِرَ ، وَيُطْمِعُ الْيَائِسَ ، فَلَمَّا اسْتَكْمَلَ مِرَادُكَ فِيَّ ضَمَمْتَ أَطْرَافَكَ إِلَيْكَ ، وَقَبَضْتَ مَا انْبَسَطَ مِنْ أَمْلِي فِيكَ . وَالْعُصَمَ : جَمْعُ أُعْصَمَ وَعَصَمَاءَ ، وَهِيَ الْوَعُولُ الْجَبَلِيَّةُ الَّتِي فِي قَوَائِمِهَا بَيَاضٌ . وَجَوَابُ « إِذَا » تَنَاهَيْتَ عَنِّي . وَالْمَعْنَى : بَعْدَ مَا كَسَبْتَنِي خَبَالًا ، وَجَلَبْتَ عَلَى عَقْلِي وَقَلْبِي فُسَادًا ، كَفَفْتَ عَنِّي ، وَتَبَاعَدْتَ مِنِّي وَقْتَ أَعْيَيْتَنِي الْحِيلَ فِي الْإِنْفِكَاحِ ، وَتَأَبَّى تَمَازُجُ الْهَوَى وَتِلَاصُفُهُ مِنَ الْإِنْسِلَاحِ ، وَتَرَكْتَ بَيْنَ جَوَانِحِي مَا تَرَكْتَ مِنْ وَجْدٍ مُتَّصِلٍ ، وَحُزْنٍ دَائِمٍ .

فإن قيل : إن كثيرا علم في النسب ، فلم لم يرض بإظهار التوجع من المعاملة ، والتألم من التهاجر والقطيعة ، حتى اعتد على صاحبه ذنباً ، ونسب إليها

(١) سبقت ترجمته في الحماسة ٤٩٣ ص ١٢٨٧ . والبيتان نسباً في الأغاني (٢ : ١٤) إلى المجنون .

(٢) التبريزي : « إذا ما ملكنتني » . وفي الأمل (٢ : ٢٢٨) : « إذا ما استيتيتني » والأغاني (٢ : ١٤) : « إذا ما سبيتني » .

(٣) القالي : « توليت عني حين لا لي مذهب » . الأغاني : « تناءيت عني » وخلفت ما خلفت » .

(٤) خبيت ، من النخب ، وهو الخدع . وفي الأصل : « خبيت » صوابه في ل .

خِيَانَةٌ وَوِزْرًا ؛ لِأَنَّ الَّذِي وَصَفَ مِنْ افْتِنَانِهَا فِي افْتِنَانِ الرِّجَالِ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ
العَفَافِ ؟ قُلْتُ : إِنَّ كَثِيرًا لَمْ يَصِفْ صَاحِبَتَهُ إِلَّا بِصِفَةِ الْعَفَافِ . أَلَمْ تَسْمَعْ
قَوْلَ الْآخِرِ :

بَرَزْنَ عَفَافًا وَاحْتَجَبْنَ نَسْرًا وَشَيْبَ بِقَوْلِ الْحَقِّ مِنْهُنَّ بِاطِلُ
فَذُو الْحِلْمِ مُرْتَابٌ وَذُو الْجَهْلِ طَامِعٌ وَهُنَّ عَنِ الْفَحْشَاءِ حَيْدٌ نَوَاكِيلُ
كَوَاسٍ عَوَارٍ ، صَامِتَاتٌ نَوَاطِقُ بَعْفِ الْكَلَامِ ، بِاذِلَاتٍ بِوَاحِلُ
فَتَأْمَلْ مَا قَالَهُ فَإِنَّهُ غَايَةٌ فِي اسْتِقَامَةِ الطَّرِيقَةِ ، وَإِنْ هَلَكَتْ نَفُوسٌ ،
وَحُبِّلَتْ عُقُولٌ .

وَحَدَّثَتْ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ ، عَنْ رَاوِيَةٍ
كَثِيرٍ^(١) قَالَ : كُنْتُ مَعَ جَرِيرٍ وَهُوَ يَرِيدُ الشَّامَ ، فَطَرِبَ فَقَالَ : أَنْشِدْنِي لِأَخِي
بَنِي مُلَيْحٍ^(٢) ، يَعْنِي كَثِيرًا ، فَأَنْشَدَنِي حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِهِ : وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا
مَا فَتَنْتَنِي ، الْأَبْيَاتُ ، قَالَ جَرِيرٌ : لَوْلَا أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ بِشَيْخٍ مِثْلِي النُّخَيْرُ لَنُخِرْتُ
حَتَّى يَسْمَعَ هَشَامٌ عَلَى سَرِيرِهِ .

٥٠٧

وقال آخر :

- ١ - تَعَرَّضْنِ مَرَمَى الصَّيْدِ نَمْرَمَيْنَنَا مِنَ النَّبْلِ لَا بِالطَّائِشَاتِ الْخَوَاطِفِ
 - ٢ - ضَعَائِفُ يُقْتَلْنَ الرِّجَالُ بِلَادِمٍ فَيَا عَجَبًا لِلْقَاتِلَاتِ الضَّعَائِفِ
 - ٣ - وَلِلْعَيْنِ مَلْهَى فِي التَّلَادِ وَلَمْ يَقْدُ هَوَى النَّفْسِ شَيْءٌ كَاقْتِيَادِ الطَّرَائِفِ^(٣)
- قَوْلُهُ « مَرَمَى الصَّيْدِ » ، مَوْضِعُهُ نَصَبٌ عَلَى الظَّرْفِ ، أَيْ تَعَرَّضْنِ لَنَا وَبَيْنَنَا

(١) وكذا في أمالي القالي (٢ : ٢٢٨) بدون تعيين له .

(٢) ملّيح ، كزير : حى من خراعة . القاموس (ملّح) ، ونهاية الأرب (٢ : ٣١٨) .

(٣) البيت في الحيوان (١ : ١٧٠) .

وَيَنْهَن غَلْوَةَ سَهْمٍ ، فَعِلَ الْمُتَعَرِّضُ لِلصَّيْدِ إِذَا أَرَادَ رَمِيَهُ . وَيُرَادُ بِالصَّيْدِ الْمَصِيدِ ، كَمَا يُرَادُ بِالْخَلْقِ الْمَخْلُوقُ . وَقَوْلُهُ « ثُمَّ رَمَيْنَا مِنَ النَّبْلِ » ، يَرِيدُ : ثُمَّ نَظَرْنَا إِلَيْنَا وَعَرَضْنَا مُحَاسِنَهُنَّ عَلَيْنَا ، وَتِلْكَ نِبَالُهُنَّ الَّتِي لَا تَخِيفُ فَتَعْدِلُ ، وَلَا تَخْطِفُ فَتَقْصُرُ . وَالْخَاطِفُ مِنَ السَّهْمِ : الَّذِي يَقَعُ عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَجْبُو إِلَى الْهَدَفِ كَأَنَّهُ يَخْطِفُ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا . وَالطَّائِشُ : الْخَفِيفُ الَّذِي لَا يَسْتَقِيمُ ؛ وَمِنْهُ الطَّيْشُ وَالطَّيَّاشُ ، كَأَنَّهُ يُرَى خَلْفَهُ عَادِلًا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ . وَمَفْعُولُ رَمَيْنَا الثَّانِي مَحْذُوفٌ كَأَنَّهُ قَالَ : رَمَيْنَا لَا بِالطَّائِشَاتِ ، وَلَكِنْ بِالصَّائِبَاتِ النَّاقِرَاتِ . وَالنَّاقِرُ : الَّذِي يَنْقُرُ الْهَدَفَ .

وَقَوْلُهُ « ضَعَائِفُ يَقْتُلْنَ الرِّجَالَ بِلَا دَمٍ » يَرِيدُ بِلَا تَرِيَّةٍ وَذَحْلٍ . وَالضَّعْفُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ يَرِيدُ فِي الْخِلْقَةِ وَالْخُلُقِ ، أَيْ يَقْتُلْنَ الرِّجَالَ وَإِنْ ضَعُفْنَ عَنْ جِذَابِهِمْ كَيْدًا وَفِعْلًا . ثُمَّ قَالَ : يَا عَجَبًا لِمَنْ يَقْتُلُ الْقَوَى عَلَى ضَعْفِهِ . وَيَا عَجَبًا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى طَرِيقِ النَّدْبَةِ ، وَيَكُونَ مُنَادًى مُفْرَدًا الْحَقُّ بِهِ الْأَلْفُ لِيُنْدَبَ بِهِ الصَّوْتُ ، وَيَدُلَّ عَلَى فُرْطِ الشَّكْوِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُنَادًى مُضَافًا فُفِرَّ مِنْ الْكُسْرَةِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ فَانْقَلَبَتْ أَلِفًا . وَاللَّامُ مِنْ قَوْلِهِ « لِلْقَاتِلَاتِ » هِيَ الَّتِي تَفْسِّرُ بِأَنَّهَا لَامُ الْعِلَّةِ ، كَأَنَّهُ عُلِّلَ تَعَجُّبُهُ بِقَوْلِهِ لِلْقَاتِلَاتِ ، فَارْتَفَعَ ضَعَائِفُ عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ مَبْتَدَأًا مَحْذُوفًا .

وَقَوْلُهُ « وَلِلْعَيْنِ مَلْهَى فِي التَّلَادِ » ، يُرِيدُ أَنْ لِلْعَيْنِ لَهْوًا وَرَاحَةً إِذَا نَظَرَتْ فِي التَّلَادِ الرَّائِقِ الْمَعْجِبِ - وَالتَّلَادُ : مَا قَدَّمَ مِلْكُهُ - وَلَمْ يَجْذِبْ هَوَى النَّفْسِ شَيْئًا كَمَا يَجْذِبُهُ الطَّرَائِفُ ، وَهِيَ الْمُسْتَعْدَثَاتُ ، وَهَذَا كَمَا يَقَالُ : « لِسَكْلٍ جَدِيدٍ لَذَّةٌ » وَمَا أَشْبَهَهُ . وَقَادَ وَاقْتَادَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَالْمَلْهَى كَمَا يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهِ الْحَدَّثُ ، وَهُوَ الْهَوُ ، يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهِ مَوْضِعُ الْحَدَّثِ وَوَقْتُهُ .

٥٠٨

وقال آخر^(١) :

١- لَنْ كَانَ يُهْدَى بَرْدُ أَنْبَاهِا الْعُلَى لَأَفْقَرَ مِنِّي إِنْ نِي لَفَقِيرُ
 قوله «يُهْدَى» يجوز أن يكون من الإهداء الإتحاف ، ويجوز أن يكون من
 الهداء الزفاف . وقوله « أنبأها العلى » يراد به الشريفة العالية الشأن ، ويجوز
 أن يراد بالعلى الأعلى من الأسنان ، لأنها موضع القبل . ويعنى ببرد الأسنان
 عذوبة الرضاب عند المذاق . وقوله « إننى لفقير » فعيل بناء المبالغة ، ولا سيما
 إذا أطلق إطلاقاً ، فلا يقال فقير إلى كذا وكذا فيخصص . والمعنى : إن كان
 يتربص بمتسقى مضحكها ، وواضح مقبلها ، وطيب رضابها ، وبرد أسنانها ،
 لمن هو أفقر منى إليها ، فإننى الفقير مطلقاً . والمعنى : لا غاية وراء فقرى . وما
 يجرى مجرى فقير إذا أطلق ، قولهم سقيم . ألا ترى قول الآخر^(٢) :

لَنْ لَبَنُ الْمَغْزَى بِمَاءِ مُوَيْسِلٍ بَغَانِي دَاءِ إِنْ نِي لَسَقِيمُ^(٣)

يريد المتناهى فى السقم حتى لا غاية وراءه . وأفقر ، كأنه بُنى على فقر
 المرفوض فى الاستعمال . وإنما قلت هذا لأن فقيراً كان حكمه أن يكون فعله
 على فقر ، ولم يحى منه إلا افتقر . وشرط فصل التعجب وما يتبعه من بناء
 التفضيل أن لا يحى إلا من الثلاثى فى الأكثر ، وما كان على أفعال خاصة ،
 وإذا كان كذلك فأفقر لا يصح أن يكون مبنياً على افتقر ولكن على فقر ؛

(١) هو عبد الله بن الدمينه . ديوانه ٢٥ — ٢٦ .

(٢) هو واقد بن العطريف الطائى ، أو زيادة بن بحدل الطريقى الطائى ، كما فى معجم

البلدان (٨ : ٢٠٣) .

(٣) قبله : يقولون لا تشرب نسيئاً فإنه إذا كنت محموا عليك وخيم

فهذا طريق . ولك أن تقول : بُنِيَ منه على حذف الزوائد ، كما جاء : رِيحٌ لَا قِيحٌ والمراد مُقَيِّحٌ ، وما أشبهه .

٢- فما أكَثَرَ الْأَخْبَارَ أَنْ قَدْ تَزَوَّجَتْ : فَهَلْ يَأْتِي بِالطَّلَاقِ بِشِيرٍ قوله « أَنْ قَدْ تَزَوَّجَتْ » ، أراد : بَأَنْ قَدْ تَزَوَّجَتْ . وحذف الجارَّ مع أَنْ كثير ، وموضعه من الإعراب مفعول من قوله الأخبار . والأخبار : جمع خَبَرٍ ، ووضع خبراً موضع الإخبار ، كما يضع الطاعة موضع الإطاعة ، ثم عداه وهو مجموع ، ومثله :

* مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ أَخَاهُ يَبْثُرُ^(١) *

ألا تراه أنه انتصب أخاه عن جمع وهو مواعيد . ومعنى البيت : كَثُرَ فِي أَفْوَاهِ النَّاسِ الْإِخْبَارُ بِتَزَوُّجِهَا ، واشتغالها ببيعها عن غيره ، فهل يَأْتِي بِمَبْشَرٍ بتطليقها . وهذا ليس باستفهام وإنما هو تمنٍّ .

٥٠٩

وقال آخر^(٢) :

١- يُقَرَّبُ بَعِيْنِي أَنْ أَرَى رَمْلَةَ الْغَضَا إِذَا مَا بَدَتْ يَوْمًا لَعِيْنِي قِلَالُهَا^(٣)

(١) البيت للأشجعي ، كما في أمثال الميداني (مواعيد عرقوب) . وصدره :

* وَعَدْتُ وَكَانَ الْخَلْفُ مِنْكَ سَجِيَةً *

وأنشد في الأغاني (١٥ : ١٤٤) للشماخ :

وَوَاعِدُنِي مَا لَا أَحَاوِلُ نَفْسَهُ مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ أَخَاهُ يَبْثُرُ

وعرقوب هذا رجل من العالقي أتاه أخ له يسأله ، فقال له عرقوب : إِذَا أَطْلَعْتَ هَذِهِ النِّخْلَةَ فَلَمْ تَطْلُعْهَا . فَلَمَّا أَطْلَعْتَ أَنَّهَا لِلْعِدَّةِ فَقَالَ : دَعَهَا حَتَّى تَصِيرَ بِلْعَاً . فَلَمَّا أَبْلَحْتَ قَالَ : دَعَهَا حَتَّى تَصِيرَ زَهَوًّا . فَلَمَّا زَهَتْ قَالَ : دَعَهَا حَتَّى تَصِيرَ رَطْبًا . فَلَمَّا أُرْطِيتَ قَالَ : دَعَهَا حَتَّى تَصِيرَ تَمْرًا . فَلَمَّا أَتَمَرَتْ عَمِدَ إِلَيْهَا عُرُقُوبٌ مِنَ اللَّيْلِ لِحْدَهَا وَلَمْ يَعْطِ أَخَاهُ شَيْئًا . أمثال الميداني .

(٢) هو أحد الأعراب ، كما في معجم البلدان (٦ : ٢٩٥) .

(٣) في معجم البلدان : « إِذَا ظَهَرَتْ يَوْمًا » .

٢- ولست وإن أحببت من يسكن الغضا بأول راجح حاجة لا ينالها
أضاف الرملة إلى الغضا تشهيراً لها . وقوله « يُقَرَّ بعيني » ، هذه الباء
تُزاد كثيراً مع أَقَرَّ ، والأصل يُقَرَّ عَيْنِي ، وزيدت الباء تأكيداً . تقول : قَرَّتْ
عَيْنِي وأَقَرَّهَا اللهُ . وقوله « أن أرى » في موضع الفاعل لِيُقَرَّ ، والمراد : إذا بَدَتْ
يوماً لعيني قِلَالُ الغضا — وهو جمع القلة وهي أعلى الجبل — فقرَّةٌ عيني في أن
أرى رمالها أيضاً وبتحواوتها . ثم قال على طريق اليأس من ذلك : ولستُ
بأول من رجا مؤملاً ، وانتم مُقَدَّرًا ، ثم لم يحصل منهما على طائل . يريد : ولا
غَرَوُ إن كنتُ أحببتُ سُكَّانَ الغضا أن يكون هذا حالي معهم . كأنه كان
بين أهل الغضا وبين قومه عداوةً ، أو حالة مانعة من المزاورة والمواصلة ،
فلذلك قال ما قال .

٥١٠ ٧

وقال آخر^(١) :

- ١- سَلَى البَانَةَ الغَنَاءَ بالأجرع الذي به البانُ هل حَيَّيتُ أَطْلَالَ دَارِكِ^(٢)
٢- وهل قَتُّ في أَظْلَالِهنَّ عَشِيَّةً مقامَ أَخِي البَاسَاءِ واخترتُ ذَلِكَ^(٣)

(١) هو عبد الله بن الدمينه . والأبيات من قصيدة في ديوانه ١٥ — ١٦ مطلعها :

قَفِي يَا أَمِيمَ القَلْبِ نَقْضَ لِبَانَةٍ وَنَشْكَ الهَوَى ثُمَّ أَفْعَلِي مَا بَدَا لَكَ

(٢) التبريزي : « البانة الغنياء » ثم ذكر الرواية الأخرى .

(٣) بين هذا البيت وتاليه أربعة أبيات عند التبريزي ، وهي :

وَهَلْ حَمَلْتُ عَيْنَايَ فِي الدَّارِ غُدُوَّةً بِدَمْعٍ كَنَظَمِ اللُّؤْلُؤِ الْمُتَهَالِكِ

أَرَى النَّاسَ يَرْجُونَ الرَّبِيعَ وَإِنَّمَا رِيحِي الَّذِي أَرْجُو نَوَالُ وَصَالِكِ

أَرَى النَّاسَ يَخْشَوْنَ السَّنِينَ وَإِنَّمَا سِنِّي الَّتِي أَخْشَى صُرُوفُ احْتِمَالِكِ

لَنْ سَامَنِي أَنْ نَلْتَمِسَ بِمَسَامَةٍ لَقَدْ سَرَّني أَنِي خَطَرْتُ بِبَالِكِ

٣ — لَيْبَنِيكَ إِمْسَاكِ بِكَفِّي عَلَى الْخُشَا وَرَفْرَاقُ عَيْنِي رَهْبَةً مِنْ زِيَالِكَ سَلِي، أَصْلُهُ اسأَلِي فَحَذِفِ الْهَمْزَةُ تَخْفِيفًا وَأُثْقِيَتْ حَرَكَتُهَا عَلَى السَّيْنِ فَصَارَ إِسْلِي، ثُمَّ اسْتُغْنِيَ عَنْ هَمْزَةِ الْوَصْلِ لِتَحَرُّكِ مَا بَعْدَهَا فَحُذِفَتْ فَصَارَتْ سَلِي. وَهَذَا كَمَا تَقُولُ فِي الْأَحْرِ إِذَا خَفَّفْتَهُ: لَحْمَر. وَمَنْ قَالَ أَلَحْمَر يَقُولُ: إِسْلِي فَيَبْقَى أَلَفَ الْوَصْلِ. وَيُرْوَى: «الْبَانَةُ الْغَيْنَاءُ». وَالْغَنَاءُ: الْمَلْتَفَةُ الْكَثِيرَةُ الْوَرَقِ وَالْأَغْصَانِ، فَإِذَا ضَرَبْتُهَا الرِّيحُ غَنَّتْ^(١). وَهَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ:

لِلثَّرَى تَحْتَهَا سُبَاتٌ وَلَمَّا خَرِيرٌ وَلِلْفُصُونِ غِنَاءُ

وَالْأَجْرُ مِنَ الْأَمَّا كُنَ: السَّهْلُ الْمُخْتَلِطُ بِالرَّمْلِ. وَالْغَيْنَاءُ، هِيَ الْعَظِيمَةُ الْوَاسِعَةُ، مِنْ قَوْلِهِمْ غَانَ عَلَيْهِ كَذَا إِذَا سَتَرَ، وَبِهِ سُمِّيَ السَّحَابُ الْغَيْنُ. وَإِنَّمَا قَالَ «الَّذِي بِهِ الْبَانُ» لِأَنَّهُ كَانَ مِنْبِتَهُ. وَاسْتَشْهَدَ بِالْبَانِ عَلَى أَنَّهُ هَلْ قَضَى حَقَّ مَنْزِلِ الْأَحْبَةِ لَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ، وَهَلْ حَيًّا أَطْلَالَهُ تَحِيَّةَ الْمُتَقَرَّبِ إِلَيْهَا، وَالْقَاضِي لَوَازِمِهَا، وَهَلْ قَامَ فِي أَظْلَالِ الْبَانِ بِهَا مَقَامَ الضَّرِيرِ الْبَائِسِ، وَالْكَسِيرِ الرَّازِحِ، تَذَلُّلاً لَهَا، وَتَلَوُّماً بِهَا؛ وَهَلْ ذَلِكَ كُلُّهُ عَنْ اخْتِيَارٍ وَقَصْدٍ أَوْ كَمَا اتَّفَقَ.

ثُمَّ قَالَ «لَيْبَنِيكَ إِمْسَاكِ»، كَأَنَّهُ لَمَّا وَقَفَ عَلَى الدَّارِ وَتَذَكَّرَ الْعُهودَ فَتَصَوَّرَ لَهُ مَا كَانَ دَرَسَ مِنْ آيَاتِ هَوَاهُ، وَتَجَدَّدَ مَا أَخْلَقَ مِنْهَا، خَشِيَ عَلَى كِبِدِهِ التَّصَدُّعَ فَأَمْسَكَ بِكَفِّهِ عَلَى حَشَاهُ، ثَلْبِتًا لَهَا وَتَقْوِيَةً، وَبَكَى فَتَفَرَّقَ الدَّمْعُ فِي عَيْنِهِ ثُمَّ سَالَ. فَقَالَ هُنَاكَ اللَّهُ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنِّي. وَانْتَصَبَ رَهْبَةً لِأَنَّهُ

(١) فِي هَامِشَةٍ ل: «حَاشِيَةُ قَالَ السَّيِّدُ الْإِمَامُ أَبُو الرِّضَا رَحِمَهُ اللَّهُ: رَحِمَ اللَّهُ أَبَا عَنِي، غَلَطَ غَلْطَةً، وَكَيْفَ يَكُونُ الْغَنَاءُ مِنَ الْغَنَاءِ فِي شَيْءٍ، وَهَذَا مِنْ غَنَ نَ، وَذَلِكَ مِنْ غَنَ نَ. إِنَّمَا هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ شَجَرَةٌ غِنَاءٌ كَثِيرَةُ الْأُورَاقِ، وَوَادٌ أَغْنَى أَيْ كَثِيرُ الْعُشْبِ تَأْلُفُهُ [ذَبَابُ] وَفِي أَصَوَاتِهِ غَنَةٌ. فَأَمَّا الْغَنَاءُ فَبَعِيدٌ مِنْهُ.»

مفعول له . وهذا من باب التجلُّد في الهوى . والزَّيَال : مصدر زَايَلَ . وفي هذه الطريقة قول الآخر :

يَرْفَعُ يُمْنَاهُ إِلَى رَبِّهِ يَدْعُو وَفَوْقَ الْكَبِدِ الْيُسْرَى

٥١١[✓]

وقال آخر :

- ١- تَمَتَّعْ بِهَا مَا سَاعَفْتِكَ وَلَا تَكُنْ عَلَيْكَ شَجِيٌّ فِي الصَّدْرِ حِينَ تَبِينُ^(١)
- ٢- وَإِنْ هِيَ أَعْطَتْكَ اللَّيَانَ فَإِنَّهَا لَغَيْرِكَ مِنْ خُلَائِهَا سَتَلِينَ^(٢)
- ٣- وَإِنْ حَلَفْتَ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيْسَ لِحُضُوبِ الْبَنَانِ يَمِينُ

يصف النساء وأخلاقهنَّ في الانقياد والتأبُّ إذا رُوِّدْنَ ، واستعمالهنَّ الوفاء من بعدِ غدرهنَّ^(٣) ، ويوصي باستبقاء المقاربة معهنَّ ، وتركِ تدقيق محاسنهنَّ ، والرضا باليسور من مصافاتهنَّ ، فيقول : عليك في الاستمتاع بهنَّ مدَّة انقيادهنَّ لك ، وإسعافهنَّ بالمراد من جهتهنَّ ، لا يشجُّونَكَ تفكُّرهنَّ لك ، وبينوتهنَّ إذا عدَلْنَ عنك ، واعلم أنَّ الواحدة منهنَّ إذا لانتْ لك فهي بعرضٍ أن تلينَ لغيرك ، فلا تعتمدْ عليهنَّ وإن حلفتْ لك أنَّها تفي وتبقى على عهدها معك ، واعلم أنَّه لا يمينَ لمثلها يستوثقُ بها ، أو يستَنَامُ إليها ، وفي طريقته قولُ بشار :

لَا يُؤْتِسِّنْكَ مِنْ مُحِبَّةٍ قَوْلُ تَغْلُظُهُ وَإِنْ جَرَحَا
عُسْرُ النَّسَاءِ إِلَى مُيَاسَرَةٍ وَالصَّعْبُ يُمَكِّنُ بَعْدَ مَا جَمَحَا

(١) التبريزي : « في الملقى » .

(٢) ل : « فإن هي » .

(٣) في النسختين : « من بعد وغدرهن » ، والوجه ما أثبتنا .

٥١٢

وقال العباس بن مرداس^(١) :

- ١ — قَلِيلَةُ لَحْمٍ النَّاظِرِينَ يَزِينُهَا شَبَابٌ وَمَخْفُوضٌ مِنَ الْعَيْشِ بَارِدٌ
- ٢ — أَرَادَتْ لَتَنْتَاشَ الرِّوَاقَ فَلَمْ تَقُمْ إِلَيْهِ وَلَكِنْ طَاطَأَتْهُ الْوَلَانِدُ
- ٣ — تَنَاهَى إِلَى لَهْوِ الْحَدِيثِ كَأَنَّهَا أَخُو سَقَطَةٍ قَدْ أَسْلَمَتْهُ الْعَوَائِدُ

الناظران : عِرْقَانِ فِي مَدَمَعِ الْعَيْنَيْنِ . يَصِفُهَا بِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِجَهْمَةِ الْوَجْهِ ،
لَكِنَّهَا أَسِيلَةُ الْخَدَّيْنِ ، وَيَزِينُهَا شَبَابٌ مُقْتَبِلٌ ، وَرِفَاقَةٌ مِنَ الْعَيْشِ وَدَعَةٌ ،
وَيَقَالُ : عَيْشٌ خَفِضٌ ، وَخَفِضْتُ عَيْشَهُ فَهُوَ مَخْفُوضٌ . وَالْبَارِدُ : الثَّابِتُ .
وَيَقَالُ : بَرَدَ لِي عَلَى فُلَانٍ حَقٌّ ، أَيْ ثَبَتَ .

وقوله «أَرَادَتْ لَتَنْتَاشَ الرِّوَاقَ» فَلَا تَنْتَاشَ : التَّنَاوُلُ . يَصِفُهَا بِأَنَّهَا مَخْدَمَةٌ ،
لَا تَبْتَذِلُ نَفْسَهَا فِي مِهْنَةٍ ، وَلَا فِي عَارِضِ خِدْمَةٍ ، حَتَّى أَنْهَا إِذَا أَرَادَتْ تَنَاوُلَ
رِوَاقِ الْبَيْتِ — وَالرِّوَاقُ : مَا مُدَّ مَعَ الْبَيْتِ مِنْ سِتَارَةٍ — لَمْ تَتْرَكْ وَالْقِيَامَ
إِلَيْهِ ، وَلَكِنْ قَدَّمَتْهُ الْوَلَانِدُ^(٢) ، وَأَمَلْنَتْهَا حَتَّى نَظَرَتْ إِلَى مَا وَرَاءَهُ ، فَإِذَا
كَانَتْ فِي مِثْلِ هَذَا تُودِّعُ وَتُسَكِّفِي ، فَمَا هُوَ أَنْقَلُ مِنْهُ أَبْعَدُ مِنْ اسْتِعْمَالِهَا فِيهِ .
وَالطَّاطَاةُ : خَفِضَ الرَّأْسِ وَغَيْرِهِ عَنِ الْاِشْتِرَافِ . وَيَقَالُ لِلْفَارِسِ إِذَا ضَبَطَ فَرَسَهُ
بِفَخْذَيْهِ نَمَّ حَرًّا كَهَ لِلْحَضَرِ : طَاطَأَ فَرَسَهُ .

وقوله «تَنَاهَى إِلَى لَهْوِ الْحَدِيثِ» أَرَادَ أَنَّهَا تَنْصَبُّ مِنْ كُلِّ أَحْوَالِهَا إِلَى
اللَّهْوِ ، وَتَنْتَهِي إِلَيْهِ ، إِذْ كَانَ مَا عَدَا اللَّهْوَ قَدْ كُفِّيتْ ، فَهِيَ مُنْعَمَةٌ لَا تَتَمَلَّلُ

(١) عبارة الإنشاد هذه ساقطة من ل . وعند التبريزي : « وقال آخر ، وقيل هو
عتيبة بن مرداس » ، وقد سبقت ترجمة العباس في الحماسية ١٤٩ ص ٤٣٣ .

(٢) ل : « قربته الولاند » .

إِلَّا بِاللَّعِبِ وَالْهَزْلِ ، فَكَأَنَّهَا عَلِيلٌ يُتَرَفَّرُ عَلَيْهِ وَيُشْفَقُ ، حَتَّى يُتْرَكَ لَا يُهْمُهُ شَيْءٌ ، وَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ ، يَعْنِي أَنَّهَا فِي تَوْفُّرِهَا عَلَى الْحَدِيثِ وَالْمَلَاهِي عَلَى نَعْمَتِهَا وَكَسَلِهَا ، كَذَلِكَ الْعَلِيلُ فِي تَوْفُّرِهِ عَلَى مَقَاسَاتِهِ مَا بِهِ .

٥١٣

آخر (١) :

١ — وَلَوْ أَنَّ لَبَيَّ الْأُخَيْلِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلَى وَدُونِ تَرْبَةٍ وَصَفَاخٍ (٢)
 ٢ — لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْزَقًا إِلَيْهَا صَدَّى مِنْ دَاخِلِ الْقَبْرِ صَاخٍ (٣)
 ٣ — وَأُغْبِطُ مِنْ لَيْلِي بِمَا لَا أُنَالُهُ أَلَا كُلُّ مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحُ
 يقول : لو أن هذه المرأة سَلَّمَتْ عَلَى وَقَدْ مِتُّ فحال بيني وبينها صفائح القبر ، وَتَرَى اللَّاحِدَ ، لَتَسَرَّعْتُ إِلَى جَوَابِهَا ، وَقَابَلْتُ سَلَامَهَا بِبَشَاشَةٍ مَنَى لَهَا وَطَلَاقَةً وَجْهَ ، لَتَلْقِيَهَا وَإِجَابَتَهَا . فَإِنْ حَصَلَ مَنَعٌ دُونَ الْمَرَادِ صَاحَ إِلَيْهَا صَدَّى لِي مِنْ دَاخِلِ قَبْرِى بِذَلِكَ جَوَابٍ مَنَى . وَهَذَا عَلَى اعْتِقَادِهِمْ كَانَ ، أَنَّ عِظَامَ الْمَوْتِ تُصِيرُ هَامًا وَأَصْدَاءً .

وقوله « وَأُغْبِطُ مِنْ لَيْلِي » يقول : إِنِّي مَرْمُوقٌ وَمَحْسُودٌ مِنْذُ عُرِفْتُ بِلَيْلِي وَإِنْ لَمْ أَنْلِ مِنْهَا مَطْلُوبًا ، وَلَا حَصَلْتُ مِنَ الشَّقَاءِ بِهَا طَائِلًا . ثُمَّ قَالَ : « أَلَا كُلُّ »

(١) هو توبة بن الحمير ، كما صرح التبريزي . والأبيات بهذه النسبة في الحيوان (٢) : (٢٩٩) وأمالى القالى (١ : ١٩٧) والأغانى (١٠ : ٧٧) . وهو توبة بن الحمير بن حزم ابن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل ، من شعراء الدولة الأموية ، وأحد عشاق العرب . الأغانى (١٠ : ٦٣ — ٧٩) والاشتقاق ١٨٢ والمؤتلف ٦٨ ، ٩٣ والخزائن (٣ : ٣١) — (٣٤) والعيبي (١ : ٥٦٩ — ٥٧١) واللائى ١١٩ — ١٢٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ والأمالى (١ : ٨٦ — ٨٩) وفوات الوفيات والشعراء ٤١٢ — ٤١٥ .

(٢) الحيوان : « جندل وصفائح » .

(٣) التبريزي ، والجماحظ ، والقالى ، والأصبهاني : « من جانب القبر » .

ماقرت به العينُ صالح» يريد أني قرير العين بأن أذكر بها وتعرف بي دون طلابها ، وهذا القدر نافع وإن تجرد مما سواه .

٥١٤

وقال آخر :

١ - فإن تمنعوا ليلي وحسن حديثيها فلن تمنعوا مني البكا والقوافي

٢ - فهلا منعتهم إذ منعتهم حديثيها خيالا يوافيني على النسائي هاديا

يقول : إن حلت بيني وبين ليلي ومنازعتها الكلام ، والناس بحديثها ،

وحبس النفس على التزود منها ومن مغازلتها ، فإنكم لا تقدرون على ما أنا

بصدده من البكاء لها وجدا فيها ، ومن قرض الشعر في النسيب بها ؛ وإذ قد

منعتهم حديثها والدنو منها ، فهلا حبستم عني خيالا عارفا بالطريق على البعد بيني

وبينها ، حسن الاهتداء إلى حيث ذهبت عنها ، يزورني في المنام فيطري من

الشوق ما أخلق ، ويعيد من الهوى ما درس . وهذا الكلام تحسیر لهم ،

وتشهير بمكايدهم^(١) ، وتذكير بما يسوؤهم ، وإعلام أن العهد بينهما مرعى ،

والهوى مما يقدح فيه من الجانبين محفوظ ، بدلالة أنه لو استجفاها لامتنع

خيالها ، لزوال نومه ، وذهاب هذوه . ألا ترى الآخر يقول :

وكان يزورني منه خيال فلما أن جفا منع الخيالا

(١) ل : لمكايدهم .

٥١٥^٧وقال نُصَيْب^(١) :

١ - كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغْدَى بِلَيْلِي الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ

٢ - قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرِكُ فَبَاتَتْ تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ^(٢)

يقول : لَمَّا أَحْسَسْتُ بِاللَّيْلَةِ الَّتِي رُسِمَتْ بِوُقُوعِ الْفِرَاقِ فِي صَبِيحَتِهَا ، أَوْ فِي
وَقْتُ الرِّوَاكِ مِنْ غَدِهَا ، وَتَصَوَّرْتُ أَنَّ الْمَتَوَاعِدَ بِهِ حَقٌّ ، وَالْمُتَحَدِّثَ بِهِ وَاقِعٌ ،
صَارَ قَلْبِي فِي الْخَفَقَانِ وَالْاضْطِرَابِ كَقَطَاةٍ وَقَعَتْ فِي شَرِكٍ يُجْبِسُهَا ، فَبَقِيتُ
لَيْلَتَهَا تُجَاذِبُهُ وَالْجَنَاحَ عَلِقَ لَا مُتَخَلِّصَ لَهُ ، نَشِبَ لَا مُتَنَزِعَ مِنْهُ^(٣) ، وَكَمِثْلُ
ذَلِكَ قَلْبِي قَلِقَ فِي حَشَاةٍ ، غَلِقَ عِنْدَ بَلَوَاهُ .

وَارْتَفَعَ قَطَاةً عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ كَأَنَّ ، وَعَزَّهَا^(٤) فِي مَوْضِعِ الصَّفَةِ لِقَطَاةٍ ، يَرِيدُ
غَلْبَهَا . وَانْتَصَبَ «لَيْلَةً» عَلَى الظَّرْفِ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ «كَأَنَّ الْقَلْبَ» مِنَ التَّشْبِيهِ ،
وَلَا يَحُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا بَقِيلَ ، لِأَنَّهُ بِمَا بَعْدَهُ مِضَافٌ إِلَيْهِ ، وَالْمِضَافُ إِلَيْهِ لَا يَعْمَلُ

(١) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحَاسِيَةِ ٤٩٥ ص ١٢٨٩ . عَلَى أَنَّ الشَّعْرَ نَسَبَ إِلَى الْمُحَنُونِ فِي
الْأَغَانِي (٢ : ٣ ، ١٤) وَالْأُمَالِي (٢ : ٦١) وَالْمَوْشِحَ ٢٥٠ . وَهَذِهِ النِّسْبَةُ أَقْرَبُ إِلَى
الصَّوَابِ . وَنَسَبَ فِي دِيْوَانِ النِّعَمَانِ (١ : ٢٧٠) إِلَى قَيْسِ بْنِ ذَرِيعٍ .
(٢) بَعْدَهُ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ :

لَهَا فَرَخَانٍ قَدْ تَرَكَا بَوَكْرٍ فَعُشِمَا تَصَفَّقَهُ الرِّيحُ

إِذَا سَمِعَا هُبُوبَ الرِّيحِ نَصًّا وَقَدْ أَوْدَى بِهِ التَّدْرُ الْمَتَاحُ

فَلَا فِي اللَّيْلِ نَالَتْ مَا تُرَجَّى وَلَا فِي الصُّبْحِ كَانَ لَهَا بَرَاخُ

نَصَا ، أَيْ نَصَبَا أَعْنَاقَهُمَا .

(٣) ل : « لَا مُتَنَزِعَ مِنْهُ » .

(٤) فِي الْحَيَوَانَ (٥ : ٥٧٧) : « غَرَهَا » بِمَعْنَى خَدَعَهَا .

في المضاف . وقوله « تُجاذِبُه » والمفاعلة تكون في الأكثر من اثنين ، فلا تَهْ جَعَلَ مَنْعَ الشَّرْكَ للقطاة من التخلُّص جذباً منه .

٥١٦

وقال أبو حية النميري^(١) :

١ — رَمَتْنِي وَسِترُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ونحنُ بأَكنافِ الحِجَازِ رَمِيمٌ^(٢)

٢ — فلو أَنَّها لَمَّا رَمَتْنِي رَمَتْنِيهَا وَلَكِنَّ عَهْدِي بِالنُّضالِ^(٣) قَدِيمٌ

رَمِيمٌ : اسم المرأة ، وارتفع لَأَنَّها فاعلةٌ ، وقد بُني على رَمَتْنِي . وأراد بِسِترِ اللَّهِ الإسلامَ . فيقول : نظرتُ إلى رَمِيمٍ ، فكأَنَّها رَمَتْنِي بِسهمٍ ، ونحنُ مقيمونُ بأَكنافِ الحِجَازِ ، والإسلامُ حاجزٌ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، يمنعُ من مُغازلتها وسراودتها . ومثل هذا قول الهذلي^(٤) :

فليسَ كعَهْدِ الدَّارِ يا أُمَّ مَالِكٍ وَلَكِنْ أَحاطَتْ بِالرَّقَابِ السَّلَاسِلُ

وعادَ التقي كالكهل ليسَ بِقائلٍ سِوَى الحَقِّ شَيْئاً واستراحَ العواذِلُ^(٥)

كَنَى عن الإسلامِ في مَنعِهِ عن القُبائحِ وأنواعِ الفُحشِ والظُّلمِ بالسَّلَاسِلِ في الأغلالِ المحيطةِ بالأيدى والأعناقِ .

(١) هو الهيثم بن الربيع بن زرارة بن كثير بن جناب بن كعب بن مالك بن عامر بن نمير بن عامر بن صعصعة ، شاعر راجز من مخضري الدولتين الأموية والعباسية ، ومدح الخلفاء فيهما جميعاً ، وكان يسكن البصرة ، وكان أهوج جباناً بخيلاً كذاباً معروفاً بذلك أجمع . قال ذات يوم : عن لي ظبي فرميته فراغ عن سهمي ، فعارضه والله ذلك السهم ، ثم راغ فراوغه السهم حتى صرعه ببعض الحبارات . الأغاني (١٥ : ٦١ — ٦٢) والحزنة (٤ : ٢٨٣ — ٢٨٥) والمؤتلف ١٠٣ واللائق ٢٤٤ والشعراء ٧٤٩ — ٧٥٠ .

(٢) الأبيات بهذه النسبة في الكامل ١٩ ليسك ، وبدون نسبة في الحيوان (٣ : ٤٩) والبيان (١ : ٦٨ / ٣ : ٣٢٤) . ويروى : « عشية آرام السكاس » .

(٣) يروى بينه وبين سابقه :

رَمِيمٌ التي قالت لجلارات يبتها ضَمِنْتُ لَكُمْ ألا يزالُ يهيمُ

(٤) هو أبو خراش الهذلي . ديوان الهذليين (٢ : ١٥٠) والأغاني (٢١ : ٤١) .

(٥) في الديوان : « سوى العدل شيئاً فاستراح » .

وقوله « فلو أنها لما رمتني رمتها » جواب لو محذوف ، والمراد لو تعرضت لها وقابلتها في عرض محاسنها بمثل ما يكون للشبان بمنزلة الشفعاء عند النساء ، لحق الأمر وكان القدر يجري إلى القدر^(١) ، ولكن قد شخت وكبرت ، فعهدي بمناضلة النساء قديم .

٥١٧

وقال آخر^(٢) :

- ١ - أَسِجَنَّا وَقِيدًا وَاشْتِيَاقًا وَعَبْرَةً وَنَأَى حَبِيبٍ إِنَّ ذَا لِعَظِيمٍ^(٣)
 - ٢ - وَإِنَّ أَمْرًا دَامَتْ مَوَائِقُ عَهْدِهِ عَلَى كُلِّ مَا قَاسَيْتَهُ لَكَرِيمٍ^(٤)
- انْتَصَبَ « سِجَنًا » بإضمار فعل ، كأنه قال : أَتَجَمُّعُ عَلَى حَبَسًا وَتَقْيِيدًا ، وَاشْتِيَاقًا إِلَى حَبِيبٍ وَبَكَاءَ ، مَعَ بُعْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، إِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ مُنْكَرٌ فَظْمِعَ ، يَتَضَاقُ نِطَاقُ الصَّبْرِ عَنْ احْتِمَالِهِ وَالْبَقَاءِ مَعَهُ ، وَأَشْبَارُ بَذَا إِلَى اجْتِمَاعِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِ ، وَنَبَهَ عَلَى عَجْزِهِ فِي احْتِمَالِهَا لَوْلَا كَرَمُ عِرْقِهِ ، وَاسْتِحْكَامُ عَقْدِهِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ تَحَمَّدَ بِحَالِهِ ، وَاعْتَدَّ عَلَى حَبِيبِهِ بِقَاءِهِ عَلَى الْعَهْدِ لَهُ . وَدَوَامُ وَدِّهِ عَلَى اجْتِمَاعِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : إِنَّ أَمْرًا دَامَتْ مَوَائِقُ عَهْدِهِ ، يَرِيدُ : إِنَّ رَجُلًا ثَبَتَ عَلَى أَوَّلِيَّةِ شَأْنِهِ ، وَمَبَادِي مَوَائِقِهِ ، مَعَ مَا يَقَاسِيهِ مِنْ تَزَاحُمِ هَذِهِ الْبَلَايَا عَلَى قَلْبِهِ ، لَكَرِيمٍ الْعَهْدِ ، نَبِيهِ الشَّانِ ، وَثِيقِ الْعَقِيدَةِ .

(١) كَذَا ضَبَطَ فِي النَّسَخَتَيْنِ . وَالْقَدْرُ ، بِسُكُونِ الدَّالِ لُغَةٌ فِي الْقَدْرِ بِفَتْحِهَا . وَأَنْشَدَ :

كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى أَخِيكَ مَتَاعٌ وَبِقَدْرِ تَفَرُّقٍ وَاجْتِمَاعٍ

(٢) هُوَ أَحَدُ الْأَعْرَابِ كَمَا هُوَ فِي الْبَيَانِ (٤ : ٦٢) . وَنَسَبَ فِي الْحَيَوَانَ (٦ : ١٥٩)

إِلَى بَعْضِ اللَّصُوسِ .

(٣) الْحَيَوَانَ : « أَقِيدَ وَحَبَسَ وَاغْتَرَابَ وَفَرَقَ وَهَجَرَ حَبِيبٌ » . الْبَيَانُ : « أَقِيدَا

وَسِجَنًا وَاغْتَرَابًا وَفَرَقًا وَذَكَرَ حَبِيبٌ » .

(٤) التَّبْرِيزِيُّ : « عَلَى مِثْلِ مَا قَاسَيْتَهُ » . الْبَيَانُ : « عَلَى كُلِّ مَا لَاقَيْتَهُ » . الْحَيَوَانَ :

« عَلَى عَشْرِ مَا بِي لَانِهِ » .

وَيُرَوَّى : « أَسَجِنُ وَقِيدٌ » بالرفع ، والمراد : أجتتمع هذه الأشياء على طريق التَّفْطِيعِ والتَّهْوِيلِ .

٥١٨

وقال آخر^(١) :

١- رَعَاكَ ضَمَانُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَلِلَّهِ أَنْ يَشْفِيكَ أَعْنَى وَأَوْسَعُ^(٢)
٢- يُذَكِّرُ نِيكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ وَالَّذِي أَخَافُ وَأَرْجُو وَالَّذِي أَتَوَقَّعُ
أشار بقوله « ضَمَانُ اللَّهِ » إلى ما في القرآن من قوله تعالى : ﴿ أَدْعُونِي ﴾ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴿ ١ ﴾ ، فقال : أنا أدعو بأن يَشْفِيكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ^(٣) يَا أُمَّ مَالِكٍ .
وقد ضمنَ الإجابة للداعي فَرَعَاكَ ضَمَانُهُ . ثم قال : وَلِلَّهِ أَنْ يَشْفِيكَ ، لحذف حرف الجرِّ ، والجائرُ يُحذف مع أن كثيراً ، لأنَّ حَذْفَهُ أَظهرُ غِنَاءً وَأوسع قدرةً . ونَبَّهَ بهذا الكلام أَنَّهُ فِي كَلِمَتِهِ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْغِنَى الْقَادِرُ اعْتَمَدَ عَلَى مَا لَا بُدَّ مِنْ وَقُوعِهِ .

وقوله « يَذَكِّرُ نِيكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ » يريد أنه لا ينساها في شيء من الأحوال والأوقات ، فما يَتَقَلَّبُ فيه من خيرٍ باكرٍ ، أو شرٍّ طارقٍ ، فهو يَذَكِّرُهُ ، وكذلك ما يَخَافُ وَقُوعَهُ أو يَرْجُوهُ ، ولم يَصِرْ منهما على يقين يَذَكِّرُهُ أَيْضاً ، وكذلك ما صار منه على يقين ، فهو يَتَوَقَّعُهُ ، يَذَكِّرُ أَيْضاً . وإذا تَأَمَّلْتَ حَوَادِثَ الدَّهْرِ وَجَدْتَهَا لَا تَنْقَسِمُ إِلَّا إِلَى قِسْمَتِهِ ، لأنها لَا تَخْلُو من أن تكون مَحْبُوبَةً أو مَكْرُوهَةً ، أو واقعة أو مُنْتَظَرَةً ، أو مَخُوفَةً أو مَرْجُوءَةً .

(١) هو أعرابي من هذيل كما في الحيوان (٧ : ١٤٨) . وفي البيان (٣ : ٣٣٠) : « وقال أعرابي » .

(٢) في نسخة فيض الله من البيان : « أرعى وأوسع » .

(٣) ل : « جل جلاله » .

٥١٩

وقال الحكم الخضرى^(١) :

- ١ - تَسَاهَمَ ثَوْبَاهَا فِي الدَّرْعِ رَادَّةٌ وَفِي الْمِرْطِ لَمَّا وَانٍ رِدْفُهُمَا عَيْلُ
- ٢ - فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى أَزِيدَتْ مَلَاَحَةً وَحُسْنًا عَلَى النَّسْوَانِ أَمْ لَيْسَ لِي عَقْلُ
- معنى تَسَاهَمَ تَقاسَمَ ، ولذلك قيل : سَهْمَةُ فُلَانٍ مِنْ هَذَا كَذَا ، أى قسمته ونصيبه . ويجوز أن يكون أصله مِنَ السَّهَامِ : القِدَاحِ الَّتِي تُجَالُ بَيْنَ الْخَصُومِ إِذَا تَقَارَعُوا لِيَسْتَبَدَّ كُلٌّ بِمَا يَخْرُجُ لَهُ لِقِسْمَتِهِ وَبِدَّتِهِ . وفى القرآن : ﴿ فَتَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ ، فكأنه استعار - وإن كان أصله ما ذكرنا - للتقاسم ، إِذْ كَانَ يُفْعَلُ لِلْقَسَمِ وَمَا يَشْبَهُهُ لِأُخْرَى ، فيقول : انقسمَ جِسْمُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ بَيْنَ دِرْعِهَا وَإِزَارِهَا ، ففِي دِرْعِهَا بَدَنٌ نَاعِمٌ وَخَصَرٌ دَقِيقٌ ، وَفِي مِرْطِهَا فَخِذَانِ غَلِيظَتَانِ عَلَيْهِمَا رِدْفٌ ضَخْمٌ .

وقوله « فوالله ما أدري » يريد أن الخيرة قد ملكته في أمرها ، لِمَا يَرَى مِنْ مِثْلِ قَلْبِهِ إِلَيْهَا ، وَشِدَّةِ افْتِقَانِهِ بِهَا ، فَهُوَ لَا يَدْرِي أَزِيدَتْ حُسْنًا وَمَلَاَحَةً عَلَى نِسَاءِ الدُّنْيَا كُلِّهَا ، أَمْ هُوَ فَائِزُ الرَّأْيِ فِي الْاِخْتِيَارِ ، مُجْبُولُ الْعَقْلِ فِي الْاِعْتِبَارِ ، ضَمِيفُ التَّبَصُّرِ ، فِي الْاِرْتِيَادِ وَالتَّخْيِيرِ . وَالرَّادَةُ وَالرُّوْدَةُ : النَّاعِمَةُ وَاللَّفَاءُ : السَّكْنَةُ الْكَثِيرَةُ لِلْحِمِّ . وَالْعَيْلُ : الضَّخْمُ ، وَمَصْدَرُهُ الْعَبَالَةُ .

(١) هو الحكم بن معمر بن قنبر بن جحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف بن محارب . وكان مالك بن طريف شديد الأدمة ، وكذلك خرج ولده ، فسموا الخضر ، وهم خضر محارب . وهو شاعر إسلامي ، كان معاصرا لابن ميادة ، وكان بينهما مباحاة . الأغاني (٢: ٩٤) والآلئ ١٦ ومجمع الأدباء (١٠ : ٢٤٠ - ٢٤٥) .

٥٢٠

آخر:

١ - أَرْوَحُ ولم أَخْذِثْ لِلَّيْلِ زِيَارَةً لَيْئَسَ إِذَا رَاعَى الْمَوَدَّةَ وَالْوَصْلَ
 ٢ - تُرَابٌ لِأَهْلِي لَا وَلَا نِعْمَةً لَهُمْ لَشَدَّ إِذَا مَا قَدْ تَعَبَّدَنِي أَهْلِي

كَانَ مَنْ صَحْبَهُ مِنْ أَهْلِهِ اسْتَعَجَلُوهُ عَنْ زِيَارَةِ لَيْلِي ، فيقول مُنْكَرًا
 ومفظعًا : أَرْوَحُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَقْضِيَ حَقَّهَا ، أَوْ أَجِدَّ الْإِلَامَ بِهَا ، لَيْئَسَ رَاعَى
 الْمَوَدَّةَ وَالْمَوَاصِلَةَ أَنَا . حذف المذموم بَيْئَسَ لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ ، ومثله في الْقُرْآنَ :
 ﴿ نِعَمَ الْقَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ، والمعنى : نِعَمَ الْعَبْدُ أَيُّوبَ ، غُذِفَ الْمَدُوحُ نِيعَمَ ،
 لِكَوْنِ الْمُرَادِ مَفْهُومًا . وَإِذَا جَوَابٌ وَجْزَاءٌ ، وَكَأَنَّهُ حَشَابَةُ الْكَلَامِ لِيُعْلَمَ أَنَّ
 مَا يَقُولُهُ جَوَابٌ لِمَا سَبَقَ . وَاللَّامُ مِنْ «لَيْئَسَ» لَامُ الْإِبْتِدَاءِ ، وَارْتَفَعَ رَاعَى الْمَوَدَّةَ بِهِ .
 وَقَوْلُهُ «تُرَابٌ لِأَهْلِي» دَعَاءٌ عَلَيْهِمْ ، وَتَحْقِيرٌ لَهُمْ ، وَاسْتِخْفَافٌ بِهِمْ . وَجَازَ
 الْإِبْتِدَاءُ بِقَوْلِهِ «تُرَابٌ» وَهُوَ نَكْرَةٌ ، لِأَنَّ مَعْنَى الدَّعَاءِ مِنْهُ مَفْهُومٌ . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ :
 * فَتَرَبُّ لَأَفْوَاهِ الْوُشَاةِ وَجَنْدَلُ *

والمراد في الدعاء طلبُ الدَّلِّ لَهُمْ .

وقوله «لا ولا نعمة لهم» يجوز أن يكون المنفى بلا الأولى حُذِفَ لِمَا دَلَّ
 عَلَيْهِ الْكَلَامُ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : لِأَهْلِهِ التُّرَابُ لَا عِزٌّ لَهُمْ وَلَا نِعْمَةٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
 «لا» رَدًّا لِمَا عَرَضُوا عَلَيْهِ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ لِلْإِنْسَانِ : أَفْعَلْ لِفُلَانٍ كَذَا وَكَذَا ،
 فيقول : لا ولا كَرَامَةً ، أَيْ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ وَلَا أَكْرِمُ مِنْ يَسُومُنِيهِ . وَقَوْلُهُ
 «لَشَدَّ إِذَا مَا قَدْ تَعَبَّدَنِي أَهْلِي» تَعَبَّدَهُ وَاسْتَعْبَدَهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، أَيْ اسْتَذَلَّهُ ،
 وَ«لَشَدَّ مَا» هُوَ كَمَا يُقَالُ : لَعَزَّ مَا ، وَالْمَعْنَى الْإِنْكَارُ فِيمَا عَرِضَ عَلَيْهِ وَدُعِيَ إِلَيْهِ ،
 وَأَنَّهُمْ تَجَاوَزُوا كُلَّ حَدٍّ فِي امْتِنَانِهِ حِينَ عَرَضُوا عَلَيْهِ مِثْلَ ذَلِكَ . وَهَذَا الْكَلَامُ

مُسْتَمِلٌ عَلَى الْخِلَافِ وَقَلَّةُ الْاحْتِفَالِ . وَيَجُوزُ أَنْ يُجْرَى شَدًّا مَا ، يُجْرَى نَعَمَ وَيَنْسَ .

٥٢١

وقال أبو دَهَبَلٍ الْجُمَحِيُّ^(١) :

١ - أَتَرُكُ لَيْلِي لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سِوَى لَيْلَةٍ إِنِّي إِذَا لَصَبُورُ
قوله « أَتَرُكُ » لفظه لفظ الاستفهام والمعنى الإنكار ، كأنه أنكر من نفسه أن يترك التعريج على ليلي وبينهما مسيرة ليلة ، فقال : أَلْخِلْ بزيارتها وأداء واجبها مع قُرب المسافة بيني وبينها ؟ إِنِّي إِذَا لَمْتُنَاهِ فِي الصَّبْرِ عَنْ الْأَحْبَابِ ، كَسُولٌ عَنْ الْبَرِّ بَذَوِي الْأَذِمَّةِ وَالْأَسْبَابِ^(٢) . وإنما قال هذا باعثاً لِصَحْبِهِ عَلَى مُسَاعَدَتِهِ ، وطالبا منهم تمكينه من مراده . لذلك قال :

٢ - هَبُونِي أَمْرًا مِنْكُمْ أَضِلَّ بِعِيرِهِ لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الذِّمَامَ كَبِيرُ

٣ - وَلِلصَّاحِبِ لِلتَّرُوكِ أَعْظَمُ حُرْمَةً عَلَى صَاحِبٍ مِنْ أَنْ يَضِلَّ بِعِيرِ

٤ - عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلِي الْفَدَاءَ فَإِنَّهَا إِذَا وَلِيَتْ حَكْمًا عَلَى تَجَوُّرُ

قوله « هَبُونِي » معناه احسبوني واجملوني ، وهو يتعدى إلى مفعولين . وحكى ابن الأعرابي : وَهَبَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ بِمعنى جعلني فداءك . وقوله « أَضِلَّ بِعِيرِهِ » يقال في الشيء الزائل عن مكانه إِذَا فَقِدَ : أَضَلَّتْهُ ، فَإِنْ ثَبَتَ فِي مَكَانِهِ

(١) هو وهب بن زعمة بن أسيد بن أحيحة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي ، كان رجلاً جميلاً شاعراً ، وكانت له حمة يرسلها فتضرب منكبيه ، وكان عفيفاً ، وقال الشعر في آخر خلافة علي بن أبي طالب ، ومدح معاوية وعبد الله ابن الزبير ، وكان ابن الزبير قد ولاه بعض أعمال اليمن . الأغاني (٦ : ١٤٩ - ١٦٥) والاشتقاق ٨١ والمؤتلف ١١٧ والشعر ٥٩٦ - ٥٩٩ .

(٢) الأذمة : جمع ذمام ، وهو الحرمة والحق والعهد .

ولم يُهْتَدَ إليه قيل : ضَلَّتُهُ . وقوله « إِنَّ الدَّمَامَ كَبِيرٌ » كالالتفات ، وقوله « أَضَلُّ بِعِيرَةٍ » في موضع الصِّفَةِ لَأَمْرًا ، وكذلك « لَهُ ذِمَّةٌ » صفةٌ أُخْرَى . ومعنى منكم مِنْ خَاصَّتِكُمْ وَبِطَانَتِكُمْ ، وهو يُفِيدُ معنى الوصف أيضاً . والمعنى : أَجْرُونِي بِحِجْرِي رَجُلٌ مِنْكُمْ نَدَّ لَهُ بِعِيرٌ ، وله ذِمَامُ الصُّحْبَةِ وَالنَّسَبِ وَالْقَرَابَةِ ، فَإِنَّ الدَّمَامَ حَقَّهُ ، وَحُرْمَةُ الْمُرَافَقَةِ كَبِيرَةٌ ، وَدَعَوْنِي أَقْضِي مِنْ حَقِّ لَيْلِي وَاجِبِهِ ، وَلَا تَسْتَعِجِلُونِي فِي ذَلِكَ وَلَا تَمْنَعُونِي عَنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : فَإِنْ كُنْتُمْ تَرْكُمُونِي وَلَمْ تُوفِّرُونِي عَلَى مَا أَهْمُ بِهِ فَيَا يَخْتَصُّ بِي لَهَا ، كُنْتُمْ تَرْكُمْتُمْ رَفِيقًا لَكُمْ وَضِعْتُمُوهُ أَشَدَّ مَا كَانَ حَاجَةً إِلَيْكُمْ ، وَالرَّفِيقُ أَعْظَمُ حُرْمَةٍ فِي صَاحِبِهِ الْمَتْرُوكِ مِنْ ضَلَالٍ بِعِيرٍ . يُرِيدُ : وَإِذَا عُدْتُ تَرَكَ الْإِسْتِغْنَاءَ ^(١) بَعْنِ أَرَادَ نِشْدَانَ ضَالَّتِهِ ، تَجَوُّزًا فِي الْحَافِظَةِ ، وَتَعْدِيًّا فِي حُكْمِ الْمُرَافَقَةِ كَانَ مِثْلُ ذَلِكَ إِذَا فَعِلَ مَعَ مَنْ يَرُومُ تَجْدِيدَ الْعَهْدِ بِرُوحِهِ ، وَالِاسْتِبْقَاءَ عَلَى لُبِّهِ ، أَعْظَمَ فِي الْجِنَايَةِ ، وَأَقْبَحَ فِي الْأَحْدُوثة .

وقوله « عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلِي الْغَدَاةَ » تَشَكَّرَ وَتَأَلَّمَ مِنْ سُوءِ مُعَامَلَتِهَا وَأَنَّهَا مَتَى حُكِمَتْ فِيهِ وَفِيهَا يَتَعَلَّقُ بِهِ جَارَتُ وَلَمْ تُنْصَفْ . وَهَذَا الْكَلَامُ مِنْهُ إِذْنًا بِأَنَّهَا تَسْتَعِظُ الصَّغِيرَ إِذَا وَقَعَ مِنْهُ ، بَلْ تَعُدُّهُ كَبِيرَةً وَتَغْلُظُ الْعُقُوبَةَ عَلَيْهَا ، وَالْمُؤَاخَذَةَ بِهَا .

٥٢٢

وقال آخر :

١- أَاخِرُ شَيْءٍ أَنْتِ فِي كُلِّ هَجْعَةٍ وَأَوَّلُ شَيْءٍ أَنْتِ عِنْدَ هُبُوبِ

٢- مَزِيدُكَ عِنْدِي أَنْ أَقِيكَ مِنَ الرَّدَى وَوُدُّكَ كَمَا الْمَزْنِ غَيْرُ مَشُوبِ

قوله « فِي كُلِّ هَجْعَةٍ » الْعَامِلُ فِيهِ آخِرٌ ، وَكَذَلِكَ « عِنْدَ هُبُوبِ » الْعَامِلُ

فِيهِ أَوَّلُ شَيْءٍ . يَقُولُ : لَا أَخْلُو مِنْ ذِكْرِكَ سَاعَةً ؛ لِأَنِّي إِنْ نِمْتُ كَانَ خِيَالُكَ

(١) هُوَ مُصَدَّرٌ اسْتَأْنَى ، أَيْ تَأَنَّى وَلَمْ يَعِجَلْ .

سميرى مدّة مجوعى ، وإن أوقظت كنت لزيماً ذكراك مدّة يقطى ، فأنت فى النوم آخر شىء لى ، ولا فاصل بين الحالين . ثم قال : والذى يزيدك من عندى ألا أشهر بك ، ولا أبوح بسرّك ، ولا أعلن النسيب باسمك ، إذ كان فى جميعه تنفيرك ، وتعريضك للردى : فضيحتك ، فأنا أقيك من ذلك ، وأنا أضفى لك الودّ حتى لا يشركك فى قلبى أحد ، فيصير ناوى الود مشوباً ، وصافى الهوى مكدّراً . ويجوز أن يكون المراد : مزيدك عندى أن أدعو الله تعالى بالصيانة لك ، وتوفير الحياطة عليك من كل ما تكرهينه ، أو يؤدّى إلى شديك فيما ترومينه .

والذى يشهد لقوله « من الردى » وأن المراد به الفضيحة قول امرئ القيس :
صرفت الهوى عنهن من خشية الردى ولست بمقلّ الخلال ولا قال
ألا ترى أنه كان ملكاً لا يخاف معارضاً له فيما يتعاطى من اللهو ، ويختاره من الصبا والبطالة مع من كان وفيمن اتفق ، فكيف ما يتعداه من طلب الغوائل له ، لكنه عدّ انتشار الحديث فيه ، وقيام الناس وقعودهم بذكره هلاكا وعطبا .

وقوله « أن أقيك » فى موضع خبر المبتدأ وهو مزيدك ، وانعطف عليه قوله « وودّ كما المزن » .

٥٢٣

وقال آخر :

- ١ - ما أنصفت ذلفاء أماد نوها فهجره وأما نأيا فيشوق
- ٢ - تباعد ممن واصلت فكأنها لآخر ممن لا تؤدّ صديق^(١)

(١) التبريزى : « وكأنها » .

يقول : جارت هذه المرأة على في حكم الهوى ولم تنصف ، لأنى إن طلبت التّدانى منها هجرتنى وأطرحتنى ، وإن رُمتُ التّنائى عنها شوقتنى وهاجتنى ، وإذا كانت من مواصليها متباعدة ، ولموادها مهاجرة ، فكأها تصادق مُعاديها ، وتخالص مُنايذها من دون مواصليها ومقاريها ، وهذا عجب من مثلها .

وقوله « أمّا دنوؤها فهجر » المعنى أمّا فى دنوؤها فتَهْجُر . ألا ترى أنه قال « وأما نأيها فيشوق » كأنه : وأما فى نأيها فتشوق . إلا أنه جعل فعلها منسوباً إلى دنوؤها ونأيها .

٥٢٤

وقال عبد الرحمن الزهرى^(١) :

- ١ — وَلَمَّا نَزَلْنَا مِنْزِلًا طَلَّهُ النَّدى أَنِيقًا وَبُستانًا مِنَ النّورِ حاليًا^(٢)
 - ٢ — أَجَدًا لَنَا طِيبُ الْمَكَانِ وَحُسْنُهُ مَتًى فَتَمَنَّيْنَا فَكُنْتَ الْأَمَانِيَا
- جواب « لَمَّا » قوله أَجَدًا لَنَا . فيقول : لَمَّا خرجنا إلى ظاهر محالنا متزّهين ، ونزلنا موضعاً رياضه رَكِبها الطَّلُّ بالليل ، فتناثر عنها القطرُ بالغُدوات ، ونباته شَرِقَتْ بالرّى بعد الشّمس ، وضاحكت الشّمس بعد الشّروق ؛ وبساتين تحلّت بالأزاهير ، وتحفّت من بركة الله بآثار الصنع ، دَعَتْنَا نفوسنا إلى أن نتذكّر لطيب المكان ، ومُساعدة الوقت والزّمان ، ما يكمل به الشّرور ،

(١) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « الزيرى » . وعند التبريزى : « أبو بكر بن عبد الرحمن الزهرى » . وقد سبق لأبى بكر الحماصية ٤٦٩ س ١٢٤٥ . وأبوه عبد الرحمن بن السور بن محزمة بن نوفل بن أهيب بن زهرة بن كلاب . وكان جده السور ممن أدرك الإسلام صغيراً وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . الإصابة ٧٩٨٧ .

(٢) روى التبريزى قبل هذه المقطوعة مقطوعة أخرى لحفص العليمى ، وستأتى مقطوعة حفص العليمى هذا بعد المقطوعة رقم ٥٣٦ .

ونتمنى ما إليه تنهاى في الاقتراح العيون والقلوب ، فوجدنا الأمانى كلها لا تتعلق
إلا بك ، ولا تحوم فيما تجال فيه وتراود عنه إلا عليك ، ذهاباً فيك
وشعفاً بك .

ويقال : طُلَّتِ الأرضُ فهي مطلولةٌ . والأنيق : المعجب . ويقال : حَلَى
بكذا ، وتحلَّى بكذا .

٥٢٥

وقال معدان بن مضرب^(١) :

- ١ - إن كان ما بلغت عني فلا مني صديقي وشلت من يدي الأنايل
 - ٢ - وكفنت وحدي منذراً في ردائه وصادف حوطاً من أعادي قاتل
- قد مضى تفسيره في باب الحماسة .

٥٢٦

وقال آخر :

- ١ - صمًا ودُّ ليلى ما صفا لم نطع به عدواً ولم نسمع به قيل صاحب
- ٢ - فلما تولى ودُّ ليلى لجانب وقوم تولينا لقوم وجانب
- ٣ - وكل خليل بعد ليلى يخافني على الغدر أو يرضى بوذٍ مقارب

(١) الذى في معجم المرزبانى ٤٠٧ : « معدان بن جواس الكندى السكونى » . قال :
له حلف في ربيعة ، مخضرم نزل السكوفة ، وكان نصرانياً فأسلم في أيام عمر بن الخطاب ، وقام
الزبير بن العوام رضى الله عنه بأمره فدحه . وهو القائل :

ورثت أبا حوط حجة شعره وأورثني شعر السكون المضرب

أبو حوط هو حجة بن المضرب ، غر بهما . ثم أنشد له المرزبانى بيتي الحماسة هذين .
وقد نسب أبو تمام هنا إلى أحد أجداده ، ونسبته في الإصابة ٨٤٣٥ : معدان بن جواس بن
فروة بن سلمة بن المنذر بن المضرب بن معاوية .

سلك في هذا مسلك ذى الرُّمَّة حين قال :

فَيَا مَيَّ هَلْ يُجْزَى بُكَائِي بِمَثَلِهِ مِرَارًا وَأَتَفَاسِي إِلَيْكَ الزَّوَاغِرُ

وقد زَيَّفَ النُّفَادَ هذا وقالوا : ذُو الهوى لا يستدعى مَن يهواه المكافأة على

ما يتحملة فيه . وقد عاب ابنُ أَبِي عَتِيقٍ على كثيرٍ قوله :

ولستُ براضٍ من خليلي بنائلي قليلٍ ولا راضٍ له بقليلٍ

وقال : هذا كلامٌ مُكافٍ لا كلامٌ مُحِبٌّ . فقوله « وَدَّ لَيْلَى » يجوز أن

يكون الود مضافاً إلى المفعول ، والمراد وَدُّنا لَلَيْلَى ، فينتصب موضع قوله « ما صفا »

لكونه ظرفاً ، والمعنى : صفا وَدُّنا لَلَيْلَى مدَّةَ بقائه خالصاً مما يشوبُه وَيُفْسِدُه

من طاعة عدوِّها ، وإصغاء إلى قيلٍ ناصحٍ يتنصَّحُ فيها . ويجوز أن يكون

المراد : صفا وَدُّنا لَلَيْلَى مدة صفاء وَدُّها لنا ، لخميناها من قَدَحِ الأعداء فيه ،

والإصغاء إلى قيلٍ اللاتمين وعَتَبَهم له . ويدل على هذا التفسير قوله من بعدُ :

فلما تولى وَدَّ لَيْلَى لجانبٍ وقومٍ تولَّينا لقومٍ وجانبٍ

فإن قيل : كيف زعمتَ أن المعنى ما صفا وَدُّها لنا ، وقد ذكرتَ أن الودَّ

مضاف إلى المفعول ؟ قلت : إن المضمَر في الثاني هو وَدَّ لَيْلَى ، والمصدر كما يضاف

إلى المفعول يضاف إلى الفاعل أيضاً ، واللفظ لفظ واحد . وإذا كان كذلك

صَلَحَ أن يُنَوَى في قوله « ما صفا » عَوْدُ الضمير إلى وَدَّ لَيْلَى ، ويكون لَيْلَى

فاعلة لأنَّ اللفظ ذلك اللفظ ، فيكون التقدير : صفا وَدَّ لَيْلَى ما صفا وَدَّ لَيْلَى .

والمعنى : صفا وَدُّنا لَلَيْلَى ما صفا وَدُّها لنا ، أى صافيناها ما دامت تُصَافِينَا .

ويجوز أن يكون وَدَّ لَيْلَى أضاف الودَّ إلى لَيْلَى ، وهى الفاعلة ، لكنه حذف

المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . والمراد : صفا جَزَاءَ وَدَّ لَيْلَى مِنَّا ما صفا هو في

نفسه لنا . وقد رُوى : « لم نُطِيعَ بها عدوًّا » فيعود الضمير إليها ، وكذلك « ولم

نسمع بها . وإذا رويت « به » يعودُ الضمير إلى الوُدِّ .

وقوله « فلما تولى ودَّ ليلي » يريد : ودَّ ليلي لنا . والمعنى : لما مالت إلى جَنَبَةٍ غير جَنَبَتِي ، وقوم غير قومي ، نَفَضْتُ يدي من الاعتماد عليها ، وأخليت قلبي من هواها ، وصرفتُ نفسي إلى جَنَبَةٍ أخرى غير جَنَبَتِهَا ، وطائفةٍ أخرى غير طائفتها ، لأنني كما أصل أقطع ، وكما أخاط أزيل ، ولستُ ممن يقتل نفسه في إثر من لا يُريدني إذا تولى عني . وقوله « تولى » يجوز أن يكون من التولى الإعراض والذهاب ، ويجوز أن يكون من الولاء والطاعة .

وقوله « وكلُّ خليلٍ بعدَ ليلى يخافني » يريد أن الناسَ لما رأوا ولُوعِي بليلى ، وصفاء عقيدتي في الليل إليها والبقاء على العهد معها ، ثم رأوا بعده انصرافي عنها في أقرب المدد ، ولأدنى السبب ، صار كلُّ خليلٍ فيما بيني وبينه يخافني على الغدر ، ويتهمني في الوُدِّ ، فلا يطلبُ منِّي التَّناهيَ فيما يجمعني وإيَّاه ، خوفاً من الإعراض عنه ، أو يرضى معي ومن جهتي بودِّ قريب لا سرف فيه ولا اشتطاط .

٥٢٧

وقال آخر :

١- أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُبَيِّنُ لَيْلَةً وَذِكْرُكَ لَا يَسْرِي إِلَيَّ كَمَا يَسْرِي

٢- وَهَلْ يَدْعُ الْوَاشُونَ إِفْسَادَ بَيْنِنَا وَحَقَرْنَا لَنَا الْعَاثِرَ مِنْ حَيْثُ لَا نَذَرِي

هذا كلامٌ مُتَبَرِّمٌ بالهوى ، مستقيلٌ من الوشاة وإفسادهم ، متفادٍ من تحريشهم وألبهم ، متمنٍ أن تنقطع أسبابُ الهوى ، وتنقلع أغراسُ الوُدِّ .

وقوله « ليت شعري » موضع شعري نصبٌ لأنه اسمٌ ليت . وقوله « هل »

أَبَيْتَنَ لَيْلَةً « سَدَّ مَسَدَ مَفْعُولِي شِعْرِي ، لَأَنَّ مَعْنَاهُ عَلِمِي ، وَيَتَعَدَّى تَعَدِّيَهُ ، وَخَبِرَ لَيْتَ مَضْمَرًا لَا يَظْهَرُ . وَالتَّقْدِيرُ : لَيْتَ عَلِمِي وَاقِعٌ ، وَمَا يَجْرِي تَجْرَاهُ . وَالْمَعْنَى : أُنْتَمَنِي أَنْ أَعْلَمَ هَلْ أَبْقَى أَنَا لَيْلَةً مِنْ لَيَالِي الدَّهْرِ وَخَيَالُكَ لَا يَسْرِي إِلَيَّ كَمَا يَسْرِي السَّاعَةَ ، وَهَلْ أَرَى نَفْسِي سَلِيمَةً مِنْ رُمَى الْوَشَاةِ وَطَلَبِهِمْ إِفْسَادَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَحَفَرِ الْمَغْوَاةِ لَنَا ^(١) إِذَا غَبْنَا عَنْهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا نَشْعُرُ وَلَا نَدْرِي فَنَنْتَقِيهِ وَنَحْذَرُهُ .

فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ جَازَ أَنْ يُكْنَى عَنِ الْخَيَالِ بِالذِّكْرِ حَتَّى قَالَ : « وَذِكْرُكَ لَا يَسْرِي إِلَيَّ » ؟ قُلْتُ : إِنَّ الْخَيَالَ فِي الْمَنَامِ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنِ التَّذَكُّرِ فِي الْيَقَظَةِ ، يَشْهَدُ لَذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ الطَّائِي :

نَمْ فَمَا زَارَكَ الْخَيَالُ وَلَكِنَّكَ بِالْفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخَيَالِ
وَهَذَا ظَاهِرٌ وَعَلَيْهِ مَبْنَى وَصْفِ الْخَيَالِ .

وَالْعَانُورُ : مَصِيدَةُ لِلْبَهَائِمِ ، وَيُجْعَلُ اسْمًا لِلْمُتَالِفِ ، وَهُوَ فَاعُولٌ مِنَ الْعِثَارِ وَالْعُثُورِ ، وَكَذَلِكَ ^(٢) اسْتَعِيرَ لِلنَّقْصِ فِي الْحَسَبِ ، لِأَنَّ صَاحِبَهُ يَنْقُصُ بِهِ عَنْ غَايَةِ السَّابِقِ . وَانْتَصَبَ قَوْلُهُ « الْعَانُورُ » مِنَ الْمَصْدَرِ الْمُنَوَّنِ وَهُوَ حَقَرًا ، وَأَقْوَى مَا يَكُونُ الْمَصْدَرُ فِي الْعَمَلِ إِذَا كَانَ مُنَوَّنًا ، إِذْ كَانَ شَبَهَ الْفِعْلِ فِيهِ أَقْوَى .

وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْمَعَانِي : إِنَّمَا يَتِمَّنِي أَنْ يَمْلَسَكُمَا عَلَى حَدٍّ يُسْقِطُ تَسْوِيقَ الْمُفْسِدِينَ فِيهِ ^(٣) ، وَيَأْمَنُ التَّبِعَةُ مَعَهُ ، وَيَرْتَفِعُ الْعِشْقُ وَالْهَوَى مِنْ بَيْنَهُمَا .

(١) المغواة : حفرة كالزبية تحفر الأسد .

(٢) ل : « ولذلك » .

(٣) التسويق ، بالسين المهملة في النسختين ، وأصله من تسويق القوم ، إذا باعوا واشتروا .

٥٢٨

آخر :

- ١ - إن كان هذا منك حقاً فإنني مُداوي الذي بيني وبينك بالهجر
 ٢ - ومُنصرفٌ عنك انصراف ابن حُرّة طوى ودّه والطّي أبقى من النّشر
 يقول : إن كان هذا الذي يظهرُ منك موافقاً لما يَبْطُن ، وهذا الإعراضُ
 عن جَفاءٍ وقِلّي لا دلالٍ وهوّي ، فإنّي سآداوي ما بيني وبينك بالتهاجر ،
 وقاعدٌ عنك قعودٌ حرٌّ لا يَصْبِرُ على الجَفاء والتدابُر ، ولا يَرْضَى مِنْ وَدِيدِهِ
 بالمأذقة دون الصّفاء ، فأطوي ودّي معه وأصونه عن النّشر ، لأنّ الطّي أوقى
 فيه ، وصيانته عن الابتذال أوعى له ^(١) .

وإنما قال « ابن حُرّة » والقصد إلى الكريم من الرّجال ، الذي يَصُون
 نفسه ونفسَ صاحبه فلا يُوحِش مع التهاجر ، ولا يُفحِش على التّنكّر والتباغض ،
 لكنّه يلزم الجاملة والمساترة في كلّ حال ، لأنّ الأمّ إذا كانت مملّكة تبعها
 الولد في الرّق ، فيحصل الرّق والهجنةُ معاً ، ومتى كانت الأمّ حرّة لم يَنْدِمِع
 الولدُ أباه في الرّق وإن كان عبداً مملوكاً ، لكنه يكون هجيناً غيرَ عربيٍّ
 خالص .

٥٢٩

آخر ^(٢) :

- ١ - وفي الجيرة الغادين من بطن وجرة غزال كحيل المقلتين ربيب ^(٣)

(١) ل : « أرى له » .

(٢) هو بعض الأعراب ، كما في معجم البلدان (٨ : ٤٠١) .

(٣) ياقوت : « أحمر المقلتين » . وبطن وجرة : منزل لأهل البصرة إلى مكة ، بينه وبين

مكة مرحلتان .

٢- فلا تحسبي أن الغريب الذي نأى ولكن من تنأين عنه غريب
 كان شقياً الشاعر وصديقه مجتمعين ببطن وجرة زماناً ، فوقعت الألفة
 بينهما ثم افترقوا ، فقال متأسفاً في إثرها ، ومتلهفاً لما فاتته من الاجتماع بينهما :
 وفي الخلطاء الباكرين من هذا المكان امرأة كأنها غزال مكحل العينين
 مُرَبَّبٌ في البيوت ، منعمٌ بالافتناء ، ملكٌ قلبي . ثم قال مخاطباً لها : لا تنظني
 أن الغريب من بُعد عن سكنه ، ونأى عن إلفه ووطنه ، ولكن الغريب
 هو من تبعد عن غيره وفي يدك قيادته ، فعلى البعد تجذب بينه ، ومن مراده تمنعينه ،
 وقد ضاق عنه مكانه حتى صار فيه كمن نأى عن أهله ، وحصل في غير
 أرضه^(١) ومنزله .

٥٣٠

وقال آخر :

١ - بنفسى وأهلي من إذا عرّضوا له ببغض الأذى لم يدر كيف يجيب^(٢)

٢ - ولم يعتذر عذر البرى ولم تزل به سكتة حتى يقال مرّيب

تعلق الباء من قوله « بنفسى » بفعل مضمر ، كأنه قال : أفدى بنفسى
 وعشيرتي إنساناً - ويعنى به محبوبه - إذا اجتمع عليه اللوام ، وتصرفوا في
 فنون الغضب منه والعتب عليه ، فأذوا قلبه وضيقوا صدره ، ارتبك في الجواب
 وحر ، ولم يدر لقرارته بماذا يجيب ، ولسوء اهتدائه بوجوه الحيل كيف
 يتخلص ، فلا عذره عذر من لا جناية له ، ولا سكوتة سكوت من لا احتفال بهم .

(١) هذا ما في ل ، وفي الأصل : « أهله » .

(٢) عرضوا ، بالتشديد ، هو ضبط الأصل والتبريزي . وفي ل : « عرضوا » .

بتخفيف الراء .

معه ، فهو في إطراره وخُفوتِهِ ^(١) إذا قَضَيْتَهُمْ نَفَذَتْ فِيهِ بَأَنَّهُ مُرِيبٌ ، مَرْتَكِبٌ ،
ولما رُمِيَ بِهِ مُسْكَنِيْبٌ ، اسْتَدْلَالًا بِسُكُوتِهِ عَلَى الذَّنْبِ ، وَيَأْمَسَاكِهِ عَنْ إِقَامَةِ
الْمَعَاذِيرِ عَلَى صِحَّةِ الْقَرَفِ .

٥٣١

وقال آخر :

١- أَرَى كُلَّ أَرْضٍ دَمَنْتَهَا ، وَإِنْ مَضَتْ لَهَا حِجَجٌ ، يَزْدَادُ طَيِّبًا تَرَابُهَا
٢- أَلَمْ تَعْلَمْ يَا رَبِّ أَنَّ رَبَّ دَعْوَةٍ دَعَوْتُكَ فِيهَا مُخْلِصًا لَوْ أُجَابَهَا
يقول : أَرَى كُلَّ مَكَانٍ أَقَامَتْ فِيهِ هَذِهِ الْمَرَأَةُ زَمَنًا فَاتَّرَتْ فِيهِ أَثَرًا يَزْدَادُ
عَلَى اسْتِمْرَارِ السَّنِينَ وَالْأَحْقَابِ تَرَابُهُ طَيِّبًا ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِإِقَامَتِهَا أَوْانٌ مُمْتَدٌّ
وَزَمَانٌ مَتَّصِلٌ ، فَقَوْلُهُ « يَزْدَادُ » فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي لِأَرَى . وَدَمَنْتَهَا :
فِعْلٌ مَبْنِيٌّ مِنَ الدَّمْنَةِ : أَثَرِ الدَّارِ وَمَا سُوِّدَ بِالرَّمَادِ وَغَيْرِهِ ، فَكَأَنَّ مَعْنَى دَمَنْتَهَا
أَثَرَتْ فِيهَا بِالْإِقَامَةِ . وَاتَّصَبَ « طَيِّبًا » عَلَى التَّمْيِيزِ ، وَقَدْ نُقِلَ الْفِعْلُ عَنْهُ لِأَنَّ
الْأَصْلَ يَزْدَادُ طَيِّبٌ تَرَابُهَا ، فَجُعِلَ الْفِعْلُ لِلتَّرَابِ فَأُشْبِهَ « طَيِّبًا » الْمَفْعُولُ . وَعَلَى
هَذَا : قَرَرْتُ بِهِ عَيْنًا .

فَبِإِنْ قِيلَ : هَلْ فِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِ الْمُخَالَفِ لِسَبِيحِيهِ فِي جَوَازِ
تَقْدِيمِ التَّمْيِيزِ إِذَا كَانَ الْعَامِلُ فِيهِ فِعْلًا ، وَهَلْ يُفْصَلُ بَيْنَ هَذَا الْبَيْتِ وَبَيْنَ
مَا اسْتَدْلُوا بِهِ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ ^(٢) :

* وَمَا كَانَ نَفْسًا بِالْفِرَاقِ تَطْيِيبٌ ^(٣) *

(١) هَذَا مَا فِي ل . وَالْحَقُوتُ : سَكُونُ الصَّوْتِ . وَفِي الْأَصْلِ : « وَحَقُوتُهُ » تَحْرِيفٌ .

(٢) هُوَ الْمَجْلُ السَّعْدِيُّ ، أَوْ أَعْمَشِيْ هَمْدَانٍ . شَوَاهِدُ الْعَيْنِ (٣ : ٢٣٥) .

(٣) صَدْرُهُ : * أَتَهَجَّرُ لَيْلِي لِلْفِرَاقِ حَبِيبَهَا * .

قلت : لا دلالة في هذا الذي نحن فيه وإن كان البيت الذي أوردته
أمكن التعلق به ، حتى ذكر أصحاب سيبويه أن الرواية على غيره ، وهو :
* وما كان نفسي بالفراق تطيب *

وذلك أن « طيباً » لم يُقدّم على العامل وهو الفعل ، وإنما قدّم على ما صار
فاعلاً ، وإذا كان كذلك لم يصح الاحتجاج به له ، لأنّ الموضع المتخالف فيه
هو جواز تقدّمه على العامل فيه وامتناعه منه لا غير ، فأما ما دام واقعاً بعد الفعل
فلا مُستدلّ به على موضع الخلاف .

وقوله « ألم تلعن يا ربّ أن ربّ دَعَوَةٍ » ، أن مخففة من أن الثقلية ،
والنقدیر : أنه ربّ دَعَوَةٍ . وفي ربّ لغات : إحداها التخفيف ^(١) . وكأنه يتضرّع
في هذا الكلام إلى خالقه ومن يستغيث به فيما يُقاسيه ، ويقرّر في الدعاء عليه
أنّه قد ضمن الاستجابة في قوله تعالى : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ فقال : إنك
تعلم يا رب أنني قد أخلصت دعائك في أوقات كثيرة لطبّقتي لو اقترن بالدعاء إجابةً
وإسعافاً ، وضمنك الأصحّ الأوفى ، فاستجب . وفيه أيضاً ما يجري مجرى
الاستزادة إذا توجه إلى غيره تعالى . وانتصب « مخلصاً » على الحال . وقوله
« لو أجابها » يريد به لو أجاب فيها .

٣ - وأقسم لو أنني أرى نسباً لها ذناب الفلا حُبّت إلى ذنابها
٤ - لعمري أبي ليلي لئن هي أصبحت يوادي القرى ما ضرت غيري اغترابها
قوله « أقسم » جملة تنوب عن اليمين ، والجواب « حُبّت إلى ذنابها »
متعلّقاً بالشّرط المذكور ، وهو أن تكون مناسبة . وجواب لو هو ما صار جواباً

(١) في رب ست عشرة لغة : ضم الراء وفتحها ، وكلاهما مع التشديد والتخفيف ،
والأوجه الأربعة مع تاء التأنيث ساكنة أو محرّكة ومع التجرد منها ، فهذه اثنتا عشرة ، والضم
والفتح مع إسكان الباء ، وضم الحرفين مع التشديد ، ومع التخفيف ، فهذه أربعة أخرى ،
تكون كلها ست عشرة لغة .

لليمين ، وكذا يقع الشرط والجزاء بعدها . تقول : والله لئن جئتنى لأكرمَنَّكَ .
ويُروى : « حَبَّتْ » بفتح الحاء ، والأصل حَبَبْتُ ، وفَعَلَ في المضعف قليل .
ويروى « حُبَّتْ » بضم الحاء ، وهو بقاء لما لم يُسمَّ فاعله . ويقال : حَبَبْتُهُ فهو
محبوب ، لغة في أَحَبَبْتُهُ .

وقوله « لَعَمْرُأى ليلي » إقسامه بأبيها تعظيم لها ، وتنبيه على محلّه من
قلبه ، وأنه منصب إلى مَنْ يجمعه وإياها عُلَاقَةٌ وإن ضَعُفَتْ ، فكيف أبوها
والمختص بها . وفي هذا زيادة على ما قاله الآخر ^(١) ، وهو :

وَمِنْ بَيِّنَاتِ الْحَبِّ أَنْ كَانَ أَهْلُهَا أَحَبَّ إِلَى قَلْبِي وَعَيْنِي مِنْ أَهْلِي ^(٢)
واللام من « لئن » موطنٌ للقسم ، وجواب القسم ما ضَرَّ ، والمعنى : إن
عادت هذه المرأة إلى موضعها من وادي القرى لم يضرَّ غيري البعدُ منها ،
والاغترابُ عنها . وقوله « اغترابها » يريد اغترابى عنها ، ويجوز أن يريد تباعدّها .

٥٣٢

وقال آخر :

١ - لَعَمْرُكَ مَا مِيعَادُ عَيْنَيْكَ وَالْبُكَاءِ بِدَارَاءِ إِلَّا أَنْ تَهَبَّ جَنُوبٌ ^(٣)

٢ - أَعَاثِرُ فِي دَارَاءِ مَنْ لَا أَحِبُّهُ وَبِالرَّمْلِ مَهْجُورٌ إِلَى حَيْبٍ ^(٤)

(١) هو الحسين بن مطير . الحماسية ٤٧٣ من ١٢٥٣ .

(٢) ضبطت نون « عيني » في ل بالفتح والكسر لتقرأ بالثنية والإفراد ، مشفوعة بكلمة « معا » تحقيقاً للضبطين .

(٣) أنشد ياقوت في معجم البلدان هذه الأبيات في رسم (داراء) بعد أن ذكر أن « داراء » من نواحي البحرين . ثم قال : « وهذا موضع استصعب علينا معرفته ، وكثر تفتيشنا إياه ، وظنه شارحو الحماسة دارا التي ببلاد الجزيرة ، فغلطوا ، حتى وجده الوزير صاحب الأكرم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف الشيباني القفطى ، أطال الله بقاءه ، بخط أبي عبد الله الرزباني فيما كتبه عن الحسن بن عليل العنزي ، فأفادناه . »

(٤) ياقوت : « من لا أوده » . وستأتى هذه الرواية في الشرح .

٣ — إِذَا هَبَّ عُلُوِّي الرِّيحِ وَجَدْتُني كَأَنِّي لِعُلُوِّي الرِّيحِ نَسِيبُ
 يقول : وَبَقَائِكَ مَا الْمَوْعِدُ بَيْنَ الْبُكَاءِ وَأَنْتِ بَدَارَاءِ إِلَّا عِنْدَ هُبُوبِ
 الْجَنُوبِ . وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّ الْجَنُوبَ كَانَ مَهْجُومًا مِنْ أَرْضِ صَاحِبَتِهِ ، فَعَلَى
 هَذَا التَّأْوِيلِ يَكُونُ « وَالْبُكَاءُ » فِي مَوْضِعِ الْجُرِّ عَطْفًا عَلَى عَيْنَيْكَ . وَلَا يَمْتَنِعُ
 أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ : مَا مِيعَادُ عَيْنَيْكَ مَعَ الْبُكَاءِ بِهَذَا الْمَكَانِ إِلَّا إِذَا هَبَّتِ
 الْجَنُوبُ ، فَيَكُونُ مَفْعُولًا مَعَهُ . وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهَا تُهْدِي إِلَيْهِ أَرِيحَتَهَا^(١) ،
 أَوْ يَمْتَنِعُ أَنَّهَا رَسُولُهَا ، فُتَجَدُّ ذِكْرُهَا ، وَتَطْرُقُ الْوَجْدُ بِهَا ، فَيَكُونُ شَوْقًا إِلَيْهَا .
 وَقَالَ الْخَلِيلُ : الْمِيعَادُ لَا يَكُونُ إِلَّا وَقْتًا أَوْ مَوْضِعًا . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَالْمِيعَادُ مُبْتَدَأُ
 وَخَبْرُهُ أَنْ تَهَبَّ ، وَالْمُرَادُ وَقْتُ هُبُوبِهَا ، حَتَّى يَكُونَ الْآخِرُ هُوَ الْأَوَّلُ ، إِلَّا أَنَّهُ
 حَذَفَ الْمُضَافَ .

وقوله « أَعَاثِرُ فِي دَارَاءٍ مَن لَا أَوْدُهُ » شَكُوهُ مِنَ الدَّهْرِ حِينَ جَمَعَ بَيْنَهُ فِي
 دَارَاءٍ وَبَيْنَ مَنْ لَا هَوَى لَهُ مَعَهُ ، وَفَرَّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحْبُوبِهِ فَعَمِلَهُ بِالرَّمَلِ .
 وقوله « إِذَا هَبَّ عُلُوِّي الرِّيحِ » يَرِيدُ : إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ نَحْوِ عَالِيَةِ
 نَجْدٍ ، فَكَأَنِّي^(٢) يَجْمَعُنِي وَإِيَّاهَا نَسَبٌ ، لِاهْتِرَازِي لَهَا ، وَارْتِيَا حِيْلَ لُحُوبِهَا ،
 فَأَنَا أَنْتَظَرُهَا تَرَقُّبَ الْمَسَافِرِ وَقَدْ دَنَا مَوَاقِفُهُ .

٥٣٣

آخر^(٣) :

١ — هَلِ الْحُبُّ إِلَّا زَفَرَةٌ بَعْدَ زَفَرَةٍ وَحَرٌّ عَلَى الْأَحْشَاءِ لَيْسَ لَهُ بَرْدٌ

(١) كَذَا فِي النُّسخِ وَالْتَبَرِيزِي . وَالْأَرِيحَةُ مِثْلُ الْأَرِيحِ : الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ ، وَالْجَمْعُ الْأَرَائِجُ .

(٢) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ « وَكَانَ » .

(٣) هُوَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الدَّمِينَةِ . دِيْوَانُهُ ٢٦ .

٢ — وقبض دُمُوعِ الْعَيْنِ يَأْمَى كُلَّمَا بَدَأَ عِلْمٌ مِنْ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو^(١) الاستفهام هنا في معنى النَّفْيِ ، كَأَنَّهُ حَاجَتُهُ صَاحِبَتُهُ أَوْ إِنْسَانٌ لَأْتَمُّ أَوْ غَيْرُهَا ، فَمَا يَدَّعِيهِ مِنَ الْحُبِّ ، فَقَالَ رَادًّا عَلَيْهِ حِينَ كَذَّبَهُ فِي دَعْوَاهُ : مَا الْحُبُّ إِلَّا تَتَابَعُ الزَّفَرَاتِ تَحْشُرًا ، وَالتَّهَابُ تَوَجُّدٍ^(٢) فِي الْحَشَا لَا يَتَعَقَّبُهُ ابْتِرَادٌ ، وَسِيلَانُ دَمْعٍ مِنَ الْعَيْنِ لَا يُرْقِئُهُ انْقِطَاعٌ ، فِي كُلِّ وَقْتٍ ظَهَرَ فِي مَرَأَى الْعَيْنِ لَهُ جَبَلٌ مِنْ أَعْلَامِ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو مِنْ قَبْلُ ، وَجَمِيعُ ذَلِكَ أَعْقَادُهُ مِنْ نَفْسِي ، وَيُدْرِكُهُ مِنْ يَتَأَمَّلُ حَالِي ، وَتَصَدِّقُهُ الْمَشَاهِدَةُ مِنِّي .

٥٣٤

وَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ^(٣) :

١ — كَأَنَّ فَوَادِي فِي يَدِي ضَبَّتْ بِهِ مُحَاذَرَةً أَنْ يَقْضِبَ الْحَبْلَ قَاضِيَهُ
٢ — وَأَشْفِقُ مِنْ وَشَكِ الْفِرَاقِ وَإِنِّي أَظُنُّ لَمَحْمُولٌ عَلَيْهِ فَرَاحِيَهُ
الضَّبْتُ : الْقَبْضُ عَلَى الشَّيْءِ ؛ وَمِنْهُ نَاقَةُ ضَبُوتٍ ، أَيْ لَا يَشْكُ فِي سَمْعِهَا إِذَا ضَبَّتْ عَلَى سَنَامِهَا . وَانْتَصَبَ « مُحَاذَرَةً » لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَمَوْضِعُ « أَنْ » يَقْضِبَ « نَصَبٌ مِنْ مُحَاذَرَةٍ . فَيَقُولُ : كَأَنَّ قَلْبِي يُعْصِرُ بِقَبْضٍ قَابِضٍ عَلَيْهِ ، لَخَوْفِي مِنْ أَنْ يَقْطَعَ الْوَصْلَ قَاطِعُهُ مِنَ الْبَيْنِ ، وَمَعَ ذَلِكَ أَخَافُ مِنْ وَقُوعِهِ سَرِيعاً لِقُوَّةِ الْأَمَارَاتِ ، وَتَتَابَعِ الْحَذَرَاتِ الْمُنْذِرَاتِ . وَإِنَّمَا قَالَ « أَظُنُّ لَمَحْمُولٌ »

(١) فِي الدِّيَوَانِ : « غُرُوبُ الْعَيْنِ بِالْدَمْعِ كُلَّمَا » .

(٢) لَ : « يَوْجَدُ » .

(٣) هُوَ الرَّمَاحُ بْنُ أَبِرْدٍ . وَمِيَادَةُ أُمُّهُ وَكَانَتْ أُمُّ وَلَدٍ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي مِرَّةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذِيانٍ ، وَهُوَ شَاعِرٌ مَخْضَرٌ مِنْ شُعْرَاءِ الدُّوَلَتَيْنِ ، وَكَانَ مِنْ مَدْحِ النَّصُورِ ، وَمَاتَ فِي صَدْرِ خِلَافَتِهِ . الْأَعْيَانُ (٢ : ٨٥ — ١١٦) وَالْخَزَائِنُ (١ : ٧٦ — ٧٧) وَالْمَوْئِلَفُ ١٧٤ وَالْإِسْتِقْلَاقُ ١٧٥ .

عليه « والظنُّ بمعنى اليقين ، فهو مثل قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ . وقوله « لَمَحْمُولٌ عَلَيْهِ » إيدانٌ بأنه ليس يقعُ عن اتفاقٍ معه أو مشاركةٍ في تدبيره . وأظنُّ مفعولهُ الأوَّل ، والثاني مستدلٌّ عليه ، لأنَّ المراد ذلك في ظنِّي أو علمي ، فهو مُلغى . والقَضْبُ : القَطْع ، ومنه سيفٌ مِقْضَبٌ وقَضَابٌ . ووشكُ الفراق : سُرعة القطيعة . ويقال أوشك هذا أن يكون ، أى أسرعَ .

٣ — فوالله ما أدري أيعْلِبُنِي الهوى إذا جدَّ جدُّ البين أم أنا غلبته
٤ — فإن أستطيع أغلب وإن يغلب الهوى فثل الذي لا قيتُ يغلب صاحبه
يقول : شارفتُ فراقَ الأحبة بالدلائل اللامعة ، وأحلف بالله ما أعلمُ من حالى إذا وقع ، أأجزع أم أصبر .

وقوله « إذا جدَّ جدُّ البين » يجوز أن يكون المراد : إذا ازداد جدُّه جدًّا ، كأنه يظهر من جليلة أمره ما يزولُّ اللبسُ والشبهة معه . ويجوز أن يريد : إذا صار هزله جدًّا ، فسماه بما يؤول إليه ، كما يقال : خرجتْ خوارجه ، وريمع روعه . والمراد أنه التبس عليه إذا باغته الفراقُ حاله معه ، فلا يدري أى الأمرين يقع : أيعْلِبُهُ الهوى فيسلُبُهُ التجمُّل ، ويُلْبِسُهُ التهنُّك ، أم يغلبُ بدوام مُسكَّته وكال تثبُّته الهوى فيستمرَّ حالُ السلامة به . ثم قال كالمُتسلى والمنقاد لخاتمة الكائنة : فإن أطقتُ وكان فى مقدورى — إذا اجتهدتُ — غلبُ الهوى فهو المراد ؛ وإن جرى القدر بخلافه فمثل ما أقاسيه يغلبُ مُعانيه ، ويجتذبه إلى ما يكرهه ، وعذره لا تُنح .

٥٣٥

وقال آخر :

- ١ - فيا أهل لبلى أكثر الله فيكم من أمثالها حتى تجودوا بها ليا^(١)
 ٢ - فامسّ جنبي الأرض إلا ذكرتها وإلا وجدت ريمها في ثيابي
 بنى الكلام على أن عثرت بها والمساكين أمرها إنما ضنوا^(٢) بها لأنها
 معدومة النظر فيهم ، وأقبل يستعطفهم ويدعو لهم بأن يكثر الله أمثالها
 وأشباهها فيهم ، حتى يتركوا المنافسة فيها ، وتحمل قلوبهم الجود له بها .

وقوله « فامسّ جنبي الأرض إلا ذكرتها » يريد : ما اضطجعت للنمام
 خالياً بنفسى إلا امتنع النوم فقام ذكرها مقام خيالها ، ثم صرّت من الشوق
 والتحقى أتصورها معي ، وأجد راحتها في ثيابي . وهذا المعنى هو مخالف للمعنى
 الأنس بالخيال .

٥٣٦

وقال آخر :

- ١ - تقول العدى لا بارك الله في العدى قد أقصر عن ليلي ورثت وسائله^(٣)
 ٢ - ولو أصبحت ليلي تدب على العصا لكان هوى ليلي حديثاً أوائله
 يروى : « وراثت وسائله » . والمراد بالعدي الوشاة المفسدون . وأصل

(١) أشير في هامش ل إلى رواية أخرى في نسخة ، وهي « كثر الله فيكم شبيهاً بلبلى
 كي تجودوا » .

(٢) في الأصل : « متوا بها » ، صوابه في ل .

(٣) التبريزي : « يقول » .

الْبَرَكة الثَّباتُ مقتَرَنًا بالنِّماء ، ومنه مَبْرُكُ الإِبِل ، وَبَرَأَكَهُ الْقِتَال . ويقال : أَقْصَرَ عَنِ الشَّيْءِ ، إِذَا كَفَّ عَنْهُ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ؛ وَقَصَرَ عَنْهُ ، إِذَا عَجَزَ ؛ وَقَصَرَ ، إِذَا فَرَطَ . يقول : ادَّعَى الْوُشَاةُ أَنِّي قَدْ كَفَفْتُ عَنْ لَيْلِي وَزَالَ وَلُوعِي بِهَا ، وَأَنَّ وَسَائِلِي لَدَيْهَا قَدْ أَخْلَقْتُ وَتَقَطَّعَتْ ، فَلَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمْ فَإِنَّهُمْ ادَّعَوْا بِاطْلَا ، وَاخْتَلَفُوا إِفْكَاءً ، وَمُرَادُهُمْ إِفْسَادُ قَلْبِهَا عَلَى ، وَصَرَفُهَا عَنِ الْإِنْطِواءِ عَلَى الْجَمِيلِ لِي وَفِي . ثُمَّ ذَكَرَ مَا دَلَّ بِهِ عَلَى بَقَائِهِ عَلَى الْعَهْد ، وَاسْتِمْرَارِهِ فِي عِمَارَةِ الْوَدِّ ، وَعَلَى بُطْلَانِ قَوْلِهِمْ فِيمَا صَنَّفُوهُ ، وَبَهْتِهِمْ وَتَمْوِيهِمْ فِيمَا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ وَوَضَعُوهُ فَقَالَ : لَوْ شِئْتُ لَيْلِي حَتَّى يَصِيرَ مَشْيُهَا دَيْبِيًّا وَهِيَ مَتَوَكِّفَةٌ عَلَى عُكَّازٍ ، لَكَانَ هَوَاهَا فِي قَلْبِي جَدِيدًا أَوَّالَهُ ، شَدِيدًا أَرْكَانَهُ وَقَوَاعِدَهُ .

٥٣٧

وَقَالَ حَفْصُ بْنُ عَلِيٍّ ^(١) :

- ١ - أَقُولُ لِحِلْمِي لَا تَزْعِنِي عَنِ الصَّبَا وَلِلشَّيْبِ لَا تَذْعُرْ عَلَيَّ الْغَوَانِيَا ^(٢)
 - ٢ - طَلَبْتُ الْهَوَى الْغَوْرِيَّ حَتَّى بَلَغْتُهُ وَسَيَّرْتُ فِي نَجْدِيَّةٍ مَا كَفَانِيَا
- يُصِفُ انْهَمَاكَهُ فِي الْبَطَالَةِ ، وَتَمَادِيهِ فِي الْغَوَايَةِ ، وَالتَّذَاذَهُ لِلصَّبَا وَاللَّهْوِ وَالْخَسَارَةِ فَقَالَ : أَقُولُ لِحِلْمِي : تَبَاطَأْ عَنِّي ، وَلَا تَعَايُنِي فَتُكَفِّنِي عَمَّا أَهْوَاهُ وَقَصَّرْتُ شُغْلِي عَلَيْهِ ؛ وَلِلشَّيْبِ : تَرَاخَ وَلَا تُبَادِرْ فَتُرْوِعَ النِّسَاءَ وَتَنْفِرْ . وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ تَلَطُّفًا وَسُؤَالًا فَإِنَّهُ يَجْرِي جَرَى التَّمَنَّى فِي اسْتِدَامَةِ مَا كَانَ يَشْتَهِيهِ ، وَيُوزَعُ بِهِ .

وَقَوْلُهُ «طَلَبْتُ الْهَوَى الْغَوْرِيَّ» يُرِيدُ : تَفَنَّنْتُ فِي الْهَوَى فَأَنْجَدَ بِي طَوْرًا ،

(١) التبريزي : « حفص المليمي ، من جناب من كلب ، ويقال هم قريش كلاب » .

(٢) سبق التنبيه على ترتيب هذه الحماسية عند التبريزي في ص ١٣٢٢ .

وغار بن طوراً ، إلى أن تناهيتُ ، وبلغتُ أقصى الغايات فوقفت . وموضع « ما » من قوله « ما كفانيا » نصبٌ على المصدر من سَيَّرْتُ ، يريد : سَيَّرْتُ في نُجْدِيَّةٍ سيراً كفانيا . ومعنى سَيَّرْتُ أَكْثَرْتُ السَّيْرَ وكرَّرْتُهُ . والقَوَانِي من النساء : اللاتي تَسْتَغْنِي بِجَمَالِهَا عن التَّحَلِّي . وقيل : الغانية : التي تستغني بزوجها عن الرِّجَال .

٣ - فياربَّ إن لم تَقْضِها لي فلا تَدَعْ قَدْوَرَ لهم واقْبِضْ قَدْوَرَ كما هيا^(١)
 ٤ - ويا ليت أن الله إن لم أَلَاقِها قَضَى بين كلِّ اثنينٍ ألا تَلَاقِيا
 البيت الأول دلَّ به على ضيق صدره بحاله ، وشِدَّةِ ضَنْهٍ بصاحبته ، فدعا ربَّه أن يَقْبِضَ قَدْوَرَ إليه إن لم يَقْدِرْ بينهما مُرافاةً والتَّحاماً ، ويتوفَّاهَا بالموت ليأمنَ أن يملكَ أمرَها غيرَه . وهذا يدلُّ على شِدَّةِ غَيْرِهِ فِيهِ ، ومُضَايَقَةِ النَّاسِ كَافَّةً في شَيْءٍ يَتَمَنَّاهُ ثُمَّ يَقْصُرُ عَنْهُ . فأما قوله « كما هيا » فوضعه من الإعراب نصبٌ على الحال ، وما من قوله « كما » يجوز أن يكون بمعنى الذي ويكون هي خبراً لمبتدأ محذوف ، كأنَّه قال : كالذي هُوَ هِيَ . ويجوز أن يكون ما كَافَّةً للكافِ عن عمل الجرِّ ويكون هي في موضع المبتدأ والخبر محذوف ، والمعنى : اقْبِضْها كما هي عليه .

والبيت الثاني وهو « يا ليت أن الله إن لم أَلَاقِها » دلَّ به على حسدٍ شديدٍ منه ، وقِلَّةِ رِضَاً بمساعدة القدر في شَيْءٍ يَحْرُمُ المشاركةُ فيه . وقوله « يا ليت » يريد : يا قوم ليت ، والمنادى محذوف ، والكلام بعده تَمَنٍّ في ألاَّ يَحْصُلَ الاجتماعُ بين متحابين إن لم يُرْزَقْ مثله في صديقه . وقوله « ألا تَلَاقِيا » أن فيه خَفْفَةً من التَّعْظِيفَةِ ، والمعنى أَنَّهُ لَا تَلَاقٍ لَنَا ، فخير لا محذوف ، والجملة في موضع خبر

(١) قدور : اسم صاحبتِه . والقذور من النساء : التي تنزه عن الأفذار . وهي أيضاً المنجحة عن الرجال .

أَنَّ ، والضمير المقدّر ضمير الأمر والشأن ، وخبر أن الله « قَضَى » وقد حصل في الجملة جواب الشرط ، وهو إن لم ألقها ، وخبر ليت .

٥٣٨

وقال آخر :

١ - وَقَفْتُ لِلْيَلَى بِالْمَلَا بَعْدَ حِقْبَةٍ بِمَنْزِلَةٍ فَانْهَلَتْ الْعَيْنُ تَدْمَعُ^(١)

٢ - وَأَتَّبَعْتُ لَيْلَى حَيْثُ سَارَتْ وَوَدَّعْتُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا آيَفٌ وَمُودَعُ

٣ - كَانَ زِمَامًا فِي الْفُؤَادِ مُعَلَّقًا تَقْوُدُ بِهِ حَيْثُ اسْتَمَرَّتْ فَاتَّبَعُ

يقول : وَقَفْتُ مِنْ أَجْلِ لَيْلَى وَمِنْ أَجْلِ مَفَازِهَا بِالْمَلَا ، بعد زمانٍ مُتَمَدٍّ ،
ودهرٍ مُتَّصِلٍ ، فَتَجَدَّدَ لِي مِنَ الْوَجْدِ مَا هَيَّجَ لِي بَكَاءً ، وَطَرَّيَ لِي عُهْدًا^(٢)
فَإِنِّي أُسِيرُ هَوَاهَا ، وَتَبِيعُ الْبَلَوَى فِيهَا ، فَقَلْبِي مَعَهَا حَيْثُ طَفَعَتْ وَأَقَامَتْ .
وقوله « وَوَدَّعْتُ » معناه تَوَدَّعْتُ . ثم قال : « وَمَا النَّاسُ إِلَّا آيَفٌ وَمُودَعُ » يريد
أَنَّ النَّاسَ مِنْ بَيْنِ آيَفٍ لَهَا لِسُكُونِهِ مَسَافِرًا مَعَهَا وَمُرَافِقًا لَهَا فِي طَرِيقِهَا ، أَوْ
مَنْصَرِفٍ عَنْهَا بَعْدَ تَوْدِيعِهَا وَتَشْيِيعِهَا ، وَأَنَا عَلَى خِلَافِهِمْ كُلِّهِمْ ، لِأَنِّي مُلَازِمُهَا فِي
كُلِّ حَالٍ .

وقد كَشَفَ عَنْ هَذَا الْغَرَضِ بِمَا بَيَّنَّاهُ فِي قَوْلِهِ :

كَانَ زِمَامًا فِي الْفُؤَادِ مُعَلَّقًا تَقْوُدُ بِهِ حَيْثُ اسْتَمَرَّتْ فَاتَّبَعُ

يريد طاعة قلبه وانقياده لها . وَمِثْلُ « وَوَدَّعْتُ » وَ « مُودَعُ » يُسَمَّى
التَّجْنِيسُ النَاقِصُ .

(١) الملا : موضع بعينه ، كما ذكر ياقوت .

(٢) في الأصل : « مجهودا » ، صوابه في ل .

٥٣٩

وقال وَرَدُّ الْجَعْدِيِّ^(١):

- ١ - خَلِيلِيَّ عُوَجًا بَارَكَ اللَّهُ فِيكَمَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هِنْدَ لَأَرْضِيكَمَا قَصْدًا
٢ - وَقُولَا لَهَا لَيْسَ الضَّلَالُ أَجَارَنَا وَلَكِنَّا جُرْنَا لِنَلْقَاكُمْ عَمْدًا^(٢)
يَخَاطِبُ خَلِيلَيْنِ لَهُ مُتَلَطِّعًا لَهَا ، وَسَائِلًا تَعْرِيجَهُمَا عَلَى دِيَارِ هِنْدَ وَإِنْ لَمْ
تَكُنْ مُسَامِتَةً لِقَصْدِهِمَا ، وَأَنْ يَبْلُغَاهَا إِذَا النَقِيَا مَعَهَا أَنَّا تَعَمَّدْنَا زِيَارَتَكَ طَلِبًا
لِقَضَاءِ ذِمَامِكَ ، وَتَجْدِيدِ الْعَهْدِ بَكَ ، وَلَمْ يَكُنِ الْعَدُولُ إِلَيْكَ عَنْ ضَلَالٍ مَلَكَ
قِيَادَنَا ، وَصَرَفْنَا عَنْ وَجْهِ رِشَادِنَا ، لِيَقَعَ الْاِعْتِدَادُ مِنْهَا بِتَحْرِيفِنَا وَفِعْلِنَا .

٥٤٠

وقال^(٣):

- ١ - وَمَا فِي الْخَلْقِ أَشَقَّى مِنْ مُحِبِّ وَإِنْ أُوجِدَ الْهَوَى حُلُوَ الْمَذَاقِ
٢ - تَرَاهُ بَاكِيًا فِي كُلِّ حِينٍ مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لَاشْتِيَاقِ
٣ - فَيَبْكِي إِنْ نَأَوْا شَوْقًا إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الْفِرَاقِ
٤ - فَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي وَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ
وَفِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ حَقُّ الْقِسْمَةِ ، وَأَقَامَ شَرْطَ الْمَقْسُومِ عَلَى حَدِّهِ الْمَأْلُوفِ مِنَ
التَّجَرُّبَةِ . فَيَقُولُ : لَيْسَ فِيمَنْ خَلَقَهُ اللَّهُ مِنَ الْبَشَرِ أَوْفَى شَقَاءً ، وَأَعْظَمُ بَلَاءً مِنْ

(١) هو ورد بن عمرو بن ربيعة بن جمعة ، شاعر جاهلي ، وهو الذي قتل شراحيل
ابن الأصهب الجعفي ، في حديث طويل رواه أبو الفرج في الأغاني (٤ : ١٣٣ -) .
وذكر في الأغاني (١٠ : ١٢٢) أن الأبيات للمرقش الأكبر .
(٢) الأغاني « أجازنا . . . جزنا » ، بالزاي فيهما .
(٣) التبريزي : « وقال آخر ، قال أبو ريش : هي مولدة » .

الحُبِّ ، وإن استَحَلَّى ذَواقَ الحُبِّ واستَلانَ جَسَّهْ ، إذ كنتَ تَجِدُهُ كُلَّ وَقْتٍ مُتَأَلِّمًا مِنْ حاله ، ضَجِيرًا بِعَيْشِهْ ؛ وذلك أَنه لَا يَخْلُو مِنْ إِحْدَى حَالَتَيْنِ : إما أَن يَكُونَ مُجْتَمِعًا مَعَ مَحْبُوبِهِ فَيَخَافُ الْإِفْتِرَاقَ ، أَوْ يَكُونُ بَعِيدًا مِنْهُ فَيَكْذِبُ الْإِشْتِيَاقَ ، وَلَا حَالَةَ ثَالِثَةً لِلْإِجْتِمَاعِ وَالْإِفْتِرَاقِ ، وَهُوَ سَخِينُ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مِنْهُمَا ، قَلِيلُ التَّوَدُّعِ فِي عَقِبِهِمَا .

وقوله « وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى » جواب الشرط منه في قوله « مَا فِي الْخَلْقِ أَشَقُّ مِنْ حُبِّ » . وقوله « شَوْقًا إِلَيْهِمْ » انتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ « خَوْفَ الْفِرَاقِ » وَ« مَخَافَةَ فُرْقَةٍ » . أَلَا تَرَى أَنَّهُ عَطَفَ عَلَيْهِ « أَوْ لَاشْتِيَاقَ » لِيَجْعَلَ حَرْفَ الْجَرِّ فِيهِ اللَّامَ .

٥٤١

وَقَالَ ابْنُ الطَّثَرِيَّةِ ^(١) :

- ١- عُقْبِيَّةٌ أَمَّا مَلَأَتْ إِزَارَهَا فَدِعْصٌ وَأَمَّا خَضَرُهَا قَبْتِيلُ
 - ٢- تَقَيَّظُ أَكْنَافَ الْحِمَى وَيُظِلُّهَا بِنَعْمَانٍ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ مَقِيلُ
- الْمَلَأَتْ : الْمَوْضِعَ الَّذِي يُدَارُ بِهِ الشَّيْءُ . وَيُقَالُ : لُتْتُ عَلَى رَأْسِي الْعَامَّةَ لَوْثًا . وَمِنْهُ قَوْلُهُ :

* كَانُوا مَلَاوِيثَ فَاحْتَاجَ الصَّدِيقُ لَهُمْ ^(٢) *

(١) هُوَ يَزِيدُ بْنُ سُلَيْمَةَ بْنِ سَمُرَةَ بْنِ سُلَيْمَةَ الْحَمِيرِيِّ بْنِ قَشِيرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ رِبْعَةَ بْنِ عَامِرٍ ، وَالتَّثَرِيَّةُ أُمُّهُ ، وَهِيَ مِنَ الطَّثَرِ ، فَالْفَتْحُ : حَتَّى مِنَ الْبَيْنِ . قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ : « الطَّثَرِيَّةُ بَفَتْحِ الطَّاءِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ التَّاءِ الْمَثْلُثَةِ » ، وَضَبَطَهَا صَاحِبُ الْقَامُوسِ بِالتَّحْرِيكِ . وَكَانَ يَزِيدٌ جَمِيلًا وَسِيمًا شَرِيفًا مُتَلَفًا ، تَوَفَّى سَنَةَ ١٢٦ . وَكَانَ مِنْ شُعْرَاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ مُقَدِّمًا عَنْدهُمْ . الْأَغَانِي (٧ : ١٠٤ - ١١٧) وَابْنُ سَلَامٍ ١٥٠ - ١٥٢ وَابْنُ خَلِّكَانَ (٢ : ٣٩٥ - ٣٩٩) وَمَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ (٧ : ٢٩٩ - ٣٠٠) وَالشُّعْرَاءُ ٣٩٢ - ٣٩٣ وَحَوَانِي الْجَبُونَ (٦ : ١٣٧) (٢) الْبَيْتُ لِأَبْنِي ذُوئِبِ الْهَذَلِيِّ فِي دِيْوَانِهِ ٤٤ وَاللَّسَانُ (لَوْثٌ) . وَعَجَزَهُ :

* فَقَدَ الْبِلَادَ ، إِذَا مَا تَجَعَلَ الْمَضْرَا *
 * فَقَدَ الْبِلَادَ ، إِذَا مَا تَجَعَلَ الْمَضْرَا *

أى كانوا الذين يُدارُ بهم ، ويُطاف عليهم ، ويُرجى خيرُهم . والمراد بالملآث هاهنا العجز . وشبَّهها بالدَّعص ، وهو الرَّمْلُ المَجْتَمِع ، لكثرة اللحم عليها واكتنازه . والبَتِيل : الهَضِيمُ الدَّقِيق ، وأصل البَتْلُ القَطْع ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ . وَصَفَ المرأةَ بِالنَّعْمَةِ والنَّمْعَةِ ، ومطاوعة الخير لها والسَّعَةِ ، فيقول : هى دَقِيقَةُ الخَصْرِ ، جَلِيلَةُ العَجْزِ ، وهى فى فصول سَنَتِهَا تَنْتَقِلُ فى المواضع الطَّيِّبَةِ الْمُخَصَّصَةِ ، لا تُسْكَدُ ضِيقًا ولا تُعَانِي جَهْدًا . وَتَقَيِّظُ بِالْمَكَانِ : أَقَامَ قِيظَهُ فِيهِ ^(١) . وَنَعْمَانُ : وادى الأراك . وَأَصْلُ تَقَيِّظُ تَتَقَيِّظُ ، فَخَذَفَ إِحْدَى النَّائِمِينَ .

- ٣ — أَلَيْسَ قَلِيلًا نَظْرَةً إِنْ نَظَرْتُهَا إِلَيْكَ ، وَكَلَّا ، لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلٌ
 ٤ — فَيَاخُلَّةَ النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَ دُونَهَا لَنَا مِنْ أَخِلَاءِ الصَّفَاءِ خَلِيلٌ
 ٥ — وَيَأْمَنُ كَتَمْنَا حُبَّهُ لَمْ يُطْعَ بِهِ عَدُوٌّ وَلَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهِ دَخِيلٌ
 ٦ — أَمَا مِنْ مَكَانٍ أَشْتَكِي غَزْبَةَ النَّوَى وَخَوْفَ الْعِدَى فِيهِ إِلَيْكَ سَبِيلٌ
- قوله « أليس » يقرَّر به فى الواجب الثابت ، وكذلك أَلَمْ وَأَلَا ؛ وذلك أَنَّ حَرْفَ الاسْتِفْهَامِ يُضَارِعُ حَرْفَ النَّفْيِ ، وَنَفْيُ النَّفْيِ إِيجَابٌ ، فَإِذَا قَالَ الْقَائِلُ : أَلَمْ أَحْسَنْ إِلَيْكَ ؟ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَحْسَنَ ، فَتَقْرِيرُهُ بِهِ فِيمَا قَدْ وَقَعَ وَثَبَّتَ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ مُدِلًّا بِمَا يُقَاسِيهِ فِيهَا ، وَيَتَحَمَّلُهُ مِنْ أَجْلِهَا : أَلَيْسَ قَلِيلًا نَظْرَةً مِنْكَ إِذَا حَصَلَتْ لِي . ثُمَّ اسْتَدْرَكَ عَلَى نَفْسِهِ رَاجِعًا فِيمَا أَطْلَقَهُ ، وَنَاقِضًا لِمَا اعْتَقَدَهُ ، فَقَالَ : « كَلَّا » — وَهُوَ حَرْفُ رَدِّعٍ وَنَفْيٍ — لَا قَلِيلَ مِنْكَ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ :

هَلْ إِلَى نَظْرَةِ إِلَيْكَ سَبِيلٌ فَيَرَوَى الظَّامُ وَيُشْفَى الْغَالِيلُ
 إِنَّ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وَكَثِيرٌ مِنْ يُحِبُّ الْقَلِيلُ

(١) فى النسختين : « فِيهِ » .

فقوله « القليل » مبتدأ ، و « كثير ممن يحب » خبره .

وقوله « فياخلة النفس » في هذا الكلام اعتداد في المنادة بما يتوخاه معها ، فيقول : يا صديقة النفس التي تفردت بمسكها واجتذبتني من أيدي خطاياها ففازت بها ، فليس لنا خليل من يضافي المودة من دونها^(١) ، ويأمن سترنا حبه عن الناس كافة ، صيانة له عن الانتشار والابتذال ، فلم نطع فيه واشياً فيفسد ذات بيننا ولا مضرراً^(٢) ، ولم نأمن عليه دخيله يراجه في حماه فيصير موضعه مشتركا ، أما عندك مقام لي فيه إليك سبيل أشتكى غربة النوى ، وخوف العدى . فالمنادى له قوله « أما من مقام أشتكى » .

- ٧ — فذيتك أعدائي كثير وشقتي بعيد وأشياي لديك قليل
٨ — وكنت إذا ماجئت جئت بعلة فأفنت علائي فكيف أقول
٩ — فما كل يوم لي بأرضك حاجة ولا كل يوم لي إليك رسول^(٣)

الشقة : بُعد مسير أرض إلى أرض بعيدة ، وإنما لم يقل بعيدة ، لأن فعلاً كثيراً ما يقع المؤنث والمذكر على حالة واحدة ، حملاً على النسب أو على فعول ، يقول : تغديك نفسي في أعدائي بحضرتك وفي الطريق إليك كثرة وفي المسير بيني وبينك بُعد ومشقة ، وفي النصار لي بحضرتك قلة ، وكنت متى جئتك من قبل ، ولم تبلغ الحال منا هذا المبلغ ، أقيم معذرة وأنصب لفعلي علة . وقد كثر ذلك مني حتى فنيت المعاذير والعلل ، فلا أدري ماذا أقول ، ومن أين

(١) في الأصل : « من ذويها » ، صوابه في ل .

(٢) التضريب : الإغراء بين القوم .

(٣) بعده عند التبريزي :

صحائف عني للعتاب طويتها ستشتر يوماً والعتاب طويل
فلا تحملي ذنبي وأنت ضعيفة فحمل دمي يوم الحساب ثقيل

أَتوصَّل ، وبأى شئ أُنَبِّغ ، وعلى ماذا أَعُوِّل ، ومع ذلك فالحاجات بأَرْضِكَ لا تَكَادُ تَعْرِضُ كُلَّ يَوْمٍ فَتُذَكِّرُ ، والرُّسُلُ لا توجد فَيَتَقاطِرُ ، فإذا تُؤَمِّلُ حَالِي فَأِنِّى حَبِيسٌ عَلَى الْمَسْكَارَةِ ، أَسِيرٌ فِي أَيْدَى النَّوَائِبِ ، ضَيْقِ الْجَمَالِ وَالشَّأْوِ فِي الزِّيَادَةِ ، مَوْفُورُ الْحِظِّ مِنَ الْأَسْبَابِ الصَّادَةِ ، عَظِيمُ الْمِحْنَةِ فِيمَا اجْتَمَعَ عَلَىَّ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ ، وَمَوَارِغِ الْقَضَاءِ . وقوله « فَكَيْفَ أَقُولُ » ، يريد : كيف أقول ما أقوله ، فَحَذَفَ الْمَفْعُولَ ، ويجوز أن يكون المراد بأقول أَتَكَلِّمُ ، فيستغنى عن المفعول ، كقول الآخر ^(١) :

بِحَاجَةٍ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا فَتُبَلِّغُ عُذْرًا وَالْمَقَالَةَ تُعْذِرُ
أَي لَمْ تَتَكَلَّمْ فِي جَوَابِهَا .

٥٤٢

وقال آخر :

١ - أَبْعَدَ الَّذِي قَدْ لَجَّ تَتَخَذِينِنِي عَدُوًّا وَقَدْ جَرَّعْتَنِي السُّمَّ مُنْقَعًا
٢ - وَشَفَعْتِ مَنْ يَبْنِي عَلَىَّ وَلَمْ أَكُنْ لِأَرْجِعَ مَنْ يَبْنِي عَلَيْكَ مُشَفَّعًا
ألف الاستفهام تطالب الفعل ، وإن كان المراد به هنا التفرُّيع ^(٢) والمعنى : أَتَتَخَذِينِنِي عَدُوًّا بَعْدَ مَا لَجَّ مِنْ الْحُبِّ فِيكَ وَالْهَوَى ، وَغَلَبَ مِنْ عِصْيَانِ الْقَلْبِ وَالْأَمْسَى ، وَبَعْدَ أَنْ سَقَيْتَنِي جُرْعَ السَّمِّ الْمُنْقَعِ ، وَأَذَقْتَنِي مَرَارَةَ الْمُنْعِ الْجَامِدِ ، فَوَجَدْتَنِي صَابِرًا عَلَى الْأَذَى ، مُنْصَبًّا إِلَيْكَ بِنَوَازِعِ الصَّبَا ، لَا يُحَلِّي وَرْدُهُ وَإِنْ حُلِّي ، وَلَا يَكْدُرُ صَفَاءُ وَدِّهِ وَإِنْ دُوِّعَ . وَالْمُنْقَعُ : الْمُنْتَبِتُ ، يَقَالُ : « أَنْقِعْ لَهُ الشَّرَّ حَتَّى يَسَامَ » .

(١) هو عمر بن أبي ربيعة . ديوانه ٢ .

(٢) في الأصل : « هذا التفرُّيع » ، صوابه في ل .

وقوله « وشَفَعْتَ مَنْ يَبْغِي عَلَى » ، أى رَدَدْتَ الْبَاغِيَ عَلَى مُشَفَعًا بِمَا جَاءَ لَهُ
 فى معنىا وطلبته ، وَبَقِيْتُ أَنَا لَا أَقْبَلُ نَصَحَ النَّصَّاحِ ، وَلَا أَصَدِّقُ قَوْلَ الْوُشَاةِ ،
 وَلَا أُوحَى الشَّفِيعَ عَنِّي مُنْجِحًا ، وَلَا أَصْرِفُ الْبَاغِيَ عَلَيْكَ مَظْفَرًا .

٣ - فقالت وما هَمَّتْ بِرَجْعِ جَوَابِنَا بَلْ أَنْتَ أَيْتَ الدَّهْرَ إِلَّا تَضَرَّعًا

٤ - فقلتُ لَهَا مَا كُنْتُ أَوَّلُ ذِي هَوًى تَحْمَلُ خِالًا فَادِحًا فَتَوَجَّعًا

يقول : أجابتنى بعد أن كانت فى صورةٍ مَنْ لَا يَعْبا بِمَا يُبْدَأُ بِهِ فَلَا يُجِيبُ ،
 وَلَا يَرْقُ لِمَنْ يَشْكُو إِلَيْهِ فَيَسْتَجِيبُ : بَلْ أَنْتَ تَأْتِى إِلَّا ضَرَّاعَةً وَتَوَجَّعًا ، وَانْخِزَالًا
 وَتَأَلُّمًا . هَذَا عَادَتُكَ وَالْمَأْلُوفُ مِنْ طَرَائِفِكَ ، فَإِلَى مَتَى هَذِهِ الشَّكْوَى ، وَأَنَّى
 يَكُونُ مَنِّى فِي مَقَابِلَةِ عَتَبِكَ الْمُتَّبِى ؟ فقلتُ فى جوابها : مَا أَنَا بِبِدْعٍ فِي الْهَوَى ،
 وَلَسْتُ بِأَوَّلُ مَنْ حُمِّلَ مَا لَا يَطِيقُهُ ، أَوْ ثَقُلَ عَلَيْهِ مَا كَلَّفَهُ فَتَشَكَّى . وَالْفَادِحُ :
 الْمُثْقِلُ . يُقَالُ : دِينَ فَادِحٌ ، وَقَدْ فَدَحَهُ الدَّيْنُ . وَالتَّضَرُّعُ : التَّصَاغُرُ وَالتَّذَلُّلُ .
 يُقَالُ : رَجُلٌ ضَرَّعٌ وَضَارِعٌ وَقَوْمٌ ضَرَّعٌ . وَيُقَالُ : خَذَهُ ضَارِعٌ ، وَجَنَّبَهُ ضَارِعٌ .

٥٤٣

وقال آخر^(١) :

١ - أُنِى الْقَلْبُ إِلَّا أُمَّ عَمْرٍو وَحُبَّهَا تَجُوزًا وَمَنْ يُحِبُّ تَجُوزًا يُفَنِّدُ

٢ - كَسَخَقِ الْيَمَانِي قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ وَرَفَعَتْهُ مَا شِئَتْ فِي الْعَيْنِ وَالْيَدِ^(٢)

(١) التبريزى : « وهو أبو الأسود الدؤلى » . وهو أبو الأسود ظالم بن عمرو ، الذى
 ينسب إليه وضع النحو ، شهد مع على بن أبى طالب صفين ، وولى البصرة لابن عباس ، ومات
 بها وقد أسن ، سنة ٩٩ فى الطاعون الجارف . وهو يعد فى الشعراء ، والتابعين ، والمحدثين ،
 والبخلاء ، والمفاليج ، والنحويين . انظر مصادر ترجمته مسهبه فى الجزء الأول من إنباه
 الرواة بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ص ١٣ .

(٢) التبريزى : « كتب اليماني » ، وأشار إلى الرواية الأخرى .

انْتَصَبَ «مَجُورًا» عَلَى الْحَالِ . وَالتَّغْنِيدُ : التَّوْبِيخُ . وَالسَّحْقُ : الْخَلْقُ مِنْ الثِّيَابِ الَّذِي قَدْ انْسَحَقَ وَانْجَرَدَ ، وَأَضَافَهُ إِلَى الْيَمَانِيِّ إِضَافَةً الْبَعْضِ إِلَى الْكُلِّ . هَذَا إِذَا جَعَلْتَ الْيَمَانِيَّ الْبُرْدَ . وَلَكَ أَنْ تَجْعَلَ التَّاجِرَ صَاحِبَ الْبُرْدِ ، فَيَكُونُ الْإِضَافَةُ إِلَيْهِ . وَالْمَعْنَى : أَبَى قَلْبِي إِلَّا هَذِهِ الْمَرْأَةَ وَحُبُّهُ لَهَا فِي حَالِ تَعَجُّبِهَا ، وَمَنْ حَرَفَ وَدَّهَ إِلَى الْعَجَازِ وَبُنَّحَ ، لَسَكَنَهَا فِي النَّسَاءِ كَخَلَقِ الْبُرْدِ الْيَمَانِيِّ فِي الثِّيَابِ ، وَقَدْ قَدَّمَ عَهْدَهُ ، أَيْ مَعْهُدَهُ ^(١) ، وَإِذَا مَسِسْتَهُ أَوْ نَظَرْتَ إِلَيْهِ وَجَدْتَ رَقْعَةً زَائِدَةً عَلَى كُلِّ رَقْعَةٍ دِقَّةً وَمَتَانَةً ، وَمَنْظَرَهُ رَاجِحًا عَلَى كُلِّ مَنْظَرٍ حُسْنًا وَجُودَةً ، وَكَذَلِكَ مَنْظَرُ أُمِّ عَمْرٍو وَمُخْتَبَرُهَا . وَقَوْلُهُ «وَحُبُّهَا» أَضَافَ الْمَصْدَرَ إِلَى الْمَفْعُولِ . وَقَوْلُهُ «مَا شَأْنُ» يَرِيدُ مَا شَأْنُهُ ، فَحَذَفَ الْمَفْعُولَ مِنَ الصَّلَةِ تَخْفِيفًا . وَقَوْلُهُ «فِي الْعَيْنِ» يَرِيدُ فِي النَّظَرِ . وَ«فِي الْيَدِ» يَرِيدُ عِنْدَ اللَّعْسِ .

٥٤٣

وقال آخر ^(٢) :

- ١ — هَجَرْتُكَ أَيَّامًا بَذَى الْعَمْرُ لِمَنِي عَلَى هَجَرِ أَيَّامٍ بَذَى الْعَمْرُ نَادِمٌ ^(٣)
٢ — وَإِنِّي وَذَلِكَ الْهَجَرَ لَوْ تَعَلَّمِيْنَهُ كَعَاذِبَةٍ عَنْ طِفْلِيْهَا وَهِيَ رَائِمٌ

السَّكَّامُ اعْتِدَارٌ مِنْ إِخْلَالِهِ بَزِيَارَتِهَا ، وَهَجْرَانُهُ لَهَا لِعَارِضٍ عَرَضَ بَذَى الْعَمْرِ ، ثُمَّ أَظْهَرَ تَفَدُّمَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَنَّهُ مُدَّةَ هَجَرِهِ فِي وَجْدِهِ بِهَا وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهَا وَتَشَوُّقِهِ لَهَا ، كَأَيِّ حِيلٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ طِفْلٍ لَهَا ، وَهِيَ بَعِيدَةٌ عَنْهُ بِنَفْسِهَا ، وَرِثَانُهَا — أَيْ عَطْفُهَا — مَتَوَفَّرٌ عَلَيْهِ . قَالَ : وَكَذَلِكَ كُنْتُ فِي انْقِطَاعِي بِالنَّفْسِ ،

(١) ويصح أن يراد بالعهد الزمان .

(٢) هو عبد الله بن الدمينه ، المترجم في ١٢٢٣ . وانظر ديوانه ص ١٩ .

(٣) في الديوان : «أَيَّامِي» .

وَتَوَفَّرِي بِالْقَلْبِ . شَبَّهَ نَفْسَهُ بِالْعَازِبَةِ ، وَالْمَهْجُورَةَ بِالطُّفْلِ .

فَإِنْ قِيلَ : إِنَّمَا قَالَ : وَإِنِّي وَذَلِكَ الْمَهْجَرُ ، فَيَقْتَضِي كَلَامُهُ أَنْ يَكُونَ التَّشْبِيهُ مَقْنُولًا لَهُ وَلِهْجَرِهِ ؟ قُلْتُ : يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ إِنِّي مَعَ ذَلِكَ الْمَهْجَرِ . وَهَذَا كَمَا يَقَالُ :
إِنَّ الرِّجَالَ وَأَعْضَادَهَا ، أَيْ مَقْرُونَانِ ؛ وَإِنَّ النِّسَاءَ وَأَعْجَازَهَا ، أَيْ مَقْرُونَانِ ،
لَأَنَّ الْمُرَادَ مَعَ أَعْضَادِهَا وَمَعَ أَعْجَازِهَا .

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِالْمَهْجَرِ الْمَهْجُورَ ، لِأَنَّ الْمَصْدَرُ يُوصَفُ بِهِ ؛ وَيَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ ذِكْرُ الْمَهْجَرِ لَمَّا كَانَ مِنْ سَبَبِهَا ، وَالْمُرَادُ تِلْكَ . وَقَوْلُهُ « لَوْ تَعْلَمِينِهِ »
الضَّمِيرُ مِنْهُ يَعُودُ إِلَى الْمَهْجَرِ ، وَالْمُرَادُ مَا ذَكَرْتُهُ . وَالْعَازِبَةُ : الْبَعِيدَةُ . وَيُقَالُ : عَزَبَ
عَنْهُ عَقْلُهُ . وَالْعَازِبُ أَيْضًا ، الْكَلَامُ الْبَعِيدُ الْمَطْلَبُ .

٥٤٤

وقال آخر :

- ١ - مَا أَحْدَثَ النَّأْيُ الْمَفْرَقُ بَيْنَنَا سُلُوءًا وَلَا طُولُ اجْتِمَاعٍ تَقَالِيَا
- ٢ - خَلِيلِي إِلَّا تَبَسَّكِيَا لِي أَسْتَعِينُ خَلِيلًا إِذَا أَفْنَيْتُ دَمْعِي بَكِي لِيَا
- ٣ - كَانَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ إِذَا كَانَ بَعْدَهُ تَلَاقِي وَلَكِنْ لَا إِخَالُ تَلَاقِيَا

قَوْلُهُ « مَا أَحْدَثَ النَّأْيُ » يَصِفُ أَنْ الْوَجْدَ الَّذِي بِهِ قَدْ صَارَ غَرَامًا ، فَلَا الْبُعْدَ
مِنْهَا يُحْدِثُ سُلُوءًا عَنْهَا ، وَلَا الْاجْتِمَاعُ مَعَهَا يُوجِبُ مَلَالًا مِنْهَا ، لَكِنَّهُ فِي الْحَالَتَيْنِ
جَمِيعًا عَلَى حَدِّ وَاحِدٍ مِنْ تَبَارِجِ الْهَوَى . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى صَاحِبَيْنِ لَهُ يُحَاالِمُهُمَا فَطَلَبَ
مِنْهُمَا إِسْعَادَهُ فِي الْبُكَاءِ ، وَأَنْهَمَا مَتَى لَمْ يُسْعِفَا لَهُ بِمَطْلُوبِهِ اسْتِعَانًا بِغَيْرِهَا ، حَتَّى
إِذَا نَزَفَ دَمْعُهُ بَكِي لَهُ نَائِبًا عَنْهُ .

وقوله « كَانَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ » شَبَّهَ الْبَيْنَ إِذَا تَعَقَّبَهُ الْمَوَاصِلَةُ أَوِ الْاجْتِمَاعُ

بما لم يكن ، لكنه زعم أنه يائس لا يظن تسهل التلاقى بينه وبين محبوبه واقعاً . وقوله « ولا طول اجتماع » ارتفع بفعل مضمر ، كأنه قال : ولا أحدث طول اجتماع .

وقوله « خليلي إلا تبكي إلي » تألم وتشكى من زمانه ، حين لم يكن له من يساعده في شدة أوجاعه ، ويتحمل عنه ثقلًا في مسرة أو مضرة .

وقوله « كأن لم يكن » كان هذه هي التامة ، والمراد : كأن لم يقع بين . وكأن مخففة من الثقيلة ، وقع على محذوف ، كأنه قال : كأن الأمر والشأن لم يكن بين إذا حصل بعده التقاء . وقوله « لا إخال تلاقيا » المفعول الثاني محذوف كأنه قال : لا أحسب تلاقيا بعده . وساغ ذلك لتقدم ذكره ، فهو في حكم الملفوظ به .

٥٤٥

وقال جميل^(١)

وقد حارب الفخذ الذين منهم بُثينة :

١ - تفرق أهلانا بثين فنيهم فريق أقام واستقل فريق

٢ - فلو كنت خوار القدباخ ميسمي ولكنني صلب القناة عتيق

٣ - كأن لم نحارب يا بثين لو أنها تكشف عماها وأنت صديق

قوله « أهلانا » أراد شعبيهما . وقال الخليل : أهل الرجل : أخص الناس به . وأهل البيت : سكانه . وأهل الإسلام : من يدين به . وبثين : ندأ

(١) سبقت ترجمته في الحماسة ١٠١ من ٣١٤ . وانظر قصة الخلاف بين جميل وقوم

بثينة في الأغاني (٧ : ٨٨) .

مفردٌ مَرَحْمٌ . وقوله فمنهم فريق أقام ، تفصيل لما أجمله في تفرّق . وإنما افترقوا حتى ارتحل قومٌ وأقام قومٌ للخلاف الواقع كان بينهما .

وقوله « فلو كنتُ خَوَّارًا » تنبيه على كراهته لما حَدَّث ، وإظهار أن ميله مع أهله يثبته ، فقال : لو كنتُ ضعيفُ المُسَكَّةِ مُنَحَّلَ العُقْدَةِ ، لسكان ميسرى وقد بَاخَ ، أى زالت حرارته ، وسكنتُ حَمِيَّتُهُ ، بما أقاسيه وأشاهده حَالًا بعد حال ، من عوارض الدهر ونوائب الزمان ، ولكننى عتيق النَّبْعِ ، صليب الغفلة . وهذا مثلُ ضربه لإيائه ، وبقائه على طريقة واحدة في العهد والوفاء . ثم اعتمر بعد ذلك فقال : « كَأَن لَمْ تُحَارِبْ يَا بُنَيْنِ » يريد أن جميع ما يجري عليه يخفُّ ويَهُونُ إذا بقيت له على ما فارقها عليه ، وتعاقد له ، حتى كأنه لم يقع تجاذب^(١) بين الحَيَيْنِ ، ولا تحاربٌ بين الأهلَيْنِ ، إذا انكشفت^(٢) النِّمَاطُ الحاصلة ، وارتفعت العمَاية الرَّاكدة ، وتلك باقية على المصافاة . ويقال : باخت النار بَوْخًا وبُوقًا ، إذا حَمَدَتْ . والغنى ، هى الخصلة المظلمة . ولك أن تروى « تكشَّفُ » بالرفع ، يريد تنكشَّفُ ، فحذفت إحدى التاءين استئقالا لاجتماعهما . وإنما عدل عن الإدغام إلى الحذف ؛ لأنه كان يحتاج عند الإدغام لسكون أول الحرفين ، إلى جلب ألف الوصل ، وألف الوصل لا تدخل على الفعل المضارع . ولك أن تروى « تكشَّفَ » على أن يكون التاء للماضى . وجواب لو فى قوله كأن لم نحارب ، والواو من « وأنت » واو الحال . وذكَر « صديق » لأن المراد ذات صداقة ، ولو قال صديقة لجاز . قال :

إِذَا النَّاسُ نَاسٌ وَالزَّمَانُ بَغِيرَةٌ وَإِذْ أُمُّ عَمَّارٍ صَدِيقٌ مُسَاعِفٌ^(٣)

(١) فى الأصل : « تحارب » ، صوابه فى ل .

(٢) ل : « تكشفت » .

(٣) يفهم من صنيع اللسان (سعت) أن البيت لأوس بن حجر ، وليس فى ديوانه فى القصيدة التى على هذا الروى ، وانظر نوادر المخطوطات ص ١٥٩ .

٥٤٦

وقال آخر :

- ١ - شَيَّبَ أَيَّامُ الْفِرَاقِ مَفَارِقِي وَأُنْشِرَنَ نَفْسِي فَوْقَ حَيْثُ تَكُونُ
يقول : أَثَرْتُ أَيَّامُ الْفِرَاقِ فِيَّ فَأَبْدَلَنِي بِالشَّبَابِ مَشِيئًا ، وَبِالْجِدَّةِ وَالْقُوَّةِ
خُلُوقًا وَوَهْنًا شَدِيدًا ، وَأَزْجَعَتْ نَفْسِي مِنْ مَقَرِّهَا فَارْتَفَعَتْ مِنْ مَرْكَزِهَا إِلَى
مَا فَوْقَهَا ، فَالشَّيْبُ وَإِنْ جَاءَ قَبْلَ حِينِهِ يُؤْذِنُنِي بِاقْتِرَابِ الْمَهْلِ ، وَنُشُورِ النَّفْسِ
يُنْبِشُرُنِي ^(١) بِدُنُو الْأَجْلِ . هَذَا إِلَى مَا أُعَانِيهِ مِنْ حَوَادِثِ الْفِرَاقِ ، وَلَوَادِعِ
الِاشْتِيَاقِ . وَقَوْلُهُ « فَوْقَ حَيْثُ تَكُونُ » جَمَلَ حَيْثُ اسْمًا وَأَصَافَ فَوْقَ إِلَيْهِ .
وَحَيْثُ فِي الْأَمْكَنِ ^(٢) بِمَنْزِلَةِ حِينٍ فِي الْأَزْمَنِ ، وَلِذَلِكَ احْتِجَاجٌ إِلَى جَمَلَتَيْنِ .
« وَتَكُونُ » : مُسْتَقْبَلُ كَانَ التَّامَّةُ ، وَمَعْنَاهُ يَقَعُ وَيَحْصُلُ . وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا
تَرَحَّفَ عَنْ مَجْلِسِهِ فَارْتَفَعَ فَوْقَ ^(٣) ذَلِكَ : تَشَرَّ نُشُورًا ، وَأُنْشِرْتَهُ إِنْشَاذَا .
وَقَوْلُهُ « أَيَّامُ الْفِرَاقِ مَفَارِقِي » يَسْمَى التَّجَنُّيسَ النَّاقِصَ . وَفَرَّقَ الرَّأْسَ وَمَفْرِقَهُ وَاحِدَ .
٢ - وَقَدْ لَانَ أَيَّامُ اللَّوَى ثُمَّ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْعَبَشِ شَيْءٌ بَعْدَهُنَّ يَلِينُ
٣ - يَقُولُونَ مَا أَبْلَاكَ وَالْمَالُ غَايِرٌ عَلَيْكَ وَضَاحِي الْجِلْدِ مِنْكَ كَيْنٌ ^(٤)
٤ - فَقُلْتُ لَهُمْ لَا تَعْذَلُونِي وَانْظَرُوا إِلَى النَّازِعِ الْمُقْصُورِ كَيْفَ يَكُونُ
حَدَّ أَيَّامَهُ بِاللَّوَى إِذْ كَانَ فِيهِ اجْتِمَاعُ مَعَ الْأَحْبَةِ ، وَمُسَاءَفَةٌ مِنَ الْمَقْدَارِ
وَالْأَقْصَايَةِ . ثُمَّ تَعَقَّبَ بَرُوعِهِ مَا صَعُبَ مِنْهَا وَخَشُنَ ، لَمَّا حَدَّثَ مِنَ الْبِعَادِ فِيهِ

(١) يَبْشُرُنِي ، مِنَ الْبَشْرِ ، بِمَعْنَى التَّنْبِيْهِ ، وَهَذَا عَلَى التَّهْكِيمِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
« فَبَشِّرْهُم بِعَذَابِ أَلَمٍ » . وَفِي الْأَصْلِ : « يَنْبَشُرُنِي » ، صَوَابُهُ فِي لِهَذَا الضَّبْطِ .
(٢) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « الْأَمَاكِنُ » .
(٣) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « فَوْقَ » .
(٤) التَّبْرِيزِيُّ : « غَايِرٌ لَدَيْكَ » .

فاستنكر ، فلم يستوفق بعدها شيئاً من الأوقات ، ولا ارتضى حالاً من الأحوال ،
لتعسر العيش ، ونكد الفراق .

وقوله : « يقولون ما أهلك والمال غامر » يريد أن الناس متعجبون من شأني
وأمرى ، مستنكرون ما يشاهدون من خوولي وضمرى ، فيرجعون بالسؤال على ،
ويقولون : ما الذى بلاك ، وهزلك وأنضاك ، وفي مالك وفور ، والضاحى من
جلدك بالكسوة مستور ، فلا تبدل للحرور اعتراك ، ولا إضافة فى المعاش
تفشاك . قال : فأجبتهم بأن اصرِفُوا عَنى العتبَ والمَلَامَ ، واعتبرُوا حالى بالنظر
إلى البعير الحانٍ إلى وطني ، مع أنه أغلظ ما خلقه الله كبدًا ، وأثبت على الشدائد
نفساً وجداً ، كيف يضج ، ولو خلى كيف يهيم على وجهه ويند . واعلموا أن
ما يبلغ به تلك الحالة من النزاع على ما به من العجمة والغباوة ، حقيق بأن
يُكَمِّدَ مثلى مع ما تَوَحَّدْتُ به من التمييز والتحصيل ^(١) ، والفرق بين أحناء
الأمر وأحنائها .

وقد أخذ أبو تمام هذا المعنى فنقله إلى الدار وقد خلت من الشكك فقال :
إن شئت ألا ترى صبراً لمضطير فانظر على أى حال أضبح الطلل ^(٢)

٥٤٧

وقال أبو دهب الجمحي ^(٣) :

١ — أقول والركب قد مالت عماهم وقد سقى القوم كأس النعسة السهر

(١) يقال : توحده الله بعصمه ، أى عصمه ولم يكله إلى غيره . اللسان (وحد ٤٦٦) .

(٢) ديوان أبي تمام ٢٢٦ .

(٣) سبقت ترجمته فى الخامسة ٥٢١ س ١٣١٩ . التبريزى : « وقال أبو دهب
الأمراني : ليس قوله ياليت أنى بأثوابى لأبى دهب ، وإنما وقع فى ديوانه مع ثلاثة أبيات آخر ،
والصحيح أنها لمحمد بن بشير الخارجي ؛ وهذا البيت لا يكاد يعرف معناه البتة إلا بالأبيات التى
تقدمه ، وهى :

٢- يا لَيْتَ أُنَى بِأَثْوَابِي وَرَاحِلَتِي عَبْدٌ لِأَهْلِكَ هَذَا الشَّهْرَ مُؤْتَجَرٌ
 أول البيت الثانى ، وهو « يا لَيْتَ أُنَى بِأَثْوَابِي » فى موضع المفعول لأقول .
 والواو من قوله « والرَّكْبُ » واو الابتداء ، وهو للحال . وقوله « وقد مَالَتْ
 عمامتهم » يريدُ لَغَلَبَةِ النوم عليهم ، ومجاهدة السَّير والسرى فيهم ، ومزاوَلَتهم
 الشَّهْرَ ، حتَّى كأنهم سَقَّاهم كُؤُوسَ النُّعاسِ فَسَكِرُوا ، والمعنى أُنَى أقول ، على
 معاناة هذه الأحوال : يودِّى أُنَى مُسْتَعْبِدٌ لِأَهْلِكَ طُولَ الشَّهْرِ الذى نحن فيه ،
 مُؤْتَجَرٌ بِكُؤُوسِ وَزَادِي وَرَاحِلَتِي ، لا أَكَلَّهْم مَوْوَنَةً ، ولا أَحَمَلَّهْم مَرْزَنَةً ، كلُّ
 ذلك رغبة فى التَّقَرُّبِ إِلَيْكَ ، والاستعداد بخدمة أهلك ، والفوز بالترجى على
 تَحَلُّكِ ومَرَحَلَتِكَ . وقوله « يا لَيْتَ » ، المنادى محذوف ، كأنه قال : يا قوم
 يا لَيْتَ أُنَى .

٣- إِنْ كَانَ ذَا قَدَرًا يُعْطِيكَ نَافِلَةً مِثْلًا وَيَحْرِمُنَا ، مَا أَنْصَفَ الْقَدَرُ
 ٤- جَنِّيَّةٌ أَوْ لَهَا جِنٌّ يُعَلِّمُهَا رَمَى الْقُلُوبِ بِسَهْمٍ مَا لَهُ وَتَرٌ^(١)
 جواب الشرط فى قوله « ما أنصف القدر » على إرادة الفاء . وقوله
 « يعطيك نافلة » فى موضع الصفة لقدرًا . وأشار بـ « ذا » إلى ما بينه وبين
 محبوبه . والمعنى : إِنْ كَانَ مَا يُرَى بَيْنَنَا وَيُشَاهَدُ قَدَرًا قَدَّرَهُ اللهُ تَعَالَى ، يُعْطِيكَ
 مِنَّا مَا تَسْتَغْنِيهِ وَتَسْتَفْضِلِيهِ ، ثُمَّ يَمْنَعُنَا مِثْلَ ذَلِكَ مِنْكَ فَلَا يُوجِبُهُ لَنَا ، فَمَا أَعْطَانَا
 النَّصْفَةَ فى الْقَضِيَّةِ ، وَلَا سَارَ بِالسَّيْرِ الْمَحْمُودَةِ^(٢) فى الْحُكُومَةِ .

يا أحسن الناس إلا أت نائلها قدما لمن يرتجى معروفها عسر
 وإنما دلها سحر تصيد به وإنما قلبها للمشتكى حجر
 هل تذكرين ولما أنس عهدكم وقد يدوم لعهدهم الخلة الذكر
 قولى وركبك قد مالت عمامهم وقد سقاهم بكأس النومة السفر
 (١) التبريزى : « بقوس مالها وتر » ، وهذه الرواية أجود .
 (٢) ل : « بالسير المحمودة » .

وقوله « جَنِيَّةٌ » ، يريد أن فَعَلَهَا مُبَايِنٌ لِفَعْلِ الْإِنْسِ ، وكذلك شَكَلَهَا وحُسْنُهَا ، فَإِذَا أَنْ تَكُونُ مِنَ الْجَنِّ ، أَوْ لَهَا مِنَ الْجَنِّ مَنْ يُعَلِّمُهَا افْتِتَانِ الْعُقُولِ ، واختِبَالَ الْأَفْئِدَةِ فِي الصُّدُورِ . وقوله « بِسَهْمٍ مَالَهُ وَتَرٌ » ، يريد سَهْمًا لَا يُنْزَبُهُ الْوَتَرُ عَلَى الْقَيْسِيِّ ، بَلْ تَهَيَّئُهُ مَقْلُ الْعُيُونِ ، وَتَوَاطُرُ الْفُتُونِ ، لِإِصَابَةِ حَبَّاتِ الْقُلُوبِ ، وَانْتِظَامِ غِرَّاتِ النُّفُوسِ .

٥٤٨

وَقَالَ تَوْبَةُ بْنُ الْمُضَرَّسِ ^(١) :

١ - يَقُولُ أَنْسٌ لَا يَضِيرُكَ نَأْيُهَا بَلَى كُلُّ مَا شَفَّ النُّفُوسَ يَضِيرُهَا

٢ - أَلَيْسَ يَضِيرُ الْعَيْنَ أَنْ تَرَدَّ الْبُكَاءُ وَيَمْنَعَ مِنْهَا نَوْمُهَا وَسُرُورُهَا ^(٢)

يَقَالُ : ضَارَهُ يَضِيرُهُ ، فِي مَعْنَى ضَرَّهُ بِضُرِّهِ . وَشَفَّ النُّفُوسَ ، أَيْ آذَاهَا وَأَذَابَهَا . وَالْمَعْنَى : أَنَّ النَّاسَ يَطِيبُونَ قَلْبِي وَيَرُومُونَ بِمَحَاجَّتِهِمْ لِي تَسَامِيحِي ، وَيَقُولُونَ إِنَّ بُعْدَهَا لَا يُورِثُكَ خَبَالًا ، وَلَا يَكْسِبُكَ ضَرَرًا وَوَبَالًا ، بَلْ يُعْقِبُكَ سَلَوَةً ، وَيُبَدِّلُكَ مِنَ النَّاسِ بِالْإِجْتِمَاعِ مَعَهَا نَفَرَةً ، فَأَنْتَ مَا نَفَوَهُ ، وَأَبْطَلْتَ مَا أَلْفَوَهُ ^(٣) ، وَقُلْتُ : بَلَى كُلُّ مَا يُذِيبُ النَّفْسَ وَيَهْزِلُهَا ، وَيَسْلُبُهَا الْقَرَارَ وَيُقْلِقُهَا ، فَهُوَ عَائِدٌ بِأَكْلِ الضَّرَرِ عَلَيْهَا ، ثُمَّ رَدَدْتُهُمْ إِلَى الشَّاهِدِ مُسْتَدْلًا بِهَا ،

(١) عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ : « تَوْبَةُ بْنُ الْحَمِيرِ » ، وَقَدْ سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْخَمَاسِيَةِ ٥١٣ ص ١٣١١ . وَأَمَّا تَوْبَةُ بْنُ الْمُضَرَّسِ فَهُوَ تَوْبَةُ بْنُ الْمُضَرَّسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّادِ بْنِ مَحْرُثِ بْنِ سَعْدِ بْنِ حِزَامِ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ ، شَاعِرٌ مَحْسَنٌ ، قَتَلَ أَخُوهُ الْخَزْعَ عَلَيْهِمَا جُزْعًا شَدِيدًا ، وَكَانَ لَا يَزَالُ يَبْكِيهِمَا ، فَطَلَبَ إِلَيْهِ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ أَنْ يَكْفَ ، فَأَبَى ؛ فَسَاءَ « الْحَنَسُوتُ » ، وَهُوَ الَّذِي يَمْنَعُهُ الْغَيْظُ أَوْ الْبُكَاءُ عَنِ الْكَلَامِ . الْمُؤَنَّفُ ٦٨ - ٦٩ . (٢) « تَرَدُّ » هِيَ رَوَايَةُ الْأَصْلِ . وَفِي التَّبْرِيزِيِّ : « أَنْ تَكْثُرَ » ، وَأَشِيرُ فِي هَامِشَةٍ لِي إِلَى أَنَّهَا فِي نَسْخَةِ « تَرَدُّ » .

(٣) هَذَا مَا فِي ل ؛ وَفِي الْأَصْلِ : « أَلْفَوَهُ » ، وَقَدْ أَشِيرُ إِلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى فِي هَامِشَةٍ لِي .

فقلت: أليس العين إذا أديم البكاء بها، ومُنِيع النَّوْمُ وما يُلتَذُّ به من مَسَارِحِ
الَّهْوِ والشُّرُورِ منها، يضرُّها ذلك؟ كذلك النَّفْسُ إذا جُمِعَ عليها ما لا تهواه،
وفُرقَ بينها وبين ما تلتذُّه وترضاه.

٥٤٩

وقال ابن أبي دباكل الخزاعي^(١):

١- يطولُ اليومُ لا أَلْفَاكَ فِيهِ وَحَوْلُ نَلْتَقِي فِيهِ قَصِيرُ^(٢)

٢- وقالوا لا يَضِيرُكَ نَأْيُ شَهْرٍ فَقُلْتُ لَصَاحِبِي فَمَتَى يَضِيرُ^(٣)

يقول: إِنَّ السَّنَةَ الْكَامِلَةَ إِذَا انْتَصَلَ الْإِنْقَاءَ بَيْنَنَا فِيهَا، اسْتَقْصَرُهَا
وَأَحْرَصُ عَلَى الْإِسْتِزَادَةِ مِنْهَا، التَّذَاذًا بِهَا وَبُعْدًا مِنَ الْمَلَالِ لَهَا، وَإِنَّ الْيَوْمَ
الْوَاحِدَ إِذَا حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِيهِ اسْتَطِيلُهُ تَقَالِيًا لَهُ، وَتَفَادِيًا مِنْهُ، وَكَرَاهِيَةً لِمَتَدَادِهِ
وَالنَّاسُ يَقُولُونَ لِي: إِنَّ الشَّهْرَ لَا يَجْلُبُ عَلَيْكَ ضَرَرًا، فَقُلْتُ لَصَاحِبِي: فَمَتَى
يَضِيرُ إِذَا؟ اسْتَبْعَادًا لِلْأَجْلِ الْمَضْرُوبِ. وَيُرْوَى: «لَصَاحِبِي فَمَتَى يَضِيرُ». وَالْمَعْنَى:
إِذَا لَمْ يَضُرَّنِي الْفَطَمُ عَمَّا لَمْ أُرْتَوْ مِنْهُ فَمَتَى الْمَضْرُورُ إِذَا.

(١) التبريزي: «دباكل علم مرتجل، وليس منقولاً من جنس». وفي القاموس:
«وابن أبي دباكل، بالضم: شاعر خزاعي»، واسمه سليمان بن أبي دباكل، كما في الأغاني
(٧: ١٨/٢٩: ١٩٥) شاعر أموي، كان معاصراً للأخوس، وقد صنع قصيدته التي
يقول في أولها:

يا بيت خفساء الذي أتجنب ذهب الشباب وجها لا يذهب

فقال الأخوس في عروضها:

يا بيت عانسكة الذي أتغزل حذر العدى وبه الفؤاد موكل

(٢) ل: «وشهر نلق». التبريزي: «ويوم نلتقي». وقد روى التبريزي هذا

البيت بعد تاليه هنا.

(٣) ل والتبريزي: «فمن يضر». وما روايتان نس عليهما في الشرح.

٥٥٠

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة^(١) :

١- شَقَقْتُ الْقَلْبَ نَمَ ذَرَرْتُ فِيهِ هَوَاكَ فَلَيْمَ فَالْتَامَ الْفُطُورُ^(٢)

٢- تَغْلَغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورٌ

يصف استحكام أمر الهوى وشدة تسلطه على قلبه ، وتمكّنه من عقله ، فيقول : شَقَقْتُ قَلْبِي ، وَجَعَلْتُ هَوَاكَ ذَرُوراً فِيهِ ، فَرَسَخَ فِي جَوَانِبِهِ بَعْدَ أَنْ دَبَّ فِي مَسَامِهِ وَمَوَالِجِهِ ، ثُمَّ جَمَعَتْ فُتُوقَهُ حَتَّى التَّأَمَّتْ شَقُوقُهُ ، فَتَوَصَّلَ الْهَوَى مِنْهُ إِلَى حَيْثُ أَعْجَزَ كُلَّ سُرُورٍ وَحُزْنٍ . وَالْمَعْنَى أَنَّ الْهَوَى مَلَكَ بِجَمَاعِ قَلْبِي فَأُخْجِيَ مِنْهُ مَا كَانَ مُحَرِّمًا عَلَى غَيْرِهِ . وَقَوْلُهُ « لَيْمَ » أَصْلُهُ الْهَمْزُ فَأَبْدِلَ مِنْ هَمْزِهِ يَاءً وَانْكَسَرَ اللَّامُ لَهَا . وَالتَّغْلَغَلَ : التَّوَصَّلَ عَلَى مَقَاسَةِ تَعَبٍ وَشِدَّةٍ . وَلَا يُقَالُ لِمَنْ تَوَصَّلَ وَالْمَذْهَبُ سَهْلٌ : تَغْلَغَلَ . وَيُقَالُ : ذَرَّرَ الشَّيْءُ ، إِذَا فَرَّقَهُ ؛ وَذَرَّرَ الْحَبَّ فِي الْأَرْضِ . وَقَوْلُهُ « التَّامَ الْفُطُورُ » ، أَرَادَ الْفُطُورَ مِنْهُ ، خَذَفَ تَخْفِيفًا ، لِأَنَّ الْمُرَادَ مَعْلُومٌ . وَالْفَطْرُ : الشَّقُّ ، وَمِنْهُ تَفَطَّرَ الْوَرَقُ .

(١) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي النابضي ، وعم أبيه هو عبد الله ابن مسعود . كَانَ عَالِمًا ثَقَّةً فَقِيهًا ، كَبِيرَ الْحَدِيثِ وَالْعِلْمِ ، شَاعِرًا . قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : كَانَ أَحَدَ الْفُقَهَاءِ الْعَشْرَةِ ثُمَّ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يَدُورُ عَلَيْهِمُ الْقَتَوَى ، وَكَانَ عَالِمًا فَاضِلًا مُقَدِّمًا فِي الْفَقْهِ ، ثَقْبًا شَاعِرًا مُحْسِنًا ، لَمْ يَكُنْ بَعْدَ الصَّحَابَةِ إِلَى يَوْمِنَا فِيمَا عِلْمَتْ فَقِيهِ أَشْعَرُ مِنْهُ ، وَلَا شَاعِرَ أَفْقَهُ مِنْهُ ؛ وَكَانَ لَهُ زَوْجَةٌ يُقَالُ لَهَا « عَثْمَةُ » فَعُتِبَ عَلَيْهَا فِي بَعْضِ الْأُمُورِ فَطَلَّقَهَا ، وَلَهُ فِيهَا أَشْعَارُ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا هَذَا الشَّعْرُ ؛ وَأَوَّلُهُ عِنْدَ ثَعْلَبٍ فِي مَجَالِهِ ٢٨٤ :

تغلفل حب عثمة في فؤادي فبأديه مع الخافي يسير

وانظر الأغاني (٩٣: ٨) ومجموعة المعاني ١٦٢ . توفي عبيد الله سنة ٩٨ . تهذيب التهذيب .

(٢) أشد التبريزي بين هذا البيت وتاليه البيت الذي ذكر في الحاشية السابقة ، أنهى عنده ثلاثة أبيات .

٥٥١

وقال ابن ميادة^(١) :

١ - وما أنسَ منَ أشياءَ لأنسَ قولها وأدُمُّها يُدْرِنَ حَشَوَ المَكاحِلِ

٢ - تَمَتَّعَ بِذَا اليَوْمِ القَصِيرِ فَإِنَّهُ رَهِينٌ بِأَيَّامِ الشُّهُورِ الأطَاوِلِ

انجزم « أنس » بما ، وما موضعه نصب على المفعول من أنس . والمعنى : إن أنس شيئاً من الأشياء لا أنس قولها . فلا أنس انجزم على أنه جواب الشرط . وقوله « ملَ أشياء » أصله من الأشياء ، وجعل الحذف بدلاً من الإدغام لَمَّا تعذر إتيانه في المقارِبين ، وقد مرَّ مثله^(٢) مستقصى . وقوله « يُدْرِنَ » يريد يُسْقِطُن حَشَوَ المَكاحِلِ . أراد أنها كَحَلَاة ، فكان الدَّمع حين ذَرَفَ صَحْبَهُ الكحل .

وقوله « تَمَتَّعَ بِذَا اليَوْمِ القَصِيرِ » موضعه من الإعراب نصبٌ على أنه مفعولٌ من قولها ، أى لا أنسَ قولها ، وقد شافهنا الفراق من يومِ التوديع والتَّشيع وهي تبكى : تَمَتَّعَ بِيَوْمِكَ القَصِيرِ^(٣) لكونه يومَ اجتماع ، فإنه مرتين^(٤) من الشُّهُور الطَّوِيلَةِ ، لكونها أَيَّامَ التَّبَايُنِ ؛ أى مثلُ هذا اليومِ لا يُفَكُّ من الارتهان ، ولا يحصلُ إلَّا بعد تَقْضَى تلك الأيامِ المستطالة .

(١) سبقَت ترجمته في الحاشية ٥٣٤ من ١٣٣٣ .

(٢) ل : « ذكره » .

(٣) ل : « بِذَا اليَوْمِ القَصِيرِ » ، وأشير في هامشها إلى أنها في نسخة : « يَوْمِكَ القَصِيرِ » .

(٤) ل : « رَهِين » ، وأشير في هامشها إلى الرواية الأخرى .

٥٥٢

وقال محمد بن بشير^(١) :

١ — بَيْضَاهُ آنِسَةُ الْحَدِيثِ كَأَنَّهَا قَمَرٌ تَوَسَّطَ جَنَاحَ لَيْلٍ مُبَرِّدٍ

٢ — مَوْسُومَةٌ بِالْحُسْنِ ذَاتُ حَوَاسِدٍ إِنَّ الْحِسَانَ مَظِنَّةٌ لِلْحُسَدِ

٣ — وَتَرَى مَدَامِعَهَا تُرْفِقُ مُقَلَّةً سَوَاءً تَرْغَبُ عَنْ سَوَادِ الْإِيمِدِ

وصف المرأة يائراق اللون . ومعنى « آنسة » ذات أنس ، لأن الحديث

يُونِسُ وَلَا يَأْنِسُ ، فهو كقولهم : هم ناصب ، والمراد منصّب . ثم شبهها بقمر

توسط السماء فيما جناح من ليل كان فيه غيم وبرد . والقمر إذا خرج من حلك

الغمام في ليلة مطيرة كان أضواً وأحسن . ويجوز أن يكون قوله « ليل مبرّد »

يراد به ليل ذو برد أو برّد ، ويكون من باب أشملنا ، أى دخلنا في الشمال ،

وأشتينا ، أى دخلنا في الشتاء . ويقال : برّدت الأرض ، إذا مطرت البرّد ،

فهي مبرودة . وأبرّذنا ، أى دخلنا في البرّد أو البرّد ، وكذلك قوله شملنا :

أصابتنا ريح الشمال ، وأشملنا : دخلنا في الشمال . وقال الخليل : يقال أبرّد

القوم ، إذا صاروا في وقت القرّ في آخر النهار . والأبرّدان : طرّفاً النهار .

وقال الشاعر^(٢) :

إذا الأرطى توسّد أبرّديهِ خُدودُ جَوَازِيٍّ بِالرَّمْلِ عَيْنِ

يصف بقرة وحشية بأنها تتوسّد غصون الأرطى التي تلي الغرب بالعدة ،

(١) سبقت ترجمته في الحماسة ٢٦٩ ص ٨٠٨ . وعند التبريزي : « وقال آخر » .

وقد نسب الشعر إلى محمد بن بشير أيضاً في الأغاني (١٤ : ١٤٧ — ١٤٨) ، ونسب في الأغاني (٢ : ١١) إلى مجنون لبلى .

(٢) هو العجاج بن ضرار . ديوانه ٩٤ واللسان (جزأ) .

فإذا دارت الشمس دارت معها إلى ناحية الشرق ، فتوسّدت الفُصون التي مالت الشمسُ عنها .

وقوله « موسومةٌ بالحسن » ، يريد أنه جعلَ سَيَاهَا الحسنَ ، فهي ممسوحةٌ به موسومةٌ . وأصل السّمة العلامة ، ومنه السّيما . ومعنى « ذات حواصِدٍ » أى مَنْ يراها مِنَ النَّاسِ يحسدها ، لأنَّ الحِسانَ مَعْلَمٌ للحُسَدِ . وهكذا كما يُقال : إنَّ الحَسَدَ يتبع النِّعمَ .

وقوله « وترى مدامعها تُرْفِقُ مُقْلَةً » فالدامع مسایل الدَّمع من القبائل في الرَّأْسِ . ومعنى « تُرْفِقُ مُقْلَةً » أى تُرْفِقُ الدَّمعَ فى مُقْلَةٍ . والرِّقراق : الدَّمع الذى يترفق فى العين ولا يسيل . قال :

* أَوِ الدُّرُّ رَفْرَاقُهُ الْمُنْحَدِرُ ^(١) *

والمعنى أَنَّهَا كَخَلَاءٍ ، وَأَنَّ الدَّمعَ يَقْجَمُ فى مُقْلَةٍ لَهَا مُسْتغْنِيَةٌ عَنِ سَوَادِ الكحل ، لِكَحْلِهَا .

٥٥٣

وقال آخر ^(٢) :

- ١- صَفْرَاهُ مِنْ بَقَرِ الْجَوَاءِ كَأَنَّمَا تَرَكَ الْحَيَاءُ بِهَا رُدَّاعَ سَقِيمٍ
 - ٢- مِنْ مُحْذِيَاتِ أَخِي الْهَوَى جُرْعَ الْأَسَى بِدَلَالٍ غَانِيَةٍ وَمُقْلَةٍ رِيمٍ
 - ٣- وَقَصِيرَةَ الْأَيَّامِ وَدَّ جَلِيسُهَا لَوْ دَامَ مَجْلِسُهَا بِفَقْدِ حَمِيمٍ
- وصفها بأنها دُرِّيَّةُ اللَّوْنِ ، وَأَنَّ فِيهَا مِثَابَةً مِنْ بَقَرِ الْجَوَاءِ ، وَأَنَّهَا حَيِيَّةٌ

(١) لامرئى القيس فى ديوانه ٧ . وصدره :

* فَأَسْبَلُ دَمْعِي كَفَشِ الْجَنَانِ *

(٢) هو مجنون لبلبى قيس بن معاذ . اللسان (ردع) .

قليلة الحركات لنعمتها ، قليلة الكلام لفرط حيائها ، فكانت بها تُنكس سقم لما ألفتته من الكسل . وقال الخليل : الرذع والرذاع : النكس ؛ ورجل مردوع . وقيل : الرذاع : الوجع في الجسد . فأما قول الأعشى :

بيضاه ضَحَوَتْهَا وصَفَر اه العشيّة كالمرارة

فجعل لها لونين : بياضاً في أوّل النهار ، وصُفراً في آخره ، حتى لونها لونُ القرار . وإنما يريد أنها تَقِيلُ فيمتدُّ النومُ بها إلى آخرِ النهار ، والقائم من نومه أبداً يكون متغيّر اللون . ومثل قوله « ترك الحياه بها رذاع سقيم » قول الآخر^(١) :

كأنّ لها في الأرض نسيّاً تَقُصُّهُ على أمّها وإن تُكَلِّمَكَ تَبْلُتِ

وقوله « من مُحْذِيَاتِ أَخِي الهوى » يريد أنها من النساء اللاتي تَسْقِي الشَّبَانَ وأرباب الهوى جُرْعَ الأسى ، يريد أنها تَفْتِنُهُم بِمَحاسنها ، ثم لا تُنِيلُهُمْ شيئاً ، وهى الحذِيَا والحِذْوَةُ . والأسى : الحزن .

وقوله « بدلال غانية » تعلق الباء منه بِمُحْذِيَاتِ . والغانية : التي تَسْتَعْنِي بِجَمَالها عن الخُلَى . والريمُ : الظنُّ الخالص البَيَاض . والمعنى أنها تَقْنَنه بعينها وكلامها وُغْنِجِها .

وقوله « وقصيرة الأيام » يريد أنها لا تُتِمِّلُ ، فالأيام في مُلَازمتها قصيرة ، حتى أنَّ مُجَالِسَهَا يودُّ أن يدوم مجلسها له وإنْ قَدَّ أقاربه . والقصدُ إلى أنها طَيِّبَةُ الحديث ، مؤنِّسَةُ المجلس ، مُصَرِّفَةُ المُلازم في أصنافِ المَلَادِّ حتى يَنْسَى كلَّ شيء غيرَها ، وَيَنْشَمَّ جميعَ النِّظَاطِ سِوَاها .

وقوله « بَقَدِّ حَمِيم » الباء فيه يُفِيدُ معنى العِوَض ، فهو كما يقال : هذا لك بكذا ، أى عِوَضاً منه .

(١) هو الشنفرى الأزدي . الفضليات ١٠٩ .

٥٥٤

وقال آخر :

١ - ونار كسخر العود يرفع ضوؤها مع الليل هبَّت الرياح الصَّوَّارِدُ^(١)
 ٢ - أصدُّ بأيدي العيس عن قُصْدِ أهلها وقابى إليها بالموَدَّةِ قاصِدُ
 شَبَّةِ النارِ في خمرتها وتضاعدها بسخر العود . والسَّخَرُ : الرُّنَّةُ وما تعلق
 بالخلقوم . ويقال لمن نَزَتْ به البُطْنَةُ : انتفخ سحره ؛ كما يقال : عدا طوره .
 وأكثر ما يقال ذلك لمن جَبُنَ عن شيء . والعود : الجمل المسنن ؛ وقد عَوَّدَ ،
 أى نَيَّبَ ، والجميع العَوْدَةُ ، فى لغة : العِيْدَةُ . ويستعمل العود فى السُّودْدُ
 القديم ، والطريق العادى .

وقوله « يرفع ضوؤها » يريد أن هبَّت الرياح الباردة تهيجها ، فكانها
 ترفع من ضوئها فى ظلام الليل ومعه . والصَّوَّارِدُ : البوارِدُ ، وهى من صفة
 الهبَّات .

وقوله « أصدُّ بأيدي العيس » جواب رُبَّ .

ويشبه البيت الثانى قول الآخر^(٢) :

يا بيت عاتكة الذى أنزل حذر العدى وبه الفؤاد موكَّلُ

ومثل البيت الأوَّل قوله :

تنوَّرتُها من أذرعائِ وأهلها بيثرب أدنى دارها نظَّرَ عال^(٣)

(١) التبريزى : « ترفع ضوؤها » . وانظر الحيوان (٥ : ٦٣) وكتاب الزهرة
 للأصفهاني ٢٣٥ .

(٢) هو الأحوس بن محمد الأنصارى . الأغاني (١٨ : ١٧٥ ، ١٩٦) ، وذكر
 أبو الفرج أنه عارض بقصيدته قصيدة سليمان بن أبي دبال وسطا عليها ، ومطلع قصيدة سليمان :
 يا بيت خنساء الذى أتجنب ذهب الشباب وجها لا يذهب

(٣) البيت لامرئ القيس فى ديوانه ٥٦ .

وهذا منهم على التشويق والتحقيق ، إلا أنهم كانوا يتمللون بما كان من نحو أرض الحبيب .

٥٥٥

وقال الحسين بن مطير^(١) :

١ — وكنت أذود العين أن ترد البكا فقد وردت ما كنت عنه أذودها

٢ — خليلي ما بالعيش عتب لو أننا وجدنا لأيام الحى من يعيدها

يقول : كنت أصبر النفس فيما ركبها وثقل عليها من الوجع ، وأحبس العين مما ترومه من البكاء ، فقد عيل الصبر ، وتسلب الحزن ، وغلب البكاء ، فقد وردت عيني المورد الذى كنت أحلها منه ، وأدفعها عنه .

وقوله « خليلي ما بالعيش عتب » رواه بعضهم : « ما بالعيش عيب » ، وذكر العتب أحسن ها هنا . والمراد أنه لا معتبة على العيش ، لأن صفاءه بأن تقص له أيام كأيام الحى ، فلو وجدنا من يعيد أمثالها فساعد فيها قرب المزار ، وإمكان الوصال ، لطاب وصفا كما كان من قبل ، فلا ذنب للعيش ، إنما الذنب لما يكدره ويشحنه بالمكاره .

٥٥٦

وقال آخر^(٢) :

١ — ولي نظرة بعد الصدود من الجوى كنظرة تسكى قد أصيب وليدها

٢ — هل الله عاف عن ذنوب تسلفت أو الله إن لم يعف عنها يعيدها^(٣)

(١) سبقت ترجمته فى الخامسة ٣١٩ ص ٩٣٤ .

(٢) كذا فى النسختين . أما التبريزى فقد جعل القطوعتين مقطوعة واحدة .

(٣) التبريزى : « أم الله إن لم يعف عنها يعيدها » .

يقول : قَدَيْتْ عَيْنِي بِمَا حَصَلَ مِنْ صُدُودِ الْحَبِيبِ ، فَلَی نَظَرُهُ بَعْدَهُ لِحَوَى الْقَلْبِ وَالْجَوْفِ ، كَنَظَرِهِ أَمَّ أُصِيبَتْ بُولِيدِهَا فَتَسَكَلَتْهُ . ثُمَّ قَالَ مَتَمْنِيًا : هَلْ يَعْفوُ اللهُ عَمَّا سَلَفَ لَنَا مِنْ ذُنُوبٍ ، أَوْ يَعِيدُ لَنَا تَسْهِيلَ أُمُثَالِهَا وَالتَّمَكِينَ مِنْ اقْتِرَافِ مُشَابِهِهَا إِنْ ضَاقَ عَفْوُهُ عَنْهَا . وَهَذَا كَلَامٌ مِنْ حَرَجِ صَدْرِهِ بِمُسْتَقْبَلِ أَمْرِهِ ، وَامْتِلَاءِ قَلْبِهِ مِنَ التَّأْسُفِ فِي إِثْرِ مُسْتَدْبَرِهِ .

٥٥٧

وَقَالَ سَوَّارُ بْنُ الْمُضَرَّبِ ^(١) :

١ - يَا أَيُّهَا الْقَلْبُ هَلْ تَنْهَاكَ مَوْعِظَةٌ أَوْ يُحَذِّثُكَ لَكَ طَوْلُ الدَّهْرِ نِسْيَانًا ^(٢)
٢ - إِنْی سَأَسْتَرُ مَا ذُو الْعَقْلِ سَاتَرَهُ مِنْ حَاجَةٍ وَأُمِيتُ السَّرَّ كِتْمَانًا
عَتَبَ عَلَى قَلْبِهِ فِي عَصِيَانِهِ لَهُ ، وَاطَّرَاحَهُ مَوَاعِظَهُ ، وَوَلَّوَعِهِ الْمُسْتَمِرَّ عَلَى تَطَاوُلِ الدَّهْرِ ، وَتَقَادُّمِ الْأَمْرِ ، وَقَالَ : هَلْ لَيْنَ الْوَعْظُ مِنْكَ أَوْ أَحْدَثَ مَوَاصِلُ الْأَيَّامِ وَاسْتِمْرَارُهَا نِسْيَانًا لَكَ ، فَتَكْفَى عَمَّا يُكْرَهُ مِنْكَ ، أَوْ تَقْبَلُ بَعْضَ مَا تُدْعَى إِلَيْهِ مِنْ رُشْدِكَ .

وَقَوْلُهُ « أَوْ يُحَذِّثُكَ » زَادَ النَّوْنُ الْخَفِيفَةَ فِي الْمَعْطُوفِ مِنْ غَيْرِ أَنْ حَصَلَ فِي الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ « يَنْهَاكَ » مِثْلُهُ ؛ وَسَاغَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَلْفَوْا زِيَادَةَ إِحْدَى النُّونَيْنِ فِيمَا لَيْسَ بِوَاجِبٍ مِنَ الْأَفْعَالِ ، فَكَانَ قَدَّرَ أَنْ الْأَوَّلَ حَصَلَ فِيهِ النَّوْنُ فَزَادَ فِي الثَّانِيَةِ ، لِتَوْحُّدِ مِثْلِهِ فِي الْأَوَّلِ ، وَاسْتِمْرَارِ الْعَادَةِ بِزِيَادَتِهِ . وَهَذَا كَمَا عُرِفَ فِي بَيْتِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

(١) التبريزي : « المضرب » بالراء الشدة المفتوحة ، وقد مضت ترجمته في الحماسية

١٨ ص ١٣٠ .

(٢) في نسخة الأصل : « طول الليل » ، صوابه من ل والتبريزي .

فَظَلَ طَهَاءُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلٍ

قوله أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلٍ ، وهو مجرور على صفييف شِوَاءٍ وهو منصوب لِنَبِّهٍ
حذف التنوين ، وجعل الإضافة بدلاً منه في مُنْضِجٍ .

وقوله « إِنِّي سَأَسْتُرُ مَا ذُو الْعَقْلِ سَاتَرَهُ » ، وَصَفَ نَفْسَهُ بِحُسْنِ التَّمَاثُلِ فِيهَا
يَأْتِيهِ ، وَاسْتَعْمَالَ الْعَقْلِ فِي سَتَرٍ مَا يَجِبُ إِخْفَاؤُهُ مِنْ حَاجَاتِهِ ، وَضَبْطُهُ لِلسَّرِّ ،
وَقُوَّةُ كِتْمَانِهِ ، حَتَّى يَصِيرَ السَّرُّ كَالْمَيْتِ الَّذِي لَا أَثَرَ لَهُ . وَيُشِيرُ بِذَلِكَ كَأَنَّهُ إِلَى
دَوَامِ وَقَائِهِ ، وَاتِّصَالِ عَهْدِهِ ، وَكَثْمِ مَا يَجْرِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحْبُوبِهِ . وَاتَّقَصَّبَ
« كِتْمَانًا » لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، كَأَنَّهُ قَالَ :
كَاتِمًا لَهُ .

٣- وَحَاجَةٌ دُونَ أُخْرَى قَدْ سَنَحْتُ لَهَا جَعَلْتُهَا لِأَنِّي أَخْفَيْتُ عَنْوَانًا^(١)

٤- إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ وَلَا أَمَانَةَ بَيْنَ النَّاسِ عُرْيَانًا^(٢)

يريد : رُبَّ حَاجَةٍ عَرَضَتْ لَهَا وَأَظْهَرْتُهَا وَفِي النَّفْسِ خِلَافُهَا ، لِأَنِّي جَعَلْتُ
الْمُظْهَرَ فِي التَّوَضُّعِ بِهِ إِلَى الْمَضْمَرِ كَعُنْوَانِ الْكِتَابِ الَّذِي يَظْهَرُ وَمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ
الْكِتَابُ مُسْتَوْرٍ . يَصِفُ نَفْسَهُ بِالذَّكَاءِ وَجُودَةِ الْفِطْنَةِ ، وَحُسْنِ التَّائِي ،
وَالِاهْتِدَاءِ فِيمَا يَرُومُهُ لِلْحِيلِ الْإِطِيفَةِ . وَكُلُّ ذَلِكَ لِثَلَاثِ يَقِفٍ مُوقِفًا يُوَجِّهُ إِلَيْهِ
الظُّنُونُ السَّيِّئَةُ ، وَيَجْلِبُ عَلَيْهِ الْقَالَةُ الْمُنْكَرَةُ .

وَالْعُنْوَانُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِعْوَالًا مِنْ عَنِ الشَّيْءِ ، إِذَا اعْتَرَضَ ، وَيَجُوزُ
أَنْ يَكُونَ فُعْلَانًا مِنْ عَنَاءِ كَذَا ، وَفِيهِ لَفَاتٌ وَكَلَامٌ طَوِيلٌ أَتَيْتُ عَلَيْهِ فِي
(شَرْحِ الْفَصِيحِ) .

(١) التبريزي : « قَدْ سَنَحْتُ بِهَا » .

(٢) التبريزي : « وَسَطَ الْقَوْمِ عُرْيَانًا » .

وقوله « إِنَّ كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ » ، يريدُ : مَنْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْحَيَاءِ ،
وَأَطْرَحَ حِشْمَةَ النَّاسِ ، وَعَرَّضَ الْأَمَانَةَ لِلضِّيَاعِ ، وَالْمُرُوءَةَ لِلزَّوَالِ ، فَحُكْمُهُ
حُكْمُ مَنْ أَظْهَرَ عَوْرَتَهُ ، وَهَتَكَ لَعَابِيهِ سِتْرَهُ ، وَرَضِيَ بِمَا نِيلَ مِنْهُ ، وَتُخِيفَ
مَنْ عَرَّضَهُ وَدِينَهُ .

٥٥٨

وقال آخر^(١) :

١ - أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قُدْرَةٌ عَلَى وَلَكِنْ مِلْهُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا
٢ - وَمَا هَجَرَتْكَ النَّفْسُ أَنْكَ عِنْدَهَا قَلِيلٌ وَلَكِنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِيبُهَا
انْتَصَبَ « إِجْلَالًا » لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، جَعَلَهُ عِلَّةً فِي تَهْنِئَتِهِ لَهَا . وَيَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، فَيَقُولُ : أَحْتَشِمُكَ بِظَهْرِ الْعَيْبِ ، وَأَخَافُكَ لَيْسَ لَاقْتِدَارِ
سُلْطَانِي مِنْكَ عَلَى ، وَامْتِلَاكِ لَضَرِّي وَنَفْعِي فِي يَدَيْكَ ، وَلَكِنْ رَفْعًا مِنْكَ ،
وَلِكِبَارًا لِقَدْرِكَ ، وَلِأَنَّ الْعَيْنَ تَمْتَلِي * مَعْنَى تَحْبُّهُ اسْتِكْبَارًا وَاسْتِعْظَامًا ، لِأَنَّهُ يَحْمَدُهَا
وَالضَّمِيرُ مِنْ « حَبِيبُهَا » لِلْعَيْنِ ، وَإِنْ جَعَلْتَهَا لِلرَّأَةِ ، أَيْ مَا تَحْبُّهُ وَتَرْضَاهُ يَمْلَأُ
الْعَيْنَ ، جَازٍ . وَالْمِلْهُ : الْقَدْرُ الَّذِي يَمْتَلِي * مِنْهُ الشَّيْءُ ؛ وَالْمَلْلُ : بَفَتْحِ الْمِيمِ :
مَصْدَرٌ مَلَأْتُ .

وقوله « وَمَا هَجَرَتْكَ النَّفْسُ » يريدُ أَنْ الْإِخْلَالَ بِالزِّيَارَةِ ، وَالتَّأَخُّرَ عَنْ
إِقَامَةِ الْعَادَةِ ، لَيْسَ لُزْهُدٍ وَلَا لاسْتِقْلَالَ لِلْحَالِ ، وَإِزْرَاءٌ بِالْحَقِّ ، وَلَكِنْ قَلَّ حَظِّي
مِنْكَ ، وَدَامَ إِعْرَاضُكَ عَنِّي ، فَرُمْتُ رِضَاكَ فِي الْبُعْدِ عَنْكَ ، وَتَرَكَ التَّنَاقُلَ عَلَيْكَ .
وقوله « مِلْهُ عَيْنٍ » جَازٍ الْإِبْتِدَاءَ بِهِ وَإِنْ كَانَ نَكِيرَةً لِحَصُولِ الْفَائِدَةِ
فِي تَعْلِيقِ الْخَبَرِ .

(١) هُوَ نَصِيبٌ ، كَمَا فِي سَمَطِ اللَّاتِي ٤٠١ .

٥٥٩

وقال ابن الدمينية^(١) :

١ — أَلَا لَا أَرَى وَادِي الْمِيَاهِ يُثِيبُ وَلَا النَّفْسَ عَنْ وَادِي الْمِيَاهِ تَطِيبُ^(٢)
 ٢ — أَحِبُّ هُبُوطَ الْوَادِيَيْنِ وَإِنِّي لَمُسْتَهَرٌّ بِالْوَادِيَيْنِ غَرِيبُ
 قوله « يُثِيبُ » أى يَجْمَلُ لى ثوباً ، وَيَقْسِمُ لى لتوفرى عليه رِداءً ونفعاً .
 ويجوز أن يكون من قولهم : بَثَرُهَا ثَائِبٌ ، إذا كان مأوئها ينقطع أحياناً ثم يعود ؛
 فيكون أُنَابَ بمعنى صار لها ثائبٌ ، كأن الوادى كان اتَّفَقَ فيه مواصلةً بينه وبين
 محبوبه ثم انقطع ، فكان لا يَثُوبُ خَيْرُهُ . وهذا الذى قلناه فى أُنَابَ ذَكَرَهُ
 أبو زيد . ويجوز أن يكون ذِكْرُ الْوَادِي كَالْكِنَايَةِ عنها ، فيقول : لست تَسْلُو
 نَفْسِي عن وادى المياه وما يَتَّصِلُ به وعن أَحَبَّتِي فيهما ، وأراه لا يُوجِبُ لى مثلَ
 ما أوجبهُ ، ولا يَرْضُخُ لى جَزَاءً على ما اتَّحَمَلَهُ ، وأنا أَحِبُّ النُّزُولَ بِالْوَادِيَيْنِ ،
 والانتعاشَ بزيارتهم ، لكننى مُسْتَهَرٌّ بهما ، غريبٌ لا ناصِرَ لى فيهما ، فأحتاجُ
 أن أحاذِرَ الرُّقْبَاءَ خَوْفاً على نفسى ، وتغادياً ممَّا يلحقُ صاحِبِي من المكروه
 والإغباتِ بسببى .

٣ — أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ وَارِداً وَلَا صَادِراً إِلَّا عَلَى رَقِيبُ
 ٤ — وَلَا زائراً فَرِداً وَلَا فى جماعَةٍ من الناسِ إِلَّا قَبْلَ أَنْتَ مُرِيبُ
 هذا شَرَحٌ للاشتهار الذى أَجْمَلَهُ ، والاغتراب الذى أَشْتَكى منه . وقوله
 « أَحَقًّا » فى موضع الظَّرْفِ ، كَأَنَّهُ قال : أفى حَقٍّ . « وَأَنْ لَسْتُ » أنْ مَخَفَّةٌ
 من الثَّقِيلَةِ ، وموضعه بما بعده موضعُ الابتداء ، وأحَقًّا فى موضع الخبر . وقوله

(١) عبد الله بن الدمينية ، سبقت ترجمته فى الحماسة ٤٥٦ ص ١٢٢٣ .

(٢) ديوان ابن الدمينية ٧ — ١٤ .

« فَرَدَا » انتَصَبَ على الحال ، والعامل ما دلَّ عليه « ولا زائراً » من الفعل ، فيقول : أفي حَقِّ يا عبادَ الله أنِّي لا أَرِدُ الوادِيَيْنِ ، يعني وادِي المِيَاهِ ، وما ذَكَرَهُ فيما بعد من ذكر الكَثِيبِ الفَرْدِ ، ولا أَصْدُرُ عَنْهُمَا إلا وعلى رَقِيبٍ مُحَافِظٌ يَبْعُدُ لِحِظَاتِي وَأَنْفَاسِي ، وَيَقَامِلُ قُصُودِي وَإِرَادَاتِي ، ولا أَزُورُهَا مُنْفَرِداً ولا في صَحَابَةٍ إلا وَسُلِّطْتُ على الثَّهَمِ ، وَنُسِبْتُ فيما أُنْعَاطَاهُ إِلَى الرَّيِّبِ ، حَتَّى ضَاقَ على الجَمَالِ ، وَأَظْلَمَ لِي الْمَسْرَحُ وَالْمَطَافُ .

وقوله « إلا قيل » في موضع الحال ، أي لا أَزُورُهَا إلا مَقُولاً فيه ذلك . وموضع « أنت مريب » الجملة رفع على أنه قام مقام فاعل قيل .

٥ — وهل رِيبَةٌ في أن تَحَنَّنَ نَجِيبَةٌ إِلَى إِنْفِهَا أَوْ أن يَحْنَنَّ نَجِيبٌ
٦ — وَإِنَّ الكَثِيبَ الفَرْدَ مِنْ جَانِبِ الحِمَى إِلَى وَإِنْ لَمْ آتِهِ الحَبِيبُ

قوله « هل رِيبَةٌ » لفظه استفهام ومعناه النفي ، فيقول : لا رِيبَةَ في حَنِينِ أَحَدِ الْمُتَأَلِّفِينَ الكَرِيمِي العَهْدِ إِلَى الآخِرِ ، ولا اسْتِنْكَارَ فيما تَنْطَوِي عَلَيْهِ النَفْسُ مِنَ الهَوَى وَالوُدِّ ، ولا مُحَاسِبَةَ فيما يوجب المُتَحَابَّانِ وَيُؤَثِّرَانِهِ مِنَ المُصَافَاةِ عَلَى البَعْدِ ، وَإِنَّ مَوْضِعَ الحَبِيبِ مِنْ جَانِبِ الحِمَى قَلْبِي مُوَكَّلٌ بِهِ وَإِنْ لَمْ أَزُرْهُ ، إِذْ كَانَ مُجَانِبَتِي إِيَّاهُ ، وَتَأَخَّرَى عَنْهُ ، لِإِبْقَائِي عَلَى الحَالِ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَحْتَشِمُهُ ، وَلِإِثَارِي صِيَانَتَهُ مِنْ تَحَدُّثِ الوُشَاةِ فِيهِ لِأَغْيَرِهِ .

٧ — لَكَ اللهُ إِنِّي وَاصِلٌ مَا وَصَلْتَنِي وَمُتْنٍ بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَمُثِيبٌ^(١)

٨ — فَلَا تَتْرُكِي نَفْسِي شَعاعاً فَإِنَّهَا مِنْ الوجدِ قد كَادَتْ عَلَيْكَ تَذَوُّبٌ

٩ — وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِيكَ حَتَّى كَأَنَّمَا عَلَى بَظْهِرِ الغَيْبِ مِنْكَ رَقِيبٌ

(١) بين هذا البيت وتاليه عند التبريزي :

وَأَخِذْ مَا أُعْطِيتِ عَفْواً وَإِنِّي لَأَزُورُ عَمَّا تَسْكُرِهِنَّ هَيُوبٌ

قوله « لك الله » يجوز أن يكون دعاء لها ، والمعنى : إحسان الله لك ، وحفظه مشتمل عليك . ويجوز أن يكون قسما ، كما يقال أعطيك الله ، وجوابه إني واصل .
وكانه أقسم لها أو دعا لها بأنه يبقَى على المهد لها مدة دوام مواصلتها وبقائها على المصافاة والإيثار له ، وأنه يوجب من إعظامها والثناء عليها ، ومكافأتها بالحسنى فيما تُسدَى إليه وتُولى ما ينتفى عنه سمة التقصير والإقصار . وَوَجِبَ الدُّعَاءُ لها استعطافها وترقيق قلبها ، ويكون كالتشبيب من السائل .

وقوله « فلا تتركى نفسى شعاعا » فالشعاع : المنتشر ، وكذلك الشَّعْ .
والفعل منه شَعَّ . ويقال : تطايرَ القومُ شعاعاً ، أى متفرقين . فيقول : احفظلى نفسى عن الانتشار والزوال ، فإنها شارفت الذوب والسيلانَ وجداً بك ، وشافهت التلَفَ والبوار شوقاً إليك . ثم قال : وإني مستحي منك على البعد ، إعظاماً لك ، وتهيباً منك ، حتى كأن لك رقيباً معى فى كلِّ حال ، فأتعفف عن المنكرات ، وأنزّه عن ذمم المقالات ، فكونى لى على ما توجبه صورتى ، وتقضيه قصتى . ومثل هذا قول الآخر^(١) :

وإني لأستحي فطيمة طاوياً خميصاً وأستحي فطيمة طاعماً
وإني لأستحيك والخرقُ بيننا مخافة أن تلقى أخاً لى لأئماً^(٢)

٥٦٠

وقال آخر :

- ١- تحمّل أصحابى ولم يجدوا وجدى وللناس أشجانٌ ولّى شجنٌ وحدى
- ٢- أحبكم ما دمتُ حياً فإن أمتُ فوا كيدا من يحبكم بفدى

(١) هو المرقش الأصغر . الفضليات ٢٤٦ طبعة المعارف الثانية .

(٢) فى الفضليات : « صارما » .

الشَّجَن : الحاجة ، والجميع الأشجان والشجون . قال :

* وَالنَّفْسُ شَقَى شَجُونُهَا ^(١) *

وموضع « وَحْدَى » نصبٌ على المصدر ، وهو موضوعٌ موضع الإيحاد ^(٢) .
يقول : ارتحلَ أصحابي ولم يفلهم من الوجد ما نالني ، وفي نفوس الناس حاجاتٌ ،
وقد أوحَدْتُ نفسي بحاجةٍ إيحاداً . ثم أقبلَ على الحبوب مفسراً لشَجَنِهِ الذي
تقرَّد به ، فقال : أحْبَبَكُمْ مَدَّةَ حَيَاتِي ، وإذا مِتُّ فوا كبدًا ممن يلي حَبَّكُمْ
بعدي . وهذا تحسرٌ في إثر ما يفوته من الهوى إذا فارق الدنيا . ويُرْوَى :
« مَنْ ذَا يَحْبُبُكُمْ بَعْدِي » .

وقد عيب الشاعر بهذا فقيل : لم يَرْضَ بَأَن جَعَلَ لها مُحِبًّا حتى صار
يتحزَّن له . وقال بعضُ أصحاب المعاني : في هذا ظلمٌ للشاعر ، وذلك أَنَّ غرضه
في التماسه مُحِبًّا لها إشادةٌ ذكرها ، وإعلاء قدرها ، وتشهيرها عند الناس حتى
يصيرَ لها الجاهُ عند السلاطين . قال : وكثيرٌ من نساء العرب طَلَبْنَ التشبيب
من الشعراء مع العِفَّة ، كعَزَّة ، وليسلى ، ومَيْيَّة ، وخلفاء بنى أُمَيَّة وأقرانها من
الأمراء معهنَّ محاورات .

ويُرْوَى عن بعض السَّلف الصالحين ^(٣) أَنَّهُ حَبِجٌ ، فلما قَضَى نُسْكَهُ قال
لصاحبِهِ له : هَلَمْ نَتَمَّ حَبِجْنَا ؟ أَلَمْ تَسْمَعْ قول ذِي الرُّمَّة :

تَمَامُ الْحَبِجِّ أَنْ تَقِفَ الْمَطَايَا عَلَى خَرْقَاءٍ وَاضِعَةً اللَّثَامِ

(١) وكذا استشهد بهذه القطعة ابن فارس في المقاييس (شجن) . والبيت بتمامه كما
في اللسان :

ذَكَرْتُكَ حَيْثُ اسْتَأْمَنَ الْوَحْشُ وَالتَّقَتِ رَفَاقَ بِهِ وَالنَّفْسُ شَقَى شَجُونَهَا
(٢) انظر الكلام على « وحده » و « وحدي » بتفصيل في شرح الأشموني وحاشية
الصبان (باب الحال) .

(٣) هو الضبي ، أو محمد بن الحجاج الأسدي ، أو الحجاج الأسدي . الأغاني (١٦) :
١١٩ ، ١٢٠ / ٢٠ : ١٤٠ - ١٤١ .

والطريقة في نُصْرَتِهِ وتحسينِ قولِهِ ما قدَّمْتُهُ .

وأشنع من هذا قول الآخر^(١) :

أَهْمُ بِدَعْدٍ مَا حَيَّيْتُ فَإِنْ أُمْتُ أَوْ كَلَّ بِدَعْدٍ مَنْ يَهْمُ بِهَا بَعْدِي
وقد قيل في هذا أيضاً : إنه لو قال :

* فلا صَلَحْتُ دَعْدٌ لَنَرَى خَلَّةَ بَعْدِي *

لكان صواباً ، سالماً مما يهجنه .

٥٦١

أَبُو حِيَّةَ النُّمَيْرِيُّ^(٢) :

١ - رَمَتْهُ أُنَاةٌ مِنْ رَبِيعَةِ عَامِرٍ رَقُودُ الضُّحَى فِي مَأْتَمٍ أَيْ مَأْتَمٍ^(٣)

٢ - فَجَاءَ كَخُوطِ الْبَانِ لِمُقْتَابِعٍ وَلَكِنْ بِسَيِّمِ ذِي وَقَارٍ وَمِيسَمٍ
أُنَاةٌ أَصْلُهُ وَنَاةٌ ، لِأَنَّهُ مِنَ الْوَنَى : الْفُتُورِ وَالْكُسَلِ .

والواو المفتوحة لم تُبَدَّلْ مِنْهَا الْهَمْزَةُ إِلَّا فِي أَحْرَفٍ قَلِيلَةٍ ، وَهِيَ « أُنَاةٌ » فِي صِفَةِ الْمَرْأَةِ الْمُتَّقِلَةِ الْفَاعِلَةِ . وَ« أَحَدٌ » صِفَةٌ وَاسِمًا لِلْعَدَدِ ، وَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ قَوْلِهِمْ^(٤) : « أَيُّ مَالٍ أَدْبَيْتَ زَكَاتُهُ فَقَدْ ذَهَبَتْ أَبْلَتُهُ » ، يُرَادُ وَبَالُهُ . وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : الْأَبْلَةُ فِي الطَّعَامِ أَصْلُهُ الْوَبْلَةُ . وَيُقَالُ « أَجِئْتُ أَجُومًا » فِي وَجِئْتُ . فَهَذِهِ الْأَحْرَفُ جَاءَتْ عَلَى مَا تَرَى .

(١) هو الفر بن تولب ، كما في الأغاني (١٩ : ١٥٩ ، ١٦٠) ، قال أبو الفرج :
« والناس يروون هذا البيت لنصيب ، وهو خطأ » . انظر أيضاً الأغاني (١١ : ١٨) .

(٢) سبقت ترجمته في الجُمُاسِيَةِ ٤١٦ ص ١٣١٤ .

(٣) التبريزي : « نَوُومُ الضُّحَى » .

(٤) هو حديث يحيى بن يعمر ، كما في اللسان (أبل) .

وقوله « رُقود الضحى » وصفها بالترفة ، وأنها مكفّية الخدمة ، فهي تنام القيلولة . وهذا كما قال امرؤ القيس :

* نَوُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْطِقْ عَنْ تَفَضُّلٍ ^(١) *

والماتم : الذساء يجتمعن في الخير والشر . يقول : نظرت إلى هذا الرجل امرأة طلعت عليه في جملة نساء ، مترفة منعمة سمينة ، تنام عن شؤونها أوقات الضحى ، لأن لها من يكفيها كل ما تهتم له ففقدته ، ثم اقتبس كيف نصبت الحيلة له ، ومن أين وقع فيها حتى اصطادته ، فقال : جاء الرجل وكأنه غصن بان لحسن شطاطه وطراءة شبابه ، لا منهفات في مشيه وتصرفه ، ولا خفيف طائش في وروده وصدره ، ولكن بعلامة ذى سكون ، وميسم ذى صلاح وهذو . والتتابع بوصف به الحيران والسكران إذا رمى بنفسه . وتتابع البعير في مشيته ، إذا حرك ألواحته حتى كأنه يتفكك . والماتم أصله من الأتم ، وهو أن تلتقى الخرزتان فتصيرا واحدة . وموضع « كخوط » نصب على الحال من جاء . والخوط : الغصن الناعم لينة . وقوله « لا متتابع » ارتفع لأنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : لا هو متتابع . وقوله « ولكن » استدراك بعد نفي ، أى جاء غير متتابع ولكن بهذه السبيل .

٣ - قُتِلْنَ لَهَا سِرًّا فَذَيْفَاكِ لَا يَرُخْ صَحِيحًا وَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَالْمَعَى
٤ - فَأَلَقْتَ فِنَاءَ عَادُوهُ الشَّمْسُ وَأَتَقْتَ بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَفِّ وَمِعْصَمِ
٥ - وَقَالَتْ فَلَمَّا أَفْرَغَتْ فِي فُؤَادِهِ وَعَيْنِيهِ مِنْهَا السَّحَرُ قُلْنَ لَهُ قُمْ
قوله « سِرًّا » يجوز أن يكون مصدرًا في موضع الأمر ، كأنه قال ساربه مسارة ، فوضع السر موضع المسارة ، ويكون على هذا قوله « لا يرخ » جواب

الأمر الذي دلَّ عليه سِرًّا . ويجوز أن يكون سرًّا مصدرًا في موضع الحال ،
 ويكون لا يَرُحَ مجزومًا بلا النّهي . وجعل النّهي في اللفظ للرجل والمرأة هي
 المنهيّة ، كما يقال : لا أَرَيْنَكَ هنا . والمعنى : لا تكن هناك فأراك ، والمراد :
 لا تدعيه يروح صحيحًا . يقول : قالت النساء المحتفّة بالأناة المذكورة لها : أشيرى
 إليه في السّرِّ إشارة تفتّنه ، واعرضي عليه من محاسنك ما يُحبّل قلبه بعد تعرّضه
 لنا في سَمِّه ووقاره حتّى لا يروح عنّا صحيحًا ، وإن لم تُبالِغِي في استغوائه وقتله
 عن رشاده ، وإهلاكه ، فكوني منه على أوفى محلٍّ . فاثمّرتَ لهنَّ وألقتَ قِناعًا
 وراءه الشّمس ، أى وجهه إشراقه كإشراق الشمس ، فعرضت وجهها ثم سترته
 فأبدت كفّها وممصّها — وهو موضع السوار من يدها — أيضًا ، وتكلّمتُ
 بكلامٍ كالمنكورة من نفسها ما اتفق عليها ، والمستحيّة المتذمّة من حالها ، فلمّا علِمَ
 النّساء أنّها أفرغت في فؤاده بالكلام ، وفي عينيه بالكفّ والوجه السّحر أى
 صبّت — قلن للشّابّ المتعرّض : قمّ عنّا فابك لِمَا نابك^(١) وأنّ لا تعلم .
 والسّحر : إخراج الشّئ في أحسن معارضه حتّى يَفِنَ ، لذلك قيل للرائق
 المُعجِب : هو السّحر الحلال . يقال : سَحَرْتُ الفِضّة ، إذا طليتها بالذهب .

إن قيل : أين مفعولُ قالت ؟ قلت : إنّهُ هنا في معنى تكلّمتُ ، فاستغنى
 عن المفعول . ومثله قولُ عمر بن أبي ربيعة :

* لِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا^(٢) *

أى لم تكلّم .

(١) في النسختين : « فإنك لما بك » . التبريزي : « وروى : قلن له انم ، على القلب »

أى اخزن وتوجد من العشق .

(٢) مجزؤه : * فتبلغ عذرا والمقالة تعذر * .

٦ - فَوَدَّ بِجَدْعِ الْأَنْفِ لِوَأَنَّ صَحْبَهُ تَنَادَوْا وَقَالُوا فِي الْمُنَاحِ لَهُ نَمَ يَقول : انصرفَ عنهم وهو يتمنى أن جدع أنفه في وقت ما هم بالخروج إليهم ، ويمنعه أصحابه من التعرضَ لهم ، وقالوا له : نَمَ في المناح ولا تبرح ، ويجوز أن يكون معناه : ودَّ أن يتركه صحبه ويقولوا له : نَمَ في المناح ولا تتبِعْنَا ، وَأَنَّ أَنْفَهُ قُطِعَ . والباء من قوله « بجَدْع » هو الذي يُفيد معنى العوض . تقول : هذا بذاك ، أى عوضٌ من ذلك .

وقوله « تنادوا » يجوز أن يكون معناه تجمعوا ، من الندى وهو المجلس ؛ ويجوز أن يكون من النداء ، أى تداعوا وقالوا له ذلك .

٥٦٢

وقال آخر^(١) :

١ - نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرَطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ
٢ - فَعَيْنَايَ طَوْرًا تَغْرَقَانِ مِنَ الْبُكَاءِ فَأَغْشَى وَحِينًا تَحْصِرَانِ فَأَبْصُرُ
يقول : وقتُ بدارِ الأُحِبَّةِ فتوهمتُ آياتِها ، ثم عرفتُها فتمثل لي من كان بها ، وتطَرَّى ما كان دارِ بيني وبينها ، فاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَايَ مِنَ الدَّمْعِ تَحْصِرًا وتوجعًا ، وبقيتُ إذا نظرتُ إِلَى الدَّارِ كَأَنِّي أَنْظُرُ مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ فَلَا أَتَبَيَّنُ الْآثَارَ ، وإذا انهملتُما فيما عُدْتُ فِي صِحَّةِ الإدْرَاكِ بهما إِلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ . وقد مرَّ القول في حقيقة النَّظَرِ .

فأما « تحصران » فيجوز أن يكون من قولهم : حَصَرَ الْبَحْرُ ، إِذَا نَصَبَ

(١) ابن جنى في التقييد : « وهو أبو حية » . وهذه النسبة أيضا في اللآلئ ٢٦٥ وأما في الموضع (٢ : ١٠٣) . ونسبت في زهر الآداب (٤ : ٨٢) إلى المجنون . ولبيت الأول قصة في الأغاني (٢١ : ١٠٣) ،

الماء عن ساحله ؛ ويجوز أن يكون من حَسَرْتُ القِنَاع ، ويكون على هذا
مفعوله محذوفاً . والأوّل أحسن . ومن الثاني قولهم : امرأةٌ حسنةٌ المَحَامِير ، كما
يقال حسنة المَعَارِي . وتلخيص البيت الأوّل : كأني من فَرَطِ الصَّبَابَةِ أنظرُ إلى
الدَّارِ من وراء زُجاجة . والطَّوَرُ : الثَّيَّارَةُ . ويقال : الناسُ أطوارٌ ، أي على
أحوالٍ شتى .

٥٦٣

وقال آخر^(١) :

١- فَمَا شَدْنَا خَرْقَاءَ وَاهِيَةِ الْكُلَى سَقَىٰ بِهِمَا سَاقِي فَلَمْ يَتَبَلَّلَا^(٢)

٢- بِأَضْمِغٍ مِنْ عَيْنَيْكَ لِلدَّمْعِ كُلَّمَا تَوَهَّمْتَ رَبْعًا أَوْ تَذَكَّرْتَ مَنْزِلًا

الخرقاء : التي لا رِفْقَ لها في الأعمال ولا بَصِيرَةَ . والشَّنَّةُ ، أراد بها هنا
الدَّلْوَ اِخْلَقَ ، وهي السَّقَاءُ البالي في الأصل . ويقال : لِقَطَرَانِ الماءِ مِنَ الشَّنَّةِ
شيئًا بعد شيء : الشَّيْنُ ، ثم يُسْتَعْمَلُ في الدَّمْعِ . قال :

* يَا مَنْ لِدَمْعٍ دَائِمٍ الشَّيْنُ^(٣) *

ولم يَرْضَ بَأَنَ جَعَلَ الدَّلْوُ خَلْقًا حَتَّى جَعَلَهَا لَامْرَأَةٍ لَا تُحْسِنُ عَمَلًا مِنْ
خَرْزٍ وَغَيْرِهِ ، فَكَانَتْ تُصْلِحُهَا ، ثُمَّ جَعَلَ سَقَى الْإِبِلَ بِهَا قَبْلَ تَهْلُلِهَا وَانْسِدَادِ
خَرْزِهَا وَتُقَبَّهَا . فيقول : مَا دَلَّوَانِ هَذِهِ صَفَتُهُمَا بِأَشَدِّ إِضَاعَةِ الْمَاءِ مِنْ عَيْنَيْكَ
لِلدَّمْعِ كُلَّمَا تَوَهَّمْتَ دَارَ الْحَبِيبِ وَهِيَ مَاهُولَةٌ ، أَوْ تَذَكَّرْتَ مَنْزِلًا مِنْ مَنَازِلِ
سَفَرِهَا وَهِيَ مُنْتَجِعَةٌ .

(١) هو غيلان ذو الرمة كما في أمالي القالي (١ : ٢٠٨) وزهر الآداب (٤ : ٨٢) واللسان (١٩ : ١١٦) وملحقات ديوان ذي الرمة ٦٧١ . وانظر مجالس نعلب ٤١٣ .

(٢) التبريزي : « وما شدنا خرقاء واهيتا الكلى » . وروى : « ولما تبللا » .

(٣) أنشده في المقائيس (٣ : ١٧٦) واللسان (شئ) .

وقوله « بأَضِيعَ مِنْ عَيْنَيْكَ » كان الواجب أن يقول : بأشدَّ إضاعةً للدمع ، فجاء به على حذف الزوائد ، أو على طريقة سيويه في جواز بناء التعجب مما كان على أفعل مما زاد على الثلاثي خاصة .

٥٦٤

وقال أبو الشيص^(١) :

- ١- وَقَفَ الْهُوَى بِي حَيْثُ أَنْتِ فِلَيْسَ لِي مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ
 - ٢- أَجِدُ لِلْمَلَامَةِ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً حُبًّا لَذِكْرِكَ فَلَيْلُمْنِي الْيَوْمُ
- يقول : حبسني الهوى في الموضع الذي تستقرين فيه ، فالزمته ولا أفارقه ، فأنا معك مقيمة وظاعنة ، لا أعديل عنك ولا أميل إلى سواك ، ومن لامي فيك أستلذذ لومه محبةً لذكرك ، ووجدًا باسمك ، فليستمر اللامون في أقوالهم ، ولتدم عظائمهم على وإنكارهم ، فإنهم لا يجدون مني أتباعًا ولا رجوعًا ، ولا ملالًا في ولا قصورًا . وقوله « حُبًّا لَذِكْرِكَ » انتصب لأنه مفعول له ، وبيان لعله لذته ، بما يجلب على غيره ضجرًا ، وهو اللوم .
- ومثل هذا قول الآخر^(٢) :

* وَأَسْأَلُ عَنْهَا الرَّكْبَ عَهْدُهُمْ عَهْدِي^(٣) *

يريد ، أنه يستلذذ ذكرها .

وقوله « حيث أنت » خبر المبتدأ وهو أنت محذوف ، كأنه قال : حيث

(١) اسمه محمد بن عبدالله بن رزين . وأصل معنى الشيص : الردى من التمر . وهو ابن عم دعبل الشاعر ، كان في زمن الرشيد معاصراً لأبي نواس ، وعمى في آخر عمره . وله مرثى في عينيه قبل ذهابهما وبعده . توفي سنة ١٩٦ . الأغاني (١٥ : ١٠٤ - ١٠٨) ونكت المصيان ٢٥٧ - ٢٥٨ والشعراء ٨٢٠ - ٨٢٥ ومعاهد التنصيص (٢ : ١٤٢) .

(٢) هو ابن هرم السكلابي ، كما سيأتي في المقطوعة ٥٨٨ .

(٣) صدره : * وأستغبر الأخبار من نحو أرضها * (٦)

أنت واقفة ، لأن « حيث » في الأمكنة بمنزلة حين في الأزمنة ، في حاجته إلى جلتين ، والمتأخر والمتقدم بمنزلة التأخر والتقدم ، فهما مصدران .

٣ - أشبهت أعدائي فصرت أحيهم إذ صار حظي منك حظي منهم^(١)

٤ - وأهنتني فأهنت نفسي صاغرا ما من يهون عليك بمن أكرم^(٢)

يقول : واقفت في مواصلي أعدائي أخذا فيما أكرهه وأنسخطه ، وذهابا عما أحبه وأرضاه ، ولأن حظي منك فيما أرومهُ مماثل حظي من أعدائي فيما أسومهم فأشرب قلبي حُبهم ، وانصب إلى جانبهم الميل معهم لمسايتك لهم ، ومماثلة فعالك لفعالهم ، وأذلتني فأذلت نفسي على صغري مني ، اقتداء بك ، ومجانبة للخلاف عليك ، ولأنني لا أرى كرامة من ترين هوانه ، ولا إرضاء من ترين إسخطه . وانتصب « صاغرا » على الحال من أهنت . وقوله « بمن أكرم » العائد إلى الموصول محذوف ، كأنه قال : بمن أكرمهم . وقوله « حظي منهم » يريد به التشبيه ، كأنه قال : كحظي منهم ، ومنك في موضع الحال ، وكذلك منهم .

٥٦٥

وقال آخر :

١ - ولا غرو إلا ما يُخبرُ سالم بأن بني أستاذها نذروا دمي^(٣)

٢ - وما لي من ذنب إليهم علمته سوى أتى قد قلت يا سرحة أسلي

٣ - نعم فأسلي ثم أسلي ثم أسلي ثلاث تحيات وإن لم تسكلي

(١) ل والتبريزي : « إذ كان حظي » .

(٢) في الأصل : « ما من يهون عليك » ، صوابه من ل والتبريزي . و « ما » في قوله

« ما من » هي النافية .

(٣) هذا ما في ل والتبريزي . وفي الأصل : « لا غرو » بالحرم .

معنى « لا غَرَوْ » لا عَجَب ، وخبر لا محذوف ، كأنه قال : لا غَرَوْ في الدنيا ، أو موجود . وموضع « ما يُخَبِّر » رفع على أنه بدل من موضع لا غَرَوْ . وإنما قال « بنى أَسَاطِهَا » لأنه يريد أنهم مَخْرُؤُونَ لا مولودون . فيقول متهافناً^(١) : لا عَجَب إِلَّا ما يُخَبِّرُ به سالمٌ ، بأنَّ سَقَاطَهَا والذين لا عُقُولَ لهم فيها ، قالوا : اللَّهُ عَلَيْنَا سَفَكُ دَمِهِ . ثم قال : هذا اعتقادهم وأقوالهم ، ولا جناية لي عليهم ، ولا ذَنْبٌ مِنِّي أَهْدَى إِلَيْهِ فِيهِمْ سِوَى قَوْلِي : يَا مَرْحَةُ أَدَامَ اللَّهُ لَكَ السَّلامَةُ — وكان جَعَلَ « سرحة » ، [وهي شجرة^(٢)] ، كناية عن امرأة فيهم — نعم قد قلتُ وأقولُه مكرراً : أسلمى أسلمى . يُغَايِظُهُمْ وَيُنَاكِدُهُمْ بهذا المقال . وقوله « سوى أننى » موضعه من الإعراب استثناء خارج . و « ياسرحة » إذا ضُمَّتْهُ فَالضَّمَّةُ الْأَصْلُ في استعمال المفادى المفرد المعرفة ، وإذا فُتِحَتْهُ فَلَا عِتْيَادَها الترخيم في مفاداة ما في آخره هاء التأنيث ، أتموه ونووا الترخيم فجعلوا حركته حركة المُرَخِّم منه ، وهي الفتححة .

وقوله « نعم » وإن كان في الأصل حرفاً يُوجِبُ به وَيُجَابُ في الاستنهام الحض فقد يُتَوَصَّلُ به إلى بَسْطِ الكلام وَصِلَتِهِ . وقوله « ثلاث تحيات » انتصب على المصدر من فعلٍ دلَّ عليه قوله أسلمى ، كأنه قال : أحيى ثلاث تحياتٍ ، وإن لم ترْجِعِ الجوابَ إلى . والسَّرْحُ من العِضَاءِ ، ويكون دَوَّخُهُ مَحْلَالاً يَحُلُّ النَّاسَ تَحْتَهَا فِي الصَّيْفِ . وقال الفراء : كلُّ شجرةٍ لا شوكَ فيها فهي مَرْحَةٌ ، ذهبَ إلى السَّرْحِ ، وهو السَّهْلُ .

وقال ابن هرمة وكنى بها عن امرأة :

سَقَى السَّرْحَةَ الْمَحْلَالَ دُونَ سُوَيْفَةٍ نَجَى الثُّرَيَّا مَرْتَعَاتُهَا هَطُولُهَا

(١) التهاف : التضاحك ، والضحك بالمخزية . وفي الأصل : « متهافنا » تحريف .

(٢) الكلمة من ل .

وقد تسمى المرأة «سَرْحَة» .

٥٦٦

وقال خليل مولى العباس بن محمد^(١) :

- ١ - أَمَا وَالرَّاقِصَاتُ بَذَاتِ عِرْقِي وَمَنْ صَلَّى بِنَعْمَانِ الْأَرَاكِ
 - ٢ - لَقَدْ أَضْمَرْتُ حُبَّكَ فِي فُؤَادِي وَمَا أَضْمَرْتُ حُبًّا مِنْ سِوَاكَ
 - ٣ - أَرَيْتِ الْأَمْرِيكَ بِضُرْمِ حَبْلِي مُرِيهِمْ فِي أَحْبَبْتِهِمْ بِذَاكَ^(٢)
 - ٤ - فَإِنْ هُمْ طَاوَعُوكَ فَطَاوَعِيهِمْ وَإِنْ عَاوُوكَ فَاعْصِي مَنْ عَصَاكَ
- أقسم بالحبيج وبرواحلهم التي ترقص بهم في السير متوجهين بوادي عرفة وذات عرق إلى بيت الله عز وجل . وأضاف نعمان إلى الأراك لكثيرتها بها . وجواب اليمين قوله « لقد أضمرت حبك » . والمعنى أنه أقسم أن ودّه لها مكتوم انطوى عليه قلبه ، وخالص فيها قد أكنّه ضميره لا يشاركها فيه عدل ، ولا يجاذبها بسببه قسيم ، وإنما يتحمّد عليها يحفظ السرار ، وتخلص العقيدة ، وشغل القلب والعقل بعمارة الهوى لها . ثم أقبل عليها فقال مخاطبها : أعلمت الذين يشيرون عليك بقطيعتي والتسكّر لي ، وجدّ الأسباب والمواثيق بيني وبينك ؟ كرّى عليهم مستدرجة لهم ، وعاجمة تنصّحهم ، وأمرهم في أحبّتهم بمثل ما أسروك في ، فإن وجدّتهم سامعين لك ، وصائرين إلى القبول منك ، فخذى أنت أيضاً مأخذهم ، والتزى طاعتهم . وإن وجدّتهم متأبّين عليك مخالفين لك ، فأعصى من عصاك ، ودعى الاستنامة إلى رأى من لا يرى لك

(١) التبريزي : « مولى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس » .

(٢) ل والتبريزي : « أعلمت الأمريك » .

مثل ما يراه لنفسه . وكان الواجب في قضية سياق الكلام أن يقول : وإن عاصوك فعاصيهم ؛ فعُدل عن الإتيان بالضمير إلى ذكر الظاهر ، ليبين فيه ما يُشنع به عليهم ، وليُظهر السبب الموجب للإغراء بهم ، والانصراف عن رأيهم . ولو قال : فاعصيهم لم يبين ذلك فيه .

وقوله « أَرَيْتِ » أصله أَرَأَيْتِ ، حذف الهمزة منه حذفاً كما حُذف في يَرَى ، وتَرَى ، ونَرَى .

٥٦٧

وقال أبو القمقام الأسدي :

- ١- إقرأ عَلَى الوَشَلِ السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ كُلُّ الْمَشَارِبِ مُذْ هُجِرَتْ ذَمِيمٌ^(١)
 - ٢- سَقِيًا لِظِلِّكَ بِالْعَشِيِّ وَبِالضُّحَى وَلِبَرْدِ مَائِكَ وَالْمِيَاهُ حَمِيمٌ
 - ٣- لَوْ كُنْتُ أُمْلِكُ مَنَعَ مَائِكَ لَمْ يَذُقْ مَا فِي قِلَاتِكَ مَا حَيَّيْتُ لَيْسِمُ
- الْوَشَلُ هَاهُنَا : ماء معروف في أرضٍ محبوبٍ به . وقال الثَّريدِي : الوَشَلُ : موضعٌ معروف بعينه . والْوَشَلُ : الماء القليلُ يترققُ على وجه الأرض . وقال صاحبُ العين : الوَشَلُ مُحَرَّكٌ : الماء القليلُ يَحْلُبُ من صَخْرَةٍ أو جَبَلٍ ، يقطرُ منه قليلاً قليلاً . والواشل : القاطر ، يقال : جَبَلٌ واشِلٌ : يقطرُ منه الماء . والشاعر أهدى إليه التحية ، وراسلَهُ أنَ الْمَشَارِبِ كُلَّهَا مَذْمُومَةٌ عنده منذُ تَحَوَّلَ عنه وَتَرَكَ وَرُودَهُ . ثم دَعَا لِظِلِّهِ بالسُّقْيَا فقال : سَقِيًا لِظِلِّكَ بِالْعَشِيِّ وَبِالضُّحَى . والظِّلُّ يكون للشجرة وغيرِها بالغداة ، والنِّعْمُ بِالْعَشِيِّ ، فكان في الواجب أن

(١) ياقوت : « الجوهري : وشل اسم جبل عظيم بناحية تهامة » . وأنشد ياقوت بين

« هذا البيت وتاليه :

جبل يزيد على الجبال إذا بدا بين الربائع والجُحوم مقيم
تسرى الصبا فتبيت في أكنافه ويبست فيه من الجنوب نسيم

يقول : سَمِيًّا لِظَلِّكَ بِالْغَدَاهِ ، وَلَقَيْتُكَ بِالْعَشِيِّ . أَلَا تَرَى قَوْلَ الْآخِرِ ^(١) :
فَلَا الظِّلَّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى نَسْتِطِيعُهُ وَلَا النَّيَّ مِنْ بَرْدِ الْعَشِيِّ نَذُوقُ ^(٢)
إِلَّا أَنَّهُ سَمِيَ النَّيَّ ظِلًّا لَتَشَابُهُمَا فِي مَنْظَرِ الْعَيْنِ وَالْغَنَاءِ ^(٣) . فَلَمَّا تَسَاوَيَا
وَأَجْرَى عَلَيْهِمَا مَعًا لَفْظَةَ الظِّلِّ ، وَكَانَ الْوَاوُ يُفِيدُ الْجَمْعَ مِنْ دُونَ التَّرْتِيبِ — لَمْ
يُبَالِ أَنْ يَقُولَ بِالْعَشِيِّ وَبِالضُّحَى ، فَيَقْدِّمَ بِالْعَشِيِّ ، وَإِنْ كَانَ الظِّلُّ أَلْيَقَ بِأَنْ
يَلِيقَ بِالضُّحَى لَوْ جُرِّدَ . وَلَمْ يُشَبِّهْ هَذَا قَوْلَ الْقَائِلِ : فَلَانَ أَشْعَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ،
لَتَرَكِهِ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ طَلَبَ الْمِطَابَقَةِ وَالْمُوَافَقَةِ . أَلَا تَرَى
أَنَّ الْوَجْهَ فِي هَذَا أَنْ يَقَالَ : فَلَانَ أَشْعَرُ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ لِيَصَحَّ لَفْظُ الْأَوَّلِ ،
وَيُضَافُ أَشْعَرُ إِلَى مَا هُوَ بَعْضُهُ ثُمَّ يَجِيءُ الثَّانِي ؛ وَأَنَّ قَوْلَكَ : سَمِيًّا لِظَلِّكَ وَقَدْ
نَوَيْتَ إِجْرَاءَ الظِّلِّ لِلْفِيءِ أَيْضًا صَارَ حَكْمُهُ حَكْمَ اللَّفْظَةِ الْمَوْضُوعَةِ لِشَيْئَيْنِ . فَإِذَا
كَانَ كَذَلِكَ فَأَيُّهُمَا أَوْلَايَتُهُ مِنَ الْعَشِيِّ وَالضُّحَى فَقَدْ وَقَعَ إِلَى جَنْبِ
مَا يَطَابِقُهُ وَيُوَافِقُهُ .

فَإِنْ قِيلَ : لَوْ سَلِمَ لَكَ مَا تَقُولُهُ وَتَدَّعِيهِ مِنَ الْاسْتِعَارَةِ لَمَا سَلِمَ الْكَلَامُ لِلْمِتَنَازَعِ
مِنْ أَنَّهُ جَاءَ عَلَى غَيْرِ حَدِّهَ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الظِّلَّ يَكُونُ فِي الضُّحَى حَقِيقَةً وَفِي الْعَشِيِّ
مَجَازًا ، وَإِجْرَاءُ الْكَلَامِ عَلَى حَدِّهِ أَنْ يُقَدِّمَ مَا يَكُونُ حَقِيقَةً عَلَى الْمَجَازِ . قُلْتَ :
إِنَّ الظِّلَّ فِيمَا حَكَاهُ الْخَلِيلُ ضِدُّ الضُّحَى ، وَيُقَالُ : أَفَاءَ الظِّلُّ وَتَفَيًّا . وَفِي الْقُرْآنِ :
﴿ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ^(٤) ﴾ ، فَهُوَ ظِلٌّ قَبْلَ التَّفَيُّوِّ وَبَعْدَهُ ،

(١) هُوَ حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ . دِيَوَانُهُ ٤٠ .

(٢) يَرُوى : « تَسْتِطِيعُهُ » وَ « تَذُوقُ » بِالتَّاءِ فِيهِمَا ، عَلَى التَّجْرِيدِ . وَقَبْلَهُ :

حَمِي ظِلُّهَا شَكْسُ الْخَلِيقَةِ خَائِفٌ عَلَيْهَا مُعْرَامُ الطَّائِفِينَ شَفُوقٌ

(٣) الْأَصْلُ : « الْغَنَاءُ » ، صَوَابُهُ فِي ل . وَالْغَنَاءُ ، بِالْفَتْحِ : الْفَائِدَةُ وَالنَّفْعُ وَالْكَفَايَةُ .

(٤) قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَيَعْقُوبُ وَابْنُ زَيْدٍ : « تَفَيًّا ظِلَالُهُ » ، وَبَاقِي الْفَرَاةِ : « تَفَيًّا » ،

بِالتَّكْذِيرِ ، لِأَنَّهُ تَأْنِيهِ مَجَازِي . لِتَحَافُفِ فَضْلِهِ الْبَشَرِ ٢٧٨ فِي سُورَةِ النُّحْلِ .

وإنما نسخه للشمس هو الذي صار به فيئاً ، وإذا كان كذلك لم يكن من باب ما يكون حقيقة في شيء ، ومجازاً في آخر ، وهذا بين .

وقوله « والمياه حميم » فالواو فيه للابتداء ، وهو واو الحال .

وقوله « لو كنت أملك منع ما نك » جواب « لو » هو قوله « لم يذق » . وهذا الكلام فيه إظهار الضفانة بالماء المذكور ، واستمراره في الحسد إلى كل حد معلوم بسببه ، حتى كان يزعمه يمنع عنه اللئام مدة حياته ، ويعنى به أربابه فيما أظنه ، لأنهم أعداؤه . والقيلات : جمع القلت ، وهي حفرة في الجبل يستنقع فيها ماء المطر .

٥٦٨

وقال ابن الدمينية^(١)

وقد كتب بها إلى أمانة^(٢) :

١- وأنت التي كلفتني دلج السرى وجون القطا بالجهتين جُوم

٢- وأنت التي قطعت قلبي حزازة وقررت قرح القلب وهو كليم^(٣)

٣- وأنت التي أحفظت قومي فكلهم بعيد الرضا داني الصدود كظيم^(٤)

قوله « دلج السرى » ، فالسرى : سير الليل ، والدلج : السير في بعض الليل .

ويقال : سار دلجة ، أى ساعة من أول الليل ، فلذلك أضاف الدلج إلى

السرى ، فجرى مجرى إضافة البعض إلى الكل . والشاعر يعدد عليها ما ناله

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٤٥٦ ص ١٢٢٣ . والشعر في ديوانه ٣٦ - ٣٧

والحيوان (٣ : ٥٥) والأغاني (١٥ : ١٤٨) ومعاهد التنصيص (١ ، ٥٨) .

(٢) هذه العبارة لم يذكرها التبريزي .

(٣) يروي : « وقرحت » . و « فهو كليم » .

(٤) الحيوان : « أسخطت قومي » .

حالاً بعد حالٍ من ضروب المشقات والمآلِف فيها ، فيقول : تَحَمَّلْتُ فَيْكَ كُلَّ عَظِيمَةٍ وَبَلِيَّةٍ ، فَأَنْتِ الَّتِي كَلَّفَتْنِي الشَّرَّ وَالسَّيْرَ ، وَرَكُوبَ الْخَطَرِ بِاللَّيْلِ وَالطُّيُورِ سَاكِنَةً فِي عِشَشَتِهَا^(١) لَمْ تَبْرَحِ ، وَأَنْتِ الَّتِي قَطَعْتَ جِوَانِحِي ، وَصَدَّعْتَ جِوَانِبَ كِبْدِي حَزَازَةً بِدَوَامِ تَمَنُّعِكَ وَتَشَدُّدِكَ ، وَاتَّصَلَ جَفَانُكَ وَاطَّرَاحَكَ — وَالْحَزَازَةُ : وَجَعٌ فِي الْقَلْبِ — فَنَكَاتِ الْكَلَمِ مِنْ قَلْبِي قَبْلَ انْدِمَالِهِ ، وَقَشَرْتَ جُلْبَتَهُ عِنْدَ صَلَاحِهِ وَالتَّامَةِ ، فَأَرَاهُ أَبَدًا دَامِيَ الظَّاهِرِ فَاسِدَ الْبَاطِنِ ؛ وَأَنْتِ الَّتِي أَغْضَبْتَ عَلَيَّ مَعْشَرِي ، وَأَفْسَدْتَ عَلَيَّ رَهْطِي وَأَعِزَّتِي ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِذَا خَبِرَ وَاسْتُكْشِفَ بَعِيدُ الرِّضَا عَنِّي ، قَرِيبُ الْهَجْرَانِ لِي ، مِمْتَلِئُ الصَّدْرِ مِنْ بُغْضِي ، يَكْظِمُ غَيْظَهُ تَجْمُلًا ، وَيُسِرُّ نُكْرَهُ تَصَبُّرًا .

وقوله « جُونُ الْقَطَا » ، جَمْعُ جُونِيَّةٍ . قَالَ :

* جُونِيَّةٌ كَخَصَاةِ الْقَسَمِ *

وهذا كما يقال عَرَبِيٌّ وَعَرَبٌ ، وهذا الجمع كالجمع الذي ليس بينه وبين واحدته في اللَّفْظِ إِلَّا طَرَحُ الْهَاءِ ، نَحْوُ تَمْرَةٍ وَتَمَرٍ وَمَا أَشْبَهَهُ . وَجُثُومٌ : جَمْعُ جَانِمٍ وَجَنَمِ الطَّائِرِ ، إِذَا أَلْصَقَ صَدْرَهُ بِالْأَرْضِ ؛ وَيَسْتَعْمَلُ فِي السَّبْعِ وَغَيْرِهِ ، وَمِنْهُ الْجُنَّانُ لِجَسَمِ الْإِنْسَانِ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْجُنَّانُ الشَّخْصُ ، وَالْجُنَّانُ الْجِسْمُ . وَالْجَلْهَةُ : مَا اسْتَقْبَلَكَ مِنَ الْوَادِي . وَمَعْنَى قَرَقَتٍ : قَشَرَتْ وَلَمْ يَكُنْ بَرَأً . وَيُقَالُ : كَظَمَ غَيْظَهُ ، إِذَا جَرَّعَهُ . وَكَظَمَ الْبَعِيرُ جِرَّتَهُ ، إِذَا ابْتَلَعَهَا . وَالْكَظَمُ^(٢) : مَخْرَجُ النَّفْسِ . وَيُقَالُ لِلْمَحْزُونِ : أَنَّهُ لَمْ كْظُومٌ وَكَظِيمٌ .

(١) جمع عَش ، ومثله عَشُوشٌ وَأَعْشَاشٌ . وَفِي الْأَصْلِ : « عَشَشَهَا » .

(٢) بِالْتَّحْرِيكِ ، وَجَمْعُهُ أَكْظَامٌ ، وَمِنْهُ حَدِيثُ النَّخَعِيِّ : « لَهُ التَّوْبَةُ مَا لَمْ يَأْخُذْ بِكَظَمِهِ »

أَيُّ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ ، وَاقْتِطَاعِ نَفْسِهِ .

٥٦٩

فأجابته أمانة^(١) :

- ١ — وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يُلومُ
 ٢ — وأبرزتني للناسِ ثم تركتني لهم غرضاً أُرجمي وأنت سليمٌ
 ٣ — فلو أن قولاً يكلمُ الحِشمَ قد بداً بحِشمي من قول الوشاة كلُّومُ
- أخذت تقابله بمثل الذي ابتدأها ، وتعددت من جنائاته عليها كفاء ما عدده وعصّب به رأسها ، فقالت : إن ما ارتكبته مني أشنع ، وما حلتني وقتاً بعد وقت أفظع ، لأنك الذي نكثت عهدى ، ونقضت مواعيدى ، وأشمت بي كل ناصح فيك ، وصدقت مقال كل لائم بسبيك ، فظنوني بك مكذبة ، وظنّون النصّاح واللّوأم مصدّقة ؛ ثم جعلتني مضغّة في أفواه الناس ، وأكلة لجامعهم ، يتعلّلون بحديثي ، ويتبّلغون عند أعدائي بقصتي ، فقد صيرت كالغرض المنسوب لكل قِدح مَبْرِي ، والعلم المقصود لكل مَشَاء بنميم ، يُفَرِّى بي من كان لي سلفاً ، ويرق لي من آل لي حرباً ، وأنت سليم من السكاره ، بعيد عن المتاعب ، تعرّك بحفبك ما يمسي ، وتنتقي بقلّة الاكتراث ما ينضجني ؛ لأن نار الوشاية اعتمادها بالإحراق في النساء أبلغ منه في الرجال ، وعار الشّناعة ألصقُ بحوائهنّ منه بحوائب أمثالك ، فلو أن كلاماً كَلَمَ جسماً لبدت بحسبي ندوب ومفادٍ وجروح بأنياب المغتابين ، ونبال الرّماة المراصدين .
- وقد عدل في هذه الأبيات وفيما تقدّمها في صِلات الذي والتي عن الإخبار

(١) التبرزي : « على وزنها ورويحها » . وفي الأغاني « أمية » ، وأنها التي قالت هنا الشعر في بادئ الأمر ثم أجابها هو بالقطوعة السابقة ، ثم تزوجها بعد ذلك وقتل وهي عنده .
 والشعر في المراجع المتقدمة والبيان (٣ : ٣٧٠) .

إلى الخطاب . وقد مضى القول في جوازه مشروحاً^(١) ، ويَبَيَّنَّا كيف ساغ تَعَرَّى
الصَّلَّة من الضمير العائد إلى الموصول .

٥٧٠

وقال المعلوط الأسدي^(٢) :

- ١ — إِنَّ الظَّعَّانَ يَوْمَ حَزَمِ سُوَيْفَةٍ أَبْكَينَ عِنْدَ فِرَاقِهِنَّ عُيُونًا^(٣)
 - ٢ — غَيَّضَنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهُوَى وَلَقِينَا^(٤)
 - ٣ — بَلْ لَوْ يُسَاعِدُنَا الْغَيُورُ بِدَارِهِ يَوْمًا لَقَدْ مَاتَ الْهُوَى وَحَيِينَا^(٥)
- الظَّعِينَةُ : المرأة ، لأنها تظعن إذا ظعن زوجها ، أى تشخص . وقيل :
الظعينة : الجمل الذى تركبه ، سميت به كما قيل للمزادة راوية . والحزم : ما غلظ
من الأرض . وإنما وصف حالهنَّ عند التوديع ووقت الفراق ، فيقول : إنهنَّ
بكين وأبكين ، ويجهدين منهن كففن الدموع ، وخففن ما علا من النسيج ،
ثم قلن متحسرات : أى شئ لقيت أنت وقاسيت من أحداث الهوى وأسبابه ،
وقاسينا نحن ، ولو ساعدنا الغيور ودانانا بداره يوماً لقضينا من أوطارنا ما تحيا به
نفوسنا وقلوبنا ، ويموت له كلفنا وهوانا .

(١) انظر ما مضى في ص ١١٥ ، ٢٩٧ ، ٤٠٧ ، ٦١١ ، ٦٤٢ .

(٢) التبريزي : « المعلوط بن بدل السعدي » ، وهو الصواب . والمعلوط بن بدل القريبي
ثم السعدي شاعر إسلامي ، كما في اللآلي^{٤٣٤} . ويروى أبو الفرج في الأغاني (١٥ : ٦٥)
وابن قتيبة في الشعراء ١٢ أن جريراً سطفاً على بيتي المعلوط وأدخلهما في شعره . وروى الأول :
إن الذى غدوا بلبك غادروا وشلا بينك ما يزال معينا

(٣) التبريزي : « يوم جو سويقة » .

(٤) في الأغاني عن عبد المطلب بن عبدالعزيز قال : أنشدت أبا السائب قول جرير هذا ،
فقال : يا ابن أخى ، أتدرى ما التغييض ؟ قلت : لا . قال : هكذا . وأشار بإصبعه إلى جفنه
كأنه يأخذ الدمع ثم ينضجه .

(٥) التبريزي : « بل لو يساعفنا » .

وَذِكْرُ مَوْتِ الْهَوَى كَمَا قَالَ الْآخِر :

فَلَمَّا أَلْتَقَى الْحَيَّانِ أَلْقَيْتَ الْعَصَا وَمَاتَ الْهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ
وقوله « غَيَّضَنَ » أى قَلَّان . ويقال : هذا من ذاك غَيَّضَ من فَيَّضَ ،
أى قَلِيلٌ من كَثِيرٍ . والمعنى مَسَحْنَهُ بِأَصَابِعِهِنَّ تَسْتُرًا .
وأخذ ذو الرُّمَّة هذا فقال :

وَلَمَّا تَلَاقَيْنَا جَرَّتْ مِنْ عُيُونِنَا دُمُوعٌ وَزَعْنَا غَزَبَهَا بِالْأَصَابِعِ
وَلَمَّا سَقَطًا^(١) مِنْ حَدِيثٍ كَأَنَّهُ جَنَى النَّحْلِ مَمْزُوجًا بِمَاءِ الْوَقَائِعِ
ومعنى « يَسَاعِفُنَا الْغَيُورُ بِدَارِهِ » يَقَارِبُنَا بِمَحَلِّهِ . وَالْإِسْعَافُ : قِضَاءُ الْحَاجَةِ
وِإِدْنَاؤُهَا . وَلَكِ أَنْ تَجْعَلَ « مَاذَا » بِمَنْزِلَةِ اسْمٍ وَاحِدٍ ، فَيَنْتَصِبُ بِلَقِيَّتِ : وَلَكِ
أَنْ تَجْعَلَ ذَا بِمَعْنَى الَّذِي ، وَيَكُونُ ضَمِيرُهُ الْعَائِدُ مِنَ الصَّلَةِ مَحْذُوفًا ، كَأَنَّهُ قَالَ :
لَقِيَّتَهُ وَلَقِينَاهُ .

٥٧١

وقال جميل^(٢) :

١- وَمَاذَا عَسَى الْوَاشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا سِوَى أَنْ يَقُولُوا إِنَّنِي لَكَ وَامِقٌ^(٣)
٢- نَعَمْ صَدَقَ الْوَاشُونَ أَنْتِ كَرِيمَةٌ عَلَيْنَا وَإِنْ لَمْ تَصْفُ مِنْكَ الْخَلَائِقُ^(٤)
ماذا فى موضع المبتدأ ، كأنه قال : أى حديث عسى الواشون يتحدثونه
سوى قولهم : إنا لى لك محب . فهو كقولك : أى ضرب عسى زيد أن يضربه ،

(١) فى الأصل : « وَبَتْنَا سَقَاطًا » ، صوابه فى ل .

(٢) سبقت ترجمته فى الخامسة ١٠١ ص ٣١٤ .

(٣) التبريزى : « عاشق » .

(٤) التبريزى : « أَنْتِ حَبِيبَةٌ إِلَى » .

وسبيله سبيل المصدر والمضاف إلى المصدر إذا ابتدئ بهما . ولا يجوز أن ينتصب
 يتحدّثوا ، لأنه في صلة أن ، فلا يعمل فيما قبل الموصوف . ولا يجوز أن يكون
 ذا منه بمنزلة الذي ، لأنّ عسى لا يصلح كونه غير واجب أن يقع صلة له ،
 وكذلك أخوات عسى . ألا ترى أن الاستفهام والنفي وأخواتهما لا يقعن
 صلات ، إذ كانت الصّلات إنما تكون من الجمل الخبرية الواجبة . والمعنى أنهم
 لا يقدرّون في وشايتهم على أكثر من قطع القول بأنني لك محبّ وعاشق .
 ثم أوجب بنعم فقال : قد صدّقوا فيما ادّعوا ولفّقوا ، أنت تَكْرُمِين علينا وإن
 لم يَعدْ علينا منك خير ، ولا صادفنا من إحسانك صفاء ولين . كأنه يُبرئ
 صاحبها ، ويرى أن ميله وهواه لا يشينها مع سلامة طريقتها ، واستحكام عفافها .

٥٧٢

وقال آخر^(١) :

- ١ - وإذا عتبت على بيت كائن بالليل محتلس الرقاد سليم
 - ٢ - ولقد أردت الصبر عنك فعاقني علق بقلبي من هوائك قديم
 - ٣ - يبتقى على حدّ الزمان وربيه وعلى جفائك إنه لكريم
- يقول : اليسير من إنكارك ولو لم يك يعظم عندي ويضعب على ، حتى
 أبقي له ليلتي ساهراً مؤرقاً ، وسادماً قلقاً ، كأنني لديغ حية ، أو مُسلم إعارض
 علة . ولقد رمت التسلّي عنك ، والتصبر منك ، فدفعني عن المراد ما علق بقلبي
 من هوائك قديماً وملاك قيادي لك ، حتى لا أجذ دونك منصرفاً وبحيداً . ثم
 وصّف العلق اللازم له ، والحبّ الغالب عليه فقال : إنه يبقى على تغير الزمان ،

(١) التبريزي : « قال أبو رياش : هي لابن الدمينه » .

وتلوّن الحدّثان ، فلا يَعرِضُ له فتورٌ ولا نكوص ؛ وعلى ما يتجدّد عليه في كل حالٍ من جفاء فيكٍ شديد ، وإعراضٍ أليم ، فلا يُبدّله قصورٌ ولا نُبوؤ ؛ إنّ هذا العلّق لكريم المَحْتَد ، مُحْكَم العَقْد ، ثابت الأساس والبناء ، مقدّم الذِّكر في صُحف الوداد والصفاء .

وهذا الكلام ، أعنى قوله « إنه لكريم » يسمّى الالتفات .

٥٧٣

وقال آخر ^(١) :

١ - أَلَيْمٌ عَلَى دِمْنٍ تَقَادَمَ عَهْدُهَا بِالْجِزْعِ وَاسْتَلَبَ الزَّمَانُ جَمَالَهَا

٢ - رَسَمٌ لِقَاتِلَةِ الْفَرَانِقِ مَا بِهِ إِلَّا الْوُحُوشُ خَلَّتْ لَهُ وَخَلَا لَهَا

٣ - ظَلَّتْ تُسَائِلُ بِالْمَتَمِّ أَهْلَهُ وَهِيَ الَّتِي فَعَلَتْ بِهِ أَفْعَالَهَا

الإلمام : الزّيارة الخفيفة . يُخاطَب صاحبًا له ويسأله مساعِدَتَه في زيارة دار أحبّته ، فقال : زرْ آثار دارٍ متقدمة العهد بسُكَّانِها ، مسلوقة الجَمال لتأثير نوائب الزّمان فيها ، بالجزع - وهو منعطف الوادي . وروى بعضهم : « جَلَّالَهَا » ، ويُكره هذا لما حكاه الأصمعي من أنه لا يقال أَجَلَّالٌ إلا في الله تعالى ، ولأنه وإن جاء في غيره عزّ وجلّ فهو قليلٌ في العرف والاستعمال .

وقوله « رَسَمٌ لِقَاتِلَةِ الْفَرَانِقِ » ابتداء كلام ، أى هو رَسْمُ دارٍ لاسمارة كانت تَصِيدُ الْفَرَانِقِ وَتَقْتَتِلُهُمْ بِالْحُبِّ . والفُرَانِق : الشابُّ الناعم الحُسن ، بضم

(١) التبريزي : « قال أبو رياش : هو عمرو بن الأيهم ، وقيل الأصم » . وعمرو بن الأيهم بن أفلت التغلبي شاعر نصراني إسلامي ، ويقال إن اسمه « عمير » . وقيل للأخطل وهو يموت : على من تخلف قومك ؟ قال علي العميرين . يريد القطامي عمير بن شبيب ، وعمير بن الأيهم . اللالي ١٨٤ .

الفين ، وجمعه الفرائق يفتحها . ومثلها الفرائع والفرايع^(١) ، والجوالق والجوالق . وقد استبدلت بأهلها وخوشاً فهي خالية لها ، وهي راتعة فيها ، لا تعدل عنها . وقوله « ظلت تُسائل » أى تبقى نهارها تسأل عشيرة العاشق عنه وعن استهتاره وعلته ، وهي أعرف الناس بأخباره ، إذ كانت المتولية لفتنته وخباله . والتميم : المعبّد^(٢) ؛ يقال : تيمم الحب ، أى عبده واستعبده . وقوله « خلت له » فى موضع الصفة للرسم .

٥٧٤

وقال آخر :

- ١- وما برح الواشون حتى أرتموا بنا وحتى قلوب عن قلوب صواذف
٢- وحتى رأينا أحسن الوصل بيننا مساكته لا يقرف الشر قارف
قد تقدم القول فى « ما برح » وأنه فى معنى ما زال . فيقول : لم ينفك الشماة عن الوشاية والتقاط الأحاديث للنميمة ، واستدراج المختلطين بنا ، واستشفاف المتبغين بأخبارنا وأخبار غيرنا ، حتى فرقوا بيننا ، فأقبلوا يرئى بعضها^(٣) بعضاً بمصائر أمورنا ، وحتى صدفت القلوب ، فمال كل من عشنا إلى الاستبدال بموضعه ، والانتقال عن جوار صاحبه ، وإلى أن رأينا أحسن المواصل بيننا ملازمة السكوت ، وأطراح الإيحاء والرؤموز ، توقياً من فرقة تتوجه ، وتفاذياً من تهمة تتسلط . هذا إذا رويت « لا يقرف » بضم الفاء . ويروى « لا يقرف » بكسر الفاء ، ويكون فى موضع الجزم جواباً للأمر الذى يدل عليه قوله مساكته ، لأنه فى هذا الوجه مصدر فى معنى الأمر . والجملة فى موضع

(١) الفرائع : بضم العين الأولى : السيد ، والجمع فرائع ، بالفنح .

(٢) ل : « المتعبد » .

(٣) هذا ما فى ل : وفى الأصل : « بعضنا » تحريف .

النَّصْبُ عَلَى أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا ثَانِيًا لِقَوْلِهِ رَأَيْنَا . وَالْمَسَاكَةُ لَا تَكُونُ مُوَاصَلَةً تُجْعَلُ بَدَلًا مِنْهَا . وَيَكُونُ هَذَا مِثْلَ قَوْلِ الْآخِرِ ^(١) :

* تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ ^(٢) *

وَيَكُونُ الْمَعْنَى : رَأَيْنَا أَحْسَنَ الْمَوَاصِلَةِ بَيْنَنَا وَتَوَاصِينَا بِأَنْ سَاكِتُوا الْأَحْبَةَ وَمَنْ يَخْتَلِفُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، لَا يَقْرِفُ الشَّرَّ قَارْفُهُ . وَفِي الْوَجْهِ الْأَوَّلِ يَكُونُ مَسَاكَةُ مَفْعُولًا ثَانِيًا . وَالْمَعْنَى سُكُوتًا مِنَ الْجَانِبَيْنِ ، أَيْ كِفَافًا لَا يَقُولُ مِنْهُ قَرَفٌ وَلَا تَهْمَةٌ ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ « لَا يَقْرِفُ الشَّرَّ » تَفْسِيرًا لِلْمَسَاكَةِ ، وَبَيَانًا لِاخْتِيَارِهِمْ لَهَا . وَيُرْوَى « صَوَارِفٌ » بِالرَاءِ ، وَالْمَعْنَى قُلُوبٌ تَصْرِفُ الْوَدَّ بِمَا تَأْتِيهِ وَتَسْتَعْمَلُهُ عَنِ الْقُلُوبِ الْآخَرِ .

٥٧٥

وَقَالَ آخِرُ :

- ١- فَإِنْ تَرَجَّعَ الْإِيَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا بِذِي الْأَثَلِ صَيِّفًا مِثْلَ صَيِّفِي وَمَرْبَعِي
 - ٢- أَشَدُّ بِأَعْنَاقِ الْفَوَى بَعْدَ هَذِهِ مَرَاتِرَ إِنْ جَاذَبَتْهَا لَمْ تَقْطَعْ
- « رَجَعَ » هَذَا مُعَدَّى ، لِأَنَّهُ بِمَعْنَى رَدٍّ . يُقَالُ : رَجَعْتُ رَجْعًا فَوَجَّعَ رُجُوعًا . وَ« صَيِّفًا » انْتَصَبَ عَلَى الْمَفْعُولِ مِنْ قَوْلِهِ « تَرَجَّعَ » . وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَقُولَ : صَيِّفًا وَمَرْبَعًا مِثْلِي صَيِّفِي وَمَرْبَعِي ، أَوْ يَقُولَ : بِذِي الْأَثَلِ صَيِّفِي وَمَرْبَعِي ، أَيْ أَيَّامًا كَأَيَّامِهَا ، فَلَمَّا لَمْ يَلْتَبَسِ الْمُرَادُ قَالَ : صَيِّفًا مِثْلَ صَيِّفِي وَمَرْبَعِي .

(١) هُوَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ . الْخَزَانَةُ (٤ : ٥٣) .

(٢) صَدْرُهُ : * وَخَبِلَ قَدْ دَلَفَتْ لَهَا بِخَبِيلٍ *

وقوله « أَشَدُّ بِأَعْنَاقِ النَّوَى » أشد في موضع الجزم ، لأنه جواب الشرط .
ولك أن تضم الدال منه إتباعاً للضممة الضمة ، وأن تكسرهما لالتقاء الساكنين
وأن تفتحها ، لأن الفتحة أخف الحركات . والمعنى إن ردت الأيام الدائرة بيني
وبينها ربيعاً مثل مربعي ، وصيفاً مثل مصيفي معها ، استظهرت على النوى بأن
أوثق أواخيها ، وأمر حبالها التي أربطها بها ، حتى إن جاذبتها فأومتك فلم
تقطع . وهذا مثل . والمراد أنني أحكم أسباب التألف والتجمع بما يؤمن معه
تغلب الآراء بالمزايلة والافتراق .

٥٧٦

وقال كلثوم بن صعب^(١) :

- ١ — دَعَا دَاعِيَا بَيْنَ قَمَنٍ كَانَ بَاكِيًا مَعِيَ مِنْ فِرَاقِ الْحَيِّ فُلِيًّا تَنَى غَدَاً
 - ٢ — فَلَيْتَ غَدَاً يَوْمٌ سِوَاهُ وَمَا بَقِيَ مِنَ الدَّهْرِ لَيْلٌ يَحْبِسُ النَّاسَ سَرْمَدًا^(٢)
 - ٣ — لِقَبْلِكَ غَرَانِيْقُ الشَّبَابِ فَإِنِّي لِمَا خَالَ غَدَاً مِنْ فُرْقَةٍ الْحَيِّ مَوْعِدًا
- كان شعباها متجاورين في النجعة ، فلما تقضى أيامها وهما بالانصراف إلى
الزائف^(٣) وجوانب القرى ، دعا دارعي الفراق في كل شعب منهما ، وبعثوا
على التهيؤ ، لذلك تبي فقال : « دَاعِيَا بَيْنِ » . وقوله « فَمَنْ كَانَ بَاكِيًا »
يريد : فمن آلمه ما أحس به من النوى ، وأزعجه ما عزم عليه من شق عصا

(١) قال المرزباني في معجمه ٣٥١ : « ذكره أبو تمام في حماسه ولم ينسبه » . ثم
أنشد هذه الأبيات بهذه الرواية . وضبط « بقى » بفتح الفاف يشير إلى أنه طائى . ولأبى تمام
ولوع بالاختيار للطائين .

(٢) ضبطت « بقى » في ل بفتح الفاف وكسرهما ، مقرونة بكلمة « معاً » ، إشارة
إلى الروايتين .

(٣) المزائف : البلاد التي بين البر والريف .

الهوى ، وأراد إسعادى على البكاء فليحضرنى غداً ، فإنه اليوم الموعود ،
والمشهد المشهود .

وقوله « فليت غداً يومٌ سواه وما بقى » ، يقول : بودى أن يكون بدل
يومٍ غدٍ يومٌ آخر غيره ، تفادياً مما يجرى ويحدث ، وليت بدل الليلة الحائلة بيننا
وبين غدٍ ما بقى من الدهر كله ، فخبس الناس عن التزائل والافتراق دائماً .
« وما بقى » لغة طيى ، كأنهم فرّوا من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة ،
فانقلبت الياء ألفاً .

وقوله « لتبكِ غرائق الشباب » فالغرائق جمع ، واحدها غرائق . وقال
الخليل : يقال : شبابٌ غرائق . وأنشد :

ألا إن تطلّاب الصبا منك زلةٌ وقد فات ريعان الشباب الغرائق^(١)
وقال أيضاً : الغرنوق : الشاب الأبيض الجميل ، والجمع غرائيق . ومراد
الشاعر : لتبكِ من استصْلِح للصبا من الشبان وأرباب الهوى ، [فإن غداً فيما
أظن أو أتيتن يومٌ مواعدة الحى بالزّيال . وانتصب^(٢) سرمداً على الظرف ،
ويحوز أن يكون صفة لمصدر محذوف ، كأنه قال : حبساً سرمداً .

٥٧٧

وقال زياد بن حمل^(٣) ، وقيل زياد بن منقذ :

١ — لا حبذا أنت يا صنّعاء من بلدي ولا شعوب هوى منى ولا نغم

(١) رواه الأزهري : « ألا إن تطلّابى لملك زلة » . اللسان (غرنق) .

(٢) ل : « لتبكِ كل مستصْلِح للصبا » ، وتبكِ بالناء فيها .

(٣) النكلمة من ل .

(٤) التبريزى . « زياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث » ، وفي اللآلى ٧٠ :
« أحد بنى العدوية ، وهم من بنى تميم » . وقد اضطرب الرواة في نسبة هذه الأبيات وفي نسبة
من تنسب إليه الأبيات أيضاً . انظر حواشى سمط اللآلى والأغانى (٩ : ١٥٤) وزهر
الأدب (٤ : ١٩٥) ومعجم البلدان (أنى ، الأميلج ، صنعاء) .

٢- وَلَنْ أُحِبَّ بِلَادًا قَدْ رَأَيْتُ بِهَا عَنَسًا وَلَا بِلَادًا حَلَّتْ بِهِ قُدُمُ
صَنْعَاءَ : مَدِينَةُ الْيَمَنِ . وَشَعُوبٌ وَنَقَمٌ : مَوْضِعَانِ بِالْيَمَنِ . وَعَنَسٌ وَقُدُمٌ :
حَيَاتَانِ مِنَ الْيَمَنِ . وَقَوْلُهُ « لَا حَبْدًا أَنْتِ » ذَا أُشِيرَ بِهِ إِلَى لَفْظَةِ الشَّيْءِ ، وَالتَّقْدِيرُ :
لَا مَحْبُوبَ فِي الْأَشْيَاءِ أَنْتِ يَا صَنْعَاءُ مِنْ بَيْنِ الْبِلَادِ ، وَكَأَنَّكَ أَنْتِ لَسْتَ بِمَحْبُوبٍ
إِلَى ، فَكَذَلِكَ شَعُوبٌ وَنَقَمٌ لَيْسَا بِهَوَىٍّ مَنَى ، أَيْ لَا أَهْوَاهَا وَلَا أَحْنُ إِلَيْهَا .
وَقَوْلُهُ « وَلَنْ أُحِبَّ بِلَادًا » يَرِيدُ : وَلَنْ أُحِبَّ أَيْضًا مَنَازِلَ هَذَيْنِ الْحَيَاتَيْنِ .
كَأَنَّهُ كَرِهَ الْمَوَاضِعَ بِأَهْلِهَا فَاجْتَوَاهَا وَذَمَّهَا . وَقَوْلُهُ « بِلَادًا قَدْ رَأَيْتُ بِهَا عَنَسًا »
ضَمٌّ إِلَى لَفْظَةِ بِلَادٍ مِنَ الصِّفَةِ مَا يَخْصُصُهَا .

وَقَوْلُهُ « حَبْدًا » حَبٌّ فِعْلٌ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ حَبَبٌ ، وَذَا أُشِيرَ بِهِ إِلَى الشَّيْءِ ،
وَلِذَلِكَ وَقَعَ الْمَذْكُورُ وَالْمُؤَنَّثُ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ فَقُلْتُ : حَبْدًا زَيْدٌ ، وَحَبْدًا هُنْدٌ ؛
لَأَنَّ لَفْظَةَ الشَّيْءِ يَشْمَلُ الْمَذْكُورَ وَالْمُؤَنَّثَ ، وَالْوَاحِدَ وَالْجَمْعَ . فَهُوَ كـ « مَا » ،
وُضِعَ لِلْجِنْسِ .

٣- إِذَا سَقَى اللَّهُ أَرْضًا صَوَّبَ غَادِيَةً فَلَا سَقَاهُنَّ إِلَّا النَّارُ تَضْطَرُّمُ
لَمَّا كَانَ الْقَصْدُ فِي الدُّعَاءِ بِالشَّقِيَا بَقَاءَ الْمَدْعُودِ لَهُ عَلَى نَضَارَتِهِ ، وَالزِّيَادَةِ
فِي طَرَاوَتِهِ ، وَاسْتِمْرَارِ الْأَيَّامِ بِهِ سَالِمًا ، ثُمَّ يُوْثِرُ فِي عُنفَوَانِ حُسْنِهِ ، أَوْ يَغَيِّرُ
رَوْنَقَ مَائِهِ ، جَعَلَ عِنْدَ الدُّعَاءِ عَلَى الْمَذْمُومِ عِنْدَهُ الشَّقِيَا بِالنَّارِ ، لَكُونَ النَّارُ
ضِدًّا لِلْمَاءِ وَمِمَّتًا لَمَّا يُحْيِيهِ . فَيَقُولُ : إِذَا أَطَالَ اللَّهُ تَعَالَى جَدُّهُ تَنْعِيمَ أَرْضٍ بِمَا يُقِيمُ
مِنْ خِصْبِهَا ، وَيُدِيمُ مِنْ رَفَاقَتِهَا وَرَفَاهَتِهَا ، بَقَائًا الْأَمْطَارِ عَلَيْهَا ، وَتَبْكِيْرِ الْعَوَادِي
نَحْوَهَا ، فَلَا سَقَى هَذِهِ الدِّيَارِ إِلَّا نَارًا يَهْيِجُ ضِرَامُهَا ، وَيُوجِّعُ لَهْبُهَا وَسُعَارُهَا ،
لِتُبِيدَ خَيْرَهَا ، وَتُفَيْتَ حُسْنُهَا وَزَهْرَتُهَا . وَقَوْلُهُ « تَضْطَرُّمُ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ لِلنَّارِ .

٤- وَحَبْدًا حِينَ تُمْسِي الرِّيحُ بَارِدَةً وَادِي أُشْمِي وَفَتَيَانُ بِهِ هُضُمُ
٥- الْوَاسِعُونَ إِذَا مَا جَرَّ غَيْرُهُمْ عَلَى الْعَشِيرَةِ وَالْكَافُونَ مَا جَرَمُوا

٦ — وَالْمَطْعُمُونَ إِذَا هَبَّتْ شَامِيَّةٌ وَبَاكَرَ الْحَيَّ مِنْ صُرَادِهَا صِرْمٌ
 قوله « وَحَبَّذَا حِينَ تَمْسِي الرِّيحُ بَارِدَةً » ، جعل ما نفاه من الحب والحد
 عما قدّم ذكره من البلدان ثابتاً لوادى أثى وأهله ، ونبه على أنهم في أوان
 الجذب والقحط يُشِرُّون غيرهم من العشيرة في خيرهم ، وَيَسْتَفِيدُونَ الأموالَ
 التي يُتَنَافَسُ فيها فيما يجلبُ الحد ، ويطيّب النّشر ، إِذَا هَبَّتْ الرِّيحُ بَارِدَةً ،
 واتشعرت البلاد هامة ، حتّى يصيرَ وسعهم مبدولاً لهم يتوسعون فيه إِذَا جَرَّ
 غيرهم الجرائرَ على عشيرته ، وذوى لحمة ، ثمّ من اكتسب جريمة منهم
 تكفلوا باستنقاذها منها ، وأفادوا ظلّ الحماية والصيانة عليه فيها .

وقوله « وَالْمَطْعُمُونَ » حذف مفعوله ، وإنّما يصفهم بأنهم يُقيمون القرى
 للأضياف إِذَا هَبَّتْ الرِّيحُ شِمَالاً ، وغادى الحيّ السحابُ الباردة طوائفَ وفرقا .
 وقوله « هُضُمٌ » ، جمع هَضُوم ، وهو المنفاق في الشتاء . وقوله « هَبَّتْ شَامِيَّةٌ »
 انتصب على الحال . وقوله « الواسعون » مأخوذ من الوسع وهو الطّاقة ، ويقال :
 لَا يَسْعُكَ كَذَا ، أى لست منه فى سعة . والصّرْمُ ، أصله فى أقطاع الإبل ،
 فاستعاره .

٧ — وَشَتْوَةٌ فَلُّوا أُنْيَابَ لَزَبَتِهَا عَنْهُمْ إِذَا كَلَعَتْ أُنْيَابُهَا الْأَزْمُ

٨ — حَتَّى انْجَلَى حَدُّهَا عَنْهُمْ وَجَارُهُمْ بَنَجْوَةٌ مِنْ حِذَارِ الشَّرِّ مُعْتَصِمٌ

فَلُّوا : كسروا . وَاللَزْبَةُ : السّنة المُجْدِبَةُ ، وجعل الأنياب مثلاً لشدائدها .

وَالْكُلُوحُ : بُدُوُ الأسنان عند المُبُوس . وَالْأَزْمُ : جمع أَرْوَمٍ ، وهى العَوَاضُ .

وقوله « وَجَارُهُمْ بَنَجْوَةٌ » أى عِزٌّ وَمَنْعَةٌ . وَالْبَنَجْوَةُ : المرتفعة من الأرض لا يبلُغها

السَّيْلُ ، فضرّبه مثلاً للملاذ الذى أووا إليه فى فئائهم حِذَارًا من الشرِّ ، فيقول :

رُبَّ شَتْوَةٍ دَفَعُوا أَذَاهَا وَمَعَرَّتْهَا عَنِ الْعَشِيرَةِ أَشَدَّ مَا كَانَتْ ، بما قاموا به من

إصلاح أمورهم ، وإزالة ضررها عنهم ، إلى أن انكشفَ حَدُّها عنهم ، وجارهم معْتَصِمٌ فيهم بأحى مكانٍ ، وأمنع عَزٍ ومَلَاذٍ .

٩ — هُمُ الْبُحُورُ عَطَاءٌ حِينَ تَسْأَلُهُمْ وَفِي اللَّقَاءِ إِذَا تَلَقَّى بِهِمْ بِهِمْ

١٠ — وَهُمْ إِذَا الْخَيْلُ حَالُوا فِي كَوَائِبِهَا فَوَارِسُ الْخَيْلِ لَا مِيلٌ وَلَا قَزَمٌ

انتصب « عطاء » على التمييز ، ويجوز أن يكون مفعولاً له . وارتفع

« بِهِمْ » بالابتداء ، وخبره في اللقاء ، ومفعول تَلَقَّى محذوف ، كأنه قال : إذا

تَلَقَّى بِهِمُ الْأَعْدَاءُ . والْبُهِمُ : جمعُ بُهْمَةٍ ، وهو الشَّجَاعُ الذي لا يُدْرَى كيف

يُؤْتَى له ، لاستبهام شأنه وتناهي شجاعته . والمعنى : هم الْبُحُورُ إذا اجْتَدَاهُم

لِلْمُجْتَدِي ، لكثرة عطائهم ، أى لا يَنْفَدُ عَطَاؤُهُمْ على كثرة الاجتداء ، كما

لا يَنْفَدُ ماءُ الْبَحْرِ على كثرة الْوُرَادِ ، وهم بِهِمْ في اللقاء إذا لَقِيتَ بِهِمُ الْأَعْدَاءُ ،

وإذا رَكِبَ الْفُرْسَانُ الْخَيْلَ وَثَبَّتُوا فِي كَوَائِبِهَا — وَالْكَائِبَةُ : قُدَامُ الْمَنْسِجِ مِنْهَا —

فُرسَانِهَا لا لثامٌ ضَعْفُ صَغَارِ الْأَجْسَامِ ، ولا مائلون عن وجوه الْأَعْدَاءِ . وَالْمِيلُ :

جمع أَمِيلٍ ، وهو الذي يُعْرِضُ عن وجه السَّكَّابَةِ عند الطَّعَانِ ، وقيل : هو الذي

لَا يَثْبُتُ على ظهر الدَّابَّةِ . ويقال : حَالٌ فِي ظَهْرِ دَابَّتِهِ ، إذا رَكَبَهَا . وارتفع

مِيلٌ على أن يكون معطوفاً على فوارس الخيل . ويجوز أن يكون خبرَ مبتدأٍ

محذوف ، كأنه قال : لَاهُمْ مِيلٌ وَلَا قَزَمٌ . وقدمض القول في فوارس وشذوذهِ^(١) .

١١ — لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُمْ حَيًّا فَأَخْبَرَهُمْ إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَى هُمُ

١٢ — كَمْ فِيهِمْ مِنْ قَتَى حُلُوِّ شِمَائِلُهُ جَمَّ الرَّمَادِ إِذَا مَا أَخَذَ الْبَرَمُ^(٢)

يقول : لم أَخْلِطْ بعد فراقى لهم حَيًّا مِنَ الْأَحْيَاءِ فَاخْبَرْتُهُمْ إِلَّا وَازْدَادُوا فِي

عَيْنِي وَرَجَحُوا ، إِذَا قَسَمْتُهُمْ بَيْنَ سَوَامٍ فِي قِيَاسِي وَنَظَرِي ، كَالْآلَةِ وَتَنَاهَى رِيَاسَةِ

وتوفراً على من ينتابهم من مُتَحَرِّمٍ بِذِمَّةٍ^(١)، أو مُدِلٍّ بِقَرَابَةٍ. وارتفع «هم» الأخير بيزيد، وقد وضع الضمير المنفصل موضع المتصل لأنه كان الوجه أن يقول: إلا يزيدونهم حباً إلى. وهذا كما يُوضع الظاهر موضع المضمحل والمضمر موضع الظاهر إذا أُمنَ الالتباس. وانصَبَ «فأخبرهم» لأنه جواب النفي بالفاء، والعامل أن مضمرة بين الفاء والفعل.

وقوله «كم فيهم من فتى حلوا شمالك» فكم للتكثير، وموضعه رفع بالابتداء وخبره من فتى. ومعنى «جم الرماذ» أى كثير الأضياف، لأن الرماذ إنما يكثر بحسب انساع ضيافته، وكثرة غاشيته. والبرم: الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر، ومفعول أخذ محذوف، والمراد ما أخذ البرم النار لبخله ولشدّة الزمان ونكدّه. فجعل الفتى حلوا الشمالك، وهى الطبايع؛ لأن الضيافة إنما تكثر وتشرّف بحسن خلق المضيف وخفته فى الخدمة، وملاطفته لضيوفه، وتحفّيه وبرّه بهم.

١٣ - تحب زوجات أقوام حلالة إذا الأنوف امترى مكنونها الشيم
وصف النساء منهم بحسن التوفر على أشباههن، وكال التفقد بما يهدين إليهن إذا قلت الهدايا واشتدّ الزمان، وبلغ البرد حدّاً يستخرج مكنون الأنوف من الرعام^(٢) فيقول: زوجات الأبرام ومن يشبههم من ذوى الحاجة، أو الممتنعين من الميسر، يُحبّبن أزواج هؤلاء الفتيان إذا أحلّ الزمان واشتدّ المحط والجذب، لحسن تعطفهنّ عليهنّ، وصرف العناية وجميل التفقد إليهن. وامترى: استخرج. والشيم: البرد. وأراد بالمكنون المخاط. والحلائل: النساء المتزوجات

(١) فى النسختين: «يخدمه»، وليس بشىء.

(٢) الرعام، بالضم: المخاط. وفى النسختين: «الرجال»، تحريف.

سُمِّنَ بذلك لأنها تُحَالُ أزواجها ، أى تنزل معها ؛ والواحدة حليلة . وفعليلة بمعنى مُفاعلة ، كقعيدة ، وجليسة .

١٤ - تَرَى الْأَرَامِلَ وَالْهَلَكَ تَتَّبِعُهُ يَسْتَنُّ مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَابِلٌ رَذِمٌ

١٥ - كَانَ أَصْحَابُهُ بِالْفَقْرِ يَمْطُرُهُمْ مِنْ مُسْتَحْيِرٍ غَزِيرٍ صَوْبُهُ دِيمٌ

الأرامل : جمع الأرملة والأرمل ، لأنه يقع على الذكر والأنثى ، وهم الذين قد انقطع زادهم وضاعت الأحوال بهم . والهلاك ، هم الفقراء الذين أشرفوا على الهلاك ، وإنما قال « تتبعه » لأنهم كانوا يتفشيئون بظله ، ويعيشون في أفنيته من خيره . وقوله « يَسْتَنُّ مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَابِلٌ » مثل لما كان يَنْصَبُ عَلَيْهِمْ ويمر ويديم ، من إحسانه لهم ، لأن الحيا يُحْيِي الأرض ، كما أن معروف هؤلاء كان يحْيِيهم . والرذم : السائل . ومعنى : يَسْتَنُّ يَنْصَبُ . سَنَنْتُ الْمَاءَ وَأَسَنَنْتُهُ بِمَعْنَى . والوابل : المطر الضخم القطر .

وقوله « كَانَ أَصْحَابُهُ بِالْفَقْرِ يَمْطُرُهُمْ » يريد أنهم في دورهم ومحلهم ذاك فعلهم مع عشيرتهم ، ومع رؤادهم ومؤملهم ، فإذا سافروا ترى الصحابة في المكان الخالي يَمْطُرُهُمْ من نواله ما يجرى تجرى الصَّوْبِ من سحاب متحير ممثلي ماء ، غزير النوء ، دائم السيل . والدَّيَم : جمع ديمة ، وهي المطر يدوم بسكون ، والمُسْتَحْيِرِ والمتحير . بمعنى واحد . وهذا التَّحْيِرُ إنما هو كناية عن الامتلاء . ويقال : استبحار شباؤه .

١٦ - غَمْرُ النَّدى لَا يَبِيتُ الْحَقُّ يَشْمُدُهُ إِلَّا غَدَا وَهُوَ سَامِي الطَّرْفِ يَنْبَسِمُ

١٧ - إِلَى الْمَكَارِمِ يَنْبِيهَا وَيَعْمُرُهَا حَتَّى يَنَالَ أُمُورًا دُونَهَا قُحْمٌ

الغمر : الواسع العطاء . ومعنى يَشْمُدُهُ يكثر عليه حتى يُفْنِي ما عنده . والماء المممود : الزدحم عليه حتى يَنْزُرَ نَزْفًا . وقوله « وَهُوَ سَامِي الطَّرْفِ » ،

أى لا يَكسبه امتدادُ العطاء منه ، ودوامُ الإحسان ، غضاضةً طَرْفٍ وانكسار نشاطٍ ، بل يُرى بعقبه ضُحوكاً عالىَ النظر . وقوله : « لا يبيتُ الحقُّ يُمُدّه إلا غداً » ، يشتملُ على معنى الشرط والجزاء ، أى كلما باتَ الحقُّ يُمُد ما عنده غداً سائى الطَّرْف مبيتها .

وقوله « يَبْنِيها وَيَعْمَرها » فى موضع الحال ، أى بانياً عامراً . وقوله « إلى المكارم » اتَّصل « إلى » بقوله « إلا غداً » . والقُحْم : الشدائد ، واحدها قُحْمَةٌ ، والمعنى أنه بذالٍ سَخِيٍّ جَمُّ المعروف ، لا يبيت تورُّدُ الحقوقِ نحوه يستغرق ماله إلا ابتكرَ وهو ضحاكٌ عالىَ النظر إلى ابتداء المكارم ، جرياً على العادة وإلفاقاً لها ، وهو يعمرُها ويصلُ جوانبها بأمثالها حتّى يُصِيبَ أموراً تحوّلُ بينها وبين من يريد^(١) نيلها والوصولَ إليها شدائدٌ وتكاليف . وقُحْمُ الطريق : ما صعبَ منها ، وفى الحديث : « إنَّ للخصومة قُحماً » ، أى يتقحّم على المهالك .

- ١٨ — تَشَقَّى بِهِ كُلُّ مَرْبَاعٍ مُودَعَةً عَرَفَاءَ يَشْتَوِ عَلَيْهَا تَأْمِكٌ سَنِمٌ
١٩ — تَرَى الْجِفَانَ مِنَ الشَّيْزَى مُكَلَّلَةً قُدَّامَهُ زَانَهَا التَّشْرِيفُ وَالْكَرَمُ
٢٠ — يَنْوِبُهَا النَّاسُ أَفْوَاجاً إِذَا نَهَلُوا عَلَوْا كَمَا عَلَّ بَعْدَ النَّهْلَةِ النَّعَمُ

المِرباع : الناقة التى من شأنها أن تضع ولدها فى الربيع ، وهى المحمود من النِّتَاج ، ولذلك قال :

* أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيَّونَ^(٢) *

ومِرباع : بناء المبالغة . والمودعة : المسكرمة الموفرة على التناسل لا تعمل

(١) فى الأصل : « يريك » ، صوابه فى ل .

(٢) لأكثم بن صيفى ، أو سعد بن مالك بن ضبيعة . اللسان (صيف) .

ولا تُحْمَل . والعرفاء : التي لِسِمْنِها صار لها كالْعُرْف . والتَّامِك : السَّنامُ المُشْرِف .
والسَّيْمُ : العالى ، ويقال : بَعِثُ سَيْمًا ، أى مشرف السَّنام ، والمعنى : تَبَقَّ
شَعْوَتِها سَمِينَةً لا يَغَيِّرُها الجَدْبُ والقَحْطُ ، وإِنما قال « تَشَقَّى به » ، وهو يريد
الْفَتَى لأنَّ المراد لا يَنْفَحَرُ من الجُزُرِ إلَّا ما يُتَنافَسُ فيه من مثلي ناقةٍ هذه صِفَتُها .
وقوله « تَرَى الجِفانَ من الشَّيْزَى مَكَلَّةً » ، يريد أنَّ الجِفانَ المَعْدَةَ
للأضياف عليها كالآ كليل من فِدَرِ اللحم ^(١) ، وقد زَيْنَها كَرَمُ بارِع ، وتشريف
فاخر ، وهذا بما يَسْتَعْمِلُه من اللُّطف والتَّأنيس مع الأضياف ، ومن توفَّر خِدْمَةُ
الخدم عليهم ، ولِسكَّالِ بهاء المجلس وكونه مشحونًا بما يَرُوقُ ويُعْجِب .

وقوله « يَنْوِبُها » أى يَنْتَابُونِها طائفةً بعد طائفةٍ ، وفَوْجًا بعد فَوْجٍ ،
فإذا تَنَاولوا النِّهْلَ رَجَعُوا فأعقبوه العَلَلُ ، كما يَفْعَلُ ذلك النِّعَمُ عند وروده الماء .
وانتَصَبَ « أفواجا » على الحال . والنِّعَمُ يَقَعُ على الأزواجِ الثَّانِيَةِ ، والغالب
عليها الإِبِل .

٢١- زارت رُوَيْقَةَ شُعْنًا بَعْدَ ما هَجُمُوا لَدَى نَوَاحِلَ فى أرساغها الخَدَمُ

٢٢- وقت للزَّوَرِ مُرْتاعًا وأَرْقَنِي فقلتُ أَهْيَ سَرَتِ أم عادَتِ حُلُمِ ^(٢)

٢٣- وكان عَهْدِي بها والمَشْيُ يَبْهَظُها مِنَ القَرِيبِ ومنها النَّوْمُ والسَّأْمُ

يصف الخيال فيقول : زارت خيالُ هذه المرأةِ قَوْمًا غُبْرًا ، أنضاء مُرْها ^(٣) ،

بعد ما ناموا عَسَدَ إِبِلٍ ضَوامِرَ مَهازِيلَ ، شُدَّتْ فى أرساغها سُيُورُ القِدِّ ، لشدَّةِ

سيرها وتأثير السَّكَلالِ فيها ، فقامت من مَضْجَعِي اللَّطِيفِ الزَّائِرِ خائِفًا ، وطار

النَّوْمُ عَنِّي ، وأخذنى القَلَقُ ، ووساوسِ النفسِ والزَّمْعُ ، فَمِثَّلْتُ الفِكرَ بين شَيْئَيْنِ :

(١) الفدر ، بالفاء : جمع فِدرة ، بالكسر ، وهى القطعة المَجْتَمِعة من اللحم . وفى

النَّسَخَتَيْنِ : « قدر اللحم » ، تحريف . (٢) التبريزى : « فأرقني » .

(٣) جمع أمره ومراه ، وهو من فسدت عينه لترك الكحل .

أحدها زيارتها بنفسها ، والثاني حُلْمٌ نائمٌ اعتادني فأرانيها ، وصِرتُ أراجعُ نفسي وأقول : كيف يجوز مجيئها ، وكنتُ أعهدُها وقطعُ المسافةَ القريبةَ كانت تتكلفه بشقِّ النفس ، وتحملُ الثقلَ والكَدَّ . هذا والغالب عليها لللالُ مما يُتعبُ وإن خَفَّ ، وطلَبُ الراحةِ بالنومِ ليسيرِ الخطبِ منها ببالٍ ولو قلَّ . وانتَصَبَ « مرتاعاً » على الحال .

وقوله « أم عَادَنِي حُلْمٌ » أم هذه هي المعادلة ، والمعنى أي هذين الأمرين كان . وقوله « أَهْيَ سَرَّتْ » أسكن الهاء من هي مع ألف الاستفهام ، لأنه أجراها تجرى وإوِ العطف وفائه ، فكما يسكن معها لأنها لا تقوم بنفسها ولا تستقلُّ كذلك أسكن مع الألف . ومعنى يَبْهَظُها : يثقلُ عليها ويشقُّ . وقوله : « والمشي يَبْهَظُها » خبر كان فيه . وقوله : « وكان عهدي بها » الواو واو الحال من قوله أَهْيَ سَرَّتْ .

٢٤ — وبالتَّكْلِيفِ تَأَنَّى بَيْتَ جَارَتِهَا تَمْشِي الْهُوَيْنَا وما تَبْدُو لَهَا قَدَمٌ
٢٥ — سُودٌ ذَوَائِبُهَا بَيْضٌ تَرَائِبُهَا دُرٌّ مَرَاتِقُهَا فِي خَلْقِهَا عَمٌّ
يقول : ومما عَهِدْتُها عليه أَنَّها كانت تأتي بَيْتَ جَارَتِهَا قِضَاءَ لِدِمَامٍ ، أو أداءَ لَوَاجِبِ حَقٍّ ، بَعْدَ الْجُحْدِ وَالشَّدَةِ ، ومداوِرَةِ النَّفْسِ عَلَى أدْنَى السَّكْفَةِ وَالْمَشَقَّةِ ، وَمَشِيدَتِهَا الْهُوَيْنَا ، أَيْ عَلَى رِفْقٍ لَا اسْتِعْجَالَ فِيهَا وَلَا تِهَافًا ، وَلَا تَقَازِفَ فِي أَعْضَائِهَا وَلَا تَتَايُعَ ، وَلَذَيْلِهَا عَلَى الْأَرْضِ سَحْبٌ وَجَرٌّ ، فَقَدَمُهَا لَا تَبْدُو ، وَوَقَارُهَا الْمَتَسَبِّبُ مِنْ كِبَرِهَا وَعُجْبِهَا لَا يَهْفُو . وَالْهُوَيْنَا : تَصْغِيرُ الْهُوْنَى وَالْهُوْنَى : تَأْنِثُ الْأَهْوَنَ ، وَمَوْضِعُهَا مِنَ الْإِعْرَابِ نَصْبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ . وقوله « تَمْشِي الْهُوَيْنَا » فِي ضَمْنِهِ مَا يُوصَفُ بِهِ مِثْلُهَا مِنَ التَّرَفَةِ وَفَرْطِ الْحَيَاءِ ، كَمَا قَالَ : كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نِسِيًا تَقْصُهُ عَلَى أُمِّهَا وَإِنْ تُسَكِّمُكَ تَبَلَّتْ^(١)

(١) البيت للشنفرى الأزدي في المفضليات ١٠٩ .

وقوله «سُودُ ذَوَائِبِهَا» يصفها بأنها في عنفوان شبابها ، فقرعها أسود ، وصدرها بما حوَّالِيه أبيض ، ومرافقها لا حجَم لها لكثرة لحِما ، وخلَقها تامًّا لاستكمالها .

٢٦- رُوِيَ أَنَّيَ وَمَا حَجَّ الْحَجِيجُ لَهُ وَمَا أَهْلًا بِحَنْبِي نَخْلَةَ الْحُرْمِ

قوله « وما حجَّ الحَجِيجُ لَهُ » يجوز أن يكون ما بمعنى الذي ، كأنه أقسم بالبيت الذي حجَّ إليه الحجاج ، وبإهلال الحُرْمِ ، وهو رفع الصوت بالتلبية ، بِحَنْبِي نَخْلَةَ ، وهو مكانٌ بقرب مدينة الرسول عليه السلام يقال له بَطْنُ نَخْلَةَ . ويجوز أن يكون ما موضوعاً موضع من ، على ما حكى أبو زيد من قولهم : « سبحان ما سَبَّحَ الرعدُ بحمده » ، ويكون الله تعالى المُقَسَّمُ بِهِ .

وقوله « مَا أَهْلًا » يراد به وما أَهْلًا لَهُ ، فحذف له لتقدم ذكره وطول الكلام به . ويجوز أن يكون « ما حَجَّ » في موضع المصدر ، كأنه أقسم بِحَجَّتِهِمْ وإِهْلَالِهِمْ ، ويكون الضمير من له يعود إلى الله تعالى وإن لم يَجْرِ ذِكْرُهُ ، لأن المراد مفهوم ، أَيْ حَجَّوْا لَهُ إِقَامَةً لَطَاعَتِهِ ، وابتغاء لمرضاته . وجواب القسم في قوله « لم ينسني » . ويقال : أحرَمَ الرجلُ بالحجِّ فهو مُحْرِمٌ ، وقومٌ حرامٌ وحُرْمٌ ومُحْرِمُونَ .

٢٧- لَمْ يُنْسِنِي ذِكْرُكُمْ مَذْلًا لَأَقِكُمْ عَيْشٌ سَلَوْتُ بِهِ عَنْكُمْ وَلَا قِدَمٌ

٢٨- وَلَمْ تُشَارِكْ عِنْدِي بَعْدُ غَانِيَةً لَا وَالَّذِي أَصْبَحَتْ عِنْدِي لَهُ نَعَمٌ^(١)

حَلَفَ بِمَا حَلَفَ أَنَّهُ لَمْ يَسْغُلْهُ عَنْ ذِكْرِهِمْ مَذْلٌ حَصَلَ الْفِرَاقُ بَيْنَهُمْ ، لَا عَيْشٌ اسْتَطَابَهُ لِمُسَاعَدَةِ الزَّمَانِ لَهُ بِمَا سَرَّهُ فَتَسَلَّى عَنْهُمْ ، وَلَا بَلَى مَا كَانَ يَسْتَجِدُّهُ كُلَّ وَقْتٍ مِنَ الْوَجْدِ بِهِمْ وَتَذْكَارِ عُهُودِهِمْ تَقَادُمُ أَيَّامٍ فَنَفْسَاهُمْ ، وَلَا شَارِكَهَا فِي

(١) هذا ما في ل والتبريزي . وفي الأصل : « ولم يشاركك » .

مُسْتَوْطَنٌ هَوَاهَا وَمَقَرَّ حَبَّهُ لَهَا امْرَأَةٌ غَانِيَةٌ ، فَتَضَاقِقُ عَنْهَا حِمَاهَا . ثُمَّ ثَنَّى الْيَمِينَ تَوْكِيداً فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ الَّذِي أَصْبَحْتُ لَهُ عِنْدِي نَعَمْ مُقَابَلَتُهَا بِالشُّكْرِ وَاجِبَةٌ لِلْأَمْرِ كَمَا قُلْتُ ، فَحُذِفَ لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ .

وقوله « لَمْ يُنْسَى ذِكْرُكُمْ » يُجَابُ الْيَمِينَ مِنْ حُرُوفِ النَّفْيِ بِمَا ، وَلَسْكَنُهُ اضْطُرَّ فَوْضَعٌ لَمْ يُنْسَى مَوْضِعٌ مَا أَنْسَانِي . وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَنْفَرِدَ الْقَسَمُ الْأَوَّلُ بِهِ جَوَاباً ، وَيَكُونُ جَوَابُ الْقَسَمِ الثَّانِي : وَلَمْ تَشَارِكْ^(١) عِنْدِي ، لِأَنَّهُ خَبَرٌ ثَانٍ ، فَقَدَّمَ الْمُقَسِّمَ لَهُ عَلَى الْمُقَسَّمِ بِهِ ، كَمَا تَقُولُ : مَا فَعَلْتَهُ وَاللَّهِ .

٣٩ - مَتَى أَمْرٌ عَلَى الشَّقَرَاءِ مُعْتَسِفاً خَلَّ النَّقَا بِمَرْوَحٍ لَحْمُهَا زَيْمٌ
٣٠ - وَالْوَشْمُ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهَا وَقَابَلَهَا مِنْ الثَّنَايَا الَّتِي لَمْ أَقْلِهَا بِرَمٍّ^(٢)

قوله « مَتَى أَمْرٌ » اسْتِعْبَادٌ وَاسْتِعْجَالٌ بِمَا يَتِمَّنَاهُ مِنَ الْعَوْدِ إِلَى هَذِهِ الْأُمَّاكِنِ الَّتِي ذَكَرَهَا . وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ « حَتَّى أَمْرٌ » ، وَيَتَعَلَّقُ حَتَّى بِقَوْلِهِ « لَا وَالَّذِي أَصْبَحْتُ عِنْدِي لَهُ نَعَمْ » أَيْ حَصَلْتُ لَهُ نَعَمْ عِنْدِي كَيَّ أَمْرٌ ، لِأَنَّ لِحَقِّي مَوْضِعَيْنِ ، وَالْفِعْلُ بَعْدَهُمَا مَنْصُوبٌ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى لِأَنَّ وَكَيَّ ، وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى إِلَى أَنْ ، تَقُولُ : جِئْتُكَ حَتَّى تُكْرِمَنِي ، وَالْمَعْنَى لِأَنَّ تُكْرِمَنِي ، وَكَيَّ تُكْرِمَنِي . وَتَقُولُ : أَنْتَظِرْ حَتَّى تَخْرُجَ ، وَالْمَعْنَى إِلَى أَنْ تَخْرُجَ . وَالشَّقَرَاءُ ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : يَعْنِي فَرَسَهُ ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الشَّقَرَاءُ وَالْمَرْوَحُ فَرَساً وَاحِداً . وَالبَاءُ مِنْ « بِمَرْوَحٍ » ، يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ مُعْتَسِفاً ، وَعَلَى الشَّقَرَاءِ بِأَمْرٍ ، وَيَكُونُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَيْ رَاكِباً الشَّقَرَاءُ . وَانْتَصَبَ مُعْتَسِفاً عَلَى الْحَالِ . وَالْاِعْتِسَافُ : الْأَخْذُ

(١) فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ : « وَلَمْ يَشَارِكْكَ » .

(٢) التَّبْرِيزِيُّ : « خَرَجَتْ مِنْهُ » . وَالْوَشْمُ ضَبَطْتُ فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ بِفَتْحِ الْيَمِّ وَكُسْرِهَا مَصْحُوبَةٌ بِكَلِمَةِ « مَعاً » .

على غير هداية ولا دراية . ويقال : فلان يتعسف الناس ، أى يأخذهم بغير الحق . والخَلّ : الطريق في الرمل . والنقا : الرمل . والمرووح : الشَّيْط . ومعنى زَيْمٌ : متفرق . ووَشْمٌ وبرَمٌ : موضعان . والثنايا : العتاب . ويروى : « من العقاب التي لم أقبلها ثَرْمٌ » ، وهي جمع ثُرْمَةٍ ، وهي صدغ يكون في الثنية . ومنه قولهم : فلان أثْرُمٌ ، إذا سقط بعض ثناياه فصارت بينهما فُرْجَةٌ . ولم أقبلها : لم أبغضها . وقد قيل في الشعراء : إنه موضع أو هضبة . وانعطف « الوشم » عليه ، وبمرووح حينئذ يتعلق الباء منه بحتى أمر . وعلى الوجه الأول تنصب الوشم وتعطف على خلّ النقا .

٣١ — ياليت شعري عن جنبتي مكشحةٍ وحيث يُبنى من الحنّاءِ الأطم^(١)

٣٢ — عن الأشاء هل زالت مخارمها وهل تغير من آرامها إرم

٣٣ — وجنة ما يذم الدهر حاضرها جبّارها بالندى والحمّل محترم

قوله « ياليت شعري » يا حرف النداء ، والمنادى محذوف . وهذا الكلام تحشر في إثر ما فاتته من أمر الأرضين المذكورة . وشعري اسم ليت ، وخبره محذوف لا يظهر البتة ، ومنعولا شعري قوله « هل زالت مخارمها » .

وقوله « عن جنبتي مكشحة » بيان ما تمنى علمه ، وفي أى جانب هو . ويروى : « عن جزعتي مكشحة وحوث » . والجزع : جانب الوادي . ومكشحة : أرض . وحوث لغة في حيث ، لأن فيه أربع لغات : حيث ، وحيث ، وحوث ، وحوث . فالضم تشبيها له بالغايات قبل وبعد ، والفتحة خلقتة . والحنّاء : أرض . والأطم : الحصن وكل بناء مرتفع ، والجمع أطام . وقوله « عن الأشاء » ، فإن كان الأشاء موضعا وبعض ما يقع عليه

(١) التبريزي : « تبنى » .

مكشحة فإنه بدل من عن جنبى مكشحة ، وقد أعيد حرف الجر معه . وإن كان النخلة فإنه يجوز أن يريد بقمعتها ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ولا يمتنع أن يكون أراد : وعن الأشاء ، فحذف العاطف كما تقول : رأيت زيدا ، عمرا ، خالدا . وأنشدنا أبو علي الفارسي :

كيف أصبحت كيف أمسيت مما يزرع الحب في فؤاد الكريم^(١)
 فيقول : ليت على كان واقعا بأحوال هذه المواضع ، وهل هي باقية على ما عهدتها من قبل ، أو هل تغيرت أعلامها وزالت مخارمها . وإنما يدل على حنينه إليها ، وتأففه على البعد عنها .

وقوله « وجنة » يريد وعن جنة حاضرها يرزى عن الدهر ويحمده ، فلا يتسخط أيامه ، ولا يذم عوارضه . والجبار من النخل : مافات اليد طولا .

وقوله « بالندي والحمل محترم » تنبيه على الخصب فيها ، وعلى غضارة عيش سكانها . والاحتزام كالالتفاف^(٢) ، ويروى « جبارها بالندي والخير » .

٣٤ — فيها عقائل أمثال الدمي خرد لم يفتن شقا عيش ولا يتم^(٣)

٣٥ — يتابهن كرام ما يذمهم جار غريب ولا يؤذى لهم حشم

٣٦ — مخدومون يقال في مجاليسهم وفي الرجال إذا صاحبهم خدم^(٤)

قوله « فيها » أى فى الجنة . عقائل ، أى نساء كريمات ، كأنهن الصوَر المنقوشة حسنا ، منعقات لم تسهن فاقة وفقر ، ولا جهدن بآيام أدبرت عنهن ،

(١) فى باب العطف من شرح الأشتونى للألفية : « مما يفرس الود » .

(٢) فى النسختين : « كالالتفاف » ، تحريف . وعند التبريزى : « والاحتزام » .

الالتفاف » .

(٣) ضبطت فى التبريزى « يتم » بالتحريك ، ومى لغات ، يقال يتم بضم الياء وفتحها وبالفتحريك . القاموس ، واللسان . وتحريك التاء بالضم هنا للشعر .

(٤) يقتضى شرح التبريزى أن يضبط « خدم » بضمين . إذ قال : « خدم ، وهو جمع خدوم ، يقابل مخدومون فى المعنى ، لأن كل واحد منهما يدل على المبالغة » .

ولا شَتَيْنَ بِمَنَّا كَدَّةٍ عِيشَهُنَّ ، وَلَا أَصْبَنَ بِمَوْتٍ كَافِلُهُنَّ أَوْ قِيَمَهُنَّ ، عَفِيفَاتٌ ،
حَيَّيَاتٌ ، لَا يَعْرِفْنَ مَنَكَرَ الْأَخْلَاقِ ، وَلَا مَا يَشِينُ مِنَ الْأَفْعَالِ ، فَهِنَّ رَبَائِبُ
النَّعَمِ ، وَغَرَائِرُ الزَّمَنِ ، وَمُدَلَّلَاتُ الْعِشَائِرِ وَالسَّكَنِ ^(١) .

وقوله : « يَنْتَابِهِنَّ كِرَامٌ » مَدَحَ الرِّجَالَ عَطْفًا عَلَى مَدَحِهِنَّ فَقَالَ : يَدْبُرُ
هَؤُلَاءِ النِّسْوَةَ رِجَالُ كِرَامٍ أَعَزَّاءَ ، يَحْمَدُهُمُ الْجَارُ الْغَرِيبُ ، لَوْفَاهُمُ لَهُ بِالْعَقْدِ ،
وَحُسْنُ تَعَطُّفِهِمْ عَلَيْهِ عِنْدَ الْبَلَاءِ وَالْجُحْدِ ، وَبِرَّضَى عَنْهُمْ الْخَلِيطُ النَّسِيبُ لِحَالِ
عِشْرَتِهِمْ ، وَكَرَمُ أَخْلَاقِهِمْ ، لَا كِبَرُ فِيهِمْ ، وَلَا تَرْفَعُ مَعَهُمْ ، ثُمَّ تَرَى حَشَمَهُمْ
يَسْأَلُهُمْ ^(٢) الدَّانِي وَالْقَاصِي ، لِعِزَّتِهِمْ وَحَيِّتِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ ، وَذَهَابِ صِيَّتِهِمْ ، وَهُمْ
فِي مَجَالِسِهِمْ فِي الْحَضَرِ رِزَانُ سَادَةٍ يَخْدُمُهُمْ مَنْ يَغْشَاهُمْ ، وَفِي السُّفْرِ خِفَافٌ لِطَافِ
يُكْرَمُونَ الصَّحَابَةِ وَالْمُرَاقِبَةِ ، وَيَخْدُمُونَ الْغَاشِيَةَ وَالْمُجَاوِرَةَ ، وَيَحْمَلُونَ فِي أَحْوَالِهِمْ
الْمُؤَنَ الْجَحِيفَةَ ، وَفِي أَمْوَالِهِمُ الثُّنُوبَ الْمَثْقَلَةَ . وَالْحَشَمُ : خَدَمَ الرَّجُلَ وَمَنْ يَحْشَمُ
لَهُ ، أَيْ يَنْضَبُ عِنْدَ النَّازِلَةِ ، وَيُدَافِعُ دُونَهُ لَطُرُوقِ السَّكَاةِ . وَقَوْلُهُ « يَنْتَابِهِنَّ » ،
يُرْوَى : « يَأْتَابِهِنَّ » يَفْتَعِلُ مِنَ الْإِيَابِ .

٣٧- بَلْ لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَغْدُو تُعَارِضُنِي جَرْدَاهُ سَابِجَةٌ أَوْ سَابِجٌ قُدُمُ

٣٨- نَحْوُ الْأُمَيْلِحِ مِنْ سَمْنَانَ مُبْتَكِرًا بَفْتِيَةٍ فِيهِمْ الْمَرَارُ وَالْحَكْمُ ^(٣)

٣٩- لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ إِذَا يَغْدُونَ أَرْدِيَّةُ إِلَّا جِيَادُ قَيْسٍ النَّبْعِ وَاللَّجْمِ

بل : حَرْفٌ يَدْخُلُ لِلْإِضْرَابِ عَنِ الْأَوَّلِ وَالْإِثْبَاتِ لِلثَّانِي ، كَأَنَّهُ لَمَّا صَرَفَ
الْكَلَامَ عَمَّا كَانَ فِيهِ وَشَغَلَهُ بغيره أَيْ بَيْلٌ ، إِذَا نَاكَ بِذَلِكَ . فيقول : لَيْتَ عَلَيَّ
وَاقِعٌ بِمَا يَقْتَضِي هَذَا السَّوَالُ ، وَهُوَ مَتَى ابْتَكَرَ مِنْ سَمْنَانَ نَحْوُ الْأُمَيْلِحِ — وَهِيَ

(١) السكن : كل ما سكنت إليه واطمأنت من أهل وغيره .

(٢) في الأصل : « يسألهم » ، صوابه في ل .

(٣) التبريزي ويقوت في معجم البلدان : « أو سمنان » .

موضعان — وتُعَارَضْنِي فِي السَّيْرِ حَبْرَةٌ قَصِيرَةُ الشَّعْرِ ، تَسِيحُ فِي عَدْوِهَا ، أَوْ ذَكَرْتُ
سَابِقُ يَسْبِقُ أَصْحَابَهُ ^(١) وَيَتَقَدَّمُهَا مِنْ حَيْثُ جَرَى ، وَمَعَى فِتْيَانٍ فِيهِمْ هَذَانِ
لِلذِّكُورَانِ ، ثُمَّ وَصَفَ الْفِتْيَانَ بِأَنَّهُمْ لَا يُهَيِّئُهُمْ إِلَّا الْفُرُوسِيَّةُ وَرُكُوبُ الْخَيْلِ ،
وَإِعْدَادُ آلَاتِ الْحَرْبِ ، وَالصَّيْدِ وَالطَّرْدِ . وَقَوْلُهُ « إِلَّا جِيَادُ » رَفَعَهُ وَالْوَجْهَ
الْجَيِّدَ النَّصَبَ ، لِأَنَّهُ مُنْقَطِعٌ مِمَّا قَبْلَهُ ، لَكِنَّ بَنِي تَمِيمٍ يَرْفَعُونَ مِثْلَ هَذَا عَلَى
الْبَدَلِ . وَهَذَا يُشَبِّهُ بَدَلَ الْغَلَطِ ، لِهَذَا ضَعُفَ فِي الْإِعْرَابِ .
وَالْبَيْتُ يُشَبِّهُ قَوْلَ لَبِيد :

* فَرُطٌ وَشَاحِي إِذْ غَدَوْتُ لِحَاجَتِهَا ^(٢) *

وَانْتَصَبَ « مَبْتَكِرًا » عَلَى الْحَالِ . وَقِسِيَّ مَقْلُوبٌ ، وَأَصْلُهُ قَوْوُسٌ ،
وَيُرْوَى : « قِيَاسِ النَّبْعِ » ^(٣) . وَالْمَرَارُ قِيلَ هُوَ أَخُوهُ ^(٤) . وَالْحَكَمُ : ابْنُ عَمِّهِ ،
كَذَا ذَكَرَهُ الْأَصْمَعِيُّ .

٤٠- مِنْ غَيْرِ عُدْمٍ وَلَكِنْ مِنْ تَبَذُّلِهِمْ لِلصَّيْدِ حِينَ يُصَيِّغُ الْقَانِصُ اللَّحْمَ

٤١- فَيَفْزَعُونَ إِلَى جُرْدٍ مُسَحَّجَةٍ أَفْنَى دَوَائِرِ هُنَّ الرِّكْضُ وَالْأَكْمُ ^(٥)

قَوْلُهُ « مِنْ غَيْرِ عُدْمٍ وَلَكِنْ » ، تَعَلَّقَ مِنْ يَقُولُهُ « لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ إِذَا يَغْدُونَ
أُرْدِيَّةً » . وَالْمَعْنَى أَنَّ إِخْلَالَهُمْ بِلُبْسِ الْأُرْدِيَّةِ وَاسْتِسْرَائِلِهَا وَالتَّائِقِ فِيهَا ، لَا لِفَقْرِ
وَفَاقَةٍ ، لَكِنْ لَوَلُوعِهِمْ بِالصَّيْدِ ، وَتَبَذُّلِهِمْ لَهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَسْتَمِعُ الصَّائِدُ الْقَرِيمُ

(١) فِي الْأَصْلِ : « صَاحِبُهُ » ، وَالصَّوَابُ مِنْ ل .

(٢) صَدْرُهُ : * وَلَقَدْ حَمَيْتُ الْحَيَّ تَحْمِلُ شَكْنِي *

(٣) وَالْقِيَاسُ : أَحَدُ جُوعِ الْقَوْسِ ، وَيُقَالُ قَوْسٌ وَقَسَى وَقَسَى — بَضَمِ الْقَافِ وَكُسْرِهَا

وَأَقْوَاسٍ ، وَقِيَاسٍ .

(٤) الْمَرَارُ الْعَدُوُّ شَاعِرُ إِسْلَامِيٍّ مَشْهُورٍ ، كَانَ مُعَاصِرًا لِلْجُرَيْرِ ، وَقَدْ هَاجَ الْمُهَاجَةَ بَيْنَهُمَا .

وَهُوَ الْمَرَارُ بْنُ مَنَعْدٍ بْنِ عَبْدِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ عَبْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمِ
الْحَنْظَلِيِّ الْعَدُوِّ . انْظُرِ الْمَفْضِلَاتِ ٧٢ .

(٥) التَّبَرِيزِيُّ : « إِلَى جُرْدٍ مُسَوِّمَةٍ » .

إلى اللّحم إلى أصحابه ، في اختيار مواضع الصّيد ، وافتقاره لقلته . ويرُوى : « حين يُنادى السّائفُ اللّحمُ » . قال الأصمعي : يريد يرتدون بقسيهم ولجهم خيلهم إذا ابتكروا ، لا هم لهم غيره . والسّائف : الذي يحوش الصّيد على أصحابه^(١) ، أي ينادى أصحابه باعناً على الأخذ ، ومحدّراً من القوت .

وقوله « فيفزعون إلى جُرْدٍ مسحّة » أي يلتجئون إلى خيل قصيرة الشعر ، نشيطة ، قد سحّج بعضها بعضاً بالعضّ والاستنان . ويجوز أن يريد أن العمل والكدّ سحّجها ، ألا ترى أنّه قال : أفنى ماخيرَ حوافرهنّ ركضُ الفرسان لها ، واستحثّاهنّ إياها ، وتأثير الإكمام في حوافرها ، لأنّ جرّيها كان عليها . ويقال : أكمةٌ وأكمتُ ، وإكامةٌ وإكمتُ .

٤٢- يَصْرَحْنَ صُمَّ الصَّفَا فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ كَمَا تَطَاحُجُ عَنْ مِرْضَاحِهِ الْعَجَمُ^(٢)
٤٣- يَغْدُو أَمَامَهُمْ فِي كُلِّ مَرَبَاةٍ طَلَّاعُ أَنْجِدَةٍ فِي كَشْحِهِ هَضْمُ^(٣)
أصل الضَّرْح الرَّمْي . وَإِنَّمَا وَصَفَ الْخَيْلَ بِصَلَابَةِ الْحَوَافِرِ ، وَأَنَّهَا تَكْسِرُ مَا تَضُوهُ مِنْ صِلَابِ الصَّفَا إِذَا سَارَتْ فِي الْهَاجِرَةِ . ثُمَّ شَبَّهَ مَا يَقْطُرُ مِنْ حَوَافِرِهَا مِنَ الْحَصَى بِمَا يَقْطُرُ مِنَ النَّوَى عَنْ مِرْضَاحِهِ . وَالْمِرْضَاحُ : الْحَجَرُ الَّذِي يُكْسِرُ عَلَيْهِ النَّوَى أَوْ بِهِ . وَمَعْنَى تَطَاحُجَ : تَطَايَرَ .

وقوله « يَغْدُو أَمَامَهُمْ » يعني في التصيّد . وَالْمَرَبَاةُ : الْمَحْرَسَةُ . وقوله « طَلَّاعُ أَنْجِدَةٍ » جمع نَجْدٍ كَقَرْنَخٍ وَأَفْرَخَةٍ ، وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ أَنْجِدَةٌ جَمْعَ نَجَادٍ ، وَنَجَادٌ جَمْعُ نَجْدٍ ، فَيَكُونُ أَنْجِدَةٌ جَمْعُ الْجَمْعِ . وَيُقَالُ : طَلَعَ الْجَبَلُ ، إِذَا عَلَاهُ . وَالْهَضْمُ : انْضِمَامُ الضَّلُوعِ . يَصِفُ خَفَّتَهُ وَشَهَامَتَهُ ، وَابْتَدَأَهُ نَفْسَهُ فِي الصَّيْدِ وَالْفَرُوسِيَّةِ .

(١) لم نجد هذا اللفظ بهذا المعنى في المعاجم المتداولة .

(٢) التبريزي : « يرضخن » ، و « مرضاخه » .

(٣) يغدو ، بالعين المعجمة ، كما في النسختين والتبريزي .

٥٧٨

وقال عمرو بن ضبيعة الرقاشي^(١) :

١ - تَضِيقُ جُفُونُ الْعَيْنِ عَنْ عَبْرَاتِهَا فَتَسْفَحُهَا بَعْدَ التَّجَلُّدِ وَالصَّابِرِ
٢ - وَغُصَّةِ صَدْرِ أَظْهَرَتْهَا فَرَفَهَتْ حَرَّازَةَ حَرٍّ فِي الْجَوَانِحِ وَالصَّدْرِ
العبرة : الدمة ، وقد استعبر ، أى جرى عبرته ، ويقال : لأمة العبر ،
وأراه عبر عينه ، أى سخرته عينه وما أبكاه . فيقول : تمتلئ العين دمعاً حتى
تتضايق جفونها عن احتباسه ، فتصُبُّها بعد تجلُّدٍ منها في الإخفاء ، وتصبُّر على
مدافعة البكاء .

وقوله « وَغُصَّةِ صَدْرِ » ، يريد غمة اغتص بها الصدر فأظهرتها ، بعد أن
كانت لا تسوغ بنفس الضعاء ، فسكنت تظلم لوعة تمكنت بين الجوانح
والصدر . والحزازة : وجع في القلب من أذى يصيبه . والجوانح : الأضلاع
القصيرة ، الواحدة جانحة . وقوله : « رَفَهَتْ » : وسعت ؛ وعيش رافه .

٣ - أَلَا لِيَقُلْ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ إِنَّمَا يُلَامُ الْفَتَى فِيمَا اسْتَطَاعَ مِنَ الْأُمْرِ
٤ - قَضَى اللَّهُ حُبَّ الْمَالِكِيَةِ فَاصْطَبِرْ عَلَيْهِ فَقَدْ تَجَرَّى الْأُمُورُ عَلَى قَدَرٍ

ألا : افتتاح كلام . واللام من « ليقُلْ » لام الغائب ، وقد يدخل في فعل
الحاضر ، على ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ : ﴿ فَبِذَلِكَ
فَلْيَفْرَحُوا ﴾^(٢) . وقوله « ما شاء » أراد ما شاء أن يقوله ، لحذف المفعول ، وكذلك
قوله « من شاء » محذوف المفعول ، أى من شاء القول ؛ فإن اللام يستحقه الفتى

(١) ذكره المرزباني في معجمه ٢٢٥ — ٢٢٦ وساق له هذه الأبيات .

(٢) من قراءة أبي وابن القعقاع وابن عامر والحسن . تفسير أبي حيان (١٧٢ : ٥)
وجهور القراء بالتاء على الخطأ .

فَمَا يُطِيقُهُ وَيَدْخُلُ تَحْتَ مَقْدُورِهِ ثُمَّ لَا يَفْعَلُهُ ، فَأَمَّا مَا لَا يَطِيقُهُ فَقَدْ سَقَطَ اللَّوْمُ فِيهِ عَنْهُ .

وقوله « قَضَى اللَّهُ حُبَّ الْمَالِ الْكَثِيرَةِ » ، يريد حَقَمَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَأَوْجِبَهُ ، فَتَكْلِفُ الصَّبْرَ فِيهِ ، فَقَدْ تَجَرَّى الْأُمُورُ عَلَى قَدَرٍ ، أَيْ عَلَى تَقْدِيرٍ ، تَضِيقُ السَّبْلُ عَنْ الْإِنْفِكَاءِ مِنْهُ ، فَلَا حِيلَةَ فِيهِ إِلَّا التَّزَامُهَا . وَهَذَا تَسْلِيَةٌ مِنْهُ لِنَفْسِهِ وَبَعَثَ لَهَا عَلَى الرِّضَا بِمَا قُسِمَ لَهُ ، وَقُضِيَ عَلَيْهِ .

٥٧٩

وَقَالَتْ وَجِيهَةٌ بِنْتُ أَوْسٍ الضُّبِيَّةُ :

١ — وَعَاذِلِي تَعْدُو عَلَى تَلُومِي عَلَى الشُّوقِ لَمْ تَمْنَحِ الصَّبَابَةَ مِنْ قَلْبِي ^(١)

٢ — فَمَالِي إِنْ أَحْبَبْتُ أَرْضَ عَشِيرَتِي وَأَبْغَضْتُ طَرَفَاءَ الْقُصْبِيَّةِ مِنْ ذَنْبٍ ^(٢)

تَقُولُ : رَبِّ لَا ثَمَّةَ هَمُّهُمَا مَقْصُورٌ عَلَى لُومِي وَعَتْبِي ، فِيمَا أَهْوَاهُ وَأَمِيلُ إِلَيْهِ ، وَأَعِدْ

نَفْسِي بِهِ فَتَنْشَوِّقُهُ ^(٣) ، فَلَا يُوَدِّي عَتْبُهَا إِلَى طَائِلٍ لَهَا ، لِأَنَّ تَنْصَحَهَا مَرْدُودٌ ،

وَوَعظُهَا مَدْفُوعٌ ؛ وَلَا إِلَى طَائِلٍ لِي ، إِذْ كَانَ لَا تَزْدَادُ الصَّبَابَةَ فِي قَلْبِي إِلَّا تَمَكَّنًا

وِثْقَانًا ، وَلَا الْإِشْتِيَاقُ الْإِلَازِمُ لِي إِلَّا زَيْدِيادًا وَدَوَامًا ؛ وَأَنَا إِذَا أَحْبَبْتُ أَرْضَ

عَشِيرَتِي وَرَهْطِي ، وَوَطْنَ أَحِبَّتِي وَأَهْلِي ، وَمَسَقَطَ رَأْسِي ، وَحَيْثُ حَلَّ الشَّبَابُ

تَمِيمَتِي ، وَأَبْغَضْتُ الْقُصْبِيَّةَ مَنِيتِ الطَّرَفَاءِ ، أَرْضًا لَمْ أَقْضِ مَأْرُبَةً فِيهَا ، وَلَا

أَوْجَبْتُ مَذْمَمَةً لَهَا ، فَلَا ذَنْبَ لِي أَلَا فِيهِ ، وَلَا جَرِيرَةَ مَكْتَسَبَةً فَأَعْتَبَ عَلَيْهَا .

وَقَوْلُهُ « مِنْ ذَنْبٍ » فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ ، لِأَنَّهُ اسْمٌ مَالِي ، وَجَوَابُ الْجَزَاءِ مِنْ قَوْلِهِ

(١) أَنَشَدَ يَاقُوتُ هَذِهِ الْأَيَّاتُ فِي (الْقُصْبِيَّةِ) ، وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ بِرَوَايَةٍ : « وَعَاذِلِي هَبْ

بَلِيلَ تَلُومِي » .

(٢) الْقُصْبِيَّةُ : مَوْضِعٌ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَخَيْرِ .

(٣) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « فَتَنْشَوِّقُهُ » . يُقَالُ : تَشَوَّفُ إِلَى الشَّيْءِ ، أَيْ تَطْلُعُ . وَتَشَوَّقُ إِلَى الشَّيْءِ : إِشْتَاقُ .

« إن أحببت أرضَ عشيرتي » في قوله « مالى من ذنب » ، وجواب رَبِّ في قوله « لم تمنح الصباية » .

٣ - فَلَوْ أَنَّ رِيحًا أَبْلَغَتْ وَحَى مُرْسِلٍ حَفِيٍّ ، لَنَاجَيْتُ الْجَنُوبَ عَلَى النَّقْبِ

٤ - فَقُلْتُ لَهَا أَدَى إِلَيْهِمْ تَحِيَّتِي وَلَا تَخْلِطِيهَا ، طَالَ سَعْدُكَ ، بِالْتَرَبِ

٥ - فَإِنِّي إِذَا هَبَّتْ شَمَالًا سَأَلْتُهَا هَلْ أَزْدَادَ صَدَّاحُ الثَّمِيرَةِ مِنْ قُرْبِ

الْوَحَى : مصدر وَحَيْتُ لَكَ بخير ، أى أخبرت ؛ ويستعمل أَوْحَى وَوَحَى في

معنى التبث والإلهام . والإيماء : الإيماء والإشارة . فيقول : لو أَنَّ رِيحًا أَدَّتْ

خَبْرَ مُرْسِلٍ ، أَوْ بَعَثَ مُلَحٍّ مُنْفِذَ سَارَرْتِ رِيحَ الْجَنُوبِ عَلَى الطَّرِيقِ - وَالْحَفِيُّ

يَكُونُ الْمُلَحَّ ، وَيَكُونُ اللَّطِيفَ ، وَمَصْدَرُهُ الْحَفَايَةِ . وَالنَّقْبُ : الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ -

وَلَقُلْتُ : يَارِيحُ بَلِّغِيهِمْ تَحِيَّتِي ، وَصُورُنِيهَا عَنِ الْإِذَالَةِ ، وَخَلِطِيهَا بِالتَّرَابِ ، أَطَالَ

اللَّهُ سَعَادَتَكَ . وَقَوْلُهُ « طَالَ سَعْدُكَ » دَعَاءٌ لَهَا ، وَهُوَ مِنَ الْإِعْرَاضَاتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ ،

ومثله قولُ الآخر :

فَمَا مَكُنَّمَا دَامَ الْجَمِيلُ عَلَيْكَا بِنَهْلَانِ إِلَّا أَنْ تَزُمَّ الْأَبَاعِرُ^(١)

وقول الآخر^(٢) :

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلَّغَتْهَا قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانِ

وقوله : فَإِنِّي إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ شَمَالًا ، انْتِصَابُهُ عَلَى الْحَالِ . وَسَاغَ ذَلِكَ فِيهِ

لِسُكُونِهِ صَفَةً لَا اسْمًا . وَعَلَى هَذَا الْجَنُوبُ وَالْقَبُولُ وَالدَّبُورُ ، يَجُوزُ فِي جَمِيعِهَا أَنْ

تَقَعَ أَحْوَالًا لِسُكُونِهَا صِفَاتٍ . وَكَأَنَّ الْجَنُوبَ كَانَتْ تَهْبُّ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِ مُسْتَقْبِلَةً

لِدْيَارِ أَحَبَّتِهِ ، فَلِذَلِكَ جَعَلَهَا رَسُولَهُ . وَكَانَتْ الشَّمَالُ تَهْبُّ مِنْ نَاحِيَةِ أَرْضِ حَبِيبِهِ

(١) ل : « فَمَا مَكُنَّمَا » . و« لَمَاءُ الْبَدِيعِ يَرُودُونَهُ : « دَامَ الْجَمَالُ عَلَيْكَا » وَيَجْعَلُونَ فِي الْبَيْتِ

جَنَاسًا مَعْنَوِيًّا بَيْنَ الْجَمَالِ وَبَيْنَ الْجِيمِ وَبَيْنَ « الْأَبَاعِرِ » لِأَنَّ الْأَبَاعِرَ جَمَالَ بَكْسَرِ الْجِيمِ . فَعَدَلَ

قَاتِلَ الْبَيْتِ ، وَهُوَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَقِيلٍ ، عَنِ الْجَنَاسِ اللَّفْظِيِّ إِلَى الْجَنَاسِ الْمَعْنَوِيِّ .

(٢) هُوَ عَوْفُ بْنُ عِلْمٍ الْخَزَاعِي . مِنْ قَصِيدَةٍ فِي أُمَالِي الْقَالِي (١ : ٥٠ - ٥١) .

مستقبله بلادَه ، فلذلك زعم أنه يسأئلهما عما استعجمَ عليه من أخبارهم .

وقال ابن الأعرابي : مَهَبُ الْجَنُوبِ يَمَانٍ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ ، وَقَلَمًا تَسْرِي بِاللَّيْلِ ، وَهِيَ مَبَارَكَةٌ . وَالشَّمَالُ شَامِيَةٌ ، فَهِيَ أَكْثَرُ الرِّيَّاحِ هَبُوبًا ، وَهِيَ صَاحِبَةُ الشَّتَاءِ .

و «صَدَّاحُ النَّمِيرَةِ» الصَّدَحُ : الصَّوْتُ ^(١) ، يُقَالُ : صَدَحَ الدَّيْكَ وَالْغُرَابُ ، إِذَا صَوَّتَا . وَيَعْنِي جَلْبَةَ الصَّوْتِ وَنِدَاءَ دَاعِيهِمْ . وَالْمُنَادِي بِالرَّحِيلِ فِيهِمْ كَأَنَّهُ يَنْتَظِرُهُمْ لِحُضُورِ وَقْتِ انْتِجَاعِهِمْ وَنَهْضَاتِهِمْ ، وَكَانَ يَتَعَرَّفُ ذَلِكَ لِيَسْتَبْشِرَ ^(٢) بِهِ .

٥٨٠

وقال مرداس بن هاس الطائي ^(٣) :

١ — هَوَيْتُكَ حَتَّى كَادَ يَقْتُلَنِي الْهَوَى وَزُرْتُكَ حَتَّى لَأَمَنِي كُلُّ صَاحِبِ
٢ — وَحَتَّى رَأَى مِنِّي أَدَانِيكَ رِقَّةً عَلَيْكَ وَلَوْلَا أَنْتَ مَا لَانَ بَجَانِبِي ^(٤)
٣ — أَلَا حَبَّذَا لَوْ مَا الْحَيَاءُ وَرُبَّمَا مَنَحْتُ الْهَوَى مَا لَيْسَ بِالْمُتَقَارِبِ ^(٥)
٤ — بِأَهْلِي ظِلًّا مِنْ رَبِيعَةٍ عَامِرٍ عَذَابُ الثَّنَائِيَا مُشْرِفَاتُ الْحَقَائِبِ
يَقُولُ : بَلَغْتُ الْغَايَةَ الْقَصْوَى فِي كُلِّ مَا كَانَ فِيكَ وَلَكَ ، فَحَمَلْتُ نَفْسِي مِنْ

(١) التبريزي : « وقيل المراد بصداح النميرة الديك ، وقيل : أهلها ، وقيل : حادي لبها ، وقيل : صداح النميرة موضع » .

(٢) هذا ما في ل . وعند التبريزي : « وكانت تتعرف ذلك لاستبشيره » . وفي الأصل : « ليستبشيره » تحريف .

(٣) وكذا في ل . وعند التبريزي : « مرداس بن هاس الطائي » ، وفي معجم المرزباني ٤٧٤ : « مزار بن مياس الطائي » ، وأنشد الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ . وروى التبريزي عن أبي العلاء أن الأبيات نسبت إلى « مزار بن هاس » .

(٤) التبريزي والمرزباني : « رقة عليهم » ، وأشير في هامش ل إلى رواية التبريزي في إحدى النسخ .

(٥) التبريزي : « وروى : من ليس بالمتقارب » .

أعباء الهوى وطلب التناهي فيه ما كاد يأتي على ، أعد ذلك واجبا لك أوديه ،
وفرضا من حقوقك أقيمه وآتبه ، ثم أدمنت الزيارة خادما ، وترددت في التعرف
والاستعطاف مقربا ، حتى توجه إلى اللوم من أصحابي ، واستسرفني في البرجبرتي
وأودائي ، وإلى أن ظهر لأقاربك شفتي عليك ورقتي ، ووضح ما اشتهر به أمرى
عندهم وعرف . ولولا أنت لبقيت على ما وجدت عليه قديما من صيانة النفس
وإكرامها وتبعيدها^(١) عن المراكب الشائنة المؤدية إلى ابتذالها ، فلم يلن جانبي ،
ولم يزل جماعي وصعوبي .

وقوله « ألا حبذا » المحبوب محذوف ، كما حذف المحمود في قوله تعالى :
﴿ نِعِمَّ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ، والمراد حبيب إلى التهنيت في الهوى ، وتجاوز المؤلف
فيه إلى المستشنع القبيح ، لولا الحياء ، على أني ربما منحت هواي ما لا مطمع
في بلوغه ودنوه . وهذا كما قال أبو تمام :

غالي الهوى ، مما يرقص هامتي أروية الشعف التي لم تسهل^(٢)

وقوله « بأهلى ظبلا » رجوع منه إلى استلذاذ الهوى وإظهار التجلذ فيه ،
فيقول : أفدى بأهلى نساء من ربيعة عامر ، عذاب المباسم ، حسان الشغور
والمضاحك ، عظيما الأكمال ، مشرفات الأرداف .

والحقائب : جمع الحقيبة ، وهي عجز الرجل والمرأة جميعا . ويقال : امرأة
نفج الحقيبة . والقصد بالتفدية في قوله « بأهلى ظبلا » إلى صاحبه ، وإن كان
لفظه عاما لها ولغيرها .

(١) هذا الصواب من ل . وفي الأصل : « وتبعدها » .

(٢) رواية الديوان ٢٣٣ : « غالي الهوى مما تعذب مهجتي » ، أي من أجل تعذيب

أروية الشعف لمهجتي . والشعف : جمع شعبة ، وهي رموس الجبال . لم تسهل : لم تنصر
إلى السهل .

٥٨١

وقال بعض بني أسد^(١) :

١ - تَبِعْتُ الهَوَى يَاطْنِيبُ حَتَّى كَأَنِّي مِنْ أَجْلِكَ مَضْرُوسُ الْجَرِيرِ قَوْودُ

٢ - تَعَجَّرَفَ دَهْرًا ثُمَّ طَاوَعَ أَهْلَهُ فَصَرَفَهُ الرُّوَادُ حَيْثُ تُرِيدُ

٣ - وَإِنَّ زِيَادَ الْحُبِّ عَنْكَ وَقَدْ بَدَتْ لِعَيْنِي آيَاتُ الهَوَى لَشَدِيدُ

يقول : أعطيت الهوى مقاديري فيك ، فتبعته حيث جرتني ، لا أمتنع عليه ،

ولا أطلب معدولاً إليه ، حتى صرت كأنني بغير قد عضه الجرير فلان وانقاد .

والجرير : حبل مضفور من آدم . والصرس : العض . والقوود : فعول في معنى

مفعول ، فهو كالقوتوب والركوب ، والهمزة فيه بدل من العين .

وقوله « تَعَجَّرَفَ » ، أى أخذ غير التقصد زماناً ، لأنه كان صعباً ثم تذلل

ودخل في طاعة مداوريه ، وهذا مثل ضربته للنفس في ابتداء هواه ، وأنه تأبى

عليه مدة ، فتردد بين حيدته وهزله ، واقتساره وليانه ، حتى ركب منه

كل مركب ، واستوطأ ظهره كل استيطاء . فهذا معنى « وصرفه الرواض

حيث تريد » .

وقوله « وَإِنَّ زِيَادَ الْحُبِّ عَنْكَ » ، يريد أن دفاع حبه عنها وصرفه

عسر صعب وقد بدت آيات الهوى . والمعنى أن للهوى علامات حيث مالت

بالإنسان ذهب معها ، فيعد العى رُشدًا ، ويرى التهاك فيه حياة ، ولورام

دفع حبه عنه ، ولّى نفسه دونه ، لتعذر وامتنع .

٤ - وما كل ما في النفس للناس مظهر ولا كل ما لا تستطيع تذود^(٢)

(١) الأبيات رويت في معجم البلدان (غصور) ، وهي بلدة فيما بين المدينة إلى بلاد خزاعة .

(٢) التبريزي : « وما كل ما في النفس لي منك مظهر » ، وأشار إلى الرواية الأخرى .

وروى التبريزي أيضا : « ما لا تستطيع تذود » .

٥- وإني لأرجو الوصل منك كما رجأ صدي الجوف مرئاداً كداه صلود
يقول : ليس جميع ما يشتمل عليه صدرى ، ويشقى فى الهوى بتمحله
جوانحى ، ممكناً إظهاره ؛ ولا كل ما تطيقه النفس ، أو لا تنهض به ، يسهل
دفعه ؛ فأنا أسير الهوى وتبديعه ، متردد فى بلواه ، لا أجد منه مخلصاً ، ولا أستطيع
عنه ملجأً ومناصاً .

وقوله « وإني لأرجو الوصل منك » يقول : وعلى ما أصفه من حالى فىك
أرجو وصالك رجاء إنسان شديد العطش ، يطلب الماء من موضع حفره
فأكدى ، أى بلغ كديتته ، وهى حجرة يعرض فى البئر عند الاحتفار فيمتنع
قطعه بالمعاول ، وجمعها كدى . وهذا مثل ، والمعنى أن رجائى فى خيرك مع
حاجتى رجاء رجل عطشان يطلب الماء ويرجوه من بئر هكذا . والصلود :
اليابس ، ويقال للبخيل : أصلد وصلد وصلود ، تشبيهاً به ، وكذلك رند صلود
إذا لم يؤر . والمرئاد : الطالب ، ومفعوله محذوف ، ويجوز أن يُقنى بالمرئاد
المطلوب ، ويراد به الماء ، وقد أقام الصفة مقام الموصوف ، وعلى الوجه الأول
ينصب على الحال .

٦- وكيف طلائى وصل من لو سألته قذى العين لم يطلب وذلك زهيد
٧- ومن لو رأى نفسى تسيل لقال لى أراك صحيحاً والفؤاد جليد
يصف بخلها وتمنعها فيقول : كيف أستجيز طلب وصال إنسان لو سألته
إزالة قذى العين لم يجبنى إليه ، وذلك قليل فيما يسأل ويُلتمس . فحذف المضاف ،
وأقام المضاف إليه مقامه ، كما قال الآخر^(١) :

يا صخر وراد ماء قد تناذره أهل الموارد ما فى وزده عار

(١) هو الحنساء من قصيدة فى ديوانها . وانظر الكامل ٧٣٧ لبيك .

يريدُ : ما في ترك وُروده عارٌ ، فحذف المضاف . ويجوز أن يريدَ لوسأله
ألا يُقذى عيني ، كما نقول : سألت فلاناً ضربَ فلان ، أى استوهبته ضربه
لم يُطْلِبْنِي . ويجوز أن يريد من لو سأله تافهاً لا خطر له ولا اعتداد به ،
فصرب المثل بالقذى ، والمعنى : لو سأله ما يُقذى العين .

وقوله « مَنْ لو رأى نفسى » عطفه على مَنْ لو سأله ، يريد : ولو رأى
دمي يسيل لقال لقسوة قلبه على : أراك صحيحاً لا داء بك ولا آفة ، وقلبه
جليدٌ ، أى يريق لى ولا يرحنى ، والمراد على هذا بالقلب قلب المرأة ، ويكون
الواو في « والفؤاد » واو الحال ، ويجوز أن يكون من تمام الحكاية ومن كلام المرأة ،
والمعنى أنها تقول مع ما ترى من سيلان دمي : أرى نفسك صحيحة ، وقلبك
ثابتاً ماضياً ، لا آفة بك ولا غائلة .

٨ — فَيَأْتِيهَا الرَّيْمُ الْمَحَلَّى لِبَائِنُهُ بَكَرْمَيْنِ كَرَمَى فِضَّةً وَفَرِيدُ

٩ — أَجْدَى لَا أُمْسَى بِرَمَّانٍ خَالِيَا وَغَضُورَ إِلَّا قِيلَ أَيْنَ تَرِيدُ^(١)

كأنه استعطفها وذكرها اشتهاه بها ، وتوجه التهم إليه بسببها ، حتى ضاق
بهذين الموضوعين مجالهُ ، وتعسر عليه وإن تفرّد فيها إمسأوه .

والرَّيْمُ : الظبي الخالص البياض . والمَحَلَّى لبائنه ، أى ترائبه . بَكَرْمَيْنِ ،
أى بقلادتين . والفَرِيد : الدّر . واللَّبَانُ : الصّدر . وقوله « وفريد » إن جعلته
معطوفاً على فضة يكون إقواء ، ولك أن ترفعه بالابتداء والخبر محذوف ، كأنه
قال : وفريدٌ فيهما . ويروى : « كَرَمًا فَضَّةً وَفَرِيدُ » ، فينعطف الفريد على
« كَرَمًا » ويكون الكلام على الاستئناف لا الإبدال ، كأنه قال : هما كَرَمًا
فضة وفريد . وهذا أصح وأجود .

(١) التبريزى : « لا أمسى » ، ثم قال : « ويروى : لا أمسى » .

وقوله « أَجِدِّي » يريد : أعلى جِدِّي مِنِّي هذا الأمر ، وهو أنِّي لا أُمِسِّي منفرداً بنفسى بَرَمَانٍ وَغُضُورٍ إِلَّا قِيلَ : أَيْنَ مُرَادُكَ . و « أَجِدِّي » في موضع المصدر ، والفعل العامل فيه محذوف ، وذكر الإمساء والمراد الإمساء والإصباح جميعاً ، لكنه اكتفى بذكر أحدهما لعلم الناس بأنَّ حاله فيما ذكره يستوى فيه الليل والنهار .

٥٨٢

وقال رجل من بني الحارث :

١- مَنِيَّ إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَنَى وَإِلَّا فَقَدْ عَشِنَا بِهَا زَمَنًا رَغَدًا

٢- أُمَانِيَّ مِنْ سُعْدَى حِسَانًا كَأَنَّمَا سَقَمْتُكَ بِهَا سُعْدَى عَلَى ظَلَمٍ بَرَدًا^(١)

المَنَى : جمع مُنْيَةٍ ، وموضعها من الإعراب رَفَعٌ على أَنَّهُ خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : هِيَ مَنَى . فيقول : هذه الخصال التي نَعِدُ بِهَا أَنْفُسَنَا فِي هَذِهِ الْمَرَاةِ وَتَعِدُنَا بِهَا ، لَا تَخْلُو مِنْ أَنْ تَكُونَ صَادِقَةً أَوْ كَاذِبَةً ؛ فَإِنْ جَاءَتْ صَادِقَةً مُحَقَّقَةً فَهِيَ أَحْسَنُ الْأُمَانِي وَأَوْفَقُهَا لِلنَّاسِ ، وَإِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَإِنَّا نَعِيشُ بِذِكْرِهَا مُنْتَظِرِينَ لَهَا زَمَنًا مَمْتَدًّا ، وَعِيشًا وَاسِعًا رَافِعًا .

وقوله « أُمَانِيَّ مِنْ سُعْدَى » نَصَبٌ بِإِضْمَارِ فِعْلٍ ، كأنه قال : أَذْكَرُ أُمَانِيَّ مِنْ سُعْدَى . وَكَرَّرَ لَفْظَ سُعْدَى تَلْذُّذًا لِاسْمِهَا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي أَنَّ الْأَعْلَامَ وَأَسْمَاءَ الْأَجْنَاسِ يُفْعَلُ بِهَا ذَلِكَ . والمعنى : أَذْكَرُ أُمَانِيَّ مِنْ هَذِهِ الْمَرَاةِ جَمِيلَةً تَزْجِي أَوْقَاتَنَا ، وَكَأَنَّ مَوْقِعَهَا مِنْ قُلُوبِنَا مَوْقِعُ الْمَاءِ الْبَارِدِ مِنْ ذِي الْغَلَّةِ الصَّادِي . وقوله « زَمَنًا رَغَدًا » الرَّغْدُ : السَّعَةُ فِي الْعِيشِ . وَيُقَالُ : عِيشَ رَاغِدٌ وَرَغِيدٌ . وَانْتِصَابُ رَغْدًا عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِمَصْدَرٍ مُحذُوفٍ ، كأنه قال : عِشْنَا عِيشًا رَغْدًا بِهَا زَمَنًا .

(١) التبريزي : « من سعدى رواء » ، مع رفع « أمانى » و « رواء » .

ولا يمتنع أن يكون صفة لقوله زَمَنًا ، كأنه قال عَيْشًا وَسِعًا . وقوله « على ظمإٍ
بَرْدًا » يريد ماء ذا برد .

٥٨٣

آخر (١) :

١ — وَخُبِرْتُ سُدَّاءَ الْقُلُوبِ مَرِيضَةً فَأَقْبَلْتُ مِنْ أَهْلِ بَيْمَضَرَ أَعُوذُهَا

٢ — فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي إِذَا أَنَا جِئْتُهَا أَثْبَرْتُهَا مِنْ دَائِهَا أَمْ أَزِيدُهَا

قوله « خُبِرْتُ » تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل ، ومريضة المفعول الثالث .
وقوله « أَعُوذُهَا » في موضع الحال من أَقْبَلْتُ . ويجوز أن يريد بقوله « سُدَّاءِ
الْقُلُوبِ » أَنَّهَا تَحُلُّ مِنَ الْقُلُوبِ مَحَلَّ السُّوَيْدَاءِ مِنْهُ ، كَأَنَّ الْقُلُوبَ عَلَى اخْتِلَافِهَا

(١) هو العوام بن عقبة بن كعب بن زهير . وكان من سبب الشعر ما روى التبريزي
عن أبي محمد الأعرابي أن صواب رواية البيت الأول : « سُدَّاءِ الْغَمِيمِ » ، وأن سُدَّاءِ الْغَمِيمِ
امرأة من بني عبد الله بن غطفان ، اسمها ليلي ولقبها سُدَّاءِ ، وكانت تنزل الغميم من بلاد غطفان
وكان عقبة بن كعب بن زهير ينسب بها ، ثم علقها بعده ابنه العوام بن عقبة وكلف بها ، وكانت
تجد به كذلك ، فنُفِجَ إلى مصر في ميرة فبلغه أنها مريضة ، فترك ميرته وكرنحوها وأنشأ يقول :

نبيت سُدَّاءِ الْغَمِيمِ مَرِيضَةً	فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرَ لَيْلِي أَعُوذُهَا
فَيَالَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَغْيِرُ بَعْدَنَا	مَلَا حَاجَةَ عَيْنِي أَمْ يَحْيِي وَجِيدُهَا
وَهَلْ أَخْلَقْتَ أَثْوَابَهَا بَعْدَ جِدَّةٍ	أَلَا حَبْذَا أَخْلَاقُهَا وَجْدِيدُهَا
وَلَمْ يَبْقَ يَا سُدَّاءِ شَيْءٌ أَحَبَّ	وَلِنْ بَقِيَتْ أَعْلَامُ أَرْضِ تَوْبِيدُهَا
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي إِذَا أَنَا جِئْتُهَا	أَأَثْبَرْتُهَا مِنْ دَائِهَا أَمْ أَزِيدُهَا
نَظَرْتُ لَيْلِي نَظْرَةً مَا تَسْرُنِي	بِهَا حَمْرُ أَنْعَامِ الْبِلَادِ وَسُودُهَا
وَلَوْ أَنِّي مَا أَقْبَيْتُ مِنْ مِثْلِ	بِمُودِ ثَمَامٍ مَا تَأَوَّدَ عَوْدُهَا

فلم يزل يُلطف حتى رآته ورآها ، فأومأت إليه أن ما جاء بك ؟ فقال : جئت عائداً حين
علمت علنك . فأشارت إليه أن ارجع فإني في عافية . فرجع لميرته واستعز بها للرس ، فجعلت
تتوله إليه حتى ماتت ، فبلغه الخبر فقال :

سقى جَدْنَا بَيْنَ الْغَمِيمِ وَزَلْفَةٍ أَحْمَ الذَّرَى وَامِي الْعِزَالَى مَطِيرُهَا
وفيها يقول :

وإن تك سُدَّاءِ الْعَشِيَةِ فَارَقْتُ فَقَدْ مَاتَ مَلَحُ الْغَانِيَاتِ وَنُورُهَا

تميل إليها وتنطوي على حبها . ويجوز أن يكون كان اسمها سوداء وأضافها إلى القلوب ، كما قال ابن الدُمَيْنَةِ :

قِفِي يَا أُمِّمِ الْقَلْبِ نَقْضَ نَحِيَّةٍ ونشكوا الهوى ثمَّ افعلِي ما بَدَّالَكَ

ويجوز أن يكون أراد أنها قاسية القلب سوداؤه ، فجمع القلب بما حوله فقال القلوب ، أو لأنها كأن لها مع كل مُتَمِّمٍ بها قلباً ، فقال القلوب على ذلك . فيقول : نُبِّيتُ أَنَّهَا تَأَلَّمَتْ لِعَارِضٍ عَلَيْهِ ، فَأَقْبَلْتُ مِنْ أَهْلِ بِمَصْرَ عَائِداً لَهَا ، وَوَاللَّهِ أَحْلَفُ مَا أَدْرِي إِذَا حَصَلَتْ عَنْدَهَا أَصْبِرُ شِفَاءً بِمَا بَهَا ، أَوْ أَزِيدُ فِي شَكْوَاهَا لِتَبَرُّمِهَا بِي ؛ كَأَنَّهُ ظَنَ بِهَا تَفَكُّراً وَخَوْلاً عَنِ الْعَهْدِ . وقوله « أم أزيدها » يريد : أم أزيدها داءً ، فحذف لأنَّ المراد مفهوم .

٥٨٤

وقال آخر :

١- إِيَّيْ وَإِيَّاكَ كَالصَّادِي رَأَى نَهْلاً ودُونَهُ هُوَّةٌ يَخْشَى بِهَا التَّلَافَا
٢- رَأَى بِعَيْنَيْهِ مَاءً عَزَّ مَوْرِدُهُ وَلَيْسَ يَمْلِكُ دُونَ الْمَاءِ مُنْصَرَفَا
يقول : مَثَلِي وَمَثَلُكَ فِي مَسَاسٍ حَاجَتِي إِلَيْكَ ، وَتَنَاهَى رَغْبَتِي فِي وَصْلِكَ وَالنَّيْلِ مِنْكَ ، وَفِي احْتِجَازِكَ عَنِّي وَامْتِنَاعِكَ مِنِّي ، مَثَلُ رَجُلٍ عَطْشَانَ شَاهِدَ مَاءٍ ، وَقَدْ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَرُودِهِ وَهَدَّةٌ عَمِيقَةٌ يَخْشَى مِنْ اقْتِحَامِهَا الْهَلَكَ ، فَلَمَّا بَرَأَى مِنْهُ ، وَقَدْ غَلَبَهُ الْمَانِعُ عَنْهُ ، لَيْسَ يَقْدِرُ عَلَى انْصِرَافِهِ مِنْ دُونِهِ ، لَغَلَبَةِ الْعَطْشِ عَلَيْهِ ، وَشِدَّةِ الْفَاقَةِ إِلَيْهِ ، فَكَذَلِكَ أَنَا وَأَنْتِ . وقوله « رَأَى نَهْلاً » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَقَدْ مَقْدَّرْتُ فِي الْكَلَامِ ، لِأَنِّي رَأَى بَنَاءً لِلْمَاضِي . وَالنَّهْلُ وَالْمَنْهَلُ : الْمَاءُ ، وَمَوْضِعُ الْمَاءِ . وقوله « ودونه هُوَّةٌ » فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِلنَّهْلِ ، كَمَا أَنَّ عَزَّ مَوْرِدُهُ فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِلْمَاءِ . وَإِنَّمَا قَالَ « رَأَى بِعَيْنَيْهِ » فَذَكَرَ

العَيْنَ تَأْكِيداً لِلرُّؤْيَا . ومثله قوله تعالى : ﴿وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ وما أشبهه .

٥٨٥

وقال آخر :

١ - أَلَا بِأَيْدِنَا جَعْفَرٌ وَبِأَيْمِنَا نَقُولُ إِذَا الْهَيْجَاءُ سَارَ لَوَاؤُهَا

٢ - وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ مَا خَوْفِ قَوْمِهِ عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَطُولَ بَقَاؤُهَا

قوله « أَلَا بِأَيْدِنَا » ، الجملة في موضع المفعول لقوله نقول . والباء من « بأيدينا »

تعلق بفعل مضمر ، والمراد : نفدي بأيدينا وأيماننا جعفرأ إذا سار الخيل وسجل

لواء الجيش قاصداً إلى الهيجاء . وأضاف اللواء إلى ضمير الهيجاء لحاجتها إليه .

وقوله « وَلَا عَيْبَ فِيهِ » يريد أن جعفرأ بريء من العيوب إلا من مخافة

قومه على نفسه ألا تطول مدتها ، ولا يتنفس مهلتها . وليس ذلك بعيب ، وإنما

يُشْفِقُونَ مِمَّا ذَكَرَ تنافساً في حياته ، ورغبة في الانتفاع به وبمكانه ، لكنه

أراد أن من ذلك مَعِيْبُهُ ، فكيف يكون سريره .

فإن قيل : لِمَ أدخل هذا في جملة النسب وليس هو منه ؟ قلت : لطافة

لفظه وحلاوة معناه ، ومناسبته بذلك للنسب ، أدخلته في هذا الباب . وقد

فعل لمثل هذه العلة مثل هذا فيما تقدم ، ونهينا عليه ^(١) .

٥٨٦

وقال آخر :

١ - وَإِنِّي عَلَى هِجْرَانِ بَيْتِكَ كَالَّذِي رَأَى نَهْلًا رِيًّا وَلَيْسَ بِنَاهِلٍ

٢ - يَرَى بَرْدَ مَاءٍ ذِيْدَ عَنْهُ وَرَوْضَةً بَرُودَ الضَّحَى فَيَنَانَةً بِالْأَصَائِلِ

يقول : إِنِّي عَلَى مَا أَجْرَى عَلَيْهِ مِنْ تَعَزُّلِي لِبَيْتِكَ ، ومهاجرتي لفنائك ، ولما

(١) انظر ما سبق في ص ١٢٦٧ .

أتقى به من مكاشفة الرقباء على ترصدهم بالمكروه لى ولك ، واختلافهم فى النقاط
حديثى وحديثك ، لكالمطشان وقد رأى ماء مرؤياً كثيراً ، بارداً شهياً ،
فمنع منه ، وشافه^(١) روضةً باردةً الظل عند الضحاء ، كثيرة الأفنان والغصون ،
إذا هبت رياح العشاء فحيل بينه وبينها . والنهل : الماء . والنهل : الريان هاهنا ،
ويكون المطشان أيضاً فى غير هذا . وذيد عنه ، أى منعه منه . والفينا : الكثيرة
الأفنان ؛ وهو فيقال . والفن : الغصن . والأصائل : العشيّات .

وقوله « يرى برء ماء » ، يقول : يرى ماء بارداً ، لأن البرد لا يدرك
بالعين . وإن شئت قلت : جعله للمبالغة فى الوصف كالحسوس .

٥٨٧

وقال آخر :

١ - فمرّ على أهل الغضا إن بالغضا رفاق لا زرق العيون ولا رندا^(٢)

٢ - أكاد غداة الجزع أبدي صباة وقد كنت غلاب الهوى ماضياً جلداً

يخاطب صاحبتين له يسألهما أن يجوزا بأهل الغضا ، لأن فيها نساء يترقق
ماء الشباب فيهن ، لا زرق فى عيونهن ولا رندا . ويقال : فتى رفاق ، وفتاة
رقيقة ، والمراد به ابتداء الشباب . وذكر بعضهم أن المراد بالرفاق مياة رقيقة ،
وأن الزرق الصافية ، والرندا المتغيرة الألوان ، والأول أقرب ، لأن الرندا
لا يستعمل إلا فى الحاسة ، ولأن الفائدة فى كون مياة بالغضا على هذه الصفة
قليلة . وقصد الشاعر فيما كلّف صاحبتيه أن يجدداً عهداً بأهل الغضا ، ويتعرفا
من أخبار محبوبته ، ما تسكن نفسه إليه . وفى قوله « إن بالغضا رفاق » ، إذا
جعلت الرفاق نساء ، نسيب بها وبصواحبها . وقوله « لا زرق العيون » ،

(١) كذا فى النسختين ، ومعنى بها المقاربة . (٢) ل والتبريزى : « مرء » ، بالجرم .

تَبَّتْ لَهُنَّ كَحَلِّ الْعِيُونِ وَسَلَامَتَهَا مِنَ الْآفَاتِ ، بِنَفِي الْأَضْدَادِ عَنْهَا ، وَهَذَا كَتَحْدِيدِ الشَّيْءِ بِالسَّلْبِ .

وَقَوْلُهُ « أَكَادَ غَدَاةَ الْجِرْزَعِ » يَصِفُ مَا نَالَهُ غَدَاةَ يَوْمِ الْبَيْنِ ، وَأَنَّهُ مَعَ ثَبَاتِهِ فِي الشَّدَائِدِ ، وَصَبْرِهِ عَلَى النَّوَائِبِ ، وَحُسْنِ تِمَاسُكِهِ عَنْ جَوَالِبِ الْهَوَى ، يَفْتَضَحُ وَيُظْهِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْاِكْتِنَابِ وَالْوَجْدِ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى مُسْتَكِنَاتِ صَبَابَتِهِ ، وَخَفِيَّاتِ أَحْوَالِهِ .

٣ - فَلِلَّهِ دَرَى أَىْ نَظْرَةٍ ذِي هَوَى نَظَرْتُ وَأَيْدِي الْعِيسِ قَدْ نَكَبَتْ رَقْدًا^(١)

٤ - يُقَرِّبُنْ مَا قَدْ آمَنَّا مِنْ تَنْوُفَةٍ وَيَزِدُّنْ يَمْنُ خَلْفَهُنَّ بِنَا بُعْدًا

قَوْلُهُ « لِلَّهِ دَرَى » يَجْرِي بِجَرَى : اللَّهُ خَيْرِي . وَمِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَنْسُبُوا مَا يُعْجِبُهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ ، وَإِنْ كَانَتْ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا فِي الْحَقِيقَةِ لَهُ . وَقَدْ فَارَقَ دَرَى بِالِاسْتِعْمَالِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ الْمَصَادِرَ ، فَلَا يَتَعَلَّقُ بِهِ شَيْءٌ مِنْ مُتَعَلِّقَاتِهَا . وَقَوْلُهُ « أَىْ » نَظْرَةٍ ذِي هَوَى » تَعْجَبُ ، وَاتَّصَبَ أَىْ بِنَظَرْتُ . وَكَأَنَّهُ لَمَّا صَبَرَ عِنْدَ مَا رَأَى مِنْ آيَاتِ الْفِرَاقِ وَلِإِذَاعِ الْبَيْنِ ، وَصَارَ بِمَرَأَى مِنْهُ وَبِمَسْمَعٍ ، مِنَ التَّهَيُّؤِ لِلْإِرْتِحَالِ ، وَمِنْ تَدْيِيرِ عَوَارِضِ السَّقَرِ ، عَدَّ ذَلِكَ مِنْ نَظَرِهِ وَجَلَدِهِ شَيْئًا عَجِيبًا . وَمَعْنَى « نَكَبَتْ رَقْدًا » وَهُوَ مَوْضِعُ كَانِ يَجْمَعُهُمْ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِذَلِكَ نَظْرَةً فِي إِثْرِ الظَّمَانِ تَحْشُرًا وَصَاحِبَتِهِ مَعَهُ ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ^(٢) :

بَعِينِي ظُنُّنُ الْحَيِّ لَمَّا تَحَمَّلُوا لَدَى جَانِبِ الْأَفْلَاجِ مِنْ جَنْبِ تَيْمَرَا وَقَوْلُهُ^(٣) :

وَلَا بَدَا حَوْرَانُ فِي الْآلِ دُونَهَا نَظَرْتُ فَلَمْ تَنْظُرْ بَعِينِيكَ مَنَظَرًا^(٤)

(١) التبريزي : « أَىْ نَظْرَةٍ نَظَرْتُ » ، وَأَشَارَ إِلَى الرِّوَايَةِ الْآخَرَى .

(٢) هُوَ امْرُؤُ الْفَيْسِ . دِيوَانُهُ ٩٠ .

(٣) هُوَ امْرُؤُ الْفَيْسِ . دِيوَانُهُ ٩٥ .

(٤) يَرُودُ أَيْضًا : « وَالْآلُ دُونَهُ » .

ويكون على هذا قوله « نَكَبْتُ رَقْدًا » معناه انحرفن عنه وتركته ، لكونه مَفَرَّقَ الطَّرْقِ .

وقوله « يقرَّبَن ما قَدْ آمَنَّا من تنوفةٍ » وصف العيسَ بالشرعة . والتَّنُوفَةُ : المَفَازَةُ . والمراد أنَّ ما يقطعُه غيرها في يومين تقطعُها هذه في يومٍ . والكلامُ تحشُّرٌ وتوجُّعٌ ، لتباعُدِهِ عَمَّنْ هُوَ مَعَهُمْ . ومثله قول الآخر :
إِذَا نَحْنُ قَلْنَا وَرَدُّهُنَّ ضَحَى غَدٍ تَمَطَّيْنَ حَتَّى وَرَدُّهُنَّ طُرُوقُ
وتعلَّقَ الباءُ من قوله « بنا » بقوله يَزِدُّن . وبعداً ، انتصبَ على التَّمْيِيزِ .

٥٨٨

وقال ابن هرم الطائي^(١) :

- ١ - إِنِّي عَلَى طُولِ التَّجَنُّبِ وَالنَّوَى وَوَاشٍ أَتَاهَا بِي وَوَاشٍ بِهَا عِنْدِي^(٢)
 - ٢ - لِأَحْسِنُ رِمِّ الْوَصْلِ مِنْ أُمِّ جَعْفَرٍ بِحُدِّ الْقَوَافِي وَالْمُنَوَّقَةِ الْجُرُودِ
- يصفُ حُسْنَ تَأْتِيهِ فِي عِمَارَةِ الْهَوَى وَالْحُبِّ ، وَبَلِيغَ لُطْفِهِ فِي تَلَافِي مَا يَخَافُ انْقِطَاعَهُ مِنْ عِلَاقِ الْوَصْلِ ، وَانْتِكَائِهِ مِنْ وَثَاقِ الْعَهْدِ ، لَوِشَايَةِ وَاشٍ ، أَوْ تَضَرِيبِ مُفْسِدٍ ، أَوْ قَذْحِ سَاجٍ بِالنَّمَائِمِ مِنْزِيْدٍ . فيقول : إِنِّي عَلَى مُطَاوَلَةِ الْبِعَادِ ، وَمُعَاوَلَةِ الْوُشَاةِ بِالتَّحْرِيشِ وَالْإِفْسَادِ ، لِأَحْسِنُ عِمَارَةَ الْحَالِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، وَرَمِّ مَا يَسْتَرِيحُ مِنْ جَوَانِبِ وَصَالِهَا ، بِمَا أَنْظِمُهُ مِنَ الشَّعْرِ ، وَأُحْكِمُهُ مِنْ عُقَدِ السَّحَرِ فِي رَسَائِلِي ، وَأَرُدُّهُ مِنَ الرُّسُلِ الْمُتَوَجِّهِينَ إِلَيْهَا عَلَى رَوَاحِلِي . وقيل في الحُدِّ : إِنَّهَا الْأَبْيَاتُ النَّافِذَةُ ، وَقِيلَ : هِيَ الْخَفِيفَةُ الْوِزْنُ ، اللَّاطِيفَةُ السَّبْكُ . وقيل : إِنَّهَا الْمُسْتَقَلَّةُ بَأَنْفُسِهَا ، وَيُقَالُ : بَيْتٌ أَحَدٌ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ مُضْمَنًا . وَالْمُنَوَّقَةُ : الْمَرْوُضَةُ

(١) التبريزي : « السكابي » .

(٢) التبريزي : « التجنب والهوى » و « لما عندي » .

المُدَلَّلَة من التُّوق . كذا قال الخليل . والجُرْد : السَّراع . ويقال : نَجَّاء
أَجْرَد . قال الشاعر :

* جَذَبَ الْقَرِينَةَ لِلنَّجَاءِ الْأَجْرَدِ ^(١) *

وخبر إن في قوله « لَأُحْسِنُ رَمَّ الْوَصْلِ » .

٣- وَأَسْتَخْبِرُ الْأَخْبَارَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهَا وَأَسْأَلُ عَنْهَا الرِّكَبَ عَهْدُهُمْ عَهْدِي

٤- فَإِنْ ذُكِرَتْ فَاضْتُ مِنَ الْعَيْنِ عَبْرَةً عَلَى إِحْيَايِ نَثْرَ الْجُمَانِ مِنَ الْعَقْدِ

قوله « وَأَسْتَخْبِرُ الْأَخْبَارَ » ، يجوز أن يكون على حذف المضاف وإقامة

المضاف إليه مقامه . والمراد : وأستخير ذوي الأخبار من نحو أرضها . ويجوز أن

يريد أرجع فيما أعرف من أخبارها فيما بيني وبين نفسها حالاً بعد حال ، طالبا

لاستخراج زيادة فيها ، ومستمتعا بما يكون حاصلها فيها ، فكأنني أستخير نفس

الخبر . وقوله « وَأَسْأَلُ عَنْهَا الرِّكَبَ عَهْدُهُمْ عَهْدِي » مثله قول الآخر :

* وَذِكْرُكَ مِنْ بَيْنِ الْحَدِيثِ أُرِيدُ *

استحلاء لاسمها ، وتلذذاً بذكرها .

وقوله « فَإِنْ ذُكِرَتْ » يقول : وإذا قرع سمعي ذكرها بكيت شوقاً إليها ،

ووجدتها ، فسأل الدَّمْعُ من عيني ، وانتثر ما غشي ليحيق منه نثر الجمان من

قلادة لم يُتَفَقَّدَ نظامها ، وخان سلكها ، وتناثر حباتها . وانتصب « نثر » على

المصدر من غير لفظه ، فهو كقولك : تَسَمَّتْ وميض البرق . وقوله « عَهْدُهُمْ

عَهْدِي » ، الجملة في موضع الحال من أسأل .

(١) النجاء : السرعة . والقرينة : الناقة تشد إلى أخرى .

٥٨٩

وقال عمرو بن حكيم^(١) :

١ - خَلِيلِي أَمْسَى حُبَّ خَرْقَاءَ عَامِدِي فِي الْقَلْبِ مِنْهُ وَقَرَّةٌ وَصُدُوعٌ

٢ - وَلَوْ جَاوَرْتَنَا الْعَامَ خَرْقَاءَ لَمْ نُبَلِّ عَلَى جَدِّنَا إِلَّا يَصُوبَ رَبِيعٌ

جعل « أَمْسَى » لاتصال الوقت . و« خَرْقَاءَ » : اسم امرأة . وقوله عَامِدِي :

مُمرَضِي ، يقال : أَيُّ شَيْءٍ يَغْمِدُكَ ، أَيُّ يُوْجِعُكَ . والوَقَرَةُ : الهَزْمَةُ وَالْأَثَرُ .

يقال : وَقَرَتِ الشَّيْءُ ، إِذَا جُعِلَ فِيهِ وَقَرَاتٌ . قال الهذلي^(٢) :

* فَوَقَرْتُ بَرًّا مَا هُنَالِكَ ضَائِعٌ^(٣) *

يَعْنَى بِالْبَرِّ سَيْفًا .

يقول : يَا خَلِيلِي ، إِنَّ حُبَّ خَرْقَاءَ أَمْسَى يَقْدَحُ فِي قَلْبِي ، فَقَدْ صَارَ فِيهِ مِنْ

أَجَلِهِ صُدُوعٌ ، وَأَثَارٌ وَشَقُوقٌ ، وَلَوْ اتَّفَقَ فِي هَذَا الْعَامِ مَعَهَا اجْتِمَاعٌ لَمْ نُبَلِّ وَإِنْ

أَجَدْنَا إِلَّا يَقَعُ مَطَرٌ ؛ إِذْ كَانَ التَّبَرُّكُ بِهَا ، وَالِاسْتِسْعَادُ الشَّامِلُ بِمَكَانِهَا ، يَقُومُ

مَقَامَ كُلِّ خِصْبٍ . وقوله « لَمْ نُبَلِّ » جَزَمَهُ مَرَّتَيْنِ لِأَنَّهُ كَانَ نُبَالِي ، فَدَخَلَ

الْجَازِمُ عَلَيْهِ فَخَذَفَ لَهُ الْيَاءَ فَصَارَ لَمْ نُبَالٍ ، ثُمَّ أَسْكَنَ اللَّامَ بَعْدَ أَنْ طَلَبَ تَخْفِيفَهُ

لِكَثْرَتِهِ فِي الْكَلَامِ ، فَالْتَقَى سَاكِنَانِ : الْأَلْفُ وَاللَّامُ ، فَحُذِفَتِ الْأَلْفُ لَالْتِقَاءِ

السَّاكِنَيْنِ ، فَصَارَ لَمْ نُبَلِّ ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يَنْقَاسُ . وقوله « عَلَى جَدِّنَا » فِي مَوْضِعِ

الْحَالِ ، تَقْدِيرُهُ مُجْدِيَيْنِ . وَيُقَالُ : صَابَ الْمَطَرُ يَصُوبُ ، إِذَا وَقَعَ . وَالرَّبِيعُ :

(١) التبريزي : « عمرو بن حكيم » . وفي معجم الرزباني ٢٤١ : « عمرو بن حكيم

ابن معية التيمي ، من ربيعة الجوع ، إسلامي » . وأنشد له البيت .

(٢) هو قيس بن غزيرة الهذلي . ديوان الهذليين (٣ : ٧٨) . وانظر ما سبق

في ٣٩٠ ، ١٤١ .

(٣) صدره : * فويل أم بز جر شعل على الحصى *

المصر . ويقال : ما باليتُ بكذا وكذا بالة وبالية . أى لم نُبالِ بأن تنقطع الأمطارُ على ما بقا من جذب .

٥٩٠

وقال آخر ^(١) :

١ - أَلِمَّا عَلَى الدَّارِ الَّتِي لَوْ وَجَدْتُهَا بِهَا أَهْلَهَا مَا كَانَ وَحْشًا مَقِيلُهَا

٢ - وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُعَرَّجَ سَاعَةٍ قَلِيلًا فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا

يأمر صاحبيه بزيارة دار حبيبه ، ولو كان ساعة . وخصص الدار بقوله « التى لو وجدتُها بها أهلها » ، والمعنى التى لو وجدتُها مأهولة ما كان موضعها وحشا ، أى خاليا مُحشًا ، لكثرة أهلها وكثرة غواشى النعم فيها . وفى الحديث : « أن قريشاً قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إِنَّا لَا كَرَمُ مُقَامًا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا » ، أى موضعا ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ - يعنى النبي عليه السلام وأصحابه - ﴿ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ . ويقال : بات فلان وحشًا ، أى خالى البطن ؛ وتوحش للدواء ^(٢) .

وقوله « وإن لم يكن إلا مُعَرَّجَ ساعة » ^(٣) ، يريد إلا تعريج ساعة ، وعطف ساعة . ولم يرض بأن أضاف المُعَرَّج إلى السَّاعة حتى وصفه بقوله قليلاً ، وهذا على هذا التقدير يكون من الصفات المؤكدة ، لا المفيدة ^(٤) ، كما يجب . الحال كذلك . ولا يمتنع أن يريد تعريجاً [قليلاً] ^(٥) فى ساعة ، فيكون الصفة مفيدة .

(١) قال أبو رياش : « البيت الثانى لى الرمة فى قصيدته التى أولها :

* أخرفاء للين استقلت حولها *

والبيت الثانى بنسبته إلى ذى الرمة فى ديوانه ٥٥٠ وأما القالى (٣ : ٢١٦) والتنبية لابن جنى .

(٢) يراد بالدواء المسهل . وتوحش للدواء ، إذا أخلى معدته ليكون أسهل لخروج الفضول .

(٣) فى الديوان : « فإن لم يكن إلا تملل ساعة » .

(٤) المفيدة ، بالفاء فى النسختين والتبريزى . (٥) التكملة من ل .

وقوله « فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا » يجوز أن يرتفع قليلها بنافع ، ونافعٌ خبر إن ، كأنه قال : فَإِنِّي يَنْفَعُنِي قَلِيلُهَا . ويجوز أن يكون قليلها مبتدأ ونافعٌ خبر له مقدم عليه ، والجملة في موضع خبر إن ، والتقدير إني قليلها نافعٌ لي ، وانتصب مُعَرَّجٌ على أنه خبرٌ لم يكن ، أراد : وإن لم يكن إلا مُعَرَّجٌ ساعة .

٥٩١

وقال آخر :

- ١ - ماذا عَلَيْكَ إِذَا خُبِّرْتَنِي دَنَفًا رَهْنَ الْمَنِيَّةِ يَوْمًا أَنْ تَعُودِينَا^(١)
 - ٢ - أَوْ تَجْعَلِي نُطْفَةً فِي الْقَعْبِ بَارِدَةً وَتَقْمِسِي فَالِكَ فِيهَا ثُمَّ تَسْقِينَا
- قوله « دَنَفًا » أى مُشْرِفًا على الهلاك ، وانتصابه على أنه مفعول ثالث لخُبِّرَ . وقوله « ماذا عليك » لفظه استفهام ومعناه تفرع وبعث . وانتصب « رهنَ المنية » لأنه صفة لدنفا ، ومعناه في ضمن المنية ومَلَكَتِهَا ، وكالرهنِ عندها ، إن شاءت أغلقته ، وإن شاءت فَكَّتهُ . والمراد : أى شيء عليك من أن تعودينا ، إِذَا أُخْبِرْتَنِي عَلِيلًا . فقوله « عليك » يقتضى فعلا ، وذلك الفعل يَعْمَلُ في أن تعودينا ، وقد حُذِفَ حرفُ الجرِّ منه ، أى لا عارَ عليك ولا ضررَ من عيادتنا ، ولا من مُداواننا بماء هذه صفته ، فهَلَّا فعلتِ . وقوله « يَوْمًا » ظَرْفٌ لخُبِّرْتَنِي . وقد تقدم القول في « ماذا » في مواضع^(٢) .

(١) دنفا ، بفتح النون وكسرهما ، كما ضبطت في الذختين مقرونة بكلمة « معا » فيهما .

(٢) انظر ص ٨١١ ، ٩٣٤ .

٥٩٢

وقال جميل^(١):

- ١ - بُذِينَتُ مَا فِيهَا إِذَا مَا تُبْصَّرَتْ مَعَابٌ وَلَا فِيهَا إِذَا نُسِبَتْ أَشْبُ
 ٢ - لَهَا النَّظَرَةُ الْأُولَى عَلَيْهِمْ وَبَسْطَةٌ وَإِنْ كُرَّتِ الْأَبْصَارُ كَانَ لَهَا الْعَقَبُ^(٢)
 ٣ - إِذَا ابْتَدَلَتْ لَمْ يُزْرِهَا تَرْكُ زِينَةٍ وَفِيهَا إِذَا أَزْدَانَتْ لِنِدَى نَيْقَةٍ حَسْبُ
 تُبْصَّرَتْ ، أَى اسْتَقْصَى النَّظَرُ إِلَيْهَا ، وَالْكَشْفُ عَنْ حَالِهَا . وَالْمَعَابُ :
 الْعَيْبُ . وَالْأَشْبُ : الْخَلْطُ : يَقُولُ : إِنَّهَا عِنْدَ السَّيْرِ وَالنَّظَرِ ، وَالْكَشْفُ وَالتَّامُّلُ ،
 نَقِيَّةٌ مِنَ الْعَيْبِ ، بَرِيئَةٌ مِنَ الشُّوبِ ، فَهِيَ عِنْدَ الْمُبَاغَاةِ فِي الْبَحْثِ النَّظَرَةُ الْأُولَى ،
 وَلَهَا الْبَسْطَةُ وَهِيَ النَّظَرَةُ الثَّانِيَّةُ ، وَيَعْنَى بِهَا أَنْ يُبَسِّطَ التَّمْيِيزُ عَلَى مَا يَتَجَلَّى
 مِنْ أَمْرِهَا ، وَيُسَلِّطَ التَّنْقِيرَ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّا يَخْفَى مِنْ أَحْوَالِهَا . قَالَ : وَلَهَا الْعَقَبُ
 أَيْضًا ، وَهُوَ النَّظَرُ بَعْدَ النَّظَرِ ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ الْجَرْمَى بَعْدَ الْجَرْمَى . وَالْعَرَبُ
 تَقُولُ : « النَّظَرَةُ الْأُولَى حَقْلَاهُ » فَلِهَذَا قَالَ : لِهَذِهِ الْمَرَّةِ النَّظَرَةُ الْأُولَى ، وَلَهَا
 الْكَشْفَةُ الثَّانِيَّةُ وَهِيَ الْبَسْطَةُ ، وَلَهَا الْبَحْثَةُ الثَّالِثَةُ ، وَهِيَ تَعَقُّبُ التَّجَرُّبَتَيْنِ
 بِتَجَرُّبَةٍ ثَالِثَةٍ .

وقوله « إِذَا ابْتَدَلَتْ » يَقُولُ : إِذَا تَرَكْتَ النَّزِيْنَ وَاكْتَسَتْ الْمِبَادِلَ
 لَمْ يَقْصُرْ بِهَا ذَلِكَ ، وَإِنْ تَزَيَّنَتْ كَانَ فِيهَا لِمَتَانِقِ الْكَفَايَةِ مِنْ جَمِيعِ مَا يَطْلُبُ
 فِيهَا نَفْسًا وَخُلُقًا ، وَمُتَنَسِّبًا وَخُلُقًا . وَقَوْلُهُ « لَمْ يُزْرِهَا » أَى لَمْ يُزْرِ بِهَا ، يُقَالُ :
 زَرَيْتُ عَلَيْهِ وَأَزْرَيْتُ بِهِ ، لَكِنَّهُ حَذَفَ الْجَارَ . وَقَوْلُهُ « حَسْبُ » أَى كَافٍ ،

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ١٠١ من ٣١٤ .

(٢) التبريزي : « وروى : لها النظرة الأولى عليهن بسطة » .

فهو مبتدأ . على هذا تقول : حَسْبِيَ اللهُ وحده ^(١) ، ومثل هذا قول جرير :
إِذَا حُلِيَتْ فَالْحَلَى مِنْهَا بِمَقْعِدٍ مَلِيحٍ وَإِلَّا لَمْ يَشْنِهَا عَوَاطِلُهُ

٥٩٣

وقال الحارثي ^(٢) :

١ - سَلَبَتْ عِظَامِي لَحْمَهَا فَفَرَكْتُهَا مُجَرَّدَةً تَضْحَى إِلَيْكَ وَتَخْصِرُ ^(٣)

٢ - وَأَخْلَيْتَهَا مِنْ نُحْمَا فَكَأَنَّهَا قَوَارِيرُ فِي أَجْوَاهَا الرِّيحُ تَصْفِرُ ^(٤)

يقول : أَذَيْتَنِي بِهَوَاكِ ، وانحسر اللحمُ من عظامي وتعرّت ، فهي بارزة في
النَّهَارِ لِلشَّمْسِ ، وعند الليل للبرد ، إِذَا أَوَّبْتُ إِلَيْكَ وَأَسَأَدْتُ . و « إِلَيْكَ »
موضعه بالفعل الذي يقتضيه نصبٌ على الحال ، وإنما قال هذا لأن الموزون الحرَّ
والبردُ إليه أسرع وأشدُّ تأثيراً فيه . ويقال : ضَحَى يَضْحَى ضَحًى ، أصابه حرُّ
الشمس ، وَلُفَةً : ضَحَا يَضْحُو ضُحُوًّا وَضُحُوًّا .

وقوله « وَأَخْلَيْتَهَا مِنْ نُحْمَا » ، يريد أنها أذهبت النقي من العظام أيضاً
ورققتها ، فخلت من نخها وامتشقت ، فهي كالقوارير الخالية لو هبت الريح عليها
لصقرت بما يتخللها من الريح صغيرها .

وقوله « فِي أَجْوَاهَا الرِّيحُ تَصْفِرُ » الجملة في موضع الصفة للقوارير ، وموضع
تَصْفِرُ نصبٌ على الحال إن جعلت الرِّيحَ ترتفع بالظرف ، وكذلك مجرّدة في
موضع الحال . ويروى : « فَكَأَنَّهَا أَنَايِبُ فِي أَجْوَاهَا الرِّيحُ » ، والأوّل أحسن .

(١) ابن جني في التنبيه : « ليس حسب هذه هي التي في قولك في الأمر : حسبك ينم
الناس . تلك اسم للفعل ، أي اكفف ، ولذلك جزم ينم كما يجزم جواب الأمر . لكن حسب
هنا هو ، التي في قول الله تعالى : فإن حسبك الله ، أي كافيك . وأصلهما جميعاً من قول الله سبحانه :
عطاء حساباً ، أي كافياً » .

(٢) كذا في النسختين والتبريزي . والأبيات منسوبة إلى المجنون في أمالي القالي (١ : ١٦٢) .

(٣) الأمالي : « معرفة تضحى لديك » .

(٤) وكذا في الأمالي . وعند التبريزي : « ففركتها أنايب » .

٣- إِذَا سَمِعْتَ بِأَسْمِ الْفِرَاقِ تَفَقَّعْتَ مَفَاصِلُهَا مِنْ هَوْلٍ مَا تَتَنَظَّرُ^(١)

٤- خُذِي بِيَدِي ثُمَّ أَنْهَضِي بِي تَبَيَّنِي بِي الضَّرِّ إِلَّا أَنْتِي أَنْسَرْتُ^(٢)

جمل الإخبار عن العظام ، وإن كان ما وصفه حالاً للجمل لا لها وحدها ، لقوله : سلبت عظامي لحمها . والمعنى إن ذكر الفراق يبلغ منها هذا المبلغ العظيم . وهي أنها لا رتعاها تتداخل مفاصلها ويحتك بعضها ببعض حتى تسمع لها قعقة ، وذلك لهول ما ينتظره من وقوعه في نفسه ، واستعظامه للخطب فيه وله .

وقوله « خُذِي بِيَدِي » أراد أن يُريها ما تستبعده من وصف حاله بالخبر مشاهدة ، فقال : خُذِي بِيَدِي مستنهضة لي بين لك أمري ، ويظهر المكنون فيك من ضرري ، والجلوب على من هزالي ، والمستور عنك من سوء حالي ، وقوله « إِلَّا أَنْتِي أَنْسَرْتُ » استثناء منقطع من الأول ، كأنه أراد : لكنني أنسرتُ بتجلد أظفري ، وبصبر أتق الناس به ، وفي البيت طباق بقوله تَبَيَّنِي وَأَنْسَرْتُ . وأصل تَبَيَّنِي تَبَيَّنِي ، فحذف إحدى التاءين .

تم باب النسيب ، والحمد لله على تظاهر آلائه ، وتوالي نعمائه ،
والصلاة على سيدنا محمد وآله^(٣) .

(١) الفالي :

إِذَا سَمِعْتَ ذِكْرَ الْفِرَاقِ تَقَطَّعَتْ عِلَاقُهَا مِمَّا تَخَافُ وَتَحْذَرُ

(٢) التبريزي : « ثُمَّ أَرْفَعِي الثَّوبَ فَانْظُرِي » . وأشد بعده هذين البيتين ولم يروها الفالي :

فَمَا حَيَاتِي إِنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ رَحْمَةً عَلَى وَلَا لِي عَنْكَ صَبْرٌ فَأَصْبِرُ

فَوَاللَّهِ مَا قَصَّرْتُ فِيمَا أَظْنُهُ رِضَاكَ ، وَلَكِنِّي مُحِبٌّ مَكْفَرٌ

(٣) الكلام من أول « ثُمَّ » إلى هنا لم يرد في ل .

بَابُ الْفَحَاءِ

الحمد لله

(١)

بَابُ الْمَجْنَاءِ

٥٩٤

قال موسى بن جابر (٢) :

١ - كَانَتْ حَنِيفَةً لَا أَبَالَكَ مَرَّةً عِنْدَ اللَّقَاءِ أَسِنَّةٌ لَا تَنْكَلُ

٢ - فَرَأَتْ حَنِيفَةً مَارَأَتْ أَشْيَاعُهَا وَالرَّيْحُ أَحْيَانًا كَذَاكَ تَحَوَّلُ

هذا الكلام تهكم وسخرية . ولا أَبَالَكَ : بعث وتحضيض ، وليس بنفي للأبوة ، وخبر لا محذوف ، لأن النية في لا أَبَالَكَ الإضافة ، ولذلك أثبت الألف في أبا ؛ فكانه قال لا أَبَالَكَ موجوداً أو في الدنيا . وقد مضى القول فيه مشروحاً (٣) . فيقول : كانت هذه القبيلة فيما مضى من الأيام ، وتقضى من المزار ، عند لقاء الأعداء وفيما تباشره من الأمور والأحوال ، أسِنَّةٌ لَا تَكْبُو وَلَا تَضَعُفُ ، نَفَاذًا فِي الْعَزَائِمِ وَمَضَاءً ، وَلَا تَنْبُو وَلَا تَقِفُ ، كُلُّوْلاً فِي الصَّرَائِمِ وَنُكُولاً ، فَقَدْ عَادَتِ الْآنَ مَقْتَدِيَةً بِأَشْيَاعِهَا ، وَآخِذَةً بِخِذْمِهِمْ فِي الْإِرْتِدَادِ وَالنُّكُوصِ ، وَالْإِحْجَامِ وَالنَّبْوِ ؛ وَالرَّيْحُ تَحَوَّلَ أَحْيَانًا [كَذَلِكَ ، مَرَّةً تَكُونُ شَمَالًا وَمَرَّةً

(١) التبريزي : « المجاء هو الوقعة في الأنساب وغيرها ، ورمى الإنسان بالمعائب ، وأصله النسكين ، من قولهم : هجا غريمه وجوعه وأهجي ، إذا سكن . فكانه إذا رمى الإنسان بالعيوب سكن من إشرافه . وقيل : بل معناه التفصيل ، ومنه حروف المجاء ، وهجا فلان الكلمة ، إذا فصل حروفها . فكان الشاعر إذا هجا غيره مَرْقَه وفصله » .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ١٢٣ ص ٣٦٣ . قال التبريزي رواية عن يعرف العربية « إنما سمى موسى لأنه لما رفع من بين الماء والشجر قالوا : موسى ، كأن معناه منشول ، أي نشلوه كما ينشل اللحم من القدر » . وهذا يطابق ماورد في سفر الخروج ٢ : ١٠ .

(٣) انظر ص ٥٥٠ - ٥٥١ .

جنوبا . وقوله « كذا » موضعه من الإعراب نصبٌ على المصدر من تحوّل . أراد :
والريّح تتحوّل أحيانا^(١) [تحوّلًا كذلك . أى كما عرفت .

٥٩٥

[وقال قراد بن حنش الصّاردي^(٢) :

- ١ — لقومى أرعى للعلى من عصاة من الناس يا حار بن عمرو تسودها
- ٢ — وأتم سما يعجب الناس رزها بأيدة تُنجى شديد وثيدها
- ٣ — تُقطع أطناب البيوت بحاصب وأكذب شىء برقها ورعودها
- ٤ — فويلها خيالاً بهاء وشارة إذا لا قت الأعداء لولا صدودها

يقول : لقومى أحسن رعايةً وتفقدًا ، وأوفر عنايةً وتكسبًا لأسباب العلى
وحفظ أواخيتها وموادها ، من طائفة من الناس أنت تسوسها وتدبرها ، وما
أشبهكم فى كثرة دعاويكم وقلة فعالكم إلا بسحابة تكثر بروقها ورعودها ،
ويعجب متأملها ومستمتعها ربابها وهديرها ، بريح تعدّ أبدة — أى أعجوبة
أوداهية تبقى على الأبد — شديدة الخفيف ، قطاعة لحبال البيوت بما يجىء
منها بالخصباء ، ثم تراها مخلفة^(٣) فيما وعدت من المطر ، فأكذب شىء برقها

(١) التكملة من ل .

(٢) التكملة من التبريزى وابن جنى فى التنبيه . وقال المرزبانى فى معجمه ٣٢٧ : « قراد
ابن حنش بن عبد الله بن عبد العزى بن صبيح بن سلامة بن الصارد بن مرة ، جاهلى من شعراء
غطفان المشهورين . وهو قليل الشعر جيدة ، قال أبو عبيدة : كانت غطفان تغير على شعراء
فتأخذهم وتدعيه ، منهم زهير بن أبى سلمى ، ادعى الأبيات التى أولها :

إن الرزيفة لا رزيفة مثلها ما تبغى غطفان يوم أضلت

وهم بنو الصارد بن مرة بن عوف بن غطفان . الاشتقاق ١٧٦ . قال التبريزى : « الصارد :
النافذ : صرد السهم يصرد صردا .

(٣) كذا فى ل . وفى الأصل : « مخالفة » .

اللَّمَاع ، ورغذها النَّبَّاح . والباء من قوله « بآبدة » تعلقت بقوله « يُعْجِبُ الناس » أي يعجب رزها بآبدة ، أي ومعها آبدة .

وقوله « فَوَيْلُهَا خَيْلاً » انتصب خيلاً على التمييز ، وحذفت الهمزة من أم في قوله « وَيْلُهَا » لكثرة الاستعمال ، وليس الحذف هذا بقياس . واللَّفظة تفيد التعجب . و « بهاء » انتصب على أنه مفعول له ، فيقول ساخرًا : ويْلُهَا من خيل ، لكمال بهائها ، وحسن شارتها ، عند لقاء الأعادي ، لولا انهزامها وإعراضها .

ورؤى : « لَقَوْنِي أَدْعَى لِلْعَلَى » بالدال^(١) ، والأوّل أحسن وأصوب .

والعصابة : الجماعة . وقوله « يا حارِ بن عمرو » الترقيم في قول من يقول في النداء يا حارث بن عمرو ، فيضم وينون في غير النداء ، فيقول : هذا زيد بن عمرو^(٢) . وأحسن منه في قول من يقول : يا حارث بن عمرو ، فيفتح ويجعل الأول والثاني بمنزلة شيء واحد ، وذلك أنه يُخرج آخر الاسم إذا جُبل مع الصّفة شيئاً من أن يكون آخرًا ، والترقيم يدخل الأواخر لا الأوساط .

وقوله « وأنتم سماء » يُسمّون السحاب سماء ، وكذلك المطر . ألا ترى قوله :

(١) التبريزي : « المراد أكثر دعاء إلى العلى » .

(٢) هذا نص نحوي نادر . وقال ابن جني في التنبيه : « كان القياس ألا يجوز ترقيم الاسم الموصوف بابن ، من قبل أن العلم إذا وصف بابن فلان فقد جعلاً معاً كالاسم الواحد ، ولذلك قالوا يازيد بن عمرو ، ففتحوا الأول لفتحة الثاني ، وإذا كانا كالاسم المفرد فقد حصل جزء الاسم الأول حشوا إذن لا طرفاً ، وإذا كان حشوا لم يتطرق عليه حذف الترقيم . فهذا وجه قياس امتناعه ، غير أنه جاز فيه الترقيم من حيث كان الموضع موضع إيجاز واختصار ، ولذلك حذف التنوين من الأول ، فلما جاز حذف تنوينه بفسير إضافة جاز أيضاً حذف آخره للترقيم » .

إذا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَغَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا^(١)
والرَّزُّ والوَيْدُ جميعاً : الصَّوْت . ومعنى تُنْجِي تُقِيل . وقوله « لولا
صدودُها » جواب لولا في صدر البيت ، وقد تقدَّم القول في المبتدأ بعده وبحيِّثه
بلا خبر^(٢) .

٥٩٦

وقال عمارة بن عقيل^(٣) :

- ١ — مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي عَقِيلًا رِسَالَةً فَإِنَّكَ مِنْ حَرْبٍ عَلَى كَرِيمٍ
 - ٢ — أَلَمْ تَعْلَمْ الْأَيَّامَ إِذْ أَنْتَ وَاحِدٌ وَإِذْ كُلُّ ذِي قُرْبَى إِلَيْكَ مُلِيمٌ^(٤)
 - ٣ — وَإِذْ لَا يَقِيلُكَ النَّاسُ شَيْئًا تَخَافُهُ بِأَنْفُسِهِمْ إِلَّا الَّذِينَ تَضِيمُ
- نَمْنَى أَنْ يَتَّفِقَ مِنْ يَبْلُغُ عَقِيلًا عَنْهُ رِسَالَتَهُ ، فَأَتَى بِلَفْظِ الاسْتِفْهَامِ ، وَالرِّسَالَةَ
« إِنَّكَ مِنْ حَرْبٍ عَلَى كَرِيمٍ » وَمَا بَعْدَهُ . وَبَنَى كَلَامَهُ عَلَى الاسْتِعْطَافِ ، ثُمَّ
أَخَذَ فِي التَّقْرِيعِ . وَمَعْنَى قَوْلِهِ : « إِنَّكَ مِنْ حَرْبٍ عَلَى كَرِيمٍ » إِنَّكَ تَكْرُمُ
عَلَى مَنْ جَمَلَةٌ مِنْ يَنْدَسِبُ إِلَى بَنِي حَرْبٍ^(٥) .

(١) لمعود الحكماء معاوية بن مالك ، كما في اللسان (سما) .

(٢) انظر ص ٢٨٣ .

(٣) كذا في النسختين . وعند التبريزي وابن جني : « مجلس بن عقيل بن علفة » .
وقد سبقت ترجمة عقيل بن علفة في ص ٤٠٠ . وفي الأغاني (١١ : ٨٤) نسبة الأبيات إلى
علفة بن عقيل بن علفة ، وعلفة بن عقيل أخو مجلس بن عقيل . وأما عمارة فهو عمارة بن بلال
بن جرير بن عطية بن الحطفي وكان شاعراً مقدماً فصيحاً ، يسكن بادية البصرة ويزور الخلفاء
في الدولة العباسية فيجزلون صلته ، ويمدح قوادهم فيحظى بكل فائدة . وكان النحويون بالبصرة
يأخذون عنه اللغة . الأغاني (٢٠ : ١٨٣) . ونسبة الشعر إلى عمارة نسبة خاطئة . وللأبيات
قصة في ترجمة عقيل بن علفة من الأغاني (١١ : ٨٤) .

(٤) التبريزي : « أَلَا تَعْلَمُ الْأَيَّامَ » . الأغاني : « أَمَا تَذَكُرُ الْأَيَّامَ » و « ذَمِيمٌ » .

(٥) وقد تابعه التبريزي في هذا الفهم ، وليس لعقيل بن علفة علاقة ببني حرب . وإنما
الحرب هنا العداوة والمشاكسة التي كانت مستمرة بين عقيل بن علفة وبنيه ، يعني أنه مع ذلك
يكن له إكراماً واحتراماً .

وقوله « ألم تعلم الأيام » تذكرة له بخذلان عشيرته إياه ، وتفرد به بما كان يقاسيه ، فيقول : أتذكر حين كنت فرداً وحيداً لا ناصر لك ، وإذا كان كل قريب ونسيب لك مُلياً عندك — والمُليمُ : الذي يأتي بما يُلام عليه — وحين لا وافي لك من شيء تخافه إلا الذين أنت تظلمهم الساعة . فقوله « إلا الذين » استثناء بدل ، ويجوز أن يكون في موضع النصب على الاستثناء المطلق ، والضمير العائد إلى الذين من الصلة محذوف ، استطالة للاسم ، والتقدير : تضييهم ، أي تظلمهم .

وقوله : « ألم تعلم الأيام » ، ألم : يقرّر به فيما ثبت ووقع . ويروى « الأيام » بالرفع ، و « الأيام » بالنصب . فإذا رويت الأيام بالنصب يكون الخطاب لتعيل ، ويكون تعلم بمعنى تعرف . والمعنى : أما عرفت الأيام التي كان حالك فيها ما ذكرت ، وأنسى تلك الأيام . والمراد بالأيام حوادث الدهر . وقوله « إذ أنت » ظرف لها ، وإذا رفقت الأيام يكون المعنى : ألم تعرف الأيام حالك وقصتك — والمعنى أهل الأيام وأصحاب الأيام — حين كنت كذا وكذا . فيكون الكلام على حذف المضاف .

- ٤ — أترقع ونهى الأبعدين ولم يقيم لوهيك بين الأقربين أديم^(١)
 ٥ — فأما إذا عصت بك الحرب عصة فإنك معطوف عليك رحيم
 ٦ — وأما إذا آنت أمتاً وريحوة فإنك للقربى ألد خصوم^(٢)

وقوله^(٣) : أترقع لفظه استفهام ، ومعناه التقرير ، فيقول : إنك تسعى في

(١) رواية الأغاني :

تناول شأوا الأبعدين ولم يقيم لشأوك بين الأقربين أديم

(٢) التبريزي : « خصم » لكن شرحه يدل على أن الكلمة محرفة ، فهو يقول نقلا عن المرزوقي ، وإن لم يصرح كمادته : « والخصوم بناء للبالغة ، وهو أبلغ من خصم لأنه أشد تباعداً من أبنية أسماء الفاعلين » . وانظر ما سيأتي في الحواشي من كلام ابن جني .
 (٣) هذا ما في ل ، وفي الأصل : « يقول » .

استعطاف الأبعد وإدنائهم ، وإصلاح الفاسد من أحوالهم ، رجاء الثناء أمرك بهم ،
وقد أفتَ نفسك حظك من أقاربك ، ومن تحدُّ بهم عليك ، لتسعيك في إفساد
أحوالهم ، ونَحْتِ أثْلَتِهِمْ ، وتضييع غيتهم . وهذا رأى فائلٌ ، وتوفيق سيِّئ .
وقوله « لم يَقم لوهيك » ، يريد بالوهى الذى يحصلُ بك وبئلبك واغتيا بك .
وذِكر الأديم مثْلُ ، أى لا يَبْقَى أصله لتمريرك ، ولا يثبت صحته لتخريتك .
ويقال : فلانٌ صحيحُ الأديم ، وفلانٌ نَقِلُ الأديم . وفى المثل : « أَوْسَعَتْ
وهيّا فارقة » .

وقوله « فأما إذا عَصَّتْ بك الحربُ عَصَّةً » يريدُ : أنك إذا نابتكَ نائبة ،
وأصابتك من أزمات الزمان وعصاته أزمة ، وأجأتك من مصارف الحرب
ضغطة فإنك تستعطف عليك ذَوِيكَ وعشيرتَكَ ، وتمتد رحمتهم لك ، وتطلب
شفقتهم والأخذ بالفضل فيك . وقوله « رَجِيمٌ » هو فَعِيلٌ فى معنى مفعول ،
أى إنك معطوفٌ عليك مرحوم .

وقوله « وأما إذا آنستَ » ، يقول : أَمَا إذا أَمِنْتَ ووجدتَ من مضايقتك
رخاء ، ومن شدائدك ليناً ، على حسب عادة الدهر فى تلؤنه ، فإنك تخرجُ
خصماً ألدَّ لهم ، تطلب إغلاق الحجج عليهم ، وتسدُّ أبواب الخير دونهم ،
وتصرف مَفَاحِ الرُّشْد عن وجوههم وطرقهم ، وهذا غاية اللؤم وسوء الاختيار .
والألدُّ : الشَّدِيدُ الخصومة ، العَسِيرُ الانقياد . وهو الِيلَنَدَدُ والأَلَنَدَدُ . والخصومُ :
بناء المبالغة ، وهو أبلغ من خصيم ، لأنَّه أشدُّ تباعداً من أبنية أسماء الفاعلين ^(١) .

(١) ابن جنى : « خصوم أشد مبالغة من خصيم ، لأنها أقرب إلى الأصل الذى هو
فعل ، أعنى المصدر . فإن قلت : فإذا كانت فعول أشد مبالغة من فَعِيل فهل جاءت الآية
بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قيل : قد حصلت المبالغة بالرحمن ، لأنَّ فعلاً من أبنيتها . وقد قال
ابن عباس : لانهما اسمان رقيقان من الرحمة أحدهما أرق من الآخر ، يعنى الرحيم ، فلما كانت الرحمة
فى الأصل من بنى آدم رقة ولينا وكانت هنا رافة وتعطفاً ، كان فَعِيلُ أليق لها لفظاً من فعول » .

٥٩٧

وقال أرتاة بن سهية المري^(١) :

١ — تَمَنَّتْ وَذَاكُم مِّنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهَا لِأَهْجُوهَا لَمَّا هَجَّتْنِي مُحَارِبُ

٢ — مَعَاذَ الْإِلَهِ ، إِنِّي بِقِيَلَتِي وَنَفْسِي عَنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ لَرَاغِبُ

ارتفع قوله « محارب » بفعلها وهو تَمَنَّتْ . فيقول : تَمَنَّتْ هذه القبيلة لما تَحَكَّكْتُ بِي وَهَجَّتْنِي ، وَتَشَبَّهَتْ بِمَقَابِلَتِي إِيَّاهَا بِمَنْزِلِ مَا فَعَلَتْ ، وَذَلِكَ لَخِفَّةِ رَأْيِهَا ، وَتَنَاهَى جَهْلُهَا . فقوله « وَذَاكُم » الواو الواو الابتداء ، وهى للحال ، وَذَاكُم ابتداء ، وَمِنْ سَفَاهَةِ خَبَرُهُ . وَتَلْخِصُ الْبَيْتَ : تَمَنَّتْ مُحَارِبُ لَمَّا هَجَّتْنِي لِأَنَّهُ أَهْجُوهَا ، وَذَاكُم مِّنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهَا . والمراد : حَدَّثَتْ مُنَادِيَهَا لَهْجَوى لها . ومثله :

* أَرِيدُ لِأَنِّي ذِكْرَهَا^(٢) *وفي القرآن : ﴿ يَرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ^(٣) 》 .

وقوله معاذ الإله انتصب على المصدر ، أى أعوذ بالله معاذاً من أن آنَ ذلك ، لِأَنِّي أَرُغِبُ بِنَفْسِي وَأَرَبُّ بِأَصْلِي عَنِ الْوُقُوفِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ ، وَأَصُونُ شَرَفِي وَأَرْفَعُ عَقْلِي عَنِ مُسَاوَقَتِهِمْ لَفْظًا بِانْفِظْ ، وَفَعَلًا بِفَعَلَ .

(١) سبقَت ترجمته في الحاشية ١٣٥ س ٣٩٧ .

(٢) قطعة من بيت لكثير في أمالي الفالي (١١٩ : ٣) . وهو بتمامه :

أَرِيدُ لِأَنِّي ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلَ لِي لَيْسَ بِكُلِّ سَبِيلِ

(٣) التبريزي : « فإذا جعل تَمَنَّتْ مِنَ الْأَمَانِي الْمَعْرُوفَةِ فَلَمَعَنِي وَدَتْ أَنِّي أَهْجُوهَا لِتَفْخَرُ بِذَلِكَ ، وَيَكُونُ الْفِعْلُ وَاقِعًا عَلَى مُضَرِّ مَحْذُوفٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : تَمَنَّتْ أُمُورًا لِأَهْجُوهَا . وَأَكْثَرُ السَّكَامِ تَمَنَّتْ أَنْ يَكُونَ كَذَا ، فَيَصِلُ الْفِعْلُ إِلَى أَنْ وَصَلَتْهَا مِنْ غَيْرِ حَرْفٍ مَتَوَسِّطٍ ... وَإِذَا جَعَلَ قَوْلُهُ تَمَنَّتْ فِي مَعْنَى كَذَبَتْ فَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ تَكْذَبُوا عَلَى فِي الْهَجْوِ لِأَغْضَبَ فَأَهْجَوْهُمْ » .

٥٩٨

وقال زميل^(١) :١- إني امرؤ أطوى لمولاي شير^(٢) ، إذا أثرت في أخذعنيك الأنامل٢- خلقت على خلق الرجال بأعظم^(٣) خفاف تطوى بينهم الأنامل٣- وقلب جلت عنه الشؤون وإن نشأ^(٤) يُخبرك ظهر الغيب ما أنت فاعل

يصف نفسه في البيت الأول بأنه يكف أذاه عن مولاه ، وأنه إذا أجمع أهل الرأي على نسبة مخاطبه إلى القدر ، والخيانة والشر ، فأشاروا بأصابعهم إذا ولى إلى قفاه ، فقالوا : هذا قفا غادر ، فإنه يطوى شيرته في ذلك الوقت عن مولاه ومكروهه ، فلا يُعنيت نسبيا ، ولا يؤذى جارا قريبا ولا غريبا .

وقوله « خلقت على خلق الرجال » تبجح في هذا البيت بأنه شخت من الرجال قليل اللحم ، مديد القامة ، فخلقه خلق الرجال لاخلق النساء ، فلا يشينه سمنة^(٥) ولا فشل^(٦) ، ولا يقعد به آفة ولا كسل ، فأعظمه خفاف ، ومفاصله بينها مطوية ممحصاة لطاف .

وقوله « وقلب » عطفه على بأعظم ، يريد : وقلب هذبهُ الأمور ، وكشف عنه الطبع والزين مزاوله الشؤون ، فهو بتجاربه يتصور ما لم يكن بصورة ما قد كان ، ومتى شئت أخبرك بخبره ومعرفته ، وفرط شهامته وتمييزه ،

(١) التبريزي وابن جني : « وقال زميل بن أبيه » ، وزميل وأبى بهيمة الصغير ، ويقال في اسم أبيه أيضا « وبيير » و « دبير » . وهو من مخضري الجاهلية والإسلام ، أحد بني عبد الله بن عبد مناف وهو قاتل ابن دارة في خلافة عثمان ، ويقال فيه أيضا « زميل بن أم دينار » منسوب إلى أمه . المؤلف والمختلف ١٢٩ والإصابة ٣٩٧٣ والخزانة (١: ٢٩٣) - (٢٩٤) ، وكان بينه وبين أرمطة بن سمية مهاجرة .
(٢) المعروف في السنة أنها دواء السمن .

وَحِدَّةَ نَظَرِهِ وَبَصِيرَتِهِ بِمَا أَنْتَ فَاعِلُهُ بظَهِرِ الْغَيْبِ . وانتصب « ظَهَرَ الْغَيْبِ »
على الظَّرْفِ ، و « ما أنت » ما فيه بمعنى الذى ، وأنت فاعل من صلته ، وقد
حذف حرف الجرِّ معه ، كأنه قال : يُخَبِّرُكَ بِمَا أَنْتَ فَاعِلُهُ . ويقال : خَبَّرْتُهُ
كَذَا وَخَبَّرْتَهُ بِكَذَا ، وَحَدَّثْتُهُ كَذَا وَحَدَّثْتَهُ بِكَذَا .

٤- وَلَسْتُ بِرَبِّ لِمِثْلِكَ احْتَلَمْتُ بِهِ عَوَانَ نَأْتُ عَنْ فَحْلِهَا وَهِيَ حَافِلٌ^(١)

٥- فَجِئْتُ ابْنَ أَحْلَامِ النَّيَامِ وَلَمْ تَجِدْ لِيَصْهَرِكَ إِلَّا نَفْسَهَا مِنْ تَبَاعِلٍ^(٢)

كان رواية الناس قبلنا « احتملت به » والصواب « احتملت به » ، بدلالة قوله
« فَجِئْتُ ابْنَ أَحْلَامِ النَّيَامِ » . والرَّبُّ : السَّيِّدُ الرَّطْبُ ، وقد تقدم ذكره
وتصاريفه^(٣) . والعَوَانُ : النِّصْفُ مِنَ النِّسَاءِ ، والفعل منه عَوَّنتُ ، ويقال :
عَانَتِ الْبَقَرَةُ عَوْنًا ، صَارَتْ عَوَانًا . وَحَرْبُ عَوَانَ : قُوَّةٌ فِيهَا مَرَّةٌ بَعْدَ أُخْرَى
فيقول : لَسْتُ بِرَطْبٍ مُسْتَرْخٍ مِثْلِكَ ، احْتَلَمْتُ بِهِ امْرَأَةً عَوَانَ بَعْدَ عَهْدِهَا
بِفَحْلِهَا ، وَهِيَ مِمَّا تُشَبَّهُ شَبَقًا ، فَعَمِلَتْ فَجَاءَتْ مِنْ احْتِلَامِهَا بِكَ . والمعنى : أَنَّهُ
لَا وَالِدَ لَكَ إِلَّا مَا رَأَتْ أُمُّكَ عِنْدَ شِدَّةِ غَلَمَتِهَا مِنْ احْتِلَامِهَا ، فَأَنْتَ شَرٌّ مِنْ
يَحْيَى لَزِينَةٍ . ومعنى « وَلَمْ تَجِدْ لِيَصْهَرِكَ » أى لَمْ تَصَاهِرْهُ فِيكَ ، أى تَخَالَطَهُ .
وقال الخليل : الصَّهْرُ حُرْمَةُ الْخَتَنِ . وَخَتَنُ الْقَوْمِ : صِهْرُهُمْ . وَحُسْكِي عَنْ أَبِي
الدَّقِيشِ^(٤) : أَصْهَرَ بِهِمُ الْخَتَنَ ، أى صَارَ فِيهِمْ صِهْرًا . فيقول : لَمْ تَجِدْ خَتَنًا

(١) التبريزى عن أبى محمد الأعرابى : « ليس لزميل ، بل هو لأرملة بن سمية يهجو
زميلا . ونظام البيت أيضا مختل ، والصواب :

ولست بريل مثلك احتملت به عوان نأت عن بعلها وهى حائل
فجئت ابن أحلام النيام ولم يكن لبضعك إلا طهرها من تباعل »

(٢) التبريزى : « لظهرك » وقال : « أى للطهر الذى حملتك فيه . ومن روى :
لظهرك ، فالعنى للطهر الذى خرجت منه » .

(٣) انظر ما سبق فى ص ٧٨٨ .

(٤) أبو الدقيش القناني القنوى ، أحد الأعراب الفصحاء الذين أخذت عنهم اللغة =

إِلَّا نَفْسَهَا ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ الْإِحْتِلَامُ لَمْ يَتَجَاوَزْهَا ، وَإِذْ كَانَ مِبَاعِلَةَ النَّفْسِ عَلَى مَا وَصَفَهُ إِنَّمَا حَصَلَتْ عَنْ شَبَقِي وَلِزُومِ ذِكْرِ الْجَمَاعِ فِي الْيَقِظَةِ . وَإِلَّا نَفْسَهَا : مَسْقُتِي مُقَدِّم . وَقَوْلُهُ « ابْنُ أَحْلَامِ النَّيَامِ » نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ ، لِأَنَّ أَحْلَامَ النَّيَامِ لَا يَتَخَصَّصُ ، فَلَا يَصِيرُ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَعْرِفَةً ^(١) .

٥٩٩

وَقَالَ خَارِجَةُ بْنُ ضَرَارِ الْمُرِّي ^(٢) :

١- أَخَارَجَ هَلَّا إِذْ سَفِهَتْ عَشِيرَةً كَفَفَتْ لِسَانَ السَّوْءِ أَنْ يَتَدَعَّرَ ^(٣)

٢- وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا حَوْنَكِيًّا أَلَا قَهْ بَنُو عَمِّهِ حَتَّى بَغَى وَتَجَبَّرَا

٣- فَإِنَّكَ وَاسْتَبْضَاعَكَ الشَّعْرَ نَحْوَنَا كَمَسْتَبْضِيعِ تَمْرًا إِلَى أَهْلِ خَيْرَا ^(٤)

قَوْلُهُ « سَفِهَتْ عَشِيرَةً » ، قَالَ يُونُسُ : سَفِهَ لَفْعٌ فِي سَفَةٍ ، وَعَلَى هَذَا تَنْصِبُ عَشِيرَةً عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِمَّا يُنْقَلُ عَنْهُ الْفِعْلُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : سَفِهَتْ عَشِيرَتَكَ فَتَنْقَلُ السَّفَةُ إِلَى نَفْسِهِ فَقَالَ : سَفِهَتْ ، فَأَشْبَهَ عَشِيرَةَ الْمَفْعُولِ ، فَتُنْصَبُ فَصَبَّ التَّمْيِيزُ . وَقَوْلُهُ « يَتَدَعَّرُ » أَيْ يَحْبُبُ وَيَفْجُرُ . يَقَالُ : رَجُلٌ دَاعِرٌ بَيْنَ

== فَهَرَسَتْ ابْنُ النَّدِيمِ ٧٠ . وَقَالَ التَّبْرِيزِيُّ فِي شَرْحِ الْحَمَاسِيَةِ ٦٠٠ : « قَالَ اللَّيْثُ : قُلْتُ لِأَبِي الدَّقِيشِ : مَا الدَّقِشُ ؟ فَقَالَ : لَا أَدْرِي . فَقُلْتُ : فَمَا الدَّقِيشُ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَا هَذَا أَدْرِي . قُلْتُ : فَكَتَبْتِ بِمَا لَا تَدْرِي مَا هُوَ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّمَا الْأَسْمَاءُ وَالْكُنَى عِلَامَاتٌ » .

(١) أَوْضَحَ مِنْهُ قَوْلُ ابْنِ جَنِّي فِي التَّنْبِيهِ : « فَإِنْ قُلْتُ : فَإِنَّهُ مَعْرِفَةٌ . قِيلَ : لِمَا كَانَ مِثْلًا لَا حَقِيقَةً تَحْتَهُ عَادَ بِهِ الْمَعْنَى إِلَى التَّنْكِيرِ » .

(٢) التَّبْرِيزِيُّ : « وَفِي بَعْضِ النُّسخِ : وَقَالَ زَمِيلٌ لَخَارِجَةَ بْنِ ضَرَارٍ » . وَأَنْشَدَ صَاحِبُ اللِّسَانِ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ مَنْسُوبَةً إِلَى خَارِجَةَ بْنِ ضَرَارِ الْمُرِّي ، وَتَقَالُ عَنْ ابْنِ بَرِيٍّ أَنَّهَا تَرَوَى لَزْمِيلِ ابْنِ أَبِي يَهْجُو خَارِجَةَ . وَالشَّعْرُ عَلَى رِوَايَةِ الْمَرْزُوقِيِّ يُنْطَقُ بِأَنَّ قَائِلَهُ غَيْرُ خَارِجَةَ . وَفِيهِمْ مَنْ هَذَا أَيْضًا أَنَّ « خَارِجَةَ » كَانَ مُعَاَصِرًا لَزْمِيلِ بْنِ أَبِييرِ الْمُتَرَجِّمِ آنِفًا .

(٣) التَّبْرِيزِيُّ : « أَخَالِدٌ » وَبِذَا تَقَرَّبَ نِسْبَةُ الشَّعْرِ إِلَى خَارِجَةَ . وَرَوَى فِي اللِّسَانِ مَرَّةً : « أَخَالِدٌ » وَمَرَّةً : « أَخَارَجٌ » .

(٤) التَّبْرِيزِيُّ : « أَرْضُ خَيْرَا » .

الدَّعَارَةُ . وَحُسْبِي : فِي خَلْقِهِ دَعَارَةٌ ، فِي مَعْنَى زَعَارَةٍ ، وَعَلَى زَنْتِهِ . وَمِنْهُ عُودُ دَعِرٍ ، أَيْ كَثِيرِ الدَّخَانِ . وَالْحَوْتُكِيُّ : الضَّأْوِيُّ الضَّعِيفُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الْحَوْتُكُ وَالْحَوْتُكِيُّ : الْقَصِيرُ الضَّعِيفُ . وَمَعْنَى الْأَقَهْ : الْأَصَقَهُ وَصَمَّهُ أَبْنَاهُ عَمَّهُ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَبَغَوْا لَمَّا رَأَى ذَلِكَ . وَاسْتَبْضَاعُ السَّلْعَةِ : أَنْ تَحْمِلَهَا بِنَفْسِكَ ؛ وَابْضَاعُهَا : بَعْثُهَا ، وَكَأَقِيلٍ فِي الْمَثَلِ : « كَسْتَبْضِعَ تَمْرًا إِلَى أَهْلِ خَيْبَرَ » لِكثْرَةِ نَخْلِهَا ، قِيلَ أَيْضًا « كَسْتَبْضِعَ التَّمْرَ إِلَى أَهْلِ هَجَرَ » ، وَهَذَا كَمَا قِيلَ « كَسْتَبْضِعَ الْمَلَحَ إِلَى بَارِقٍ » .

وَمَعْنَى الْأَبْيَاتِ : هَلَا إِذْ كُنْتَ سَفِيهَ الْعَشِيرَةِ لثِمَ الْفَصِيلَةِ ، أَمْسَكَتَ عَنِ الْخُلَا وَالْفُحْشِ ، وَصُنْتَ نَفْسَكَ وَلَمْ تَمْرُضْهَا لِلْهَجَاءِ الْمُبْضِ . هَذَا وَمَا كُنْتَ إِلَّا حَقِيرًا قَلِيلًا ، قِيمًا صَغِيرًا ، رَقَّ لَهُ أَقَارِبُهُ بَعْدَ مَا كَانُوا يَنْقُونَهُ وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْهُ ، فَالْصَّقُوهُ بِأَنْفُسِهِمْ ، فَطَغَى مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَعْلَى . وَأَمَّا عَلِمْتَ أَنَّكَ وَحَمَلْتَ الْهَجَاءَ إِلَيْنَا فِي النَّدَمِ وَالْخُسْرَانِ ، وَسُوءِ الْعَاقِبَةِ ، كَمَنْ حَمَلَ التَّمْرَ إِلَى خَيْبَرَ يَتَجَرُّ فِيهِ ، فَرَجَعَ نَادِمًا ، وَحَصَلَ خَاسِرًا .

٦٠٠

عُمَارَةُ بْنُ عَقِيلٍ^(١) :

- ١- بَنِي مُنْقِذٍ لَا آمَنَ اللَّهُ خَوْفَكُمْ وَزَادَكُمْ ذُلًّا وَرِقَّةً جَانِبِ
 - ٢- فَمَنْ يَرْتَجِيكُمْ بَعْدَ نَائِلَةِ الْآتِي دَعَتْ وَيُلْهَى لَمَّا رَأَتْ ثَارَ غَالِبِ
 - ٣- دَعَتْهُ فِي أَثْوَابِهِ مِنْ دِمَائِهَا خَلِيطًا دَمٍ مِنْ تَوْبِهِ غَيْرِ ذَاهِبِ
- فَنَائِلَةُ : امْرَأَةٌ زُوِّجَتْ قَاتِلَ أَبِيهَا أَوْ أَخِيهَا ، فَجَعَلَ عُمَارَةُ يَعْيِّرُهُمْ ذَلِكَ .

(١) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحَاسِبَةِ ٥٩٦ ص ١٤٣٢ .

والعرب تقول : دمُ فلانٍ في ثوبِ فلان ، إذا كان قاتله .

قال أوس بن حجر :

نُبِيتُ أَنْ دَمًا حَرَامًا نِلْتَهُ فَهَرِيقَ فِي ثَوْبٍ عَلَيْكَ مُجَبَّرٍ

وقال الفرزدق :

تَمَشَّى حَرَامٌ بِالْبَقِيعِ كَأَنَّهَا نَشَاوَى فِي أَثَوَابِهَا دَمُ سَالِمٍ^(١)

فيقول : أبدلكم الله يا بني مُنْقِذَ الْأَمْنِ خَوْفًا لَا يَفَارِقُكُمْ ، وزادكم على مرَّ
الْأَيَّامِ ذُلًّا وَخُسُوعًا ، وَلَيْنَ نَجَسٍ وَسُقُوطَا ، فَإِنَّهُ لَا يُعَلِّقُ الرَّجُلُ بِكُمْ ،
وَلَا يَسْتَنِيمُ أَحَدٌ إِلَيْكُمْ ، بعد نائلة التي دَعَتِ بِالْوِيلَاتِ لَمَّا رَأَتْ نَارَ غَالِبٍ أَخِيهَا
أَوْ أَيْبِهَا ، وَقَدْ مَلَكَتُمُوهُ أَمْرَهَا ، وَجَعَلْتُمُوهُ بِالتَّزْوِيجِ قَيْمَهَا ، ثُمَّ قَالَ : دَعَتِ نَائِلَةَ
الْوَيْلِ فِي أَثَوَابِ زَوْجِهَا لَهَا خَلِيطًا دَمَ هَا دَمُ أَيْبِهَا أَوْ أَخِيهَا ، بِقَتْلِهِ لَهُ ؛ وَالثَّانِي
دَمَ عُذْرَتِهَا ، لِتَزْوَاجِهَا ، فَهَمَا لِأَزْمَانٍ لَثَوِيهِ لَا يَفَارِقَانِهِ . وَيُرْوَى « شَرِيحًا
دَمٍ » . وَكُلُّ لَوْنَيْنِ اجْتَمَعَا فَهَمَا شَرِيحَانِ . وَقَوْلُهُ « غَيْرُ ذَاهِبٍ » ، غَيْرُ صِفَةٍ
لِدَمٍ ، وَيُرْوَى : « مُهْرَاقُهُ غَيْرُ ذَاهِبٍ » ، وَيَكُونُ الْجُمْلَةُ صِفَةً لِدَمٍ أَيْضًا . وَقَوْلُهُ
« مَنْ يَرْتَجِمُكُمْ » اسْتَهْأَمَ عَلَى طَرِيقِ التَّقْرِيعِ ، وَفِيهِ مَعْنَى التَّنْفِي ، أَيْ لَا يَرْجُوكُمْ
أَحَدٌ . وَمَعْنَى « دَعَتْ وَيْلَهَا » صَاحَتْ بِالْوَيْلِ لِي . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ
أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

(١) حرام : قبيلة ، وهم بنو حرام بن سمال بن سليم بن منصور . الاشتقاق ١٨٧
والمعارف ٣٨ . والبيت من أبيات في هجاء عبد الله بن خازم السلمي ثم الحرامي ، وكان قتل
مولى لبني يربوع بنجراسان يقال له سالم . ورواية الديوان ٧٧٦ : « كَأَنَّهَا حَبَالٌ » .

٦٠١

وقال طرفة بن العبد^(١) :

- ١ — وفَرَّقَ عن بَيْتَيْكَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ وعَمْرًا وَعَوْفًا مَا تَشَى وتَقُولُ
 ٢ — وَأَنْتَ عَلَى الْأَذْنَى شِمَالُ عَرِيَّةٍ شَامِيَّةٌ تَرَوِي الْوُجُوهَ بَلِيلُ
 ٣ — وَأَنْتَ عَلَى الْأَقْصَى صَبَاغُ قَرَّةٍ تَذَاءَبَ مِنْهَا مُرْزِغٌ وَمُسِيلُ
 ٤ — وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّهُ إِذَا ذَلَّ مَوْلَى الْمَرْءِ فَهُوَ ذَلِيلُ^(٢)

قوله « ما تشى » فى موضع الفاعل لفرَّق . و « ما » إن شئت جعلته بمعنى الذى ، وصِلَتْهُ تَشَى ، والضمير العائد من الصلة إليه محذوف كأنه قال : ما تشيه وتقولُه . وإن شئت جعلت ما حرفاً ويكون مع الفعل فى تقدير مصدر ، ولا يحتاج إلى ضمير من الصلة يعود إليه ، لكونه حرفاً ، ويكون التقدير وشائتك وقولك . ويعنى ببيتَيْك : أخواله وأعمامه . فيقول : فرَّقَ عن بيتي أهلي وذويك من قبل أبيك وأُمِّك ما تاتيه من إبلاتٍ تنقوُلها ، ونمائم تخلقها وتصنّفها : سعد بن مالك وعمرًا وعوفًا ؛ وإنما يعنى بهم أخذاً وبطوناً كان

(١) طرفة بن العبد : أحد شعراء الجاهلية الذين تنسب إليهم المعلقات ، وطرفة لقب له ، واسمه عمرو . والطرفة بالتحريك : واحدة الطرفاء ، وهو الأثل . وقال طرفة الشعر صغيراً ، بروون أنه قتل وهو ابن عشرين فيقال له : ابن العشرين . وقيل : وهو ابن ست وعشرين ، وفى ذلك قول أخته فى رثائه :

عددنا له ستاً وعشرين حجة فلما توفاهما استوى سيداً ضخماً

وخاله المنلس الضبعى صاحب الصحيفة . انظر الخزانة (١ : ٤١٢ — ٤١٧) والشعراء ١٣٧ — ١٤٩ والأغاني (٢١ : ١٢١ — ١٣٢) .

(٢) الأبيات من قصيدة فى ديوانه ٥٠ — ٥٣ يهجو بها عبد عمرو بن بشر بن عمرو ابن مرشد . وأُشيد بعده التبريزى :

وإنَّ لسانَ المرءِ ما لم تكنْ له حصاةً على عوراته لدليلُ

ضَلَعُهُمْ مَعَهُمْ^(١) ، فلم يَزَلْ يَسْعَى بِالْتَحْرِيشِ ، وَيَمْشِي بِالتَّيْمِمْ ، حَتَّى فَرَّقَ جَمْعَهُمْ ، بِمَا أَوْقَعَ مِنَ الشَّرِّ فِيهِمْ .

وقوله « وأنت على الأدنى شمالٌ عَرِيَّةٌ » فالعَرِيَّةُ : الباردة ، ومنه قولهم : عُرِواءُ الحُمَى . فيقول : أنت على أقاربك في سوء اعتقادك لهم ، وسؤوك الشَّرَّ إليهم ، وجَرَّكَ الجرائر عليهم ، بمنزلة الريح الشمال الباردة ، المحرقة للوجوه ، إذا هَبَّتْ في الشتاء ، ويَضْحِبُهَا بَلَلٌ من المطر ، وَنَدَى يُقْبِضُ الجِلْدَ ، وَيُجَفِّفُ الْفُصْلَ والوجه . وإنما قال شامية ، وإن كان الشمال لا تهب إلا من ناحية الشام تأكيذاً . والصفات كما تجيء مُفِيدَةٌ مُمِيزَةٌ^(٢) تجيء أيضاً مؤكدة لا تُفِيدُ في الموصوف أكثر مما عُرِفَ فيه . وعلى هذا قد تجيء الأحوال أيضاً ، لكونها صفات في الأصل .

وقوله « وأنت على الأقصى صَبَاً غيرُ قَرَّةٍ » يريد أنه على الأجانب في تعطفه عليهم ، والانطواء على الجميل لهم ، بمنزلة ريح الصَّبَا تَهْبُ ولا بَرْدَ معها . وقد تَدَاعَبَ منها ، أَيْ تَسَهَّلَ واضطربَ من أجلها . والذئب فيمن همزَه منه اشْتَقَّ ، لأنه كلما طُرِدَ من جانب يتسهَّلُ ويحصل من جانب آخر ، لوقاحته . والمُرْزَغُ : الذي يأتي بالرزغة ، وهى الوَحْل . والمُسِيلُ : اللذيب للجامد . والمعنى : أنت للأجانب بمنزلة القبول التي تُرْزَغُ الأرض في مهابها ، وتُسِيلُ التَّلَاعَ ، وَتَبُثُّ الخَيْرَ ، وتُوسِّعُ الحِصْبَ .

وقوله « وأعلم علماً ليس بالظن » لما كان لفظة العِلْمِ قد يُطَاقُ على الظنِّ الغالب ، لقيامه مقام ما هو عِلْمٌ في الحقيقة ، أَكَّدَ قوله وأعلم بقوله ليس بالظن ، وَبَيَّنَ بهذا الكلام الخطأ فيما يأتيه المخاطب ، وأنه إذا أفات نفسه حفظه من

(١) الضلع ، بالفتح : الميل والهوى .

(٢) في الأصل : « لا مميزة » ، صوابه في ل .

أقاربه وعشائره بسوء معاملته ، فإنه لا يستفيد من الأجانب ما عند الحاجة يُفنى ، وإذا ذلَّ أتباعه ولم يستبقهم لنفسه فالذلُّ لاحقٌ له ، ومُحتَفٌّ به . وبهذا الخطاب نعى عليه فعله ، وبين له سوء التدبير فيما اختاره ، وفعل الغواية فيما اعتقده واعتاده . والضمير من قوله « إنه » للأمر والشأن ، كأنه قال : وإن الأمر الحق إذا ذلَّ ابنُ عمِّ المرء فهو ذليل .

٦٠٢

بُشَيْرُ بْنُ أَبِي جَذِيمَةَ^(١) :

- ١ - أَتَخْطِرُ لِلْأَشْرَافِ يَا قِرْدَ جَذِيمٍ وهل يَسْتَعِدُّ الْقِرْدُ لِلْخَطَرَانِ^(٢)
 - ٢ - أُنَبِّئُ قِصْرَ الْأَذْنَابِ أَنْ يَخْطُرُوا بِهَا وَلَوْمْ بَنَى قِرْدٌ بِكُلِّ مَكَانٍ^(٣)
 - ٣ - لَقَدْ سَمِنَتْ قَعْدَاكُمْ آلَ جَذِيمٍ وَأَحْسَابُكُمْ فِي الْحَيِّ غَيْرُ سِمَانٍ^(٤)
- قوله « أَتَخْطِرُ » لفظه لفظ الاستفهام ، والمعنى التبكيت . ولما كان المخاطب من بني قِرْدٍ^(٥) جعله قِرْدًا في الحقيقة . والخطَرُ : أصله إشالة الذنب من الفحل عند هياجه ومصاولته لفحلٍ آخر ، فاستعاره لفعل هؤلاء المخاطبين لما حَدَّثُوا أنفسهم بمباراة الأشرافِ ومساجلتهم . فيقول : أَتَحَدَّثُ نَفْسَكَ عَلَى بَاعِكَ

(١) التبريزي : « بشير بن أبي بن جذيمة بن الحكم بن مروان بن زنباع بن جذيمة » . وهو بشير ، بهيئة التصغير ، ابن أبي جذيمة بن الحكم بن مروان بن زنباع بن جذيمة العبسي . ذكره الأمدى في المؤلف والمختلف ٦١ .

(٢) أنشد الجاحظ هذه الأبيات في الحيوان (٤ : ٦٧) . ورواية هذا البيت عنده : « أَتَخْطِرُ لِلْأَشْرَافِ جَذِيمَ كَبْرَةٍ . وَالْكَبْرَةُ بِالْكَسْرِ : التَّجَبُّرُ وَالْكِبَرُ .

(٣) التبريزي : « أَنْ يَخْطُرُوا بِهَا » . الجاحظ : « وَلَوْمْ قَرَدٌ وَسَطَ كُلِّ مَكَانٍ » .

(٤) الجاحظ : « لَقَدْ سَمِنَتْ قَرْدَانُكُمْ » . والفردان ، بالكسر : جمع قراد بالضم ، وهي دويبة تلزم الإبل ومعاطنها . وسئل أبو الندى عن معنى هذا البيت فقال : « كُنِيَ بِالْفَرْدَانِ هَاهُنَا عَنْ الْقَمَلِ ، أَيْ سَمِنَتْ أَجْسَامُكُمْ وَدَقَّتْ أَحْسَابُكُمْ وَلَوْمَتْ . وَيُقَالُ فِي التَّمَلُّ لِلْإِنْسَانِ إِذَا سَمِنَ : دَبَّ قَلَهُ » .

(٥) التبريزي : « قِيلَ : بَنُو قِرْدٍ تَبَرُّوا بِهِ » .

الضيِّق ، وَذَنَيْكَ الْقَصِير ، بِمَجَازِيَةِ الْأَشْرَافِ وَمَخَاطِرَتِهِمْ ، حَتَّى تَفْعَلَ مَا يَفْعَلُهُ
الْفَحْلُ فِي صِيَالِهِ ؟ أَتَنَى لَكَ ذَلِكَ ، وَالْقِرْدُ لَا ذَنْبَ لَهُ يُشَاوِلُ بِهِ وَيَخْطِرُ ؟ وَهَذَا
مَثَلٌ ، وَفِيهِ مَعَ الْإِزْرَاءِ تَهْكُمُ .

وَقَوْلُهُ « أَبَى قِصْرُ الْأَذْنَابِ أَنْ يَخْطُرُوا بِهَا » رَجَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْقَبِيلَةِ
بِأَسْرَاهَا . وَقَوْلُهُ « وَلَوْمْ بَنَى قِرْدٌ » الْوَائِلُ لِلْإِبْتِدَاءِ وَمُفِيدَةٌ لِلْحَالِ ، وَالْمَعْنَى اسْتَهَارَهُمْ
بِاللَّوْمِ حَتَّى لَا يَخْشَى أَمْرُهُمْ فِي جَوَانِبِ أَرْضِهِمْ ، وَعِنْدَ أَعْلَامِ مَعَارِفِهِمْ .

وَقَوْلُهُ « أَبَى قِصْرُ الْأَذْنَابِ » تَفْسِيرٌ لِمَا أَنْكَرَهُ بِقَوْلِهِ : « وَهَلْ يَسْتَعِدُّ الْقِرْدُ
لِلْخَطَرَانِ » ، وَتَفْصِيلٌ لِمَا أَبْهَمَهُ .

وَقَوْلُهُ « لَقَدْ سَمِنَتْ قَعْدَانُكُمْ » فَالْقَعْدَانُ : جَمْعُ الْقَعْدِ ، وَهِيَ النَّاقَةُ تُقْعَدُ ،
أَيُّ تُرْكَبُ ^(١) .

وَقَوْلُهُ « آلَ حِذِيمٍ » إِضَافَتُهُ لَآلٍ ^(٢) إِلَى حِذِيمٍ إِضَافَةٌ إِلَى الْبَعْضِ إِلَى الْكُلِّ
وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ « يَا قِرْدَ حِذِيمٍ » ، يَكْشِفُ لَكَ أَنَّهُ قَالَ : وَلَوْمْ بَنَى قِرْدٌ
بِكُلِّ مَكَانٍ . وَإِنَّمَا يَنْسُبُهُمْ إِلَى حُسْنِ تَقَدُّمِ الْأَمْوَالِ ، وَسَوْءِ إِهْلَامِهِمْ حَسْبَهُمْ ،
فَقَدْ سَمِنَتْ إِبْلَهُمْ بِحُسْنِ رَغِيَّتِهِمْ لَهَا ، وَتَوَفَّرَ عَلَى إِصْلَاحِهَا ، وَتَرْقِيعِ عَيْشِهِمْ
بِتَمْهِيرِهَا وَتَكْثِيرِ نَسْلِهَا ، وَأَنَّ أَحْسَابَهُمْ مُضَيَّعَةٌ مُهْمَلَةٌ ، مَتْرُوكَةٌ مِنَ التَّنْفِقِ بَاطِرَةٌ ،
لَا تُرْمُ فِرْعُوعُهَا ، وَلَا تُضْبَطُ أَصُولُهَا ، وَلَا يُحْفَظُ بِحُسْنِ الْمِرَاعَةِ مِنَ السَّقُوطِ
وَالرُّزُوحِ هَزِيلُهَا .

(١) التبريزي : « ويقال : القعود : الذكر ، والقلوس : الأنثى من شواب الإبل .
وإنما جعل قعدانهم سمينة لأنهم يؤثرونها بالابن على الضيف والجار ، فأحسابهم غير سمان لأنهم
يضيعون الحقوق فلا حسب لهم يمدحون به » . وانظر ما سبق من الكلام على رواية هذا
البيت وتوجيهه في الحواشي السابقة .
(٢) ل : « لآل » .

٦٠٣

وقال أبو منازل^(١) في ابنه :

- ١ - جَزَتْ رَحِمُ بِنِي وَبَيْنَ مُنَازِلٍ جَزَاءُ كَمَا يَسْتَنْزِلُ الدِّينَ طَالِبُهُ^(٢)
 ٢ - تَرَبَّيْتُه حَتَّى إِذَا آصَ شَيْظَمًا يَكَادُ يُسَاوِي غَارِبَ الْفَحْلِ غَارِبُهُ^(٣)
 ٣ - تَعَمَّدَ حَتَّى ظَلَمًا وَلَوَى يَدِي لَوَى يَدَهُ اللَّهُ الَّذِي هُوَ غَائِبُهُ^(٤)

قوله « جَزَتْ رَحِمُ » دعاء على ابنه مُنَازِل . وجعل فصل الجزاء للرحم .
 والجازي هو الله تعالى ، لأنه السبب في الجزاء ، ولتكون الشكوى أبلغ ،
 فيقول : جَزَى اللهُ مُنَازِلًا عَلَى الرَّحْمِ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَقَدْ قَطَعَهَا وَلَمْ يَقُمْ بِحَقِّهَا ،
 جزاء يستوفي له وعليه ما يحق ، كما يستَنْزِلُ الدِّينَ طَالِبُ الدِّينِ مِنْ عَلَيْهِ الدِّينُ حَقُّهُ .

(١) التبريزي : « وقال فرعان بن الأعرف في ابنه منازل » . وهو أحد بني مرة بن
 عبيد بن الحارث بن عمرو بن مقاس بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، شاعر لص مخضرم ،
 وله مع عمر بن الخطاب حديث في عقوق ابنه منازل . المؤلف ٥١ والمرزباني ٣١٦ والإصابة
 ٧٠٠٩ . وفرعان أخ يسمى « منازل » أيضاً ، ومن يجب أن يروى له الأمدى في المؤلف
 ٥١ شعراً يذكر فيه عقوق ابنه له . سكن هذا الشعر رواه أبو رياش منسوباً إلى منازل بن
 فرعان بن الأعرف يشكو فيه عقوق ابنه المسمى « خليج » . فكان هذه الأسرة عريقة في أن
 يعق الولد منهم أباه .

(٢) الأبيات في معجم المرزباني والإصابة . وفي معجم المرزباني : « سواء كما يستنجز » .

(٣) المرزباني وابن حجر : « وأطعمته حتى إذا صار » .

(٤) المرزباني وابن حجر : « تخون مالي ظالماً ولوى يدي » . وأنشد بعده التبريزي :

وكان له عِنْدِي إِذَا جَاعَ أَوْ بَغَى مِنْ الزَّادِ أَحْلَى زَادِنَا وَأَطْيَبُهُ
 وَرَبَّيْتُهُ حَتَّى إِذَا مَا تَرَكْتُهُ أَخَا الْقَوْمِ وَاسْتَبْتَنِي عَنْ الْمَسْحِ شَارِبُهُ
 وَجَمَعْتُهَا دُهْمًا جِلَادًا كَأَنَّهَا أَشَاهُ نَخِيلٍ لَمْ تُقَطَّعْ جَوَانِبُهُ
 فَأَخْرَجَنِي مِنْهَا سَلِيمًا كَأَنِّي حُسَامٌ يَمَانٍ فَارَقْتُهُ مَضَارِبُهُ
 أَنَّ أُرْعِشْتَ كَمَا أَيْبِكَ وَأَصْبَحْتَ يَدَاكَ يَدَيَّ لَيْثٍ فَإِنَّكَ ضَارِبُهُ

ثم أخذ يقتص ما دار بينهما ، وما أوجب عليه القرض الذي ضيَّعه فقال : ترَبَّيْتُه طفلاً وناشئاً ، حتى إذا صارَ شاباً طويلاً القامة يكاد غاربه يساوي غارب الفحل ، أى بلغ قامته قامة الفحل . والغارب : مُقَدَّم السَّنام . والشَّيْظُم : الطويل الغليظ . ويروى : « لرَبَّيْتُه » ، ويكون اللام جوابَ قَسَمٍ انطوى عليه الكلام . ويقال : رَبَّيْتُه ورَبَّيْتُه وترَبَّيْتُه بمعنى واحد . حتى إذا آص ، أى إلى أن صار . وإذا جوابه قوله « تَعَمَّدَ حَتَّى » يريد : لما بلغ هذا المبلغ سَتَرَحَتَّى ولم يَقِبْ به ، متعدِّياً طَوْرَه ، وباخِيساً ما استوجبته عليه بالولادة والتربية ، فلما جاذبته بلساني مدَّ يده فلوى يدي ، أى فتلَّها وأزَلَّها عن أحوالها وهيئتها . ثم قال داعياً عليه : لَوَى يده الله ، أى أشلَّها وأبطلَّها ، وهو القادرُ على ذلك منه ، والغالب له وعليه ^(١) .

٦٠٤

وقال عارق الطائي ^(٢) :

- ١ — والله لو كان ابنُ جَفَنَةَ جارَكم لَكَسَا أُلُوجُوهَ غَضَاضَةٍ وَهَوَانَا
- ٢ — وَسَلَسِلَا يُنَنِّينَ فِي أَعْنَاقِكُمْ وَإِذَا لَقَطَّعَ مِنْكُمْ الْأَفْرَانَا
- ٣ — وَلَكَانَ عَادَتُهُ عَلَى جَارَاتِهِ مِسْكَ وَرَبِطًا رَادِعًا وَجِفَانَا

(١) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « له عليه » .

(٢) هو قيس بن جروة بن سيف بن وائلة بن عمرو بن مالك بن أمان بن ربيعة بن جرويل ابن ثعل الطائي الأجدى ، نسبة إلى أجد : أحد جيلي طي ، وهما أجد وسلمى . وهو شاعر جاهلى . وعارق لقب له ، قالوا : سمى به لقوله :

لئن لم تغبر بعض ما قد صنعتم لأتحنن للعظم ذو أنا عارقه

انظر الحزانة (٣ : ٣٣٠ — ٣٣١) والأغانى (١٩ : ١٢٧) والمزهر (٢ : ٤٣٨) وقال أبو ريش : ليس هذا الشعر لعارق ، إنما هو لثملة بن شعاع الأجدى ، قاله على لسان عارق . وذكر التبريزى سبب هذه الأبيات مقارباً لما رواه المرزوقى ، ولكنه نسب هذه الأبيات النونية إلى ثملة ، وذكر أنه قالها على لسان عارق لينجى عارقاً من كيد عمرو بن المنذر .

لهذه الأبيات قصّة طريفة ، وأنا أذكرها بما عرّض من السّهو فيها .
 ذكر هشامُ الكلبي أن عمرو بن المنذر بن ماء السماء — وأمه هند بنت الحارث
 الملك — كان عاقداً طيباً ألا يُغزوا ولا يُفأخروا ، فاتفق أن غزا عمرو اليمامة
 فرجع مُنفِضاً^(١) ، فرّ بطيئاً ، فقال زُرارة بن عدس : أبيت اللعن ، أصيب من
 هذا الحى شيئاً . فقال : وبلك ، إنّ لهم عقداً ! قال : وإن كان ، فإنك
 لم تكتب العقد لهم كلهم . فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأذواداً ، فقال في
 ذلك قيسُ ابن جِرّوة الأجبّي :

ألا حى قبل البين من أنت عاشقته ومن أنت مُشتاقٌ إليه وشائقة
 — وستجىء الأبيات في هذا الباب من الاختيار من بعد ، لكن في
 آخرها قوله :

لئن لم تُغَيِّرْ بعض ما قد صنعتُم لأنتَحِينَ للعظم ذو أنا عارقه
 فلَقَبَ يومئذ بعارقٍ — فلما بلغ عمرو بن هند هذا الشعرُ قال له زُرارة :
 أبيت اللعن ، إنّه ليتوَعَّدك على انتقامه بزُعمه . فقال عمرو لثُرْملة بن شعاثِ
 الأجبّي : أيهجوني ابن عمك ويتوَعَّدني ؟ فقال : والله ما هجأك ، ولكنه قال :
 والله لو كان ابنُ جَفَنَةَ جارَكم ما إن كساكم غَضَّةً وهواناً
 وسلاسلًا يَبْرُقْنَ في أعناقكم وإذا لقطَّعَ مِنْكمُ الأفراناً
 وكانَ عادته على جِيرَانِهِ ذَهَبًا وَرَيْطًا رَادِعًا وَجِفَانًا^(٢)
 يعنى بـابن جَفَنَةَ عمرو بن الحارث ، وإنما أراد ثُرْملة أن يُقَبِّحَ عليه^(٣)

(١) أقض القوم : فقد ملأهم وزادهم . والإيقاض : الحاجة والحاجة وهلاك المال .

(٢) وكذا عند التبريزي . وفي ل : « مسكا وربطاً » .

(٣) ل : « إليه » .

فَقَلَّتْهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ يُذْهِبُ سَخِيمَتَهُ عَلَى ابْنِ عَمِّهِ ، فَقَالَ عَمْرُو : وَاللَّهِ لَا قِتْلَنَّهُ !
فَبَلَغَ ذَلِكَ عَارِقًا فَقَالَ :

مِنْ مُبْلِغٍ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ رِسَالَةً إِذَا اسْتَحَقَّ بِهَا الْعِيسُ تُنْضَى مِنَ الْبُعْدِ
وَسَتَجِيءُ مِنْ بَعْدٍ أَيْضًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ مَا اقْتَصَصْتُ ، بَانَ لَكَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتَ الَّتِي أَوَّلَهَا : « وَاللَّهِ
لَوْ كَانَ ابْنُ جَفْنَةَ » ، لَيْسَ بِهِ جَوَّالٌ ابْنُ جَفْنَةَ وَإِنَّمَا هُوَ مَذْخُورٌ لَهُ ، وَقَدْ عُبِّرَ بِذِكْرِهِ
عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ ، وَأَنَّهُ لَوْ تَوَلَّى مِنْ طَيْبٍ مَا تَوَلَّاهُ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ كَانَ مَعَامَلَتُهُ إِيَّاهُمْ
بِخْلَافٍ مَا عَامَلَهُمْ بِهِ هُوَ ، فَتَصَوَّرَ^(١) أَنَّهَا هَجْوُ ابْنِ جَفْنَةَ ، وَجَعَلَ بَدَلَ
« مَا إِنْ كَسَاكُمْ » : لَكَسَا الْوُجُوهَ ، وَبَدَلَ قَوْلِهِ « إِذَا لَقِيتُمْ الْأَفْرَانَا » : مِنْكُمْ
الْأَفْرَانَا ، وَبَدَلَ قَوْلِهِ « وَلَكِنْ عَادَتُهُ عَلَى جِيرَانِهِ » : عَلَى جَارَاتِهِ ، وَمَعَ هَذِهِ
التَّغْيِيرَاتِ لَيْسَ يَخْلُصُ هَجْوًا .

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : وَأَنَا أَعُودُ إِلَى عَادَتِي مِنْ تَفْسِيرِهَا وَشَرْحِ مَعَانِيهَا :

قَوْلُهُ « غَضَّةٌ » فَعْلَةٌ مِنْ غَضَّ ، وَالْغَضَاضَةُ وَالْغَضُّ : الْفُتُورُ فِي الطَّرْفِ .
وَنَصَّبَ قَوْلُهُ « وَسَلَاسِلًا » عَلَى الْمَعْنَى ، فَهُوَ مِنْ بَابِ قَوْلِ الْآخِرِ^(٢) :

يَا لَيْتَ بَعْلَكَ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا

لَأَنَّ السَّلَاسِلَ لَيْسَ مِنْ كُسُوةِ الْوُجُوهِ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : مَا إِنْ كَسَاكُمْ
غَضَّةٌ وَلَا قَلْدَكُمْ إِذَا غَلَّكُمْ سَلَاسِلُ تَبْرِقَ فِي أَعْنَاقِكُمْ . وَقَوْلُهُ « يُنْثَنِينَ » مَعْنَاهُ
يُعْظَفْنَ وَيُؤَلَوْنَ . وَ« إِذَا لَقِيتُمْ الْأَفْرَانَا » فَلَا أقرانُ الْحِبَالِ ، وَالوَاحِدُ

(١) الضمير في هذا لأبي تمام بخلاف الخامسة ، والتغييرات التي نس عليها المرزوقي هي
تغييرات أبي تمام ، كما هي عادته ، انظر ما سبق في مقدمة المرزوقي ص ١٤ .

(٢) هو عبد الله بن الزبيري . الكامل ١٨٩ ليسك . وانظر أمالي ابن السجري
(٢ : ٣٢١) والمختصر (٤ : ١٣٦ / ١٤ : ٢٣٢) .

قَرَنَ . وَإِذَا رَوَيْتَ « يَبْرُقْنَ » فَاْلَمَعْنِ ظَاهِر . وَيَشِيرُ إِلَى مَا لَحَقَهُمْ مِنْ جِهَةِ عَمْرُو
ابنِ هِنْد . وَقَوْلُهُ « إِذَا » أَجَابَ لَوْ بِإِذَا كَمَا أَجَابَهُ بِاللَّامِ مِنْ قَوْلِهِ « لَكَسَا »
وَبِمَا عَلَى الْأَصْلِ الْأَوَّلِ^(١) . وَمَعْنَى « لَقَطَعَ تِلْكَ الْأَقْرَانَا » أَيْ لَوْ كَفْتُمْ
مَأْسُورِينَ لَكَانَ يَفْكَكُمْ ، وَيَقْطَعُ تِلْكَ الْحَبَالَ الَّتِي صَارَتْ إِسَارًا لَكُمْ . وَإِذَا
رَوَى « وَإِذَا لَقَطَعَ مِنْكُمْ الْأَقْرَانَا » كَانَ مَعْنَى الْبَيْتِ : يَشْدُكُمْ فِي السَّلَاسِلِ
وَيَبْدُدُ جَمْعَكُمْ . وَقَوْلُهُ « وَلَكَانَ عَادَتُهُ عَلَى جَبْرَانِهِ » ، يَرِيدُ أَنَّهُ يَفْعَلُ خِلَافَ
مَا فَعَلَهُ عَمْرُو بْنُ هِنْدَ ، لِأَنَّ عَادَتَهُ فِي الْجَبْرِ أَنْ يَمُولَهُمْ وَيَصْلَهُمْ ، وَيَبْرَهُمْ وَيَخْلَعُ
عَلَيْهِمْ ، وَيَقْرِبَهُمْ وَيَمُوتُهُمْ . وَعَلَى الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ يَرْمِيهِ وَيَقْذِفُهُ بِالْجَارَاتِ ، وَمَعْنَى
ذَلِكَ ظَاهِر . وَالرَّادِعُ : الْمَتَغَيِّرُ اللَّوْنُ بِالطَّيِّبِ وَالْخُلُوقِ . وَيُقَالُ : تَرَدَّعَ بِالْخُلُوقِ ،
إِذَا تَلَطَّخَ .

٦٠٥

وَقَالَ آخِرُ^(٢) :

- ١ - زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لَهُمْ إِلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلْفٌ
 - ٢ - أُولَئِكَ أَوْمِنُوا جُوعًا وَخَوْفًا وَقَدْ جَاءَتْ بَنُو أَسَدٍ وَخَافُوا
- يَخَاطَبُ بَنِي أَسَدٍ وَيَكْذِبُ دَعْوَاهُمْ فِي انْتِنَاهُمْ إِلَى قُرَيْشٍ ، وَتَنْشِيهِهِمْ بِالْقُرْبَى
وَالْقَرَابَةِ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : ادَّعَيْتُمْ أَنَّ قُرَيْشًا إِخْوَتُكُمْ ، وَسَيَاهُ الْكَذِبِ ظَاهِرَةٌ
عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَى ، لِأَنَّ لِقُرَيْشٍ إِبْلَاقًا فِي الرِّحْلَتَيْنِ الْمَعْرُوفَتَيْنِ لِلتَّجَارَةِ ، وَلَيْسَ
لَكُمْ ذَا ؛ وَقَدْ آمَنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ، وَأَنْتُمْ خَائِفُونَ جَائِعُونَ .

(١) أَيْ عَلَى رِوَايَةِ : « مَا إِنْ كَسَاكُمْ غَضَةٌ » .

(٢) هُوَ مَسَاوِرُ بْنُ هِنْدَ بْنِ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ ، يَهْجُو بَنِي أَسَدٍ ، كَمَا قَالَ التَّبْرِيزِيُّ ، وَكَافَى
اللسان (ألف) . وَقَدْ سَبَقَتْ تَرْجُمَةُ « مَسَاوِر » فِي الْحَمَاسِيَةِ ١٤٨ ص ٤٣٠ .

وإنما يُشير إلى السورة المنزلة : ﴿لَا يَلَّا فِ قُرَيْشٍ إِيْلَافِهِمْ . رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ ... إلى آخرها . ويقال : أَلِفَ يَأْلَفُ إِلْفًا وَإِلَافًا ، وَآلَفَ يُؤْلَفُ إِيْلَافًا .

٦٠٦

وقال آخر^(١) :

١ - إِنْ يَسْمَعُوا رِبَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا مَنَى وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا
٢ - صُمٌّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرَتْ بِهِ وَإِنْ ذُكِرَتْ بِشَرٍّ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا
٣ - جَهْلًا عَلَى وَجُبْنَا عَنْ عَدُوِّهِمْ لَبِئْسَتِ الْخَلَّتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ
انتصب « فرحًا » على أنه مفعول له ، وكان الواجب أن يقول : يطيروا بها فرحًا ، لأنه لا يجوز أن يُعملَ حرفُ الشرط في الشرط بالجزم ويُجعلَ الجواب فعلًا ماضيًا في الكلام ، وإن كان يجوز في الشعر . ومعنى البيت الأول أنهم إذا رأوا حسنةً كتبوها ، وإذا رأوا سيئةً أظهروها . وقوله « مَنَى » أراد من جهتي . ومعنى « طاروا بها » أى كثروها في النَّاسِ وأذاعوها ، وَوَصَلُوا الْقِيَامَ بِالْقُعُودِ فِي نَشْرِهَا . وهذا ضدُّ ما ذكره من الدَّفْنِ في قوله « وما سمعوا من صالحٍ دَفَنُوا » في المعنى .

وقوله « صُمٌّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا » ارتفع صُمٌّ على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : هم صُمٌّ ، أى يتصاممون عما أنسبُ إليه من الخصال الصالحة . ويقال للمعرضِ عن الشيء : هو أَصَمُّ عنه . على ذلك قوله :

❖ أَصَمُّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعٌ ❖

(١) هو قنبر بن أم صاحب ، ومى أمه ، واسم أبيه ضمرة ، أحد بني عبد الله بن غطفان . وكان في أيام الوليد بن عبد الملك . والقنبر : الصلب الشديد من كل شيء . عن شرح التبريزي ، والتنبية لابن جني .

قال : ومتى ذُكرتُ بشرٍّ أدركوه وعلموه . ويقال : أذن يأذن
أذنًا . قال :

* يَسْمَعُ يَأْذَنُ الشَّيْخُ لَهُ ^(١) *

ويجوز أن يكون اشتقاقه من الأذن الحاسة . وانتصب « جهلا » لأنه مصدر
لعلّة . ينسبهم إلى أنهم مع الأقارب يستعملون الجهل والحسد عليهم ومعهم ، وأنهم
جنباء عن الأعداء ضعفاء عجزّة إذا طُلب كفايتهم ، لا يصلحون لدفع مكروهه ،
ولا جلب محبوب . ثم سؤا عليهم فعلهم فقال بِئْسَتِ الْخَصْلَتَانِ جهلهم على
أقاربهم ، وجبنهم عن أعاديهم . وهذا تأكيد في التعبير ، ومبالغة في التقرّيع .

٦٠٧

وقال منصور بن مسجاح ^(٢) :

١ - ثَأْرْتُ رِكَابَ الْعَيْرِ مِنْهُمْ بِهَجْمَةٍ صَفَايَا وَلَا بُنْيَا لِمَنْ هُوَ ثَأْرُ ^(٣)
٢ - من الصَّهْبِ أَثْنَاءَ وَجْدَعًا كَأَنَّهَا عَذَارَى عَلَيْهَا شَارَةٌ وَمَعَاصِرُ
قوله « رِكَابَ الْعَيْرِ » يُرْوَى « رِكَابَ الْقَوْمِ » . وأراد بالْعَيْرِ السَّيِّدَ ، وكان
استيقَ لرئيسهم إبلٌ فارتجعَ بدلًا منها على ما وصفه . ومعنى « ثَأْرْتُ رِكَابَ
الْعَيْرِ » أى أدركت الثأر فيها منهم بأن أخذتْ هَجْمَةً من الإبل — وهى المانة
وما داناها — غَزَارًا سميفات ، والثأر ليس من حقّه أن يُبْقَى ، والأصل فى
الثأر القاتل ، فوضعه موضع الواتر المنتقم . يقال : ثَأْرْتُ فُلَانًا وَثَأْرْتُ بَفُلَانٍ ،
إذا قُتِلَ قَاتِلُهُ .

(١) لدى بن زيد العبادى ، كما فى اللسان (أذن) . وعجزه :

* وحديث مثل ماذى مشار *

(٢) هو منصور بن مسجاح — ويقال مسجاح بتقديم الحاء على الجيم — بن سباع

الضبي : شاعر جاهلى . معجم المرزبانى ٣٧٣ .

(٣) كذا فى ل والتبريزى والمرزبانى . وفى الأصل : « عنهم بهجمة » .

وقوله « من الصُّلب أُنْثَاءٌ وَجُدْعَا » ، هذا تفسير للهَجْجَةِ ، وتفصيل للجملة ، يريد : من الإبل الصُّهْب . والضمُّهبة : حمرة يعلوها بياض . وَتَعَلَّقَ من بقوله هَجْجَةً . وَأُنْثَاءٌ : جمع نَثِي . والجُدْع جمع جَدْع ، وهو كخُشْبٍ وخَشَبٍ . والحجة في أَنَّ العَيْرَ السَّيِّدُ قوله :

زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعَيْرَ رَ مَوَالٍ لَنَا وَأَنَا الْوَلَاءُ^(١)
وهذا أحد الوجوه التي قيل فيه . وقوله « كَأَنَّهَا عَذَارَى » يعني حُسْنَهَا ، والمعاصِر : جمع الْمُعْصِر ، وهي من النساء التي شارفت الإدراك والبُلُوغ . قال :
* قد أَغْصَرَتْ أَوْ قَدْ دَنَا إِغْصَارُهَا^(٢) *

والشَّارَةُ : الهيئة . ويقال : رَجُلٌ شَيَّرَ صَيَّرٌ ، من الصُّورَة والشَّارَة .

٣ - فَإِنْ نَلَقَ مِنْ سَعْدٍ هَنَاتٍ فَإِنَّا نُكَارِبُ أَقْوَامًا بِهِمْ وَنُفَاخِرُ^(٣)
٤ - لَقَدْ كَانَ فِيكُمْ لَوْ وَفَيْتُمْ لَجَارِكُمْ لِحَى وَرِقَابٍ عَرْدَةٌ وَمَنَاخِرُ^(٤)
يَبِّنَ أَنَّ الَّذِينَ أَدْرَكَ مِنْهُمْ مَا أَدْرَكَ هُمْ بَنُو سَعْدٍ . وهذا الكلام تهكمٌ وسُخْرِيَّةٌ . كأنه يريد : إن اتَّفَقَ مِنْ سَعْدٍ الزَّلَّةُ بَعْدَ الزَّلَّةِ ، والسَّقْطَةُ الْمُنْكَرَةُ بَعْدَ السَّقْطَةِ ، فَإِنَّا عَلَى ذَلِكَ نُسْكَارِبُ بِهِمُ الْأَعْدَاءَ ، وَنُفَاخِرُ بِمَكَانِهِمْ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ وَقَدْ نَقَلَ الْكَلَامَ عَنِ الْإِخْبَارِ إِلَى الْخُطَابِ ، فَقَالَ : لَوْ رُمْتُمْ الْوَفَاءَ لَجَارِكُمْ ، وَلَمْ تَطْلَمَعُوا فِي مَالِهِ لَقَرَّبَ ذَاكَ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّ آلَاتِ الْوَفَاءِ مُعَدَّةٌ فِيكُمْ : لِحَى مَوْفُورَةٌ ، وَرِقَابٌ غَلِيظَةٌ ، وَمَنَاخِرُ وَاسِعَةٌ مُنْتَفَخَةٌ .

(١) البيت للحارث بن حنظلة البشكري في معلقته .

(٢) الرجز لمنظور بن مرثد الأسدي ، في اللسان (عصر) . وقوله :

جارية بسفوان دارعا
تمشى الهويبي ساقطا خمارها

(٣) المرزبانى : « بها و فَاخِر » .

(٤) بعده عند التبريزي :

فَهَرًا لِمَنْ غَرَّتْ كِفَالَةٌ مُنْقَرٍ وَإِنْ كَانَ عَقْدٌ بَيْنَهُمْ مُتَظَاهِرُ

٦٠٨

وقال جَوَّاسُ الضَّبِّيُّ لَامْرَأَةٍ^(١) :

- ١ - وَاللَّهِ مَا أَخْشَى حَكِيمًا وَرَهْطَهُ وَلَكِنَّا يَخْشَى أَبَاكَ حَكِيمٌ^(٢)
 ٢ - وَجَدْتِ أَبَاكَ تَابِعًا فَتَبِعْتِهِ وَأَنْتِ لَعْمَارِ الرَّجَالِ لَزُومٌ
 رَمَى الْمَرْأَةُ الْمُخَاطَبَةَ وَقَذَفَهَا بِحَكِيمٍ ، فَقَالَ لَهَا مُعَيَّرًا وَمُشَهِّرًا بِهَا : إِيَّاهُ
 لَا أَخَافُ صَاحِبَكَ حَكِيمًا وَلَا عَشِيرَتَهُ ، وَلَا أَحْتَشِمُهُمْ فِيكَ ، وَلَكِنْ حَكِيمٌ يَخْشَى
 أَبَاكَ لِاجْتِمَاعِهِ مَعَكَ عَلَى الْفَاحِشَةِ . ثُمَّ قَالَ : تَعَاطَيْكَ الْفُجُورَ وَرِاثَةً ، لِأَنَّكَ
 وَجَدْتِ أَبَاكَ فِي الْأَبْنَةِ تَابِعًا لِسَلَفِهِ فِيهَا ، فَاقْتَدَيْتِ بِهِ ، فَهُوَ يَطْلُبُ مَنْ يَشْفِيهِ
 مِنْ دَائِهِ ، وَأَنْتِ أَيْضًا شَدِيدَةُ الزَّامِ لِلزَّانَةِ وَالْفُسَّاقِ ، وَالْوَلَدُ يَتَقَيَّلُ أَبَاهُ^(٣) .
 ٣ - عَلَى كُلِّ وَجْهِ عَانِدِي دِمَامَةً^(٤) يُؤَافِي بِهَا الْأَحْيَاءَ حِينَ تَقُومُ^(٥)

(١) هو جواس بن نعيم ، أحد بني حرثان بن ثعلبة بن ذؤيب بن السيد بن مالك بن بكر
 ابن سعد بن ضبة . المؤنث ٧٥ وشرح التبريزي . وهذه الأبيات يقولها ردا على أبيات قالتها
 امرأة من عائدة بن مالك ، وألشدّها التبريزي . وهي :

مَتَى تَلَقَّ جَوَّاسًا وَإِنْ كَانَ مُحَرِّمًا يَقُلْ لَكَ هَلْ تَخْشَى عَلَى حَكِيمًا
 وَمَا لِي لَا أَخْشَى عَلَيْكَ مُحَرِّبًا أَخَا ثِقَةٍ يَنْفَعِي قَتِيلًا كَرِيمًا
 مَتَى تَلْقَهُ يَعْدُو بِهِ الْوَرْدُ جَانِلًا بِشِكْنِهِ تَلْقَ الْأَلَدُ الْغَشُومًا

(٢) التبريزي : « قيل إن الصحيح من الروايات : وَلَكِنَّا يَهْوَاكَ أَنْتَ حَكِيمٌ . وعلى
 هذا يجعل حكيما عاهرا ورماها به . وإذا قلت : وَلَكِنَّا يَخْشَى أَبَاكَ حَكِيمٌ ، فمعناه لأنه
 منك بسبيل » .

(٣) يتقيل أباه : ينزع إليه في الشبه .

(٤) التبريزي : « حين يقوم » ، أي حين يقوم في مجالس الملوك .

٤ — وَأَوْرَثَهَا نَرَّ التَّرَاثِ أَبُوهُمْ قَمَاءَةً جِسْمٍ وَالرَّدَاءَ ذَمِيمٌ^(١)

تعدّاها إلى فصيلتهما بل قبيلتهما فقال : على وجه كل رجل من بنى عائذة قُبْحٌ وَخِزْيٌ ، إذا قامت أحياء العرب في أسواقهم ومجامعهم يوافيهم به . والمعنى أنهم مشهورون باللؤم ودناءة النفوس ، فوجوههم مسودة بالعار ، مشوّهة بسوء الفعل عند القبائل ، فتى وافوا يوماً مجموعاً فيه الناس وجد آثار الخيزي ، وغضاضة الطرف للخزاية ، تلوح على صفحات وجوههم . ودماثة الوجوه ضربها مثلاً لذلك .

وقوله : « وأورثها » ، يريد أن اللؤم فيهم وراثته ، وقد عرفوا ذلك من أنفسهم واعترفوا به ، فترى أجسامهم في المحافل والمشاهد قبيحة تصاغراً وتذللاً ، وتقاصرًا وتحشعاً . وقد رداءهم الله برداء أعمالهم من القدر والخيانة ، والفلول والسفاهة ، فردأؤهم مذموم في الألسنة عند الخاصة والعامة . ويجوز أن يكون المراد أن سيّام كالرداء عليهم ، فهم مذمومون لها وعليها ، ويروى : « والرؤاء دَمِيمٌ^(٢) » ، يعني قُبْحُ الطلعة . ودَمِيمٌ : اسم الفاعل من دَمَمْتُ دَمَامَةً . وفعلت في المضاعف قليل . والرؤاء يجوز أن يكون فعالاً من الرؤيّة ، ويجوز أن يكون من الرّئي .

٥ — كَانَ خُرُوءَ الطَّيْرِ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ إِذَا اجْتَمَعَتْ قَيْسٌ مَعًا وَتَمِيمٌ

٦ — مَتَى تَسْأَلِ الضَّبِّيَّ عَنْ شَرِّ قَوْمِهِ يَقُلْ لَكَ إِنَّ الْعَائِذِيَّ لَتِيمٌ

لَمَّا كَانَ يوصف الوقور المتثبت في الأمور إذا حصل مع أشباهه من أهل

(١) ل : « وأورثهم » ورسم فوقها « نخشها » أي أنها في نسخة « أورثها » . وفي التنبيه لابن جني : « قال أبو علي — يعني الفارسي — كتبنا منذ أربعين سنة : يحتمل الرواء أمرين : أحدهما أن يكون فعالاً من رأيت لأنه يدركه الناظر ، غير أنه اجتمع على تخفيفه . والآخر أن يكون فعالاً من الرى . قال : وذلك لأن للريان نصارة وحسناً . فقوله اجتمع على تخفيفه يدل على أنه غير مهموز العين . ومنهم من يهمله » .

(٢) م رواية التبريزي .

الأناة والرقق والرّزاة وسكون الجأش في منتدَى لهم ، وتناجَوْا وتساوَرُوا ،
أو حضروا في مجلسٍ مُنَحَّشَمٍ فتجاذَبُوا وتناظَرُوا ، بقولهم : كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِهِم الطَّيْرُ ،
وهذا التشبيه إمَّا حَصَلَ عَلَى أَنَّهُمْ مِنَ السُّكُونِ ومفارقة التَّعَجُّلِ بِمَنْزِلَةٍ مَنْ عَلَى
رَأْسِهِ طَيْرٌ فيَخَافُ في تَحَرُّكِ ذَهَابِهَا وَطِيرَانِهَا ؛ وَلَمَّا كَانَ هَذَا الشَّاعِرُ يَهْجُو
بَنِي عَائِذَةَ وَيَهْزَأُ بِهِمْ ، جَعَلَ بَدَلَ ذَلِكَ الْقَوْلِ « كَأَنَّ خُرُوءَ الطَّيْرِ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ » .
وقوله « إِذَا اجْتَمَعَتْ قَيْسٌ مَعًا وَتَمِيمٌ » بَيَانٌ لِاخْتِلَاطِهِمْ بِأَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنْ
وُجُوهِ الْقَبَائِلِ ، وَرُؤَسَاءِ الْحَافِلِ . وَكَانَ الْحُكْمُ أَنْ يَقُولَ : إِذَا اجْتَمَعَتْ قَيْسٌ
وَتَمِيمٌ مَعًا ، فَقَدْ « مَعًا » لِأَنَّ الْعَاطِفَ يُنَبِّهُ عَلَى مَوْضِعِ الْمَعْطُوفِ .
وقوله « مَتَى تَسْأَلُ الضَّبِّيَّ عَنْ شَرِّ قَوْمِهِ » ، يَرُودُ : « عَنْ سِرِّ قَوْمِهِ » ،
وَهُوَ حَسَنٌ ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ لَثَامٌ بِاعْتِرَافٍ مِنْ قَوْمِهِمْ بِهِ ، وَاتِّفَاقٍ مِنْهُمْ عَلَيْهِ ،
لَكِنَّهُمْ يُسِرُّونَ أَمْرَهُمْ وَيُخْفَوْنَهُ .

٦٠٩

وقال محرز بن المكبر الضبي^(١) :

- ١— أَبْلِغْ عَدِيًّا حَيْثُ صَارَ بِهَا النَّوَى وَلَيْسَ لِدَهْرٍ الطَّالِبِينَ فَنَاءَ
- ٢— كَسَالَى إِذَا لَاقَيْتَهُمْ غَيْرَ مَنْطِقٍ يُلَهِّي بِهِ الْمَتَبُولُ وَهُوَ عَنَاءُ^(٢)
- ٣— أَخْبِرْ مَنْ لَاقَيْتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُمْ وَلَوْ شِئْتُ قَالَ الْمُنْبِثُونَ أَسَاهُوا

(١) يقولها لبني عدى بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ، كما ذكر التبريزي . وقد
مضت ترجمة « محرز » في الحماسية ١٨٥ ص ٥٧٢ . قال التبريزي : « كان محرز بن المكبر
جارا لبني عدى بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ، فأغار بنو عمرو بن كلاب على إبله فذهبوا
بها ، فطلب إليهم أن يسعوا له ، فوعده أن يفعلوا ، فلما طال ذلك عليه ورآهم لا يصنعون
شيئا أتى المخارق والساحق ابني شهاب المازنيين ، وهما من بني خزاعة ، فسعيا له بإبله
فرداها عليه » .

(٢) كسالى في النسختين بفتح الكاف ، وفي التبريزي بضمة . وهما جمعان
صحيحان لكسلان .

يقول: أَدَّ إلى بني عَدِي رسالتِي حيثُ استَقَرَّتْ بها النُّوَى^(١) بَأَن زَمَنَ
 طُلَّابِ الأوتار فيما عليهم مِن إدراكِ الثَّارِ قد انَّصَلَ وامتدَّ ، فليس يَنْقَطِعُ لِسَلمِهِم
 عن السَّعى في رِذَّةِ المُغَارِ عليه^(٢) ، واستيطَانِهِم سراكِبَ العَجْزِ عن نُصْرَتِهِ ،
 غير مواعيدَ خاليةٍ من الفعلِ يقرَّبُونَهَا ، وأقوالٍ مُزخرفةٍ عند الالتقاء يبدِّلُونَهَا ،
 إذا اعْتَمَدَهَا الموتور انصرفَ بِهَا مغرورا ، فكانت عند السَّامعين لها ضلَالًا
 و بُورًا ، وعَنَاءٌ للقلوب والجوارح ، لا يُحَلِّي مِنْهُ بطائل ، ولا يَرْجِعُ على أَحَدٍ
 بعائِدٍ . هذا وأنا أَحْسَنُ أَمْرِكُمْ ، وأقول لمن يسأل عن أخبارنا وأخباركم : إنَّهم
 قد وفَّوا بالعهد ، وأدَّوا ما لزمهم من النُّصْرَةِ بِحقِّ الجوار والعقد ، لكنَّ للأُمور
 أوقاتٌ ، وللأَفْضِيَةِ آجالٌ وآمادٌ ، فينبغي الذَّمُّ عنكم ، وينحطَّ العارُ دونَ فِئائِكُمْ ،
 ولو شئتُ لقال السَّائل والسَّامع : أساءوا حين بدَّلُوا الخِفَارَةَ بالإخْفَارِ ، وَضَيَّعُوا
 الحَقُوقَ بالتَّقْصِيرِ والإقْصَارِ . وقوله « أن قد وَفَيْتُ^(٣) » أن فيه مَخَفَّةً من الثَّقِيلَةِ ،
 واسمه مَضْمَرٌ ، وهو ضمير الأَمْرِ ، والجملة في موضع الخبر . وقوله « غَيْرَ مَنْطِقٍ »
 انتَصَبَ على أَنَّهُ استِثْناءٌ خارج . و « يُلَهِّي بِهِ » من لَهَوْتُ عن كذا وَلَهَيْتُ ،
 أَلْهَوْتُ لَهْوًا ، وَأَلْهَى لَهْيًا ، إذا انصَرَفَتْ عنه . وَالتَّبَيُّولُ : المُصَابُ بِذَخَلٍ وَتَبَلٍ .
 ٤ — لَهُمْ رَثِيَّةٌ تَعْلُو صَرِيمةَ أَمْرِهِم وَالْأَمْرُ يَوْمًا رَاحَةً فَقَضَاءُ^(٣)
 ٥ — وَإِنِّي لَرَأَجِيكُمْ عَلَى بَطْءِ سَفْيِكُمْ كما فِي بُطُونِ الحَامِلَاتِ رَجَاءُ
 الرَّثِيَةِ : الضَّعْفُ . والصَّرِيمةُ : ما يُقَطَّعُ من العزِيمةِ وَيُجَزَّمُ إِمضَاؤُهُ بعد
 العقيدة ، فيقول مصوِّرًا حالَهُم في التَّفْرِيطِ والإِهْمَالِ : متى هُمُوا بِإِنْفَازِ عَزَائِمِهِمْ ،
 وتشديدِ شَكائِهِمْ ، وإِنْجَازِ ما يُتَنَجَّزُ عَلَيْهِمْ من مواعِدِهِمْ ، أو يَهْتَمُّونَ لِرَحْصِ

(١) ل : « بهم النوى » .

(٢) الردء : العون .

(٣) التبريزي : « ريثة » ، بتقديم الياء . وقال في شرحه : « ريثة : إبطاء ، وريثة

ضعف » .

دَرَنِ العارِ عن شَيْمِهِمْ وأَخْلَاقِهِمْ ، وَلِسَدَّ طَرِيقِ العارِ ^(١) والتعبير عن مذاهبهم وأفعالهم ، علائِمُهُمْ وَهَمَّتُهُمْ وَهَنٌ وَفَشَلٌ ، وَمَلَكَ قِيَادَهُمْ وَمَقْوَدَهُمْ ضَعْفٌ وَكَسَلٌ . ثُمَّ أَخَذَ يَتَهَكَّمُ وَيَهْزَأُ فَقَالَ : والمرء في أَسْرِهِ يَمُضِي يَوْمًا وَيَكْفُ يَوْمًا ، فَمَا يَجْزِي كَسْرَ التَّعَبِ إِلَّا مَا يَتَعَبُّهُ مِنَ الرَّاحَةِ .

وقوله « فَإِنَّ لِرَاجِيكُمْ عَلَى بُطْءِ سَعِيكُمْ » ، يريد أَنَّهُمْ عَلَى تَبَاطُئِهِمْ وتأخُّرِ فَعَالِهِمْ عن مقامهم مرجوون ، كما أَنَّ الحاملات على تأخُر وضعهنَّ مرجُوات ، فأنا ناظرٌ في أعقاب الأمل متى يتحقَّق .

وقوله « فقضاء » أى فقضاء يومًا آخر . وقوله « كما في بُطُونِ الحاملاتِ رَجَاءٌ » أى أرجوكم مثل ذلك الرجاء .

٦- فَمَهْلًا سَعَيْتُمْ سَعَى غُصْبَةِ مَازِنٍ وَهَلْ كُفَلَانِي فِي الْوَفَاءِ سِوَاهُ
٧- لَهُمْ أَذْرُعٌ بِأَيْ نَوَاشِرُ لَحْمِهَا وَبَعْضُ الرِّجَالِ فِي الْحُرُوبِ غُنَاهُ
٨- كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قَسِمَاتِهِمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوَجُوهَ لِقَاءُ
هذا الكلام بعثٌ وتحضيض . وهَلَا : حرف إغراء وتحضيض . وذكر بنى مَازِنٍ تحريكًا منهم ، وليوجِبُهُمْ بتفضيل غيرهم عليهم . وقوله « وَهَلْ كُفَلَانِي » ، فالكفيل : الضامن للشيء . وهذا المصراعُ التفتُّ ، كأنَّه لما هَجَّنَ فِعْلَهُمْ وَقَرَّعَهُمْ ، وأطرى غيرهم مؤثرًا عليهم ، النفَتَ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ : وَهَلْ ضَمَّنَانِي مُسْتَوُونَ فِي الْوَفَاءِ فَأَجْرِيَهُمْ مُجْرَى وَاحِدًا . وهذا أبلغُ من كلِّ نكير ، ومن كلِّ هجوٍ فظيع . و « سِوَا » وإن كَانَ فِي الْأَصْلِ مُصَدَّرًا ، فَقَدْ صَارَ هُنَا كَأَسْمَاءِ الْفَاعِلِينَ لِنِيَابَتِهِ عَنْهَا ، لِذَلِكَ صَحَّ أَنْ يَمْعَلَ فِي الظَّرْفِ قَبْلَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ « فِي الْوَفَاءِ » ، لِأَنَّ الْمَصَادِرَ لَا تَعْمَلُ فِيمَا قَبْلَهَا إِلَّا إِذَا أُمِرَ بِهَا ، كَقَوْلِكَ : ضَرَبًا زَيْدًا ، أَوْ إِذَا أُجْرِيَ هَذَا الْمَجْرَى ^(٢) .

(١) هذا ما في ل ، وهو الموافق لما بعده . وفي الأصل : « العاب » بمعنى العيب .

(٢) ابن جني : « الظرف متعلق بسواء لا بكفلائي . ألا ترى أن معناه : وهل من يكفلني متساوون في الوفاء » .

وقوله «لهم أذرع» صفة للعصبة المازنية . وهم يتمدحون بالهزال . والنواثر : عروق ظاهر الذراع . وقوله «وبعض الرجال في الحروب غناء» ، تعريض بالآخرين ، وهم بنو عدى . والغناء : ما يعلو السيل من الغر والزبد . والمعنى : بعضهم لا غناء عنده ولا كفاية ، فتراه كيمييس النبات وقد احتمله الماء .

وقوله «كأن دنانيراً على قسائمهم» ، القسائم : الوجوه ، وقيل هي تجارى الدموع . ويقال : وجهه مقسم ، أى حسن ، والقسامة : الحسن . ومرجعه إلى القسمة ، كأنه مسح كل جزء من الوجه يقسم من الجمال ، فتعادت الأجزاء وحسنت . وقوله «وإن كان قد شَفَّ الوجوه لقاء» تعريض أيضاً ، والمعنى أن وجوههم تُشرق في الحرب وتضيء ، إذا صارت وجوه غيرهم مشفوفة متغيرة . ويقال : شَفَّ المرَضُ ، إذا أذابه وهزله . وذكر الدنانير في إثبات ماء الوجه ونضارة الحسن قد جاء في النسب ، ألا ترى قوله :

النَّشْرُ مِنْكَ والوجوه دنا نير وأطراف الأكَفِّ غَمٍّ^(١)

٦١٠

وقال شمعة بن الأخضر^(٢) :

١ — وَضَعْنَا عَلَى الْمِيزَانِ كُوزًا وَهَاجِرًا فَسَالَتْ بَنُو كُوزٍ بِأَبْنَاءِ هَاجِرٍ

٢ — وَلَوْ مَلَأَتْ أَعْفَاجُهَا مِنْ رَثِيئَةٍ بَنُو هَاجِرٍ مَالَتْ بِهَضْبِ الْأَكَادِرِ^(٣)

٣ — وَلَكِنَّا اغْتَرُّوا وَقَدْ كَانَ عِنْدَهُمْ قَطِيبَانِ شَتَّى مِنْ حَلِيبٍ وَحَازِرٍ

هذا الكلام هزل وسخرية . فيقول : نظرنا ما بين كوز وهاجر بالمقياس

(١) البيت للمرقش الأكبر . وهو البيت ٦ من المفضلة ٥٤ .

(٢) التبريزى : « وقيل : منذر بن الرقاد بن ضرار بن عمرو الضبي » . وقد سبق

ترجمة « شمعة » في الخامسة ١٨٣ ص ٥٦٥ . وأما منذر بن الرقاد فلم نعره له على ترجمة .

(٣) ل والتبريزى : « ولو ملأت » .

القائم ، والميزان الحاكم ، فوجدنا كِفَّةَ بنى كُوزٍ أَرَجَحَ وَأَوْزَنَ ، ولو عَلِمَتْ بنا
وَفِعَلْنَا لَمَلَأَتْ بَطُونَهَا مِنَ الرَّثِيثَةِ ، فزادت زِنَتُهَا عَلَى هِضَابِ الْأَكَادِرِ ، لَكِنَّهَا
أَصِيبَتْ غَفْلَتُهَا ، وَفُوجِئُوا بِالْوِزْنِ قَبْلَ الشَّرْبِ وَالِامْتِلَاءِ ، وَالتَّجَرُّدِ لِلْأَمْرِ
وَالِاسْتِعْدَادِ ، وَكَانَتْ الْحَالُ مُسَاعِدَةً ، وَأَنْوَاعُ الْحَلِيبِ مِمَكِنَةً ، وَذَلِكَ أَجْلَبُ
لِخُسْرَائِهِمْ ، وَأَدْعَى إِلَى نَدَامَتِهِمْ .

والأعفاج : الأمعاء ، والواحد عَفْجٌ^(١) . ويقال : اغْتَرَّ فلانٌ ، أى أَخِذَ
على غِرَّةٍ . وَالْقَطِيب : الممزوج . وَالْحَازِرُ : الحامض . والرَّثِيثَةُ : المجموع من
الحازر والحليب . وقد رماهم بأن طعمهم ذلك لا غير .

٦١١

وقال قِرواشُ بن حَوَاطِ الضَّبِّي^(٢) :

١ - نُبِّئْتُ أَنَّ عِمْلًا ابْنَ خَوَيْلِدٍ يَنْعَافُ ذِي غُذْمٍ وَأَنَّ الْأَعْلَمَا^(٣)

٢ - يَنْبِئِي وَعِيمِدُهَا إِلَيَّ وَبَيْنَنَا شَمٌّ فَوَارِعٌ مِنْ هِضَابٍ يَرْمَرُمَا

الأجود فى العلم وقد وُصِفَ بِالابْنِ أَوْ الْابْنَةِ ، إِذَا كَانَا مُضَافَيْنِ إِلَى عِلْمٍ ،
أَوْ مَا يَجْرَى مَجْرَاهُ ، تَرَكَ التَّنْوِينَ فِيهِ . وَقَدْ نَوَّنَ هَذَا الشَّاعِرُ عِمْلًا ، وَإِذْ قَدْ
فَعَلَ ذَلِكَ فَالْأَجُودُ فِي ابْنِ خَوَيْلِدٍ أَنْ يَجْعَلَ بَدَلًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ صِفَةً عَلَى
اللُّغَةِ الثَّانِيَةِ^(٤) .

(١) العفج ، بالفتح ، وبالكسر ، وبالتحريك ، وككتف .

(٢) ذكره المرزبانى فى المعجم ٣٣٩ وقال : « قرواش بن حوط بن أنس بن صرمة بن
زيد بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضبة . جاهلى » .

(٣) الأبيات ١ ، ٢ ، ٥ فى معجم البلدان (غذم) و ١ ، ٤ ، ٥ ، ٣ فى الحيوان
(٦ : ٣٨٣) و ٣ ، ٤ ، ٥ فى معجم المرزبانى . التبريزى : « غذم » بالعين المهملة ، تحريف .
وذو غذم : موضع من نواحي المدينة .

(٤) أضف إلى هذا ما ورد فى الخامسة ٥٩٥ ص ١٤٣١ ، وهو نادر .

والنَّعَافُ : جمع نَعْفٍ ، وهو المكان المرتفع في اعتراضٍ ، وأعلى كلِّ شيءٍ ؛
ومنه مَنَافِئُ الجبل . والأعلم : اسم رَجُلٍ ، وأعادَ « أَنْ » معه توكيداً ، والخبر
قوله « ينمى » ، والعامل فيه أَنَّ الأولى ، لأنَّ الثَّانِيَةَ لَا يُعْتَدُّ بِهَا عَامِلًا وَإِنْ كَانَ
مُؤَكَّدًا . ومثل هذا قولُ الحَظِيثَةِ :

* إِنَّ الْعَزَاءَ وَإِنَّ الصَّبْرَ قَدْ غُلِبَا ^(١) *

ويكون على هذا الألف في « غُلِبَا » ضمير المثنى . والشَّمُ : الجبال المرتفعة .
والفوارع : العوالى . وَيَلْعَلْ : عَلِمَ الجبل ^(٢) ، ويروى : « يَرْمَرُمُ » .

٣ - غُضًّا الْوَعِيدَ فَمَا كُونُ لِمُوعِدِي قَنَصًا وَلَا أَكَلًا لَهُ مُتَخَضًّا ^(٣)

٤ - ضُبْعًا مُجَاهِرَةً وَلَيْثًا هُدْنَةً وَثُعَيْلِبًا تَخَرُّ إِذَا مَا أَظْلَمَا

٥ - لَا تَسْأَلِي مِن دَسِيسٍ عَدَاوَةً أَبَدًا فَلَيْسَ بِمُسْتَشْيِي أَنْ تَسْأَلَا

يقول : أَفْصِرَا إِلَيْكَا مِنْ تَهْدُدِكَا ، فَإِنِّي لَا أَحْتَفِلُ بِكَا وَلَا بِوَعِيدِكَا ، وَلَا
أُصْطَادُ بِإِرْعَادِكَا وَإِبْرَاقِكَا ، وَلَا أَصِيرُ مَا كَلَّةٌ لِأَحَدٍ فَيَا كَلْنِي بِفَمِهِ كُلُّهُ خَضًّا
كَأَيُّوْ كُلِّ الرَّطْبِ اللَّيْنِ ، لَا قَضًّا . ثُمَّ أَخَذَ يُعَدِّدُ مَخَازِيَهُمَا فَقَالَ : عِنْدَ الْمَكَاشِفَةِ
وَالْمَلَاةَةِ تَخْبُتَانِ وَتَحْتَمِقَانِ ، خُبْتُ الضَّبْعَ وَحَمَاقَتَهُ ، وَعِنْدَ الْإِصْطِلَاحِ وَالْهُدُوِّ
تَشْجَعَانِ وَتُقَدِّمَانِ إِقْدَامَ الْأَسَدِ وَشَجَاعَتَهُ ، وَفِي ظِلَامِ اللَّيْلِ تَسْرِقَانِ وَتَحْتَالَانِ
عَلَى النَّاسِ ، وَتُرَاوِغَانِ مُرَاوِغَةَ الثَّلَبِ وَسِرِّقَتِهِ . وَالْخَمَرُ : مَا وَارَاكَ مِنْ شَجَرٍ

(١) صدره في ديوان الحَظِيثَةِ م : • :

* قَالَتْ أَمَامَةَ لَا تَجْزِعُ فَقُلْتُ لَهَا *

(٢) عَلَى لَيْتَيْنِ مِنْ مَكَّةَ .

(٣) رَوَى بَعْدَهُ الْجَاهِظُ فِي الْحَيَوَانِ :

فَتَى أَلَا فِكْمَا الْبِرَازَ تُنَلِّقِيَا عَرِكًَا يَفْلُ الْخَدَّ شَاكًا مُغْلِيَا

وغيره . و « إذا ما أظلمًا » أى دَخَلَ فى الظلام ، والعاملُ فى إذا ما دَلَّ على جوابه وقد تقدَّمه .

وقوله « لا تسأما » يقول : لا تَمَلًا مُدَاجَاتِي وَطَلَبَ الْغَوَائِلِ لِي فِي السَّرِّ وبظهر الغيب ، فَإِنِّي لَسَكَا عَلَى مِثْلِ حَالَتِكَا لِي ، وَلَا تَفْتَرَا عَنْهُ فَإِنِّي لَا أَفْتَرُ وَلَا أَمَلٌ وَإِنْ مَلَلْتَا أَيْضًا ، فَإِنْ مَلَلَا لَسَكَا لَا يُكْسِبُنِي فُتُورًا وَلَا إِمْسَاكَ . وَالذَّسُّ : إِدْخَالُكَ شَيْئًا تَحْتَ شَيْءٍ ، وَهُوَ الْإِخْفَاءُ ^(١) . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ وَالذَّاسُوسُ وَالْجَاسُوسُ يَقْتَارُ بَانَ . وَيُرْوَى : « مِنْ رَسِيْسٍ عِدَاوَةٍ » ، وَيَكُونُ مِثْلَ رَسِيْسِ الْحَقِّيِّ وَالْهَوَى وَرَسْمِهِمَا ، لَمَّا يَبْدَأُ مِنْهُمَا . وَمَوْضِعُ « أَنْ تَسْأَمَا » مِنَ الْإِعْرَابِ رَفْعٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ اسْمٌ لَيْسَ ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَيْسَ بِمِسِيئِي سَأَمْتُكُمْ فَهُوَ كَقَوْلِكَ : لَيْسَ بِمَنْطَلِقِي عَمْرُو .

٦١٢

وَقَالَ سُوَيْدُ بْنُ مَشْنُوءٍ ^(٢) :

١ - ذَرِي عَنْكَ مَسْعُودًا فَلَا تَذْكُرْنَهُ إِلَى بَسْوَءٍ وَاعْرِضِي لِسَبِيلِ

٢ - نَهَيْتُكَ عَنْهُ فِي الزَّمَانِ الَّذِي مَضَى وَلَا يَنْتَهِي الْغَاوِي لِأَوَّلِ قَبِيلِ

قوله « ذَرِي » ، أى دَعَى . وَالْأَمْرُ يُبْنَى عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ ، وَهُوَ يَذَرُ ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَ . فَأَمَّا وَذَرَّ فَرِنْ الْمَرْفُوضِ اسْتِعْمَالُهُ اسْتِغْنَاءٌ عَنْهُ بِتَرْكِ . وَقَوْلُهُ : « لَا تَذْكُرْنَهُ إِلَى » كَسَرَ الرَّاءَ مِنْهُ لِأَنَّهُ مَخَاطَبَةٌ مُؤَنَّثٌ ، وَالْأَصْلُ تَذْكُرِينَ ، فَحَذَفَ النَّونَ الْأَوَّلَى لِلْجَزْمِ ، ثُمَّ حَذَفَ الْيَاءَ لِاتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ ، فَصَارَ تَذْكُرَنَّ .

(١) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « وهو فى خفاء » .

(٢) ذكره أبو الفرج فى الأغاني (١٦ : ٣٨) فى خبر مع الحطيئة ، وقال : إنه حليف بنى عدى بن جناب الكلبيين .

والمعنى : لا يتبين ذكره إلى ، ولا يتجاوزن ذكره إلى بسوء . فعدي تذكر تعديّة تتجاوزن إلى ، حملاً على المعنى . ومما جاء على هذا قوله :

إِذَا تَغَيَّيَ الْحَمَامُ الْوُرُقُ هَيَّجَنِي ، وَلَوْ تَعَزَّيْتُ عَنْهَا ، أُمَّ عَمَّارٍ^(١)

عدي هيجني تعديّة ذكرني ، لأنه في معناه . وهذا كما يحملون في التعديّة النقيض على النقيض ، كقوله :

إِذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمَرُ اللَّهُ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا^(٢)

عدي رضيّت تعديّة غضبت لأنه نقيضه ، كما عدي هيجني تعديّة ذكرني لأنه نظيره . وكما حكى :

* قَدْ قَتَلَ اللَّهُ زِيَادًا عَنِّي^(٣) *

عدي قتل تعديّة صرف .

وقوله « نَهَيْتُكَ عَنْهُ » ، يقول : كنت أهدرك عنه فيما سلف من الزمان وتقضى ، لكنّ الجاهل لا يرتدع للزجر الأولى حتى يردع مرة بعد أخرى . وهذا مثل ، أعنى قوله :

* وَلَا يَنْتَهَى الْغَاوِي لِأَوَّلِ قِيلٍ *

وقوله « وَاعْرِضْ لِسَبِيلٍ » أى اعرض إلى طريق غيره ، واذا كرهه بسوء . ويقال : لَا تَعْرِضْ عِرْضَهُ ، أى لا تذكره بسوء .

(١) للناطقة الدياني في جهرة أشعار العرب من ٥٣ وكتاب سيديويه (١ : ١٤٤) . وقد سبق في ٣١٥ .

(٢) للتحيف العقيلي في الكامل ٣٤٢ ، ٤٨٨ .

(٣) للفرزدق في ديوانه ١٨١ ، واللسان (قتل) ، قاله حين خرج من المدينة بعد موت زياد ، وكان زياد قد نجاه وآذاه ونذر قتله . وقد سبق في ٣١٥ .

٦١٣

وقال معدان بن عبید^(١) :

- ١ - عَجِبْتُ لِعَبْدَانٍ هَجَوْنِي سَفَاهَةً أَنْ اصْطَبَحُوا مِنْ شَائِهِمْ وَتَقَيَّلُوا^(٢)
 ٢ - بِجَادٍ وَرَيْسَانٍ وَفَهْرٍ وَغَالِبٍ وَعَوْنٍ وَهَذَمٍ وَابْنِ صِفْوَةٍ أَخِيلٍ
 ٣ - فَأَمَّا الَّذِي يُحْصِيهِمْ فَمُكَثَّرٌ وَأَمَّا الَّذِي يُطْرِيهِمْ فَمُقَلَّلٌ

يقال : عَبْدٌ وَأَعْبُدٌ وَعِبَادٌ وَعَبِيدٌ وَعَبْدِي وَعَبْدَانٌ وَمَعْبُودٌ وَمَعْبُودَةٌ وَعَبْدٌ .
 فبعض هذه الأسماء مما صيغ للجمع ، وبعضها جمع في الحقيقة . وانتصب
 « سَفَاهَةً » لأنه مفعول له . وهم يَكُونُونَ عن اللثام بالعبيد والعبدان ، وبالقرم
 والقرمان^(٣) . و « أَنْ اصْطَبَحُوا » يريد لأن اصطبحوا ، أى شربوا الصُّبُوحَ ،
 وهو ما يُشرب صباحاً . والقيل ، وهو شرب نصف النهار . وكما قال تقيَّلُوا ،
 يقال تصبَّحُوا أيضاً . والمعنى عدواً طورهم فهجَوْنِي ، لأنهم رأوا بأنفسهم ما لم
 يعهدوه ، فطفَّعُوا عِنْدَ الْغَنَى ، وأصابوا مِنْ شَائِهِم الصُّبُوحَ والقيل ، بعد أن كانوا
 كلاً على غيرهم . ثم ذكرهم بأسمائهم تخضيعاً^(٤) وتشنيعاً . ويرتفع بجادٌ إن شئتَ
 على الاستئناف ، يريد : هم بجادٌ وريسانٌ ؛ وإن شئتَ على البدل من المضميرين
 في قوله اصطبحوا .

وقال من بعدُ : مَنْ يَعُدُّهُمْ يُسَكِّثُ لَوْفُورَ عَدَدِهِمْ ، ومن يُثْنِي عَلَيْهِمْ يَقَلِّلُ
 لِقَلَّةٍ مِنْ يَسْتَحِقُّ الثَّنَاءَ فِيهِمْ وَمِنْهُمْ . ويجوز أن يكون أن من قوله أن اصطبحوا
 أن المفترسة ، كأنه فسَّرَ لِمَ طَفَّعُوا فَهَجَوْنَا .

(١) هو معدان بن عبید بن عدی بن عبد الله بن خبیری بن أفلت الطائي ثم المعنى .
 شرح التبریزی ومعجم المرزبانی ٤٠٧ .
 (٢) ضبطت « عبدان » في النسختين والتبریزی بكسر العين ، ويقال فيها أيضاً
 « عبدان » بضم العين .
 (٣) لم تذكر المعاجم المتداولة هذا الجمع . والمعروف أقزام ، وقزاي ، وقزم بضمين .
 (٤) ل : « تخضعا » .

٦١٤

وقال يزيد بن قنافة^(١) :

- ١ - لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَىَّ بِهَيِّينَ لَبِئْسَ الْفَقِي الْمَدْعُوُّ بِاللَّيْلِ حَاتِمٌ^(٢)
 - ٢ - غَدَاةُ أَنَّى كَالثَّوْرِ أُخْرِجَ فَاتَّقَى بِجَهَنَّمِهِ أَقْتَالَهُ وَهُوَ قَائِمٌ
 - ٣ - كَانَ بَصَحْرَاءَ الْمَرْيُوطِ نَعَامَةً تُبَادِرُهَا جَنَحُ الظَّلَامِ نَعَامٌ
 - ٤ - أَعَارَنِكَ رَجُلِيهَا وَهَافِي لُبِّهَا وَقَدْ جُرِّدَتْ بِيضُ الْمُتُونِ صَوَارِمٌ
- قد مضى الكلام في قوله لَعَمْرِي . وقوله « وما عَمْرِي عَلَىَّ بِهَيِّينَ » تحقيق لليمين ، وأنَّ عَمْرَه ليس يَهُون عليه فيحلف به كاذبا . وفي الكلام إزارا بالمخبر عنه . وقوله « الْمَدْعُوُّ بِاللَّيْلِ » كثير من النحويين يذهبون في مثله إلى

(١) التبريزي : « وقال يزيد بن قنافة بن عبد شمس العدوي ، من بني عدى بن أخزم ابن أبي أخزم ، من ثعل بن عمرو بن النوث ، رهط حاتم بن عبد الله » . وقال ابن جني : « القنف صغر الأذنين وغلظهما ، رجل أقنف وامرأة قنفاء ، وبه سمى الرجل قنافة ، إذا كان ضخام الأنف ، ويقال : هو الطويل الجسم . فقد يجوز أن تكون الهاء في قنافة لحقت بالمبالغة ، ويجوز أن يكون أيضا لحاقها ضربا من ضروب تغيير الأعلام ، كما أن الهاء في رواحة قد يجوز أن تكون كذلك . وقد يجوز أن يكون قنافة علما مرتجلا من غير طريق الصنعة التي ذكرت » .

(٢) قال أبو رياش : كان من خبر هذه الأبيات أنه عمد رجل من بني السيد بن مالك ابن بكر بن سعد بن ضبة ، يقال له زيد بن ثابت ، فجاور في طي وكانت له نعمة فيهم ، وكان جيرانه منهم بنو معن ، فقتلوه وأخذوا ماله : فبلغ ذلك بني السيد فركبوا فيمن تبعهم من بني ضبة حتى لقوا رجلا من طي فقالوا له : من أنت ؟ فسكتهم فعرفوا لغته ، فقالوا له : أنت آمن إن دلتنا على أقرب أبيات بني معن منك . فدلهم على بني ثور بن ود من بني معن ، وذلك من العشي ، فقتلوه إلا قليلا ، وانفلت منهم رجل حتى أتى حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج ، وهو حاتم طي ، وهو في قبة له من آدم في دار ليس معه فيها أحد غير أهل بيت أو بيتين من بني عدى ، فيهم يزيد بن قنافة ، وهو بمكان يقال له صحراء المريط ، فأخبره الخبر فأمر أمته أن توفد في قبة واحتمل تحت الليل فنجوا ، وبقي يزيد بن قنافة لم يعلم الخبر حتى صبحته الخيل غدوة ، وكانت امرأته لا تسكلمه فدعته باسمه فأخبرته الخبر ، فنار إلى قوسه فنهج بناته وابنيه وامرأته وذهب بماله . وإنما كان الثوم أرادوا حاتما فأقلت . وفي ذلك يقول يزيد بن قنافة هذا الشعر هاجيا .

أنه بدل لا صفة ، لأنَّ نَعَمْ وبئس يرفعان من المعارف ما فيه الألف واللام ودلَّ على الجنس ؛ وما يدلُّ على الجنس [لا^(١)] يَتَأَنَّ فيه الوصفية . والصواب عندي تجويز كونه وصفاً ، بدلالة أنه يثنى ويُجمع ، فيقال : نعم الرجلان الزيدان ، ونعم الرجال الزيدون ، والثنية والجمع أبعد الأشياء من أسماء الأجناس ، إلا إذا اختلفت ، فكما يجوز ثنية هذا وجمعه لدخول الاختلاف فيه ، كذلك يجب أن يجوز وصفه لمثل هذه العلة ، ولا فضل . وإذا كان كذلك كان قوله للمدعو بالليل صفةً للفتى ، كأنه قال : مذمومٌ في الفتیان المدعويين بالليل حاتم . وهذا ظاهرٌ .

وذَكَرَ اللَّيْلَ لشدَّةِ الهَوْلِ فيه .

وقوله « غداة أنى كالثور » يعنى حاتماً ، وإنما يهزأ به . ومعنى أخرج : ضيق عليه وأخرج من عادته فأخرج إلى أن يعيث . والأقتال : الأقران والأعداء ، والواحد قتل . فيقول متهمكماً : جاء كالثور الهائج غضباً وحجةً ، وقد بان له من طلابه ترك الإبقاء عليه ، فجعل بينه وبين أقرانه قرنيه يتفهم بهما ، ويعدهم الشرَّ بإعمالهما ، فهو ثابت القدم متهيئ للقتال . هذا كان حاله في المجيء ، فلما جاء وقت الدفاع والمصادمة ، والقراع والمكافحة ، انهزم فسكران نعمةً سابقها حين جَنَحَ الظلامُ نَعَامٌ إلى أداحيها ، أعارت حاتماً رجلها وطائر قلبها ، وهو يَغْدُو مذعوراً ، ويطلب النجاء مفلولاً ، وقد جُرِّدت السيوف من أعمادها ، وصار الأمر في الطلب والهرب جِدًّا . وإنما قال « أعارتك رجلها » لأنه نقل الكلام عن الإخبار إلى الخطاب .

(١) التكملة من ل والتبريزي .

٦١٥

وقال عارق، وهو قيس بن جرّوة الطائي^(١) :

١ — من مُبْلِغٍ عَمْرُو بْنِ هِنْدٍ رِسَالَةً إذا اسْتَحَقَّقَتْهَا الْعَيْسُ تُنْضَى مِنَ الْبُعْدِ

٢ — أَيُوْعِدُنِي وَالرَّمْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ تَبَيَّنَ رُؤْيَا مَا أَمَامَهُ مِنْ هِنْدٍ

٣ — وَمِنْ أَجْلِ حَوْلِي رِعَانُ كَانَهَا فَنَابِلُ خَيْلٍ مِنْ كُمَيْتٍ وَمِنْ وَرْدٍ

كان عمرو بن هند غزاة اليمامة على ماحكيت من قصته فيما تقدّم^(٢) ، فأخفق ورجع مُنْفِضًا ، فرّ بطيئًا ، وكانوا في ذمته بكتاب عقيد اكتبته لهم ، وعهد أحكمه معهم ، فقال زُرارة بن عدس له : أبينت اللعن ، أصيب من هذا الحميّ شيئًا . قال : وبلك إن لم عقدا لا يجوز لنا تخطيه . فأخذ زُرارة يهوّن أمر العهد عليه ، ويحسن الإيقاع بهم ؛ فلم يزل يقتل في الذرّوة والغارب معه شيء كان في نفسه على طيئ حتى أصاب أذوادًا ونساء ، فهجا عارق وعمر بن هند بأبيات يعصب رأسه فيها بالغدر الذي كان منه ، فوقعت الأبيات إلى عمرو بن هند ، فتوعد عارقًا وحلف أنه يقتله ، فاتصلت مقالته بعارق فقال هذه الأبيات . ومعنى « استحققتها » حملتها في الحقائق . وجعل الفعل للعيس أتساعًا . ومعنى تُنْضَى : تهزل ، لبعْد المسافة .

وقوله « أَيُوْعِدُنِي » استفهام على طريق التقرّيع لعمر ، واستعظام منه للأمر . والمعنى أنه لا ينفالني مع حصانة حنلي وداري ، ولا يتمكّن مني على بُعد طريقي وأرضي ، فلينظر برفقي ، وليميل بين أمّه وأمي ، وليكن التعلّي والتوعد

(١) سبقت ترجمته في الخامسة ٦٠٤ ص ١٤٤٦ .

(٢) في الخامسة ٦٠٣ ص ١٤٤٧ .

بمقدار فضله وقدرته . وذكر الأمام إظهار لقلة المبالاة ، وأنه يجسر على تناول الحرم منه باللسان .

وقوله « ومن أجا حو لي رعان » أجا : أحد جبلتهم ^(١) . والرعان : جمع رغن ، وهو أنف يتقدم من الجبل . والمراد بيان حال جبل طي في وناقتها وحصاتها ، وأمن من ينزل بهما ، وأن رعانه كأنها جماعات خيل أحاطت بالجبل وأحذقت ، فهي تدب عنها ^(٢) كمتا ووژدا ^(٣) . وذكر القنابل في التشبيه ، والعز بأربابها يحصل .

٤ — غدرت بأمر كنت أنت اجتذبنا إليه وبئس الشيمة الغدر بالعهد
٥ — وقد يترك الغدر الفتى وطعامه إذا هو أمسى جلّه من دم الفصد
يروي : « أنت اجتذبنا » ، وهو افتعل من الحذو : السوق . واجتذبنا من الجذب . ويروي : « أنت دعوتنا » .

والشاعر يشير إلى ما كان في يد طي من عقد الجوار وكتاب العهد ، فيقول : كنت أنت الباني لذلك ، والمؤسس لمناره ، فأبيت إلا أن تنقضه ، وبئس العادة الغدر مع العقود ، ونكت عرى اليهود . والفتى قد يؤثر الإقامة على الوفاء مع الإضافة ، وشدة الفاقة ، ويطلب اكتساب المحمدة ، وإن كان مسكيناً ذا متربة ، حتى إذا أمسى يكون جلّ طعامه فصيد الدم . ويروي : « إذا هو أمسى حلبة من دم الفصد » ؛ والأول أحسن . ويرتفع « جلّه » على

(١) والآخر « سلمي » .

(٢) أي عن طي القبيلة .

(٣) التبريزي : « وجعلها مختلفة الألوان لاختلاف ألوان الجبال » .

أنه مبتدأ ثان ، والجملة خبر المبتدأ الأول ، وهو طعامه . وينتصب إذا من قوله « جُلَّةٌ من دَمِ الْقَصْدِ » ، لأنَّ الدالَّ على جوابه ^(١) .

٦١٦

وقال آخر :

- ١- لَعَمْرِي وما عَمْرِي عَلَى بَهَيْنٍ لقد ساءني طَوْرَيْنِ في الشَّعْرِ حَاتِمُ
 - ٢- أَيْقِظَانُ في بَغْضَانَا وَهَجَانَا وَأَنْتَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَالْبِرِّ نَائِمُ
 - ٣- بِحَسْبِكَ أَنْ قَدْ سُدَّتْ أَخْرَمَ كُلَّهَا لِكُلِّ أَنْاسٍ سَادَةٌ وَدَعَامُ
 - ٤- فَهَذَا أَوَانُ الشَّعْرِ سَلَّتْ سِهَامُهُ مَقَابِلُهَا وَالْمُرْهَقَاتُ السَّلَاجِمُ
- أقسم بحياة نفسه ، وخبر المبتدأ محذوف ، والمراد : لَعَمْرِي ما أَقْسِمُ به ؛ لأنَّ اللامَ منه لأمُ الابتداء ، وجواب القسم لقد ساءني . وقوله « ما عَمْرِي » اعتراض ، وقد مرَّ القول في فائدته ^(٢) . والطَّوْرُ : التَّارَةُ . أي تَعَرَّضَ لى مرتين بما ساءني . ثم أقبل عليه فقال : أَيْقِظَانُ ؟ والمعنى : أَنْتَ يَقْظَانُ ، أي مُنْتَبِهٌ في هَجْرِنَا وَبَغْضَانَا وعداوتِنَا ، وثأْمُ عن الخير والإحسان ، وإسداء المعروف والبرِّ والإفضال ؟ ثم أخذ يهزأ به فقال : بِحَسْبِكَ . والمراد حَسْبُكَ ، لكنهم يَزِيدُونَ الباءَ في المبتدأ ، نحو قولك : بِحَسْبِكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا ، وفي الخبر أيضاً يَزِيدُونَ ، نحو قوله :
* وَمَنْعُكُمَا بَشَىءٌ يُسْتَطَاعُ ^(٣) *

(١) ابن جني : « لا يصح أن ينصب إذا شيء مما قبلها ، طعامه ولا غيره ، من حيث كان الشرط لا ينصب ما قبله ، لكن العامل ما دلت عليه حلبة ، أي إذا هو أمسى يحلب له من دم القصد . ولا يجوز أن يتعلق بحلبة ، من حيث كان مصدراً فلا تتقدم صلته عليه . يعني أن المصدر لا يعمل فيما قبله — فإن قلت : فإن الحلبة هنا بمعنى المحلوبة واسم المفعول يتقدم عليه ما عمل فيه ، فذلك وجه مستقيم ، يجوز انتصاب إذا عليه بنفس الحلبة » .

(٢) انظر البيت الأول من الحماسة ٦١٤ ص ١٤٦٤ .

(٣) لعبيدة بن ربيعة بن حنфан ، كما سبق في حواشي الحماسة ٤٨ ص ٢٠٩ . وصدره :

* فلا تطعم أبيت اللعن فيها *

وانظر الخزانة (٢ : ٤١٣) .

أى شئ يستطاع . وهذا أحد ما قيل فيه ، وقال آخر ^(١) :
 بِحَسْبِكَ فِي الْقَوْمِ أَنْ يَعْلَمُوا بِأَنَّكَ فِيهِمْ غَنِيٌّ مُضِرٌّ ^(٢)
 والمعنى : كافيك أن ترأست على أخزم ، وأخزم : رَهْطُ حاتم . ثم أزرى
 برياسته وبهم ، فقال : ولكل طائفة من طوائف الناس رؤساء وعمد ، وهذا
 يجري مجرى الالتفات . كأنه بعد ما قال ذلك التفت إلى من حوله يؤنسهم
 ويقول : ليس ذا بمنكر ، فلكل قوم من يسوسهم ويدعمهم .
 وقوله « فهذا أوان الشعر سلت سهامه » ، يعنى شعره . فيقول : لكل
 زمان شئ يظهر فيه ويغلب ، وزماننا هذا مع قرصك للشعر زمان الشعر ، وقد
 انتزعت سهامه من كفاتها بعد أن نثرت ، فجردت لارنى بها معايلها ، وهى
 العراض ، وسلاجها وهى الطوال . والمرهفات : المرققات الحد . والمراد بهذا
 التنويع فنون الشعر وأساليبه . أى أنت فيه ذو فنون ، والمعبل ^(٣) : الذى معه
 معايل ^(٤) . وعبلته : أصبته بمعيلة .

٦١٧

وقال رجل من طي :

- ١ — إِنْ أَمْرًا يُعْطَى الْأَسِنَّةَ نَحْرَهُ وَرَاءَ قُرَيْشٍ لَا أَعْدُ لَهُ عَقْلًا
 ٢ — يَذْمُونَ لِي الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبُوا بِهَا فَمَا تَرَكَوْا فِيهَا لِمُلْتَمِسٍ مُعْلًا ^(٥)

- (١) هو الأشعر الرقبان الأسدى . اللسان (ضرر) .
 (٢) المضر : الذى له قطعة من الإبل أو الغنم .
 (٣) وردت فى القاموس ، ولم ترد فى اللسان .
 (٤) فى الأصل : « فيه معايل » ، صوابه فى ل .
 (٥) مثل هذا المعنى لعبد الله بن عام السلولى ، قال يهجو العلماء فى شعر يخاطب به النعمان
 ابن بشير الصخاني :

وذموا لنا الدنيا وهم يرضونها أفأويق حق ما يدر لها فعل
 اللسان (٩ : ٤٨٤ / ١٣ : ٨٨) والأغانى (١٤ : ١١٦) . وانظر مجالس ثعلب
 ٥١٥ ومقاييس اللغة (٢ : ٤٠١) .

وَصَفَّ الْأَسْرَاءَ الَّذِينَ أَشَارَ إِلَيْهِمْ بِسُوءِ الْحَافِظَةِ ، وَذَهَابِهِمْ عَنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَقِ
وَمِرَاعَاتِهَا ، وَإِزَالِ الْمَوَالِينَ مَنَازِلَهُمْ فِيهَا فَقَالَ : إِنْ مَنْ يَغْتَرُّ بِكُمْ بَعْدَ هَذَا الْوَقْتِ
وَاِعْتَمَدَكُمْ ، فَبِذَلِّ نَفْسِهِ وَرَاءَكُمْ لِلْمَتَافِ ، وَرَكِبَ فِي هَوَاكُمُ الْمَعَاطِبَ ، لَا عَقْلَ
لَهُ وَلَا رَأْيَ .

ثُمَّ بَيَّنَّ مَا أَشْكَاهُ مِنْهُمْ ، وَسُوءَ مَعَامِلَتِهِمْ فَقَالَ : يَذُمُّونَ الدُّنْيَا لِي ،
وَيَزْهَدُونَنِي فِيهَا وَفِي الْأَخْذِ مِنْهَا ، وَقَدْ فَازُوا بِهَا حَتَّى لَمْ يُبَقِّوْا فِيهَا فُضَالَةً لِأَحَدٍ ،
أَيَّ تَغَبَّرُوا كُلَّ مَحَلُوبٍ فِيهَا ، وَلَمْ يُبَقِّوْا فِي ضَرْعِهَا شَيْئًا حَتَّى لَمْ يَتْرُكُوا نُفْعًا
فِيهَا . وَهَذَا مَثَلٌ ، وَالثُّغْلُ هُوَ الطُّغْيَانُ الزَّائِدُ ، وَالسُّنُّ الزَّائِدَةُ . وَيُقَالُ : ثُعِلَتْ
سِنُّهُ . وَشَاةُ ثُعُولٍ : لَهَا ثُعْلٌ^(١) . وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّ الثُّغْلَ مِنْ الشَّاءِ :
الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يُحْلَبَ مِنْ ثُعْلِهَا أَيْضًا .

وَقَوْلُهُ « وَرَاءَ قُرَيْشٍ » يَكُونُ وَرَاءَ بِمَعْنَى خَلْفَ وَقُدَّامَ ، وَالْأَوَّلَى بِهِ هُنَا أَنْ
يَكُونُ بِمَعْنَى قُدَّامَ . وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ ﴾ .

٦١٨

وَقَالَ رُوَيْشْدٌ^(٢) :

١ - وَمَوْقِعُ تَنْطِقُ غَيْرِ السَّدَادِ فَلَا جِيْدَ جِرْعُكَ يَا مَوْقِعُ

٢ - فَمَا فَوْقَ ذِلَّتِكُمْ ذِلَّةٌ وَلَا تَحْتَ مَوْضِعِكُمْ مَوْضِعُ

مَوْقِعٌ^(٣) : قَبِيلَةٌ . يَرِيدُ أَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِالْفَحْشِ وَغَيْرِ الصَّوَابِ ، لِسَفْهَةِهَا

(١) يُقَالُ ثُعِلَ ، بِالضَّمِّ ، وَبِالْفَتْحِ ، وَبِالتَّحْرِيكِ .

(٢) هُوَ رُوَيْشْدُ بْنُ كَثِيرٍ الطَّائِي ، الَّذِي سَبَقَتْ لَهُ الْجُمُوعُ ٣٢ ص ١٦٦ .

(٣) مَوْقِعٌ ، بِضَمِّ الْمِيمِ ، كَمَا فِي الْأَسْلَى وَالتَّبْرِيزِيِّ . وَفِي الْقَامُوسِ : « وَمَوْقِعٌ بِالضَّمِّ :

قَبِيلَةٌ » لَكِنْ صَبَطَتْ فِي لَ بَفَتْحِ الْمِيمِ وَالْقَافِ .

وسوء تمييزها ، ثم دنا عليها ، فقال : لا مَطَرَ جَانِبِكَ وَفِنَاءَ وَاذِيكَ بِالْجَوْدِ ،
ولا أصابكم خِصْبٌ .

وقوله « فافوق ذلتكم » طابق بتمت وفوق فيه ، وهو غريب حسن . يريد :
لا مرتبة في الذل أعلى من مرتبتكم ، فإنها الغاية القصوى ؛ ولا موضع أشد
تأخراً وانحطاطاً في العز من موضعكم ، فإنه المنزل الأخس الأدنى . وقوله « غير
السداد » ، يريد به تنطق النطق غير السداد . ويقال : جيد جوداً ، في المطر ،
وتوسّع فيه قليل :

* وَجُودٍ مِنْ صُبَابَاتِ السَّكْرَى ^(١) *

ويقال جيد جواداً ^(٢) ، إذا عطش .

٦١٩

وقال جابر ^(٣) :

- ١ - أَجِدُّوا النَّعَالَ بِأَقْدَامِكُمْ أَجِدُّوا فَوَيْهَا لَكُمْ جَرُولُ
 - ٢ - وَأُبْلِغْ سَلَامَانَ إِنْ جِئْتَهَا فَلَا يَكُ شَيْهَا لَهَا الْمَغْزَلُ
 - ٣ - يُكْسَى الْأَنَامَ وَيُعْرَى اسْتُهُ وَيَنْسَلُ مِنْ خَلْعِهِ الْأَسْفَلُ
- يقول : استجدوا النعال لأقدامكم ، أو في أقدامكم استجدوها يا جرول ،
وأيها لكم . وإنما كرر الأمر تأكيداً للقول عليهم . ويقال في الدعاء : أبل
وأجدد . وويها : اسم من أسماء الأفعال يُعْرَى به ، ولا يجيء إلا منوناً ،

(١) البيت للبيد في اللسان (جود) . ومجازه :

* طاف التمرق صدق المبتذل *

(٢) وجودة أيضاً بفتح الجيم ، وفيه قول ذى الرمة :

تعاطيه أحياناً إذا جيد جودة رضاها كطعم الزنجبيل المعسل

(٣) كذا ورد اسمه بدون نسبة .

وذلك علامة لتفكيره . وإِنَّمَا قلنا هذا لِأَنَّ في أسماء الأفعال ما يُنكَرُ ويعرَفُ ،
ومنه ما لا يَحْيى إِلَّا منكورا . ومثل وَيَهَيَّأُ إِيَّهَا ، وَيُسْتَعْمَلُ في الكَفِّ ، وَوَاهَا
وهو للتعجب ، وكل ذلك يَحْيى منوثة منكورة . وَجَرَّوْلُ : اسم رَجُل . وجعل
أَوَّلَ الكلام خِطَابًا لجماعتهم ، ثم خَصَّ بالنداء واحداً منهم وجعله المأمور بما
أراد . الْآ تَرى أَنَّهُ قال : « وَأُبْلِغُ سَلَامَانَ إِن جِئْتَهَا » . وَسَلَامَانُ : قبيلة .
ومثل هذا التخصيص قول الهذلي^(١) :

* أَحْيَا أَبَا كُنَّ يَا لَيْلَى الْأَمَادِيجُ^(٢) *

فقال : أبا كُنَّ ، ثم قال : يا لَيْلَى ، وهذا التخصيص مثل التخصيص الذي
في قوله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ ، وما أشبهه . وقوله
« فَلَا يَكُ شَيْبًا لَهَا الْمَغْزَلُ » ، لو قال لكم لساغ ، لأنهم يفتنون في مثل هذا
الموضع بين الخطاب والإخبار ؛ على هذا قولُ الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ
بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ ، قُرئ : ﴿ لَا يَعْبُدُونَ ﴾ بالياء والتاء^(٣)
فالتاء للخطاب ، والياء للإخبار . والرَّسالة التي يريد إبلاغها قوله :

* فَلَا يَكُ شَيْبًا لَهَا الْمَغْزَلُ *

والمعنى لا يكونَ سَبِيلُكُمْ سَبِيلَ مَنْ يَتَّبِعُ الْغَيْرَ وَيَضُرُّ نَفْسَهُ ، كالمغزل الذي
يُكْسَى الخَلْقَ ويَجْعَلُ اسْتَه غُرَيَانَ . وهذا مثل . وكما ضُرِبَ المَثَلُ بالمغزل ضُرِبَ
أَيْضًا لَهُ بالسَّراجِ فقيل :

وَلَا تَكُونَنَّ ذُبَالَةً نُصِبَتْ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ

فإنَّما قوله « وَيَنْسَلُ مِنْ خَلْعِهِ الْأَسْفَلُ » ، فَإِنَّهُ كَانَ يُرْوَى : « مِنْ خَلْفِهِ »

(١) هو أبو ذؤيب . ديوان الهذليين (١ : ١١٣) . وقد سبق في ٢٤٨ .

(٢) صدره : * لو كان مدحة حتى أنشئت أحداً *

(٣) قرأ بالياء التحتية ابن كثير وحزرة والكسائي . وقرأ أبو وابن مسعود :

« لَا يَعْبُدُوا » ، على النهي . تفسير أبي حيان (١ : ٢٨٢) .

وليس يصح له معنى . والمستقيم كما روينا : « مِنْ خَلْعِهِ الْأَسْفَلَ » . وذلك أَنَّ الْمَغْزَلَ يَنْسَلُّ أَسْفَلُهُ بَأَن يُخْتَلَعَ كُتْبَتُهُ ، وهذا ظاهر . وكأنَّ سَلَامَانَ كانت تَقْتَعِمُ أَهْوَالَ غَنَمِهَا بِصِيرٍ لغيرِهَا ، وَغَرْمُهَا يَكُونُ لَهَا ، فَلِذَلِكَ جَعَلَ لِلْمَغْزَلِ مِثْلَالَهُ .

٤ - قَابَ - بُجَيْرًا وَأَشْيَاعَهُ كَمَا تَبَحَّثُ الشَّاةُ إِذْ تَذَالُ^(١)

٥ - أَثَارَتْ عَنِ الْحَتْفِ فَاغْتَابَهَا فَمَرَّ عَلَى حَلَقِهَا الْمِفْعُولُ

٦ - وَآخِرُ عَهْدٍ لَهَا مُونِقٌ غَدِيرٌ وَجَزَعٌ لَهَا مُنْقِلٌ

قوله « كَمَا تَبَحَّثُ الشَّاةُ » محمولٌ عَلَى الْمَعْنَى ، لِأَنَّ الْمَعْنَى أَنَّ بَحْثَ بُجَيْرٍ وَأَشْيَاعِهِ كَبَحْثِ الشَّاةِ فِي ذَائِلِهَا ، وَهُوَ جِنْسٌ مِنْ عَدُوِّهَا ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يُشَبَّهُ الْحَدَّثُ بِالْحَدَّثِ ، وَالذَّاتُ بِالذَّاتِ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَوْلُهُ إِنَّ بُجَيْرًا حَذَفَ الْمُضَافَ مِنْهُ ، لِأَنَّ الْقَصْدَ تَشْبِيهُ الْبَحْثِ بِالْبَحْثِ . وَفِي الْمَثَلِ : « حَتْفُهَا تَحْمِلُ ضَانَّ بِأُظْلَافِهَا » ، وَ« كَمَا تَبَحَّثُ الشَّاةُ عَنْ مُدَيَّتِهَا » وَ« لَا تَكُنْ كَالْبَاحِثِ عَنِ الشُّقْرِ » ، وَإِنَّمَا يَنْهَى بِهَذَا مَنْ يَجْنِي عَلَى نَفْسِهِ فِيمَا يَأْتِيهِ ، وَيَسْعَى فِي إِهْلَاكِهِ بِرِجْلِهِ ، فَيَقُولُ : لَا يَكُونَنَّ سَبِيلُهُ سَبِيلَ الشَّاةِ الَّتِي كَشَفَتْ عَنِ الْمُدْيَةِ ، وَقَدْ اسْتَتَرَتْ عَنِ الذَّائِعِ ، بِظَلْفِهَا ، حَتَّى ذُبِحَتْ بِهَا . وَمَعْنَى أَثَارَتْ عَنِ الْحَتْفِ ، أَثَارَتْ عَنِ الْمُدْيَةِ ، ثُمَّ كَانَ الْحَتْفُ فِيهَا . فَفِيهِ تَوْشَعٌ . وَهُمْ يُقِيمُونَ السَّبَبَ مَقَامَ الْمَسَبِّ كَثِيرًا . وَاغْتَالَ : افْتَعَلَ مِنَ الْقَوْلِ ، وَهُوَ الْهَلَاكُ . وَالْمِفْعُولُ : السَّكَّينَ ، وَقَدْ اشْتَهَرَتْ بِهَا إِذَا جُعِلَتْ فِي وَسْطِ السَّوْطِ فَصَارَ كَالْغِلَافِ لَهَا . وَقَوْلُهُ « وَآخِرُ عَهْدٍ لَهَا مُونِقٌ غَدِيرٌ^(٢) » ، يَعْنِي الشَّاةَ بَعْدَ إِثَارَتِهَا السَّكَّينَ .

(١) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « وَأَشْيَاعَهَا » ، صَوَابُهُ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ . قَالَ : « بِجَيْرٍ : اسْمُ رَجُلٍ » .

(٢) ابْنُ جَنِي : « أَرَادَ أَنْ يَقُولَ غَدِيرٌ مُونِقٌ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدَّمَ وَصَفَ النُّكْرَةَ عَلَيْهَا فَأَعْرَبَهَا إِعْرَابَهَا وَأَبْدَاهَا مِنْهَا ، كَقَوْلِكَ : مَهَرْتُ بِظَرِيفٍ رَجُلًا . وَلَوْ نَصَبَهُ لِأَنَّهُ وَصَفَ نُّكْرَةَ قَدَّمَ عَلَيْهَا فَنَصَبَ حَالًا مِنْهَا لَجَازَ عَلَى قَوْلِكَ : فِيهَا قَائِمًا رَجُلًا . غَيْرَ أَنَّ سَبْيُوهُ قَالَ : هَذَا كَلَامٌ أَكْثَرَ مَا يَجِيءُ فِي الشَّعْرِ وَقَلَمًا يَجِيءُ فِي الْكَلَامِ » .

وهو إظهارها إياها . فيقول : كان آخرُ عهدِها المُعْجِبُ لها روضةٌ قد أبْقَلَتْ ،
وغديرًا امتلأ ماءً وكان شِبعه وريه منهما ، فَبَطِرَتْ وأثارت عن حَتْفِها حتَّى
هَلَكَتْ . ولك أن تروى « مُونِقٌ » بالرفع ، فيكون صفة لآخرِ عَهْدٍ ،
و « مُونِقٍ » بالجرِّ فيكون للعهد . وجعل الإيناق للعهد لأن المراد بالعهد المعهود ،
وهو المرعى المُعْجِبُ . ويجوز أن يجعل المونِقُ من صفة الغدير وقد قُدِّم عليه ،
وجُعِلَ هو بدلًا منه ، ويكون التَّقدير : وآخرُ عهدِها غديرٌ مُونِقٌ وجَزَعٌ مُبْقِلٌ .
ويقال : أبْقَلَ المكانُ فهو باقِلٌ ومُبْقِلٌ . وأَقْلَلَ فهو فاعِلٌ شاذٌّ ليس بكثير .

٦٢٠

وقال إياس بن الأرت^(١) :

١ - كَأَنَّ مَرْعَى أُمَّكُمْ إِذْ بَدَتْ عَقْرَبَةٌ يَكُومُهَا عُقْرُبَانٌ^(٢)

٢ - إِكْلِيلُهَا زَوْلٌ وَفِي شَوَاهِهَا وَخَزْ أَلِيمٌ مِنْ لُ وَخَزِ السَّنَانُ

٣ - كُلُّ عُدُوٍّ يُتَّقَى مُقْبِلًا وَأُمَّكُمْ سَوَزَتْهَا بِالْعِجَانُ

قوله « كَأَنَّ مَرْعَى أُمَّكُمْ » ، يجوز أن يكون « مَرْعَى » اسمًا لها ،
وأُمَّكُمْ بدلًا منه ، ويجوز أن يكون لقبها الشاعر به . وسُئِلَ الأحنف عن شيء
من أمور النساء ، فقال : « الرَّجَالُ حَمَى وَالنِّسَاءُ مَرْعَى » ، فَعُدَّتْ من سَقَطَاتِهِ .
ومثل قوله « عَقْرَبَةٌ يَكُومُهَا عُقْرُبَانٌ » قول الآخر :

كَالْجُعْمَيْنِ رَكِبَا دُخْرُوجًا دَمَامَةً وَمَنْظَرًا سَمِيحًا

والعقْرُبَانُ : ذَكَرُ العقارب . والكَوْمُ : السَّقَادُ . وقوله « إِكْلِيلُهَا زَوْلٌ »

(١) سبقَت ترجمته في المحاسنة ٣٥٧ ص ١٠٢٨ .

(٢) انظر الحيوان (٢ : ٢٨٦ / ٤ : ٢٥٩ - ٢٦٠) .

كنى عن قرني العقرية بالإكليل . والزَّوْل : الخفيف الظريف . وقوله « وفي شولها وَخَزْ » أى فيما تَسُولُ العقرية من ذنبها . وزاد الهاء فى عقرية توكيداً للتأنيث . وهذا كما قالوا : جمل وناقة ، وكبش ونعجة ، ووعل وأروية ألحقوا الهاء توكيداً وتحقيقاً للتأنيث ؛ ولو لم تُلْحَقْ لم تَحْتَجِجْ إليها . وحكى : عجوزة . والوَخَزُ : الطعن الشديد الموجع . وإنما يعنى شوكتها إذا ضرب بها ، فشبه تأثيرها بتأثير السنان .

وقوله « كلُّ عدوٍّ يُتَّقَى مُقْبِلًا » ، أراد أن يذكر السوءة فيها استهزاء بها واستهانةً بذكرها ، فقال : كلُّ عدوٍّ يُتَّقَى شرُّه إذا أقبلَ ، وأمُّكم يُتَّقَى شرُّها إذا أدبرت . والعجبان يريد الدُّبْرَ به ^(١) . وهو فى الأصل ما بين الخصية إلى سَمِّ الدُّبْرِ . والسَّوْرَةُ : الوُتْبَةُ .

٦٢١

وقال أدهم بن أبي الزعراء ^(٢) :

- ١ — بَنِي خَيْبَرِى نَهْنَهُوا مِنْ قَنَازِعِ
أَتَتْ مِنْ لَدُنْكُمْ وَانْظُرُوا مَا شُؤْنُهَا ^(٣)
- ٢ — فَكَائِنْ بِهَا مِنْ نَاشِصٍ قَدْ عَلِمْتُمْ
إِذَا نَفَرَتْ كَانَتْ بَطِيئًا سَكُونُهَا

هذا الكلام منه توعُّدٌ واستهزاء . فيقول : يا بني خيبرى ، كفوا عن آيات هجاء وفخرٍ جاءتنا من عندكم ، وانظروا كيف تُرْسِلُونَهَا وماذا شُؤْنُهَا حتَّى اهتمجت وجاءت . والقَنَازِعُ ، أصله الفُحْشُ . ويقال للدُّيُوثِ : القُنْدُعُ .

(١) ل : « يريد به الدبر » .

(٢) سبقت ترجمته فى الخامسة ٢٠٠ ص ٦١٣ .

(٣) التبريزى : « عن قناذع » .

وقوله « فكَأَنَّ » بناء كأنَّ لغةً في كم . و « بنا » أى عِنْدَنَا .
 « نَاشِصٌ » أصله فى المرأة ، يقال : نَشَصَتِ المرأةُ على زوجها ونَشَرَتْ ، إذا
 تَمَنَّعت . فاستعاره للشَّعر والمهجو . يريد : كم من قافية إذا نَفَرَتْ كانت بطيئاً
 سكونها . وهذا توعُّد ، والمراد : إنَّما نُمِسِكُ عن القول ما أمكن ، فإذا تكلَّمنا
 استمرَّ القولُ بنا فَيَبْطُؤُ سكوننا ؛ لأنَّ للاحتِمالَ غايةً وللشَّكونَ نهايةً ، إذا
 بلغناهما فقد أقمنا العُدْرَ ، وما وراء ذلك نبلغُ فيه الأقصى ، ولا نَرُضَى بالمنزلِ
 الأدنى . والكناية عن القصائد والقوافى بالهَدْيِ والعُرُوس مشهورة . وقد قيل :
 المراد بالنَّاشِصِ الحرب ، وقيل : أراد به امرأة سيئة الخلق والعِشرة ، لعُجْبِها
 بنفسها . كأنَّه لما جاءهم خاطباً زهَّدهم فى نساءهم ترفُّعاً عنهم . والصَّواب فيما
 بدأتُ به .

٣- وبالْحِجَلِ الْمَقْصُورِ حَوْلَ بَيْوتِنَا نَوَاشِي كَالْغَزَلَانِ نُجَلِّ عُيُونُهَا^(١)

٤- وَإِنَّا لَمَحْقُوقُونَ حِينَ غَضِبْتُمْ بِأَيِّمَةِ عَبْدِ اللَّهِ أَنْ سَنُهِيمُهَا^(٢)

٥- فَلَسْتُ لِمَنْ أَدْعَى لَهُ إِنْ تَفَقَّاتْ عَلَيْهَا دَمَامِيلُ اسْتَيْتِ وَحُبُونُهَا

الحِجَل : جمع حَجَلَةٍ . والمَقْصُور : المُرْسَل عليه الشُّتُور . والنَّوَاشِي : النساء

الشَّوَاب . وقَصْدُ الشَّاعِرِ إلى أن يَحْسَرَهُمْ وَيَقْصُرَ بِشأنهم وَيُهِيمُهُمْ حِينَ عَدَّوْا

طَوْرَهُمْ ، فَخَطَبُوا غَيْرَ كُفُومِهِمْ ، فقال : إِنَّ عِنْدَنَا نِساءً كَالْغَزَلَانِ فى جَيْدِهَا ،

وبقر الوَحْشِ فى عَيْنِهَا^(٣) ، مُخَدَّرَاتٌ فى الْحِجَالِ ، مُتَمَنِّعَاتٌ حِوَالَى بَيْوتِنَا ، نَرْبَأُ

بِأَقْدَارِهَا عَنِ مُوَاصَلَتِكُمْ بِهِنَّ ، فَتَحَسَّرُوا وَارْجِعُوا عَنَّا مَقْدُوعِينَ مَذَلِّينَ ؛ فَإِنَّا

(١) التبريزى : « خلف ظهورنا » .

(٢) التبريزى : « وروى : حين غضبتُم بلحية عبد الله » .

(٣) الجيد ، بالتحريك : طول العنق وحسنه . والعين ، بالتحريك أيضاً : سعة

العين وحسنها .

أَحَقَّاءَ حِينَ غَضِبْتُمْ بِسَبَبِ أَيْمَةِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَتَرْفَعُنَا عَنْ مَنَاكِحِهِ ، بَأَنَّا لَا نَسْتَعِظُمُهَا
بَلْ نَهَوْنَهَا^(١) ، وَنُقِلُّ فِكْرَنَا فِيهَا . وَقَوْلُهُ « أَنْ سُنْهِنُهَا » أَنْ مَخَفَّةً مِنْ
الثَّقِيلَةِ . وَالْمَعْنَى : إِنَّا لَمُحَقِّقُونَ بَأَنَّا سُنْهِنُهَا لَا مَحَالَةَ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ^(٢) :

فَمَا أَكْبَرُ الْأَشْيَاءِ عِنْدِي حَزَازَةً بَأَنْ أُبْتَ مَزْرِيًّا عَلَيْكَ وَزَارِيَا
وَقَوْلُهُ « فَلَسْتُ لِمَنْ أَدْعَى لَهُ » يَجْرِي بِجَرَى الْيَمِينِ ، أَيْ لِلْوَالِدِ الَّذِي أُنْسَبُ
إِلَيْهِ ، أَنْ أَنْكِحَ عَبْدُ اللَّهِ فِينَا ، وَتَشَقَّقَتْ خُرَاجَاتُ اسْتِهِ عَلَيْهَا . وَهَذَا الْكَلَامُ
إِزْرَاءٌ بِهِ ، وَاحْتِقَارٌ لَهُ ، بِذِكْرِ السَّوَاءِ مِنْهُ . وَذِكْرُ الدَّمَامِيلِ تَشْنِيعٌ لِلْحَالِ ، وَأَنَّ
الْعُزْبَةَ^(٣) بَلَغَتْ بِهِ هَذَا الْمَبْلَغَ لَزُهدِ النَّاسِ فِي مَنَاكِحَتِهِمْ . وَقَالَ « دِمَامِيلُ »
لَأَنَّهُ أَشْبَعَ كَسْرَةَ الْمِيمِ فَأَحْدَثَ عَنْهَا يَاءً . وَمِثْلُهُ :

* نَفَى الدَّرَاهِمَ تَنْقَادِ الصَّيَارِفِ^(٤) *

وَالْأَصْلُ الدَّرَاهِمُ وَالصَّيَارِفُ .

٦٢٢

وَقَالَ حُرَيْثُ بْنُ عَتَابٍ^(٥) :

١ — بَنِي تُعَلِّ أَهْلَ الْخَنَافَا مَا حَدِيثُكُمْ لَكُمْ مَنْطِقٌ غَاوٍ وَلِلنَّاسِ مَنْطِقُ

(١) ل : « بَلْ نَهْنِهَا » .

(٢) هُوَ جُزْءُ بَنِ كَلِيبِ الْفُقَعِيِّ . وَالْبَيْتُ فِي الْحَمَاسِيَةِ ٦٢ ص ٢٤٢ .

(٣) الْعُزْبَةُ بِالضَّمِّ : الْعُزْبَةُ .

(٤) لِفَرَزْدَقٍ ، فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ (٢ : ٢٥٥) وَكِتَابِ سَبْيُوهِ (١ : ١٠) . وَالْبَيْتُ

جَاءَ شَاهِدًا عَلَى الْفَصْلِ بَيْنِ الْمُتَضَافِينَ بِالْمَفْعُولِ ، فَإِنْ أَصْلُهُ « نَفَى تَنْقَادِ الصَّيَارِفِ الدَّرَاهِمَ » ،
وَرَوَى أَيْضًا بِجَرِّ الدَّرَاهِمِ عَلَى الْإِضَافَةِ وَرَفْعِ تَنْقَادِ ، فَيَكُونُ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى مَفْعُولِهِ .
وَرَوَى أَيْضًا بِرَفْعِ الدَّرَاهِمِ وَنَصْبِ تَنْقَادِ عَلَى الْقَلْبِ .

(٥) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحَمَاسِيَةِ ٦٩ ص ٢٥٥ . وَفِي النُّسخَتَيْنِ : « عَتَاب » ، صَوَابُهُ

فِي التَّبْرِيزِيِّ .

- ٢- كَانَهُمْ مِعْزَىٰ قَوَاصِعُ جِرَّةٍ من العِيَّ أو طَيْرٌ بِخَفَانٍ تَنْفِقُ^(١)
 ٣- دِيَافِيَّةٌ غُلْفٌ كَانَ خَطِيبُهُمْ سَرَاةَ الضُّحَىٰ فِي سَلْحِهِ يَتَمَطَّقُ^(٢)

قوله « بنى ثعل أهل الخنا » يجوز أن يكون أهل الخنا انتصابه على الذم والاختصاص، كأنه قال: يا بني ثعل، أذكرُ أهلَ الخنا. وقوله « ما حديثكم » يريد: ما لغتكم. ويفسره قوله بعده « لكم منطقٌ غاوٍ وللناسٍ منطقٌ »، ينسبهم إلى أنهم نبطٌ، وأن لغتهم ذاتُ غَوَايَةٍ وَزَبِغٍ. ويعنى بقوله « وللناسٍ منطقٌ » العرب. ويجوز أن يكون معنى ما حديثكم: ما شأنكمُ المستحدثُ وما أمرُكم؟ ينسبهم إلى أنهم لا قديمَ لهم ولا حديث.

وقوله « كَانَهُمْ مِعْزَىٰ قَوَاصِعُ جِرَّةٍ »، يقول: إنهم إعيهم إذا تكلموا كأنهم معزى تجرئ، أو طيرٌ بخفانٍ^(٣) تنفق. يعنى بالطير الغراب، ليكون أشام، والقلوب من ذكرها أنفر. ويقال: قصع البعيرُ بجرته، إذا دفعها من جوفه.

وقوله « دِيَافِيَّةٌ »، دِيَافٌ: أرضٌ بالشام. وقصده إلى أن يُخرجهم من أن يكونوا عرباً، وجعلهم غُلْفًا لِحَاقًا لهم بالعجم. والغُلْفَةُ الغُرْلَةُ والقُلْفَةُ تقارب. ورجلٌ أغرل وأغلف وأقلف. وقوله « كَانَ خَطِيبُهُمْ » أى الفصيح منهم، والمعدَّ يومَ فِخَارِهِم، والنيابة عنهم فى نِفَارِهِم، كأنه يتمطق فى سَلْحِهِ. والتمطق: تذوقُ الشئ بضم إحدى الشفتين على الأخرى مع صوتٍ بينهما. وجعلهم كذلك فى سَرَاةِ الضُّحَى، أى إنهم يتباطئون فى كلِّ حالٍ، حتى لا يقوموا من فرشهم إلا فى ذلك الوقت.

(١) التبريزى: « كأنكم ». و « معزى » يجوز أن ينون وألا ينون، يجعل ألفه للإلحاق أو للتأنيث.

(٢) التبريزى: « قلف »، بدل « غلف ».

(٣) خفان: أجمة قريبة من مسجد سعد بن أبى وقاص بالكوفة.

٦٢٣

وقال شعيت^(١)، من كنانة :

- ١- أترجو حني أن تجيء صغارها بخير وقد أعيا عليك كبارها^(٢)
 - ٢- إذا النجم وافي مغرب الشمس أججرت مقاري حني واشتكى الغدر جأرها
- أجود الروایتين « أترجو حنيًا » ، كأنه يخاطب إنساناً ويلومه في تعليقه الرجاء برشاد صغار حني ، وقد أعياه كبارها . والمعنى أنهم لا يفليحون أبداً ، وإذا كان رؤسائهم وأهل الحل والعقد منهم معجزين في دعائهم إلي الخير والصلاح فرذلهم أولى بذلك . وإذا رويت « أترجو حني » كأنه جعل الفعل للقبيلة بأسرها ، أي إنهم وحالهم ذلك في ضلال إذا رجوا من صغارهم فلاحاً وحالهم مع كبارهم ذلك .

وقوله « إذا النجم وافي » أشار بالنجم إلى الثريا . وهم يقولون :

طلع النجم غديةً وابتغى الراعي شكيه

فهذا يكون في الصيف وعند اشتداد الحر .

و : طلع النجم عشاءً وابتغى الراعي كساء

(١) التبريزي : « وقال شعيت بن عبد الله ، وهو من كنانة بلقين ، يهجو رجلاً من بلقين يقال له عقال بن هاشم . وعقال يقول فيهم :

فأكنانة في خير بخائرة ولا كنانة في شر بأشرار
وشعيت : تحقير شعث ، وإن شئت كان تحقير أشعث على الترخيم .

(٢) التبريزي : « وروى أبو هلال : أترجو حني ، قال : حني : قبيلة . وروى غير أبي تمام هذه الأبيات لحريث بن عتاب ، أحد بني نهبان بن عمرو بن الفوث من طي » . وأخذ الفرزدق منه فقال :

أترجو ربيع أن تجيء صغارها بخير وقد أعيا ربيعاً كبارها
وأخذه أيضاً البيت فقال :

أترجو كليب أن يجيء حديثها بخير وقد أعيا كليباً قديمها
فقال الفرزدق :

إذا ما قلت قافية شروداً تنجلها ابن حمراء العجان .

وهذا يقالُ في شِدَّةِ البرد . فيقول : إذا طَلَعَ النّجمُ عند غُرُوبِ الشَّمْسِ ،
 — يشير إلى تَجَرُّدِ المَحَلِّ ، وتكشُّفِ الجَدْبِ — أُخِّرَتْ مَقَارِي هذه القبيلة
 وسُيِّرَتْ ، تفادياً من الضَّيَافَةِ ، وهرباً من الضَّيْفَانِ . والمَقَارِي : جمع مِقْرَاةٍ ،
 وهي ما يُطْعَمُ فيه الضَّيْفُ من الجِفَانِ . والمراد أَنَّهُ لا مِقْرَاةَ نَمَمَ ، لأنَّهُم في الشَّتَاءِ
 يُضَيِّفُونَ ويستضيفُونَ ، فإذا غَطَّتْ جِفَانُهُمْ في ذلك الوقتِ فَلَانَّهُ لا قِرَى عندهم
 ولا مَقَارِي . وقوله « واشتكى القَدْرَ جارُها » ينسُبهُم إلى أن إساءَتهم مقصورة
 على الجارِ ، وطعمَتهم فيه وفيمن جَرَى تجراءه ؛ فَعِنْدَ الحاجة لا يَشْقَى بهم إلّا جارُهُم .
 وجواب إذا النّجم « أُجْحِرَتْ » . و« مَغْرِبَ الشَّمْسِ » يجوز أن يكون مفعولاً ،
 وأن يكون اسماً لموضع الغروب ، ويكون وَاقِي من المواقاة . ويجوز أن يكون
 ظرفاً^(١) ، ويكون معنى وَاقِي طَلَعَ .

٦٢٤

وقال آخر^(٢) :

فما كِنَانَةٌ في خَيْرٍ بِخَائِرَةٍ وما كِنَانَةٌ في شَرٍّ بِأَشْرَارٍ
 يقال : خَائِرُهُ فَيَخِرُّهُ خَيْرًا . وأنا خَائِرُهُ ، إذا كنتَ خَيْرًا منه . واستَخَرْتُ
 اللهَ فَخَارَ لِي . وهذه خَيْرَتِي^(٣) ، أي التي أَخْتَارُهُ . والمعنى لا يَرْجِعُونَ إلى حالٍ
 يُعْتَدُّ بهم لها ، وَيُعْتَمَدُ بِمَكَانِهِمْ عليها ، فلا عِنْدَ الخَيْرِ وتعدادِ أهله يفوزون
 بِسُئْمَةٍ ، ولا في الشَّرِّ وتعدادِ أهله يَحْصُلُونَ على خُطَّةٍ .

(١) ويجوز أن يكون ظرفاً ، ساقط من ل .

(٢) هو عقّال بن هاشم ، كما سبق في حواشي الحماسية السابقة . وهذا البيت لم يعبه

التبريزي في عداد الحماسات ، بل ذكره استطراداً كما سبق في النقل عنه .

(٣) يقال بكسر ففتح ، وبكسر فسكون ، والأولى أفصح .

٦٢٥

وقال حريث بن عتاب^(١) :

- ١ — قُولاً لَصَخْرَةٍ إِذْ جَدَّ الْهَجَاءُ بِهَا عُوْجِي عَلَيْنَا يُحْيِيكَ ابْنُ عَتَّابِ
 - ٢ — هَلَّا نَهَيْتُمْ عُوْجِيَّ مِنْ مَقَادَعِي عَبْدَ الْمَقْدِّ دَعِيًّا غَيْرَ صِيَابِ
 - ٣ — مُسْتَحْقِبِينَ سُلَيْمَى أُمِّ مُنْتَشِرٍ وَابْنَ الْمَكْفَفِ رِدْفًا وَابْنَ خَبَابِ
- قوله « يُحْيِيكَ » ، يجوز أن يكون في موضع الحال ، أى عُوْجِيَّ حَيًّا لك هذا ، ومثله : ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا . يَرِيْثُنِي وَيَرِثُ مِنْهُ أَرْثَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْجَزْمِ جَوَابًا لِقَوْلِهِ عُوْجِيَّ ، وَأَجْرَى الْمُعْتَلَّ تَجْرَى الصَّحِيحُ . ومثله :

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لَاقَتْ لَبُونُ بْنُ زِيَادٍ^(٢)

وهذا الكلام تهكم وسخرية . وإنما يخاطب صاحبتين له يبعثهما^(٣) على أن يبلغا بنى صخرة ويبعثاها وقت تهيجها بالهجاء وكون تصرّفهم فيه جدًّا منهم وهما لم على أن يعطفوا عليهم ، ليسلم عليهم ابنُ عَتَّابِ ، يعنى نفسه . وذِكْرُ التَّحِيَّةِ هَاهُنَا هُزْأٌ مِنْهُ . وهذا كما قال الآخر^(٤) :

* تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ^(٥) *

إِلَّا أَنْ هَذَا فِي الْأَفْعَالِ ، وَابْنُ عَتَّابٍ جَعَلَهَا فِي الْأَقْوَالِ .

(١) سبقت ترجمته في الخامسة ٦٩ ص ٢٥٥ .

(٢) لقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي ، في الخزانة (٥٣٦ : ٣) وكتاب سيبويه (١٥ : ١ — ٥٩ : ٢) .

(٣) ل : « فبعثهما » .

(٤) هو عمرو بن معديكرب ، الخزانة (٥٣ : ٤) .

(٥) صدره : * وخيل قد دلفت لها بخيل *

وقوله « هَلَّا نَهَيْتُمْ » تفریعٌ وَلَوْمْ وتذكيرٌ بسوء تَأْتِيهِمْ ، وَقُبْحُ فِعْلِهِمْ .
 فيقول : هَلَّا كَفَفْتُمْ عَنْ مَفَاحِشِي عَوْنِيًّا — وهو رجل منهم — وجعله عَبْدَ
 الْمَقْدِّ ، أَيْ لِيُيَمَّا وَدَعِيًّا فِيهِمْ غَيْرَ خَالِصِ النَّسَبِ . وَالْمَقَادَعَةُ : الْمَفَاحِشَةُ . وَيُقَالُ :
 أَقْدَعَ الرَّجُلُ ، إِذَا أَتَى بِفُحْشٍ . وَانْتَصَابَ « عَبْدَ الْمَقْدِّ » بِمُحْزٍ أَنْ يَكُونَ عَلَى
 الْبَدَلِ ، وَيُحْزَرُ أَنْ يَكُونَ عَلَى الدَّمِ ، وَيُحْزَرُ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْحَالِ . وَالْمَقْدِّ :
 مَنْبِتُ الشَّعْرِ مِنْ مَقْدَمِ الرَّأْسِ وَمُؤَخَّرِهِ . وَيُقَالُ : فَلَانٌ عَبْدُ الْقَفَا ، وَعَبْدُ الْمَقْدِّ ،
 وَيراد بِالْمَقْدِّ الْقَفَا . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ فِي ضِدِّهِ : هُوَ حَرُّ الْوَجْهِ ، وَكَرِيمُ الْحَيَاةِ .
 وَالصُّيَّابُ : الْخَالِصُ ، كَأَنَّهُ يَهْجُنُهُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الصُّيَّابُ وَالصُّيَّابَةُ : أَصْلُ
 كُلِّ قَوْمٍ . وَقَالَ أَيْضًا : الصُّيَّابُ : الْخِيَارُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ^(١) . وَأَنْشَدَ :

يَحْتَلُّ مِنْ كِنْدَةَ فِي الصُّيَّابِ *

وقوله « مُسْتَحْقِبِينَ سُلَيْمَى » ، أَفْحَشَ فِيهِ ، أَيْ جِئْتُ لِمَهَاجَاتِي وَقَدْ
 اسْتَحْقَبْتُمْ هَذِهِ الْمَرْأَةَ وَابْنَ الْمُسْكَفِ مَعَهَا رِدْفًا وَابْنَ حَبَابٍ . كَأَنَّهُ يَرْمِي سُلَيْمَى
 بِهِمَا أَوْ يَعُدُّهُمَا جَمِيعًا مِنْ نَخَازِيهِ . فَهَذَا هُزْلٌ أَيْضًا . أَيْ جَازِي يَقْمُونِي بِمَنْ هُوَ
 شَيْنُنُكُمْ ، وَجَعَلْتُمْ عِيُوبَكُمْ بِمِرْأَى وَمُسْمَعٍ إِذَا كَانَ غَيْرُكُمْ يُخْفِي أَمْرَهُ وَيُسْتَرُّهُ .
 يَرِيدُ : اسْتَهْدَفْتُمْ لِي بِهِؤْلَاءِ . وَسُلَيْمَى كَانَتْ لَهَا قِصَّةٌ . وَالِاسْتَحْقَابُ : شَدُّ الْحَقِيقَةِ
 مِنْ خَلْفٍ ، وَكَذَلِكَ الْاِحْتِقَابُ . وَكُنِيَ عَنِ الْعَجْزِ بِالْحَقِيقَةِ لَذَلِكَ .

٤ — يَا شَرُّ قَوْمٍ بَنِي حِصْنِ مُهَاجِرَةٍ وَمَنْ تَعَرَّبَ مِنْهُمْ شَرُّ أَعْرَابِ

٥ — لَا يَرْتَجِي الْجَارُ خَيْرًا فِي بَيْوتِهِمْ وَلَا مَحَالَةً مِنْ شَتْمٍ وَأَقْلَابِ

يُنْسَبُ إِلَى أَنَّهُمْ شَرُّ قَوْمٍ هَاجَرُوا إِلَى الْأَمْصَارِ أَوْ بَقُوا فِي الْبَدْوِ . وَ « بَنِي

(١) ابْنُ جَنَى : « وَذَلِكَ أَنَّهَا فَعَالٌ مِنْ صَابٍ يَصُوبُ ، أَيْ اطْمَأَنَّ وَاسْتَقَرَّ . يَقُولُونَ :
 فَلَانٌ مِنْ صِيَابَةِ قَوْمِهِ ، أَيْ ثَابِتٌ رَأْسِي الْقَدَمِ فِيهِمْ . وَقِيَاسُهُ صَوَابَةٌ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ آثَرُوا الْبَاءَ
 اسْتِحْسَانًا لَا وَجُوبًا » .

حصن « يجوز أن يكون انتصب على النداء ، كأنه قال : يا شر قوم يا بني حصن . وانتصب « مهاجرة » على الحال ، ناداهم في هذه الحالة . أى أتم شر قوم في مهاجرتكم . ومثله :

* يا بؤس للجهل ضراراً لأقوام^(١) *

ويؤنسُ بوقوع الحال بعد النداء قولهم : يا زيد دءاء حقاً . فإذا ساغ أن يقع المصدر بعده تأكيذاً ، فكذلك الحال . قوله « ومن تعرب » فيه معنى التكلف ، لأنَّ تفعل يحىء لذلك كثيراً . وصرف الكلام عن السنن الأولى وجمله استئناف خبر . ويجوز أن يكون انتصب بنى حصن على الذم والاختصاص .

وقوله « لا يرتجى الجار » يريد أن جارهم مبتذل فيهم ، يأس من خيرهم مادام معهم ، وملق من جهتهم بالاستخفاف والتقليب^(٢) ، والشتم القبيح . وأجرى قوله « لا محالة » مجرى قولهم لا بد ، كأنه أراد : الجار لا يرجو خيراً فيهم ، ولا بد له من شتم يقصد به ، ولقب يعرف بذكره . وقال الخليل : « يقولون في موضع لا بد : لا محالة » . ويقال : حال حو لا وحيلة ، أى احتمال .

٦٢٦

وقال آخر :

- ١ - بني أسدٍ إلا تنحّوا تطأكم منامٍ حتى تحطموا وحوافرُ
- ٢ - وميعادُ قومٍ إن أرادوا لقاءنا مِيَاهُ تحامتها نعيمٌ وعامرٌ

(١) للناطقة الديباني في ديوانه ٧١ واللسان (خلا) والشعراء ٤٢ ، ١٢٥ والحزاة (١ : ٢٨٥) . وصدره :

* قالت بنو عامر خالوا بني أسد *

(٢) أى الرى بالألقاب . وهذا ما فى ل . وفى الأصل : « والتقليب » ، تحريف .

٣ - وما نَامَ مَيَّاحُ الْبِطَاحِ وَمَنْعَجٍ . ولا الرَّسَّ إِلَّا وهو عَجَلَانُ سَاهِرٌ
يقول : يا بني أَسَدٍ ، خَلُّوا الطَّرِيقَ وَتَبَاعَدُوا عَنْهَا ، فَإِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ
وَطِئْتُمْ الْإِبِلَ وَالْخَيْلَ لَخَطَمْتُمْ . يَنْسُبُهُمْ إِلَى الْقِلَّةِ وَالضَّعْفِ ، وَيَتَهَكَّمُ مَع
ذَلِكَ بِهِمْ .

وقوله : « وَمِيعَادُ قَوْمٍ » يعنى بنى أَسَدٍ وَأَنْصَارَهُمْ ، وَالْمِيعَادُ الْوَعْدُ وَاحِدٌ ،
وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ الْمَعْنَى : وَمَوْضِعُ الْوَعْدِ لِمَنْ أَرَادَ الْإِلْتِقَاءَ مَعْنَى مِيَاةً تَحَامَاهَا
بَنُو تَيْمٍ وَبَنُو عَامِرٍ - يَعْنِي أَحْبَبَهُمْ - فَلَا تَجَسَّرْ عَلَى وُرُودِهَا وَإِنْ كَثُرُوا .
خَذَفَ الْمُضَافَ ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ .

وقوله « وَمَا نَامَ مَيَّاحُ الْبِطَاحِ وَمَنْعَجٍ » ، فَلَمَيَّاحُ : الَّذِي يَمِيعُ مَاءَ الرِّكْبَةِ .
وَأَرَادَ بِالْبِطَاحِ وَمَنْعَجٍ وَالرَّسَّ مَوَارِدَ الْمَاءِ . وَالرَّسَّ : الْبَيْتَ الْقَدِيمَةَ . جَعَلَ الْمُسْتَقَى
مِنْ هَذِهِ الْأَنْهَارِ يَمِيعُ . وَأَرَادَ بِمَيَّاحٍ الْكَثْرَةَ ؛ لِأَنَّ لِكُلِّ مَوْضِعٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ
الْمَذْكُورَةِ مَاحَةً . وَالْمَيْحُ : الدُّخُولُ إِلَى أَسْفَلِ الْبَيْتِ لِيُغْرِفَ الْمَاءَ فِي الدَّلَاءِ ، إِذَا
قَلَّ الْمَاءُ . وَالْمَيْحُ : الْاسْتِيقَاءُ ، يُرِيدُ : مَتَّحُوا أَوَّلًا ثُمَّ مَاحُوا ، لِكَثْرَةِ الْوَارِدَةِ .
وَإِنَّمَا وَصَفَ سُكَّانَ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ - وَهُمْ جَيْشُهُمْ - بِوُفُورِ الْعَدَدِ ، وَأَنَّ
سُقَاتَهُمْ بِهَذِهِ الصَّقَّةِ مِنَ الْعَجَلَةِ وَالسَّهَرِ . وَقَوْلُهُ : وَمَا نَامَ إِلَّا وهو عَجَلَانُ سَاهِرٌ ،
يُرِيدُ : نَوْمُهُمْ تَرَكَ النَّوْمَ ، وَالْإِسْتِعْجَالُ فِي السَّقَى . وَهَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ ^(١) .

* فَإِنَّ الْمُنْدَى رِحْلَةً فَرُّ كُوبٍ ^(٢) *

وكقول أبي تمام :

* تَعْلِيْقُهَا الْإِمْرَاجُ وَالْإِلْجَامُ ^(٣) *

(١) لعلقة الفعل في الفضلية ١١٩ واللسان (ندى) .

(٢) صدره : * تَرَادَى عَلَى دَمَنِ الْحِيَاضِ فَإِنْ تَعَفَّ *

(٣) صدره في ديوانه ٢٨١ :

* بِسَوَاهِمِ لَحْقِ الْأَيَّاطِ شَرْبَ *

٤- تضاء لهم منّا كما ضمَّ شخصه أمام البيوت الخارئة المتقاصِر
٥- ترى الجوّن ذا الشّمراخ والورد يُبتغى ليالي عشرًا وسطنا وهو عائر^(١)
قوله « تضاء لهم » أى تصاغرت منّا وانزويتم ، لفشلكم وذهاب مُنتبكم ،
كما يفعلهُ المتفوّط أمام البيوت إذا استولى عليه الخجل لما يريده من قضاء
الحاجة ، فهو يتقاصر ويخفى شخصه لئلا يرى . وهذا التشبيه فى المنخزل وقد
مسّه الحياء والخجل غاية .

وقوله « ترى الجوّن ذا الشّمراخ » يريد به ذا الفرّة السائلة على الأنف .
والشّمراخ من الجبل : المُستدق الطويل ، على التشبيه . والعائر : المختلف ،
والسهم العائر من هذا . يقول : إنّا لكثرتنا واتساع منادحنا وأقطارنا ،
لو أفلت فينا فرس أدّهم ذو غرّة سائلة — وجعله كذلك ليكون أشهر أمرًا
وأقلّ خفاء — وفرس وردّ أغرّ أيضًا ، ثمّ طلبَ عشرَ ليالٍ فيما بيننا لما ظفّر به .

٦- ولما رأيناكم لئامًا أدقّة وليس لكم مولى من الناس ناصر
٧- صمّمناكم من غير فقرٍ إليكم كما صمّت الساق الكسير الجبائر

وصف حالهم القديمة معهم ، وكيفية اتصالهم بهم وانعطافهم عليهم حتّى
أبطروهم ذلك ، فاستعصوا عليهم ، ووَسَّوَسَتْ نفوسُهم إليهم بالاستغناء عنهم ،
والاكتفاء من دونهم . فيقول : لما رأيناكم أدنياء فى أنفسكم ، أدقّاء فى أحوالكم
لا ناصرَ لكم ، ولا مدافعَ دونكم ، تعطفنا عليكم لرفع خيستكم ، رحمةً لكم ،
وصمّمناكم إلى أنفسنا من غير حاجةٍ إليكم ولا تكثّرٍ بكم ، لنَجْبُرَ كسرَكم ، ونوفّرَ
نقصَكم كما تضمُّ العصائبُ التى يُعصّبُ بها الكسرُ ، والجبائرُ التى يُسوّى بها
العظمُ الكسيرُ المجبور . وهذا من التشبيه الصائب ، والكلام المتخيّر . والأدقّة :
جمع الدقيق ، وهو الرّجل القليل الخير . والفعل دَقَّ دِقَّةً . وقال : الكسير ،

(١) التبريزى : « عشرًا بيننا » .

وَالسَّاقُ مُؤَنَّثَةٌ لِأَنَّهُ فَعِيلٌ فِي مَعْنَى مَفْعُولَةٌ . وَعِنْدَ أَصْحَابِنَا الْبَصَرِيُّ هَذَا لَا يَنْقَاسُ ،
بَلْ يُتِمُّ فِيهِ الْحِكْمَى عَنْهُمْ .

٦٢٧

وَقَالَ أَبُو صَعْتَرَةَ ^(١) :

- ١ - أَنَهَجُونَا وَكُنَّا أَهْلَ صِدْقٍ وَتَنَسَّى مَا حَبَّكَ بَنُو بَرَاءِ
 - ٢ - هُمْ نَتَجَوَّكَ تَحْتَ اللَّيْلِ سَقْبًا خَيْثَ الرِّيحِ مِنْ خَيْرِ وَمَاءِ
 - ٣ - وَهُمْ جَهَلُوا عَلَيْكَ بِغَيْرِ جُرْمٍ وَبَلَّوْا مَنْكِبَيْكَ مِنَ الدِّمَاءِ
- يَخَاطَبُ رَجُلًا مِنْ عَشِيرَتِهِ ، وَيَقْرَأُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ ثَلْبَةٍ وَهَجْوَةٍ ،
فَيَقُولُ : أَتَذَمُّنَا مَعَ إِحْسَانِنَا إِلَيْكَ ، وَكُونِنَا أَهْلَ صِدْقٍ لَكَ ، وَرَهْطَ صَفَاءِ
وَوِدَادٍ مَعَكَ ، وَتَنَسَّى مَا كَانَ مِنْكَ حِينَ تَعَرَّضْتَ لِبَنِي بَرَاءِ بِمَثَلِ تَعَرُّضِكَ
لَنَا ، وَمَا قَابَلُوكَ بِهِ مِنْ عَطِيَّةٍ وَحِبَاءٍ ، وَحُسْنِ مَكَافَاةٍ وَجَزَاءٍ عَلَى فِعْلِكَ ، وَقَدْ
كَانَ فِي الْحُكْمِ أَنْ يُؤَدِّبَكَ ذَلِكَ وَيَرُدَّكَ ، وَيَنْهَيْكَ عَلَى رَشَادِكَ وَصَلَاحِكَ ،
وَيَمْنَعَكَ مِنْ مُعَاوَدَةِ شَبْهِهِ وَيَقْمَعَكَ . ثُمَّ أَخَذَ يَصِفُ الْحَبَاءَ الْوَاصِلَ إِلَيْهِ مِنْ
جَهَنَّمَ ، وَالْجَزَاءَ الْمُعَدَّ لَهُ ، فَقَالَ : هُمْ نَتَجَوَّكَ تَحْتَ اللَّيْلِ سَقْبًا ، أَيْ وَلَدُوكَ لَيْلًا
سَقْبًا خَيْثًا . وَهُوَ فِي الْأَصْلِ الْمَذْكَرُ مِنْ أَوْلَادِ الْإِبِلِ . وَيُقَالُ : اسْتَقْبَتِ النَّاقَةُ ،
وَهِيَ مِسْقَابٌ . وَالْمَعْنَى : ضَرْبُكَ حَتَّى سَلَحْتَ شَيْثًا مُنْكَرًا . وَالذَّكَرُ أَرْذَلُ
النَّتَاجِينَ ، فَلِذَلِكَ خَصَّهُ . وَقَالَ « تَحْتَ اللَّيْلِ » لِأَنَّ اللَّيْلَ أَخْفَى لِلْوَيْلِ .
وَقَوْلُهُ « وَهُمْ جَهَلُوا عَلَيْكَ [بِغَيْرِ جُرْمٍ ^(٢)] » ، يَعْنِي أَنَّهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ بِكَ ،
وَمِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَانُوا أَسْفَلُوكَ ، بِلَا جِنَايَةٍ كَانَتْ مِنْكَ عَنْدَهُمْ ، وَلَا جَرِيرَةٍ سَبَقَتْ
عَنْكَ إِلَيْهِمْ ، أَنْ جَرَحُوكَ حَتَّى بَلَّوْا مَنْكِبَيْكَ مِنَ الدِّمَاءِ السَّائِلَةِ عَلَيْكَ .

(١) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْمَجْلَدِ ٣٥٩ ص ١٠٣٣ .

(٢) التَّكْلِمَةُ مِنْ ل .

٦٢٨

وقال الطرمّاح^(١) :

١ — إِنَّ مَعْنِي إِنْ فَخَرْتَ لَمْفَخَرًا وفي غيرها تُبْنِي بُيُوتُ الْمَكَارِمِ^(٢)

٢ — مَتَى قُدْتُ يَا بَنَ الْخَنْظَلِيَّةِ عُصْبَةً مِنْ النَّاسِ تَهْدِيهَا إِفْجَاجَ الْمَخَارِمِ^(٣)

هذا الكلام هُزْءٌ وسخرية . يقول : لك أن تفخّر بيني معني ، فإنهم في موضع ذاك ، لكونهم يجمع الفضائل ، لكن مباني الكرم تؤسّس في غيرهم . ثم أقبل عليه فقال : أخبرني متى حدثت نفسك بأن تكون قائد طائفة من الناس فتقدمهم^(٤) وتهديهم الطرُق ، وهم يطؤون عقبك ، ويدورون على مرادك ؛ لقد رأيت ما لم تؤمله ، ونلت ما لم ترتق إليه همّتك .

والفِجَاجُ : الطرُق . والمخارم : جمع مخرم ، وهو منقطع أنف الجبل . وهذا مثل ، أي تصرفهم حيث أردت ، وتوجههم كيف شئت .

٣ — إِذَا مَا ابْنُ جَدِّكَ كَانَ نَاهِزَ طَيِّئٍ فَإِنَّ الذَّرَى قَدْ صِرْنَ تَحْتَ الْمَنَاسِمِ

٤ — فَقَدْ بَزِمَامٍ بَظَرَ أُمِّكَ وَاحْتَفَرَ بِأَيْزِ أَبِيكَ الْفَسَلِ كُرَّاثَ عَاسِمِ^(٥)

« ابن جدّ » يريد به صاحب جدّ وحظّ في الدنيا . فيقول : إذا اتفق

(١) التبريزي : « وقال الطرمّاح بن جهم السنبسي ، لنافذ بن سعد المعني » . وهو أحد بني سنبس بن معاوية بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طي ، كما في المؤتلف ١٤٨ . وهو غير الطرمّاح الشاعر المشهور ، فذاك الطرمّاح بن حكيم بن قمر ، الذي سبقت ترجمته في الخامسة ٥٦ ص ٢٢٧ .

(٢) أنشد ياقوت هذه الأبيات في معجمه في رسم (عاسم) ، وهو رمل لبني سعد .

(٣) ياقوت : « يا ابن العنبرية » .

(٤) ل : « تتقدمهم » .

(٥) قال ياقوت : « قيل : كان أحد جديهِ جالا والآخر حراثا ، فلذلك قال : فقد بزمام

بظر أمك واحتفر الكراث » .

لمتقدم بنفسه مجدود ، لا أولية له ، خارجي ، أن يكون ناهز طيبي ، أي مذرهمهم
وكبيرهم والذي ينهز الدلو من البئر ، أي ينزعها ، كأنه أراد : الذي يقوم
بأمرهم عند السلطان ، ويتنجز عليه حاجاتهم ومهماتهم ، فقد انقلب الدهر ،
وانحطت الأعالي ، وصارت الأشراف أدلاء ، لأنه لا يتقدم الوضع إلا بتأخر
الرفيع . وحكى غير واحد من أهل اللغة أنه يقال : هو ناهز القوم ، أي كاسبهم
والساعي لهم .

وقوله « فقد بزمام » استهزاء وإزرار بهم ، وقلة احتفال ، بتناول القبيح
من ذكركم . لذلك سمى السوءة من طرفيه ^(١) . والفشل : الرذل . والفشل :
الضعيف ، وهما روايتان . وعاسم : موضع .

٦٢٩

وقال الكروس بن زيد ^(٢) :

- ١ - أَلَا لَيْتَ حَظِّي مِنْ عَطَائِكَ أَنِّي عَلِمْتُ وَرَاءَ الرَّمْلِ مَا أَنْتَ صَانِعُ
 - ٢ - فَقَدْ كَانَ لِي عَمَّا أَرَى مُتَرَحِّزُحٌ وَتُسَعُّ مِنْ جَانِبِ الْأَرْضِ وَاسِعُ
 - ٣ - وَهَمٌّ إِذَا مَا الْجِبْسُ قَصَرَ هَمَّهُ طُلُوعٌ إِذَا أَعْيَا الرَّجَالُ الْمَطَالِعُ ^(٣)
- يقول : تمنيت أن يكون الذي حظيت به من عطائك لي أنني علمت وأنا
وراء الرمل ما أنت صانعه وقد قدمت عليك . فقوله « وراء الرمل » ظرف
لعلمت ، وأنتي علمت خبر ليت ، كأنه ود أن يكون بذلك حظي من العطاء علمه
بما يفعله ، فكان اختياره بحسبه . ولا يجوز أن يكون وراء الرمل يتعلق بصانع ،

(١) أي صرح بذكر سوءة طرفيه : أيه وأمه .

(٢) التبريزي : « وقال الكروس بن زيد بن حصن بن مصاد بن مالك بن مقل
ابن مالك » . وقد سبقت ترجمته في الخامسة ٢١٠ ص ٦٣٩ .

(٣) التبريزي : « قصر نفسه » .

لأنك إن جعلت ما موصولا فالصلة لا تتقدم هي على الموصول ، ولا شيء مما يتعلق بها^(١) . وإن جعلت ما موصوفا فالصفة لا تتقدم على الموصوف ولا ما يتعلق بها ، وإن جعلت ما استفهاماً فما بعد الاستفهام لا يعمل فيما قبله . وإذا كان كذلك ظهر فساد تعلّقه به على الوجوه كلها ، من طريق الإعراب ومن طريق المعنى^(٢) ، فالصحيح ما قدمته . ألا ترى أنه قال : فقد كان لي عما أرى مترحزح ومتسّع . والمترحزح : المتبّع . أي كان لي جانب من الأرض واسع أترحزح فيه عما أراه وأرد عليه ، وكان لي هم طويل ممتدّ الشاؤ يذهب صُعداً ، إذا كان همّ الجبس قصيراً . طلوع إلى أعلى العزّ وذراه إذا أعجز الرجال مطالع العزّ . والجبس هو الثقل الجافي . أي يقصر همّ نفسه فيرضى بالخاص له . وقوله « إذا ما الجبس » ظرف لما دلّ عليه همّ ، و « إذا أعيا » ظرف لطلوع . ولا يمنع أن يكون إذا ما الجبس ظرفاً لطلوع ، ويحمل إذا أعيا بدلاً منه ؛ لأن المعنيين يتقاربان . والأوّل أقرب وأجود .

(١) أي ولا شيء مما يتعلق بالصلة يتقدم على الموصول . وفي النسختين : « ولا على شيء مما يتعلق بها » وليس بصواب . وعبرة ابن جني في التنبيه : « لاستحالة جواز تقديم الصلة أو شيء منها على الموصول » .

(٢) أما ابن جني فيرى أن التعلق صحيح من جهة المعنى ويقول : « التفدير ما أنت صانع وراء الرمل » . وأما التعلق من جهة الإعراب فيراه غير جائز في الأوجه الثلاثة المتقدمة . ثم يقول : « فإذا كان المعنى عليه — أي على التعلق — وسبيل الإعراب ضيقة عنه — أي لا تحتمله في الصناعة — أضمر له ما يتناوله مما يدل الظاهر عليه » ، فيرى أن الظاهر تفسير لعامل مقدر يشبهه . ثم قال بعد أن ذكر هذا الوجه : « ويجوز أن يكون وراء الرمل متعلقاً بنفس علمت ، أي علمت في هذا الموضع كذا وكذا ، على صغر معناه . ويجوز وجه ثالث غير هذين ، وهو أن ينصب وراء نصب المفعول به بعلمت ، أي ليتنى عرفت هذا الموضع ، وتبدل منه ما أنت صانع ، أي الذي أنت صانع فيه ، كقولك : عرفت هذا الذي تحدد من أمرها . ويجوز إذا أبدلت ما أنت صانع أن تجعل ما استفهاماً ، كقولك : قد عرفت زيداً أبو من هو ، فتبدل أبو من هو ، من زيد ، فتصير إلى أنك كأنك قلت : قد عرفت أبو من زيد . ويجوز أيضاً إذا جعلت وراء مفعولاً به أن تجعل علمت المتعدية إلى مفعولين وتجعل ما بعدها من الاستفهام في موضع المفعول الثاني ، كقولك علمت زيداً كم ماله » .

٦٣٠

وقال وضاح بن إسماعيل^(١)١- مَنْ مُبْلِغُ الْحَجَّاجِ عَنِّي رِسَالَةً فَإِنْ شِئْتَ فَأَقْطَعْنِي كَمَا قُطِعَ السَّلَا^(٢)٢- وَإِنْ شِئْتَ أَقْبِلْنَا بِمُوسَى رَمِيضَةً جَمِيعًا فَقَطَّعْنَا بِهَا عُقْدَ الْعُرَى^(٣)٣- وَإِنْ قُلْتَ لَا إِلَّا التَّفَرُّقَ وَالنَّوَى فَبُعْدًا أَدَامَ اللَّهُ تَفَرُّقَةَ النَّوَى^(٤)٤- فَإِنِّي أَرَى فِي عَيْنِكَ الْجِدْعَ مُعْرِضًا وَتَعْجَبُ أَنْ أَبْصُرْتَ فِي عَيْنِي الْقَذَى^(٥)

هذه أبياتٌ ذهبَ النَّاسُ مِنْ طَرِيقِ الرِّوَايَةِ وَالْمَعْنَى فِيهَا مَذَاهِبٌ طَرِيفَةٌ ،
وَالصَّحِيحُ مَا أوردَهُ . وَذَلِكَ أَنَّهُ رَتَّبَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَجَّاجِ مَرَاتِبَ ثَلَاثًا ، خَبَّرَهُ
فِيهَا بِالشُّرُوطِ الْمَبِينَةِ .

(١) التبريزي : « وضاح بن إسماعيل بن عبد كلال بن داود بن أبي أحمد » . والصواب
« بن داود بن أبي حمد » . كما أسلفنا في ترجمته في الحماسة ٢١٢ ص ٦٤٣ . يؤيد ذلك ما رواه
أبو الفرج في الأغاني (٦ : ٣١) من قوله في بنات عمه :

من بنات الكريم داود وفي كندة ينسبن من أباة اللعن
وقوله يفتخر بجده أبي حمد :

بني لي إسماعيل مجدًا مؤنلا وعبد كلال بعده وأبو حمد
(٢) في الأغاني (٦ : ٤٢) أن هذه الأبيات يقولها وضاح في أخيه « سماعة » وقد
عتب عليه في بعض الأمور . وقد روى البيت الأول هكذا :

فمن مبلغ عنى سماعة ناهيا فَإِنْ شِئْتَ فَأَقْطَعْنَا كَمَا يَقْطَعُ السَّلَى
(٣) التبريزي وابن جني : « فاقبلنا بموسى » و « فاقطعنا » بصيغة الأمر . وقال التبريزي
في تفسيره : « ونصب عقد العرى على المصدر ، أى فاقطعنا تقطيع عقد العرى ، ثم حذف
المضاف وأقام المضاف إليه مقامه » . ونحو هذا السلام لابن جني .
(٤) الأغاني :

وإن شئت صرما للتفرق والنوى فبعدا أدام الله تفرقة النوى
(٥) مقتبس من قول عيسى عليه السلام : « لماذا تنظر القذى الذى في عين أخيك ،
وأما الخشبة التى في عينك فلا تفتن لها » . إنجيل متى ٧ : ٣ ولوقا ٦ : ٤١ . وفي عيون الأخبار
(٢ : ٢٧١) : « كيف تبصر القذاة في عين أخيك ولا تبصر السارية في عينك » .

فالشَّرْطُ الأولُ قوله « إن شئت فاقطعني كما قُطِعَ السَّلا » وهذا يحتمل معنيين : أحدهما أن يريد أن شئت خُصَّني بقطيعة لا وصالَ يتعقبها ، كما أن السَّلا ، وهو الجِلْدَةُ التي يلتصق فيها الولد عند خروجه من بطن أمه ، إذا قُطِعَ عنه لم يَعدْ إليه . ويجوز أن يكون المعنى : اقطعني قطيعة لا يُرجى معها وصالٌ ؛ لأن السَّلا إذا انقطع في بطن الحامل لم يمكن استخراجه ، ولا يُرجى الخلاصُ معه . ولهذا ضُربَ المثلُ به في الشَّدائدِ فقليل : « انقطع السَّلا في البطن » . والمراد في هذه القطيعة المذكورة أن تبقى العلائق التي بينهما على ما حصلت وثبتت لا يُغيَّرُ منها شيء .

والشَّرْطُ الثاني : « وإن شئت أقبلنا بموسى رَمِيضَةً » ، يقول : وإن شئت أخذ كلُّ منا موسى محدَّدة ، فقطعنا بها الأواصر التي بيننا . وهذا مثل ، والمعنى أن لنا الأسباب التي توأصلنا بها فصارت مثل الأنساب ، وحللنا عقد العرى الوثيقة فيما تواشجنا فيه حتى نصير كالأجانب لا وصالَ تجمعنا ، ولا أواخى تنظمننا ، إلّا ما طوى البعاد بيننا من قُرب الجوار والدار .

والشرط الثالث : وإن قلت لا إلّا التفرق بالأبدان معها ، فيكون النوى مُبدَّدة شملنا ، فلا نلتقي في شعبٍ ومسلكٍ ، ولا نتحاذى في منزلٍ وجمع ، ولا نتجاور في محلٍّ ومقرٍّ^(١) ، فإننا نبتعدُ بُعداً كما نختار ؛ وأدام الله تفرقة النوى بيننا ، ولا يجمع ما تشئت منها .

ويقال : سيكِّن رَمِيضٌ : حادٌّ . وكل حادٍ رَمِيضٌ ، ومنه ارتَمَضَ من كذا ، إذا اشتدَّ عليه وأغضبته .

وقوله « فإن أرى في عينك الجذع » ، يقول : إن العداوة بيننا رسخت

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « وسفر » .

وَبَيَّنَتْ وَاسْتَحَكَمَتْ مِنْ جِهَتِكَ ، فَلَا اسْتِيقَاءَ مَعَكَ ، وَلَا صَبْرَ عَلَى أَذَى مُضْضٍ مِنْكَ ، حَتَّى تَعْجَبَ لِأَذْنَى شَيْءٍ يَحُولُ ، وَتَسْتَعْظِمَ أَصْغَرَ مَا يَحْدُثُ وَيَدُورُ ، وَأَنَا أَرَى الْجَذْعَ يَعْترِضُ فِي عَيْنِكَ فَلَا أَنْكَرَ ، وَلَا أَحَاسِبُ عَلَيْهِ وَلَا أَضَاقُ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ فِي الْمَثَلِ : « تُبْصِرُ الْقَذَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيكَ ، وَتَدْعُ الْجَذْعَ الْمَعْتَرِضَ فِي حَلْقِكَ » .

٦٣١

وَقَالَ جَوَّاسُ الْكَلْبِيِّ ، مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ جَنْابٍ ^(١) :

١- ضَرَبْنَا لَكُمْ عَنْ مَنِيرِ الْمَلِكِ أَهْلَهُ بِجَيْرُونَ إِذْ لَا تَسْتَطِيعُونَ مَنِيرًا

٢- وَأَيَّامَ صِدْقٍ كُلَّهَا قَدْ عَلِمْتُمْ نَصَرْنَا وَيَوْمَ الْمَرْجِ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ^(٢)

٣- فَلَا تَكْفُرُوا حُسْنَى مَضَتْ مِنْ بِلَانِنَا وَلَا تَمْنَحُونَا بَعْدَ لَيْنٍ تَجَبَّرَا

يَخَاطَبُ بِهَذَا الشَّعْرِ بَنِي مَرْوَانَ مِمَّنَّا عَلَيْهِمْ ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ لَمَّا هَلَكَ اسْتَعْمَلَ ابْنَهُ يَزِيدَ ، فَتَابَعَهُ النَّاسُ مَا خِلَا بَنِي قَيْسٍ فَانْهَمَ قَالُوا : لَا نَبَايَعُ ابْنَ الْكَلْبِيَّةِ ، فَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ أُمَيَّةَ وَقَيْسٍ . وَجَيْرُونَ : بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ دِمَشْقَ ، وَأَوَّلُكَ كَانَ مُسْتَقَرُّهُمْ بِالشَّامِ . وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ « أَهْلَهُ » بَنِي هَاشِمٍ ، وَبِالْمَلِكِ الْخُلَافَةَ .

وَقَوْلُهُ « إِذْ لَا تَسْتَطِيعُونَ مَنِيرًا » ، أَيْ ارْتِقَاءَ مَنِيرٍ وَصَعُودَهُ ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ . وَالْمُرَادُ : إِنَّا نَصَرْنَاكُمْ فِي طَلَبِ أَمْرِ كَانَ لغيركم لَا لَكُمْ بِجَيْرُونَ ،

(١) التبريزي : « وقال عمرو بن غزاة الحمار السكبي » . وقد سبقت ترجمة عمرو بن غزاة الحمار في الخامسة ٢١٤ ص ٦٤٧ . وأما جواس ، فهو جواس بن القعطل بن سويد بن الحارث بن حصن بن عدى بن جناب الكلبي . وهو شاعر إسلامي كان معاصراً لفرز بن الحارث الكلبي . المؤلف ٧٤ .

(٢) التبريزي : « قد عرقم » .

حين لا تقدرّون على صعود منبر، ولا تستقيم لكم قناة مُلك، ونصرنا أيضاً^(١) يوم مرج راط، وأياماً آخر قبله وبعده، صادقناكم فيها ونصرناكم نصراً قوياً، فلا تجحدوا نعمنا فيها، فكفران النعم ذميم، ولا تتكبروا علينا بعد ملايئتكم لنا، فإن التكبر منكم عظيم. وقوله «حسنى مضت» مصدر في معنى الإحسان، وليست بتأنيث الأحسن، لأن تلك تلزمه الألف واللام.

- ٤- فكم من أمير قبل مروان وأبنيه كشفنا غطاء النعم عنه فأبصرنا
٥- ومستسلم نفْسَن عنه وقد بدت نواجذُه حتى أهلَّ وكبراً
٦- إذا افتخر القيسي فاذا كُرَّ بلاءُه بزراعة الضحك شرقي جوبراً
٧- فما كان في قيس من ابن حفيظة يُعدُّ ولكن كلُّهم نهبُ أشقرا

قوله «كم من أمير» أراد به معاوية وأشياعه. أي ذببنا دونه وأزلنا ما كان تراكم عليه من رواكد الظلم حتى أبصر رُشدَه، وعادت إليه بصيرته، بعد أن كان تحير في أمره، والتبس عليه ما يتنقل فيه، فلا يعرف ما عليه ممّاله.

وقوله: «ومستسلم» عطفه على «من أمير»، والضمير في «نفْسَن» للخيال ولم يجز لها ذكر، ولكن عُرف منه المراد. يريد: وكم من مُنقاد لما دهمه، مُستسلم للشرّ المفاجئ له والمحيط به، نفّست خيلنا عنه بعد أن يبس ريقه، وتقلّصت شفتاه فظهرت نواجذُه، لما مُني به من شدة البلاء، وجهْد البأساء، حتى أهلَّ، أي رفع بالحمد لله صوته، وأظهر شكره، وعظّمه وكبره، لما أعقب من الأمن عقيب الخوف، والسلامة بعد الهلك. ويروى: «كشفنا غطاء الموت». ويروى: «ومستلحم» نفّست عنه وقد بدت مقاتله والمعنى فيهما ظاهر.

(١) هذا ما في ل، وهو الأوفى. وفي نسخة الأصل: «ونصرنا نصراً».

وقوله « إذا افتخر القيسى فاذا كُرَّ بلاءه » ، يعيّرهم ما كان منهم من التقصير والقصور في ذلك الموضع . وأخرج الكلامَ مخرجَ الهُزءِ ، لأنهم قصّروا ولم يُبَلِّغُوا ؛ لذلك قال : اذْ كُرَّ بلاءه . والزَّرَّاعاتُ : مواضع الزرع ، كالملاحات . والزَّرَّيعُ : العَثَرِيُّ الذي يُسْقَى من السماء ، فكلُّ ناعم زَرَّيعٌ تشبيهاً به . وجَوْبَرُ : نهر . وانتَصَبَ « شرقى » على الظرف ، يعنى ما ولى المشرق منه . والضَّحَّاك^(١) كان على شُرطة معاوية ، ثم صار مع ابن الزبير بعد موت يزيد^(٢) . وفي جملة هذه الآيات :

فلو كنتُ من قيسِ بن عيلان لم أجد فخاراً ولم أعدلِ بأن اتنصراً
يقبِّح صورتهم كما ترى .

وقوله : « فما كان في قيسٍ من ابنِ ربيعة يُعدُّ » و يروى : « فما كان في قيس بن عيلان سيّدٌ يُعدُّ » ، ويعني بنهب أشقر فرس طفيل بن مالك ، وكان فراراً^(٣) . يقول : كأنما انتهبهم طفيلٌ في ذلك اليوم . وكان اسمُ فرسِ طفيلٍ قرزلاً ، لذلك قال الآخر^(٤) يصف قوماً منهزمين :

يعدّو بهم قرزُلٌ ويستمعُ النّاسُ إلىهم وتُحقِّقُ اللّهم
جعل فرس كلِّ منهم كقرزُلٍ لمّا هربوا .

(١) هو الضحّاك بن قيس الفهري ، ولد في زمان الرسول بعد الهجرة ، وولاه معاوية الكوفة ثم عزله ، ثم ولاه دمشق ، ولما مات معاوية بن يزيد بن معاوية دعا إلى نفسه فقاتله مروان بن الحكم ، فقتل بمرج راهط سنة ٦٤ . الإصابة ٤١٦٤ والطبرى (٧ : ٣٧ - ٤١) .
(٢) الحق أنه كان يتظاهر بالدعوة لابن الزبير ، واستغل هذا في استمداد أنصار ابن الزبير ليقوى بهم على محاربة مروان .

(٣) وقال ابن الكلبي : أشقر : رجل من كلب ، أصاب صندوقاً في إغارة لـ كلب على إباد ، فظن أن فيه خيراً كثيراً ، فإذا فيه عظام ، فضرّبه العرب مثلاً لا خير فيه . وقيل : لأنه أراد بالأشقر العبد . والعرب تسمى العجم « الحمراء » لأن الغالب على ألوان الفرس الصهباء . وعلى هذا معناه : كلهم نهب من لا قدرة له ولا هيبة . عن شرح التبريزي .

(٤) هو الجيـح الأسدي . المفضليات ٤١ الطبعة الثانية بالمعارف .

٦٣٢

وقال جواس الكلبي أيضاً :

١ - أَعْبَدَ الْمَلِكِ مَا شَكَرْتَ بِلَاءَنَا فَكُلْ فِي رَحَاءِ الْأَمْنِ مَا أَنْتَ آكِلُ
٢ - بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ لَوْلَا ابْنُ بَحْدَلٍ هَلَكْتَ وَلَمْ يَنْطِقْ لِقَوْمِكَ قَائِلُ
يعانِبُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قُتِلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَسَكَتَتِ الْحَرْبُ
وَصَفَالَهُ الْأَمْرُ ، أَقْبَلَ بِتَأْلُفٍ قِيسًا وَهُمْ أَعْدَاؤُهُ ، وَيُوحِشُ بَنِي كَلْبٍ وَهُمْ أَنْصَارُهُ ،
حَتَّى انْتَهَى الْحَالُ بِهِ إِلَى أَنْ عَزَلَ كَثِيرًا مِمَّنْ اسْتَعْمَلَهُ مِنْ كَلْبٍ عَلَى أَعْمَالِهِ ،
وَجَعَلَ أَبْدَاهُمْ مِنْ قِيسٍ ، فَقَالَ جَوَّاسٌ : يَا عَبْدَ الْمَلِكِ ، مَا حَدَّثَ بِلَاءُنَا فِي
نُصْرَتِكَ ، وَلَا قَابَلْتَ انْقِطَاعَنَا إِلَيْكَ وَسَعِينَا لَكَ بِبَعْضٍ مَا وَجِبَ لَنَا عَلَيْكَ ،
فَكُلْ مِنْ دُنْيَاكَ فِي سَعَةِ الْأَمْنِ وَظِلِّ الْهُدُوءِ مَا أَنْتَ آكِلُهُ ، لَا مُدَافِعَ لَكَ
وَلَا مُعْتَرِضَ عَلَيْكَ ، فَلَوْلَا ابْنُ بَحْدَلٍ وَقِيَامُهُ بِأَمْرِكَ بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ لَهَلَكْتَ
وَلَمْ يَنْطِقْ لِقَوْمِكَ قَائِلُ ، أَيْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ خَلِيفَةٌ يُخْطَبُ عَلَى مَنِيرٍ فَيَدْعُو وَيُدْعَى
لَهُ . وَتَعَلَّقَ قَوْلُهُ « بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ » بِقَوْلِهِ مَا شَكَرْتَ بِلَاءَنَا . وَهَلَكْتَ
جَوَابَ لَوْلَا ، وَخَبَرَ الْمَبْتَدَأَ مُحذُوفٌ ، وَقَدْ مَرَّ أَمثَالُهُ .

٣ - فَلَمَّا عَلَوَتِ الشَّأَمُ فِي رَأْسِ بَاذِخٍ مِنْ الْعِزِّ لَا يَسْطِيعُهُ الْمُتَنَاوُلُ
٤ - نَفَعَتْ لَنَا سَجَلُ الْعَدَاوَةِ مُغْرِضًا كَأَنَّكَ مِمَّا يُحْدِثُ الدَّهْرُ جَاهِلُ
يقول : فَلَمَّا مَلَكَتِ الْمَطْلُوبَ وَأَدْرَكَتِ الْمَأْمُولَ ، وَاسْتَوَيْتِ عَلَى الشَّأَمِ فِي
عِزِّ بَاذِخٍ وَجَدَّ صَاعِدٍ ، لَا يَقْدِرُ عَلَى تَنَاوُلِ مِثْلِهِ أَحَدٌ بِأَمَلٍ أَوْ هِمَّةٍ ، أَطَرَّ حَتْنًا
وَأَعْرَضَتْ عَنَّا ، مُعْطِيًا سَجَلُ الْعَدَاوَةِ لَنَا ، كَأَنَّكَ جَاهِلٌ بِالدَّهْرِ وَقَعْلَاتِهِ ،
وَحَوَادِثِهِ وَمُلَمَّاتِهِ . وَمَنْ رَوَى : « كَأَنَّكَ مِمَّا يُحْدِثُ الدَّهْرُ » ، يَرِيدُ كَأَنَّكَ مِمَّا
أَحْدَثَهُ الدَّهْرُ لَكَ مِنَ الرِّيَاسَةِ جَاهِلٌ . أَيْ اغْتَرَّتْ فَكَأَنَّكَ اسْتَحْدَثْتَ جَهَالَه .

وَيُرَوَّى: «كَأَنَّكَ عَمَّا يُحَدِّثُ الدَّهْرَ [غافل]»^(١) ، فجاهلٌ يُجْرَى مجرى غافلٍ .
وهذا يجرى مجرى الوعيد . أى لا تأمن غير الأيَّام ومعاودتك ما يَحْتِمُ عليك
بالفقر إلينا ثانياً .

وفى هذه الطريقة ما أنشده محمد بن غالب :

فَتِي مَسْمُوعٍ أَنْتَ مِنْ مَسْمُوعٍ بِحَيْثُ الشَّوَيْدَاءِ وَالنَّاضِرَانِ
مَلَكَتَ فَاسْجِخْ وَزُغْ بِالزَّمَامِ وَخَفَ مَا يَدُورُ بِهِ الدَّائِرَانِ
٥- وَكَنتَ إِذَا أَشْرَفْتَ فِي رَأْسِ رَامَةٍ تَضَاءَلَتْ إِنْ الْخَائِفَ الْمُتَضَائِلِ^(٢)
٦- فَلَوْ طَاوَعُونِي يَوْمَ بَطْنَانَ أُسْلِمْتَ لِقَيْسٍ فُرُوجٍ مِنْكُمْ وَمَقَاتِلِ^(٣)

رامه : هضبة . يذكره ضيق أقطار الأرض عليه ، فيقول : إنك حينئذ
متى أشرفت في رأس هذه الهضبة تخاشعت وتذلت ، لاستشعارك الخوف
الشديد ، واستظهارك بالاتقاء من أعدائك البالغ . والخائف هذا دأبه وعادته .
على أنهم - - - - - يعنى أصحابه - - - لو طاوَعُونِي في هذا اليوم وقَبِلُوا نَضْحِي ، وعَمِلُوا
برأى ، لأُسْلِمْتَ لقيسٍ فُرُوجُكُمْ ، وهى مواضع المخافة ، ومقاتلكم . والمعنى :
كفنا نخذلكم ونسلمكم حتى يتمكن القتلُ منكم ، وتعلو سمة الذلِّ على أحوالكم .
وإنما قال هذا لأن القيسية كانت تدعو إلى ابن الزبير ، وكلبٌ تدعو إلى
المروانية ، وكان الناس يومئذٍ إنما يعرفون بالبحرلية أصحاب مروان ،
والزبيرية ، وهم أنصار ابن الزبير . لذلك قال عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان :
وما الناس إلا بحدائي على الهدى وإلا زُبَيْرِي عَصَى قَتَرَبْرًا^(٤)

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وبدلها في ل : « جاهل » ، والوجه ما أثبتنا ،
لما يقتضيه سياق الكلام .

(٢) التبريزي : « من رأس هضبة » .

(٣) التبريزي : « وروى : أسلمت فروج نساء منكم » .

(٤) سبق البيت محرفاً بدون نسبة في ص ٦٥٠ .

٦٣٣

وقال جَوَّاسٌ أيضاً :

- ١ - صَبَعَتْ أُمِّيَّةٌ بِالْذِمَاءِ رِمَاحَنَا وَطَوَتْ أُمِّيَّةٌ دُونَنَا دُنْيَاهَا
 - ٢ - أُمِّيُّ رَبِّ كَتَبِيَّةٍ مَجْهُولَةٍ صَيْدِ الْكُفَاةِ عَلَيْنَكُمُ دَعَاوَاهَا
 - ٣ - كُنَّا وَلَاةَ طِقَانِهَا وَضَرَابِهَا حَتَّى تَجَلَّتْ عَنْكُمُ غَمَاهَا
- يقول : استنصرنا أُمِّيَّةٌ ودافع الأعداء بنا ، وعرضنا للقتل والقتال ، والضراب والطعان ، حتى رويت قناتنا من دماء مجاذبيهم ، والمتكرهين لأيامهم ودولهم^(١) ، فلما وضعت الحرب أوزارها ، وارتفع الهيج والفتن من أنحائها ومقاصدها ، استبدوا ببطي الدنيا وزيتها^(٢) ، والفوز بها وبأعراضها من دوننا . ثم أخذ يخاطبها فقال : يا أُمِّيَّة^(٣) ، رَبِّ كَتَبِيَّةٍ مَجْهُولَةٍ الشان ، لم نذر كيف يدفع في وجهها ، ولا من أين يصرف شرها ، متكبري الأبطال ، بهم الشجمان ، دعاها عليكم لا لكم ، ودفاعها فيكم لا عنكم ، تولينا مطاعنها ومكافحتها ، وافترضنا على أنفسنا دفعها . ويجوز أن يكون المراد بقوله « مَجْهُولَةٍ » أننا لا نعرفها ، ولا مجاذبة بيننا وبينهم ولا معاملة ، فهي مجهولة لنا ، اتخذنا كالأعداء لنا في هواكم ونصرتكم .

فأما قوله « صَيْدِ الْكُفَاةِ » فإنما جمع فقال صَيْدًا ، حملاً على معنى الكَتَبِيَّةِ ، ولو حَمَلَ على اللفظ لقال : رَبِّ كَتَبِيَّةٍ صَيْدَاءِ الْكُفَاةِ .

والصَّيْدُ يُسْتَعْمَلُ عَلَى وَجْهَيْنِ : يقال : مَلَأْتُ أَصَيْدُ ، أى متكبر لا يلتفت

(١) كذا ضبطت في النسختين بكسر ففتح . ويقال أيضاً « دول » بضم ففتح ، كلاهما جمع دولة .

(٢) الطي ، بالكسر : واحد الأطواء ، وهى من الثوب والشحم طرائقه ومكاسر طيه .

(٣) ل : « أُمِّي » .

إلى الناس يميناً ولا شمالاً . وَحَكَّى الْخَلِيلُ أَنَّ الصَّيْدَ ذُبَابٌ يَدْخُلُ فِي أُذُنِ الْبَعِيرِ
فَيَقْلَقُ لَهُ ، فَيُظَلُّ رَافِعاً رَأْسَهُ . فَشُبَّهِ الْمَلِكُ ذُو الزَّهْوِ بِهِ . فَهَذَا وَجْهُ . وَالْوَجْهَ
الْآخِرَ : أَنَّ يُرَادَ بِالْأَصِيدِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْإِلْتِفَاتَ مِنْ دَانِهِ .

وقوله : « حَتَّى تَجَلَّتْ عَنْكُمْ غُمَاهَا » ، يُقَالُ : هُمُ مِنْ أَمْرِهِمْ فِي غُمَاهُ ،
أَي فِي شِدَّةٍ وَالتَّبَاسِ شَدِيدٍ عَلَيْهِمْ . وَمَعْنَى حَتَّى : إِلَى أَنْ . وَالْوَلَاةُ : جَمْعُ
الْوَالِي ، وَهُوَ الْمُتَوَلَّى لِلشَّيْءِ وَالْفَاعِلُ لَهُ . وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ الْمَلَأَ ، كَأَنَّهُمْ
مَلَكَوْا تَدْبِيرَ الْحَيِّ فَصَارُوا كَالْوَلَاةِ لَهَا وَفِيهَا .

٤ - وَاللَّهُ يَجْزِي لَا أُمِّيَّةٌ سَعِينَا وَعَلَى شَدَدْنَا بِالرَّمَاكِ عَمْرَاهَا^(١)

٥ - جِئْتُمْ مِنَ الْحَجَرِ الْبَعِيدِ نِيَاطُهُ وَالشَّأْمُ تُنْكِرُ كَهْلَهَا وَفَتَاهَا

٦ - إِذْ أَقْبَلْتُ قَيْسٌ كَأَنَّ عُيُونَهَا حَدَقُ الْكِلَابِ وَأَظْهَرَتْ سِيَاهَا

يَقُولُ : الْآنَ وَقَدْ جَحَدَتْ أُمِّيَّةٌ نِعْمَتَنَا عِنْدَهَا ، وَبُعَدَتْ عَنِ الصَّلَاحِ
بِكُفْرَانِهَا ، فَإِنَّ الْإِعْتِمَادَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى جَدُّهُ فِي أَنْ يَتَوَلَّى جِزَاءَ سَعِينَا ، وَيَعْرِفَ
لَنَا مَا أَنْكَرْتَهُ أُمِّيَّةٌ مِنْ بِلَانِنَا ، وَعَلَى مَعَالٍ أَحْكَمْنَا وَثَاقَهَا ، وَشَدَدْنَا عَقْدَهَا
وَعَلَّاقَهَا ، فَتَوَجَّبَ لَنَا مِنْ إِثَابَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَكُونُ فِيهِ عَوَضٌ مِنْ
كُلِّ فَائِتٍ .

وقوله « جِئْتُمْ مِنَ الْحَجَرِ » أَرَادَ بِالْحَجَرِ الْجَنَسَ . وَالْمُرَادُ : جِئْتُمْ مِنَ الْمَكَانِ
الْكَثِيرِ الْحَجَرِ ، وَمِنْ بِلَادِ الْحَجَرِ ، يَعْنِي الْحِجَازَ . وَمَعْنَى « الْبَعِيدِ نِيَاطُهُ » الْبَعِيدِ
مُعْلَقُهُ . وَيُقَالُ : نُطِلْتُ الشَّيْءَ أَنْوَطُهُ نِيَاطًا وَنَوُطًا ، إِذَا عَلَّقْتَهُ . وَرَوَى بَعْضُهُمْ :

(١) التبريزى : « فآله » .

« من الحَجَز » ، بالزاء ، وقال : يريد الحِجَاز . فهذا كما قيل في تهامة : التَّهَم . قال :

* نظرتُ والعَيْنُ مُبَيَّنَةُ التَّهَمِ ^(١) *

والحاجز والحِجَاز والحَجَز ، واحد . قال : سُمِّيَ الحِجَازُ حِجَازاً ، لأنه يَفْصِلُ بين الغور والشام وبين البادية . وقوله « والشَّامُ تُنْكَرُ كَهَلْهَا وَفَتْهَا » ، أى لم يكونوا من أهلها فاستغربَ بهم . وهذا كما قال في المقطوعة الأولى ^(٢) : « رَبِّ كَتِيبَةٍ بِمَجْهُولَةٍ » .

وقوله « إِذْ أَقْبَتَتْ قَيْسٌ » ، إِذْ ظَرَفْتُ لِقَوْلِهِ جِئْتُ مِنَ الْحَجَرِ ، أى جِئْتُ وَقْتَ إِقْبَالِ قَيْسٍ . ويجوز أن يكون ظرفاً لقوله « تُنْكَرُ كَهَلْهَا » أى تُنْكَرُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ . وَيُرْوَى : « وَتَرَبَّرَتْ قَيْسٌ كَأَنَّ عَيْونَهَا » ، أى صار هوأها زُبُرِيّاً . وقوله « كَأَنَّ عَيْونَهَا حَدَقُ الْكَلَابِ وَأُظْهِرَتْ سِيَاهَا » قَصَّدهُ إِلَى الذَّمِّ وَإِلَى أَنْ نَظَرَهُمْ نَظَرُ الْكَلَابِ ، لَكِنَّهُ جَرَّدَ التَّشْبِيهَ أَوَّلًا ، ثُمَّ قَالَ : « وَأُظْهِرَتْ سِيَاهَا » أى أَظْهِرَتْ سِيَاهَا الْكَلَابِ فِي إِقْبَالِهَا ، فَتَرَكَ لَفْظَ التَّشْبِيهِ ، وَصَارَ كَأَنَّهُ يُخْرِجُ عَنْ حَقِيقَةٍ .

٦٣٤

وقال عبد الرحمن بن الحكم ^(١) :

١ — لَحَا اللَّهُ قَيْساً قَيْساً عَيْلَانَ إِنِّهَا أَضَاعَتْ ثُنُورَ الْمُسْلِمِينَ وَوَلَّتْ

(١) بعده في اللسان (تهم) :

إلى سنا نار وقودها الرثم شبت بأعلى عاندين من لضم

(٢) كذا . وإنما يعنى ما ورد في البيت الثاني من نفس هذه المقطوعة .

(٣) هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، شاعر إسلامي ، وهو

القاتل لمعاوية حين استلحق زيادا :

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلفة من الرجل المهجان

أنغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زان =

٢- فشاول بقیس فی الرِّخاء ولا تَکُنْ أخاها إذا ما المشرَفِیَّةُ سُلَّتْ^(١)

قوله «لخا الله» ، يجوز أن يكون بمعنى قشر الله ، ويجوز أن يكون بمعنى سبَّ الله . وقوله «إنَّها أضاعت ثُغورَ» ، يروى بفتح الهمزة ، والمعنى لأنها ، ويروى بالكسر على الاستئناف . ومعنى وَلَّتْ انهزمت وأعرَضَتْ .

وقوله «فشاول بقیس» ، أى خاطِرٌ غيرك ورافِعهم بهم فى الرِّخاء والسَّعة ، والأمن والدَّعة ، وإيالك والاعتمادَ عليهم وموَاخاتهم فى الحرب وعند استلال السَّيوف ؛ فإنَّهم يُسلُّونك وينهزمون ، ويَحْذُلونك ولا يَنْصُرُونَ . ويقال : شاول الفحل وخاطرَه ، إذا هاجَه .

٦٣٥

وقال أبو الأسد^(٢) فى الحسن بن رجاء^(٣) :

١ - فَلَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْجِبَالِ وَأَهْلِهَا وَإِلَى مَنَابِرِهَا بِطَرْفٍ أَخْزَرَ^(٤)

٢ - مَا زِلْتُ تَرْكَبُ كُلَّ شَيْءٍ قَائِمٍ حَتَّى اجْتَرَأْتَ عَلَى رُكُوبِ الْمُنْبَرِ

= الأغاني (١٢ : ٦٩ - ١٣ / ٧٣ : ١٤٤ - ١٤٨) . وفى تاريخ الطبرى (٧ : ٤٢) أن هذه الأبيات يجب بها زفر بن الحارث فى قوله :

أفى الله أما مجدل وابن مجدل فبجيا وأما ابن الزبير فيقتل

كذبتم وبيت الله لا تقتلونه ولما يكن يوم أمر مجدل

ومى الخامسة ٢١٥ . انظر ص ٦٤٩ .

(١) التبريزى : « بقیس فى الطعان » . الطبرى : « فباه بقیس فى الرخاء » .

(٢) هو أبو الأسد نباتة بن عبد الله الحناني ، شاعر من شعراء الدولة العباسية من أهل الدينور ، وكان طليبا مليح النوادر مداحا خبيث المهجاء . الأغاني (١٢ : ١٦٧) .

(٣) التبريزى : « الحسن بن رجاء ابن أبى الضحاک » . وهو أحد ولاة الدولة العباسية كان واليا على الجبال ، وكان هذا علما لما بين أسبهاان إلى زنجان وقزوین وهمدان والدينور وقرميسين والرى وما بين ذلك . وهو ممن مدحهم أبو تمام ومحمد بن وهيب . الأغاني (١٧ : ١٤٢) .

(٤) البيتان مع ثالث برواية أخرى فى البيان (١ : ٢٩٦) بدون نسبة .

قوله « بطرفٍ أخزر » تعلّق الباء منه بقوله فلا نظرن ، والمراد بنظرٍ يميلُ إلى ناحيةٍ ، أى نظَرَ بُغْضٍ وشَنَانٍ ، لكونه متولياً لها . والمعنى : هانت في عَيْنِي وصَغُرَ قَدْرُهَا عِنْدِي ، فصرتُ أتكْرَهُهَا ، وأبْغَضُ أَهْلَهَا وكُورَهَا ، ومَوَاضِعَ الدَّعْوَةِ منها ، مَذْصِرْتُ أَمِيرَهَا ومُدَبِّرَهَا .
وقوله « ما زلتَ تركب » ، معناه ظاهر .

٦٣٦

وقال آخر^(١) :

- ١- عَجِبْتُ مِنَ السَّارِينَ وَالرَّيْحِ قَرَّةً إِلَى ضَوْءِ نَارٍ بَيْنَ فَرْدَةٍ وَالرَّحَى^(٢)
- ٢- إِلَى ضَوْءِ نَارٍ يَشْتَوِي الْقِدَّ أَهْلَهَا وَقَدْ يُكْرِمُ الْأَصْيَافُ وَالْقِدُّ يَشْتَوِي
- ٣- فَلَمَّا أَتَوْنَا فَاشْتَكَيْنَا إِلَيْهِمْ بَكُوا وَكَلَّا الْحَيَيْنِ مِمَّا بِهِ بَكَى
- ٤- بَكَى مُعْوِزٍ مِنْ أَنْ يُلَامَ وَطَارِقٌ يَشُدُّ مِنَ الْجُوعِ الْإِزَارَ عَلَى الْحِشَا

يقول : تعجّبتُ من العُصْبَةِ التي سَرَتْ لَيْلًا إِلَى ضَوْءِ نَارٍ أَوْقَدَتْ فِي مَكَانٍ يَتَوَسَّطُ فَرْدَةَ وَالرَّحَى ؛ وهما موضعان . والرواية المستقيمة على كلّ وجهٍ : « بين فَرْدَةٍ وَالرَّحَى » ، وهذا هو ما كان الْأَصْمَعِيُّ يُنْكِرُهُ فِي بَيْتِ امْرِئِ الْقَيْسِ ، وهو :

* بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ لِحُومِلِ^(٣) *

وقد مرَّ القولُ فِيهِ فِي أَشْبَاهِهِ^(٤) ، وَفِي حَكْمِ بَيْنٍ وَمَقْتَضَاهُ أَنَّ الْأَسْمَ الَّذِي

(١) هو الراعي ، كما ذكر التبريزي . وقد سبقت ترجمته في الخامسة ٨٠ من ٢٧٥ . قال التبريزي : « ونزل بالراعي النمرى رجل من بني كلاب في ركب معه ليلا في سنة مجدية وقد عزبت عن الراعي إبله ، فبحر لهم ناقة من رواحلهم ، وصبحت الراعي إبله فأعطى رب الناب نابا مثلها وزادها ناقة ثنية ، فقال ... » .

(٢) التبريزي : « فالرحى »

(٣) صدره مشهور ، حتى قيل : « أشهر من قفا نيك » .

(٤) انظر ما سبق في ص ٧٩٨ ، ١٢٤١ .

يليه يجب أن يكون كاسم الجمع في تناوله أ كثر من واحد ، حتى يصح ترتيب
القاء عليه في العطف .

وقوله « والريح قرّة » ، أى تهبّ شمالاً ببردٍ شديد . والواو منه واو الحال .
وقوله « إلى ضوء نار يشوى القِدَّ أهلها » ، أبدل إلى ضوء نار ممّا في البيت
الأول بإعادة حرف الجرّ معه . ويعنى ناراً لقومٍ مضرورين مجهودين لا خيرَ
عندهم ، ولا طعامَ بفنائهم ، مضطرين إلى شئ القِدِّ ، لأنهم أعوزهم ما هو خيرٌ منه .
فتمعّجَبَ وقد استضافهم هؤلاء السَّارُونَ ، ثمّ قال : وقد يُكرّم الأضيافُ مع
مجاهدة الفقر ، ومزاولة الضّرِّ ، إذا كان المضيف لطيف الحيلة ، رفيع الهمة .

ويقال : شويت اللحم واشتويته ، فانشوى هو . وحكى سيبويه في بناء
المطاوعة اشتوى أيضاً . ومثله نظمتُ الشئ وانتظمتُه فانظمتَ هو .

وقوله « فلما أنونا » يقول : فلما حصلوا عندنا تباثنا وتباكينا ، وكل واحدٍ
من الحيتين شكاً إلى الآخر دهره ، وأنهى إليه في إضاقة أمره .

وقوله « بكى مُعَوِّزٌ » ، هذا بيان وجه العلة في البكاء . يقول : بكى فقيرٌ
مخافة أن يُتهم ولا يُصدّق ظاهرُ حاله فيما ينطبق به من ضرّه ، وأن تلحق به
اللائمة إذا ذكر واجبات ضيفه ؛ والضيف الطارق بكى لِمَا مَسَّهُ من نائباتِ
دهره ، ولمّا يظهر من مِساس حاجته ، ويُقيم به العُدْر في إلمامه ، حتّى شدَّ
حشاهُ لخلاء جوفه .

٥- فَأَلْطَفْتُ عَيْنِي هَلْ أَرَى مِنْ سَمِينَةٍ وَوَطَّنْتُ نَفْسِي لِلْعَرَامَةِ وَالْقِرَى

٦- فَأَبْصَرْتُهَا كَوْمَاءَ ذَاتِ عَرِيكَةٍ هِجَانًا مِنَ اللَّائِي تَمْتَعْنَ بِالصَّوَى

٧- فَأَوْمَأَتْ إِمَاءَ خَفِيًّا خَلْبَتِ وَلِلَّهِ عَيْنًا حَبْرَ أَيْمَأَ فَتَى

٨- وَقُلْتُ لَهُ أَلْصِقْ بِأَيْبَسِ سَاقِهَا فَإِنْ يُجَبِّرَ الْعُرْقُوبُ لَا يَرْقُ النَّسَا

قوله « أَلْطَفْتُ عَيْنِي » أى نظرتُ بعيني نظراً لطيفاً ، هل أرى فى إبلِ
المُسْتَضِيفِينَ ورواحِلِهِمْ نَاقَةً سَمِينَةً أَنْحَرُهَا لَهِمْ ، وإِذَا رُدَّتْ إِبِلِي إِلَى مَبَاءِهَا أُعَوِّضُ
صَاحِبَهَا خَيْراً مِنْهَا ، وَأَغْرَمُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَهُ مَا أَرْضِيهِ بِهِ . ويقال : أَلْطَفْتُ أَخِي
بِكَذَا ، إِذَا اتَّخَفْتَهُ بِمَا يُعْرِفُ بِهِ بَرِّكَ وَأُطْفُكُ . وَأَلْطَفْتُ الْأُمَّ بِالْوَلَدِ ، وَأُمُّ لَطِيفَةٌ ،
أى أكرمته وبرته .

وقوله « أَبْصَرْتُهَا كَوْمَاءً » ، الكوماء : الطويلة السَّنام الغليظة ، وقيل :
السَّكُوم : العِظَم من كلِّ شىء . والعريكة : السَّنام إِذَا عَمَلَهُ الحِمْل . وناقةٌ
عَرُوكٌ : لم يكن فى سَنَامِهَا إِلَّا اليَسِيرُ مِنَ الشَّحْم . والهجان : الكريمة . ويقال :
ناقةٌ هِجَانٌ وَنُوقٌ هِجَان . وقد مرَّ القولُ فى وقوعِهِ للوَاحِدِ والجمع على صُورَةٍ ^(١) .
وقوله « تَمَتَّعْنَا بِالصَّوَى » فالصَّوَى : الأعلام والحجارة . أى رعت الحزن
والسَّهْل . ومعنى تَمَتَّعْنَا ، أى أَقْنَنَ بِهَا وَبَقِينَ حَتَّى اسْتَمْتَعْنَا . ويقال : مَتَّعَ
الماء الشَّجَرَةَ ، إِذَا أَنْشَأَهَا . ونَحْلَةٌ مَاتَعَةٌ ، أى طويلة .

ويروى :

..... مِنْ سَمِينَةٍ تَدَارَكَ فِيهَا نِثْرُ عَامِنٍ وَالصَّرَى

وَالنِّثْرُ ^(٢) : الشَّحْم . وَالصَّرَى : حَبَسُ الْإِبِلِ فى الرَّغَى ^(٣) ، ومنه سَمَّى الماء الذى
قد طَالَ إِنْقَاعُهُ فى مَوْضِعٍ : الصَّرَى . وَيُرْوَى : « وَالصَّوَى » ، وهو الإحسان
إليها والإبقاء عليها .

وقوله « فَأَوَمَّاتُ إِيْمَاءٍ خَفِيًّا لَحْبَتِرٍ » لَحْبَتِرٌ : اسم ابنه ، وإِنَّمَا رَسَمَ لَهُ

(١) انظر ما سبق فى ص ٩٤ .

(٢) النى ، بفتح النون وكسرهما ، وضبط فى النسختين بالفتح ، وهما لغتان فيه .

(٣) الرعى ، بالكسر : السَّكَلُ والرعى . وفى ل : « المرعى » .

عَرَقَتْهَا فِي السَّرِّ بَعْدَ أَنْ اخْتَارَهَا مَخَافَةً أَنْ يَمْتَنِعَ صَاحِبُهَا مِمَّا هَمَّ بِهِ فِيهَا . وَقَوْلُهُ « عَيْنَا حَبْتَر » اعْتِرَاضٌ . وَانْتَصَبَ « أَيَّمَا فَتَى » عَلَى الْحَالِ ، كَأَنَّهُ اخْتَدَهَ حِينَ حَسُنَتْ فُطْنَتُهُ وَتَسَرَّعَ إِلَى مُرَادِهِ . وَيُقَالُ : مَرَرْتُ بِرَجُلٍ أَيْ رَجُلٍ ، فَتَجَعَلَهُ صِفَةً لِلنَّكَرَةِ ؛ وَبَزِيدٌ أَيْ رَجُلٌ ، فَيَصِيرُ حَالًا لِلْمَعْرِفَةِ . وَعَلَّقَ اللَّدَّحَ بَعَيْنِيهِ ، لِأَنَّهُ بِهِمَا أَدْرَكَ إِيمَاءَهُ . وَإِذَا عَظَّمُوا الشَّيْءَ نَسَبُوا مِلْكَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَقَوْلُهُ « أَلْصِقْ بِأَيْبَسِ سَاقِهَا » الْأَيْبَسُ : مَا قَلَّ عَلَيْهِ اللَّحْمُ مِنَ السَّاقِ وَغَيْرِهَا . وَالسَّيْفُ أَعْمَلُ فِيهِ . وَقَوْلُهُ « فَإِنْ يُجَبَّرَ الْعُرْقُوبُ » الْعُرْقُوبُ : عَقَبٌ مُوْتَرٌ خَلْفَ الْكَعْبَيْنِ فَوْقَ الْعَقَبِ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَهُوَ مَوْصِلُ الْوُضُفِ وَالسَّاقِ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ . وَالْمَعْنَى : أَصِْبْ سَاقَهَا فَإِنَّ الْعُرْقُوبَ إِنْ أَمْسَكَ التَّلَافِي مِنْهُ بِالْجَبْرِ وَالْعِلَاجِ وَالشَّدِّ ، فَإِنَّ نَسَاءَهُ لَا يَنْقَطِعُ الدَّمُ مِنْهُ ، فَصَاحِبُهَا يَيْئَسُ مِنْهَا عِنْدَ ذَلِكَ . وَالْمَعْنَى : اضْرِبْهَا ضَرْبَةً لَيْسَ فِي الْبُرِّ مِنْهَا مَطْمَعٌ ، لِيَرْضَى صَاحِبُهَا بِالتَّعْوِيزِ مِنْهَا ، وَيَسْتَقِيمَ أَمْرُ الضَّيْفِ وَالضَّيَافَةِ ، وَإِنْ لَحِقْنَا غُرْمَ فِيهَا .

٩ - فَأَعْجَبَنِي مِنْ حَبْتَرٍ إِنْ حَبْتَرَا مَضَى غَيْرَ مَنْكُوبٍ وَمُنْصَلَةٍ انْتَضَى

١٠ - كَأَنِّي وَقَدْ أَشْبَعْتُهُمْ مِنْ سَنَامِهَا جَلَوْتُ غِطَاءَ عَنْ فَوَادِي فَانْجَلَى

١١ - فَبِتَّنَا وَبَاتَتْ قِدْرُنَا ذَاتَ هِزَّةٍ لَنَا قَبْلَ مَا فِيهَا شِوَالٌ وَمُضْطَلَى

قَوْلُهُ « غَيْرَ مَنْكُوبٍ » ، أَيْ غَيْرَ مَدْفُوعٍ فِي صَدْرِهِ . وَيُقَالُ : حَافَرْتُ مَنْكُوبًا وَنَكِيبًا ، إِذَا أَثَّرَ فِيهِ مَا يَطْوُهُ مِنْ حَصَى أَوْ حَجَرٍ . وَقَوْلُهُ « وَمُنْصَلَةٍ انْتَضَى » أَيْ جَرَدَ سَيْفَهُ . وَانْتَصَبَ مُنْصَلَةً لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ مُقَدَّمٌ . وَقَوْلُهُ « جَلَوْتُ غِطَاءَ » ، يَقُولُ : كُنْتُ مُهْتِمًّا قَلْقًا ، فَلَمَّا شَبِعُوا مِمَّا أَعَدَدْتُ لَهُمْ وَتَمَحَّاتُ مِنْ أَجْلِهِمْ سَكُنْتُ فَكَأَنَّهُ كَانَ عَلَى قَلْبِي غِطَاءٌ مِنَ النِّعَمِ رَانَ عَلَيْهِ ، فَانْجَلَى وَذَهَبَ .

وَقَوْلُهُ « فَبِتَّنَا وَبَاتَتْ قِدْرُنَا » خَبَرَ بِنْتَنَا قَوْلَهُ « لَنَا قَبْلَ مَا فِيهَا شِوَالٌ » ،

وشوالة ارتفع بالابتداء . يريد : بئنا لنا قبل ما أودع القدر شوالة واصطلاء بالنار ، كأنه طال عليهم انتظار القدر ، فعمد إلى أطياب الجزور وشوى . وقوله « ذات هزة » خبر بانت قدرنا ، أى لها هزير بالغليان . ويجوز أن يريد : لقدّر اللحم فيها اهتزاز واضطراب ، كما قال :

* قُرْشِيَّةٌ يَهْتَرُ موكبها *

وهذا الذى اقتضه من حاله وحالمه ، بيان اهتمامه بأمر الضيف وحسن التاني في تفقده .

١٢ - وَأَصْبَحَ رَاعِينَا بُرَيْمَةً عِنْدَنَا بِسْتَيْنَ أَنْقَتَهَا الْأَخِلَّةُ وَالْخَلَا

١٣ - فَقُلْتُ لِرَبِّ النَّابِ خُذْهَا تَيْدِيَةً وَنَابٌ عَلَيْنَا مِثْلُ نَابِكَ فِي الْحَيَا

يقول : أصبحنا وراعينا بُرَيْمَةً رَدَّ إبلنا من مرعاها ، وهى ستون قد أنقتها

— أى جعل لها نقيًا — الْأَخِلَّةُ ، وهى جمع خِلال ، وهو ما اختل واجتز من

العُشب وهو أخضر . والخلال : الرطب . وقال بعض أصحاب المعاني : لا يقال

أَنْقَتِ النَّاقَةُ ، إِذَا سَمِتَتْ ؛ وَلَكِنْ لَمَّا سَمِنَ مِنَ الْحَشِيشِ ، وَكَانَ الْحَشِيشُ وَالْخَلَا

سَبَبَ سَمْنِهَا جَعَلَ الْفِعْلَ لَهَا عَلَى سَعَةِ الْكَلَامِ ، وَالْأَصْلُ أَنْقَتَ هـ . قال :

لَا يَشْتَكِيَنَّ الْمَتَا مَا أَنْقَيْنَ مَا دَامَ مُخٌّ فِي سُلَامَى أَوْ عَيْنٍ^(١)

وقال غيره : يجوز أن يكون أنقى ها هنا مُعْدَى ، ويكون على غير

ما فسرتموه ، وهو أنه يقال : أنقيته فأنقى ، كما يقال : أمأيت الدراهم فأمأأت

هى^(٢) . والمعنى سَمِنَتْهُ وجعلت له نقيًا فَسَمِنَ واحتمل .

قال البرقي : الرواية الصحيحة عندي : « أَبَقَتْهَا الْأَخِلَّةُ » ، أى أبقتها على

البرء والجذب ، لأننا كننناها وخلصنا لها . ورواه بعضهم : « الْأَجِلَّةُ » بالجيم .

(١) الرجز لأبي ميمون الضر بن سلمة ، كما فى اللسان (نق) . وانظر مقاييس اللغة (٢٠٦ : ١) .

(٢) أى صارت مائة .

قال : ويقال : جُلٌّ وجِلَالٌ وأَجِلَّةٌ ، أى لم نَدَعُها ولم نُهْمِلْها ، بل أَلْبَسْنَاهَا وتفَقَّدْنَاهَا .

وقوله « وقلتُ لربِّ النَّابِ خُذْهَا ثَمَنِيَّةً » ، أى حَكَمْتُ صَاحِبَ النَّابِ التى عَقَرْتُهَا فى أن يَخْتَارَ مِنِ إبِلِي ثَمَنِيَّةً عَلَى مَا يَشْتَهُيه ، وَتَصْطَفِيهِ عَيْنُهُ وَتَنْتَقِيهِ ، وقلتُ مُضَيِّفًا إِلَى الْعَوَضِ الْوَاجِبِ لَهُ : لَكَ عَلَيْنَا نَابٌ مِثْلُ نَابِكَ فى السَّمَنِ . والحيا من باب ما سُمِّيَ بِاسْمٍ غَيْرِهِ إِذَا كَانَ مِنْهُ بِسَبَبٍ . فالحيا : المطر ، لأنه يُخَيِّى الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ ، ثُمَّ يَسْمَى النَّبْتُ حَيًّا لِأَنَّهُ بِالْمَطَرِ يَكُونُ ، وَيُسَمَّى الشَّجَرُ حَيًّا لِأَنَّهُ عَنِ النَّبْتِ يَكُونُ . وهذا البابُ كثيرٌ واسعٌ ^(١) .

٦٣٧

فقال فى [ذلك ^(٢)] خَنَزَرُ بْنُ أَقْرَمَ ^(٣) :

- ١ - بَنِي قَطَنِ مَا بَالُ نَاقَةٍ ضَيْفِكُمْ تَعَشَّوْنَ مِنْهَا وَفَى مُلْقَى قَتُودُهَا
 - ٢ - غَدَا ضَيْفِكُمْ يَمْشِي وَنَاقَةٌ رَحْلُهُ عَلَى طُنُبِ الْفَقَمَاءِ مُلْقَى قَدِيدُهَا
 - ٣ - وَبَاتَ الْكِلَابِيُّ الَّذِي يَبْتَغِي الْقَرَى بَلِيلَةَ نَحْسٍ غَابَ عَنْهَا سُعُودُهَا
- أَخَذَ يُسَائِلُهُمْ عَمَّا عَيَّرَهُمْ بِهِ تَهْكُمًا [وَسُخْرِيَّةً ^(٤)] . وَمَعْنَى الْكَلَامِ الْإِنْكَارُ . يَقُولُ : لِمَ تَعَشَّوْنَ مِنْ نَاقَةٍ ضَيْفِكُمْ ؟ وَكَيْفَ اسْتَجَزَنْتُمْ ذَلِكَ حَتَّى صَارَتْ قَدِ

(١) التكملة من ل والتبريزي ، وهذا نص على علاقة هذه الأبيات بسابقتها .

(٢) قال التبريزي فى آخر شرحه لهذه القصيدة : « وليس هذا من الهجو فى شيء ، وإنما أورده أبو تمام لما يتبعه من قصيدة خنزَر بن أقرم » .

(٣) كذا فى نسخة الأصل . وفى ل التبريزي « أقرم » وأشير فى ل إلى أنه فى نسخة « أقرم » . وخنزَر ، قال التبريزي : « واسمه الحلال ، وهو أحد بنى بدر بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نعيم . والراعى من بنى قطن بن ربيعة » ، فهما بنو عمومة . وقد سبقت ترجمة الراعى فى الخامسة ٨٠ ص ٢٧٥ .

(٤) التكملة من ل .

أَلْتَقَى قَتُودُهَا وَهِيَ مَطْبُوخَةٌ مَا كَوَلَةٌ ؟ وَالْقَتُودُ لَا وَاحِدَ لَهَا عِنْدَ أَصْحَابِنَا
الْبَصَرِيِّينَ . ثُمَّ قَالَ مَقْبَحًا الصَّوْرَةَ : ابْتَكَرَ ضَيْفُكُمْ يَمْشِي وَرَاحِلَتُهُ قَدْ نُجِرَتْ
وَقُدِّدَتْ لِحُومِهَا ، وَشُمِّتَتْ عَلَى طُنُبِ الْفَقْمَاءِ . وَهَذَا تَنْظِيعٌ لِلشَّانِ . وَالطُّنُبُ :
حَبْلٌ مِنْ حَبَالِ الْخِيْمَةِ . وَالْفَقْمَاءُ ، يَعْنِي بِهَا امْرَأَةُ الرَّاعِي ، لَقَّبَهَا بِذَلِكَ .

وَقَوْلُهُ « وَنَاقَةُ رَحْلِهِ » ، رَوَاهَا الْمَفْضَلُ : « وَنَاقَةُ رَجُلِهِ » ، كَأَنَّهُ لَمَّا قَالَ
غَدًا ضَيْفُكُمْ يَمْشِي ، قَالَ : وَنَاقَةُ رَجُلِهِ ، يَرِيدُ النَّاقَةَ الَّتِي كَانَتْ حَمَلَتْ رَجُلَهُ .
وَمَنْ رَوَى : « وَنَاقَةُ رَحْلِهِ » لَهُ أَنْ يَقُولَ : كَمَا قَالَ ^(١) : وَهِيَ مُلْتَقَى قَتُودُهَا ، قَالَ :
وَنَاقَةُ رَحْلِهِ ، أَيْ الرَّحْلُ الْمُلْتَقَى .

وَقَوْلُهُ « وَبَاتَ الْكِلَابِيُّ » يَعْنِي بِهِ بَاتَ الْمُسْتَضِيفُ الطَّالِبُ لِلْقَرَى عِنْدَكُمْ
بَلِيلَةَ شَوْمٍ قَدْ فَارَقَهَا السُّعُودُ ، لِأَنَّكُمْ غَضِبْتُمْ نَاقَتَهُ ، وَلَمْ يَنْزِلِ الْقَرَى عِنْدَكُمْ .

٤ - أَمِنْ يَنْقُصُ الْأَضْيَافُ أَمْ كَرُمُ عَادَةٌ إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ أَمْ مَنْ يَزِيدُهَا

٥ - كَأَنَّكُمْ إِذْ قُفْتُمْ تَنْحَرُونَهَا بَرَازِينَ مُشْدُودٌ عَلَيْهَا لُبُودُهَا

٦ - فَمَا فَتَحَ الْأَقْوَامُ مِنْ بَابِ سَوْءٍ بَنِي قَطَنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُهْودُهَا

يَقْرُرُ عَلَى تَقْيِيحٍ مَا كَانَ مِنْهُمْ ، فَيَقُولُ : خَبَّرُونِي أَيْ الْعَادَتَيْنِ أَقْرَبُ إِلَى
الْكُرْمِ ، وَأُخْرَى ^(٢) فِي وَفَاءِ الشَّيْمِ : أَعَادَةٌ مَنْ يَسْتَنْزِلُ الْأَضْيَافَ عَنْ أَمْوَالِهِمْ
وَيَنْقُصُ مَا تَوَفَّرَ لَهُمْ ، أَمْ عَادَةٌ مَنْ يَزِيدُهُمْ وَيُمْرِّرُ حَظوظَهُمْ .

وَقَوْلُهُ « عَادَةٌ » انْتَصَبَ عَلَى التَّمْيِيزِ . وَإِذَا نَزَلَ ظَرْفُ لِقَوْلِهِ « أَمِنْ يَنْقُصُ
الْأَضْيَافُ » . وَكَرَّرَ لَفْظَ الْأَضْيَافِ وَلَمْ يَأْتِ بِالضَّمِيرِ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي تَكْرِيرِ
الْأَعْلَامِ وَالْأَجْنَاسِ ، وَقَدْ مَضَى مِثْلُهُ .

وَقَوْلُهُ « كَأَنَّكُمْ إِذْ قُفْتُمْ تَنْحَرُونَهَا بَرَازِينَ » شَبَّهَهُمْ فِي الْعَجْزِ وَالثَّقَلِ وَقِلَّةِ

(١) ل : « لَمَّا قَالَ » .

(٢) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « أَجْرَى » بِالْجَمْعِ .

الفناء ، والتباطؤ والبلادة ، بالبراذين . وهم يضرّونها مثلاً للمذموم . وجعلها قد
شدّت اللبودُ عليها تقييحاً لصورها .

وقوله « فما فتح الأقوام من بابِ سوءة » ، يريد : لا يسبق طوائفُ
الناس وفرقهم إلى خضلة مذمومة أو سوءة مشوهة منكّرة ، إلاّ وبنو قطنٍ
حضورها ؛ أى لا يمكن الإغراب في المخازى عليهم ، لأنهم السابقون في البدار
إلى كلّ عار ، والأوّلون عند الولوج في كل باب ، والحاضرون لكلّ
نكّري وعاب .

٦٣٨

فأجابه الراعي ^(١) :

- ١ - ماذا ذكرتم من قلوبٍ عقرتها يستنفي وضيّفان الشّاء شهودها ^(٢)
٢ - فقد علموا أنى وفيت لربّها فراح على عنسٍ بأخرى يقودها
٣ - قرئت الكلابى الذى يبتغى القرى وأملك إذ تخذى إلينا قعودها ^(٣)

الرواية الجيدة : « ماذا نكرتم » . ويقال : نكرتُ الشىء وأنكرته
واستنكرته بمعنى . فأمّا « ذكرتم » فمراده ماذا عيّرتم فذكرتم من ناقةٍ
لغيرى عقرتها حين عزّبت إبلى لضيّفان الشّاء بمحضرتهم ، وبمراى منهم . وقد
جرى رسمُ الكرام بمثل ذلك إذا دعّت الحال إليه ، موطنين أنفسهم للفرامة ،
وردّ الاثنين بدل الواحد على الخصم فيه .

وقوله « فقد علموا » يستشهد بالضيّفان فيقول : حضروا وتيقنوا أنى وفيت

(١) سبقت ترجمته في الخامسة ٨٠ من ٢٧٥ .

(٢) التبريزى : « وروى : من كروم عقرتها » . والكروم : الناقة المسنة التى
مشعرها الأعلى أطول من الأسفل .

(٣) التبريزى : « يحدى إلينا »

لربها بمثلها وزدته أخرى ، فراح راكباً إحداها وقائداً الأخرى معها . ثم اقتصر مادعاه إليه فقال : قَرَيْتُ السِّكْلَابِيَّ الْمُبْتَغَىَ لِلْقَرَى وَقَرَيْتُ أُمَّكَ ، يعنى أُمَّ خَنْزَرِ بْنِ أَرْقَمَ ^(١) المعير المنكير . والخدى : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ . والقعود : البكر إذا بلغ الإثناء ؛ والذي يَقْعِدُهُ الرَّاعِي فيركبه وَيَحْمِلُ زَادَهُ عَلَيْهِ قَعُودٌ أَيْضاً . وفي ذكر الأُمِّ وأنه أضافها مع الكلابيَّ بعضُ الغرض واليهام .

٤ — رَفَعْنَا لَهَا نَارًا تُثَقِّبُ لِلْقَرَى وَلِقْحَةً أَضْيَافٍ طَوِيلًا رُكُودَهَا
٥ — إِذَا أُخْلِيَتْ عُودَ الْهَشِيمَةِ أُرْزَمَتْ جَوَانِبُهَا حَتَّى نَبِيَتْ نَذُودَهَا
٦ — إِذَا نُصِبَتْ لِلطَّارِقِينَ حَسْبَتُهَا نِعَامَةٌ حِزْبَاءُ تَقَاصَرَ جِيدُهَا
يروى : « رفَعْنَا لها مشبوبةً يَهْتَدَى بها » . ومعنى « تُثَقِّبُ » نَذَكِي وتضاء .
وقيل : الكوكب الثاقبُ والحسب الثاقب ، للضوء والتلاؤ . ومعنى « لِلْقَرَى » لإقامة القرى ، و « اللَّقْحَةُ » يراد به القدر هاهنا ، وأصله في الناقة الخلوب .
وجعل ركودها طويلاً لثقلها وكبرها ، ولأنها لا تُنْزَلُ ^(٢) إِلَّا لِلْفَسْلِ ثُمَّ تُعَادُ .
والجفنة الرَّكُود : الثَّقِيلَةُ الممتلئة .

وقوله « إِذَا أُخْلِيَتْ » أى جُعِلَ الحطَبُ لها بمنزلة الولد ، فهو لها كالولد ، وهى له كالناقة الخلية ^(٣) ، وهى التى تَعْطِفُ على ولدها وترأفه . والهَشِيمَةُ : اليابس من الشجر وغيره . وَأُرْزَمَتْ : صاحت بفليانها ، لِكِبَرِها ، حَتَّى نَبِيَتْ نُسْكُنَ منها . وإذا نُصِبَتْ على الأثافي لزوار الليل — يعنى الأضياف — حَسْبَتُهَا لإشرافها نِعَامَةً حِزْبَاءُ . والحِزْبَاءُ ^(٤) : الأرض الصلبة المرتفعة . شَبَّهَ القِدْرَ

(١) ل : « أرقم » ، وقد سبق التنبيه .

(٢) فى الأصل : « تترك » ، صوابه فى ل .

(٣) التبريزى : « إذا أُخْلِيَتْ ، أى جعل الحطب لها بمنزلة الخلا للناقة فأوقد تحتها .

ويروى : إذا خليت ، أى جعل الحطب لها بمنزلة الولد ، فهو لها كالولد وهى له كالناقة الخلية .

(٤) هى جمع حِزْبَاءِ .

بالنعامة ، لأنها تكثر رفع راعيها ووضعه ، لجبنها ونفورها ، فكذلك القدر ترفع المحال وتخفضها ، لشدة غليانها . وقال « تقاصر جيدها » ليقين وجه التشبيه منه ويصح . ومثله قول الآخر ^(١) :

* غَضُوبٌ كَيَزُومُ النِّعَامَةَ أَجِشَتْ ^(٢) *

٧ - تَبَيَّتُ لِلْحَالِ الْغُرُّ فِي حَجَرَاتِهَا شَكَارَى مَرَاهَا مَاؤُهَا وَحَدِيدُهَا

٨ - بَعَثْنَا إِلَيْهَا الْمُنْزِلَيْنِ فَحَاوَلَا لَسْكَى يُنْزِلَاهَا وَهَى حَامٍ حُيُودُهَا

٩ - فَبَاثَتْ تَعْدُ النَّجْمَ فِي مُسْتَحِيرَةٍ سَرِيعَ بَأْيَدِي الْآكِلِينَ جُجُودُهَا ^(٣)

المحال : فقر الظهر ، والواحدة محالة . وجعلها غرا سمنها . والحجرات : النواحي ، وجعلها شكارى لامتلائها ودكا . ويقال : شاة شكره ، إذا كانت غزيرة اللحم ، وضرة شكرى ، أى ممتلئة . وشكر النعم من ذلك ، لأنه به تستدام وتكثر الزيادة ^(٤) . ويروى : « سَكَارَى » بالسين غير معجمة ، والمراد مثل ذلك لأن الشكر من الامتلاء يكون . ومعنى مرأها استخرج دسمها . ماؤها ، أى مرقها . وحديدها أى مفرقتها .

وقوله « بعثنا إليها المنزِلَيْنِ » إنما ثنى ليرى أن الواحد لا يطيقها ولا ينهض بتحريكها لثقلها . واللام من قوله « لَسْكَى يُنْزِلَاهَا » يجوز أن يتعلق بقوله بعثنا ،

(١) هو الفرزدق ، كما في الحيوان (٤ : ٣٣٢) وما سياتى في الحماسة ٧٥٣ .

(٢) عجزه : * بأجذال خشب زال عنها هشيمها *

(٣) بعده عند التبريزى :

فَلَمَّا سَقَيْنَاهَا الْعَكِيسَ تَمَلَّاتْ مَذَاخِرُهَا وَارْفَضَ رَشْحًا وَرِيدُهَا

وَلَمَّا قَضَتْ مِنْ ذِي الْإِنَاءِ لُبَانَةً أَرَادَتْ إِلَيْنَا حَاجَةً لَا نَزِيدُهَا

والبيت الأول منهما منسوب فى اللسان (عكس) إلى أبى منظور الأسدى . والعكيس : الحليب تصب عليه الإهالة والمرق ثم يشرب .

(٤) ابن جني فى التنبيه : « والشكر موضع زيادة اللفظ الإطناب فى حسن القول ... ومنه الشكير لصفار الورق والريش ، وذلك أنه زيادة على الجسم » .

كَأَنَّهُ قَالَ : بَعَثْنَا الْمُنْزِلِينَ إِلَيْهَا لَسْكَ يُنْزِلُهَا لَهَاوَلَاهُ ، وَحَذَفَ مَفْعُولَ حَاوَلَ . وَكَتَبَ هَذِهِ هِيَ النَّاصِبَةُ لِلْفِعْلِ ، لِذَلِكَ دَخَلَهَا اللَّامُ الْجَارَةُ . وَالْحَاوَلَةُ : مَطَالِبَةُ الْأَمْرِ بِالْحَيْلِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِحَاوَلَ . وَالْحَيُّودُ : الْجَوَانِبُ ، أَيْ إِذَا أَرَادَا إِنْزَالَهَا فِي جَوَانِبِهَا بَعْدُ سَمِيَتْ ، اسْتَعْجَالًا .

وقوله : « فَبَاتَتْ تَعْدُ النُّجُومَ » إخبار عن أم خنزر بن أقرم^(١) . والمستحيرة : المتحيرة لامتلائها . أَيْ فِي مِرْقَةٍ أَوْ قِدْرِ قَدْ تَحَيَّرَتْ ، فَهِيَ مِنْ صَقَائِهَا وَكَثْرَةِ دَسِيمِهَا تَرَى فِيهَا نُجُومَ السَّمَاءِ . وَنَمِيلُ : شَبَّهَ الرَّاعِي الثُّغَاخَاتِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى رَأْسِهَا مِنْ كَثْرَةِ الدَّسَمِ بِالنُّجُومِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَنَّ هَذِهِ الْقِدَرُ مَرْتَفَعَةُ الشَّانِ ، عَالِيَةُ الْأَمْرِ ، فَأَمَّهُ كَانَتْ تَعْدُ النُّجُومَ فِيهَا لَمَّا أُطِيعَتْ مِنْهَا كَأَنَّهَا بَلَغَتْ النُّجُومَ فِي عُلُوِّهَا ، لِأَنَّهَا لَمْ تَرَ مِثْلَهَا قَطُّ^(٢) . وَهَذَا هُوَ الْوَجْهُ عِنْدِي ، لَيْسَ كَوْنُ قَدْ غَضَّ مِنْ أَمِّهِ جَزَاءً عَلَى مَا قَالَهُ وَأَنْكَرَهُ . وَقَوْلُهُ « حَيُّودُهَا » ارْتَفَعَ بِحَامٍ ، وَكَذَلِكَ « جُجُودُهَا » ارْتَفَعَ بِسَرِيعٍ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرُودَ : « سَرِيعٌ » بِالرَّفْعِ عَلَى أَنْ يَكُونَ خَبْرًا لِلْمَبْتَدَأِ وَقَدْ قَدَّمَ عَلَيْهِ ، وَالْمَبْتَدَأُ جُجُودُهَا .

٦٣٩

وقال رجل من بني أسد :

١- دَبَبْتُ لِلْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَّغُوا جَهْدَ النُّفُوسِ وَالْقَوَا دُونَهُ الْأَزْرَا

٢- فَكَابَرُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَ أَكْثَرُهُمْ وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ أَوْفَى وَمَنْ صَبَرَا

(١) فِي هَذِهِ انْتَقَتِ النُّسخَتَانِ . وَانْظُرِ الْحَاشِيَةَ الْأُولَى لِهَذِهِ الْحَاشِيَةِ .

(٢) قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَمْرَبِيُّ : « لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ النُّجُومُ هُنَا إِلَّا التَّرِيَا ، وَذَلِكَ أَنَّ فِي الْبَيْتِ خَبِيرَةً لَمْ يَخْرُجْهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ — يَعْنِي الْفَرَزْدَقَ — وَذَلِكَ أَنَّ التَّرِيَا لَا تَكْدُ تَرَى فِي قَعْرِ الْجَفْنَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَوَانِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَمَرُ الرَّأْسِ ، وَلَا يَكُونُ قَمَرُ الرَّأْسِ إِلَّا فِي صَمِيمِ الشِّتَاءِ ، وَيُقَالُ حِينَئِذٍ : أَقْعَرَ النُّجُومَ ... وَقَوْلُهُ تَعْدُ النُّجُومَ ، أَيْ لَصَفَاءِ الْوَدَكِ فِي الْجَفْنَةِ تَعْرِفُ عِدَدَ التَّرِيَا فِيهَا . وَهَذَا مَعْنَى مَلِيحٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ نَجُومَ التَّرِيَا لَا تَكْدُ يَعْدُهَا إِلَّا ذُو بَصَرٍ حَدِيدٍ ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ الْقَائِلُ : إِذَا مَا التَّرِيَا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ يَرَاهَا حَدِيدُ الْعَيْنِ سَبْعَةَ أَنْجُمٍ . »

٣- لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمَرًا أَنْتَ آكِلُهُ لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْقَى الصَّبْرَ
 يقول : تباطأ سَعْيُكَ لِلْمَجْدِ ، وَلَمَّا سَعَيْتَ كَانَ سَعْيُكَ دَيْبِيًّا وَطُلَّابَ الْمَجْدِ
 قَدْ جَهَدُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَأَلْقَوْا الْأُزْرَ دُونَهُ ، تَخْفِيفًا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَتَشْهِيرًا فِي طَلِبِهِمْ ،
 وَهَذَا مِثْلُ . وَالْمُرَادُ أَنَّ مَا يَفْعَلُهُ السَّاعِي فِي سَعْيِهِ إِذَا طَلَبَ شَيْئًا مِنَ التَّجَرُّدِ
 وَالتَّخَفُّفِ لِيُذْرِكَ مَطْلُوبَهُ [قَدْ فَعَلُوهُ ^(١)] . ثُمَّ أَخَذَ يَفْصِلُ مَجْهُودَهُمْ مِنْ بَعْدُ ،
 فَقَالَ : كَابَرُوا الْمَجْدَ ، أَيْ جَاهَدُوهُ لِيَبْلُغُوهُ قَسْرًا لَا خُتْلًا ، فَمَنْ صَبَرَ وَأَوْفَى نَالَهُ
 وَاحْتَوَاهُ ظَافِرًا بِهِ ، مُعَانِقًا لَهُ ، وَمَنْ مَلَّ وَقَصَّرَ - وَهُوَ الْأَكْثَرُ - خَابَ وَأَخْفَقَ
 وَرَجَعَ نَادِمًا لَا هِيَأُ عَنْهُ .

وقوله « لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ » تَقْرِيعٌ ، وَالْمُرَادُ : لَا تَظَنَّ الْمَجْدَ يُدْرِكُ بِالسَّعْيِ
 الْقَصِيرِ ، وَاسْتِعْمَالُ التَّعْذِيرِ ، وَعَلَى مِلَازِمَةِ الرَّاحَةِ دُونَ تَوْطِينِ النَّفْسِ عَلَى السَّكْدِ
 الشَّدِيدِ وَالْمُجَاهَدَةِ ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يُنَالَ إِلَّا بِتَجَرُّعِ الْمَرَاتِ دُونَهُ ، وَافْتِحَامِ الْمُعَاطَبِ
 بِسَبَبِهِ . وَيُقَالُ : لَعِقْتُ الصَّبْرَ لَعْقًا . وَاسْمُ مَا يُلْقَى هُوَ اللَّعُوقُ .

٦٤٠

وقال آخر :

- ١- وَمُسْتَعْجِلٍ بِالْحَرْبِ وَالسَّلَامِ حَظَّهُ فَلَمَّا اسْتَشِيرَتْ كُلٌّ عَنْهَا مُحَافِرُهُ
 - ٢- وَحَارِبٍ فِيهَا بَأْمَرِي حِينَ تَمَرَّتْ مِنَ الْقَوْمِ مِعْجَازٍ لَيْسَ مَكَايِرُهُ
 - ٣- فَأَعْطَى الَّذِي يُعْطَى الذَّلِيلُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سَعْيُ صِدْقٍ قَدَمَتُهُ أَكْبَرُهُ
- يقال : استعجل بالشئ ، إِذَا طَلَبَ عَجَلَتَهُ وَلَمْ يَصْبِرْ إِلَى وَقْتِهِ وَإِنَاءَهُ . فَيَقُولُ :
 رَبِّ أَمْرِي يُعْجِلُكَ فِي هَيْجِ الْحَرْبِ لَهُ ، وَنَصَبِ الشَّرِّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ، فَتَرَاهُ
 يَرْتَقِي فِي الْإِيذَاءِ وَالْمُكَاشَفَةِ إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ الْقَصْدِ ، وَحَظَّهُ فِي أَنْ يُسَالِمَ ،

لكنه بسوء تأتیه ونقص اختياره ، أبى لنفسه إلاّ تعرضها لما يستوخم عاقبته ، ويتعجل شره ، فلما هيّجت الحرب له وأجيب في إثارها ، وإيقاد نائرتها ، إلى مراده منها ، تجزّ فيها عن الإيفاء والاستيفاء ، وكلّ عن مباشرة الورد والصدر ، واستعان فيها برجل ركّاب لرواحل العجز ، لثيم المسكير والمختبر ، ضيق العطن والمبرك ، ويعنى به نفسه ، وهذا كما يقال : إذا لقيتني لقيت بني قريناً باسلاً . ويعنى بالقرن نفسه . وقوله « حين شمرت » يريد حين كشفت الحرب عن ساقها ، وأبدت أعجازها وهواديتها ، ففعل فعل الذليل ، وأعطى من الانقياد ما يعطيه الضعيف الفريد ، ولم يكن سعيه سعياً مصدوقاً فيه ، ولا وقوفه وإمساكه إمساكاً يُعذر له ، فتراه عند الأمائل من جملة الأراذل ، وعند طلاب الخير مقبحاً في الشر . ومعنى « قدّمته أكا بره » أسلافه وأمائل قومه .

٦٤١

وقال إسماعيل بن عمار^(١) :

- ١- بَكَتْ دَارُ بَشَرٍ شَجَوْهَا إِذْ تَبَدَّلَتْ هَلالَ بْنَ مَرْزُوقٍ بِبَشَرٍ بَنِ غَالِبٍ
 - ٢- وَهَلْ هِيَ إِلَّا مِثْلُ عَرَسٍ تَحَوَّلَتْ عَلَى رَغْمِهَا ، مِنْ هَاشِمٍ فِي مُحَارِبٍ^(٢)
- « شَجَوْهَا » انتصب على أنه مفعول له ، والشاعر يفضل بشراً على هلال ، ويقول : إن الدار التي كان يستوطنها بشرٌ لما ارتحل عنها وصار فيها بدلاً منه هلالٌ بكّت وتحسّرت ، وحقّ لها ذلك ، فما هي في استبدالها إلا كعروسٍ زوّجت

(١) التبريزي : « إسماعيل بن عمار الأسدي » ثم قال : « قال دعبل بن علي : هي للوليد بن كعب ، قالها لما مات بشر بن غالب واشترى داره هلال بن مرزوق » .
 وإسماعيل بن عمار الأسدي : شاعر مقل مخضرم من شعراء الدولتين الأموية والعباسية .
 وأخباره في الأغاني (١٠ : ١٢٨ - ١٣٥) .
 (٢) التبريزي : « مثل عرس تبدلت » .

في هائم ، ثم انتقلت إلى محارب . ومحارب قبيلة فيها ضعة وخمول ، حتى قال
بعض الشعراء وهو يحلف :

* فَصَيَّرَنِي رَبِّي إِذَا مِنْ مُحَارِبٍ *

٦٤٢

وقالت امرأة قُتِلَ زوجها^(١) :

١ — مَتَى تَرِدُوا عُكَاظَ تَوَافِقُوهَا بِأَسْمَاعٍ تَجَادِعُهَا قِصَارُ

٢ — أَجِيرَانِ ابْنِ مَيَّةَ خَبَرُونِي أَعَيْنُ لَابِنِ مَيَّةَ أَمْ ضِمَارُ

٣ — تَجَلَّلَ خَزِيئَهَا عَوْفُ بْنُ كَعْبٍ فَلَيْسَ لَخَلْفِهَا مِنْهُ اعْتِدَارُ

٤ — فَإِنَّكُمْ وَمَا تُخْفُونَ مِنْهَا كَذَاتِ الشَّيْبِ لَيْسَ لَهَا خِمَارُ

عُكَاظُ : وادٍ للعرب فيه سوق لهم يجتمع فيها طوائفُ الناس من [جميع]^(٢)

الأحياء ، فيتعارفون فيها ويتعلقون بالأخبار بعد التذاكر بها والتنسّم لها ، وبينهم
المواعِدات والمقايضات ، والإحْنُ والتَرَاتُ ، والمنافراتُ والمناقضات ، فكلُّ فرقةٍ
تتجملُ للأخرى^(٣) وتودُّ أن تسمع فيها ما ليس عندها من حسنٍ وقبيح ، ومحمود

(١) التبريزي : « قتل زوجها في جوار الزبرقان فلم يطلب بثأره ... وخبر هذه الأبيات
أن رجلاً من عبد القيس كان يقال له ابن مية ، وكان جاراً للزبرقان بن بدر ، قتله رجل من بني
عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة في جوار الزبرقان ، وكان القدي قتله يقال له هزان ، قتله
بوضع يقال له ذو شبرمان ، خلف الزبرقان ليقتلن هزالا . وقالت امرأته هذه الأبيات . ثم
سعت بنو سعد في القصة حتى أصلحوها وفدى ابن مية ، ثم مكثوا هنية من الزمان وخطب هزال
إلى الزبرقان أخنهُ خليفة فزوجه إياها ، فلما هاجاه الخبل نبي ذلك عليه فقال :

وَأَنكِحْتَ هَزَالَ خَلِيدَةً بَعْدَمَا زَعَمْتَ بِرَأْسِ الْعَيْنِ أَنَّكَ قَاتِلُهُ

وَأَنكِحْتَهُ رَهْوًى كَأَنَّ عَجَانَهَا مَشَقَّ لِهَابِ أَوْسَعِ السَّلَخِ نَاجِلُهُ

يَلَاعِبُهَا تَحْتَ الْفَرَاشِ وَجَارِكُمْ بَدَى شَبْرِمَانُ لَمْ تَزِيلِ مَقَاصِلَهُ .

(٢) التكملة من ل . (٣) هذا ما في ل . وفي الأصل : « تتجمل الأخرى » .

ومذموم ، إلى غير ذلك من الأنباء السائرة ، والأوابد العائرة ^(١) ، التي يُتهدى بها ، ويُستطرف وقوعها ، ويُتبلغُ باستماعها وأدائها . فيقول : متى وردتم عكاظ وافيتموها أذلاءً قد اكتسبتم عاراً يُخزىكم ويُلازمكم ، فيصير كالمثلة عليكم ، فكان آذانكم قد استوعبَ صلمها ، عقوبةً لكم بما عاملتم به جارك من إخفار وإسلام ، حين ^(٢) قُتل في جواركم ، واستبيح محرّماته في ذمكم . ثم قال مستهزئاً ومعيراً : يا جيران ابن مية ، أنبشوني أنصرتكم له عين أم ضمائر ، ووافؤكم بما عقدتم له حق أم كذاب . والعين : ما يُحضر ويُشاهد ، لذلك قيل في المثل : « يدعُ العين ويتبعُ الأثر » . والضمائر : الغائب الذي لست منه على ثقة . قال الأعشى :

نُرانا إذا أضمرتكَ البلادُ نَجْفَى وتَقَطَّعَ منا الرّحمُ

وقوله « تجلّل خزيها عوف بن كعب » ، يريد : لبسَ خزي هذه الغدرة وتغطّى بدمها قبائلُ عوف بن كعب كلّها لأنتم فحسب ، فليس لأعقابها بعدها عُذرٌ يُقبل ، ولا تنصلُّ يُسمع .

وقوله « وإنكم وما تُخفون منها » ، يريد مثلكم في سترك أمرها ، وتقديركم إخفاءها ، على انتشارها وذهابها في الناس ، وعلى تغييبكم بدريها ، واستغذار الناس لكم لوسخها ، مثل امرأة شاب رأسها ولا يحار لها ، فيختمر مع ميلها إلى أن لا يرى شيئها . والمعنى : الأمرُ أظهر من أن يُكتم أو يُدفن .

(١) العائرة : السائرة .

(٢) ل : « حق » .

٦٤٣

وقال آخر :

- ١ - تَوَلَّتْ قُرَيْشٌ لَذَّةَ الْعَيْشِ وَانْقَتَتْ بنا كلَّ فَجٍّ مِنْ خُرَاسَانَ أَغْبَرَا
- ٢ - فَلَيْتَ قُرَيْشًا أَصْبَحَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ تَوُؤُّمُهَا مَوْجًا مِنَ الْبَحْرِ أَكْذَرَا
- هذا كلامُ رَجُلٍ قَدْ جَمَرَهُ الْوَالِي^(١) ، وَتَبَرَّمَ بِغُرْبَتِهِ ، وَشَقِيَ بِالتَّبَاعُدِ عَنْ أَهْلِهِ وَوُطْنِهِ ، فَيَقُولُ : تَفَرَّدَ قُرَيْشٌ بِالتَّنْعَمِ وَالتَّلَذُّذِ ، وَاسْتَأَثَرُوا بِالْعَيْشِ الطَّيِّبِ وَالرَّغْمَةِ الْهَنِيئَةِ^(٢) ، وَرَمَتْ بِنَا سَرَايَ مُنْكَرَةٍ لَا رَاحَةَ مَعَهَا ، وَلَا طَائِلَ فِيهَا ، وَسَدَّتْ طُرُقَ الْمَفَاوِزِ الْغُبَرِ الَّتِي لَا تُسَلِّكُ وَلَا تُغَبِّرُ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَهْلِ الْمَشْرِقِ ، وَبَوَدَّيْ^(٣) أَنْ تُبْنِتَ قُرَيْشٌ عَلَى لَيْلَةٍ تُفْضِي بِهَا صَبِيحَتَهَا إِلَى أَنْ تُسَلِّمَهَا إِلَى مَوْجٍ أَكْذَرَ ، يَجْرُفُهَا إِلَى الْبَحْرِ وَيَغْرِقُهَا . وَهَذَا مِثْلُ ، وَالْمَعْنَى : أَتَمَنَّى أَنْ تَشْمَلَهَا بَلِيَّةٌ تُفْنِيهَا وَتُرِيحُ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ مِنْهَا . وَالْكَدَرُ : نَقِيضُ الصَّفَاءِ . وَيُقَالُ : عَيْشٌ أَكْذَرُ ، وَقَدْ كَدِرَ . وَجَعَلَ الْمَوْجَ كَذَلِكَ تَهْوِيلًا ، وَتَكْثِيرًا لِمَاءِ بَحْرِهِ . وَقَوْلُهُ « ذَاتَ لَيْلَةٍ » يَرِيدُ السَّاعَةَ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا اللَّيْلَةُ الْمَطْلُوبَةُ . وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ : فَعَلْتُ كَذَا ذَاتَ الْعِشَاءِ ، يَرِيدُ السَّاعَةَ الَّتِي فِيهَا الْعِشَاءُ . وَالْمَعْنَى : أَصْبَحَتْ مَنَاعِلُ هَذِهِ الْحَالَةِ قُرَيْشٌ ، أَيْ حَصَلَتْ مِنْ لِيَالِهَا عَلَى صَبَاحٍ هَكَذَا .

(١) تَجْمِيرُ الْجَنْدِ : أَنْ يَجْبِسَهُمْ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ وَلَا يَقْلَهُمْ مِنَ الْتَغَرِّ .

(٢) ل : « وَالنَّعْمَةُ الْهَنِيئَةُ » .

(٣) كَذَا ضَبَطَتْ بِالْفَتْحِ فِي النُّسخَتَيْنِ . وَالْوَدُ وَالْوَدَادُ مِثْلَتَانِ ، كَمَا فِي الْقَامُوسِ .

٦٤٤

وقالت امرأة^(١) :

- ١- حَلَفْتُ وَلَمْ أَكْذِبْ وَإِلَّا فَكُلُّمَا مَلَكَتُ لِبَيْتِ اللَّهِ أَهْدِيهِ حَافِيَةً
 ٢- لَوْ أَنَّ الْمَنَايَا أَعْرَضَتْ لَأَفْتَحْتُمَهَا مَخَافَةً فِيهِ إِنَّ فَاهُ لَدَاهِيهِ^(٢)
 ٣- فَمَا جِيفَةُ الْخِنْزِيرِ عِنْدَ ابْنِ مُغْرِبٍ قَتَادَةَ إِلَّا رِيحُ مِسْكِ وَغَالِيَةٍ
 ٤- فَكَيْفَ اصْطَبَارِي يَا قَتَادَةَ بَعْدَمَا شِمْتُ الَّذِي مِنْ فَيْكِ أَثْنَى صِمَاخِيهِ

قولها « ولم أكذب » في موضع الحال ، أى حلفت صادقاً في خبري ، وإلا فما أملكه لبیت الله — تعنى لمن حول بيت الله ، فحذف المضاف — أهديه إليه بنفسى حافية لا حياء لي . فقولها « أهديه » ، يجوز أن يكون في موضع خبر المبتدأ ، كأنها قالت : وإلا فما أملكه أهديه لبیت الله حافية ، أى في هذه الحال . ويقال : أهديت إلى البيت وللبيت هدياً ، إذا تقررت فيه بقرآن . واللام من « لبیت الله » على هذا يتعلق بأهديه . ويجوز أن يكون لبیت الله خبر المبتدأ . وأهديه إن شئت كان مستأنفاً وإن شئت كان خبراً ثانياً ، وإن شئت كان بدلاً .

وقولها « لو أن المنايا أعرضت » أى مكنت من النظر إلى عرضها ، أى إلى الجانب الذى تجيء منه « لا فتحتنها » ، أى لو وقعت فيها وصرت في قُحْمَتِهَا . وانتصب « مخافة فيه » على أنه مفعول له .

وقولها « فما جيفة الخنزير » تريد : مارأحة جيفة الخنزير إلا ریحُ مِسْكِ لأنَّ الحدَث يشبه بالحدَث ، والعين بالعين .

(١) التبريزي : « وقالت امرأة تهجو قتادة بن مغرب البشكري ، وهو زوجها » .
 وقتادة بن مغرب : شاعر من شعراء الدولة الأموية كان معاصراً لزياد الأعجم ، وكانت بينهما
 مهاجاة . انظر الأغاني (١٠ : ١١٢ / ١٤ : ١٠٠ ، ١٠٣) والشعراء ٣٩٦ . ومغرب
 بضم الميم وسكون الغين ، ويقال بفتح الغين وكسر الراء المشددة ، كما ذكر ابن قتيبة في الشعراء .
 (٢) التبريزي : « إن فيه » ، فإن صحت كان معناها إن في فيه .

وقولها « فكيف اصطبارى يا قتادة » ، يريد : كيف أتكلف صبرا على مجاورتك والكون معك ، بعدما بُليتُ به من بخرِكَ وثنَّ فُكْ ، الذى أفسد على آلة الشَّمِّ والسَّمْع . ومعنى أثنأى صمَّخِيه ، أى أفسده . والصَّماخُ : ثَقْبُ الأذن الذى يُفِضُ إلى الرَّأس . وآلة الشَّمِّ الأنفُ دونَ الأذن ، ولكن تريد أنه فسدَ بمجاورته .

٦٤٥

وقال عبد الله بن أوفى الخزاعي^(١) :

- ١ - نَكَحْتُ ابْنَةَ الْمُنتَضَى نَكْحَةً على الكُرْهِ ضَرَّتْ ولم تَنْفَعِ^(٢)
 - ٢ - ولم تُغْنِ مِنْ فاقَةٍ مُقَدِّمًا ولم تُجِدْ خَيْرًا ولم تَجْمَعِ^(٣)
 - ٣ - مُنْجَذَةً مِثْلُ لَبِّ الْهَرَّاشِ إِذَا هَجَعَ النَّاسُ لم تَهْجِعِ
 - ٤ - مُفَرَّقةً بَيْنَ جيرانِها وما تَسْتَطِيعُ بَيْنَهُمْ تَقَطُّعِ
 - ٥ - بقولِ رَأَيْتُ لِمَا لَا تَرَى وَقِيلَ سَمِعْتُ ولم تَسْمَعْ
- قوله « على الكُرْهِ » فى موضع الحال من نَكَحْتُ . وقوله « ضَرَّتْ » من صفة نَكْحَةٍ ، وكذلك ما فى البيت الثانى من الجُمْل كلٌّ فى موضع الصِّفَةِ

(١) التبريزى : « فى امرأته » . ثم قال فى نهاية تفسير الأبيات : « ويقع فى بعض النسخ هذه الأبيات منسوبة إلى أبى الهندي ، قالها فى امرأته . وأول البيت :

* نَكَحْتُ بِشَهْبِذِي نَكْحَةً *

وشهبيذى ، ذكرت فى القاموس ، ولم تذكر فى اللسان ولا فى معجمى البلدان ، قال فى القاموس : « شهبيذى : بلد » . وعبد الله بن أوفى الخزاعي لم نعر له على ترجمة . والأبيات ٣ ، ٧ ، ٩ فى اللسان (قد) منسوبة إلى عبد الله .

(٢) التبريزى : « المنتضى » بالصاد المهملة . و « ولم تنفع » هذا ما فى ل والتبريزى . وفى الأصل : « فلم تنفع » .

(٣) ولم تغن ، كذا فى ل والتبريزى . وفى الأصل : « فلم تغن » .

لها . فيقول : نَكَحْتُ هذه المرأة مُكْرَهَا نَكَحَةً ضَارَّةً غير نافعة في شيء من الوجوه ، فما أَغْنَتْ من عُدْمٍ عديما ، ولا أَنالت خيرا ، ولا جَمَعَتْ شملا . وحذَفَ مفعول « ولم تجمع » ، لأنَّ المراد مفهوم .

وقوله « منجدة » من الناجذ ، وهو ضِرْسُ الْحِلْمِ . والنواجذ : أربعة أضراس ، وقال بعضهم : هي الضواحك ، محتججا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم « أنه ضحك حتى بدت نواجذه » . ويقال : نَجَّدَ فلانا الخطوبُ ، إذا أحكمته . وقال :

* وَنَجَّدَنِي مَدَاوِرَ الشُّؤُونِ ^(١) *

فيقول : إنها قد جُرِّبَتْ ومُلِّتْ منها ومَلَّتْ . وقوله « مثل كلب الهراش » يعنى فى خَلَقِهَا وَخَلَقَهَا . ومعنى « إذا جمع الناس لم تهجع » ، يصفها بأنها تمشى بالباء . ولذلك قال الآخر ^(٢) :

قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيْهِمْ حَدَجُوا قَنَافِدَ بِالْنَمِيمَةِ تَمَرَعُ
لأنَّ الْقُنْفُذَ لا ينام بالليل . فيقول : هى بوشايتها تفرِّق بين الخلطاء ، وتُقَطِّع الوصل والأواصر بينهم .

ولك أن تنصب « منجدة » و « مفرقة » على الحال ، ولك أن ترفعهما على الاستئناف . وقوله « وما تستقطع » شرطٌ وجزاء ، والمفعول محذوف ، فهو كقولك : ما تُطِقُ تفعل .

فأما قوله : بقول رأيت وقيل سمعت ، فالباء تتعلق بقوله تقطع . والمعنى أنها تُبَاهِتُ وتُكَايِرُ ، وتزِيدُ فى القول وتُجَاهِرُ ، فتدعى مشاهدة ما لا تشاهده ،

(١) لسحيم بن وثيل الرياحي فى الأصمعيات ٦ طبع المعارف .

(٢) صدره : * أخو حسين مجتعا أشدى *

(٣) هو عبدة بن الطبيب ، فى الفضلية ١٤٧ .

وسَمِعَ مَا لَا تَدْرُكُهُ . وَهَذَا زَائِدٌ عَلَى مَا قَالَهُ الْآخَرُ حِينَ نَفَى هَذِهِ الطَّرِيقَةَ ، وَهُوَ :
وَلَيْسَتْ مِنَ اللَّائِي يَكُونُ حَدِيثُهَا أَمَامَ بُيُوتِ الْحَيِّ إِنَّ وَإِنَّمَا^(١)
وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ :

تَقُولُ رَأَيْتُ لِمَا لَا تَرَى وَقَالَتْ سَمِعْتُ وَلَمْ تَسْمَعْ
وَالَّذِي رَوَيْنَاهُ أَحْسَنُ تَلَاوُثًا وَأَقْرَبُ .

- ٦ - فَإِنْ تَشَرَّبَ الزَّقَّ لَا يُرْوَاهَا وَإِنْ تَأْكُلِ الشَّاةَ لَا تَشْبَعُ
٧ - وَلَيْسَتْ بِقَارِكَةٍ مُحَرَّمًا وَلَوْ حُفَّ بِالْأَسْلِ الشَّرْعُ^(٢)
٨ - وَلَوْ صَعِدَتْ فِي ذُرَى شَاهِقٍ تَزَلُّ بِهَا الْعُصْمُ لَمْ تُضَرَّعْ^(٣)
٩ - فَبِئْسَتْ قِعَادُ الْفَتَى وَحَدَّهَا وَبِئْسَتْ مَوْفِيَّةُ الْأَرْبَعِ
مُحَرَّمًا ، أَى حَرَامًا . وَالْحُرْمَةُ : مَا لَا يَحِلُّ أَنْتَهَا كَهَ ، وَكَذَلِكَ الْحَارِمُ .
وَفِي الْمَثَلِ « لَا بُقْيَا لِلْحَمِيَّةِ بَعْدَ الْحَرَامِ » أَى عِنْدَ الْحُرْمَةِ . وَهُوَ ذُو مُحَرَّمٍ
وَحُرْمَةٍ فِي الْقَرَابَةِ . وَالشَّرْعُ : جَمْعُ شَارِعٍ ، وَيُقَالُ : أَشْرَعْتَ الرُّمَحَ قَبْلَهُ
فَشَرَعَهُ . وَصَفَهَا بِالنَّمِيمَةِ وَشِدَّةِ الْحِرْصِ عَلَى تَنَاوُلِ الْمُحَرَّمِ وَلَوْ أَنْزَعَتْهُ مِنْ بَيْنِ
الْأَسِنَّةِ . ثُمَّ وَصَفَهَا بِالتَّجْلِيحِ^(٤) ، وَحُسْنِ التَّنْقِيحِ^(٥) ، وَالْحَذَقُ فِي التَّوَصُّلِ إِلَى
الْمَنْعُوعِ ، وَلَوْ أَحْتَاجَتْ إِلَى أَنْ تَتَرَقَّى فِي مَصَاعِدِ الْجِبَالِ ، وَمَدَارِجِ الْمَضَابِ
الْمُعْجِزَةِ لِلْعُصْمِ .

وَقَوْلُهُ « فَبِئْسَتْ قِعَادُ الْفَتَى وَحَدَّهَا » انْتَصَبَ قِعَادَ وَمَوْفِيَّةَ عَلَى التَّمْيِيزِ ،

(١) لَحْمِدُ بْنُ ثَوْرٍ ، فِي دِيْوَانِهِ ١٨ طَبْعُ دَارِ السُّكُتِبِ .

(٢) فِي اللِّسَانِ : « الْمَشْرَعُ » .

(٣) بِهَا ، أَى بِالذُّرَى . وَفِي الْأَصْلِ : « نَزَلَ بِهِ » ، وَأُثْبِتْنَا مَا فِي لِ وَالتَّبْرِيزِي .

(٤) التَّجْلِيحُ : الْإِقْدَامُ الشَّدِيدُ ، وَالتَّصْمِيمُ فِي الْأَمْرِ وَالْمَضَى .

(٥) فِي اللِّسَانِ : « كُلُّ مَا نَحَيْتُ عَنْهُ شَيْئًا فَقَدْ نَقَحْتَهُ » . وَالتَّنْقِيحُ أَيْضًا : الْإِصْلَاحُ

وَالِإِزَالَةُ الْعُيُوبِ . وَهَذَا مَا فِي لِ . وَفِي الْأَصْلِ : « وَحُسْنُ التَّنْقِيحِ » .

لأنه وإن كان معرفة في اللفظ ، فلا اختصاص فيه ^(١) . ويُروى بالرفع في
الموضعين ، فإذا نصبت فهو كقولك : بُسَّت رَبَّةَ الْبَيْتِ هِنْدٌ . وإذا رفعت
فهو كقولك : بُسَّت دَارُ الْكَافِرِ النَّارُ . وفي القرآن : ﴿ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ .
والمذمومة بُسَّت في الوجهين محذوفة . وانتَصَب « وحدها » على المصدر . فيقول :
هي مذمومة في النساء تفرَّدت أو اجتمعت مع ثلاثٍ آخر . والقَعَادُ والقَعِيدَةُ
واحدة ، ويقال : ليست له قَعِيدَةٌ تَقْعِدُهُ ، أي امرأة تعزُّبه ، أي تزيل عزُّبته .
وحكى أن الأصمعي ألقى على أصحابه يوماً هذا البيت ، وهو :

واحدةً أعضلكم شأنها فكيف لو قُنتَ على أربع
[أربع ^(٢)] يعني النساء .

٦٤٦

وقال بعض آل المهلب ^(٣) :

١- قومٌ إذاً كلوا أخفوا كلامهم واستوثقوا من رِئاحِ البابِ والدارِ
٢- لا يقبسُ الجارُ منهم فضلَ نارِهِمْ ولا تُكفُّ يدٌ عن حرمةِ الجارِ ^(٤)
معناها ظاهر ولا إعراب فيهما . والقبسُ : الشُعلة من النار . والقابسُ
طالب النار وآخذها ، ويقال : قبستُ النار وأقبستها وأقبستها فلان .
والمقباس نحو من القبس . والرَّئاجُ : الغَلَقُ . ويقال : رجت الباب وأرجحته .

(١) ابن جني : « وذلك تعريف الجنس ، لا يخص واحداً بعينه ، فصارح بشياعه النكرة ،
ولأجل ذلك ما كان أسد وهو نكرة كاسامة وهو معرفة ، وغدوة وهو معرفة كغداة وهي نكرة
وكذلك ثعلب وسمالة . وهو كثير فاعرفه لطيفاً » .

(٢) التكملة من ل . وفي التنبيه لابن جني : « أي لو تزوجت أربع نسوة » .

(٣) اسمه عبد الله بن عبد الرحمن ، ولقبه أبو الأنواء ، كما ذكر التبريزي رواية عن

دعبل .

(٤) تكف ، بالناء في ل والتبريزي . وفي الأصل : « يكف » بالياء .

٦٤٧

وقال آخر :

- ١- كَانِرٌ بِسَعْدٍ إِنَّ سَعْدًا كَثِيرَةً وَلَا تَبْغِ مِنْ سَعْدٍ وَفَاءً وَلَا نَصْرًا
 - ٢- وَلَا تَدْعُ سَعْدًا لِلْقِرَاعِ وَخَلَّهَا إِذَا أَمِنْتَ وَنَعْتَهَا الْبَلَدَ الْقَفْرَا
 - ٣- يَرَوْعُكَ مِنْ سَعْدٍ غَيْرِ وَجُؤْمُهَا وَتَزْهَدُ فِيهَا حِينَ تَقْتُلُهَا خُبْرَا
- كَانِرٌ : أمرٌ من كَانَرْتُهُ ، إذا غلبته بالكثرة ، ويقال : كَانَرْتُهُ فكَثَرْتُهُ أَكْثَرُهُ بضم العين . وعلى هذا يحنى هذا البناء ، سواء كان مفتوحاً في الأصل أو مضموماً أو مكسوراً ، إلا أن يكون البناء معتلاً ، فإنه يُترك على حاله . يقال با كَيْتُهُ فَبِكَيْتُهُ أَبْكِيهِ لا غير . وذلك لئلا يلتبس بناتُ الياء ببنات الواو . وقوله : « وَنَعْتَهَا الْبَلَدَ الْقَفْرَا » ، يصفهم بالسَّلامة في حال الأمن ، وبِحُسْنِ تصرفهم في فنون القول ، وأنَّ لهم المنظرَ الحسنَ دونَ المخبر ، ثم لا وفاء لهم في الذَّمِّ والمَقُودِ ولا نصرة في الدفاع عند الحروب . ومعنى يَرَوْعُكَ يُعْجِبُكَ . يريد : أعطوا البَسْطَةَ في الأجسام ، فإذا خَبَرْتَهُمْ صَغَّرَهُمُ الْخُبْرُ ، فأورثك الزَّهْدَ فيهم . ويقال : لى بهم خُبْرٌ وَخِبْرَةٌ .

٦٤٨

وقال آخر :

- ١- أَعَارِبٌ ذُووُ فَخْرٍ يَأْفُكُ وَالسِّنَّةُ لِطَافٍ فِي الْمَقَالِ
 - ٢- رَضُوا بِصِفَاتِ مَا عَدِمُوهُ جَهْلًا وَحُسْنُ الْقَوْلِ مِنْ حُسْنِ الْفَعَالِ
- يقول : إنَّهم يفتخرون بمفاخرِ مَا فُوكَ مَكْدُوبَةٌ^(١) ، ولهم السِّنَّةُ يَلْطَفُونَ بِهَا ،

(١) مَا فُوكَ ، من الإفك ، وهو الكذب .

وَيَصَوِّرُونَ الْبَاطِلَ مِنْ مَفَاخِرِهِمْ بِصُورَةِ الْحَقِّ ، فَهُمْ أَصْحَابُ مَقَالٍ لَا فِعَالٍ ،
وَأَرَبَابُ كَذِبٍ وَزُورٍ ، لَا حَقَّ وَصِدْقٍ ، وَلِجَهْلِهِمْ يَرْضَوْنَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَهَا
بَأْنَ يَصِفُوهَا بِمَا هُوَ مَعْدُومٌ فِيهِمْ ، وَقَنِعُوا بِحُسْنِ الصَّمَاتِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ بِقَوْلِهِمْ ،
وَأِنْ عَدِمُوا شَهَادَةَ الْأَشْهَادِ عَلَى دَعْوَاهُمْ ، اعْتِقَاداً مِنْهُمْ أَنَّ الْقَوْلَ يَفْنَى عَنْ
الْفِعْلِ ، وَأَنْ الْخَبَرَ يُكَتَفَى بِهِ عَنِ الْخَبَرَةِ ، وَأَنَّ الْكَرَمَ فِي الدَّعَاوِي لَا فِي الْحَقَائِقِ .

٦٤٩

وقال مالك بن أسماء^(١) :

- ١- لَوْ كُنْتُ أَجِلُ خَمْرٍ أَحِينَ زُرْتُكُمْ لَمْ يُنْكِرِ الْكَلْبُ أُنَى صَاحِبِ الدَّارِ^(٢)
 - ٢- لَكِنْ أَتَيْتُ وَرِيحَ الْمِسْكِ تَفْعَمُنِي وَعَنْبَرُ الْهِنْدِ مَشْبُوبًا عَلَى النَّارِ^(٣)
 - ٣- فَأَنْكَرَ الْكَلْبُ رِيحِي حِينَ أَبْصَرَنِي وَكَانَ يَعْرِفُ رِيحَ الزَّيْتِ وَالْقَارِ
- قوله « تفعمني » ، أى تسد خياشيمي وتملؤها . ويقال : الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ تَفْعَمُ
الْمَرْكُومَ^(٤) . وقوله « مشبوبا على النار » ، يقال : رأيتُ شَبَّةَ النَّارِ ، أى اشتعلها ،
وقد شَكِبَتْهَا . وتوسَّعوا فيه فقالوا : فلانة يَشُبُّهَا فَرْعُهَا ، إِذَا أَظْهَرَ بَيَاضَ وَجْهِهَا
سَوَادُ شَعْرِهَا . وانتصب « مشبوبا » على الحال . ومعنى الأبيات ظاهرٌ .

(١) قال دعبل : بل قالها عيينة بن أسماء بن خارجة ، وكان زار صديقاله فلما بلغ باب
دار بيته شد عليه كلب صديقه فعضه . عن شرح التبريزي . والشعر ورد في الحيوان (١ :
٣٨٠) والبغلاء ٢٠٢ بدون نسبة معينة ، وفي البيان (٣ : ٣١١) لبعض الحجازيين .
ومالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى : شاعر إسلامي غزل ، وأخته
هند بنت أسماء ، زوج الحجاج ، وهو ممن عرف بالجمال في العرب . ترجم له في الأغاني (١٦ :
٤٠ — ٤٦) ومجمع المرزباني ٣٦٤ — ٣٦٥ واللاكي ١٥ — ١٨ والشعر ٧٥٦ —
٧٥٨ .

(٢) التبريزي والمجاhez : « يوم زرتكم » .

(٣) التبريزي والمجاhez : « والعنبر الورد أذكيه » .

(٤) الريح بمعنى الرائحة مؤنثة .

٦٥٠

وقال آخر :

- ١ - هجوتُ الأُدعياءَ فَناصَبَنِي مَعَاثِرُ خِلَتِهَا عَرَبًا صِحَاحَا
 ٢ - فقلتُ لَهُمْ وَقَدْ نَبَحُوا طَوِيلًا عَلَى فَلَمْ أَجِبْ لَهُمْ نُبَاحَا
 ٣ - أَمِنْهُمْ أَنْتُمْ فَاكْفَ عَنْكُمْ وَأَدْفَعْ عَنْكُمْ الشَّتْمَ الصَّرَاحَا^(١)
 ٤ - وَإِلَّا فَانْحَدُوا رَأْيِي فَإِنِّي سَأُنْفِي عَنْكُمْ التَّهَمَ الْقِيَابَا
 ٥ - وَحَسْبُكَ تَهْمَةٌ بَرِيءٍ قَوْمٍ يَضُمُّ عَلَى أَخِي سَقَمَ جَنَاحَا
 هذه الطريقة في ذم الأُدعياء غريبةٌ حسنةٌ جدًا . وفيما قال أبو العتاهية

في والْبَةِ بنِ الْحَبَابِ مَا هُوَ مُسْتَبَدَعٌ أَيْضًا ، وَهُوَ :

- مَا بَالُ مَنْ أَبَاؤُهُ عَرَبٌ ۖ أَلَوْ أَنَّ أَصْبَحَ مِنْ بَنِي قَيْصَرَ^(٢)
 أَكْذَا خُلِقَتْ أَبَا أَسَامَةَ أُمُّ لَوْنَتْ سَا لِفَقَيْكَ بِالْعُصْفَرِ^(٣)
 وَأَخَذَهُ أَبُو نَوَاسٍ^(٤) فَقَالَ أَيْضًا :

وَابْنُ الْحَبَابِ صُلَيْبَةً زَعَمُوا وَمِنْ لُحَالٍ صُلَيْبَةً أَشَقَرُ
 وَمَصْدَرُ الدَّعَى الدَّعْوَةُ والدَّعَاوَةُ . وَنَاصَبَنِي ، أَيْ عَادَنِي ، وَيُقَالُ :
 نَاصَبْتُ فُلَانًا الْحَرْبَ وَالْعِدَاوَةَ ، وَنَصَبْنَا لَهُمْ حَرْبًا . وَيُقَالُ : الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ

(١) في نسخة الأصل : « فَأَكْبَ عَنْهُمْ » ، تحريف .

(٢) في الأغاني (١٦ : ١٤٤) : « يَحْسِبُ مِنْ بَنِي قَيْصَرَ » .

(٣) أَبُو أَسَامَةَ : كُنْيَةُ وَالْبَةِ بنِ الْحَبَابِ ، وَفِيهِ يَقُولُ عَلِيُّ بنِ ثَابِتٍ :

بَكَتِ الْبَرِيَّةُ قَاطِبُهُ جَزَعًا لِمَصْرَعٍ وَابِلِهِ

فَامَتْ لِمَوْتِ أَبِي أَسَا مَةَ فِي الرِّفَاقِ النَّادِيهِ

وَكَلِمَةُ « أَبَا » سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ ، وَهِيَ وَالْكَلِمَةُ الَّتِي بَعْدَهَا سَاقِطَتَانِ مِنْ ل . وَالتَّحْقِيقُ

يَقْتَضِي مَا أَقْبَلْنَا .

(٤) كَذَا . وَالْبَيْتُ التَّالِي فِي الْأَغَانِي مَنْسُوبٌ إِلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةِ مَعَ الْبَيْتَيْنِ السَّابِقَيْنِ وَأُيُودِ

أُخْرَى .

والعرباء ، أى الخُلص . والعرب المستعربة : الذين دخلوا فيهم بعدُ .
 وقوله « عَرَبُ الألوان » مثل قولهم : سُرُوجٌ خَزُّ الصَّفَاتِ ^(١) .
 و « عَرَبًا صِحاحًا » أى صِحاحَ الأنساب . والنِّباح يُستعمل فى صَوْتِ
 التَّيْسِ عند السَّفاد ، وفى المَهْدُودِ والظَّنِّ . ويستعمل فى الشَّاعر على طريق الذَّم .
 ويقال : نَبَحَهُ وَنَبَحَ عَلَيْهِ . قال الهذلي ^(٢) :

* ولو نَبَحْتَنِي بِالشَّكَاةِ كَلَابِهَا ^(٣) *

والمراد بقوله « لَهُمْ نَباحًا » : لم أَجِبْ نُباحتهم . و « لَهُمْ » تبيينٌ .
 وقوله « أَمِنْهُمْ أَنْتُمْ » فى موضع المفعول من قلتُ ، وانتَصَبَ « فَأَكْفَ »
 بإضمار أن ، وهو جواب الاستفهام بالفاء . والضَّرَّاح : الخالصُ من كلِّ شَيْءٍ ،
 وكذلك الصَّرِيحُ والصَّرَّاحُ . ورجُلٌ صَرِيحٌ : ضَدُّ هَجِينٍ ، من قومٍ صُرَّحاء .
 ونَحَرَ صُرَّاحٌ : لم تُشَبَّ بمزاج .
 وقوله « حَسْبُكَ تُهْمَةٌ » ارتفع على الابتداء ، ويُكْتَفَى به لأنَّ فيه معنى
 الأمر ، أى اكْتَفَ . وانتَصَبَ تُهْمَةٌ على التَّمْيِيزِ ، ومعنى الأبيات ظاهر .

٦٥١

وقال مُدْرِكٌ ^(٤) :

- ١ - لَقَدْ كُنْتُ أَرْمِي الْوَحْشَ وَهِيَ بَغْرَةٌ وَتَسْكُنُ أَحْيَانًا إِلَى شَرُودِهَا
 ٢ - فَقَدْ امْكَنْتَنِي الْوَحْشُ مَذَرَّتْ أَسْمَهُى وَمَا ضَرَّ وَحْشًا قَانِصٌ لَا يَصِيدُهَا

(١) الصفة للسرج بمنزلة الميثة من الرجل .

(٢) هو أبو ذؤيب . ديوان الهذليين (١ : ٨٠) ، وقد سبق فى ص ٣٧٦ .

(٣) صدره : * ولا مهرها كلبي ليعبد نفرها *

(٤) التبريزى : « مدرك » ، أو مفلس بن حصن الفقعسى . وفى معجم الرزبانى ٣٩١ :
 « مدرك أو مفلس بن حصن الفقعسى إسلامي » . قال أبو محمد الأعرابي : « وليس لواحد
 منهما ، وإنما هو لحامد بن الحلاف — وهو الربيع — بن عبد الله ، أبو مليل البريعي . يقوله
 لبني زهير بن جذيمة بن رواحة العيسى » .

٣- فَأَعْرَضْتُ عَنْ سَلَمَى وَقُلْتُ لَصَاحِبِي سَوَاءَ عَلَيْنَا بُخْلُ سَلَمَى وَجُودُهَا
 جَمَلَ الْوَحْشِ كَفَايَةً عَنِ النَّسَاءِ . وَإِنَّمَا يَذَرُ أَيَّامَ شَبَابِهِ ، وَوَقْتَ صِبَاهِ
 وَلَهْوِهِ ، فيقول : كنت أتعرض للنساء وهي مغترّة وفي غفلة عني ، فأصيبها
 بمحاسني وأصطادها . والشاردة منها النافرة من الرّيب تسكن إلى ، وتميل
 نحوي وقتاً بعد وقت ، وحالاً بعد حال . هذا فيما مضى من عمري ، والآن قد
 شخّضت فسهامي قد رثت ، وآلاتي كَلَّتْ . وإنما يريد محاسنه عندهنّ من
 قبل ، وأنها قد بارت ، وما كان يُنفقّه عندهنّ من نفوذ نصاله عند الرّماء
 فيهنّ كَلَّتْ . قال : فالوَحْشُ تُمْكِنُنِي وأنا لا أرميها ، وتُكْشِبُ لِي وأنا غافلٌ
 دونها . ومعنى تمكّني أن النساء تنبسط إلى فلا تنقبض ، وتستقيم فلا تنفر
 لأمنها من توجّه الرّيبة . قال : والصائد لا يضُرّ الوَحْشَ إذا لم يصدها ، يعني
 نفسه . وهذا الكلام يجري مجرى الأمثال . والمعنى أَنَّهُنَّ لَا يَنْفِرْنَ مِنِّي ،
 وقد سَكَنَ إِلَى وَأَمِنَ رَمِي .

وقوله « فَأَعْرَضْتُ عَنْ سَلَمَى » ، يقول : تركت صاحبتى التى كنت
 أولع بها ، واستلذذ كرها ، زاهداً فيها ، وقلت لقرينى وأليفى : بُخْلُهَا وَجُودُهَا
 يَسْتَوِيَانِ عَلَىَّ مع إعراضى وضعف حاجتى ، وكلالِ حَدِّى ، وعجز قدرتى ،
 وتسلب رثبات الشّيب على^(١) ، وتمكّن أبدال اللهو مِنِّي . وقوله « سَوَاءَ عَلَيْنَا »
 سواء مصدر فى الأصل ، وقد وُصِفَ بِهِ .

٤- فَلَا تَحْسُدَنَّ عَبْسًا عَلَى مَا أَصَابَهَا وَذُمَّ حَيَاةً قَدْ تَوَلَّى زَهِيدُهَا
 ٥- تَشَبَّهَ عَبْسٌ هَاشِمِيًّا أَنْ تَسَرَّ بَلَتْ سَرَائِيلَ حَزَى أَنْكَرَتْهَا جُلُودُهَا
 كان الوليد وسليمان ابنا عبد الملك أمهما عبسيّة^(٢) ، فارتفع شأنُ بنى عَبْسٍ

(١) الرّيبة : الضعف ، وانحلال الركب والمفاصل .

(٢) وكذا قال المرزبانى فى معجمه ٣٩١ . قال أبو محمد الأعرابى : « هذا غلط ، لأن

أم الوليد وسليمان هى ولادة بنت خليل بن جزء بن الحارث بن زهير . »

بها، واختلطوا بمُدْرَى الخِلافة وسُوَّاس الرعيّة، والذَّابِّين عن المملِكة. فيقول مخاطباً لصاحب له: لا تَحْسُدَنَّ بنى عَبْسٍ على ما نالته من المُلْكِ والرِّياسة، وذُمَّ زَمَانًا ساعدها على ذلك وأهلها له، وحياة قد تَوَلَّى زهيدُها في الشَّقَاءِ بها، ومكابدة الأوباد منهم فيها. والزَّهيدُ: القليلُ الخَيْرِ، ويقال: رجلٌ زهيدٌ وامرأة زهيدةٌ، وهما القليل الطعم، يريد أن أمرهم خُلُسَةٌ من خُلْسِ الدهر، وسينقطع منكرُهُ ويعود إلى دون ما يجبُ له.

وقوله «نَشَبَ عَبْسٌ هاشمًا»، يُقال: شَبَّهْتُهُ كذا وبكذا، ونَشَبَ زيد بكذا وكذا. يقول: تَنَعَّمُوا بِلَذَاتِ الدُّنْيَا وزخارفها، وشاركُوا أَرْبابَ الْخِلافةِ ووُلَاتِهَا في ملابسهم التي تُنَكِّرُهَا جُلُودُهُمْ، ومطامعهم التي لم تَذُقْهَا لَهَوَاتِهِمْ، فخذثُوا أنفسهم بأنهم أمثالهم، ووسوسَ الشَّيْطَانُ إِلَيْهِمْ مِمَّا نَلَّهَ حَالِهِمْ لِأَحْوَالِهِمْ عِنْدَ الْحَقْلِ، وفي الْخَلَوَاتِ. وقوله «أَنْ تَسْرَبَلَتْ» يريد: لِأَنْ تَسْرَبَلَتْ. كأنَّهم لِمُسَادَةِ الْأَحْوَالِ لَهُمْ فَعَمَلُوا مَا فَعَلُوا. وإنما قال «أَنكَرَتْهَا جُلُودُهَا» لِأَنَّهَا لَمْ تَعْتَدْهَا مِنْ قَبْلُ. ومثله قولُ الْآخَرِ:

بَكَى الْخَزُّ مِنْ عَوْفٍ وَأَنكَرَ جِلْدُهُ وَضَجَّتْ ضَجِيحًا مِنْ جُذَامِ الْمَطَارِفِ

٦ — فَلَا تَحْسِبَنَّ الْخَيْرَ ضَرْبَةَ لَازِبٍ لِعَبْسٍ إِذَا مَا مَاتَ عَنْهَا وَلِيدُهَا

٧ — فَسَادَةُ عَبْسٍ فِي الْحَدِيثِ نِسَاؤُهَا وَقَادَةُ عَبْسٍ فِي الْقَدِيمِ عَيْدُهَا

هُوَ ذَا يُسَلَّى صَاحِبُهُ عَمَّا تَدَاخَلَهُ مِنَ الْغَيْظِ عَلَى زَمَانٍ بَلَغَ بَيْنِي عَبْسٍ مَا بَلَغَ، فيقول: لَا تَطُنَّنَّ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ تَجْرِي عَلَى مَا تَشَاهِدُهَا سَلِيمَةً مِنَ الْحَوَادِثِ، وَأَنَّ الدَّوْلَةَ تَمْتَدُّ لِبَنِي عَبْسٍ وَتَصِيرُ كَالْوَاجِبِ لَهَا، بَرِيَّةٌ مِنَ الصَّوَارِفِ، نَقِيَّةٌ مِنَ الشَّوَابِ؛ فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ بَعَرَضُ الزَّوَالِ وَالنَّغْيَرِ، مَتَى مَاتَ مَنْ تَقَدَّمُوا بِهِ، وَهُوَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ.

وَحُكِّيَ عَنِ الْحُصَيْنِ^(١) بْنِ الْمُؤَدِّرِ أَنَّهُ قَالَ لِبَعْضِ بَنِي عَبْسٍ وَقَدْ تَنَازَعَا فِي شَيْءٍ : « إِنَّمَا أَنْتُمْ يَا بَنِي عَبْسٍ بِحِرٍّ^(٢) ، فَإِنْ اِبْقُلْ اِبْقُلْتُمْ ، وَإِنْ يَبِسَ يَبَسْتُمْ » .
 وقوله فسادَةُ عَبْسٍ نَسَاؤُهَا ، يَعْنِي أُمَّ الْوَلِيدِ وَالْمَتَصَلَاتِ بِهَا . هَذَا فِي الْحَدِيثِ زَعَمَ . قَالَ : وَفِي الْقَدِيمِ كَانُوا بِالْعَبِيدِ ، يَعْنِي بِهِ عَنَتَرَةُ بْنُ شَدَادٍ ، لِأَنَّهُ عَبْسِيٌّ ، وَكَانَ هَجِينًا ، وَلِذَلِكَ قَالَ :

إِنِّي اسْرُؤُ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِبًا شَطْرِي وَأَخْيَ سَائِرِي بِالْمُنْصُلِ
 وَقَالَ أَيْضًا :

أَنَا الْهَجِينُ عَنَتَرَةُ كُلُّ اسْرِيٍّ يَخْمِي حِرَّهُ^(٣)
 أَسْوَدَهُ وَأَحْمَرَهُ
 وَهُوَ أَحَدُ الْفُرْسَانِ الَّذِينَ جَلَّ أَسْرُهُمْ ، وَعَظُمَ شَأْنُهُمْ .

٦٥٢

وقال آخر :

١ - أَقُولُ حِينَ أَرَى كَفْبًا وَلِحَيْتَهُ لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي بَضْعٍ وَسَيْتَيْنِ
 ٢ - مِنَ السَّيِّئِ تَمَلَّاهَا بِلاَ حَسَبٍ وَلَا حَيَاءٍ وَلَا قَدْرٍ وَلَا دِينَ
 أَجْرِي جَمَعَ السَّلَامَةَ فِي أَنْ أَعْرَبَ آخِرَهُ تَجْرِي جَوْعِ التَّكْسِيرِ ، وَقَدْ
 جَاءَ ذَلِكَ كَثِيرًا . عَلَى هَذَا قَوْلُ الْآخِرِ^(٤) :

* وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الْأَرْبَعِينَ^(٥) *

(١) فِي النُّسخَتَيْنِ : « الْحُصَيْنِ » بِالضَّادِ الْمُهْمَلَةِ ، وَصَوَابُهُ بِالْمَعْجَمَةِ ، كَمَا فِي التَّبْرِيزِيِّ وَالْمَوْثَلَفِ ٨٧ وَتَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ ، وَالْخُرَاقَةِ (٢ : ٨٩ - ٩٠) وَالْقَامُوسِ (حُصْن) .
 (٢) يَعْنِي أَنَّ قُدْرَتَهُ وَمُزَنَّتَهُ ، إِنَّمَا هُوَ بِنَسَائِهِمْ وَصَهْرِهِمْ فِي الْحَقِيقَةِ .
 (٣) الْحَرُ : حَرُّ الْمَرْأَةِ . وَالرَّجْزُ فِي اللِّسَانِ (حَرْج) .
 (٤) هُوَ سَحِيمُ بْنُ وَثِيلِ الرِّيَّاحِيِّ . الْأَصْمَعِيَّاتُ ٦ طَبْعُ الْمَعَارِفِ .
 (٥) صَدْرُهُ : * وَمَاذَا يَدْرِي الشُّعْرَاءُ مِنِّي *

وقوله :

* وابنُ أُنَيٍّ أُنَيٍّ مِنْ أَيْيِنٍ ^(١) *

وقوله « من السنين » تعلق بقوله في بضع . والبضعُ مُخْتَلَفٌ فيه ، فمنهم من يقول : يتناول ما بين الثلاثة إلى العشرة كُلهُ ، ومنهم من يجعله متناولاً للنصف من ذلك . والأوّل هو الصحيح . وقيل في قوله : ﴿ بضعَ سنين ^(٢) ﴾ إنّها سبعة ، وقد حُكِيَ الفتحُ في الباء منه أيضاً ، وأصله من القطع .
وقوله « تَمَلَّأَها » : عاش مَلَأَوْتَهَا . والمَلَأَوْتُ تُكسر مِيمُهُ وتَضَمُّ . ومنه العَلِيٌّ من الدهر ، وقولهم : تَمَلَّيْتُ حَبِيبًا .

٦٥٣

وقال عوفُ القوافي ^(٣) :

- ١ - وما أُمُكُمُ تَحْتَ الْخَوَافِقِ وَالْقَنَا بِشَكْلِي وَلَا زَهْرَاءَ مِنْ نِسْوَةٍ زُهِرِ
 - ٢ - أَلَسْتُمْ أَقْلَ النَّاسِ عِنْدَ لَوَائِهِمْ وَأَكْثَرَهُمْ عِنْدَ الذَّبِيحَةِ وَالْقِذْرِ
- وصفهم بأنهم يتصوّنون ، فلا يبتذلون أنفسهم في الحروب ، فأعْطَاهُمُ تَشْكَلُهُمْ تَحْتَ الْأَعْلَامِ إِذَا خَفَقَتْ ، وَالرَّمَاحَ إِذَا أَثْرَعَتْ . وقوله « ولا زهراء » ، أى ليست هى بكريمةٍ فى نفسها . وهذا ضدُّ قول الآخر ^(٤) :
- * أُمُكُ يَبْضَاءُ مِنْ قُضَاعَةٍ ^(٥) *

(١) البيت لدى الإصحع العدواني في المفضليات ١٦٠ طبعة المعارف الثانية . وصدره :

* لاني أبي أبو ذو محافظة *

(٢) من الآية ٤٢ في سورة يوسف : « فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ

بضع سنين » .

(٣) سبقت ترجمته في الحماسية ٧٢ ص ٢٦٢ .

(٤) هو ابن قيس الرقيات . ديوانه ٨٣ . وقد سبق في ١٥٠ ، ٤١٩ .

(٥) تمامه : أُمُكُ يَبْضَاءُ مِنْ قُضَاعَةٍ فِي الْ * بيت الذى يستكن فى طنبه

يريد بياض السكرم لا بياض اللون .

وقوله : « أَلَسْتُمْ أَقْلَ النَّاسِ » ، يقرّرهم على لؤمهم وتأخرهم في الحروب ، وقتلهم عند خفق البنود ، وعند عقدها للرياسات ؛ وعلى أنهم يكثرّون في المآذب ، ويتزاحمون على الذبائح . وإنما يقرّر بالآيس وبآلم وما أشبهه في الواجب ، لأن الاستفهام كالنفي ، والنفي إذا دخل على النفي صار واجبا ، وقد مرّ الكلام فيه فيما تقدّم .

٦٥٤

وقال آخر :

- ١- وَنُبِّتُ رُكْبَانَ الطَّرِيقِ تَنَازَرُوا عَقِيلًا إِذَا حَلَّوْا الذَّنَابَ فَصَرَّخَدَا
 - ٢- فَتَى يَجْعَلُ الْمَحْضُ الصَّرِيحَ لِبَطْنِهِ شِعَارًا وَيَقْرَى الضَّيْفَ عَضْبًا مُهَنْدًا
- قوله « تناذروا » ، أى أنذر بعضهم بعضا ، وموضعه من الإعراب نصب على أن يكون مفعولا ثالثا لنُبِّتُ . والذَّنَابَ وصَرَّخَدَا : موضعان . والمعنى أن السَّفَرِ والسَّابِلَةَ والمَارَّةَ قد عَرَفُوا عَقِيلًا بِالْغَدْرِ والخِيَانَةِ ، والطَّمْعِ في مال الضَّيْفِ والجَارِ والحَلِيفِ ، فإذا نَزَلُوا هَذِينَ الْمَوْضِعَيْنِ وهما مما يقاربُ محلَّ عَقِيلٍ ومأواه ، حذّر بعضهم بعضًا ، وتواصوا بالاحتراز منه ، ثم قال : هو فتى يملأ بطنه من خالص المحض ، فالمحضُ شِعَارُ بطنه ، يليه وَيَشْحَنَهُ وَيَلْتَبِسُ بِهِ ، وَيُعِدُّ لِقَرَى ضَيْفِهِ سَيْفًا قَاطِعًا . والأصل في الشُّعَارِ ما يَلِي الْجَسَدَ مِنَ الثِّيَابِ ، ثم تَوَسَّعَ فِيهِ فَقِيلَ : أَشْعَرَ قَلْبِي هَمًّا أَى أَبْطَنَهُ . وحكى بعضهم : هَنَّدَتُ السَّيْفَ : شَعَدْتُهُ وَأَحْدَدْتُهُ . والمشهور نسبته إلى هِنْدٍ^(١) .

(١) كذا في النسختين . وفي اللسان أيضا : « وهند : اسم ببلاد » . ومن عجب أنه

لم يعقد للهند رسم في معجمى البلدان .

وقد استعمل القرى على هذا غيره فقال ، وهو أبو وَجْزَة :
 ذَاكَ الْقَرْىَ لَا قَرْىَ قَوْمٍ رَأَيْتُهُمْ يَقْرُونَ ضَيْفَهُمُ الْمَلُوءَةَ الْجُدْدَا^(١)
 يعنى السَّيَّاط .

٦٥٥

وقال آخر :

- ١ - أُنَاخَ اللَّؤْمِ وَسَطَ بَنِي رِيَّاحٍ مَطِيئَتُهُ فَأَقْسَمَ لَا يَرِيْمُ
 - ٢ - كَذَلِكَ كُلُّ ذِي سَفَرٍ إِذَا مَا تَنَاهَى عِنْدَ غَايَتِهِ مُقِيمٌ
- يقال : أَنْخْتُ البعير فبرك ، ولا يقال فناخ . وهذا من باب ما استغنى به
 عن غيره ، ومعنى لا يريم لا يبرح .

وقوله « كذلك » في موضع الحال ، لأنَّ « كُلُّ ذِي سَفَرٍ » مبتدأ ،
 ومُقِيمٌ خبرُهُ ، كأنه قال ، وكلُّ مسافر إذا ما انتهى إلى غايته يُبْلَقُ عَصَاهُ ،
 وَيَحْطُ رَحْلَهُ . كذلك ، أى مثل إقامة اللؤم فيهم .

وهذا المعنى قد نقله البحرئى إلى المدح فقال :

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلٍ طَلْعَةٍ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ^(٢)

٦٥٦

وقال آخر :

- ١ - إِذَا بَكْرِيَّةٌ وَلَدَتْ غُلَامًا فَيَا لَوْ مَا لِدَيْكَ مِنْ غُلَامٍ
- ٢ - يَزُاجِمُ فِي الْمَادِبِ كُلَّ عَبْدٍ وَلَيْسَ لَدَى الْحِفَاطِ بِذِي زِحَامٍ

(١) كذا في ل والكمال ١٠٧ ليسك ، ومى جمع جديد . وفي الأصل : « الحددا » .

(٢) في الأصل : « طلعة لم يتحرك » ، صوابه في ل .

قوله « يا لؤمًا » لفظه لفظ النداء والمعنى معنى التعجب ، أى ما أشدّه من لؤم . ومثله : ﴿ يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَاد ﴾ ، وقولُ الشاعر^(١) :

فيا شاعراً لا شاعراً اليومَ مثلهُ جريرٌ ولكن في كُليبٍ تَوَاضَعُ

وقوله « يزاحم في المآدب » يشبه قول عُويِف :

أَلَسْتُمْ أَقَلَّ النَّاسِ عِنْدَ لَوَائِهِمْ وَأَكْثَرُهُمْ عِنْدَ الذَّبِيحَةِ وَالْقِدْرِ^(٢)

وإن كان زاد عليه لما جعل مزاحمته على الطعام مع العبيد . وقوله « من غلام » أى لذلك الغلام من بين الغلمان . وواحد المآدب مأذبة^(٣) ، والفعلُ منه أَدَبْتُ .

٦٥٧

وقال آخر :

١ - رِدَى ثُمَّ اشْرَبِي نَهْلًا وَعَلَا وَلَا يَغْرُزُكَ أَقْوَالُ ابْنِ ذَيْبِ^(٤)

٢ - فَلَوْ كَانَ الْقَلِيبُ عَلَى إِحَامِهِمْ لَأَسْهَلَ وَطُوبَاهَا شَفَّةَ الْقَلِيبِ

يشجعها على الورود والصّدر ، وشرب العلل بعد النهل . وعلى ألا تحتفل بهتدّد ابن ذئب وإرعاده وإبراقه ، فإنه قول لا فعل معه ، وقمعة لا وقعَ بعدها . وكان التّخاضُّمُ في بئر ، فلذلك قال ما قال .

وقوله « فلو كان القليب على إحامهم » استخفاف بهم وإهانة . ومعنى أسهل :

وجدّها سهلاً ، ويعنى بوطنها وطء الإبل ، ولم يجر لها ذكر ، ولكن المراد مفهوم .

والمعنى : كانت تجد حروف البئر سهلاً لا حزنًا . يقول : لو كان موضع البئر

(١) هو الصلتان العبدى . الخزانة (١ : ٣٠٤ - ٣٠٨) . وقد سبق في ٥٣٨ .

(٢) البيت الثانى من الحماسية ٦٥٣ ص ١٥٢٩ .

(٣) المشهور فى « المأذبة » ضم الدال ، وأجاز بعضهم الفتح .

(٤) التبريزى : « ولا تغررك » .

لِحَاثِهِمْ مَا جَسَرُوا عَلَى الْمَنْعِ ، وَلَا عَلَى التَّمَانَعِ ، وَلَا كَانَ يَتَعَقَّبُ وَرُودَهَا إِنْكَارُ
وَلَا وَبَالَ .

٦٥٨

وقال آخر :

١- إِنْ تُبْغِضُونِي فَقَدْ اسْتَحَنْتُ أَعْيُنَكُمْ وَقَدْ أَتَيْتُ حَرَامًا مَا تَظُنُّونَا^(١)

٢- وَقَدْ ضَمَمْتُ إِلَى الْأَحْشَاءِ جَارِيَةً عَذْبًا مُقْبِلَهَا مِمَّا تَصُونُونَا

يقول : لَا مَلَامَ عَلَيْكُمْ فِي بَغْضَائِكُمْ لِي ، فَقَدْ نِلْتُ مِنْكُمْ مَا اسْتَحَقَّقْتُ بِهِ
ذَلِكَ . وَانْتَصَبَ « حَرَامًا » عَلَى الْحَالِ مِنْ أَتَيْتُ ، وَمَا تَظُنُّونَا فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ ،
وَالضَّمِيرِ الْعَائِدِ مِنَ الصَّلَةِ مَحذُوفٍ . وَقَوْلُهُ « مِمَّا تَصُونُونَا » وَلَمْ يَقُلْ مِمَّنْ ، لِأَنَّ
الْقَصْدَ إِلَى الْجِنْسِ وَ« مَا » لِلصِّفَاتِ وَالْأَجْنَاسِ وَلِمَا دُونَ النَّاطِقِينَ . فَأَمَّا قَوْلُهُ
« تَظُنُّونَ » فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ غَالِبِ الظَّنِّ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْيَقِينِ .

٦٥٩

وقال آخر :

١- يَا قَبَّحَ اللَّهُ أَقْوَامًا إِذَا ذُكِرُوا بَنِي عُمَيْرَةَ رَهْطَ اللُّؤْمِ وَالْعَارِ

٢- قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سَوْءَةٍ وَلَجُّوا فِي سَوْءَةٍ لَمْ يُجِنُّوها بِأَسْتَارِ

الْمَنَادَى فِي قَوْلِهِ « يَا قَبَّحَ اللَّهُ » مَحذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : يَا قَوْمَ ، أَوْ يَا نَاسُ
قَبَّحَ اللَّهُ أَقْوَامًا ، أَيْ أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ . وَ« بَنِي عُمَيْرَةَ » انْتَصَبَ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ
أَقْوَامًا ، وَالْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ « إِذَا ذُكِرُوا » أَيْ وَقْتُ ذِكْرِهِمْ فَأَبْعَدَهُمُ اللَّهُ . وَ« رَهْطَ

(١) تَبْغِضُونَ ، هُوَ مَا فِي لِه وَالتَّبْرِيزِي . وَفِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ : « تَبْغِضُونَا » .

اللُّؤْمُ « انتصَبَ على الذَّمِّ والاختصاص ، والعامل فيه فِعْلٌ مُضْمَرٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ :
أَذْكُرُ رَهْطَ اللُّؤْمِ .

وقوله « قَوْمٌ » ارتَفَعَ على أَنَّهُ خبر المبتدأ ، أى هم قوم إذا خَرَجُوا مِنْ
سَوَاءٍ وَخَزِيَّةٍ ، أى من اكتسابهما وفعلهما ، دَخَلُوا فِي مِثْلِهَا أَوْ أَسْوَأَ مِنْهَا
وَأُخْرَى لَا يَتَسْتَرُونَ فِيهَا وَلَا يَسْتَحْيُونَ مِنْهَا .

٦٦٠

وقال آخر

يَهْجُو الْحَضْرَى وَيَمْدَحُ الْبَدْوَى :

١ - جَوَابُ بَيْدَاءٍ بِهَا عَرُوفٌ^(١)

٢ - لَا يَأْكُلُ الْبَقْلَ وَلَا يَرِيفُ

٣ - وَلَا يَرَى فِي يَتِيَةِ الْقَلِيفُ

٤ - إِلَّا الْحَمِيتُ الْمُفْعَمُ الْمَكْشُوفُ

٥ - لِلجَارِ وَالضَّيْفِ إِذَا يَضِيفُ

٦ - وَالْحَضْرَى مُبْطِنٌ مَعْلُوفٌ^(٢)

٧ - لِلْفَسْوِ فِي أَثْوَابِهِ شَفِيفُ

٨ - أَعْجَبُ يَتِيَةٍ لَهُ الْكَنِيفُ

٩ - أَوْطَايَةٌ مُبْقَلَةٌ وَسِيفُ^(٣)

(١) رواه التبريزي : « عزوف » ، وقال : « يقال رجل عزوف وعزوفة وعزيف » .
وفي اللسان (ريف) : « عروف » ، تحريف .

(٢) التبريزي : « بطنه معلوف » .

(٣) التبريزي : « أوطانه » ، ثم قال : « ويرى : أوطاية مبقلة وريف » .

قوله « جَوَابُ يِداء » يصف به البدوى ، أى قَطَاعُ التِّفَافِزِ بليغ المعرفة بها . ويقال : رجل عَرُوفٌ وَعَرُوفَةٌ وَعَرِيفٌ ، أى عَارِفٌ . ويقال من العَرِفِ بكسر العين ، وهو الصبر : عَارِفٌ وَعَرُوفٌ أى صَبُورٌ ؛ فيجوز فيه الوجهان . وَيُرَوَى : « جَوَابُ يِداءً أَيْ عَرُوفٌ » ، والأَيْةُ : الصَّيِّتُ المَتَّقِظُ الحَيُّ القَلْبُ والنَّفْسُ . واليِداء : جمع يِداء .

وقوله « لا يَأْكُلُ البَقْلَ » ، أى هو قَوِيٌّ صُلْبُ العُرُوقِ ، لَأَنَّ البَقْلَ تُرْخِي الأعصاب . و « لا يَرِيفُ » أى لا يَدْخُلُ الحَضَرَ . والرِّيفُ : الخَصْرَةُ . وقال الدَّرِيدِيُّ : الرِّيفُ : مَا قَارَبَ السَّوَادَ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ ، وَالْجَمِيعُ أَرِيفٌ وَرِئُوفٌ . وَتَرِيفَ الْقَوْمِ وَرَافُوا : دَنَوْا مِنَ الرِّيفِ .

وقوله : « وَلَا يُرَى فِي بَيْتِهِ الْقَلِيفُ » أى طَعَامُهُ طَعَامُ الْبَدَوِيِّينَ : اللَّبَنُ وَالتَّمْرُ ، لَا الْخُبْزَ . وَقُلَافَةُ الْخُبْزِ وَقَلِيفُهُ : الَّذِي يَلْزَقُ مِنْهُ بِالْتَّنُّورِ .

وقوله : « إِلَّا الْحَمِيمَةُ » بَدَلُ مِنَ الْقَلِيفِ ، وَهُوَ نَحْيُ السَّمَنِ . وَالْمُقَمَّ : الْمَمْلُوءُ . وَجَعَلَهُ مَكْشُوفًا لِلْجَارِ وَالضَّيْفِ لِيَدْلَأَ عَلَى سَخَانِهِ بِمَا فِيهِ ، وَلَا سِتْرَ عَلَيْهِ وَلَا حِجَابَ دُونَهُ ، فَالْإِلَامُ مِنْ قَوْلِهِ لِلْجَارِ يَتَعَلَّقُ بِالْمَكْشُوفِ .

وقوله « وَالْحَضَرِيُّ مُبْطَنٌ مَعْلُوفٌ » ، أى يُطِيعُهُ مَا يَأْكُلُهُ ، وَيَرْتَعُ فِيهِ فَيَنْهَمُ فِيهِ وَيَتَجَاوَزُ حُدُودَ كُلِّ النَّاسِ حَتَّى يَصِيرَ مَعْلُوفًا كَمَا تُعْلَفُ الدَّوَابُّ لِلسَّمَنِ . وَالْمُبْطَنُ : الْمَوْسَعُ الْبَطْنُ . وَقَدْ بَطَّنَ بَطْنًا ، أى عَظَّمَ بَطْنَهُ ، وَأَصَابَتْهُ الْبِطْنَةُ . وَفِي الْمَثَلِ : « الْبِطْنَةُ تُذْهِبُ الْفِطْنَةَ » ، أى كَثْرَةُ الْأَكْلِ تُحْدِثُ الْبِلَادَةَ . وَرَجُلٌ بَطِينٌ وَمُبْطَنٌ : عَظِيمُ الْبَطْنِ . وَالْمُبْطَنُ : الْخَمِيصُ الْبَطْنُ . قَالَ :

* فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفَوَادِ مُبْطَنًا ^(١) *

(١) البيت لأبي كبير الهذلي ، كما سبق في ص ٨٨ . ومجزه :

* سَهَدَا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْمَوْجِلِ *

وقال مُتَمَّمٌ :

* فَتَى غَيْرَ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعًا^(١) *

والشَفِيفُ : بَرْدٌ رِيحٍ فِي نُدُوءٍ ، وَاسْمُ تِلْكَ الرِّيحِ الشَّفَّانُ .

وقوله « أَعْجَبُ بَيْتَيْهِ » أَيْ الَّذِي يَأْكُلُ فِيهِ وَالَّذِي يُحَدِّثُ فِيهِ .
وَالسَّكْنِيفُ جَمْعُهُ أَعْجَبَ إِلَيْهِ لَكثْرَةِ أَطْيَافِهِ^(٢) .

وَالطَّايَةُ : الْأَرْضُ الْفُضَاءُ الْوَاسِعَةُ . وَالسَّيْفُ : سَاحِلُ الْبَحْرِ . وَأَبْقَلَ
الْمَكَانُ : كَثُرَ بَرُّهُ .

٦٦١

وقال رَبْعَانُ^(٣) :

١ - إِذَا كُنْتَ عَمِّيًّا فَكُنْ قَقْعَ قَرَقَرٍ وَإِلَّا فَكُنْ إِنْ شِئْتَ أَبْرَحِمَارٍ^(٤)

٢ - فَا دَارُ عَمِّيَ بِدَارٍ خَفَّارَةٍ وَلَا عَقْدُ عَمِّيَ بِعَقْدِ جَوَارٍ

يعنى بالقَقْعِ الْكَمَاةُ . وَيَضْرِبُ الْمَثَلُ بِهَذَا فِي الذَّلَالِ فَيَقَالُ : « أَذَلُّ مِنْ

قَقْعِ بَقَاعٍ » ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَحْتَمِلُهُمَا مِنْ إِشَاءٍ ، وَأَضَافَهُ إِلَى قَرَقَرٍ مَبْنِيَّةً . وَيَقَالُ :

قَاعٌ قَرَقَرٌ ، أَيْ مُسْتَوٍ . وَأَتَى بِالصِّفَةِ لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ ، وَالْمَعْنَى : إِذَا كُنْتَ

عَمِّيًّا فَكُنْ ذَلِيلًا كَالْقَقْعِ ، أَوْ شَيْئًا يُتَحَامَى ذِكْرُهُ وَمَنْظَرُهُ كَذَلِكَ الْعُضْوِ .

وَأَخْفَرْتُهُ ، إِذَا نَقَضْتَ عَهْدَهُ . وَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ . وَجَعَلَ لَا مِنْ قَوْلِهِ « وَلَا عَقْدُ »

بَدَلًا مِنْ مَا ، وَلِذَلِكَ أَدْخَلَ الْبَاءَ فِي بَعْقَدٍ .

(١) صدره في المفضليات ص ٢٦٥ طبع المعارف :

* لَقَدْ كَفَنَ الْمَنَاهِلَ تَحْتَ رِذَائِهِ *

(٢) اطراف يطاف اطيافا : تنفوط وذهب إلى البراز .

(٣) التبريزي : « وقال ربيعان ، ويقال ربيعان » .

(٤) العمى : نسبة إلى بني العم ، وهم بنو مرة بن مالك بن حنظلة . اللسان (عم) .

وانظر الأغاني (٣ : ٧٣) .

٦٦٢

وقال آخر :

١ - أَرَانِي فِي بَنِي حَكَمٍ غَرِيبًا عَلَى قُتْرِ أَزُورٍ وَلَا أَزَارُ

٢ - أَنَا سَيِّئٌ يَا كَلُونَ اللَّحْمِ دُونِي وَتَأْتِينِي الْمَعَاذِرُ وَالْقُتَارُ

قوله « على قُتْرٍ » أى على حرف . ويقال : قُتْرٌ وَقُتْرٌ . يقول : ليس فيهم تمكّن ، لُغْرَبِي . والقُتْرُ والقَطْرُ والحَرْفُ والجانب تتقارب . وقد استعمل الحرف استعمال القُتْرِ ، بل هو أشهر في هذا المعنى ، وأكثرُ تصرُّفاً ، يقال : هو على حَرْفٍ من أمْرِه ، أى انحراف ، وانحرفت بهم دُنْيَاهُمْ ، ومالى عن كذا مَحْرَفٌ ، أى مَصْرُفٌ وَمُنْتَحَى . وفي القرآن : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ . وإنما وصفهم بأن من جاورهم يسيئون عِشْرَتَهُ ولا يرون له ما يراه لهم مِنْ قِضَاءِ ذِمَّامٍ ، وإيجاب حق ، بل يَطْرَحُونَهُ وَيُهْمِلُونَهُ . وقوله « وتأتيني المعاذِرُ » ، أراد ريح عَذِرَاتِهِمْ وَأَفْنِيَتِهِمْ ، خذف المضاف . « والقُتَارُ » ، أى وتأتيني ريحُ اللَّحْمِ المشوى . وقيل فى المعاذِر : إنها جمع مَعْدِرَةٍ . والأوّلُ أبلغ . والمعاذِرُ والمعاذرةُ والعَذِرَةُ : الحَدَّثُ ، وقد أَعَذَرَ ، أى أحدث . ويرتفع أناسٌ على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه أراد : هم أناسٌ ، وقد وُصِفُوا بِجَمَلَتَيْنِ . وقد كان يجب أن يقول : وتأتيني المعاذِرُ والقُتَارُ منهم ، خذف الضمير . ويجوز أن يكون « وتأتيني » على الاستئناف .

٦٦٣

وقال آخر :

١ - مَا إِنْ فِي الْحَرِيشِ وَلَا عَقِيلٍ وَلَا أَوْلَادٍ جَعْدَةً مِنْ كَرِيمٍ^(١)

(١) كذا بالحرَمِ فى النسخة . وفى التبريزى : « وما إن » .

٢ - ولا البُرصِ الفِقاحِ بَنِي نُمَيْرٍ ولا العَجَلانِ زائِدَةِ الظَّلِيمِ
 ٣ - أولئك مَعَشَرُ كِبَنَاتِ نَعَشٍ رَوَاكِدَ لا تَسِيرُ مع النُّجُومِ
 يعني بزائدة الظلِّم الخُفَّ ، لأنَّه لا يكون للطَّير . أى هم زيادةٌ في النَّاسِ
 بمنزلة تلك الزائدة في الظلِّم .

وقوله « أولئك معشر كبنات نعش » ، يريد أنهم لا ينهضون لا كتساب
 مَكْرُمَةٍ ، ولا يقومون لاجتلاب مَنْقَبَةٍ ، فهم لا خيرَ فيهم يلزمون مضاجعهم
 كسلاً وقصرَ همَةٍ ، ورضى بأدنى الهَمَّتَيْنِ وأسقط العِشَّتَيْنِ . والعرب تسمي
 مَنْ كان كذلك ضاجِعاً وضُجِعِيّاً^(١) وضُجَعَةً . وبنات نعش ليست من النُّجُومِ
 السَّيَّارة ، فلذلك شبهه بها .

٦٦٤

وقال رجلٌ من بني جَرَمٍ^(٢) :

١ - دَلَفْتُ إِلَى صَمِيمِكَ بِالْقَوَافِي عَشِيَّةً مَخْفِلٍ فَهَتَمْتُ فَاكَ
 ٢ - وَصَدَّقَ مَا أَقُولُ عَلَيْكَ قَوْمٌ عَرَفَتْ أَبَاهُمْ وَنَفَوْا أَبَاكَ
 الصَّمِيمُ : الخالصُ من السَّبِّ والفخر . وجعل له ذلك على طريق الهُزْءِ ،
 فهو كقول الله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ . يقول : ما كان
 مِنْ حَسَبِكَ خالِصاً ، ومن نَسَبِكَ صَافِياً لا شَوْبَ فيه ولا لَبْسَ دونه ، أبطلته
 بِقَوَافِي ، وزيفته حينَ اختلفنا في المَجْمَعَةِ بِمَرَايَ ، فهتَمْتُ أَسْنَانَكَ ، وأخرستُكَ
 في دَعَاوَيْكَ . والهِتَمُ : كثرُ الثَّنِيَةِ من الأصل ، وجعلَ الهمَ كنايةً عن الأَسنانِ .

(١) بضم الصاد وكسرهما . ومثله « القعدى » بكسر القاف وضمها .

(٢) التبريزي : « وقال رجل من جرم لزيد الأبحم ، وقبل إنه لزيد الأبحم » . وستأتي
 ترجمة زيد الأبحم .

أى جعلتك بحيث لا مَعْصَ لك ، ومَشْهَدُنا مشهود^(١) ، وأهل التمييز حضورٌ ،
وصَدَّقَني مَنْ له القِدْمَةُ والسَّابِقَةُ عليك ، وأنت تعرفهم وتَعْرِفُ أَوْلِيَّتَهُمْ ، وهم
ينكرون سلفَكَ ، وَيُبْطِلُونَ دَعَاوِيكَ .

٦٦٥

وقال زياد الأعجم^(٢) :

- ١ - وَمَنْ أَنْتُمْ إِنْنا نَسِينَا مَنْ أَنْتُمْ وَرِيحُكُمْ مِنْ أَى رِيحِ الْأَعاصِيرِ
٢ - وَأَنْتُمْ أَوْلَى جِئْتُمْ مَعَ الْبَقْلِ وَالذَّبَابِ فَطَارَ وَهَذَا شَخْصُكُمْ غَيْرُ طَائِرٍ
٣ - فَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَّا بَيْنَ كَانَ قَبْلَكُمْ وَلَمْ تَدْرِكُوا إِلَّا مَدَقَّ الْحَوَافِرِ

قوله « إنا نسينا مَنْ أَنْتُمْ » يجوز أن تجعل مَنْ استفهما ، وقد كرّره ،
وعَلَّقَ نسينا قبله ، وإن لم يكن من أفعال الشك واليقين ، لأنه أجراه مجرى
نقيضه ، وهو عَرَفْتُ وَذَكَرْتُ ؛ وهم يحرون النظير [تجرى النظير^(٣)] ،
والنقيض تجرى النقيض . وقد مرّ له نظائر . ويجوز أن تجعل مَنْ بمعنى الذى .
وقد حُذِفَ صلته ، كأنه قال : إنا نسينا الذين هم أَنْتُمْ . والأول أَوْجَهُ . ونظيرُ
الأول^(٤) عند أصحابنا البصريين قوله تعالى : ﴿ لَنَعْلَمَ أَى الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا
لَبِثُوا ﴾ . وفى باب الذى قوله تعالى : ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ ﴾^(٥) ، لأنَّ المعنى مَنْ

(١) هذا الصواب من ل . وفى الأصل : « لا يشهدنا مشهود » .

(٢) زياد الأعجم : أحد شعراء الدولة الأموية ، وقد شهد فتح إصطخر مع أبى موسى
الأشعري وطال عمره ووفد على هشام بن عبد الملك . وفى الاشتقاق ٢٠١ عند الكلام على
عبد القيس : « ومنهم زياد بن سلمى الذى يقال له زياد الأعجم الشاعر » . ويقال له أيضا :
زياد بن سليمان . انظر البيان (١ : ٧١) والخزانة (٤ : ١٩٣) ومعجم المرزبانى ١٣٣
والشعراء لابن قتيبة والأغانى (١٤ : ٩٨ - ١٠٥) .

(٣) التكملة من ل .

(٤) فى النسختين : « الثانى » والنظير للأول ، وهو التعليق بالاستفهام .

(٥) هذه قراءة يحيى بن يعمر ، وابن أبى إسحاق ، وهى القراءة التى يستقيم بها الاستشهاد
وقراءة الجمهور : « أحسن » بفتح النون ، على أنها فعل . وقال بعض نحاة الكوفة فى =

هو أحسن . وقوله « مِنْ أَيْ رِيحِ الْأَعَاصِرِ » ، والأعاصير : جمع الإعصار ، وهو الغبار الساطع المستدير ، وفي المثل : « إِنْ كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ لَاقَيْتَ إِعْصَارًا » .
وإنَّمَا خَصَّهَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا تَسُوقُ غَيْثًا ، وَلَا تَدُرُّ مَحَابَا ، وَلَا تُنْقِصُ شَجَرًا ،
فَضْرِبَ الْمَثْلُ بِهَا لِقَلَّةِ الْإِنْتِفَاعِ بِهِمْ . وهذا كما قال الآخر ^(١) :

وَأَنْتَ عَلَى الْأَدْنَى شِمَالٌ عَرِيَّةٌ شَامِيَّةٌ تَزْوِي الْوُجُوهَ بِلَيْلٍ

وهم يجعلون الرِّيحَ كنايةً عن الدَّوْلَةِ ، فيقال ، فلانٌ هَبَّتْ لَهُ رِيحٌ ، فسكانه
جعل دولتهم لا تُجْدِي وَلَا تَرُدُّ نَفْعًا ، بل تُتَوِي ^(٢) وتَجَرُّ شَرًّا ، وقوله « وَأَنْتُمْ
أَوَّلَى جِئْتُمْ » ، يريد الذين جِئْتُمْ مَعَ الْبَقْلِ . والمعنى أَنْ شَرَفَكُمْ حَدِيثٌ .
ومثله قول الآخر :

تَمُوتُونَ هَزَلَى فِي السَّنِينَ وَأَنْتُمْ أُسَارِيْعٌ تَحْمِيَا كَلَّمَا نَبَتَ الْبَقْلُ

وقوله « فَطَارَ وَهَذَا شَخْصُكُمْ غَيْرَ طَائِرٍ » ، تضجَّرُ بِهِمْ وتعجَّب من بقائهم ،
وعَتَبَ عَلَى الزَّمَانِ فِي اسْتِيقَانِهِمْ .

وقوله « فَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَّا بَيْنَ كَانَ قَبْلَكُمْ » ، يريد أَنْ كُلَّ مَنْ يُذَكَّرُ لَكُمْ ^(٣)
وَعِنْدَكُمْ فَهُوَ سَابِقٌ لَكُمْ ، مُقَدَّمٌ عَلَيْكُمْ ، بِالزَّمَانِ وَالْفَضْلِ ، فَأَنْتُمْ عَلَى السَّاقَةِ
لَمْ تُدْرِكُوا مَنَ أَحْرَزَ قِصَبَاتِ السَّبْقِ إِلَّا مَدَقَّ الْخَوَافِرِ ، وَمَوَاطِئَ الْأَفْدَامِ .
جَعَلَهُمْ فَسَا كِلَ ، وَمَتَأَخَّرِينَ عِنْدَ الْفَضَائِلِ .

== تخريجها : يصح أن يكون أحسن هذه أسما ، وهو أفضل تفضيل بمرور بالفتحة صفة للذي وإن
كان نكرة ، من حيث قارب المعرفة إذ لا يدخله « أَل » ، كما تقول العرب : مررت بالذي
خير منك ، ولا يجوز مررت بالذي عالم . تفسير أبي حيان (٤ : ٢٥٥) .

(١) هو طرفة بن العبد ، كما سبق في الحماسية ٦٠١ من ١٤٤١ .

(٢) أنواه : أهلك . وفي الأصل : « تنوى » تحريف . وفي ل : « توبى » .

(٣) في الأصل : « من يدلك » ، صوابه في ل .

٦٦٦

وقال عمرو بن الهذيل^(١) :١- نحنُ أقمنا أمرَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَأَنْتَ بِشَاجٍ مَا تُعِرُّ وَمَا تُخْلِي^(٢)

٢- وَمَا تَسْتَوِي أَحْسَابُ قَوْمٍ تَوَرَّثَتْ قَدِيمًا وَأَحْسَابُ نَبْتَيْنِ مَعَ الْبَقْلِ

ثَاجٌ : اسم ماء . وما تُعِرُّ وما تُخْلِي ، أى لا تأتى بِجُلُودٍ ولا مُرٍّ . يصف
عَجْزَهُ وَضَعْفَهُ ، وَقَعُودَهُ عَنِ الْمَعُونَةِ أَوْ أَنَّ الْحَاجَةَ . وقول زهير :* عَلَى صِيرِ أَمْرِ مَا يُعِرُّ وَمَا يَخْلُو^(٣) *فَأَمْرٌ فِيهِ بِمَعْنَى صَارَ مُرًّا . وَيُقَالُ فِي هَذَا مَرًّا أَيْضًا . وَقَوْلُهُمْ فِي الْمَثَلِ :
« مَا أَمْرٌ فَلَانٌ وَمَا أَحْلَى » فَهُوَ مِثْلُ الْمَعْنَى الَّتِي فِي الْبَيْتِ . وَالْمَعْنَى : مَا أَتَى بِجُلُودٍ
وَلَا مُرٍّ . وَمِرَادُ الشَّاعِرِ فِي هَذَا الْبَيْتِ ظَاهِرٌ ، وَهُوَ الْمَعْنَى الْمُتَقَدِّمُ .وقوله « وما تستوى أحساب قوم » تستوى بمعنى تُساوى وتماثل ، وقد
يكون استوى بمعنى استعلى . على ذلك قولهم :* قَدْ اسْتَوَى بِشَرِّهِ عَلَى الْعِرَاقِ^(٤) *(١) التبريزى : « وقال عمرو بن الهذيل العبدى . وقال أبو رياش : مى لرجل من بنى
عجل . » وفى معجم المرزبانى ٢٤١ « عمرو بن الهذيل الربعى » . قال المرزبانى : « يقوله لأبى
غسان مالك بن مسمع حين فر أيام العصابة ، فنزل بأجأ حتى تجلت العصابة » .
(٢) المرزبانى : « لا تمر ولا تحلى » . وقيل عند التبريزى :

لَا تَرَجُ خَيْرًا عِنْدَ بَابِ ابْنِ مِسْمَعٍ إِذَا كُنْتَ مِنْ حَيٍّ حَنِيفَةً أَوْ عَجَلٍ

(٣) ثانى بيت له من القصيدة التى مطلعها :

صَحَا الْقَلْبُ عِنْدَ سَلْمَى وَقَدْ كَادَ لَا يَسْلُو وَأَقْفَرُ مِنْ سَلْمَى التَّعَانِيقِ وَالثَّقَلِ
وَصَدْرِهِ : * وَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَلْمَى سَنِينًا ثَمَانِيَا *

(٤) بعده فى اللسان (سوى) :

* مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مَهْرَاقٍ *

(٣٤ - حساسة - ثالث)

٦٦٧

وقالت كنزة في مئة^(١) :

- ١ - أَلَا حَبَّذَا أَهْلُ الْمَلَا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرْتُ مَيَّ فَلَا حَبَّذَا هِيَا
- ٢ - عَلَى وَجْهِ مَيَّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَا حَةٍ وَتَحْتِ الثِّيَابِ الْخِزْيُ لَوْ كَانَ بَادِيَا
- ٣ - أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يُخْلِفُ طَعْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ فِي الْعَيْنِ صَافِيَا^(٢)
- ٤ - إِذَا مَا أَتَاهُ وَارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ تَوَلَّى بِأَضْعَافِ الذِّى جَاءَ ظَامِيَا
- ٥ - كَذَلِكَ مَيَّ فِي الثِّيَابِ إِذَا بَدَتْ وَأَثْوَابُهَا يُخْفِينَ مِنْهَا الْمَخَاذِيَا
- ٦ - فَلَوْ أَنَّ غِيلَانَ الشَّقَى بَدَتْ لَهُ مُجَرَّدَةً يَوْمًا لَمَا قَالَ ذَا لِيَا
- ٧ - كَقَوْلِ مَضَى مِنْهُ وَلَكِنْ لَرَدَّهُ إِلَى غَيْرِ مَيَّ أَوْ لِأَصْبَحَ مَالِيَا

قوله ذا من لفظة « حَبَّذَا » أشير به إلى الشيء ، وهو مع حب بمنزلة الرجل من نعم الرجل ، إلا أنه أُجْرِى معه مجرى الأمثال ، لا يغير ولا يفصل بينهما . والمعنى : محبوب في الأشياء أهل الملا غير مَيَّ ، فإنها إذا ذُكِرت لا تستحق مدحا ولا اختصاصا ، ولا ثناء ولا إطراء ، فلا تعطى هذا القول ، ولا تُذكر عند الدعاء بالشقيا ، ولا تدخل عند الحمد أو الحب في الذكري . وقولها « فَلَا حَبَّذَا مَيَّ » جعل ألف ذا على انفصالها تأسيسا ، لأن الروي من اسم مُضْمَرٍ وهو مَيَّ .

(١) التبريزي : « كنزة أم شملة المنقري في مئة صاحبة ذى الرمة . وقيل : هي لذى الرمة ، وذلك أنه كان يشب بمئة وكانت من أجل الناس ولم تره قط ، فجعلت له عليها أن تنحر بدنة أول ما تراه . فلما رآته رأت رجلا دميما أسود ، فقالت : واسوء تاه ! فقال ذو الرمة فيها : . وقد سبقت ترجمة « كنزة » في المحاسنة ٢٤٠ ص ٧٠١ . وفي الأغاني (١٦ : ١١٤) وأمالى الزجاجي ٥٧ أن تلك الأبيات قيلت على لسان ذى الرمة بغية الإفساد بينه وبين صاحبه . وانظر ملحقات ديوان ذى الرمة ٩٦ - ٩٧ .

(٢) التبريزي : « أبيض صافيا » .

وقولها « على وجهي مَسْحَةٌ » تريد أن ظاهرها حسن ، كأن الله عز وجل قد مسحها بالجمال مسحاً ، ويكون أصله من المسح باليد ، وقد استعمل في الدعاء فقيل للمريض : مسح الله مابك من علة ، وقيل أيضاً : هو ممسوح الوجه أى مستوى الخلق . وقولها « وتحت الثياب الخزي » تريد أن ماسوى المعاري منها مما هو موارى من بدنها ، ومستور بثيابها ، قبيح . وقولها « لو كان بادياً » جواب لو مقدم عليه . أرادت : لو ظهر الخافي منها كان خزيًا . ثم شبهتها بالماء يتناهى صفاؤه ولونه ، ويترامى للناظر زرقته ، ويحسب عذباً سلسلاً فإذا هو ملح أجاج ، حتى إذا وردة الوارد فنظر إليه صار كأنه يبعده من نفسه بظاهره عذوبة ، فإذا طعمه يخلف ولا يبقى ، بل يعطيه مرارة . هذا إذا روى « يخلف » لأنه من الخلف في الوعد ، وقد روى « يخلف » فيكون من الخلوف : التغير . وفي الحديث « خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » . والمراد أن ظاهر هذه المرأة كظاهر هذا الماء ، وباطنها كباطنها فكما أن وارد هذا الماء وقد اضطره العطش وساقه حرارة الجوف والغلة يصدر عنه وقد تضاعف ظمؤه وتزايدت حرته ، كذلك هذه المرأة للكاشف عن أمرها ، والذائق بعد الاغترار بها . وقولها « بأضعاف الذي جاء » ، [تريد جاء ^(١)] عليه ، فحذف حرف الجرّ ووصل الفعل بنفسه ، فصار جاءه ، ثم حذف الضمير من الصلة استئقلاً واستطالة لكون أربعة أشياء شيئاً واحداً : الموصول ، والفعل ، والفاعل ، والمفعول . ومن جَوَزَ حذف الجار والجور من الصلة فالأمر عنده أقرب . وانتصب « ظامناً » على الحال .

وقولها « فلو أن غيلان الشقي » تعنى به ذا الرثمة ، لأنه كان ينسب بمية ^(٢) ، وكان يسميها مرة مياً ومرة مية . فتقول : لو أنها تجردت له لتبرأ منها وتندم

(١) الكلمة من ل .

(٢) في الأصل : « يشبهها » صوابه في ل .

على ماسيرُهُ من النَّسِيبِ فيها . وانتَصَبَ « مُجَرَّدَةٌ » على الحال . وأشارت بهذا من قولها « لما قال ذالِيا » إلى مُجَرَّدِ مَيَّةَ ، أى ما حَدَّثَ نفسه بأنه له . ويروى : « لما قال آليا » وهذا يتعلق بما بعده . أرادت : لما قال كقوله فيما سَلَفَ ذالِيا . وآليا ، أى مقصِّراً عندَ نفسه فى دعواه ، ولَصَرَفَ تشييبَةً^(١) إلى غيرها ، ولتَسَلَّى من النساءِ رأساً ، وزهدَ فيهنَّ استبشاعاً لها . وآليا ، من قولك : لا آلو فى كذا ، أى لا أقصِّر ، وينتصب على الحال . وقولها : « لَرَدَّةٌ » ، اللام جواب يعين مضمرة . وذكر بعضهم أن معنى آليا حالفاً ، أى كان لا يُقَسِّمُ بها ، وهذا خطأ ، لأنَّه كان يجبُ أن يكون مُوالياً . ألا ترى أنه يقال : آليتُ فى اليمين إيلاءً . وقيل : آ : توجَّعُ فهو كَأَوْه ، والمعنى : لم يَقُلْ لما يَسْتَجِدُّ من الزَّهدِ فيها آ آلى ، متأوِّهاً ومتوجَّعاً — وهذا كما يُقال فى الأمر وقد نَسَكَأَ فى متولَّيه : شقاء لى ، بكاء لى ، وأشقى لى ، وأبكى لى — وجداً بها ، فعلى هذا يكونُ آ آلى حكايةً صوتٍ موضعه رفعٌ بالابتداء ، ولى خبرُهُ ، والأوَّلُ أقربُ عندى .

٦٦٨

وقال أبو العتاهية^(٢) :

- ١ — جُزِيَ الْبَخِيلُ عَلَى صَالِحَةٍ عَنَى بِحَقَّتِهِ عَلَى ظَهْرِى
- ٢ — أَعْلَى وَأَكْرَمَ عَنْ يَدَيْهِ يَدَى فَعَلْتُ وَنَزَهَ قَدْرُهُ قَدْرِى
- ٣ — وَرُزِقْتُ مِنْ جَدَّوَاهُ عَافِيَةً أَلَّا يَضِيقَ بِشُكْرِهِ صَدْرِى
- ٤ — وَغَنَيْتُ خِلَواً مِنْ تَفَضُّلِهِ أَحْنُو عَلَيْهِ بِأَحْسَنِ الْعُذْرِ
- ٥ — مَا فَاتَنِ خَيْرُ امْرِئٍ وَضَعَتْ عَنَى يَدَاهُ مَوْوَنَةَ الشُّكْرِ

(١) ل : « نسيبه » .

(٢) لقب له ، واسمه إسماعيل بن القاسم ، شاعر عباسى منشؤه بالكوفة . وأكثر

شعره فى الزهد . توفى سنة ٢٠٥ . الأغاني (٣ : ١٢٢ — ١٧٦) والشعراء ٧٦٥ — ٧٦٩ .

يَقُولُ : جَزَى اللَّهُ الْبَخِيلَ عَلَى بِمَالِهِ خَصْلَةً صَالِحَةً ، فَقَدْ خَفَّ تَحْمِيلُهُ عَلَى ظَهْرِي ، لِسُقُوطِ مِنتِهِ عَنِّي ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَجَلَّنِي عَنْ صَنِيعَتِهِ ، وَأَكْرَمَ مَحَلِّي إِذْ أَخْلَانِي مِنْ عَارِفَتِهِ ، وَصَانَ قَدْرِي حِينَ لَمْ يَتَذَلَّهُ لِعَطِيَّتِهِ ، وَرَفَعَ يَدِي وَكَرَّمَهَا حِينَ لَمْ يَشْنُهَا بِمَرْزِيَّتِهِ ، فَرَزَقَنِي اللَّهُ عَافِيَةً مِنْ ضَيْقِ الذَّرْعِ بِشُكْرِهِ ، وَالتَّطَوُّقِ بِإِفْضَالِهِ ، وَاسْتَفْنَيْتُ عَنْهُ خَالِيًا مِنْ بَرٍّ ، مُنْصِرِفًا مِنْ تَفَضُّلِهِ ، مُتَعَطِّفًا عَلَيْهِ بِسَطِّ عُدْرِهِ حِينَ لَمْ يَجِدْ عَلَيَّ ، وَلَمْ يَتَلَقَّ إِقْبَالِي عَلَيْهِ بِقَبُولِهِ لِي .

وَلَمَّا قَالَ : أَعْلَى يَدِي فَعَلَّتْ ، كَانَ الْأَحْسَنُ فِي مَقَابِلَتِهِ أَنْ يَقُولَ : وَنَزَرَهُ قَدْرِي قَنَزَهُ . وَيُقَالُ : فَلَانُ نَزِيهُ كَرِيمٌ ، إِذَا كَانَ بَعِيدًا مِنَ اللَّؤْمِ . وَقَوْلُهُ « أَلَا يَضِيقُ » لَكَ أَنْ تَرْفَعَهُ وَأَنْ تَنْصِبَهُ ، فَالْتَّضَبُّ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَنَّ النَّاصِبَةَ لِلْأَفْعَالِ ، وَالرَّفْعُ عَلَى أَنْ تَكُونَ أَنَّ مَخْفَفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ ، وَيَكُونُ اسْمُهُ مُضْمَرًا ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَنَّهُ لَا يَضِيقُ ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُهُ . وَالْعَافِيَةُ : مُصَدَّرٌ كَالْعَاقِبَةِ ، وَمِثْلُهُ مَا أَبَا لِيهِ بِأَلِيَّةٍ ، وَقَمَ قَائِمًا ؛ لِأَنَّهُ لَا خِلَافَ أَنَّ أَسْمَ الْفَاعِلِ يَكُونُ اسْمًا لِلْمُصَدَّرِ وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِي بِنَاءِ الْمَفْعُولِ . وَمَوْضِعُ « أَلَا يَضِيقُ » نَصَبٌ بِكَوْنِهِ بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ عَافِيَةً . وَاتَّصَبَ « خَلَوْا » عَلَى الْحَالِ . وَجُمْلَةُ الْمَعْنَى : أَنَّهُ لَمْ يَفْتِنِّي إِحْسَانُ رَجُلٍ لَمْ يَلْزَمْنِي لَهُ شُكْرُ إِفْضَالٍ ، وَلَمْ يَجِبْ بِفَعْلِهِ بِي عَلَى اعْتِدَالٍ .

٦٦٩

قال ابن عبدل الأسدي^(١) :

١ — أَضْحَى عُرَاجَةٌ قَدْ تَعَوَّجَ دِينُهُ بَعْدَ الْمَشِيبِ تَعَوَّجَ الْمِسْمَارِ

٢ — وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى عُرَاجَةِ خِلْتَهُ فَرَجَتْ قَوَائِمُهُ بِأَيْرِ حِمَارِ

أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ أَنَّهُ يَحْسُرُ عَلَى تَشْبِيهِهِ بِالسُّوءَةِ . وَضَرَبَ الْخَنَّا وَالْفَحْشَ مَثَلًا

(١) سبقت ترجمة الحكم بن عبدل في الحماسية ٤٥٠ ص ١٢٠٤ .

له في جهوه ، فأما المعنى فظاهر ، وإنما شبهَ تَعَوَّجَ دينه على كِبَرَتِهِ وَسِنِّهِ بتعَوَّجِ المسارِ في العمل ، وقد هَجَزَ عَمَّا حُمِّلَ ، فإن أُكْرِهَ على النفاذ انكسَرَ ، وإن طَلِبَ نَزْعُهُ لِيُجْعَلَ أَقْوَى مِنْهُ بَدَلَهُ تَعَسَّرَ ، فكذلك عُرِجَتُهُ في اعوجاج دينه والتوانه ، لا صَرَفُهُ وَرَدُّهُ مِمَّا كَانَ ، ولا احتمالُهُ عَلَيْهِ مُسَوِّغٌ .

٦٧٠

وقالت أم عمرو بنت وقدان :

١ - إِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَطْلُبُوا بِأَخِيكُمْ فَذَرُوا السَّلَاحَ وَوَحِّشُوا بِالْأَبْرِقِ

٢ - وَخَذُوا الْمَكَاحِلَ وَالْمَجَاسِدَ وَالْبُسُوفَ نَقَبَ النِّسَاءُ فَيُنْسُ رَهْطُ الْمُرْهَقِ

٣ - أَلْهَاكُمْ أَنْ تَطْلُبُوا بِأَخِيكُمْ أَكُلُ الْخَزِيرِ وَاعْقُ أَجْرَدَ أُنْحَقِ

تقول : إِنْ ضَيَّعْتُمْ دَمَ أَخِيكُمْ ، وقعدتم عن الانتقام له ، لتقصيركم في طلب

ثأره ، فضعوا السِّلَاحَ واطَّرحوه بِالْأَبْرِقِ . ويقال : وَحَّشَ بَثْوَبَهُ وَبَسِيفَهُ ، إذا

رَمَى بِهِ بَعِيداً . وفي الحديث : « وَحَّشُوا بِرَمَاحِهِمْ ^(١) » ، أَيْ رَمَوْا بِهَا . ويجوز

أَنْ تَرِيدَ تَوْحَّشُوا ، أَيْ صَيَّرُوا مَعَ الْوَحْشِ حَيَاءً مِنْ فَعْلِكُمْ ، وَهَاجَرُوا النَّاسَ

وَجَانِبُوهُمْ . والعرب تقول : إِذَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ تَأَنَّسَ كُلُّ وَحْشِيٍّ ، وَتَوْحَّشَ كُلُّ

إِنْسِيٍّ . يريدون بِتَأَنَّنِ اسْتَأْنَسَ ، وَبِتَوْحَّشٍ اسْتَوْحَّشَ . ومثلُ وَحَّشَ بِمَعْنَى

تَوْحَّشَ قَدَّمَ بِمَعْنَى تَقَدَّمَ ، وَنَبَّهَ بِمَعْنَى تَنَبَّهَ . وعلى هَذَا يُحْمَلُ قولُ امرئِ القيس :

وَأَنَا الْمُنْبَهُ بَعْدَ مَا قَدْ نَوَّمُوا وَأَنَا الْمُعْلَانُ صَفْحَةَ النُّوَامِ

لأنه إِنْ لَمْ يَجْعَلْ مِنْبَهُ بِمَعْنَى مُتَنَبِّهِ يَصِيرُ عَجْزُ الْبَيْتِ كَصَدْرِهِ فِي أَنَّهَا بِمَعْنَى

(١) هو من حديث علي رضي الله عنه ، أنه لقي الخوارج فوحشوا برماحهم واستلوا

السيوف . اللسان (وحش) . وفيه أيضاً : « ومنه الحديث : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم من حديد ، فوحش به بين ظهري أصحابه ، فوحش الناس بنحواتهم » .

واحد . وقال بعضهم : وحشوا معناه اطلبوا صيد الوحش وتقوئوه . وهذا يرجع معناه إلى ما ذكرناه ؛ لأن معناه فارقوا الناس والكون معهم .
 وخَصَّتِ الأبرق لأنه كان مما وَلِيَهُم ، وهو المكان فيه حجارة سودّ وبيض .
 ويقال : جبل أبرق ، إذا كانت طاقاته سودّا وبيضا .
 وقولها « وخذوا المكاحل » ، تريد : اجعلوا بدل السلاح آلات النساء ،
 والمجاسد : جمع المجسد ، وهو الثوب المشيع صيفا . والجساد : الزعفران .
 والنقب : جمع نقبة ، وهي إزار تجعل له حجرة كحجرة السراويل تلبسه المرأة . قال :

بيضاء مثل القلب^(١) في نقبة وإنب

والإنب : القميص .

والمعنى : إن لم تشاروا لصاحبكم فتزينا بزى النساء فإنكم إناث ، وبئس رهط المُرَهَق : المضيق عليه أتم . وحذف المذموم بيئس ، وهو أتم ، لأن المراد مفهوم . وهذا الكلام بعث وتحضيض على طلب الدم ، فهو كقول أخت عمرو حين بعثت عمرا على طلب دم أخيه عبد الله فقالت :

فإن أنتم لم تشاروا بأخيكُم فمشوا بأذان النعم المصلم^(٢)
 ولا تردوا إلا فضول نساءكم إذا ارتملت أعقابهن من الدم

وقولها « أهاكم أن تطلبوا » ، تهيبج وإغراء . والخزير : حسلا يحسى .
 والأجرد : الأحمق ، يراد به نحى أوزق ديس . والأحقق : القليل ، كأنه يصير لكم تحقا لا يبارك الله فيه . وأحقق من باب أفعل الذى لا فعلاء له . واللحق ، هو لما فى النحى لا له ، فتوسّع فيه .

(١) سبق البيتان فى الخامسة ٥٢ ص ٢١٨ — ٢١٩ .

(٢) القلب ، بثلاث القاف : قلب النخلة ، وهو جارها .

٦٧١

وقالت امرأة من طيء^(١) :١ — فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي قَتَلَتْهُمْ عِمَارَةً من السَّرَوَاتِ والرُّؤوسِ الذَّوَائِبِ^(٢)

٢ — صَبَرْنَا لِمَا يَأْتِي بِهِ الدَّهْرُ عَامِدًا وَلَكِنَّا أَثَارُنَا فِي مُحَارِبِ

٣ — قَبِيلٍ لَثَامٍ إِنْ ظَفَرْنَا عَلَيْهِمْ وَإِنْ يَفْلِبُونَا يُوجَدُوا شَرًّا غَالِبِ^(٣)

العِمَارَةُ : الحَيُّ العَظِيمُ يُطَبِّقُ الانْفِرَادَ ، وَقَدْ يُفْتَحُ الْعَيْنُ مِنْهُ فَيُقَالُ الْعِمَارَةُ ، لُغَةً . وَمِثْلُ الْعِمِيرَةِ ، وَقِيلَ : هَا جَمِيعًا الْبَطْنُ . وَالسَّرَوَاتُ : الرُّؤُوسُ . وَالذَّوَائِبُ : الْأَعَالَى ، وَهُوَ جَمْعُ ذَوَابَةٍ . وَاسْتَعْمَلُوا الذَّوَائِبَ فِي خِلَافِهِ ، وَهُوَ جَمْعُ ذَوَابَةٍ ، وَهِيَ اسْمَانِ فِي الْأَصْلِ وَصِفَتْ بِهِمَا . وَأَثَارٌ : جَمْعُ النَّارِ . يَقُولُ : هُمُ الَّذِينَ أَصَابُونَا عَنْ ذِلَّتِهِمْ وَخَسَّتِهِمْ ، فَالْبَسَاءُ أَعْظَمُ ، وَقَرَحُ الْقَلْبِ أَوْجَعُ ، وَلَوْ أَصَابَنَا غَيْرُهُمْ كَانَ الْخَطْبُ أَيْسَرَ ، وَالصَّبْرُ عَلَيْهِ أَوْسَعُ . وَهَذَا كَمَا يَقَالُ فِي الْمَثَلِ السَّائِرِ : « لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي » .

وقولها « قَبِيلٌ لَثَامٌ » ، هُوَ تَفْصِيلٌ مَا أَجْهَلَهُ . وَقَوْلُهَا « إِنْ ظَفَرْنَا عَلَيْهِمْ » عَدَى ظَفَرْنَا تَعْدِيَةً عَلَوْنَا ، لِأَنَّهُ فِي مَعْنَاهُ ، وَهُمْ يَحْمِلُونَ الضَّمِيرَ عَلَى الضَّمِيرِ . وَالْمَعْنَى : لَا اسْتِغْنَاءَ فِي الْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ إِذَا نِيلُوا ، وَلَا يُبْذِمُونَ طُلَّابَ الْأَوْتَارِ إِذَا ثَارُوا . وَجَوَابُ الشَّرْطِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ إِنْ ظَفَرْنَا ، مُتَقَدِّمٌ عَلَيْهِ قَوْلُهُ « قَبِيلٌ لَثَامٌ » ، لِأَنَّهُ فِيهِ مَعْنَى الْفَعْلِ .

(١) التبريزي : « ومي عاصية البولانية » .

(٢) روى قبله التبريزي :

أَعَاصِي جُودِي بِالْذَّمُوعِ السَّوَاكِبِ وَبَكِّي لَكَ الْوِيَلَاتُ قَتَلِي مُحَارِبِ

(٣) التبريزي : « إِنْ ظَهَرْنَا » .

ومثل قولها « وإن يَغْلِبُونَا يوجِدُوا شَرَّ غَالِبٍ » قول امرئ القيس :

* ولم يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ^(١) *

إلا أنه في النَّسِيب .

٦٧٢

وقال آخر^(٢) :

١ — إذا ما الرُّزْقُ أَحْجَمَ عن كَرِيمٍ فالجأهُ الزَّمانُ إلى زيادٍ^(٣)

٢ — تَلَقَّاهُ بوجهٍ مُكْفَهَرٍ كَانَ عليه أرزاقُ العبادِ

الإحجام : النكوص عن القرن هيبة له . وقد تَوَسَّعَ به هنا . وضدّه

الإقدام . ويقال : نكصَ على عَقْبِيهِ . والمكفهر : المستقبل بكرهية وتفضن

وجهه . ويقال : سَحَابٌ مُكْفَهَرٌ ، إذا تراكم ، ووجهه مُكْفَهَرٌ . ويروى :

« بوجهٍ مقشعرٍ » ، والأصل في الاقشعرار تقبُّضُ الجلد وانتصابُ الشعر ، ثم

يُتَوَسَّعُ فيه فيقال : اقشعرت الأرضُ والنباتُ والسَّنة . والمعنى ظاهرٌ ، وهو

أن العاني إذا وَرَدَ عليه تَلَقَّاهُ بُمُوسٍ ، كأنه اجتمع عليه لورود واحدٍ من الناس

أرزاقُ الخلقِ كلَّهم . وجوابُ إذا « تَلَقَّاهُ » .

٦٧٣

وقال أبو محمد الزيدى^(٤) :

١ — عَجَبًا لأحمدَ والعجائبُ جَمَّةٌ أَنَّى يَلُومُ على الزَّمانِ تَبَدُّلِي

(١) تمامه :

فإنك لم يفخر عليك كفاخر

ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

(٢) التبريزي : « وقالت غيرها » .

(٣) التبريزي : « وألجأه » .

(٤) هو يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي ، أبو محمد الزيدى النحوى المقرئ القنوى =

- ٢ - إِنَّ الْعَجِيبَ لِمَا أُبْشِكَ أَمْرَهُ مِنْ كُلِّ مَثْلُوجٍ الْفَوَادِ مُهَيَّـلٍ
 ٣ - وَغَدِ يُلُوكُ لِسَانَهُ بِلَهْمَانِهِ وَتَرَى ضَسْبَابَةَ قَلْبِهِ لَا تَنْجَلِي
 ٤ - مُتَصَرِّفٍ لِلنُّوْكِ فِي غُلُوَانِهِ زَمِرِ الْمُرُوءَةِ جَامِحٍ فِي الْمِسْحَلِ
 ٥ - وَإِذَا شَهِدْتَ بِهِ تَجَالِسَ ذِي النُّهَى وَبَلَّتْ سَحَابَتُهُ بَنُوكِ مُسْهِلٍ^(١)
 ٦ - غَلَبَ الزَّمَانُ بِجَدِّهِ فَسَمَا بِهِ وَكَبَا الزَّمَانُ لَوَجْهِهِ وَالْكُلْكَلِ

قوله « والعجائبُ جمة » اعتراضٌ بين أحمد وقصته التي عجبَ منها .
 ويقال : أمرٌ عَجَبٌ وعُجَابٌ وعَجِيبٌ وعَاجِبٌ . وأبلغ هذه الأبنية العُجَابُ .
 واتَّصَبَ « عَجَبًا » على المصدر . يقول : أتعجَّبُ لأحمد كيف أنكرَ خُلُقِي
 وطريقتي ، حتى لا مَنِي في تبدُّلي على تنكُّرِ الأيامِ وتغيُّرها ، ومن أين استطرَفَ
 ما رأي من حالي وقِصَّتِي ، ومُقتَضَى الوقتِ وموجبُ حكمه لا يدْعُوَانِ إلى غيره .
 ثم أقبلَ يخاطبُ أحمدَ بعد الإخبار عنه فقال : إِنَّ الْعَجَبَ مَا أَطْلَعَكَ عَلَيْهِ
 وَأُبْأْتُكَ فِيهِ ، وَأَكْشَفُ لَكَ مُسْتَوْرَهُ وَخَافِيَهُ ، مِنْ كُلِّ رَجُلٍ بَطَى الْفَهْمَ ، مَيَّتَ
 الْخِطَابُ ، مَدْعُورٍ عَلَيْهِ بِالْهَبْلِ لِثِقَلِهِ وَعَجْزِهِ ، غَيِّيَ عَيْيَ ، إِنَّ حَدَّثَ أَدَارَ لِسَانَهُ
 فِيهِ يَمْضَغُ كَلَامَهُ ، وَإِنْ أُتْمِنَ خَانَ ، وَكَانَ ذَا لَوْنَيْنِ لِنِفَاقِهِ ، وَكَأَنَّ قَلْبَهُ
 قَدْ رَيْنَ عَلَيْهِ لِمَا يَضْمُرُهُ مِنْ غِلٍّ ، فَقَلْبُهُ لِكُلِّ أَحَدٍ ضَبَابَةٌ ، فَلَا تَصِفُو
 نَبِيَّتَهُ ، وَلَا تَخْلُصْ طَوِيقَتَهُ ، مُتَصَرِّفٍ فِي غُلُوَاءِ الْحَقِّ وَارْتِفَاعِهِ وَاتِّهَانِهِ ، قَلِيلٍ

== مولى بنى عدى بن عبد مناة . بصرى سكن بغداد ، وحدث عن أبي عمرو والخليل ، وأدب
 أولاد يزيد بن منصور الحميري خال المهدي ، ونسب إليه ، ثم أدب المأمون . قال المرزباني :
 « وكانت مهربته أن يدخل إليه مع الفجر ، ويعلى معه ، ويدرس عليه المأمون ثلاثين آية » .
 وسأله مرة عن شيء فقال : لا وجعلني الله فداك ! فقال المأمون : لله درك ، ما وضعت الواو
 في مكان أحسن من موضعها هذا ! توفي بخراسان سنة ٢٠٢ . بغية الوعاة ٤١٤ - ٤١٥
 ومعجم الأدباء (٢٠ : ٣٠ - ٣٢) وابن خلكان (٢ : ٢٣٠ - ٢٣٣) ومعجم
 المرزباني ٤١٩ وتاريخ بغداد ٧٣٦٥ .

(١) هذا ما في ل والتبريزي . وفي الأصل : « بنو » .

المروءة ، زَمْرًا حَمِيَّةً ، يركبُ رأسه فيما يَين ، وَيَفْعُلُ عن القصد فيما فيه
يَجِدُ ، ويمضي قُدُمًا في الشرِّ فلا يرتدع ، ويعلو على زاجره فلا يَرْجِعُ ، ولا
يقف وإن كُبِحَ بلجام المنع ، ولا يَرْعَوِي وإن أُوذِنَ بالهلك ؛ ثمَّ إنَّ
حضرتَ به مجالسَ الفضل والعقل ، سالتَ سحابةً جهله بِحُفْقٍ تَلِطُمُ أمواجه ،
وتتدافعُ بصَوْبِهِ أركانه ؛ وعلى ما به من النذالة والجهالة رُزِقَ جدًّا فحطِي ،
وغدبَ على أهلِ زمانه بما قُسمَ له قَلي ، وذَلَّ له الدَّهْرُ فكبا لصدره ووجهه
ضارعًا ، وانقاد لأمره ونهيه صاغراً ، حتى أدرك ما شاء ممتدًّا في شأوه ، مُستَرَفًّا
في شأنه ، آخذًا قَصَبَ السَّبْقِ في ميدانه ، فإن تعجَّبتَ فالعجيبُ هذا ، وإن
استفكرتَ فالنَّكِيرُ هذا .

وَيُرَوَّى :

غَلَبَ الزَّمانُ بُجْدَهُ وَسَمَّا بِهِ فَكَبَا الزَّمانُ

فَيُجْعَلُ الفعل للزمان ويكون معنى سَمَّا به رَفَعَهُ . ثم أخذ يدعو على الزَّمان
فقال : سقطَ لوجهه وكلِّكِهِ ، حين اختارَ مثله لإحسانه ، وهذا حَسَنٌ جدًّا .
وَالْوَعْدُ : الدَّئِيُّ ، مِنْ قولك : وَعَدْتُ القومَ إذا خَدَمْتَهُمْ ^(١) . والنَّهْيُ :
العقول ، والواحدة نُهْيَةٌ . والثَّوْكُ : المُخَنَّقُ . والمِسْحَلان : حَلَقَتَا شَكِيمِ اللَّجَامِ ،
والجميعُ المَساحِلُ . ومعنى « على الزَّمان » ، على تصارييف الزَّمان ، فحذف
المضاف .

وقوله « أَثَبْتُ أَمْرَهُ » أى أجعل أمره مما تَبَيَّنُ وتَحَزَنَ له . والمَثْلُوجُ
الفؤاد : البليد الخالى من الذِّكَاةِ والحِدَّةِ . واللَّوْكُ : المَضْغُ .

(١) فى الأصل : « إذا ذنوتهم » ، صوابه فى ل . وفى اللسان : « والوعد : خادم
القوم ، وقيل الذى يخدم بعلام بطنه » .

٧ - ولقد سَمَوْتُ بِهَيْمَتِي وَسَمَّا بِهَا طَلَبِي الْمَكَارِمَ بِالْفَعَالِ الْأَفْضَلِ

٨ - لِأَنَالَ مَكْرُمَةَ الْحَيَاةِ وَرُبَّمَا عَثَرَ الزَّمَانُ بِذِي الدَّهَاءِ الْخَوَلِ

٩ - فَلَنْ غَلَبْتُ لَتَمُضِينَ ضَرِيْبَتِي كَلَبَ الزَّمَانِ بِعَفَّةٍ وَتَجَمَّلِ

رجع إلى صفة نفسه على تذكر^(١) الزمان له ، فقال : إني وإن لم تساعدني الحال ، ولا يقوم لما أنويه المال ، فلي همة رفيعة ، ونفس أليقة ، يسمو بهما ارتقائي في درجات الفضل ، وطلبي للمعالي بأحسن الفعل ، لأعيش مكرماً مصوناً ، فلا يفوتني سلامة الدين والروءة ، وإن فاتتني الزيادة في الحال والمقدرة ؛ والدهر قد يعثر بالرجل التام النكر ، المرير القوة والخول ، لجهله بموضع الصنعة ، فإن غلبني على حظي ، ونخطاني عند القسم إلى غيري ، فطبعني تسليني وترضييني ، ومعرفتي بمن عنده المال والعقاد تصرف الهم عني ، فتتمحي آثار الخلدان ، وعرامة الليالي والأيام^(٢) ، بعفافية أستعمله ، وتجميل ألزمه ، لئلا يشمت عدو ، أو يفرح حسو.

تم باب الهجاء بحمد الله وعونه^(٣)

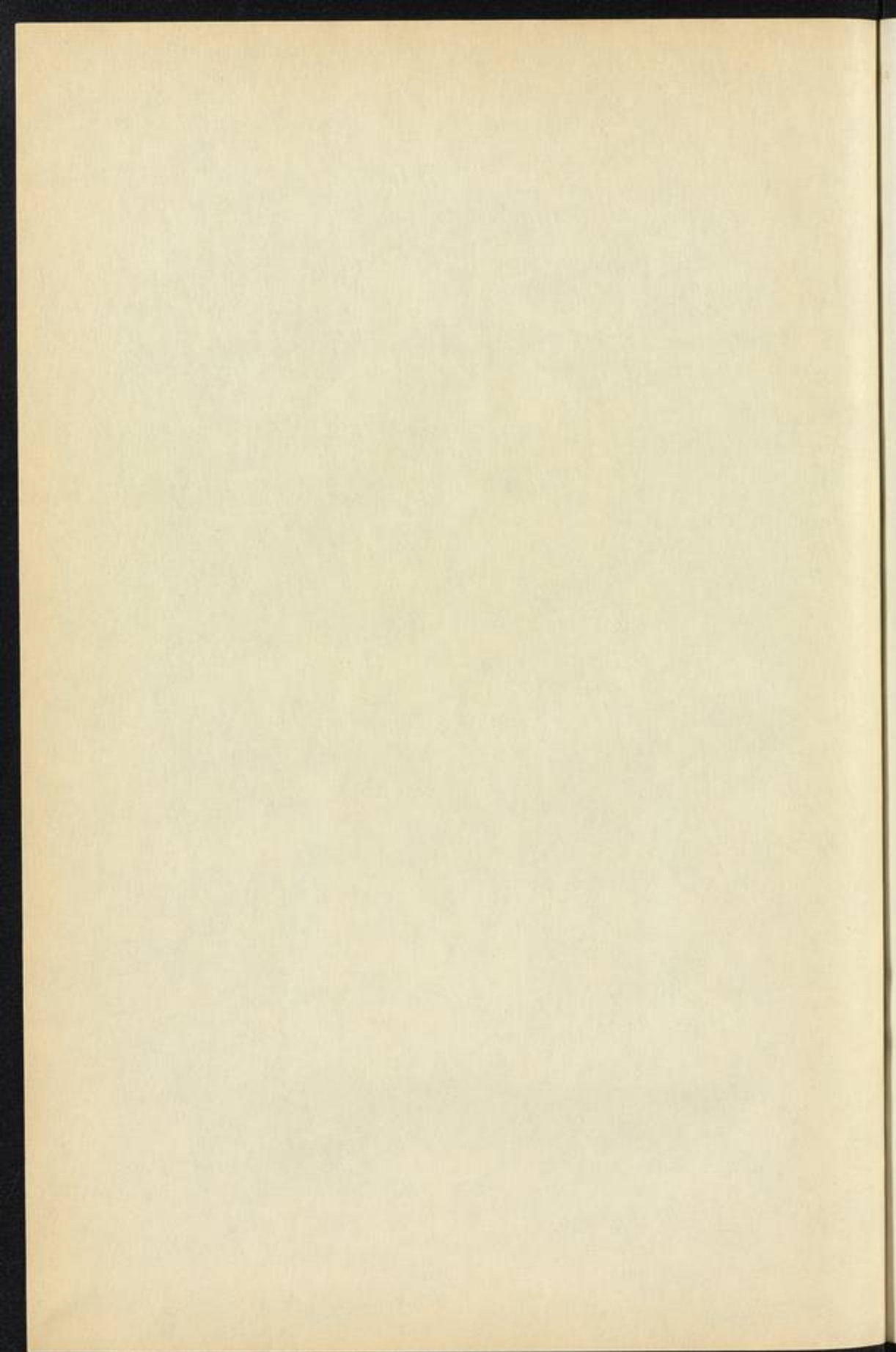
والحمد لله على تظاهرها آلائه ، والصلاة على سيدنا محمد وآله .

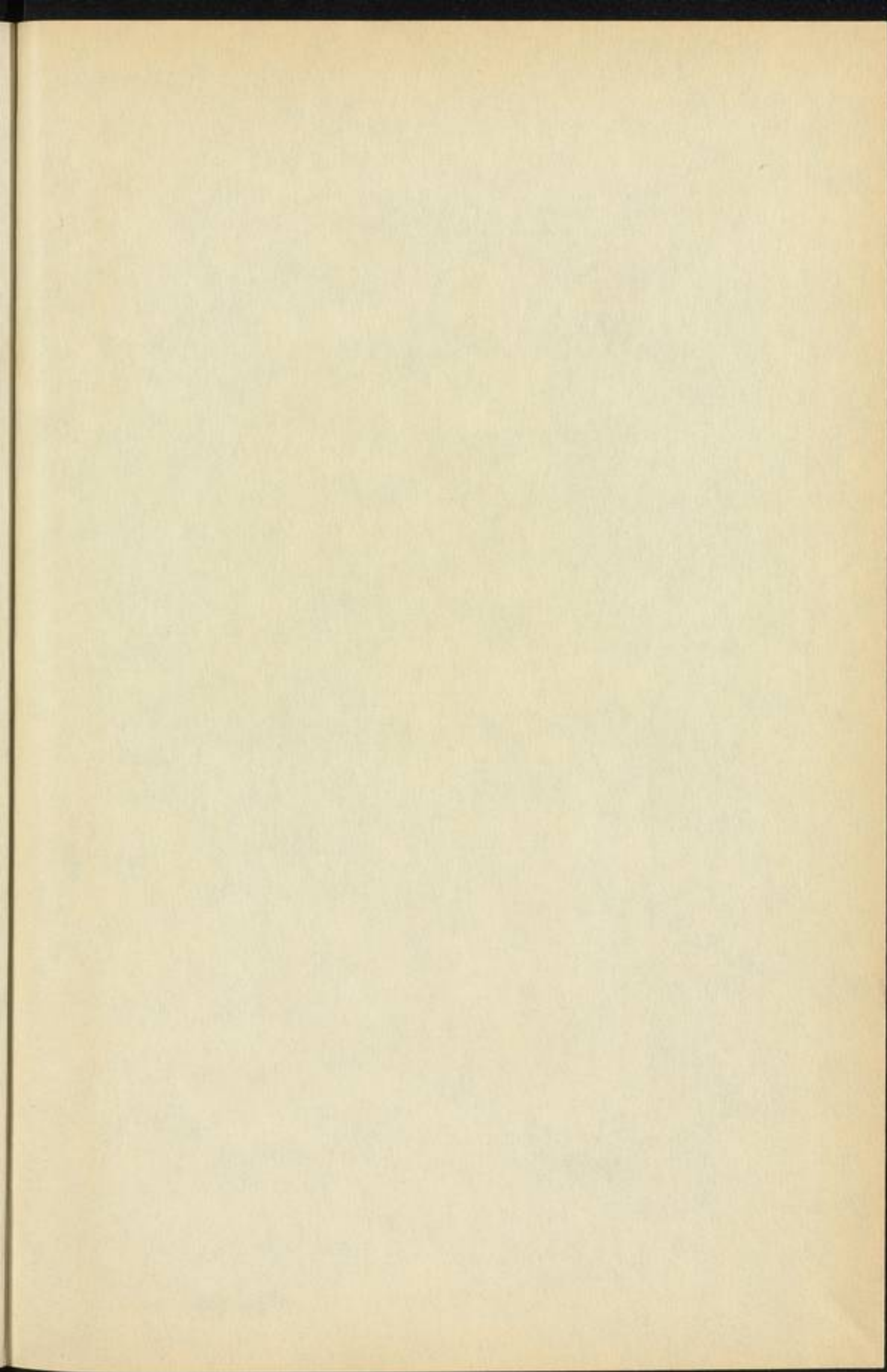
[تم القسم الثالث من شرح المرزوقي للحماسة]

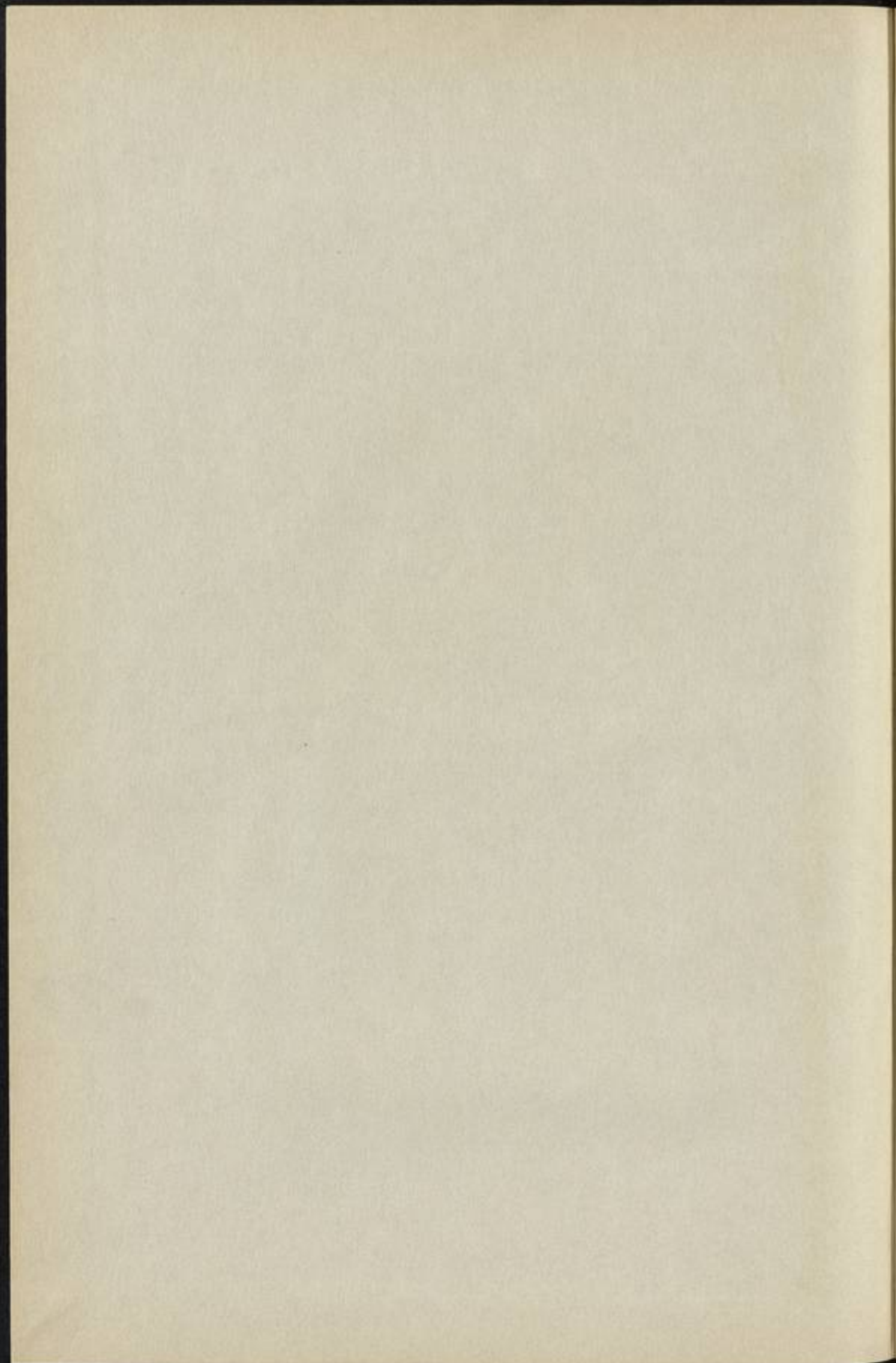
(١) في الأصل : « شكو » ، صوابه في ل .

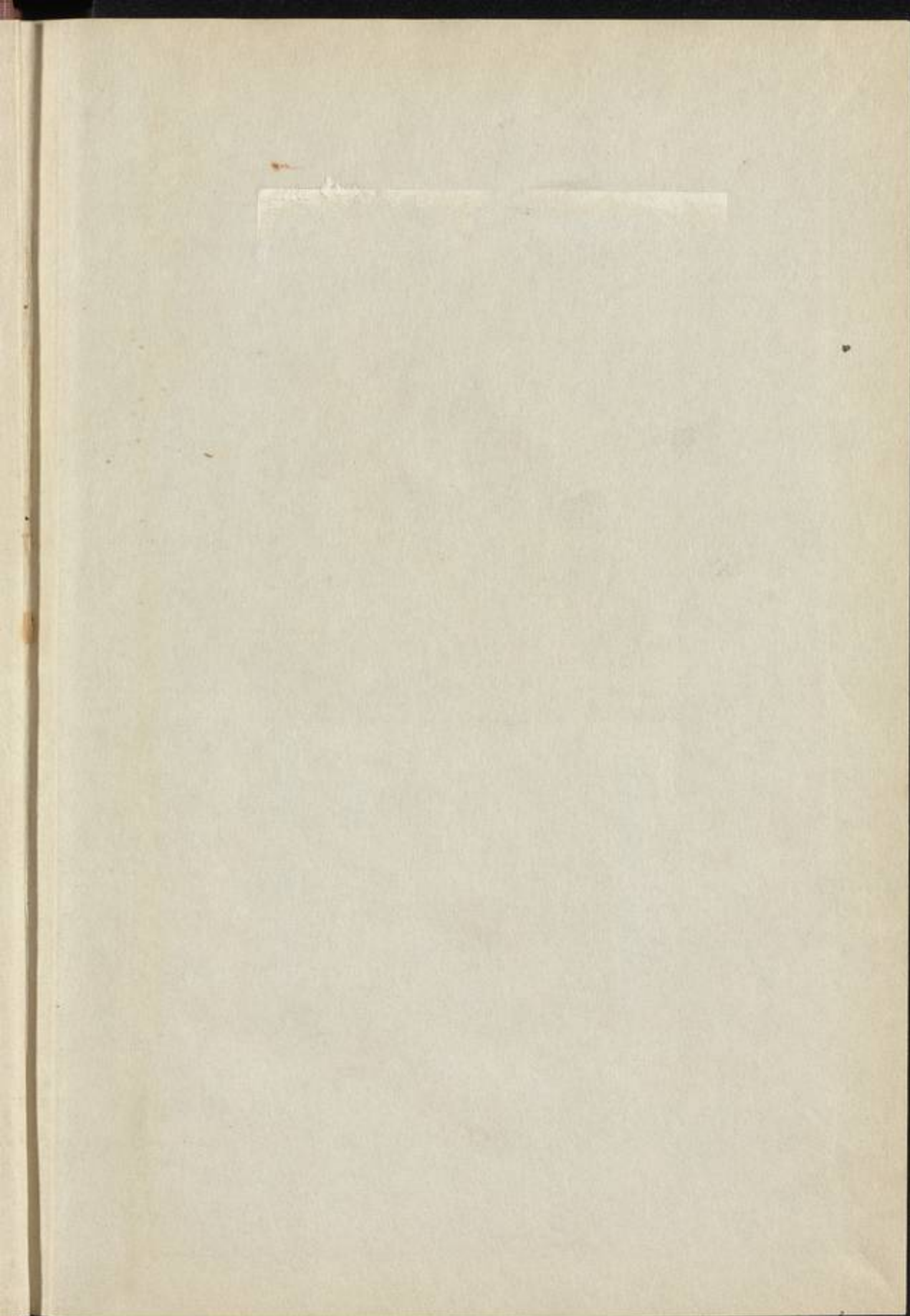
(٢) الرامة : الشدة والشراسة . وفي ل : « غرامة » تحريف .

(٣) ل : « ومنه » ، وما بعده من الكلام ليس في ل .









COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0315334414

893.782

Ab973

4

06649939

06649939

893.782
AB973 V4 C1

SHARH

BOUND

MAR 4 1955

